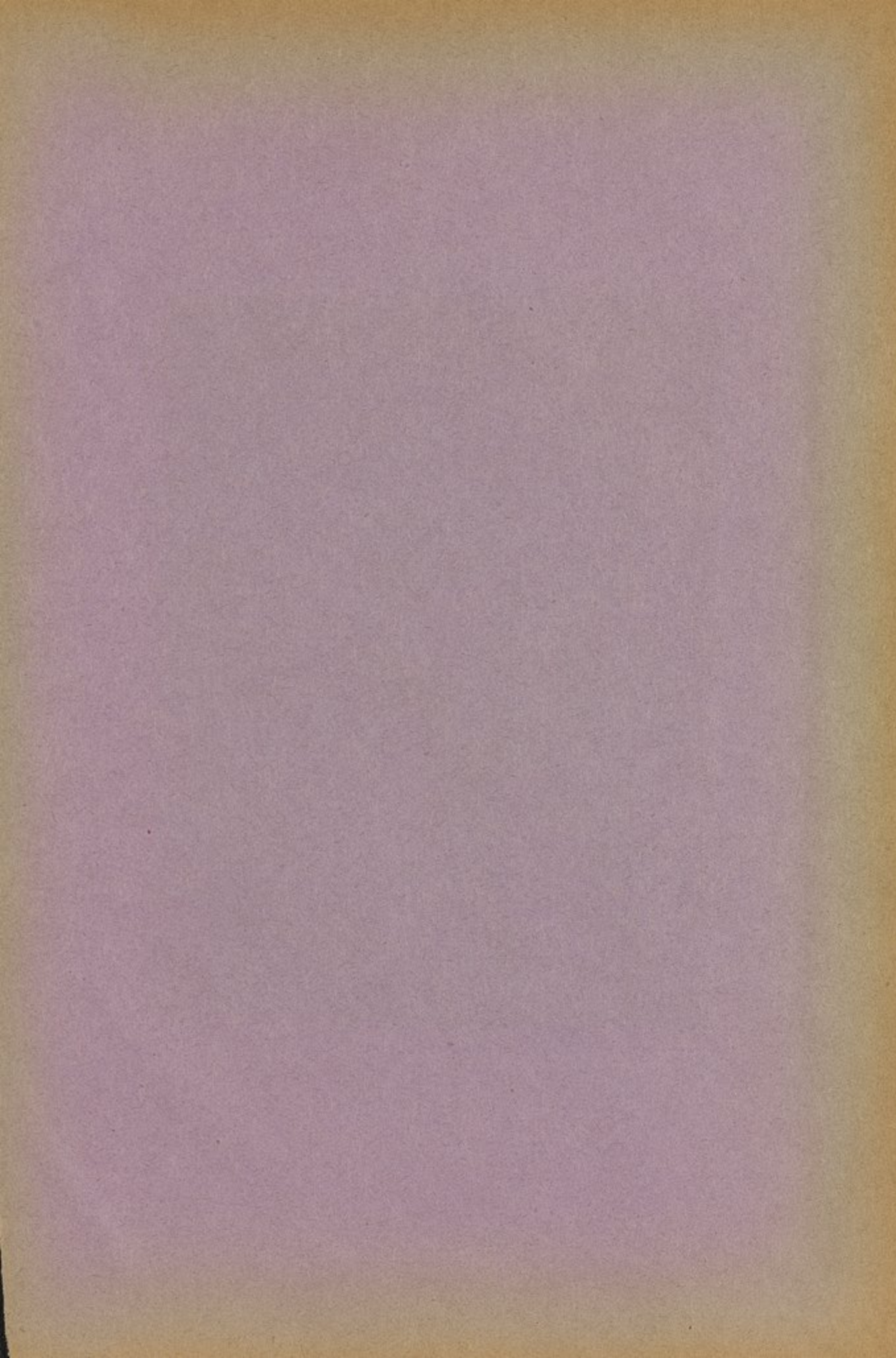




W. Arthur Jeffery





* فهرسة الجزء السابع من تفسير الحافظ ابن كثير *	* فهرسة الجزء السابع من التفسير المسمى فتح البيان في مقاصد القرآن *
صحيفة	صحيفة
٢ سورة المؤمنون	٢ سورة الشعراء
٣٩ سورة النور	٤٨ سورة النمل
١٢٣ سورة الفرقان	٩٤ سورة القصص
١٦١ سورة الشعراء	١٤٠ سورة العنكبوت
٢٠٠ سورة النمل	١٧٧ سورة الروم
٢٣٩ سورة القصص	٢٠٧ سورة لقمان
٢٧٨ سورة العنكبوت	٢٢٧ سورة السجدة
٣٠٨ سورة الروم	٢٤٦ سورة الاحزاب
	٣٢٣ سورة سبا
	٣٤٩ سورة فاطر
* (تمت) *	* (تمت) *

Butl stax
 BP
 130.4
 .M79
 1882
 v. 7

(الجزء السابع)
من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولاه القدير الباري أبي الطيب
صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك
مدينة بهوپال حالاً بالقطار الهندية
لا زالت كواكب فضله
في الآفاق زاخرة
مضيه
آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشر المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع
الكلام على ما يحتاج اليه جرحاً وتعديلاً ٥١ من كشف الظنون

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠١ هجرية

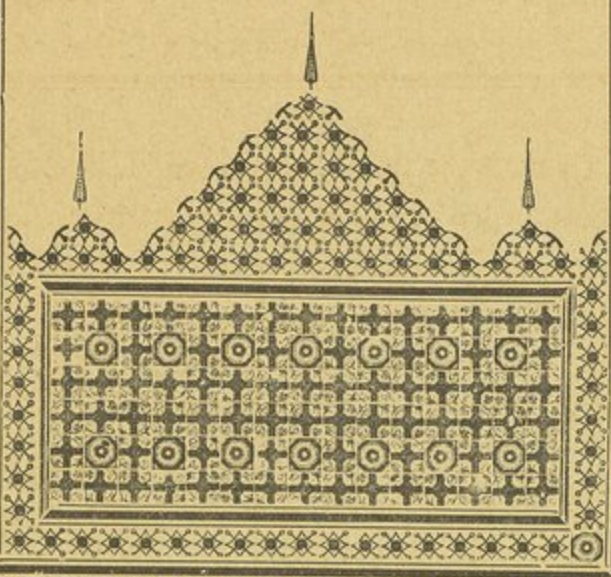
* (تفسير سورة المؤمنون مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قد أفلح المؤمنون الذين هم من
صلاتهم خاشعون والذين هم عن
اللغو معرضون والذين هم للزكاة
فاعلون والذين هم لفروجهم
حافظون الاعلى أزواجهم أو ما
ملكتهن أيانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
العادون والذين هم لا مانع لهم
وعهدهم راعون والذين هم على
صوابهم يحفظون أولئكَ هم
الوارثون الذين يرتون الفردوس هم
فيها خالدون) قال الامام أحمد
حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس
ابن سليم قال أئلى علي يونس بن
زيد الايلي عن ابن شهاب عن عروة
ابن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد
القاري قال سمعت عمر بن الخطاب
يقول كان اذا نزل على رسول الله

صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع
عند وجهه كدوى النحل فلبثنا
ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه
وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا
ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا
ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا
ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من
أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح
المؤمنون حتى ختم العشر ورواه
الترمذي في تفسيره والنسائي
في الصلاة من حديث عبد الرزاق
هو وقال الترمذي منكر لا نعرف
أحدًا رواه غير يونس بن سليم

ويونس لا نعرفه وقال النسائي في تفسيره انبا نقيبه بن سعيد حدثنا جمع فر عن أبي ع- ران عن يزيد



بسم الله الرحمن الرحيم

* (سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية ومكية عند الجمهور) *

وبه قال ابن الزبير وقال ابن عباس سوى خمس آيات من آخرها نزلت بالمدينة وهي
والشعراء يتبعهم الغاؤون الى آخرها وأخرج القرطبي في تفسيره عن البراء أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم قال ان الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المنسبين
مكان الانجيل وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن
نبي قبلي وأخرج أيضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت
المفصل نافله قال ابن كثير ووقع في تفسير مالك تسميتها بسورة الجمعة

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(طسم) محلله الرفع على الابتداء ان كان اسما للسورة كما ذهب اليه الاكثر وأعلى انه خبر
ويجوز أن يكون في محل نصب والتقدير اذ كرا وأقرأ وأما اذا كان مسرودا على نخط
التعديد كما تقدم مرارا فلا محل له من الاعراب وقد قيل انه اسم من أسماء الله سبحانه وقيل
انه اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكته وقال ابن
عباس طسم يحزن العلماء عن علم تفسيرها وهو الحق في المقام ولذا قال الخليلي الله أعلم براده
بذلك (تلك) أي السورة أو آيات هذه السورة (آيات الكتاب) أي القرآن (المبين)
أي المبين المظهر للحق من الباطل أو البين الظاهر بحجازه ان كان من أبان اللازم بمعنى بان

وهذا

وهذا

ابن بانوس قال قلنا العائشة أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن فقرأت قد أفلح المؤمنون حتى انتهت الى الذين هم على صلواتهم يحافظون قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد روى عن كعب الاحبار ومجاهد وأبي العالية وغيرهم لما خلق الله الجنة عدن وغرسها بيده ونظر اليها وقال لها تكلمي فقالت
قد أفلح المؤمنون قال كعب الاحبار لما أعد لهم من الكرامة فيها وقال ابو العالية فأنزل الله ذلك في كتابه وقد روى ذلك عن أبي
سعيد الخدرى مرفوعا فقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المنثري حدثنا المغيرة بن ٣ مسلمة حدثنا وهيب عن الجريري عن أبي

نضرة عن أبي سعيد قال خلق
الله الجنة لبننة من ذهب ولبننة من
فضة وغرسها وقال لها تكلمي
فقالت قد أفلح المؤمنون فدخلتها
الملائكة فقالت طوبى لك منزل
المولود ثم قال وحدثنا بشر بن آدم
وحدثنا يونس بن عبيد الله العبير
حدثنا عدي بن الفضل حدثنا
الجريري عن أبي نضرة عن أبي
سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال خلقني الله الجنة لبننة من ذهب
ولبننة من فضة وملاطها المسك
قال البزار ورأيت في موضع آخر
في هذا الحديث حائط الجنة لبننة
ذهب ولبننة فضة وملاطها المسك
فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح
المؤمنون فقالت الملائكة طوبى
لك منزل المولود ثم قال البزار انعم
أحد رفعة الاعلى بن الفضل
وليس هو بالحافظ وهو شيخ متقدم
الموت وقال الحافظ أبو القاسم
الطبراني حدثنا أحمد بن علي
حدثنا هشام بن خالد حدثنا ببيعة
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خلق الله الجنة عدن

وهذا المعنى أليق بالمقام وأوفق للمرام ولذا اقتصر عليه صاحب الكشاف (لعلك باخع)
أى قاتل ومهلك (نفسك) لعل هنا للاشفاق أى أشفق عليها بتخفيف هذا الغم والبجع
في الاصل أن يبلغ بالذبح البضاع وهو عرق في القفا وقد مضى تحقيق هذا في سورة
الكهف وقرئ باخع بنفسك بالاضافة والمعنى لعلك قاتل نفسك (أن لا يكونوا) أى أهل
مكة (مؤمنين) أى لعدم ايمانهم بما جئت به وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم لانه كان حريصا على ايمان قومه شديدا لاسف لما يراه من اعراضهم (ان نشأ نزل
 عليهم من السماء آية) مستأنفة مسوقة لتعليل ما سبق من التسلية والمعنى نزل آية تلجهم
 الى الايمان ولكن قد سبق القضاء بان لا تنزل ذلك وتقديم الظرفين على المفعول الصريح
 للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر (فظلت أعناقهم لها خاضعين) أى انهم صاروا
 منقادين لها أى فتظل أعناقهم قيل وأصله فظلوا لها خاضعين فالتحمت الاعناق للتقرير
 والتصوير لان الاعناق موضع الخضوع وقيل انها لما وصفت الاعناق بصفت العنقاء
 أجريت مجازا لهم ووصفت بما يوصفون به قال عيسى بن عمر وخاضعين وخاضعة سواء
 واختاره المبرد والمعنى انها اذا ذلت رقابهم ذلوا فالاحبار عن الرقاب اخبار عن أصحابها
 ويسوغ في كلام العرب أن يترك الخبر عن الاول ويخبر عن الثاني وقال أبو عبيد
 والكسائي ان المعنى خاضعياهم وضعفه الخناس وقال مجاهد أعناقهم كبرأؤهم قال
 الخناس وهذا معروف في اللغة يقال جاءني عنق من الناس أى رؤساء منهم وقال أبو زيد
 والاحفش أعناقهم جماعاتهم يقال جاءني عنق منهم أى جماعة وقال ابن عباس
 خاضعين ذليلين (وما يأتهم من) مزيدة لتأكيده المعنى (ذكر من الرحمن) لابتداء
 الغاية (محدث) انزاله وكم انزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول
 (الا كانوا معرضين) أى ان لا يجرد دلهم وعظة وتذكير الاجدد واما هو فمقبض
 المقصود وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء والجملة حالية والاستثناء مفرغ من أعم
 العام وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة الانبياء (فقد كذبوا) بالذكري الذي يأتهم
 تكذبا صريحا ولم يكتفوا بمجرد الاعراض وقيل ان الاعراض بمعنى التكذيب لان من
 أعرض عن شئ ولم يقبله فقد كذبه وعلى هذا فيكون ذكر التكذيب للدلالة على صدور
 ذلك منهم على وجه التصريح والاول أولى فالاعراض عن الشئ عدم الالتفات اليه ثم

خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون بقية عن الجازين ضعيف وقال
الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا جاد بن عيسى العيسى عن اسمعيل السدي عن أبي
صالح عن ابن عباس رفعه لما خلق الله الجنة عدن بيده ودلى فيها اثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون قال
وعزني وجلالى لا يجاورني فيك بخيل وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن المنثري البزار حدثنا محمد بن زياد الكلابي حدثنا يعيش
ابن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجنة عدن بيده

لبنة من درة بيضاء وابنة من ياقوتة حمراء وابنة من زبرجدة خضراء ملاحظها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران
ثم قال لها انطقي قالت قد افلح المؤمنون فقال الله وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك نجيل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقوله تعالى قد افلح المؤمنون أي قد فاز واوسع معدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون
المتصفون بهذه الاوصاف الذين هم في صلاتهم حاشعون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حاشعون حاشقون ساكنون وكذا
روى عن مجاهد والحسن وقتادة والزهري ٤ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخشوع خشوع القلب وكذا قال

ابراهيم النخعي وقال الحسن
البصري كان خشوعهم في قلوبهم
فغضوا بذلك ابصارهم وخفضوا
الجناح وقال محمد بن سيرين كان
أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء
في الصلاة فلما نزلت هذه الآية قد
افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
حاشعون خفضوا ابصارهم الى
موضع سجودهم قال محمد بن
سيرين وكانوا يقولون لا يجاوز
بصره مصلاه فان كان قد اعتاد
النظر فليغمض رواه ابن جرير وابن
أبي حاتم ثم روى ابن جرير عنه
وعن عطاء بن أبي رباح أيضا
مرسلان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يفعل ذلك حتى
نزلت هذه الآية والخشوع
في الصلاة انما يحصل لمن فرغ قلبه
لها واشتغل بها عما عداها وآثرها
على غيرها وحينئذ تكون راحته
وقرة عين كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم في الحديث الذي رواه الامام
أحمد والنسائي عن أنس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال حبيب الى الطيب والنساء

انتقلوا عن هذا الى ما هو أشد منه وهو التصريح بالتكذيب ثم انتقلوا عن التكذيب
الى ما هو أشد منه وهو الاستهزاء كما يدل عليه قوله (فسيما آتيتهم آتيا) وهي ما يستحقونه
من العقوبة آجلا وعاجلا وسميت آتيا لكونها مما آتيا عنه القرآن وقال (ما كانوا به
يستهنون) ولم يقل ما كانوا عنه معرضين أو ما كانوا يكذبون لان الاستهزاء أشد منهما
ومستلزم لهما وفي هذا وعيد شديد وقد مر تفسير مثل هذا في سورة الانعام ثم ذكر سبحانه
ما يدل على كمال قدرته من الامور الحسية التي يحصل بها التماثل فيها والناظر اليها
والمستدل بها أعظم دليل وأصح برهان وبين انه أظهر لهم أدلة تحدث في الارض وقتا
بعد وقت تدل على توحيد ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر فقال (أولم يروا) العجوة
للتوبخ والواو للعطف على مقدر كما في نظائره (الى الارض) أي الى عجائبها وبين بعضها
بقوله (كم أبتنا فيها) أي كثيرا (من كل زوج كريم) فنبه سبحانه على عظمته وقدرته وان
هؤلاء المكذبين المستهزئين لو نظر واحق النظر لعلموا أنه سبحانه الذي يستحق أن يعبد والمراد
بالزوج هنا الصنف والنوع وقال الفراء هو اللون وقال الزجاج زوج نوع وكره محمد
والمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انبائه الارب العالمين اذ ما من نبت الا وله النفع
والكريم في الاصل الحسن الشريف يقال نخلة كريمة أي كثيرة الثمرة ورجل كريم
شريف فاضل وكأب كريم اذا كان مرضيا في معانيه والنبات الكريم هو المرضي
في منافعه قال الشعبي الناس مثل نبات الارض فن صار منهم الى الجنة فهو كريم ومن
صار منهم الى النار فهو لئيم وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على
الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكما تدل على ان هذا المحيط متمكنا من مفرط
الكثرة وبه نبه على كمال قدرته قاله الريحشري واليه أشار في التبرير (ان في ذلك لآية)
أي فيما يذكر من الانبات أو في كل واحد من تلك الأزواج دلالة بينة وعلامة واضحة على
كمال قدرة الله سبحانه وبديع صنعته واللام زائدة في اسم المؤمن وقد ذكرت هذه الآية
في هذه السورة ثمان مرات ثم أخبر سبحانه بأن أكثر هؤلاء مستقر على ضلالته مصمم على
سجوده وتكذيبه واستهزائه فقال (وما كان أكثرهم مؤمنا) أي سبق على فهمهم انهم
سيكونون هكذا فلذلك لا تنفعهم أمثال هذه الآيات العظام قال سيدي به ان كان هنا
صلة أي زائدة (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي الغالب القاهر لهؤلاء بالانتقام منهم مع

وجعلت قرعة عيني في الصلاة وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد
أن محمد بن الحنفية قال دخلت مع أبي علي صهر لنا من الانصار فحضرت الصلاة فقال يا جارية اتني بوضوء على أصلي فأستريح
فرا تأنكرنا عليه ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قم يا بلال فأرحنا بالصلاة وقوله والذين هم عن اللغو
معرضون أي عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون وما الفائدة فيه من الاقوال والافعال كما قال
تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال قتادة آتاهم والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك وقوله والذين هم للزكاة فاعلون الا كثرون

على ان المراد بالزكاة ههنا زكاة الاموال مع ان هذه الآية مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة والظاهر ان
التي فرضت بالمدينة انما هي ذات النصب والمقادير الخاصة والا فالظاهر ان اصل الزكاة كان واجبا بكمية قال تعالى في سورة الانعام
وهي مكية واول احقه يوم حساده وقد يحتمل ان يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والذنس كقوله قد انسخ من زكاتها
وقد خاب من دساها وكقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة على احد القولين في تفسيرهما وقد يحتمل ان يكون كلا
الامر من مراد وهو زكاة النفوس وزكاة الاموال فانه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يفعل
هذا وهذا والله اعلم وقوله والذين

هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمنهم فانهم
غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون اي والذين قد
حفظوا فروجهم من الحرام فلا
يتبعون فيما نهاهم الله عنه من زنا
ولو اطوا ولا يقرءون سوى ازواجهم
التي احلها الله لهم او ما ملكت
ايمنهم من السراري ومن تعاطى
ما احل الله فلا لوم عليه ولا حرج
ولهذا قال فانهم غير ملومين فمن
ابتغى وراء ذلك اي غير الازواج
والاماء فاولئك هم العادون اي
المعتدون وقال ابن جرير حدثنا
محمد بن بشار حدثنا عبد الله بن
حدثنا سعد بن قتادة ان امرأة
اتخذت مملوكها وقالت تاؤلت آية
من كتاب الله او ما ملكت ايمنهم
فاتي بها عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وقال له ناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم تاؤلت آية من
كتاب الله عز وجل على غير وجهها
قال فغرب العبد وجر رأسه وقال
انت بعده حرام على كل مسلم هذا
أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير

كونه كثير الرحمة ولذلك امهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة او المعنى انه منتقم من أعدائه رحيم
باوليائه (واذ نادى ربك موسى) مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من الاعراض
والتكذيب والاستهزاء وشروع في قصص سبع أسبع اولها قصة موسى والثانية ابراهيم
والثالثة نوح والرابعة هود والخامسة صالح والسادسة لوط والسابعة شعيب
والتقدير وائل اذ نادى او اذ كرى بمحمد والنداء الدعاء أي نادى حين رأى الشجرة والنار
وكان النداء بكلام سمعه من كل الجهات من غير واسطة (أن) مفسرة أو مصدرية أي بأن
(انت القوم الظالمين) وليس هذا مطلع ما ورد في حين النداء وانما هو ما فصل في سورة طه
من قوله ان انا ربك الى قوله لتريك من آياتنا الكبرى ووصفهم بالظلم لانهم جمعوا بين
الكفر الذي ظلموا به أنفسهم وبين المعاصي التي ظلموا بها غيرهم كاستعباد بني اسرائيل
وذبح ابنائهم وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا (قوم فرعون) يعنى القبط
عطف بيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهم ما عبادتان تعتقبان على
مؤدى واحد (الآيتون) أي الا يخافون عقاب الله سبحانه فيصرفون عن أنفسهم
عقوبته بطاعته وقيل المعنى قل لهم الآيتون وجاء بالتحسية لانهم غيب وقت الخطاب
وقرى بالفوقية أي قل لهم ذلك ومثله قل للذين كفروا ستغلبون بالتحسية والفوقية أو انهم
زاجرا فقد ان لهم ان تقوا وهي كلمة حث واغراء وقيل بظلمون غرمتين الله وعقابه وعلى
هذا حال من الضمير في الظالمين (قال) موسى واعتذر بثلاثة أعذار كل منها مرتب على
ما قبله وليس مراده الامتناع من الرسالة بل اظهار العجز عن هذا الامر الثقيل وطلب
المعونة عليه من الله (رب انى أخاف ان يكذبون) في الرسالة والخوف غم يلحق الانسان
لامر سيوقع (ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياي (ولا ينطق لسانى) أي بتأدية
الرسالة لعقدة كانت على لسانه قرئ بضيق وينطق بالرفع على العطف أو على الاستئناف
ونصبهما قال القراء كلا التراء تيزله وجهه قال النحاس الوجه الرفع لان النصب عطف
على يكذبون وهذا بعيد (فأرسل) جبريل بالوسى (الى) أخى (هرون) ليكون
معى رسولا موازرا مظاهرا معا واولم يذكر الموازنة هنا لانها معلومة من غير هذا الموضع
كقوله في طه واجعل لى وزيراً من أهلى وفى النقص أرسله معى رداً يصدقنى وكان هرون
بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام وهذا من موسى عليه السلام من باب طلب المعاونة له

في تفسير أول سورة المائدة وهو ههنا الملق وانما حرمها على الرجال معاملتها بقبض قصد ها والله أعلم وقد استدل الامام
الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستهزاء بالمدينة الآية الكريمة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمنهم قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال الله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وقد
استأنسوا بحديث رواه الامام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال حدثني علي بن ثابت الجزرى عن مسلمة بن جعفر عن
حسان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولا يجمعهم مع

العالمين ويدخلهم النار أول الداخلين الا ان يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه الناحج بيده والفاعل والمفعول به ومد من الخبز والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذى جيرانه حتى يلغونه والناس كح حلية جاره هذا حديث غريب واسناده فيه من لا يعرف لجهاته والله أعلم وقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون أى اذا اوتنوا لم يخونوا بل يؤدونهم الى أهلها واذا عاهدوا أو عاقدوا أو فوا بذلك لا كصفت المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اذاع وأخاف واذا اوتن خان وقوله والذين هم على ٦ صلواتهم يحافظون أى يواظبون عليها في مواقيتها كما قال ابن مسعود سألت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أى العمل أحب الى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين وفي مستدرک الحاكم قال الصلاة في أول وقتها وقال ابن مسعود وسروى في قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يعنى مواقيت الصلاة وكذا قال أبو انصحنى وعلقمة بن قيس وسعيد ابن جبيرة وعكرمة وقال قتادة على مواقيتها وركوعها وسجودها وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن وما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والافعال الرشيدة قال أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ونبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه

والتماس العون في تبليغ الرسالة بارسال أخيه لامن باب الاستعناء من الرسالة ولامن التوقف عن المسارعة بالامثال وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التقليل (ولهم على ذنب) هو قتله للقبطى قاله قتادة وسماه ذنبا بحسب زعمهم أو كما سمي جزاء السيئة سيئة (فأخاف أن يقتلون) به صا صافيقوت المقصود من الرسالة فهذا هو الخائف عليه وليس هذا تعليلا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفيه دليل على ان الخوف قد يحصل مع الانبياء فضلا عن الفضلاء ثم أجابه سبحانه بما يشتمل على نوع من الردع و طرف من الزجر (قال كلا) أى لا يقتلونك كأنه قبل ارتدع عما تنظن (فأذهبنا) أى أنت وأخوك (يا أياننا) وفي ضمن هذا الجواب اجابة موسى الى ما طلبه من ضم أخيه اليه كما يدل عليه توجيه الخطاب اليهما وفيه تغليب الحاضر على الغائب لانه اذا ذكركان بمصر والارسال والخطاب كان في الطور (أنا معكم) وفي هذا تعليل للردع عن الخوف وهو كقوله سبحانه انى معكم أجمع وأرى وأراد بذلك سبحانه تقوية قلوبهم بما وانه متمول لحفظهما وكلاهما وأجراهما مجرى الجمع فقال معكم لكون الاثنين أقل الجمع على ما يذهب اليه بعض الأئمة أول كونه أراد موسى وهرون ومن أرسل اليه ويجوز أن يكون المرادهما مع بنى اسرائيل أو تعظيما لهما ولا يخفى ما في المعية من المجازلان المصاحبة من صفات الاجسام فالمراد معية النصرة والمعونة (مستمعون) أى سامعون ما تَقُولون وما يقال لكم والاستماع في غير هذا الاصغاء للسمع يقال استمع فلان حديثه أى أصغى اليه ولا يجوز حله ههنا على ذلك فحمل على السماع قاله النسبى (فأتينا فرعون فقولا انارسل رب العالمين) الفاء لترتيب ما بعددها على ما قبلها قال القرطبي فانطلقا الى فرعون فلم يأذن لهما سنة في الدخول عليه ووحد الرسول هنا ولم يثنه كما في قوله انارسلو لربك لانه مصدر بمعنى رسالة والمصدر يوحد وأما اذا كان بمعنى المرسل فانه يثنى مع المثنى ويجمع مع الجمع قال أبو عبيدة رسول بمعنى رسالة والتقدير على هذا انا ذوور رسالة وقال أبو عبيدة أيضا يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولى ووكيلى وهذا رسولى ووكيلى وهو لارسولى ووكيلى ومنه قوله تعالى فانهم عدوتى وقيل ان معناه ان كل واحد منارسل وقيل انهم الما كانا متعاضدين متساعدين في الرسالة كما بان منزلة رسول واحد وأن في قوله (أن أرسل معنابى اسرائيل) مفسرة لتضمن الارسال

أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه فبغير أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وقال ابن أبى حاتم حديثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الامش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون وقال ابن جريج عن الليث عن مجاهد أولئك هم الوارثون قال ما من عبد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبنى بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ويبنى بيته الذي في النار وروى عن سعيد

ابن جبير نحو ذلك فالؤمنون يرثون منازل الكفار لانهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له فلما قام هؤلاء المؤمنون بما
 وجب عليهم من العبادة وترك اولئك ما امروا به مما خلقوا له احرز هؤلاء نصيب اولئك لو كانوا اطاعوا ربهم عز وجل بل ابلغ
 من هذا ايضا وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي بردة عن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحيى ناس يوم القيامة
 من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى وفي لفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
 كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا ونصرانيا فيقال هذا فكاكك ٧ من النار فاستخلف عمر بن عبد العزيز ابا بردة
 بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات

المفهوم من الرسول معنى القول اى خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولا
 تستعبدهم وكان قد استعبدهم اربع مائة سنة (قال) فرعون لموسى بعد ان اتياه
 وقال له ما امرهما الله به (المنز بك فينا) اى في جبرنا ومنازلنا اريد بذلك المن عليه
 والاحتقار له اى رينالك لدينا (وليدا) اى صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامك ولم تقتلك
 فحين قتلنا من الاطفال (ولبت فينا من عمرك سنين) ففى كان هذا الذى تدعيه قيل
 لبت فيهم ثمانى عشرة سنة وقيل ثلاثين سنة وقيل اربعين سنة ثم وشجته بقتل القبطى
 فقال (وفعلت فعلتك التى فعلت) الفعلة بفتح الفاء المرة من الفعل كما قيل ع الفعله للمرة
 والفعله للحالة وقرأ الشعبي بكسر الفاء والفتح اولى لانها المرة الواحدة لا للنوع والمعنى
 انه عدد عليه النعم وذكروه ذنوبه واراد بالفعل قتل القبطى ثم قال (وانت من الكافرين)
 للنعمة حيث قتلت رجلا من اصحابى وقيل من الكافرين بان فرعون اله وقيل من
 الكافرين بالله فى زعمه لانه كان معهم على دينهم (قال) موسى مجيبا لفرعون (فعلتها اذا)
 اى فعلت هذه الفعلة التى ذكرت وهى قتل القبطى (وانا) اذناك (من الضالين)
 اى الجاهلين قاله ابن عباس فبنى عليه الصلاة والسلام عن نفسه الكثير واخبرانه فعل
 ذلك على الجهل قبل ان ياتيه العلم الذى علمه الله وقيل المعنى من الجاهلين ان تلك الوكزة
 تباع القتل وقال ابو عبيدة من الناسين وقيل من المخطئين قال ابن جرير العرب تضع
 الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال (فقررت منكم) اى خرجت من بينكم الى
 مدين كما فى سورة القصص (لما خفتكم) ان تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل
 فرعون ان الملائكة ياترونك ليقتلوك فاخرج الاية (فوهب لى ربي حكما) اى نبوة
 او علما وفهما وقال الزجاج المراد بالحكم تعليمه التوراة التى فيها حكم الله (وجعلنى من
 المرسلين) اى من جملة رسله رد بذلك ما وبخه به فرعون قد حافى نبوته وهو القتل بغير حق
 ووجه الرد ان موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة (وتلك نعمة تمنها على) قيل
 هذا الكلام من موسى على جهة الاقرار بالنعمة كانه قال نعم تلك التربية نعمة تمن بها
 على ولكن لا يدفع ذلك رسالتى وبهذا قال القراء وابن جرير وقيل هو من موسى على جهة
 الانكار اى اتمن على بان ربي تنى ولما داوانت قد استعبدت بنى اسرائيل وقتلتهم وهشم
 قومي قال الزجاج المفسرون اخرجوا هذا على جهة الانكار لان يكون ما ذكر فرعون

ان اياه حدثه عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بذلك قال خلف له
 قلت وهذه الاية كقوله تعالى تلك
 الجنة التى نورث من عبادنا من
 كان تقيا وكقوله وتلك الجنة التى
 اورثتموها بما كنتم تعملون وقد
 قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة
 بالر وميسة هى الفردوس وقال
 بعض السلف لا يسمى البستان
 الفردوس الا اذا كان فيه عنب
 فאלله اعلم (ولقد خلقنا الانسان
 من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
 فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة
 علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
 المضغة عظما فكسونا العظام
 لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله
 احسن الخالقين ثم انكم بعد
 ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة
 تبعثون) يقول تعالى مخبرا عن
 ابتداء خلق الانسان من سلالة
 من طين وهو آدم عليه السلام
 خلقه الله من صلصال من حمأ
 مسنون وقال الاعشى عن المنهال
 ابن عمرو عن ابي يحيى عن ابن
 عباس من سلالة من طين قال من

صفوة الماء وقال مجاهد من سلالة اى من منى آدم وقال ابن جرير انما سمي آدم طينا لانه مخلوق منه وقال قتادة استمل آدم من
 الطين وهذا اظهر فى المعنى واقترب الى السياق فان آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحما المسنون وذلك
 مخلوق من التراب كما قال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تتشرون وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد
 حدثنا عوف حدثنا اسامة بن زهير عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع
 الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحبيث والطيب وبين ذلك وقدر واه ابو داود

والترمذى من طرق عن عوف الاعرابى به نحوه وقال الترمذى حسن صحيح ثم جعلناه نطفة هذا الضمير عائد على جنس الانسان كما قال في الآية الاخرى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين أى ضعيف كما قال ألم تخلقكم من ماء مهين فخلعنا من قرا مكين يعنى الرحم معد ذلك مهين له الى قدر معلوم فقد رنا فنعم القادرون أى مدة معلومة وأجل معين حتى استحكمت وتنقل من حال الى حال وصفة الى صفة ولهذا قال ههنا ثم خلقنا النطفة علقه أى ثم صيرنا النطفة وهى الماء الداقي الذى يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهى ٨ عظام صدرها ما بين الترقوة الى السرة فصارت علقه حمرء على شكل العلقه

مستطيلة قال عكرمة وهى دم خلقنا العلقه مضغعة وهى قطعة كالضعفة من اللحم لا شكل فيها ولا تحطيط خلقنا المضغعة عظاما يعنى شكلنا اذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصها وعروها وقها وقراً آخرون خلقنا المضغعة عظاما قال ابن عباس وهو عظم الصلب وفى الصحيح من حديث أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جسم ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب فكسونا العظام لما أى جعلنا على ذلك ما يسترته ويشده ويتوبه ثم أنشأناه خلقاً آخر أى ثم نفخنا فيه الروح فحركه وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وادراك وحركة واضطراب فبارك الله أحسن الخالقين وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا النضر يعنى ابن كثير مولى بنى هاشم حدثنا زيد بن على عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال اذا أتت على النطفة

نعمة على موسى واللفظ لفظ خبر وفيه تبيك للمخاطب على معنى أنك لو كنت لا تقتل أبناء بنى اسرائيل لكانت أمى مستغنية عن قذفى فى البحر فكأنك عن على ما كان بلاؤك سبباً له وذكر نحوه الازهرى بابسطة منه وقال المبريد يقول التريسة كانت بالسبب الذى ذكرت من التعمد أى تربيتك اياى كانت لاجل التملك والقهر لقوى وقيل ان فى الكلام تقدير الاستفهام أى أو تلك نعمة قاله الاخفش وأنكره النحاس قال الفراء ومن قال ان الكلام انكار قال أو تلك نعمة أى ليست هذه نعمة حتى عن بها على ومعنى (أن عبدت بنى اسرائيل) ان اتخذتهم عبداً يقال عبده وأعبده به يعنى كذا قال الفراء ومجمله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة والجر باضمار الباء والنصب بمجذوفها وعن مجاهد قال عبدت بنى اسرائيل قهرتهم واستعملتهم وفيه أوجه سبعة ذكرها السمين (قال فرعون وما رب العالمين) أى لما سمع قول موسى وهرون انارسل رب العالمين قال مستفسر الهما عن ذلك عازم على الاعتراض لما قاله أى أى شىء هو جاء فى الاستفهام بما التى يستفهم بها عن الجهور و يطلب بها تعيين الجنس وقيل معناها وما صنعته تقول ما زيد أى طويل أم قصير فقيه أم طيب نص عليه صاحب الكشف وغيره فلما قال فرعون ذلك (قال) موسى (رب السموات والارض وما بينهما) أى بين الجنسين فعين له ما أراد باعمالين وترك جواب ما سأل عنه فرعون لانه سأل عن جنس رب العالمين ولا جنس له فأجابه موسى بما يدل على عظيم القدرة الالهية التى تتضح لكل سامع انه سبحانه الرب ولا رب غيره وفيه ابطال لدعواه انه اله (ان كنتم موقنين) بشىء من الاشياء فهذا أولى بالايقان اظهوره وانارة دليله وهو العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن (قال) فرعون (لمن حوله) من اشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (الاستمعون) ما قاله يعنى موسى ومجبالهم من ضعف المقالة كأنه قال أستمعون وتجبون يعنى سألتهم عن حقيقة وهويذ كرافعاه أو يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها الى مؤثر والعدول عن الجواب المطابق متعين لاستحالة السؤال عن الحقيقة سفة وعيب وحق وهذا من اللعين مغالطة للملم يجد جوابا عن الحجة التى أوردها عليه موسى فلما سمع موسى ما قاله فرعون أورده عليه حجة أخرى هى مندرجة تحت الحجة الاولى ولكنها أقرب الى فهم

أربعة أشهر بعث الله اليها ملكا فنفخ فيها الروح فى ظلمات ثلاث فذلك قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر يعنى السامعين نفخنا فيه الروح وروى عن أبى سعيد الخدرى انه نفخ الروح قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقاً آخر يعنى فنفخنا فيه الروح وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والبخاري والريبع بن أنس والسدى وابن زيد واختره ابن جرير وقال العوفى عن ابن عباس ثم أنشأناه خلقاً آخر يعنى ينقله من حال الى حال الى ان خرج طفلاً ثم نشأ صغيراً ثم احتم ثم صار شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هراماً عن قتادة والبخاري نحو ذلك ولا منافاة فانه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع فى هذه التقلات والاحوال والله أعلم

قال الامام احمد في مسنده حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الأذراع فيسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار فيدخلها وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الأذراع فيسبق عليه (9) الكتاب فيحتم له بعمل أهل الجنة فيدخلها

آخر جاه من حديث سليمان بن مهران الاعمش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي خيثمة قال قال عبد الله يعني ابن مسعود ان النطفة اذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظفر فتكث أربعين يوماً ثم تعود في الرحم فتكون علقة وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا حسين بن الحسن حدثنا أبو داود عنه عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال قال مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا يهودى ان هذا يزعم انه نبي فقال لا سألته عن شيء الا يعلمه الا نبي قال جفاء حتى جلس فقال يا محمد م يخلق الانسان فقال يا يهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فاما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب واما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقال هكذا كان يقول من قبلك وقال الامام أحمد حدثنا سفيان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن

السامع بن (قال بكم ورب آباءكم الاولين) وخص من العام المتقدم أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وهي أظهر دلالة على القادر فأوضح لهم ان فرعون مر بوب لارب كما يدعيه والمعنى ان هذا الرب الذي أدعوكم اليه هو الذي خلق آباءكم الاولين وخلقكم فكيف تعبدون من هو واحد منكم مخلوق بخلقكم وله آباء قد فنوا كما بآباءكم فلم يجبه فرعون عند ذلك بشيء يعتد به بل جاء بما يشكك قومه ويخيل اليهم ان هذا الذي قاله موسى مما لا يقوله العقلاء (قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون) فأصد بذلك المغالطة وابقاعهم في الحيرة مظهر انه مستخف بما قاله موسى مستهزئ به لاني أسأله عن شيء ويحيني عن آخر وأضافه الى مخاطبته ترفعان ان يكون مرسل الى نفسه فأجابته موسى عند ذلك بما هو تكميل لجوابه الاول (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) خصهما لانهما أوضح دلالة وأظهر وذلك انه أراد بالشرق طلوع الشمس وطلوع النهار وأراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار ومعلوم ان طلوع الشمس من أحد الحافتين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم لا يكون الا بتقدير قادر حكيم والمعنى ليس ملكه كملكك لانك انما تملك بلد او احد البحار في غيرهم ويموت فيهم من لا تحب أن يموت والذي أرسلني إليك المشرق والمغرب وما بينهما أي فتشاهدون في كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع تنظم به أمور الكائنات ولم يشتغل موسى بدفع ما نسب اليه من الجنون بل بين لفرعون شعول ربوبية الله للمشرق والمغرب وما بينهما وان كان ذلك داخل تحت ربوبية سبحانه للسموات والارض وما بينهما المتأقدم ولان فيه تصريحاً بالاسناد حر كات السموات وما فيها وتغيير أحوالها وأوضاعها نارة بالنور وتارة بالظلمة الى الله وقيل علم موسى ان قصده في السؤال معرفة من سأل عنه فأجاب بما هو الطريق الى معرفة الرب (ان كنتم تعقلون) شيئاً من الأشياء أو ان كنتم من أهل العقول أي ان كنتم يا فرعون ومن معه من العقلاء عرفت وعرفوا أنه لا جواب لسؤالك الا ما ذكرتك لا ينهم أو لا وعاملهم بالرفق حيث قال لهم ان كنتم موقنين ثم لما رأى شدة شكيتهم خاشعهم وأغلظ عليهم في الرد وعارضهم بمثل مقالتهم بقوله ان كنتم تعقلون لانه أبلغ وأوفق بما قبله من رد نسبة الجنون اليه ثم ان العين لما انقطع عن الخجة رجع الى

(3 - فتح البيان سابق) أسيد الغناري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا شقي أم سعيداً ذكراً أم أنثى فيقول الله فيكتبه ويكتب عمه وأثره ووصيته ورقه ثم تطوى الصحيفة فلا يراد على ما فيها ولا ينقص وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار نحوه من طريق آخر عن أبي الطفيل عامر بن واثله عن حذيفة بن أسيد أني سريحة الغناري بنحوه والله أعلم وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن عبد بن زيد حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بالرحم

ملكاً فيقول أي رب نطفة أي رب علقمة أي رب مضغة فإذا أراد الله خلقها قال أي رب ذكراً أو أنثى شقياً أو سعيداً الرزق والاجل
قال فذلك يكتب في بطن أمه أخر جاء في الصحيحين من حديث جابر بن زيد به وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين يعني حين ذكر
قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ماصرت إليه من الإنسان السوي الكامل
الخلق قال فتبارك الله أحسن الخالقين قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا جابر بن سلمة حدثنا
علي بن زيد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي ووافقتني في أربع نرات هذه الآية (١٠)

ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية قلت انا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت الأنصاري قال أُملي على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله خلقنا آخر فقال معاذ فتبارك الله أحسن الخالقين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له معاذم ضحكك يا رسول الله فقال بها ضحمت فتبارك الله أحسن الخالقين وفي أسناده جابر بن زيد الجعفي ضعيف جداً وفي خبره هذا تكرار شديدة وذلك ان هذه السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة وكذلك اسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً قالته أعلم وقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون يعني بعد هذه النشأة الاولى من العدم تصيرون إلى الموت ثم انكم يوم القيامة تبعثون يعني النشأة

الاستعلاء والتعجب والتعديدهم هكذا يدن المعاند المحجوج (قال لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين) أي من أهل السجن واللام للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجونى وكان سجن فرعون أشد من القتل لأنه اذا سجن أحد لم يخرج حتى يموت وكان يطرحه في هوة عميقة في مكان تحت الأرض وحده ولذلك جعل أبلغ من لا سجنك فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليلك على ان هذا الإله أرسلك لأنه الاعتراف بان ثم الها غيره وفي توعد موسى بالسجن ضعف لما يروى انه كان يفزع من موسى فزعاشد حتى كان العين لا يسكن بوله فلما سمع موسى عليه الصلوة والسلام ذلك لطفه طمعاً في اجابته وارضاء لعنان المناظرة معه مر يد القهر بالحق المعتبرة في باب النبوة وهي اظهار المعجزة فعرض له على وجه يلجئه إلى طلب المعجزة (قال أولو جنتك بشئ عمين) أي أتجعلني من المسجونين وتفعل ذلك ولو جنتك بشئ يبين به صدق وتظهر عنده صحة دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والهمزة هنا للاستفهام والواو للعطف على مقدر كما مر مراراً فلما سمع فرعون ذلك طلب ما عرضه عليه موسى (قال فأت به ان كنت من الصادقين) في دعواى وانما أمره بذلك لظنه انه يقدر على معارضته وهذا الشرط جوابه محذوف لأنه قد تقدم ما يدل عليه فعند ذلك أبرم موسى المعجزة (فأتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر ثعبانيته ليس بمويه وتخييل كما يفعل السحرة قيل انها الماصرات حية ارتفعت في السماء قد رميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال بالذي أرسلك الا أخذتها فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت وقد تقدم تفسير هذا وما بعده في سورة الاعراف واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء في الأرض فانتعب أي جرت به فانتعجر وقد عبر سبحانه في موضع آخر مكان الثعبان بالحية بقوله فاذا هي حية تسعى وفي موضع بالجان فقال كأنها جان والجان هو المائل إلى الصغر والثعبان هو المائل إلى الكبر والحية جنس يشمل الكبير والصغير (وزرع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمية فيه دليل على ان بياضها كان شيئاً يجمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نورياً قال ابن عباس يقول وأخرج موسى يده من جيبه فاذا هي بيضاء تلعب الناظرين لمن ينظر إليها ويراها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يكاد يغشى الابصار ويسد الافق

الآخرة ثم الله ينشئ النشأة الآخرة يعني يوم المعاد وقيام الارواح إلى الاجساد في حساب الخلائق ويوفى كل (قال) عامل عمله ان خير خيروا شرفه (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) لما ذكر تعالى خلق الانسان عطف بذكر خلق السموات السبع وكثيرا ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الانسان كما قال تعالى خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وهكذا في أول الم السجدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها صبيحة يوم الجمعة في أولها خلق السموات والأرض ثم بيان خلق الانسان من سلالة من طين وفيها أمر المعاد والجزاء وغير ذلك من المقاصد وقوله سبع طرائق

قال مجاهد يعني السموات السبع وهذه كقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا لعلهم يعلمون ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وهكذا قال ههنا ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين أي ويعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أي بما كنتم والله بما تعملون بصير وهو سبحانه لا يحجب عنه سماء من السماء ولا أرضا ولا جبل الا يعلم ما في وعره ولا بحر الا يعلم ما في قعره يعلم عدد ما في الجبال (١١) والتلال والرمال والبحار والقفار

والاشجار وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين (وأزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وان لكم في الانعام لعلوة نسقيكم بما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) يذكر تعالى نعمه على عبده التي لا تعد ولا تحصى في انزاله القطر من السماء بقدر أي بحسب الحاجة لا كثيرا فيفسد الارض والعمران ولا قليلا فلا يكتفي الزرع والثمار بل بقدر الحاجة اليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى ان الاراضي التي تحتاج ماء كثير الزرعها ولا تتحمل دمنها انزال المطر عليها يسوق اليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر ويقال لها الارض الجرز يسوق الله اليها ماء النيل معه طين أحمر يجتريه من بلاد الحبشة في زمان امطارها فيأتي الماء يحمل طينا أحمر فيسقي أرض مصر ويقال طين على أرضهم ليزرعوا فيه لان أرضهم سبخ يغلب عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور وقوله فأسكناه في الارض أي جعلنا الماء اذا انزل من السحاب يتخلد في الارض وجعلنا في الارض قابلية له وتشربه ويتعدى به ما فيها من الحب والنوى وقوله وانا على ذهاب به لقادرون أي لو شئنا ان لا تمطر لفعلنا ولو شئنا ان يصرقنا عنكم الى السبخ والبراري والقفار لفعلنا ولو شئنا جعلنا ماء اجالا لا يتفجع به لشرب ولا لاسقي لفعلنا ولو شئنا جعلنا لا ينزل في الارض بل يجر على وجهها لفعلنا ولو شئنا جعلنا اذا انزل فيها يغور الى مدى لاتصلون اليه ولا تتنعمون به

(قال للملا) مستقرين (حوله ان هذا الساحر عليم) فائق في علم السحر وكان زمان السحر فلهدا روي فرعون هذا القول على قوله ثم قال على سبيل التفسير (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) لئلا يقبلوا قول موسى عليه الصلاة والسلام (فماذا تأمرون) أي مارأى لكم فيه وما مشورتكم في مثله فإظهر لهم الميل الى ما يقولونه تألفا لهم واستجلايا لمودتهم لانه قد أشرف ما كان فيه من دعوى الربوبية على الزوال وقارب ما كان يعززه عليهم الاضعلال والافهوا كبرتها وأعظم كبرها من أن يخاطبهم مثل هذه المخاطبة المشعرة بأنه فرد من افرادهم وواحد منهم مع كونه قبل هذا الوقت يدعى انه الههم ويدعون له بذلك ويصدقونه في دعواه قال أبو السعود بهر وساطان المعجزة وجزيره حتى حظه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بأمرهم أو الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعدما كان مستقلا بالرأى والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتفجيرهم عن موسى عليه السلام (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما من أرجيته اذا أخرته وقيل المعنى احبسهما (وابعث في المدائن حاشرين) للسحرة وهم الشرط الذين يحشرون الناس أي يجمعونهم (يا أولئك بكل سحر عليم) هذا ما أشاروا به عليه وجاءوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه والمراد بالسحار العليم الفائق في معرفة السحر وصنعة أي يفضل موسى ويفوق وينيد عليه في علم السحر (جمع السحرة ليلقات يوم معلوم) هو يوم الزينة كما في قوله قال موعدهم يوم الزينة وكان يوم عيد لهم أو يوم سوق ودمقانه وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى من يوم الزينة حيث قال وأن يحشرون الناس ضحى والمديقات ما وقت أي حدة من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام والصلاة (وقيل للناس هل أنتم مجمعون) حثا لهم على الاجتماع ليشاهدوا ما يكون من موسى والسحرة ولن تكون الغلبة وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور وطلبها أن يكون بجمع من الناس حتى لا يؤمن بموسى أحد منهم فوقع ذلك من موسى الموقع الذي يريد لانه يعلم ان حجة الله هي الغالبة وحجة الكافرين هي الداحضة وفي ظهور حجة الله بجمع من الناس زيادة في الاستظهار للمحقين والانتقهار للمبطلين (لعلنا نتبع السحرة) في دينهم (ان كانوا

لفعلنا ولكن بلطفه وبرحمته ينزل عليكم الماعن السحاب عذبا فارتازا لا فيسكنه في الارض ويسلكه يتابع في الارض فيفتح
العيون والانهار ويسقي به الزرع والثمار وتشرقون منه ودوابكم وانعامكم وتغتسلون منه وتطهرون منه وتنظفون فله
الجد والمنة وقوله فانشاا لكم بهجنات من نخيل واعناب يعني فآخر جناتكم بما أنزلنا من السماء جنات أي بساتين وحدائق
ذات جمجمة أي ذات منظر حسن وقوله من نخيل واعناب أي فيها نخيل واعناب وهذا ما كان يألف أهل الحجاز ولا فرق بين الشيء
وبين نظيره وكذلك في حتى كل أهل (١٢) اقليم عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يجزون عن القيام بشكره وقوله لكم

هم الغالبين) لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما
هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساقا للكناية بجلالهم على
الاهتمام والجد في المبالغة قاله أبو السعود وقيل أراد بالسحرة موسى وهرون على طريقة
الاستهزاء (فلما جاء السحرة) أي فعند ذلك طلب السحرة من فرعون الجزاء على
ما سيفعلونه (وقال فرعون أئن لنا لاجرا) أي لجزاء تجزيه من مال أوجه وقيل
أرادوا أن لنا أوابا عظيما ثم قيدوا ذلك بظهور غلبتهم لموسى فقالوا (ان كنا نحن الغالبين)
فوافقهم فرعون على ذلك و (قال نعم وانكم اذامن المقربين) أي نعم لكم ذلك الاجر
والجعل عندي على عملكم السحر مع زيادة عايبه وهي كونكم من المقربين لدى
(قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته وفي آية أخرى قالوا
اما أن تلقى واما أن نسكون نحن الملقين فيحمل ما ههنا على انه قال لهم ألقوا بعد ان قالوا
هذا القول ولم يكن ذلك من موسى عليه السلام أمر اللهم بفعل السحر والتقوية بل أراد أن
يقهرهم بالجحمة توسلا الى اظهار الحق ويظهر لهم ان الذي جاء به ليس هو من الجنس الذي
أرادوا معارضته به (فألقوا حبالهم وعصيهم) سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا
وقيل كانت الحبال اثنى وسبعين ألفا وكذا العصي فيخيلون انها حيايات تسعي (وقالوا)
عند الالتقاء (بعزة فرعون) أقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية وقولهم هذا
يحتمل وجهين الاول انه قسم وجوابه ما بعده والثاني أن يتعلق بمخدوف والباء للسببية
والمراد بالعزة العظمة (انال نحن الغالبون) أي نغلب بسبب عزته ففرط اعتقادهم في
أنفسهم بالغلبة واتيانهم باقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر (فألقي موسى عصاه فاذا هي
تلقف ما يأفكون) قد تقدم تفسيره هذا مستوفي والمعنى انها ابتلع وتلقف ما صدر
منهم من الافك باخراج الشيء عن صورته الحقيقية قيل ان عصا موسى صارت حية
وابتلعت كل مارموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة
(فألقي السحرة) أي نفخروا وسقطوا (ساجدين) أي لما شاهدوا ذلك علموا أنه صنيع
صانع حكيم ليس من صنيع البشر ولا من تمويه السحرة فآمنوا بالله وسجدوا له وأجابوا
دعوة موسى وقبلوا بوقته وعبر عن الخروا بالالتقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالتقاء

فيها فواكه كثيرة أي من جميع
الثمار كما قال ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات وقوله ومنها تأكلون
كانه معطوف على شيء مقدر تقديره
تنظرون الى حسنه ونفجه ومنه
تأكلون وقوله وشجرة تخرج من
طور سيناء يعني الزيتونة والطور
هو الجبل وقال بعضهم انما يسمى
طورا اذا كان فيه شجر فان عرى عنها
سمى جبلا لا طورا فالله أعلم وطور
سيناء هو طور سينين وهو الجبل
الذي كلم الله عليه موسى بن عمران
عليه السلام وما حوله من الجبال
التي فيها شجر الزيتون وقوله
تنبت بالدهن قال بعضهم الماء زائدة
وتقديره تنبت الدهن كقوله قول
العرب ألقي فلان يده أي يده وأما
على قول من يضمن الفعل فتقديره
تخرج بالدهن أو تأتي بالدهن ولهذا
قال وصبغ أي آدم قاله قتادة
للاكلين أي فيها ما ينتفع به من
الدهن والاصطباغ كما قال الامام
أجد حدثنا وكيع عن عبد الله بن
عيسى عن عطاء الشامي عن أبي
أسيد واسمه مالك بن ربيعة

الساعدي الانصاري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من
شجرة مباركة وقال عبد بن حميد في مسنده وتفسيره حدثنا عبد الرزاق انامعمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق قال
الترمذي ولا يعرف الامن حديثه وكان يضطرب فيه فرماد كرفيه عمرو بن سالم يذكره وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن
أجد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة حدثني الصعب بن حكيم بن شريك بن نميلة عن أبيه عن جده قال ضفت عمر بن

الخطاب رضى الله عنه ليلة عاشوراء فأطعمنى من رأس يعير باردوا طعمنا زيتا وقال هذا الزيت المبارك الذى قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وقوله وان لكم فى الانعام لعلبة تستبكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى النملك تحملون يذكر تعالى ما جعل خلقه فى الانعام من المنافع وذلك انهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم وياكلون من جلانها ويلبسون من أوصافها أو يبارها وأشعارها ويركبون ظهورها ويحملونها الاحمال الثقيل الى البلاد النائية عنهم كما قال تعالى وتحمل أثقالكم الى بلدكم تكونوا باغيه الا بشئ الا نفس ان ربكم لوف رحيم (١٣) وقال تعالى أولم يروا اننا خلقنا لهم مما

عملت أيدينا انعاما فهم لها مالكون وذلكناها لهم فمخار كوجهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقالت يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لازل ملائكة من السماء فى آياتنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتر بصوابه حتى حين) يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه الى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد واتقاهم ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رساله فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون أى لا تخافون من الله فى اشراككم به فقال الملا وهم السادة والا كبار منهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم يعنون يرفع عليكم ويتعاطم بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحى اليه دونكم ولو شاء الله لازل ملائكة أى لو أراد ان يبعث نبيا لبعث ملكا من عنده ولم يكن

ولانهم لسرعة ما سجدوا واصاروا كأنهم ألقوا وأخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى ألقاهم بما خلق لهم من التوفيق وقد تقدم بيان معنى ألقى ومن فاعله لوقوع التصريح به قال الشهاب فى فائق استعارة تبعية حسن المشاكلة وليس مجازا مرسلان واحتمله النظم ووجه الشبه عدم التماثل (قالوا) عند سجودهم بدل اشتغال من ألقى أو حال باضمار قد (أما رب العالمين) قال عكرمة امسوا سجرة واصبحوا شهداء (رب موسى وهرون) بدل للتوضيح والاشعار بأن سبب ايمانهم ما أجراه الله تعالى على يدهم ما علمهم بأن ما شاهدوه من العصا اليتاى بالسكر وأصافوه سبحانه اليه ما لانها القاتعان بالدعوة فى تلك الحالة وفيه تكييف لفرعون بأنه ليس برب وان الرب فى الحقيقة هو هـ ذال فإمعان فرعون ذلك منهم ورأى سجودهم لله (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم) أى بغير اذن منى قال ذلك لما خاف على قومه ان يتبعوا السجرة ثم قال مغالط السجرة الذين آمنوا وموهما للناس أن فعل موسى سحر من جنس ذلك السحر (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وانما اعترف له بكونه كبيرهم مع كونه لا يجب الاعتراف بشئ يرتفع به شأن موسى لانه قد علم كل من حضر أن ما جاء به موسى أبهر مما جاء به السجرة فاراد ان يشكك على الناس بأن هذا الذى شاهدتم وان كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السجرة فهو فعل كبيرهم ومن هو أستاذهم الذى أخذوا عنه هذه الصناعة فلا تظنوا أنه فعل لا يقدر عليه البشر وانه من فعل الرب الذى يدعوا اليه موسى ولا تعتقدوا ان السجرة آمنوا على بصيرة وظهور حق يعنى ان غلبته عليكم لم تكن بالعجز الالهى بل بما لم يعلمكم من السحر وانتم اضعف عقولكم حسبتم انه غلبكم بغير جنس السحر فآمنتم ثم وعدوا أولئك السجرة الذين آمنوا بالله لما قهرتهم حجة الله فقال (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم وما ينالكم منى أجل التهديد أو لا لتحويل ثم فصله فقال (لا تقعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى من أجل خلاف ظهور منكم وقيل أى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ولا صلبنكم أجمعين) كأنه أراد به ترهيب العامة لتلا يتبعوه فى الايمان قيل انه فعل بهم ما وعدهم به من التقطيع والتصليب وقيل لم يفعل بهم ولم يرد فى القرآن ما يدل على انه فعل بهم ذلك فلما سمعوا ذلك من قوله (قالوا الاضير) أى لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا فان ذلك

بشر ما سمعنا بهذا أى ببعثة البشرى فى آياتنا الاولين يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم فى الدهور الماضية وقوله ان هو الا رجل به جنة أى مجنون فيما يزعمه من ان الله أرسله اليكم واختصه من بينكم بالوحي فتر بصوابه حتى حين أى انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه (قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه ان اصنع الفلأ بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلأ فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الامن سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرورون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلأ فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لايات وان

كالمبتلين) يخبر تعالى عن نوح عليه السلام انه دعاربه ليستنصره على قومه كما قال تعالى يخبر اعنه في الآية الاخرى فدعاربه انى مغلوب فانتصر وقال ههنا رب انصرنى بما كذبون فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة واحكامها واتقانها وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين أى ذكر وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وان يحمل فيها أهله الامن سبق عليه القول منهم أى من سبق عليه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كانه وزوجته والله أعلم وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون أى عند معاينة (١٤) انزال المطر العظيم لا تأخذك رافة بقومك وشفقة عليهم وطمع في تأخرهم لعالمهم

يؤمنون فاني قد قضيت انهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان وقد تقدمت القصة مبسوطه في سورة هود بما يغنى عن اعادة ذلك ههنا وقوله فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين كما قال وجعل لكم من الفلك والانعام مآثر كبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كانه مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وقد امتثل نوح عليه السلام هذا كما قال تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه وقال تعالى وقل رب انزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين وقوله ان في ذلك لايات أى ان في هذا الصنيع وهو انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين لايات أى الحجج ودلالات واضحات على صدق الانبياء فيما جاؤا به عن الله تعالى وانه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شئ

يزول ولا يدمن الانقلاب بعده الى ربنا فيعطينا من النعيم الدائم ما لا يحسد ولا يوصف قال الهروى لا ضرر ولا ضرر ولا ضرر بمعنى واحد قال الجوهرى ضاره يضروه ويضره ضير وضورا أى ضره قال الكسائى سمعت بعضهم يقول لا ينفعنى ذلك ولا يضورنى قال أبو زيد لا يضربنا الذى تقول وان صنعت بنا وصلبتنا (انا الى ربنا منقلبون) أى راجعون وهو مجازينا لصبرنا على عقوبتك ايانا وثباتنا على توحيدك والبراءة من الكفر قاله أبو زيد تعليل لعدم الضرر أى لا ضرر فى ذلك بل لنا فمه نفع عظيم لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أو لا ضرر علينا فيما نتوعدنا به من القتل اذ لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها (انالطمع) أى نرجو (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أى الكفر والسحر ثم علوا هذا بقولهم (أن كذا) أى بسبب أن كذا (أول المؤمنين) أى انهم أول من آمن من قوم فرعون بعد ظهور الآية أو من أهل المشهد وقال الفراء أول مؤمنى زمانهم وأنكره الزجاج وقال قدرى انه آمن معهم ستمائة ألف وسبعون ألفا وهم الذين عناهم فرعون بقوله ان هؤلاء شر ذمة قلوبون قال أبو زيد كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أمر الله سبحانه موسى أن يخرج بنى اسرائيل الى البحر أى الى جهة الشام بالبر وهذا بعد سنين من ايمان الصحرة وسماهم عباده لانهم آمنوا بموسى وبما جاء به وقد تقدم تفسير مثل هذا فى سورة الاعراف (انكم متبعون) تعليل للامر المتقدم أى يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم أى أسر بهم حتى اذا تبعوكم مصيحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدرى كونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على أثركم حيث تلجون البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم وأغرقهم (فارسل فرعون فى المدائن حاشرين) وذلك حين بلغه خروجهن والمراد بالحاشرين الجامعون للبيش من الامكنة التى فيها اتباع فرعون ثم قال فرعون لقومه بعد اجتماعهم لديه (ان هؤلاء شر ذمة قلوبون) يريد بنى اسرائيل والشر ذمة الجمع الحقيقى والجمع شر اذم قال الجوهرى الشر ذمة الطائفة القليلة من الناس والقطعة من الشئ وثوب شر اذم أى قطع قال الفراء يقال عصبة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون قال المبرد الشر ذمة القطعة من الناس غير الكثرة وجمعها الشر اذم قال الواحدي قال المفسرون وكان الشر ذمة الذين قال لهم فرعون ستمائة ألف

علم بكل شئ وقوله وان كالمبتلين أى تخبرين للعباد بارسال المرسلين (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين وبه فارسنا فيهم رسولنا منهم أن اعبدوا الله مالكم من الله غيره أفلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم بأ كل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا تخلسون أيعدمكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هى الاحياتنا الدنيا موت ونصيا وما نحن بجمعوثين ان هو الا رجل اقترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قيل ليصحين

نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق جعلناهم غنماً فبعد القوم الظالمين) يخبر تعالى انه أنشأ بعد قوم نوح قرناً آخر من قبل المراد بهم عاد فانهم كانوا مستخلفين بعدهم وقيل المراد بهم أولاء ثمود لقوله فاخذتهم الصيحة بالحق وانه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالفوه وأنواعا من اتباعه لكونه بشرا مثلهم واستكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بلقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الجنائي وقالوا أبعدهم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم تحزون هيئات هيئات لما تعدون أي بعيد بعيد ذلك ان هو الا رجل افترى على الله كذبا أي فيما جاءكم به من الرسالة (١٥) والندارة والاخبار بالمعاد وما نحن

له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون أي استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم فأجاب دعاه قال عما قليل ليصبحن نادمين أي بمخالفتك وعنادك فيما جئتكم به فاخذتهم الصيحة بالحق أي وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظاهر انه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوى الباردة تدمر كل شيء بأمر ربها فأصحو الا يرى الامساكنهم وقوله فجعلناهم غنماً أي صرعى هلكى كغنم السيل وهو الشيء الحقيقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه فبعد القوم الظالمين كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين أي بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله فلا يجدر السامعون أن يكذبوا رسولهم ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلا تترى كما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أممات فبعدهم القوم لا يؤمنون يقول تعالى ثم أنشأنا من بعدهم قرناً

وبه قال ابن عباس ولا يحصى عددا أصحاب فرعون وقال ابن مسعود ستمائة ألف وسبعون ألفا ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقلناهم بالنظر الى كثرة جيشه وحله جيشه ألف ألف وستمائة ألف وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أصحاب موسى الذين جازوا البحر اثني عشر سبطا فكان في كل طريق اثنا عشر ألفا كلهم ولد يعقوب وأخرج ابن مردويه عنه أيضا بسند قال السيموطي واه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فرعون عدوا لله حيث أغرقه الله سبحانه هو وأصحابه في سبعين قاندا مع كل قائد سبعون ألفا وكان موسى مع سبعين ألفا حيث عبروا البحر وعنه قال كان طلاب قوم فرعون الذين بعثهم في أثرهم ستمائة ألف ليس فيها أحد الا على بهيم وأقول هذه الأقوال والروايات المضطربة قد روى عن كثير من السلف ما يماثلها في الاضطراب والاختلاف ولا يصح منها شيء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وانهم لما الغاظون) يقال غاظني كذا أو غاظني والغضب ومنه التغيط والاعتياط أي غاظونا بنحور وجههم من غير إذن مني (وانا لجمع حاذرون) أي حاذقون من شرهم وقرئ حذرون قال الفراء الحاذر الذي يحذر كالأمان والحذر الخلق كذلك أي مجبولا على الحذر لتلقاه الاحذروا قال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ وبه قال الكسائي والمبرد وذهب أبو عبيدة الى ان معنى حاذرون وحذرون واحد وهو قول سيدييه اي وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور أشاروا الى عدم ما يتبع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعوا اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حشا عليه أو اعتذر بذلك الى أهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه قاله البيضاوي (فاخر جناهم) أي فرعون وقومه أي خلقنا فيهم داعية الخروج فخرجوا (من جنات وعبود وكنوز) أخرجهم الله من أرض مصر ليحقوا موسى وقومه وفيها الجنات والبساتين على جانبي النيل من أسوان الى رشيد وهي جمع جنة وعين وكنز والمراد بالكنوز الخزائن وقيل الدفائن وقيل الانهار وفيه نظيران العيون المراد بها عند جمهور المفسرين عيون الماء قد دخل تحتها الانهار والمراد بالكنوز الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وفي الشهاب المراد بها اما الاموال التي تحت الارض وخصها لان ما فوقها انطمس أو مطلق المال الذي لم يؤد منه حق الله لانه يقال له كنز والاول وأفق باللغة

آخرين أي أمم او خلائق ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون يعني بل يؤخذون على حسب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وخلفا بعد سلف ثم أرسلنا رسلا تترى قال ابن عباس يعني يتبع بعضهم بعضا وهذا كقوله تعالى ولقد بعنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقوله كما جاء أمة رسولها كذبوه يعني جمهورهم وأكثرهم كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا يستهزؤن وقوله فاتبعنا بعضهم بعضا أي أهلكتهم كقوله وكم أهلكتهم القرون من بعدهم نوح وقوله وجعلناهم أممات أي

أخبار أو أحاديث للناس كقوله جعلناهم أحاديث ومرضناهم كل ممزق (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فقالوا أنؤمن لبشر ينزلنا وقيومنا فوالله لئن لم نجعلهم يهوداً أو نصنعهم آل فرعون لنقلبهم الذباب لئلا ينفعهم ما يمشون ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم بهتدون) يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هرون إلى فرعون وملئه بالآيات والنجح والدمغات والبراهين القاطعات وان فرعون وقومه استكبروا عن اتباعه وما والاقتياد لأمه ما لكونهم ما بشرين كما أنكرت الامم المنضية بعنة (١٦) الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فاهلك الله فرعون وملائه وأغرقتهم في يوم

واحد أجمعين وأنزل على موسى الكتاب وهو التوراة فيها أحكامه وأوامر ونواهيه وذلك بعد ما قسم الله فرعون والقبط وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وبعد أن أنزل الله التوراة لم تهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين كما قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورجة لعلمهم يتذكرون (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما الربوة ذات قرار ومعين) يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليهم السلام أنه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى وقوله وآتيناهما الربوة ذات قرار ومعين قال الفخالك عن ابن عباس الربوة المكان المرتفع من الأرض وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبيرة وقادة قال ابن عباس

والثاني مروى عن السلف فلا وجه للتحكم هنا (ومقام كريم) أي بهي بهيج واختلف فيه فقيل المنازل الحسان وقيل المنازل قاله ابن عباس وقيل مجالس الرؤساء والأمراء والوزراء حكاه ابن عيسى وقيل مرابط الخيل والاول أظهر وقال سعيد بن جبيرة سمعت ان المقام الكريم القيوم (كذلك) أي آخر جناتهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا او مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم أو الامر كذلك (وأورشناها بني اسرائيل) أي جعلناها ملكاً لهم بعد اغراق فرعون وقومه قال الحسن لماعبر والنهر رجوعوا وأخذوا ديارهم وحناتهم وأموالهم وعيونهم وقيل أراد بالربوة هنا ما استعاروا من حلي آل فرعون بأمر الله تعالى وقيل مساكنهم الحسنة والكنوز قلت وكلا الامرين جعل لهم والمجد لله (فاتبعوهم) بقطع الهمزة وقرئ بوصولها وتشديد التاء أي لمحقوهم حال كونهم (مشرقين) أي داخلين في وقت الشروق يقال شرقت الشمس شريراً إذا طلعت كاصبح وأمسى أي دخل في هذين الوقتين وقيل داخلين نحو المشرق كأن تجذبتهم وقيل مضيين قال الزجاج يقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت (فلما تراءى الجمعان) أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية وقرئ تراءت الفئتان والمراد بنوا اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى ان المذركون) أي سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم وهذا قراءة الجمهور يعني اسم فعل من أدرك ومنه حتى إذا أدركه الغرق وقرئ بفتح الدال المشددة وكسر الراء قال الفراء ما معني واحد قال النحاس ليس كذلك يقول النخويون الخذاق انما يقولون مدركون بالتخفيف لمحقون وبالتشديد مجتهدون في لحاقهم قال وهذا معني قول سيديويه وقال النخديري ان معني هذه القراءة انما المتتابعون في الهلال على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد قال موسى زجر الهم وردعا (كلا) يعني انهم لا يدركونكم وذكروهم وعد الله بالهداية والخلص والظفر بقوله (ان معي ربي) بالنصر (سعيد بن) أي سيد لي على طريق النجاة عن أبي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان موسى لما أراد ان يسير ببني اسرائيل أضل الطريق فقال ابني اسرائيل ما هذا فقال له علماء بني اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً ان لا يخرج من مصر حتى تنقل تابوته معنا فقال لهم موسى أيكم يدري أين قبره

وقوله ذات قرار يقول ذات خصب ومعين يعني ما ناطها وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقادة وقالوا مجاهد ربوة مستوية وقال سعيد بن جبيرة ذات قرار ومعين استوى الماء فيها وقال مجاهد وقادة ومعين الماء الجاري ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة من أي أرض هي فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ليس الربا الا بصغر الماء حين يرسل يكون الربا عليها القري ولولا الربا غرقت القري وروى عن وهب بن منبه نحو هذا وهو بعيد جدا وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله وآتيناهما الربوة ذات قرار ومعين قال هي دمشق قال وروى عن عبد الله بن سلام والحسن بن زيد بن أسلم وخالد بن معدان نحو ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ذات قرار ومعين قال أنهار دمشق وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد وآييناهما إلى ربوة قال عيسى بن مريم واسمه حسين أو إلى غوطة دمشق وما حولها وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله بن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول في قول الله تعالى إلى ربوة ذات قرار ومعين قال هي الرملة من فلسطين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف القرمانى حدثنا واد بن الجراح حدثنا عبد الله بن عباد الخواص أبو عتبة (١٧) حدثنا الشيباني عن ابن وعله عن كريب السحولي عن مرة

الهندي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل انك تموت بالربوة ففات بالرملة وهذا حديث غريب جدا وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله وآييناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين قال المعين الماء الجارى وهو النهر الذى قال الله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وكذا قال الضحاك وقمادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله أعلم هو الاظهر لانه المذكور في الآية الاخرى والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا أولى ما يفسر به ثم الاحاديث الصحيحة ثم الآثار (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أي يحسبون انما ندهم به من مال وبين نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالاكل من الحلال والقيام بالصالح من الاعمال

فقالوا ما يعلم أحد مكان قبره الا يجوز لى اسرائيل فارس ليهاموسى فقال دلينا على قبر يوسف فقالت لا والله حتى تعطينى حكمتى قال وما حكمك قالت أن أكون معك في الجنة فكانت ثقيل عليه ذلك فقبيل له أعطها حكمها فأعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء فقالت لهم انصبوا عنها الماء ففعلوا قالت احضروا خضروا فاستخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه اذ الطريق مثل ضوء النهار فلما عظم البلاء على بنى اسرائيل ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم به أمر الله سبحانه موسى أن يضرب البحر بعصاه وذلك قوله (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) وذلك أن الله عز وجل أراد أن تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعله والاضرب العصا ليس بفارق البحر ولا معينا على ذلك بذاته الابعاقترن به من قدرة الله تعالى واختراعوه به نجي موسى ونو اسرائيل وهلاك عدوهم (فانطلق) الفاء فصيحة أى فاضرب فصاروا نشق اثنى عشرة فلحقا بعدد الاسباط وقام الماء عن عين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم وهو معنى قوله (فسكان كل فرق) هو القطعة من البحر وقرئ فلق باللام بدل الراء (كالطود) كالجبل أو عظيمه والجمع اطواد يقال طاديطود اذا ثبت (العظيم) أى الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده قاله ابن عباس وابن مسعود (وأزلنا ثم الآخرين) أى قربناهم إلى البحر قاله ابن عباس قال أبو عبيدة أزلنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزلفة ليله جمع و ثم ظرف مكان للبعيد وقيل قربنا من النجاة وقرئ أزلنا ثلاثا وقرئ أزلنا أى أزلنا وأهلكنا من قولهم أزلقت الفرس اذا ألقته ولدها ويعنى بالآخرين فرعون وقومه وقيل المراد بهم موسى وأصحابه والاولى قيسل كان جبريل بنى اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليحرقكم أولكم ويقول للقبط ويدا ليحرقكم أولكم فكان بنو اسرائيل يقولون مارأينا أحسن سياسة من هذا الرجل وكان القبط يقولون مارأينا أحسن داع من هذا (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بمرورهم في البحر بعد ان جعله الله طرفا يعيشون فيها (ثم أغرقنا الآخرين) يعنى فرعون وقومه أغرقهم الله باطباق البحر عليهم بعد ان دخلوا فيه متبعين موسى وقومه وخرج بنو اسرائيل منه وفيه ابطال القول بتأثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طول العهم (ان في ذلك) أى فيما صدر بين موسى وفرعون إلى

(٣ - فتح البيان سابع) : فدل هذا على ان الحلال عون على العمل الصالح فقام الانبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام وجعوا بين كل خير قول أو عملا ودلالة ونصحا جزاهم الله عن العباد خيرا قال الحسن البصرى في قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات قال اما والله ما أمركم باصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن قال انتموا إلى الحلال منه وقال سعيد بن جبيرة والضحاك كلوا من الطيبات يعنى الحلال وقال أبو اسحق السيبى عن أنى ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه وفي الصحيح وما من نبى الارعى الغنم قالوا وانت يا رسول الله قال نعم وأنا كنت ارعاهما على قرار يطا لاهل مكة وفي الصحيح ان داود

عليه السلام كل ما ياكل من كسب يده وفي الصحيحين ان احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود واحب القيام الى الله قيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما لا يفراد الاق وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابى حدثنا ابو ايمان الحكم بن نافع حدثنا ابو بكر بن ابي هريرة عن ابي هريرة بن حبيب ان ام عبد الله بنت شداد بن اوس قالت بعثت الى النبي صلى الله عليه وسلم (١) بقدر لبن عند فطره وهو صائم وذلك في اول النهار وشدة الحر فوجد اليها رسولها ان كانت لك الشاة فقالت اشتريتها من مالي فشرى (١٨) منه فلما كان من الغد اتته ام عبد الله بنت شداد فقالت يا رسول الله بعثت اليك بلبن

مريية لك من طول النهار وشدة الحر فرددت الى الرسول فيه فقال لها بذلك امرت الرسل لاتأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذى ومسنده الامام أحمد واللفظ له من حديث فضيل بن مرزوق عن عدى بن ثابت عن ابى حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعلموا صالحا انى بما تعملون عليهم وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام عيديه الى السماء يارب يارب فاني يستجاب لذلك وقال الترمذى حسن غريب لا نعرفه الا من حديث فضيل بن مرزوق وقوله وان هذه امتكم امة واحدة اى دينكم يا معشر الانبياء دين واحد ومله واحدة وهو الدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له

هذه الغاية (الآية) عبرة عظيمة وقدرة باهرة من أدل العلامات على قدرة الله سبحانه وعظيم سلطانه لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى أكثر هؤلاء الذين مع فرعون (مؤمنين) بالله فانه لم يؤمن منهم فيما بعد الا القليل كحزقيل وابنته وآسية امرأة فرعون والعجوز التى دلت على قبر يوسف وليس المراد أكثر من كان مع فرعون عند خرقه بموسى فانهم هلكوا اجتماعى البحر بل المراد من كان معه من الاصل ومن كان متابعا له ومتسببا اليه هذا غاية ما يمكن أن يقال وقال سيبويه وغيره ان كان زائدة وان المراد الاخبار عن المشركين بعد ما سمعوا الموعظة (وان ربك له العزيز) أى المنتقم من أعدائه باغراقهم (الرحيم) باوليائه بانجائهم (واتل) أى اقصص يا محمد (عليهم) أى على كفار مكة (نبأ) خبر (ابراهيم) وحديثه (اذ قال) أى وقت قوله (لا اله الا هو وما اعبدوا الا ما يشاءون) وهو يعلم انهم يعبدون الاصنام ولكنه أراد الزام الحجية وليريهم ان ما يعبدونه ليس يستحق للعبادة بل يعزل عنها بالكلية (قالوا نعبد اصناما) افتخاروا بمباهاة بعبادتها (فمنظلهما كقئين) أى فنقيم ونقوم على عبادتها مستقرين طول النهار لاني رقت معين يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ويات يفعل كذا اذا فعله ليلا لفظا ظاهره انهم يستمرون على عبادتها نهارا وليلا والمراد من العكوف لها الاقامة على عبادتها وانما قال لها لافادة ان ذلك العكوف لاجلها فلما قالوا هذه المقالة (قال) ابراهيم منبها على فساد مذاهبهم (هل يسمعونكم اذ تدعون) قال الاخفش المعنى هل يسمعون منكم وهل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة هل يسمعونكم بضم الياء أى هل يسمعونكم أصواتهم وقت دعائكم لهم قال الرنخشري انه على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال التى كنتم تدعونها فيها هل سمعواكم اذ ادعوتم وهو ابلغ فى التبكيت (أو ينفعونكم) بوجه من وجوه النفع ان عبدتموها (أو يضرون) أى يضرونكم اذ اتركتهم عبادتها وهذا الاستفهام للتقرير فانها اذا كانت لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها فاذا قالوا نعم هى كذلك أقر وان عبادتهم لها من باب اللعب والعبث والسفه وعند ذلك تقوم الحجية عليهم فلما أورد عليهم الخليل هذه الحجية الباهرة لم يجدوا الهاجوا بالارجوعهم الى التقليد البحت وهو أنهم (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) هذه العبادة لهذه الاصنام فقلدناهم مع كونها بهذه الصفة التى هى سلب السمع والنفع والضرر عنها وفى أبى السعود هذا الجواب منهم اعتراف بانها يعزل

ولهذا قال وانار بكم فاتقون وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الانبياء وان قوله امة واحدة منصوب على الحال عما وقوله فنقطعوا امرهم بينهم زبراى الامم الذين بعثت اليهم الانبياء كل حزب بما لديهم فرحون أى يفرحون بما هم فيه من الضلال لانهم يحسبون انهم مهتدون ولهذا قال متهدد لهم ومتوعد اقدرهم فى غمهم أى غيهم وضلالهم حتى حين أى الى حين حينهم وهلاكهم كما قال تعالى فهل الكافرين أمهلهم رويدا وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقوله أى يحسبون انما عدتهم به من مال وبين نساغ لهم فى الخيرات بل لا يشعرون بمعنى أظن هؤلاء المغرورون انما عظمهم من الاموال (١) بقدر لبن عند فطره كذا بالنسخ التى بايدى ساقطوا الاصل بشر به عند فطره أو نحو ذلك فخرروا نظرا هـ

والاولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلاليس الا هم كرايمون في قولهم نحن اكثر اموال اولادنا واما نحن بمعذنين لقد اخطوا في ذلك وخاب رجاءوهم بل انما نعمل بهم ذلك استدراجا وانظارا واما ملا ولهدا قال بل لا يشعرون كما قال تعالى فلا تعجب امواهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا الآية وقال تعالى انما على لهم ليزدادوا انما قال تعالى فذري ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملئ لهم الآية وقال ذري ومن خلقت وحيدا الى قوله عنيد او قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا في الامن آمن وعمل صالحا الآية (١٩) والايات في هذا كثيرة قال قتادة في قوله

أيحسبون انما نمدهم به من مال
وبين تسارع لهم في الخيرات بل
لا يشعرون قال مكر والله بالقوم
في اموالهم واولادهم يا ابن آدم فلا
تعتبر الناس باموالهم واولادهم
ولكن اعتبرهم بالايمان والعمل
الصالح وقال والامام احمد حدثنا
محمد حدثنا عبد الله بن مسعود رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم
اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم
وان الله يعطى الدنيا من يحب
ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا
لمن احب فن اعطاء الله الدين فقد

عما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا مستند لهم سوى
التقليد اى ما علمنا ولا رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
فاقتدينا بهم انتهى قال الخازن وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح
الاخذ بالاستدلال انتهى وهذا الجواب هو العصى التي يتوكأ عليها كل عاجز ويمشى بها
كل أعرج ويعتبر بها كل مغرور وينخدع لها كل مخدوع فانك لو سألت الان هذه المقلدة
للرجال التي طبقت الارض بطولها والعرض وقلت لهم ما الحجية لكم على تقليد فرد من
افراد العلماء والاخذ بكل ما يقوله في الدين ويتدعه من الرأى المخالف للدليل لم يجردوا
غير هذا الجواب ولا فاهوا بسواه واخذوا يعدون عليكم من سبقهم الى تقليد هذامن
سلفهم واقتدى بقوله وفعله وهم قدموا صدر وهم هيبية وضافت اذانهم عن تصورهم
وظنواهم خير اهل الارض واعلمهم واورعهم فلم يسمعو الناصح نصحا ولا الداع الى الحق
دعاء ولو فطنوا لروا انفسهم في غرور وعظيم وجهل شنيع وانهم كالبهيمة العمياء اولئك
الاسلاف كالعمى الذين يقودون اليها العمى كما قال الشاعر

كبهيمة عمياء قادر ما مها * أعمى على عوج الدار يق الحائر

احبه والذى نفس محمد بيده لا يسلم
عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن
حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما
بوائقه يا رسول الله قال غشمة وظلمه
ولا يكسب عبدا ما لمن حرام فينفق
منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به
فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره
الا كان زاده الى النار ان الله لا يعجو
السي بالسي ولكن يعجو السي
بالحسن ان الخبيث لا يعجو الخبيث
(ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون والذين هم بآيات ربهم
يؤمنون والذين هم بربهم

فعلينا اياها العامل بالكتاب والسنة المبرمان التعصب والتعسف ان تورده عليهم حجج الله
وتقيم عليهم براهينه فانه ربما اتقاد لك منهم من لم يتحكم به التقليد في قلبه وأما من قد
استحكم في قلبه هذا الداء العضال فلما وردت عليه كل حجة وأقت عليه كل برهان لما
أعارك الأذن اصما وعينا عمياء ولكنك قد قدمت بواجب البيان الذى أوجب عليك القرآن
والهداية بيد الخلاق العليم انك لاتهدى من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء ولما قال
هؤلاء المقلدة هذه المقالة (قال) الخليل عليه السلام (أقرأيتم ما كنتم تعبدون انتم
وأبأؤكم الاقدمون) اى فهل ابصرتم او تفكرتم وتاملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون من هذه
الاصنام التي لاتسمع ولا تنفع ولا تضر حتى تعلموا انكم على ضلالة وجهالة والرؤية هنا
مستعملة في معناها الاصلى واليه نحأ أبو السعود وصنيع الكازرونى يقتضى انها بمعنى
اخبرونى اى اخبرونى عن حال ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة اولاهذا استهزاء
بعبيدة الاصنام والقاء السببية فتميد ان ما بعدها وهو العداوة سبب لطلب الاخبار عن
حالمهم فهى بمعنى اللام أى اخبرونى عن حالها لانها عدوى كما صرح به الرضى في قوله اخرج

لا يشركون والذين يؤثون ما آتوا وقلوبهم ووجه انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) يقول تعالى
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون أى هم مع احسانهم وايمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجاؤون من مكره
بهم كما قال الحسن البصرى ان المؤمن جمع احسانا وشنقة وان المنافق جمع اساءة وأمنا والذين هم بآيات ربهم يؤمنون أى يؤمنون
بآياته الكونية والشرعية كقوله تعالى اخبارا عن مريم عليها السلام وصدقت بكلمات ربها وكنه أى أيقنت ان ما كان انما
هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو ان كان امر انما يحبه ويرضاه وان كان نهيها فهو مما يكرهه ويأباه وان كان خيرا فهو

حق كما قال الله والذين هم بربهم لا يشركون أى لا يعبدون معه غيره بل يوحدهونه ويعلمون أنه لا اله الا الله أحد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه لا نظيره ولا كفه له وقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أى يعطون العطاء وهم خائفون وجلون ان لا يتقبل منهم خوفاً فهم أن يكونوا قد قصروا بالقيام بشروط الاعطاء وهذا من باب الشفاق والاحتياط كما قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذى يسرق ويرزق ويشرب الخمر (٢٠) وهو يخاف الله عز وجل قال لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين

يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات وهكذا رواه الترمذى وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول به نحوه قال الترمذى وروى هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد بن أبي حاتم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري في تفسير هذه الآية وقد قرأ آخرون هذه الآية والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أى يفعلون ما يفعلون وهم خائفون وروى هذا مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها كذلك قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا صفوان بن يحيى حدثنا اسمعيل بن ابي خالد حدثنا مولى بني جريح مع عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها فقالت مرحبا بأبي عاصم ما يمنعك ان تزورنا أو تلمسنا فقال أخشى ان أهلك فقالت ما كنت لتفعل قال جئت لسألك عن آية من كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله

منها فانك رجب ثم اخبرهم بالبراءة من هذه الاصنام التي يعبدونها فقال (فأنهم عدوى) ومعنى كونهم عدو له مع كونهم جادا انه ان عبدهم كانوا له عدواً يوم القيامة قال الفراء هذا من المقلوب أى فاني عدو لهم لان من عاديتهم عاداك واسند العدو الى نفسه تعريضا بهم وهو انفع في النصيحة من التصريح بان يقول فأنهم عدو لكم والعدو كالصديق يطلق على الواحد والمتن والجماعة والمذكور والمؤنث كذا قال الفراء قال علي بن سليمان من قال عدوة الله فأنبت الهاء قال هي بمعنى المعادية ومن قال عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى النسب وقيل المراد بقوله فأنهم عدوى أبأؤهم الاقدمون لاجل عبادتهم للاصنام ورد بان الكلام مسوق فيما عبده لافي العابدين (الا) أى لكن (رب العالمين) ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والآخرة لانزال متفضلاً على فيهما قال الزجاج قال الخواريون هو استثناء ليس من الاول واجاز الزجاج ايضا ان يكون من الاول على أنهم كانوا يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الاصنام فأعلمهم انه تبرأ مما يعبدون الا الله فاني اعبد الله قال الجرجاني تقديره افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وأبأؤكم الاقدمون الرب العالمين فأنهم عدوى جعله من باب التقديم والتأخير وجعل الابعى دون وسوى كقوله لا يدقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى دون الموتة الاولى وقال الحسن بن الفضل ان المعنى الامن عبد رب العالمين ثم وصف رب العالمين بقوله (الذى خلقني فهو يهدين) اى يرشدني الى مصالح الدين والدنيا وطريق النجاة وقد وصف الخليل ربه بما يستحق العبادة لاجله فان الخلق والهداية والرزق الذى يدل عليه قوله (والذى هو بطعمنى ويسقنى واذا مرضت فهو يشفين) ودفع المرض وجلب نفع الشفاء والامانة والاحياء والمغفرة للذنب كلها نعم يجب على المنعم عليه بعضها فضلاً عن كلها ان يشكر المنعم بجميع انواع الشكر التي اعلاها واولاها العبادة ودخول هذه الضمائر في صدور هذه الجمل للدلالة على انه الفاعل لذلك دون غيره واسند المرض الى نفسه دون غيره من هذه الافعال المذكورة رعاية واستعما لا للادب مع الرب كما قال الخضر فارتدت ان اعياها وقال فاراد ربك ان يلغأ أشدهما والافالمرض والشفاء من الله سبحانه (والذى يميتنى ثم يحيينى) المراد بالاحياء البعث ولهذا عطف هنا بتم خلافاً ما قبله لاتساع الامر بين الامانة والاحياء لان المراد به الاحياء في الآخرة وحذف الياء من هذه الافعال لكونها رؤس الآى وقرئ كلها بابائات الياء وانما قال

صلى الله عليه وسلم يقرؤها قالت آية آية قال الذين يؤتون ما آتوا والذين يؤتون ما آتوا فقالت آيتهما أحب عليه اليك فقلت والذى نفسى بيده لاحدهما أحب الى من الدنيا جميعاً أو الدنيا وما فيها قالت وما هي فقلت الذين يؤتون ما آتوا فقالت أشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف فيه اسمعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف والمعنى على القراءة الاولى وهى قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر لانه قال أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الاخرى لا وشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدين أو المقصرين والله اعلم

(ولا تكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأرون اليوم انكم منالان تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرتم تجرون) يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا انه لا يكلف نفسا الا وسعها أى الاما تطيق حملها والقيام به وانه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التى كتبها عليهم فى كتاب مسطور لا يضيع منه شئ ولهذا قال ولدينا كتاب ينطق بالحق يعنى كتاب الاعمال وهم لا يظلمون (٢١) أى لا يبخسون من الخير شئاً وأما السيات

فمغفو ويصفح عن كثير منها العبادة المؤمنين ثم قال منسكراً على الكفار والمشركين من قريش بل قلوبهم في غمرة أى في غفلة وضلالة من هذا أى القرآن الذى أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ولهم أعمال أى سيئة من دون ذلك يعنى الشرك وهم لها عاملون قال لابان يعملوها وكذا روى عن مجاهد والحسن وغير واحد وقال آخرون ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أى قد كتبت عليهم أعمال سيئة لابد ان يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحقق عليهم كلمة العذاب وروى نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ظاهر قوى حسن وقد قدمنا فى حديث ابن مسعود فوالذى لا اله غيره ان الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وقوله حتى اذا أخذنا مترفيهم

عليه السلام (والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتي) خصم لنفسه وتعليل الامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطالب ان يغفر لهم ما يفرض منهم وتكرير الموصول فى المواضع الثلاثة المعطوفة للايدان بان كل واحد من تلك الصلوات نعت جليل مستقل فى ايجاب الحكم قيل ان الطمع هنا بمعنى اليقين فى حقه وبمعنى الرجاء فى حق سواه وقرئ خطاياى لانها ليست خطيئة واحدة قال النحاس خطيئة بمعنى خطايا فى كلام العرب قال مجاهد يعنى بخطيئته قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم وقوله ان سارة اخته زاد الحسن وقوله للكوكب هذارى وحكى الواحدى عن المفسرين انهم فسروا الخطايا بما فسرها مجاهد قال الزجاج الانبياء بشر ويجزان تقع عليهم الخطيئة الا انهم لا تكون منهم الكبيرة لانهم معصومون (يوم الدين) أى يوم الجزاء للعباد بأعمالهم ولا يخفى ان تفسير الخطايا بما ذكره مجاهد ومن معه ضعيف فان تلك معاريض وهى أيضاً انما صدرت عنه بعد هذه المقالة الجارية بينه وبين قومه وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أى كان ذلك نافع له قال لا ينفعه انه لم يقل يوم ارب اغفر لى خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قوله انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال ثم لما فرغ الخليل من النناء على ربه والاعتراف بنعمه ووفون لطفه الفائضة عليه من حضرة الحق من مبداء خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاة تعالى فعقبه بالدعاء مقتدي به غيره فى ذلك فقال (رب هب لى حكماً) المراد بالحكم الكمال فى العلم والنهم والعمل بتعدبه لخلافة الحق ورياسة الخلق وقيل النبوة والرسالة وقيل المعرفة بحدود الله وأحكامه (وألحقنى بالصالحين) يعنى بالنيين قبلى فى العمل الصالح وقيل بأهل الجنة أى فى درجاتهم قاله ابن عباس والاول أولى ولقد أجابه تعالى حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخرة) أى اجعل لى نساء حسناً وذكراً جيلاً وجاهاً وصيتاً وقبولاً عاماً فى الامم الآخرة الذين يأتون بعدى فى الدنيا بقى أثره الى يوم القيامة قال القتيبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لان القول يكون بها وقد تكنى العرب به عن الكلمة وقد أعطى الله سبحانه ابراهيم ذلك بقوله وتركنا عليه فى الآخرة وأجاب دعاءه فان كل أمة تمسك به وتعلمه وكل أهل الايمان يتولونه ويشنون عليه خصوصاً هذه الامة وخصوصاً فى كل تشهد من

بالعذاب اذا هم يجأرون يعنى حتى اذا جاء مترفيهم وهم المتعمون فى الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم اذا هم يجأرون أى بصرخون ويستغيثون كما قال تعالى ذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قلب لان لدينا انكالا وبجيما الآية وقال تعالى وكم أهل كتاب قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وقوله لا تجأرون اليوم انكم منالان تنصرون أى لا يجيركم أحد مما حل بكم سواء جأرتم أو سكتتم لا محيد ولا مناص ولا وزير لرزم الامر ووجب العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون أى اذا دعيتم أيستم وان طلبتم استنعمت ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشركه به تؤمنوا

فالحكم لله العلي الكبير وقوله مستكبرين به سامر اتم حجرون في نفسه قولان احدهما ان مستكبرين حال منهم حين تكوصهم عن الحق وابائهم اياه استكبار عليه واحتقار له ولا اله فعلى هذا الضمير في به فيه ثلاثة اقوال احدها انه الحرم أي مكة ذموا لانهم كانوا يسلمون فيه بالهجر من الكلام والثاني انه ضمير للقرآن كانوا يسلمون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام انه سحرانه شعرانه كنهانه الى غير ذلك من الاقوال الباطلة والثالث انه سجد صلى الله عليه وسلم كانوا يذكرونه في سمرهم بالاقوال الفاسدة ويضربون له الامثال الباطلة (٢٢) من انه شاعر او كاهن او ساحر او كذاب او مجنون فكل ذلك باطل بل هو

عبد الله ورسوله الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء وقيل المراد بقوله مستكبرين به أي بالبيت يفخرون بهو يعتقدون انهم اولياؤه وليسوا به كما قال النسائي في التفسير من سننه أخبرنا أحمد بن سليمان أخبرنا عبيد الله عن اسراييل عن عبد الاعلى انه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس انه قال انما كره السمر حين نزلت هذه الآية مستكبرين به سامر اتم حجرون فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن اهل سامر ا قال كانوا يتكبرون ويسلمون فيه ولا يعمرونه ويحجرونه وقد اظن ابن ابي حاتم ههنا بما هذا حاصله (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خراجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم

تشهدات الصلوات وقال مسك قبيل معنى سؤاله ان يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فاجبت دعوته في محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتكون الآية على تقدير مضاف أي صاحب لسان صدق أو هو مجاز من اطلاق الجزء على الكل لان الدعوة باللسان ولا وجه لهذا التخصيص والتكلف وقال القشيري أراد الدعاء الحسن الى قيام الساعة ولا وجه له هذا أيضا فان لسان الصدق أعم من ذلك وعن ابن عباس في الآية قال اجتماع أهل الملل على ابراهيم فامن أمة الاوهى تحبه وتثنى عليه (واجعلني) وارثا (من ورثة جنة النعيم) أي مندر جافهم ومن جعلهم أي بمن يعطاها بالاتباع ومشقة كالارث الحاصل للانسان من غير تعب وايضا الجنة الى النعيم من اضافة المحل للحال فيه ولما طلب عليه السلام بالدعوة الاولى سعادة الدنيا طلب بهذه الدعوة سعادة الآخرة وهى جنة النعيم قيل وجعلها ما يورث تشبيها للجنة الآخرة بغنمة الدنيا وقد تقدم تفسير معنى الوراثة في سورة مريم (واغفر لابي) كان أبوه قدوة له انه يؤمن به فاستغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وقد تقدم تفسيره هذا مستوفى في سورة التوبة وسورة مريم وعن ابن عباس قال امن عليه بتوبه يستحق بها مغفرتك (انه كان من الضالين) أي من المشركين الضالين عن طريق الهداية وكان زائدا على مذهب سيبويه كما تقدم في غير موضع (ولا تخزني يوم يعثون) أي لا تفخذني على رؤس الاشهاد بمعانتي أو بمعاقبتي على ما فرطت أو لا تعذبني يوم القيامة وقال ذلك لطفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو المعنى لا تخزني بتعذيب أبي أو يبعثه في جهنم الضالين أو ينقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث والآخر ا يطلق على الخزي وهو الهوان وعلى الخزية وهى الخياء أي الاستخياء أخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يلقى ابراهيم اياه آرز يوم القيامة وعلى وجهه آزرقة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقبل لك لاتعصني فيقول أبوه فاليوم لا عصيتك فيقول ابراهيم رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يعثون فأى خزي أخرى من أبي الابعد فيقول الله انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول مات تحت رجلك يا ابراهيم فاذا نزع مطلق فيؤخذ بقواعده فيلقى في النار والذبح هو الذك من الضباع فكأنه حوّل آزر الى صورة ذبح وقد أخرجه النسائي باطول من هذا (يوم لا ينفع) فيه (مال ولا بنون) أحد من الناس والابن هو أخص القرابة وأولاهم بالحماية والدفع والنفع فاذا لم ينفع

وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا يكون ولورجناهم فغيره وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم بعمهون) يقول تعالى منكرا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له واعراضهم عنه مع انهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكل منه ولا أشرف لاسيما آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا آياتهم نذير فكان اللائق بهؤلاء ان يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها والعمل بمقتضاها آباء الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى

عنهم وقال قتادة أفلم يدبروا القول إذا والله يجدون في القرآن زاجر عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه ولكنهم أخذوا بما نشأ به
 فهل كوا عند ذلك ثم قال منكر على الكافرين من قريش أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أي أفهم لا يعرفون محمدًا وصدقته
 وأماته وصيافته التي نشأ بها فيهم أي أفقدرون على انكار ذلك والمباهمة فيه ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي
 ملك الحبشة أيها الملك إن الله بعث فينا رسولاً نعرف نسبه وصدقته وأماته وهكذا قال المغيرة بن شعبه لنا تب كسرى حين بارزهم
 وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم عمر ق حين (٢٢) سأله وأصحابه عن صفات النبي صلى الله

عليه وسلم ونسبه وصدقته وأماته
 وكانوا بعد كفار لم يسلموا ومع هذا لم
 يمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك
 وقوله أم يقولون به جنة يحكي قول
 المشركين عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه تقول القرآن أي
 اقتراه من عنده أو أن به جنوا لا يدري
 ما يقول وأخبر عنهم أن قلوبهم
 لا تؤمن به وهم يعلمون بطولان
 ما يقولونه في القرآن فإنه قد أتاهم
 من كلام الله ما لا يطاق ولا يدافع
 وقد تحداهم وجميع أهل الأرض
 أن يأتيوا بمثله أن استطاعوا ولا
 يستطيعون أبداً لا بد من ولهذا قال
 بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق
 كارهون يحتمل أن تكون هذه جملة
 حالية أي في حالة كراهة أكثرهم
 للحق ويحتمل أن تكون خبرية
 مستأنفة والله أعلم وقال قتادة
 ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه
 وسلم لقي رجلاً فقال له أسلم فقال
 الرجل إنك لتدعوني إلى أمر أله
 كاره فقال نبي الله صلى الله عليه
 وسلم وإن كنت كارهاً وذكركنا أنه
 لقي رجلاً فقال له أسلم فتصعده ذلك
 وكبر عليه فقال له نبي الله صلى الله

فغيره من القرابة والاعوان بالاولى وقال ابن عطية ان هذا وما بعده من كلام الله وهو
 ضعيف والظاهر انه من كلام ابراهيم (الامن أي الله بقلب سليم) قيل هو استثناء منقطع
 أي لكن من أي الله قال في الكشاف الامال من أي الله فقد مرصافاً محذوفاً قال أبو
 حيان ولا ضرورة تدعو إلى ذلك وقيل ان هذا الاستثناء بدل من المفعول المحذوف
 أو مستثنى منه اذا التقدير لا يتفعل مال ولا ينون أحد من الناس الامن كانت هذه صفة
 ويحتمل ان يكون بدل من فاعل يتفع فيكون مرفوعاً قال أبو البقاء فيكون التقدير
 الامال من أي ومن فانه يتفع وهذا الماضي بمعنى المضارع وكذا يقال في قوله وأزلقت
 وبرزت وقيل وكبكبوا وقالوا واختلف في معنى القلب السليم فقيل السليم من الشرك فأما
 الذنوب فليس يسلم منها أحد قاله أكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب السليم الصحيح
 وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض قال تعالى في قلوبهم مرض وقيل هو
 القلب الخالي عن البدعة المظنة إلى السنة وقيل السالم من آفة المال والبنين وقال
 الضحاك السليم الخالص وقال الجنيدي رحمه الله السليم في اللغة اللديغ فمعناه انه قلب
 كاللديغ من خوف الله تعالى وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القرآن قال الرازي أصح
 الاقوال ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق الرذيلة وقال ابن عباس
 بشهادة أن لا اله الا الله وقد صوب الخليل استثناء الخليل اكرامه ثم جعله صفة له في قوله
 وان من شيعته لابراهيم اذ جاره به بقلب سليم قال النسفي وما أحسن ما رتب عليه
 السلام من كلامه مع المشركين حيث سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لاستئذانهم ثم
 أقبل على آلهتهم فأبطل أمرها بانها لا تنفع ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم
 الاقدمين فأخرجهم من أن يكون شبهة فضلاً عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه
 دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمه من حين انشائه الى وقت
 وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك ان دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه
 ابتهاج الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ
 من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتبني الكفرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا
 انتهى (وأزلقت الجنة للمتقين) أي قربت وأذيت لهم ليدخلوها أو بحيث يشاهدونها
 من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها

عليه وسلم رأيت لو كنت في طريق وعروث فلقيت رجلاً تعرف وجهه ونسبه فدعاه إلى طريق واسع سهل أ كنت تتبعه قال نعم
 قال فوالذي نفس محمد بيده إنك لفي أوعر من ذلك الطريق لو قد كنت عليه واني لادعوك لاسهل من ذلك لو دعيت اليهود كركنا ان
 نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلاً فقال له أسلم فتصعده ذلك فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم رأيت لو كان لك قيمان أحدهما
 اذا حدثني صدقك واذا اتهمته أدى إليك أهو أحب إليك أم فتالك الذي اذا حدثك كذبك واذا اتهمته طابك قال بل فتأى الذي
 اذا حدثني صدقني واذا اتهمته أدى إلى فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم كذا كذا أنتم عند ربكم وقوله ولو أتبع الحق أهواءهم

لفسدت السموات والارض ومن فيهن قال مجاهد وأبو صالح والسدى الحق هو الله عز وجل والمراد لو أجابهم الله الى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الامور على وفق ذلك لفسدت السموات والارض ومن فيهن أى لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم قال أهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لامسكم خشية الانفاق الآية وقال أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا في هذا كآية يمين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم وأنه تعالى (٢٤) هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتدبيره خلقه

تعالى وتقدس فلا اله غيره ولا رب سواه ولهذا قال بل آتيناهم بذكرهم أى القرآن فهم عن ذكركم معرضون وقوله أم تسألهم خراجا قال الحسن أجزا وقال قتادة جعل الخراج ربك خيرا أى أنت لا تسألهم أجرة ولا جعلوا ولا شيئا على دعوتك اياهم الى الهدى بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه كما قال قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الاعلى الله وقال قل ما سألتكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وقال قل لا أسألكم عليه أجر الا المودة في القربى وقال وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد بن جده عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيمباري النائم ملكا فحدثاه عند

وقال الزجاج قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها (وبرزت الخيم للغاوين) أى جعلت بارزة لهم والمراد بهم الكافرون الضالون عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى والمعنى انها أظهرت بحيث يرونه سامع ما فيهم من أنواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم موافقوها ولا يجحدون عنها مصرفا وقيل أظهرت قبل ان يدخلوها ليستحزن الكافرين ويكثر سرور المؤمنين وقرئ برزت على البناءين (وقيل لهم) على سبيل التوبيخ (أيتمنا) أى فى أى مكان (كنتم تعبدون من دون الله) من الاصنام والانداد وهذا سؤال تبيكت لا يتوقع له جواب (هل ينصرونكم) فيدفعون عنكم العذاب (أو يقتضرون) بدفعه عن أنفسهم وهذا كله توبيخ وتقريع لهم (فككبوا فيها) أى ألقوا في جهنم على رؤسهم وقيل قلموا على رؤسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل جمعوا قاله ابن عباس مأخوذ من الككببة وهى الجماعة قاله الهروي وقال النحاس هو مشتق من كوكب الشيء وهو معظمه والجماعة من الخيل كوكب وكببة وقيل دهده هو وهذه المعاني متقاربة والككببة تكرير الكب وهو الالقاء على الوجه جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه اذا ألقى في جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله منها وأصله كبوا ياءين الاولى مشددة من حرفين فابدل من الباء الوسطى الكاف وقد رجح الزجاج ان المعنى طرح بعضهم على بعض ورجح ابن قتيبة ان المعنى ألقوا على رؤسهم وقيل أنكسوا وقيل الضمير في ككبوا القريش (هم) أى الآلهة المعبودون والاصنام (والغاوون) أى العابدون لهم وقيل الجن والكافرون وقال ابن عباس مشركو العرب والآلهة (وجنود ابليس) أى شياطينه الذين يغفون العباد من الانس والجن وقيل ذريته وأبناؤه وقيل كل من يدعوا الى عبادة الاصنام (أجمعون) تأكيد للضمير في ككبوا وما عطف عليه (قالوا) أى الغاوون (وهم) أى حال كونهم (فيها يجمعون) مع معبوديهم مستأنفة كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل ومقول القول (نالله ان كنا) أى ان الشأن كوننا (لنى ضلال مبين) واضح ظاهر والمراد بالضلال هنا الخسار والتبار والحيرة عن الحق ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاويل والتخاصم أو يجرى ذلك بين العصاة والشياطين (اذنسونكم) العامل في الظرف هو كونهم في الضلال وقيل العامل هو الضلال وفيه ضعف وقيل ظرف لمبين وقيل

ما

رجليه والاخر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال ان

مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سقر انتهوا الى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به فيمنعهم كذلك اذا ناهم رجل فى حلة حبرة فقال أرايتم ان أوردتكم رياض معشبة وحياضاروا تتبعوني فقالوا نعم قال فانطلق بهم وأوردهم رياض معشبة وحياضاروا فأكلوا وشربوا وسموا فقال لهم ألم ألقىكم على تلك الحال فجعلتم انى وردت بكم رياض معشبة وحياضاروا وان تتبعوني قالوا بلى قال فان بين ايديكم رياضاً أعشب من هذه وحياضاروا هى أروى من هذه فاتبعوني قال

فقال طائفة صدق والله لتتبعنه وقالت طائفة قدر ضيناها ذائقم عليه وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا زهير حدثنا
يونس بن محمد حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ممسك بحجزكم عن النار وتغلوني تقاجون فيها تقاجم الفراش
والجنادب فأوشك ان أرسل حجركم وأنا فرطكم على الحوض فتردون على معا واشتاتنا أعرفكم بسميكم وأسمائكم
كما يعرف الرجل الغريب من الابل في ابله فيذهب بكم ذات (٢٥) الشمال فأناشد فيكم رب العالمين

أي رب قومي أي رب أمتي فيقال
يا محمد انك لا تدري ما أحدثوا
بعدك انهم كانوا يشون بعدك
القهقري على أعقابهم فلا عرفن
أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل
شاة لها ثغاء ينادي يا محمد يا محمد
فأقول لأأملكك من الله شيئا قد
قد بلغت ولا عرفن أحدكم يأتي
يوم القيامة يحمل بعيره له رغاء
ينادي يا محمد يا محمد فأقول لأأملكك
شيئا قد بلغت ولا عرفن أحدكم
يأتي يوم القيامة يحمل فرسها
جمعته فينادي يا محمد يا محمد فأقول
لأأملكك شيئا قد بلغت ولا عرفن
أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل
سقاء من آدم ينادي يا محمد يا محمد
فأقول لأأملكك شيئا قد بلغت
وقال علي بن المديني هذا حديث
حسن الاسناد الان حفص بن
حميد مجهول لأعمر روى عنه غير
يعقوب بن عبد الله الأشعري
العمى قلت بل قد روى عنه أيضا
أشعث بن إسحق وقال فيه يحيى
ابن معين صالح ووثقه النسائي
وابن حبان وقوله وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط

ما يدل عليه الكلام كأنه قيل ضلنا وقت نسو يتنا لكم في العبادة (رب العالمين) الذي
أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم وقال الكوفيون ان ان في ان كانافية واللام معنى
الأي ما كالأفي ضلال مبين والاول أولى وهو مذهب البصريين وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة الماضية (وما أضلنا) عن الهدى (الانجرمون) يعني من دعاهم الى
عبادة الاصنام من الجن والانس والسياطين وقيل رؤسأوهم الذين أضلوهم وقيل
ابليس وجنوده وابن آدم الاول وهو قاييل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي وقيل
من سن الشرك وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم (فالناس من شافعين) يشفعون لنا من
العذاب كالمؤمنين من الملائكة والنبين والمؤمنين (ولاصديق حيم) أي ذى قرابة
والحميم القريب الذي تودته ويودك وجمع الشفعاء ووجد الصديق لما تقدم غير مرة أنه
يطلق على الواحد والاثنين والجماعة والمذكور والمؤنث أولكثرة الشفعاء في العادة وقلة
الصديق لان الصديق الصادق في وداك الذي يمه ما همك قليل وسئل حكيم عن
الصديق فقال اسم لامعنى له وقيل اسم بلا مسمى والنبي ههنا يحمل نبي الصديق من أصله
أو نبي صفة فقط وألان الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء والحميم مأخوذ
من حامة الرجل أي خاصته وأقربائه ويقال حم الشيء وأحم اذا قرب ومنه الحمى لانه
يقرب من الاجل وقال علي بن عيسى انما سمي القريب حميا لانه يحمي لغضب صاحبه
فجعله مأخوذا من الحمية وقيل من الاحتمام بمعنى الاهتمام الذي يمه ما يمهك قاله
الزحشري (فلو أن لنا كرتة) هذانهم على طريق التثني الدال على كمال التحسر كأنهم
قالوا فليت لنا كرتة أي رجعة الى الدنيا وجواب التثني (فسيكون من المؤمنين) أي نصير
من جلتهم حتى تحمل لنا الشفاعة كما حلت لهؤلاء (ان في ذلك) أي ما تقدم ذكره من نبأ
ابراهيم وقصة قومه (لاية) أي عبرة وعلمة وحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها
ويعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها الغزارة علمه لما
فيها من الاشارة الى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلالتها وحسن دعوته للقوم
وحسن مخالفتهم معهم وكال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد
على سبيل الحكاية تعريضا بهم وابقاظ الهم ليكون أدعى الى الاستماع والقبول والتسوين
في آية يدل على التعظيم والتفخيم (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أكثر هؤلاء الذين يتلو

(٤ - فتح البيان سابع) لنا كيون أي عادلون حائرون محرفون تقول العرب نكب فلان عن الطريق اذا زاغ عنها وقوله
ولورحناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم بعمهون يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بانفلوا تراح عنهم الضر وأفهمهم
القرآن لما نقادوا له ولا سقر واعلى كفرهم وعنادهم وطغيانهم كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا الا سمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم
معرضون وقال ولوترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا ردنا لكان كذبنا بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخفون من
قبل ولوردوا العادوا المأهوا عنه الى قوله بمبعوثين فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون قال الضحاك عن ابن عباس

كلما فيه لو فهو لا يكون أبداً (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الربهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم باباً إذا عذاب شديد
 إذا هم فيه مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافتدة قليلاً ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون
 وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أنذامتنا وكاترنا وعظامنا
 لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الأساطير الأولين) يقول تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب أي ابتليناهم
 بالمصائب والشدائد فما استكانوا (٢٦) لربهم وما يتضرعون أي فاردتهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والخالفقة

عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبأ إبراهيم وهم قريش ومن دان بدينهم وقيل
 وما كان أكثر قوم إبراهيم مؤمنين وهو ضعيف لانهم كلهم غير مؤمنين (وان ربك لهُو
 العزيز) القاهر لاعدائه (الرحيم) بأوليائه أو الرحيم للاعداء بتأخير عقوبتهم وترك
 معاجلتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) أدت الفعل لكونه مسنداً الى قوم وهو في معنى
 الجماعة والامة أو القبيلة وفي المصباح القوم يذكرو ويؤثذو وكذا كل اسم جمع لا واحد
 له من لفظه نحو رهب ونفرو وأوقع التكذيب على المرسلين وهم لم يكذبوا الا الرسول
 المرسل اليهم لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل لان كل رسول يأمر بتصدق غيره
 من الرسل وقيل كذبوا نوحاً في الرسالة وكذبوه فيما أخبرهم به من مجي المرسلين بعده
 أولاً لانه لظول لبثه فيهم كانه رسل (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي أخوهم نأبيهم لأخوهم
 في الدين وقيل المراد اخوة الجحاسة وقيل هو من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون واحداً
 منهم (الأتقون) الله بترك عبادة الاصنام وتجييبون رسوله الذي أرسل اليكم (انني لكم
 رسول أمين) فيما بلغكم عن الله وقيل أمين فيما بينكم فانهم كانوا قد عرفوا أماته
 وصدقته (فاتقوا الله) أي اجعلوا طاعة الله وقاية لكم من عذابه (وأطيعون) فيما أمركم
 به عن الله من الايمان به وترك الشرك والقيام بفرائض الدين تصدير القصص الخس
 بالحث على التقوى يدل على أن البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما
 يقرب المدعو الى ثوابه ويعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في
 بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاعراض الدنيوية (وما أسألكم عليه من
 أجر) أي ما أطلب منكم أجر على تبليغ الرسالة ولأطمع في ذلك منكم ومن زائدة
 في المفعول (ان أجرى) أي ما ثوابي الذي أطلبه وأريده (الاعلى رب العالمين) لا على غيره
 وكرر قوله (فاتقوا الله وأطيعون) للتأكيد والتقرير في النفوس مع كونه علق كل واحد
 منهم ما بسبب وهو الامانة في الاول وقطع الطمع في الثاني ونظيره قولك ألتقي الله في
 عفتي وقدر بيتك صغيراً ألتقي الله في عفتي وقد علمت كبر او قدم الامر بتقوى الله
 على الامر بطاعته لان تقوى الله عله طاعته (قالوا أنؤمن لك) الاستفهام للانكار
 أي كيف تبعك ونصدقك ونؤمن بك (والحال ان قد) (اتبك الارذلون) جمع أرذل
 وجمع التكسير أرذل والاثني رذلاء وهم الاقلون جاهوا وما لا والرذالة الخسة والذلة

بل استروا على غيهم وضلالهم
 ما استكانوا أي ما خشعوا
 وما يتضرعون أي مادعوا كما قال
 تعالى فلولا اذا جاءهم بأسنا تضرعوا
 ولكن قست قلوبهم الآية وقال
 ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين
 حدثنا محمد بن حمزة المروزي حدثنا
 علي بن الحسين حدثنا أبي عن يزيد
 يعني النخوي عن عكرمة عن ابن
 عباس انه قال جاء أبو سفيان الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 يا محمد أنشدك الله والرحم فقد
 آكلنا العلمز يعني الوبور والدم فأنزله
 الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما
 استكانوا الآية وهكذا رواه
 النسائي عن محمد بن عقيل عن علي
 ابن الحسين عن أبيه وأصله في
 الصحيحين ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دعا على قريش حين
 استعصوا فقال اللهم أعني عليهم
 بسبع كسبع يوسف وقال ابن
 أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين
 حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الله
 ابن ابراهيم عن عمر بن كيسان
 حدثني وهب بن عمرو بن كيسان قال
 حبس وهب بن منبه فقال له رجل

من الانبياء ألا أنشدك بيتان شعرياً بأعبد الله فقال وهب نحن في طرف من عذاب الله والله يقول ولقد
 أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الربهم وما يتضرعون قال وصام وهب ثلاثاً متواصلة فقل له ما هذا الصوم يا أبا عبد الله قال أحدث
 لنا فحدثنا يعني أحدث لنا الخس فأحدثنا زيادة عبادة وقوله حتى إذا فتحنا عليهم باباً إذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون أي حتى
 إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعند ذلك أبلسوا من كل خير وأيسوا من
 كل راحة وانقطعت آمالهم ورجاؤهم ثم ذكر تعالى نعمه على عباده في ان جعل لهم السمع والابصار والافتدة وهي العقول والفهوم

التي يدركون بها الاشياء ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله وانه الفاعل المختار لما يشاء وقوله قايلا
ما نشكرون أي ما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة
وسلطانه القاهر في برئه الخليقة وذرتهم في سائر أقطار الارض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع
الاولين منهم والآخرين ليقام يوم معلوم فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا ولا ذكرا ولا أنثى ولا جليلا ولا حقيرا إلا أعاده كما بدأه ولهذا
قال وهو الذي يحيي ويميت أي يحيي الرمم ويميت الامم وله اختلاف (٢٧) الليل والنهار أي وعن أمره تسخير الليل

والنهار كل منهما يطلب الآخر طلبا
حينئذ يتعاقبان لا يفتران ولا
يفترقان بزمان غيرهما كقوله
لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر
ولا الليل سابق النهار الآية وقوله
أفلا تعقلون أي أفليس لكم عقول
تدلكم على العزيز العليم الذي قد
قهر كل شيء وعز كل شيء وخضع له
كل شيء ثم قال مخبرا عن منكري
البعث الذين أشبهوا من قبلهم من
المكذابين بل قالوا مثل ما قال
الاولون قالوا أنذمتنا وكنا
ترابا وعظاما أننا لمبعوثون يعني
يستبعدون وقوع ذلك بعد صبر ورتهم
الى البلى لقد وعدنا نحن وآباؤنا
هذا من قبل ان هذا الأساطير
الاولين يعنون الاعادة محال انما
يخبر بها من تلقاها عن كتب
الاولين واختلافهم وهذا الانكار
والتكذيب منهم كقوله اخبارا
عنهم أنذا كأعظا ما نختره قالوا تلك
إذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة
فأذا هم بالساهرة وقال تعالى ولم
ير الانسان أننا خلقناه من نطفة
فأذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام

استردلوهم لقله أموالهم وجاههم أولان تضاع أنسابهم قال مجاهد الارذلون الحواكون
وقال قتادة سذلة الناس وأرذلهم وقال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الخاسكة
والاسا كفة وقيل كانوا من أهل الصناعات الدينية والصناعة لا تدرى بالديانة فالغنى غنى
الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس
وأضعفهم نسبا وما زالت أتباع الانبياء كذلك وانما يادروا اللاتباع قبل الاغنياء لاستيلاء
الرياسة على الاغنياء وصعوبة الانفكاك منها والافتقار عن الاقصاد للغير والفقير خلى من
تلك الموانع فهو سريع الاجابة والانتقاد وهذا غالب أحوال أهل الدنيا وهذا من سخافة
عقولهم وقصر رأيهم على حطام الدنيا حتى جعلوا اتباع المقلين من الدنيا مانعا من اتباعهم
وجعلوا ايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه وقرئ أتباعك الارذلون قال الخناس
وهي قراءة حسنة لان هذه الواو تتبعها الاسماء كثيرا وأتباع جمع تابع (قال وما علمي بما
كانوا يعملون) كان زائدة والمعنى وما علمي بعملهم أي لم أكف العلم بأعمالهم انما كلفت
أن أدعوهم الى الايمان والاعتبار به لا بالحرف والصناعات والفقير والغنى وكانهم أشاروا
بقولهم واتبعك الارذلون الى أن ايمانهم لم يكن عن نظر صحيح وانما التوقع مال ورفعة
فأجابهم بهذا أي اني لم أفق على باطن أمرهم وانما وقفت على ظواهرهم وقيل المعنى
اني لم أعلم ان الله سيدينهم ويضلهم ويوفقهم ويخذلكم ويرشدكم ويغويكم (ان
حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون) أي ما حسابهم والتفتيش عن ضمائرهم وأعمالهم
الاعلى الله لو كنتم من أهل الشعور والفهم ما عبرتوهم بصناعتهم وقرئ يشعرون بالتحسية
كأنه ترك الخطاب للكفار والتفت الى الاخبار عنهم قال الزجاج والصناعات لا تضر في
باب الديانات وما أحسن ما قال (وما أباطار المؤمنين) هذا جواب من نوح على ما ظهر
من كلامهم من طلب الطرد لهم (ان أنا الانذير مبين) أي ما أنا الانذير موضح لما أمرني
الله سبحانه ببلاغه اليكم وهذه الجملة كالعلة لما قبلها (قالوا ان لم تنته يا نوح) أي ان لم
تترك عيب ديننا وسب آلهتنا (اتكفون من المرجومين) بالحجارة وقيل من المشتمين
وقيل من المقتولين فعدلوا بعد تلك المحاورة بينهم وبين نوح الى التبر والتوعد فلما سمع
نوح قولهم هذا (قال رب ان قومي كذبون) أي أصروا وصمموا على تكذيبي بعد
مادعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يسمعوا قولي ولا أجابوا دعائي وانما قال هذا اظهارا

وهي رمية قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الآيات (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من يدهم ملكوت كل شيء وهو
يحيي ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أنبأهم بالحق وانهم لكاذبون) يقرر تعالى وحدانيته
واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد الى انه الله الذي لا اله الا هو ولا ينبغي العبادة الا له وحده لا شريك له ولهذا قال لرسوله محمد
صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين العابدون معه غيره المعترفون له بالربوبية وان لا شريك له فيها ومع هذا فقد أشركوا معه

في الالهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم ان الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا انهم يقربونهم اليه زلفى ما عبدوهم الا يقربونا الى الله زلفى فقال قل لمن الارض ومن فيها أى من مالكتها الذى خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وساير صنوف المخلوقات ان كنتم تعلمون سيقولون لله اى فباعتقون للبان ذلك الله وحده لا شريك له فاذا كان ذلك قل أفلا تذكرون انه لا تنبغى العبادة الا للخالق الرزق لاغيره قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم أى من هو خالق العالم العلوى بما فيه من الكواكب النيرات (٢٨) والملائكة الخاضعين له فى سائر الاقطار منها والجهات ومن هو رب العرش

العظيم يعنى الذى هو سقف المخلوقات كما جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شأن الله اعظم من ذلك ان عرشه على سمواته هكذا وأشار بيده مثل القبعة وفى الحديث الآخر ما السماوات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن فى الكرسي الا حلقة ملقاة بارض فلاه وان الكرسي بما فيه بالنسبة الى العرش كذلك الحلقة فى تلك القلاة ولهذا قال بعض السلف ان مسافة ما بين قطرى العرش من جانب الى جانب مسيرة خمسين ألف سنة وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقال الضحاك عن ابن عباس انما سمى عرشا لارتفاعه وقال الأعشى عن كعب الاحبار ان السموات فى العرش كالتقديس المعلق بين السماء والارض وقال مجاهد ما السماوات والارض فى العرش الا حلقة فى أرض فلاه وقال ابن ابي حاتم حدثنا العلاء بن سالم حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثورى عن عمار الذهبى عن مسلم البطين عن سعد بن جبيرة عن ابن عباس قال العرش لا يقدر قدره أحد فى رواية الا الله عز وجل وقال بعض السلف العرش من ياقوتة جمر الكلبى ولهذا قال ههنا ورب العرش العظيم اى الكبير وقال فى آخر السورة رب العرش الكريم اى الحسن البهى فقد جمع العرش بين العظمة فى الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال انه من ياقوتة جمره وقال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله سيقولون لله قل أفلا تتقون أى اذا كنتم تعترفون بانه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه فى عبادتكم معه غيره وأشاركم به قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى فى كتاب

لم ايدعوا عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخوفهم له واستخفافهم به (فافتح بيني وبينهم فتحا) الفتح الحكم أى احكم بيننا حكما يستحقه كل واحد منا أى أنزل العقوبة والهلاك وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل فى سورة نوح (وتجنحى ومن معى من المؤمنين) وكواثم اثنين أربعون من الرجال وأربعون من النساء (فأنجيناه ومن معى من الفلك المشحون) أى السفينة المملوءة من الناس والحيوان والطير والشحن ملء السفينة بالناس والدواب والمتاع قال ابن عباس المشحون الممتلئ وعنه قال أتدرون ما المشحون قلنا لا قال هو الموقر وعنه أيضا قال هو المنقل (ثم أغرقنا بعد) أى بعد انجائهم (الباقيين) من قومه (ان فى ذلك لآية) أى علامة وعبرة عظيمة (وما كان أكثرهم مؤمنين) افهم انه لو كان نصفهم مؤمنين لما أخذوا (وان ربك لاهو العزيز) أى القاهر لاعدائه والمتقى باهانة من جحدوا صر (الرحيم) بأوليائه والمنعم باعانة من جحدوا وفر (كذبت عاد المرسلين) أنت الفعل باعتبار اسناده الى القبيلة لان عاد اسم أيهم الاعلى وكان من نسل سام بن نوح ومعنى تكذيبهم المرسلين مع كونهم لم يكذبوا الا رسولا واحدا قد تقدم وجهه فى قصة نوح قريبا (اذ قال لهم أخوهم) نسا (هود) وكان تاجر اجيل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر أربع مائة وأربع وستين سنة (الأتقون) والكلام فيه كالكلام فى قول نوح المتقدم قريبا وكذا فى قوله (انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع آية) الربيع المكان المرتفع من الارض جمع ربيعة يقال كم ربيع أرضك أى كم ارتفاعها قال أبو عبيدة الربيع الارتفاع جمع ربيعة وقال قتادة والضحاك والكلبي الربيع الطريق وبه قال مقاتل والسدى وابن عباس واطلاق الربيع على ما ارتفع من الارض معروف عند أهل اللغة وقيل الربيع الجبل واحد ربيعة والجمع أرباع وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين وروى عنه انه التنية الصخرة وروى عنه أيضا انه المنطرة وقيل بروج الحمام وقال ابن الاعرابى الربيع الصومعة والربيع البرج يكون فى الصحراء والربيع التسلى العالى وفى الربيع لغتان كسر الراء وفتحها والاستفهام للتقريب والتوبيخ ومعنى الآية انكم أتبنون بكل مكان مرتفع بناء (تعبنون) بنائه وتلعبون بالمارة وتسخرون منهم لانكم تشرفون من ذلك البناء المرتفع على الطريق فتؤذون من يمر بكم وتسخرون منهم وقال

ابن عباس قال العرش لا يقدر قدره أحد فى رواية الا الله عز وجل وقال بعض السلف العرش من ياقوتة جمر الكلبى ولهذا قال ههنا ورب العرش العظيم اى الكبير وقال فى آخر السورة رب العرش الكريم اى الحسن البهى فقد جمع العرش بين العظمة فى الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال انه من ياقوتة جمره وقال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله سيقولون لله قل أفلا تتقون أى اذا كنتم تعترفون بانه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه فى عبادتكم معه غيره وأشاركم به قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى فى كتاب

التفكر والاعتبار حدثنا اسحق بن ابراهيم ان عبيد الله بن جعفر اخبرني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية على رأس جبل معها ابن لها يرعى غنما فقال لها ابنايا أمه من خلقك قالت الله قال فن خلق أبي قالت الله قال فن خلقني قالت الله قال فن خلق السموات قالت الله قال فن خلق الارض قالت الله قال فن خلق الجبل قالت الله قال فن خلق هذه الغنم قالت الله قال فاني أسمع لله شأنم ألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله كثيرا ما يحدثنا هذا الحديث قال عبد الله بن دينار كان ابن عمر كثيرا (٢٩) ما يحدثنا بهذا الحديث قلت في اسناده عبد الله بن

جعفر المدني والامام علي بن
المديني وقد تكلموا فيه فانه أعلم
قل من يديه ملكوت كل شيء أي
يده المالك ما من دابة الا هو اخذ
بناصيتها أي متصرف فيها وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا والذي نفسي بيده وكان
اذا اجتهد في المين قال لا ومقلب
القلوب فهو سبحانه الخالق المالك
المتصرف وهو يجير ولا يجار عليه
ان كنتم تعملون كانت العرب اذا
كان السيد فيهم فأجار أحد الا يخفر
في جواره وليس لمن دونه ان يجير
عليه لئلا يفتات عليه ولهذا قال
الله وهو يجير ولا يجار عليه أي
وهو السيد العظيم الذي لا أعظم
منه الذي له الخلق والامر ولا معقب
الحكمه الذي لا يمانع ولا يخالف
وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقال
الله لا يستعمل عما يفعل وهم يستلون
أي لا يستعمل عما يفعل لعظمته
وكبريائه وغلبته وقهره وعزته
وحكمته وعمله فان خلق كلهم
يستلون عن أعمالهم كما قال تعالى
فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا
يعملون وقوله سيقولون لله أي

الكلي انه عبث العشارين بأموال من يربهم حكمه الماوردى (وتتخذون مصانع)
هي الابنية التي يتخذها الناس منازل قال أبو عبيدة كل بناء مصنعة وبه قال الكلي وغيره
وقيل هي الحصون المشيدة فانه مجاهد وغيره وقال الزجاج انها مصانع الماء التي تجعل
تحت الارض واحدها مصنعة ومصنع أي حياض وبركات تجمعون فيها الماء فهي من
قبيل الصهاريج قال الجوهرى المصنعة بضم النون الحوض يجمع فيه ماء المطر والمصانع
الحصون وقال عبد الرزاق المصانع عند نابغة العين القصور العالية (لعلكم تتخلدون)
أي راجين أن تتخلدوا في الدنيا لانكاركم البعث والتوبيخ حينئذ ظاهرا وعاملين عمل من
يرجو ذلك فلذلك تتكلمون ببنائها وقيل ان لعل هنا للاستفهام التوبيخي قاله زيد بن
علي وبه قال الكوفيون أي هل تتخلدون كقولهم لعلك تشتمني أي هل تشتمني وقال القراء
كي تتخلدون وبه قرأ عبد الله أي لا تتفكرون في الموت وقيل المعنى كانكم يا قون تتخلدون
فجعل معناها التشبيه ولم أر من نص على انها تكون للتشبيه وقرئ تتخلدون مخففا
ومشددا وحكى النحاس أن في بعض القراءات كانكم تتخلدون وبه قال ابن عباس (واذا
بطشتم) بضرب أو قتل (بطشتم جبارين) من غير رافة ولبطش السطوة والاختبالعنف
قال مجاهد وغيره اذا أردتم البطش لئلا يتجدد الشرط والجزاء فان الزجاج انما أنكر
عليهم ذلك لانه ظلم وأما في الحق فالبطش بالسوط والسيوف جائز قال الكرخي اعلم ان
اتخاذ الابنية العالية تدل على حب الدنيا واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والجمالية
تدل على حب التقرب بالعلو وهذه صناعات الالهية وهي بمنفعة الحصول للعبادة انتهى ثم
لما وصفهم بهذه الاوصاف القبيحة الدالة على الظلم والعمى والتمرد والتجبر أمرهم بالتقوى
فقال (فاتقوا الله) في ذلك (وأطيعون) فيما أمرتكم به أجل التقوى ثم فصله بقوله
(واتقوا الذي أمركم بما تعلمون) من أنواع النعم والخير الحاصلة لكم ثم فصل هذا الاجمال
بقوله (أمركم بأنعام وبنين) الخ باعادة الفعل لزيادة التقرير والتأكيد لان التفصيل
بعد الاجمال والتفسير بعد الابهام أدخل في ذلك (وجنات وعيون) أي بساتين وأنهار
وآبار ثم وعظهم وحذرهم فقال (اني أخاف عليكم) ان كفرتم وأصررتم على ما أنتم فيه
ولم تشكروا هذه النعم (عذاب يوم عظيم) أي العذاب الديني والاخروي فان كفران
النعمة مستتبع للعقاب كما أن شكرها مستتبع لزيادتها (قالوا سوا علينا) أي مستو

سيعتفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له قل فاني تسبحون أي فكيف تذهب عقولكم
في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك ثم قال تعالى بل آتيناهم بالحق وهو الاعلام بانه لاله الا الله وأقنا الادلة الصحيحة
الواضحة القاطعة على ذلك وانهم لكانبون أي في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك كما قال في آخر السورة ومن يدع مع الله
اله الآخر لبرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل فادهم الى ما هم فيه من الافك
والضلال وانما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم وأسلافهم الجباري الجهال كما قال الله عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم

معتقدون (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الاله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الاله بما خلق ولعل بعضهم على بعض أي لو قدر تعدد الاله لا تنرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود والمشاهدان الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضهم ببعض في غاية الكمال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم لكان كل منهم (٣٠) يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا

هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمايز وهو انه لو فرض صانعان فصاعدا فأرادوا واحد تحريك جسم والآخر أراد سكونه فان لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزا ويمتنع اجتماع مراديهما بالتضاد وما جاء هذا المحال الامن فرض التعدد فيكون محالافا مان حصل مرادا أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب محالافا لانه لا يليق بصفة الواجب ان يكون مقهورا ولهذا قال تعالى ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا عالم الغيب والشهادة أي يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه فتعالى عما يشركون أي تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون (قل رب اماتني ما وعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين واناعلى ان نريك ما فعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات

عندنا (أو عظمت أم لم تكن من الواعظين) أصلا أي وعظك وعدمه سواء عندنا لانبالي بشئ منه ولا تلتفت الى ما تقوله ولا ترعوى له والحاصل أنهم أظهره وقله أكثر منهم بكلامه واستخفافهم بما ورد من المواعظ والوعظ كلام بدين القلب بذكر الوعد والوعيد ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآي وتواخي القوافي وأبدى له الزمخشري معنى فقال هو أبلغ في قلة أعتددهم بوعظه من قولك أم لم تعظ وعن الكسائي أو عظت بادغام الظاء في التاء وهو بعيد لان حرف الظاء حرف اطباق انما يدغم فيما قرب منه جدا وقرأ الباقون باظهار الظاء (ان هذا) تعليل لما قبله أي ما هذا الذي جئنا به ودعوتنا اليه من الدين وقيل المعنى ما هذا الذي نحن عليه (الا خلق الاولين) أي طبعيتهم وعاداتهم التي كانوا عليها وهذا بناء على ما قال الفراء وغيره ان معنى الخلق العادة قال النحاس الخلق عند الفراء العادة وعن محمد بن يزيد خلقهم مذهبهم وما جرى عليه أمرهم والقولان متقاربان وقال مقاتل قالوا ما هذا الذي تدعونا اليه الا كذب الاولين قال الواحدى هو قول ابن مسعود ومجاهد قالوا الخلق والاختلاق الكذب ومنه قوله ويخلقون افكا وقرئ خلق بفتح الخاء وسكون اللام وبضمهما قال الهروي معناه على الاولى اختلافهم وكذبهم وعلى الثانية عاداتهم وهذا التفصيل لا بد منه قال ابن الاعراب الخلق الدين والطبع والمرءة وقرأ أبو قلابه بضم الخاء وسكون اللام وهي تخفيف لقراءة الضم لهما والظاهر أن المراد بالآية هو قول من قال ما هذا الذي نحن عليه الاعادة الاولين وفعلهم ويؤيده قولهم (وما نحن بمعدين) على ما نفعنا من البطش ونحوه ما نحن عليه الآن في الدنيا من الاعمال ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أي هود أي أصروا على تكذيبه (فأهل كاهم) في الدنيا بالريح كما صرح به القرآن في غير هذا الموضع وهي ريح باردة شديدة الصوت لا ما فيها وسلط عليهم سبع ليال وثمانية أيام أو لها من صبي يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم تفسيره هذا قريبا في هذه السورة ثم لما فرغ سبحانه من ذكر قصة هود وقومه ذكر قصة صالح وقومه وكانوا يسكنون الحجر فقال (كذبت عمود المرسلين) المراد بهم صالح في التعبير عنه بالجمع ما تقدم وعود اسم قبيلة سميت باسم أبيها وهو عود جد صالح ولذا قال (اذ قال لهم أخوهم) نسبا (صالح) لاجتماع معهم في الاب

الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) يقول تعالى أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو بهذا الدعاء عند حلول النقم رب اماتني ما وعدون أي ان عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد والترمذي وصححه واذا أردت بقوم فتنة فتوفني اليك غير مفتون وقوله تعالى واناعلى ان نريك ما فعدهم لقادرون أي لو شئت لارينك ما نخل بهم من النقم والبلاء والنحن ثم قال تعالى مرشد الاله الى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الاحسان الى من يسئ اليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقه وبعضه محبة فتدال تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة وهذا كما قال

في الآية الاخرى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانهولى حيم وما يلقاها الا الذين صبروا والايه اى وما يلهم هذه الوصية او هذه الخصلة او الصفة الا الذين صبروا اى على اذى الناس فعاملوهم بالجيل مع اسنادهم اليهم القبيح وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اى في الدنيا والاخرة وقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشيطان امره الله ان يستعين من الشياطين لانهم لا تنفع معهم الخيل ولا ينقادون بالمعروف وقد قدمنا عند الاستعاذة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه (٢١) ونفخه ونفثه وقوله تعالى واعوذ بك رب ان

يحضرون اى فى شئ من امرى ولهذا امر بذكر الله فى ابتداء الامور وذلك لطرد الشيطان عند الاكل والجماع والذبح وغير ذلك من الامور ولهذا زوى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى اعوذ بك من الهرم واعوذ بك من الهدم ومن الغرق واعوذ بك ان يتخبطنى الشيطان عند الموت وقال الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع بسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون قال فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ان يقولها عند نومه ومن كان منهم صغيرا لا يعقل ان يحفظها كتبها له فعلقها فى عنقه ورواه ابو داود والترمذى والنسائى من حديث محمد بن اسحق وقال الترمذى حسن غريب (حتى اذا جاء احدكم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا

الاعلى وعاش صالح من العمر مائتين وعثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (الا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) قد تقدمت سيره فى قصة هود المذكورة قبل هذه القصة (أنت كون فيما ههنا آمين) الاستفهام للانكار التوبيخى اى لا تظنوا ولا ينبغي لكم ان تعتقدوا انكم تتركون فى الدنيا متقليين فى هذه النعم التى أعطاكم الله آمين من الموت والعذاب باقين فى الدنيا ولما أبهم النعم فى هذا فسرهاب قوله (فى جنات وعميون وزرورع ونخل) ذكر النخل مع دخوله تحت الجنات لفضله على سائر الاشجار اولان المراد بها غيره من الاشجار وكثيرا ما يدكرون الشئ الواحد بلفظ يعمه وغيره كما يدكرون النعم ولا يقصدون الا ابل وهكذا يدكرون الجنة ولا يريدون الا غير النخل وهو اسم جمع الواحدة نخلة وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكروا ما الخيل بالياء فثلاثة اتفاقا (طلعها هضم) الطلع اول ما يطلع من الثمر وبعده يسمى خللا ثم بلحا ثم يسمى ثم رطباً ثم تمراً وفى البيضاوى هو ما يطلع منها كندل السيف فى جوفه شماريح القنواتهسى وهذا التشبيه من حيث الهيئة والشكل والهضم هو النضيج الرخص اللين اللطيف أو متسدل متكسر من كثرة الحمل وقيل مالم يخرج من كفراه لدخول بعضه فى بعض وحكى الماوردى فى معنى هضم اثنى عشر قولاً أحسنها وأوفقها باللغة ما ذكرناه وعن ابن عباس قال هضم معشب وعنه قال أبيع وبلغ وعنه قال أرتب واسترخى (وتختون من الجبال بيوتاً فارهين) تحت النجر والبرى تختمه يختمها بالكسر براه والنخاية البرابة والمخت ما يخبث به وكانوا يختمون بيوتهم من الجبال لماطالت أعمارهم وتهدم بناؤهم من المدرفان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم وفى الخطيب وكان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذا كان قوم هود وقرى قرهين قال أبو عبيدة وغيره وهم اجمعى واحداً وقره النشاط وشدة الفرح وفرق بينهما أبو عبيدة وغيره فقالوا قرهين حاذقين بنحتمها قاله ابن عباس وقيل متخيرين وقرهين بطرين أشهرين وبه قال مجاهد وابن عباس وغيره وقيل شرهين وقال الغضائلى كيديين وقال قتادة مجيبين ناعمين آمين وبه قال الحسن وقيل فرحين قاله الاخفش وقال ابن زيد أقوياء (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمرتكم به (ولا تطيعوا أمر المسرفين) اى المشركين وقيل التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على

انها كلمة هوقا نلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المنقرطين فى أمر الله تعالى وقلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة الى الدنيا المصلحة ما كان أفسده فى مدة حياته ولهذا قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا كما قال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى أحدكم الموت الى قوله والله خبير بما تعملون وقال تعالى وانذر الناس يوم يأتىهم العذاب الى قوله ما لكم من زوال وقال تعالى يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ونرذعنا من غير الذى كنا نعمل وقال تعالى ولوليتى اذا المجرموننا كسور رؤسهم عند ربهم هم ربنا أبصرنا

وسمعا فارجعنا نعمل صالحا اناموتون وقال تعالى ولو ترى اذوقوا على النار فقلوا ايالتنا ترد ولا تكذب بايات ربنا الى قوله وانهم لكانذوبون وقال تعالى وترى الظالمين لماراوا العذاب يقولون هل الى امر من سبيل وقال تعالى قالوا ربنا ائمتنا اثنتان واخيتنا اثنتان فاعترفنا بنوبنا فهل الى خروج من سبيل والاية بعدها وقال تعالى وهم يصطرون فيهاربنا اخر جتنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعلم انهم لم يتذكروا من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا للظالمين من نصير فذكر تعالى انهم يسألون الرجعة فلا فلا يجابون عند الاحتضار ويوم التشور (٣٢) ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في غمرات

عذاب الخيم وقوله ههنا كلا انها كلمة هو قائلها كلاحرف رددع وزجر أى لا ينجيه الى ما طلب ولا تقبل منه وقوله تعالى انها كلمة هو قائلها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أى لا بد أن يقولها الاحماله كل محتضر ظالم ويحتمل ان يكون ذلك علة لقوله كلا اي لانها كلمة أى سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولورد لما عمل صالحا وكان يكذب في مقاته هذه كما قال تعالى ولوردوا اعداوا لما نهم واعنه وانهم لكانذوبون قال قتادة والله ماتنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولا بان يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل فرحم الله أمره عمل فيما يتناه الكافر اذا رأى العذاب الى النار وقال محمد بن كعب القرظي حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة اذا قال الكافر رب ارجعون لعلى أعمل صالحا يقول الله تعالى كلا

المجاز الحكمي في النسبة الايقاعية والمراد الامر ثم وصف هؤلاء المسرفين بقوله (الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون) أى ذلك دأبهم يفسدون الفساد في الارض ولا يصدر منهم الصلاح بطاعة الله البتة (قالوا انما أنت من المسكرين) أى الذين أصيبوا بالسحر قاله مجاهد وقتادة وقيل المسكر هو المعلل بالطعام والشراب قاله الكلبى وغيره فيكون المسكر الذى له سكر وهو الرثة فكانهم قالوا انما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب قال الفراء أى انك تأكل الطعام والشراب وتسكبه قال المؤرج المسكر المخلوق بلغه ربيعة قال ابن عباس مسكرين مخلوقين (ما أنت الا بشر مثلنا) فكيف تدعى انك رسول البنا (فأتى بآية ان كنت من الصادقين) في قولك ودعواك (قال) صالح (هذه ناقة) أشار اليها بعدما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها قال أبو موسى الأشعري رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا في ستمين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الاول (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) أى لها نصيب من الماء ولكم نصيب منه معلوم ليس لكم أن تشربوا في اليوم الذى هو نصيبها ولا هى تشرب في اليوم الذى هو نصيبكم وهذا دليل على جواز المهياة قال الفراء الشرب الحظ من الماء قال النحاس فأما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا وأكثرها المضموم والشرب بفتح الشين جمع شارب والمراد هنا الشرب بالكسر وبه قرأ الجمهور فيه ما قرئ بالضم فيه ما والامر الثاني (ولا تسوها بسوء) أى بعقر أو ضرب أو شئ مما يسوءها وجواب النهى (فياخذكم عذاب يوم عظيم) لخلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فقعروها) يوم الثلاثاء أى عقرها قدار وضرب بالسيف في ساقها وكان ابن زناقصيراد ميمولكنهم راوضون به فأضيف اليهم (فأصبحوا نادمين) على عقرها لما عرفوا أن العذاب نازل وذلك انه أنظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامة في كل يوم وندموا حيث لا ينفع الندم لان ذلك لا يجدى عند معاناة العذاب وظهور آتاره ولان مجرد الندم ليس توبة (فأخذهم العذاب) الذى وعدهم به يوم السبت وهو أنهم في اليوم الاول أى الاربعاء قد اصغرت وجوههم ثم اجرت في الخيس ثم اسودت في الجمعة وفي قول مقاتل انه خرج في أبدانهم خراج مثل الحصى فكان في اليوم الاول أحر ثم صار من الغدا أصفر ثم صار في الثالث اسود وكان عقر الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم الاحد انفتحت فيه تلك الخراجات

كذبت وقال قتادة في قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال كان العلاء بن زياد يقول لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره وصاح الموت فاستقال ربه فاقاله ليعمل بطاعة الله تعالى وقال قتادة والله ماتنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمسية الكافر المقرط فاعملوا بها ولا قوة الا بالله وعن محمد بن كعب القرظي نحوه وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا أني حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا فضيل يعني ابن عياض عن ليث عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال اذا وضع بعنى الكافر في قبره فبى مقعده من النار قال فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحا قال فيقال قد عمرت ما كنت معمرا قال فيضيق عليه قبره ويلتمم فهو كلتمهوش ينام ويفزع

تموى اليه هوام الارض وحياتها وعقاربها وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثني سلمة بن تمام حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضی الله عنها انها قالت ويل لاهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سودا ودهم حية عند رأسه وحية عند رجليه يقصرانه حتى يلتقي في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى ومن وراءهم برزخ الى يوم يعثون وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى ومن وراءهم برزخ الى يوم يعثون وقال محمد بن كعب البرزخ ما بين الدنيا والاخرة وليسوا مع أهل

(٣٢)

الآخرة يجازون باعمالهم وقال أبو صخر البرزخ المقابر لاهم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون الى يوم يعثون وفي قوله تعالى ومن وراءهم برزخ تمديد لهؤلاء المحتضرين من الطلبة بعذاب البرزخ كما قال تعالى من وراءهم جهنم وقال تعالى ومن وراءه عذاب غليظ وقوله تعالى الى يوم يعثون أى يستمر به العذاب الى يوم البعث كما جاء في الحديث فلا يزال معذب فيها الى في الارض (فاذا انفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلقح وجوههم النار وهم فيها كالحون) يخبر تعالى انه اذا انفخ في الصور نفخة النشور وقام الناس من القبور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون أى لا تنفع الانساب يومئذ ولا يرثى والد لولده ولا يولى عليه قال الله تعالى ولا يسأل حيم حيم يصرونهم أى لا يسأل القريب عن قريبه وهو يبصره ولو كان عليه من الاوزار

وصاح عليهم جبريل صيحة فهاقوا بالامر ين وكان ذلك سخوة وقد تقدم تفسير قوله (ان في ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين) وفيه ايماء بانه لو آمن أكثرهم وأسطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصوا من مثله ببركة من آمن منهم (وان ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها أيضا في هذه السورة (كذبت قوم لوط المرسلين) ذكر سبحانه القصة السادسة من قصص الانبياء مع قومهم وهي قصة لوط وقد تقدم تفسير قوله (اذ قال لهم أخوهم لوط) أى في البلد والسكنى والتجاور في القرية لاني الدين ولا في النسب لانه ابن أخي ابراهيم وهما من بلاد المشرق من أرض بابل (الأتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أنأتون) أى أنسكحون (الذكران) جمع الذكرد الانثى وهم بنو آدم وكل حيوان (من العالمين) أى من الناس وقد كانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدم في الاعراف (وتذرون) تتركون (ماخلق) أى اصلى وأحل وأباح (لكم ربكم) لاجل استماعتكم به (من أرواحكم) المراد بهن جنس الاناث وقال مجاهد تركتم اقبال النساء الى اقبال الرجال وأدبار النساء وعن عكرمة نحوه وفيه دليل على تحريم أدبار الزوجات والمملوكات قال النسفي ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) أى مجاوزون للعدى في جميع المعاصى ومن جلت هذه المعصية التى تركتموها من الذكران (قالوا لئن لم تنته لوط) عن الانكار علينا وتقيح أمرنا (لنتكون من المخرجين) من بلدنا المنفيين عنها ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال انى لعلمكم) وهو ما أنتم فيه من اتيان الذكران (من القالين) أى من المبعضين له والقليل البغض الشديد كأنه يقلى القواد يقال قلبته قلبه قلى وقلاء وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاءه من حيث الدين ثم رغب عليه السلام عن محاورتهم وطلب من الله عز وجل ان ينجيه فقال (رب نجني وأهلى مما يعملون) أى من عملهم الخبيث أو من عقوبته التى ستصيدهم فأجاب الله سبحانه دعاءه فقال (فحينئذ وأهله) أى أهل بيته ومن تابعه على دينه (أجمعين العجوزا) هى امرأ لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتهار فى هذا الاسم وان لم تشاركهم فى الايمان (فى الغابرين) أى من الباقيين فى العذاب وقال

(٥ - فتح البيان سابع) ماقد أثقل ظهره وهو أعز الناس عليه كان فى الدنيا ما لتفت اليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة قال الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنية الآية وقال ابن مسعود اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين ثم نادى مناد الا من كان له مظلة فليجيء يأخذ حقه قال فينفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وان كان صغيرا ومصادق ذلك فى كتاب الله قال الله تعالى فاذا انفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون رواه ابن أبى حاتم وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن عبد الله بن رافع عن

المسور هو ابن مخزوم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها وينشطني ما ينشطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة الانسبي وسبي وصهرى وهذا الحديث له أصل في الصحاحين عن المسور بن مخزوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يربني ما رابها ويؤذي ما آذاها وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا زهير عن عبد الله بن محمد عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر ما بال رجال يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٤) لا تنفع قومه بلى والله ان رحى موصولة في الدنيا والآخرة وانى أيها

الناس فرظلكم اذا جئتم قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فاقول لهم أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدتم بعدى وارتدتم القهقري وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه رضي الله عنه انه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال أما والله ما لي الا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب فانه منقطع يوم القيامة الا سبي ونسبي رواه الطبراني والبخاري والهيثم بن كليب والميهقي والخافظ الضيافي الخنارة وذكر انه أصدقها أربعين ألفا عظاما واكرما رضي الله عنه فقد روى الخافظ ابن عساكر في ترجمة أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي القاسم بن البغوى حدثنا سليمان بن عمر بن الاقطع حدثنا ابراهيم بن عبد السلام عن ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبي وصهرى وروى

أبو عبيدة من الباقيين في الهرم أي بقيت حتى هربت قال النخاس يقال للذاهب عابر وللباقى غابر والاغباء بقية الالبان وتقول العرب ماضى وما غبر أى مابى قال قتادة هي امرأة لوط غبرت في عذاب الله (ثم دمرنا الاخرين) أى أهل كآتهم بالخسف والحصب ويقلب قراهم عليهم وجعل عاليها سافلها (وأمطرنا عليهم) أى على من كان منهم ذلك الوقت خارج القرى لسفرا وغيره (مطرا) يعنى الحجارة وقيل الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين) المخصوص بالنم محذوف والتقدير مطرهم ولم يردهم وما باعيا منهم بل جنس الكافرين وقد تقدم تفسير قوله (ان في ذلك الآية وما كان أكثرهم مؤمنا وان ربك لهو العزيز الرحيم) في هذه السورة (كذب أصحاب الايكة المرسلين) الايكة الشجر الملتف وهي الغيضة وقرى ليكة بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسما غير معروف بالاضافة اليه أصحاب وليكة اسم للثرى وآنسكوه الرخنثرى وهو غير جيد وقيل هما معنى واحد اسم للغيضة قال القرطبي فاما ما حكاه أبو عبيد من ان ليكة اسم القرية التى كانوا فيها وان الايكة اسم البلد فكفى لم يثبت ولم يعرف من قاله ولو عرف لكان فيه نظر لان أهل العلم جميعا على خلافه قال أبو علي الفارسي الايكة تعرف أيكه فاذا حذفت الهمزة مخفيا أقيت حركتها على اللام قال الخليل الايكة الغيضة نبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر قال مجاهد ليكة هي الايكة وقد وقع لفظ الايكة في القرآن أربع مرات في الحجر وفي ق وما هنا وفي ص والاولان بال والجر والآخر ان يقرآن بال وبالجر ويحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وفتح الهاء مع ان الكل مجرورات باضافة لفظ أصحاب اليها وقال ابن عباس كانوا أصحاب غيضة من ساحل البصرة الى مدين (اذ قال لهم شعيب الاتقون) ولم يقل أخوهم كما قال في الانبياء قبله لانه لم يكن من أصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيبا لانه كان منهم وقدمضى تحقيق نسبة في الاعراف وبعث الله شعيبا الى أمتين أصحاب الايكة وأهل مدين فأهلك الله أصحاب الايكة بالظلمة وأما أهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا أجمعين (الى ليكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) وانما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لانها فهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أو فوا الكيل) أى

فيها من طريق عمار بن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو وهو فوا عسا لت ربى عز وجل ان لا تزوج أموه الى أحد من أمتى ولا يترزوج الى أحد منهم الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك ومن حديث عمار بن سيف عن اسمعيل عن عبد الله بن ابن وقوله تعالى فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون أى من رحمت حسناته على سيئاته ولو لو واحدة قاله ابن ابن عباس فأولئك هم المفلحون أى الذين فازوا فنجوا من النار وادخلوا الجنة وقال ابن عباس أولئك الذين فازوا بما طلبوا ونجوا من شر ما نهى ربوا ومن خفت موازينه أى ثقلت موازينه على حسناته فأولئك الذين خدروا أنفسهم أى خابوا

وهلكوا وفازوا بالصفة الخاسرة قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسمعيل بن الحرث حدثنا داود بن المخبر حدثنا صالح المري عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس بن مالك رفعه قال ان الله ملككم وادبكم بالميزان فيؤتى بآدم فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا السناد ضعيف فان داود بن المخبر ضعيف متروك ولهذا قال تعالى في جهنم خالدون أى ما كانوا مقيمون فلا يظعنون تلفح وجوههم (٣٥) النار كما قال تعالى وتغشى وجوههم النار وقال

تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان الاصمغاني عن ابى سنان فرار بن مرة عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جهنم لما سقى لها أهلها اتلفهاهم لجهنم تلفحهم لفحة فلم يبق لهم لحم الا سقط على العرقوب وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزاز حدثنا الخضر بن علي بن يونس القطان حدثنا عمرو بن أبي الحرث ابن الخضر القطان حدثنا سعيد بن سعيد المقبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى تلفح وجوههم النار قال تلفحهم لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم وقوله تعالى وهم فيها كالخون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعنى عابسون وقال الثوري عن ابى اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود وهم فيها كالخون قال ألم تر الى الرأس المشيط الذى قد بدا

أتمولن أرادوه وعامل به (ولا تكونوا من الخسرين) أى الناقصين للكيل والوزن يقال أخسرت الكيل والوزن أى نقصته ومنه قوله تعالى واذا كلوهم أو وزنوهم يخسرون قال النسفي الكيل واف وهو مأثور به وطفيف وهو منهى عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركة دليل على انه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه ثم زاد سبحانه في البيان فقال (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أى أعطوا الحق بالميزان السوى وقد مر بيان تفسيره في سورة سبحان وقرئ القسطاس مضموم القاف ومكسورا وهى الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلان والافه ورباعى (ولا تحسوا الناس أشياءهم) الجنس النقص يقال بخسه حقه اذا نقصه أى لا تمتصوا حقوقهم التى لهم وهذا تعميم بعد التخصيص وقيل دراهمهم ودينارهم بقطع أطرافها وقد تقدم تفسيره في سورة هود وتقدم أيضا تفسير (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فيها وفي غيرها أى لا تبالغوا فيها بالفساد نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزرع وكانوا يفعلون ذلك فهو اعنه يقال عثا فى الارض اذا أفسدوا به ما وعنى بالكسر وعنى بفتحها يوزن فتى قال الازهرى القراء كلهم متفقون على فتح الراء وقد دل على ان القرآن نزل باللغة الثانية وفي القاموس عنى كسعى ورمى ورضى (واتقوا) الله (الذى خلقكم) أى من نطفة واعداءكم أهون شئ عليه وأشار الى ضعفهم وقوته من كان قبلهم بقوله (والجبل الاولين) الذين أهلوا والمعاصى كقوم لوط كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة قرئ الجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ بضمهما وتشديد اللام وقرئ بفتح الجيم مع سكن الباء والجبل الخلقه قاله مجاهد وغيره يعنى الامم المتقدمة يقال جبل فلان على كذا أى خلق قال النحاس الخلق يقال له جبله بكسر الخرفين الاولين وضمهما مع تشديد اللام فيهما او بضم الجيم وسكن الباء وضمه وفتحها قال الهروي الجبله والجبله والجبل لغات وهو الجمع والعدد الكثير من الناس ومنه قوله تعالى جبلا كثيرا أى خلقا كثيرا (قالوا انما أنت من المسحرين) أى من الخلقين (وما أنت الا بشر مثلنا) ادخل الواو هنا فيفسد معنيين كلاهما مناسف للرسالة عندهم التسخير والبشرية يعنى ان كلامهم ما كفى فكيف اذا اجتمعوا وترك الواو في قصة عمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا وقد تقدم تفسيره في هذه السورة (وان نظنك لمن الكاذبين) فيما تدعيه علينا من الرسالة

اسنانه رقصت شفته وقال الامام أحمد رحمه الله أخبرنا على بن اسحاق أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك رحمه الله أخبرنا سعيد بن زيد عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالخون قال تشويه النار فقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرة ورواه الترمذى عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك به وقال حسن غريب (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكافوا ماضين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) هذا تقرير من الله وتوبيخ لاهل النار على ما ارتكبوه من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم التى أوبقتهم فى ذلك

فقال تعالى ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون اى قد ارسلت اليكم الرسل وانزلت اليكم الكتب واذا ت شهبكم ولم يبق لكم حجة كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى كلما آتينا قومهم فاجح سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير الى قوله فصحقا لاصحاب السعير ولهذا قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوم خالين اى قد قامت علينا الحجة ولكن كما شق من ان نتقادلها وتبعها فضلا عنها ولم نرزقها ثم قالوا ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اى اردونا الى الدنيا فان عدنا الى ما سلف منا (٣٦) فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قال فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج

من سبيل الى قوله فالحكم لله العلى الكبير اى لا سبيل الى الخروج لانكم كنتم تشركون بالله اذا وحده المؤمنون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذرى وكنتم منهم تضحكون اى جزيتهم اليوم بما صبروا وانهم هم الفائزون هذا جواب من الله تعالى للكفار اذا سألوا الخروج من النار والرجعة الى هذه الدار يقول اخسئوا فيها اى امكثوا فيها صاغرين مهاتين اذلاء ولا تكلمون اى لا تعودوا الى سوالكم هذا فانه لا جواب لكم عندى قال العوفي عن ابن عباس اخسئوا فيها ولا تكلمون قال هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبدة بن سليمان المروزي حدثنا عبدة بن المبارك عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن ابي ايوب عن عبد الله بن عمرو قال ان اهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ما كنتم

وقيل ما نطق الامن الكاذبين والاول اولى (فاسقط علينا كسفا) كان شعيب عليه السلام يتوعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فقالوا له هذا القول تعنتا واستبعادا وتعجيزا قال ابو عبيد الكسيف جمع كسفة مثل سدروسدرة قال الجوهري الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطى كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف وقدمضى تحقيق هذا فى سورة سبحان (من السماء) اى السحاب والظلمة (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال ربى اعلم بما تعملون) من الشرك والمعاصى فهو مجاز يكتم على ذلك ان شاء وفى هذا تهديد شديد (فكذبوه) فاستمروا على تكذيبه وادبروا على ذلك (فأخذهم عذاب يوم الظلة) هى السحاب اقامها الله فوق رؤسهم فامطرت عليهم نارا فهل كوا وقد اصابهم الله بما اقترحوه لانهم ان ارادوا بالكسف القطعة من السحاب فظلموا ان ارادوا بها القطعة من السماء فقد نزل عليهم العذاب من جهتها قال ابن عباس ارسل الله اليهم بمومنان جهنم فاطاف بهم سبعة ايام حتى انضجهم الحرقميت بيوتهم وغلقت مياههم فى الآبار والعيون فخرجوا من منازلهم ومحلهم هار بين والسموم معهم فسلط الله عليهم الشمس من فوق رؤسهم فغشيتهم حتى تعلقت فيها جاجهم وسلط الله عليهم الرضاء من تحت أرجلهم حتى تساقط لحم أرجلهم ثم نشأت لهم ظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها اتدروها ويتغشون بظلمتها حتى اذا كانوا جاعا اطبقت عليهم فهل كوا ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه وعنه أيضا انه سئل عن قوله فأخذهم عذاب الى آخره فقال فخرجوا من البيوت هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاطبقتهم من الشمس فوجدوا الهابردا ولذة فسادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها اسقط الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة وعنه قال من حدثت من العلماء عذاب يوم الظلة فكذبته اقول فانه يقول له رضى الله عنه فى ما حدثنا به من ذلك مما نقلناه عنه ههنا وقد رواه عنه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وغيرهم ويمكن ان يقال انه لما كان هو البحر الذى علمه الله تأويل كتابه بدعوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كان محتصا بعرفة هذا الحديث دون غيره من أهل العلم فى حديث مجدي عذاب يوم الظلة على وجه غير هذا الوجه الذى حدثنا به فقد وصانا بتكذيبه لانه قد علم ولم يعلم غيره والله أعلم وأضف العذاب الى يوم الظلة لا الى الظلة تنبيه على ان لهم فى ذلك اليوم عذابا غير عذاب يوم الظلة (١) كذا قيل ثم وصف سبحانه

قال هانت دعوتهم والله على مالكا ورب مالكا ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوم خالين ربنا هذا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فواته ما ينس القوم بعد بكلمة واحدة وما هو الا الزفير والشهيق فى نار جهنم قال فشبته اصواتهم بأصوات الجمر وألهازفير وآخرها شهيق وقال ابن ابي حاتم أيضا حدثنا اجد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء قال قال عبد الله بن مسعود اذا اراد الله تعالى ان لا يخرج منهم أحدا يعنى من جهنم غير وجودهم وألوانهم فيجئ الرجل من المؤمنين فيشذع (١) قوله غير عذاب يوم الظلة كذا بالاصل الذى يابدين وانظره اه صححه

فيقول يا رب فيقول الله من عرف احدا فليخرج فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف احدا فيناديه الرجل يا فلان انا فلان
 فيقول ما عرفك قال فعند ذلك يقولون في النار ربنا اخرجنا منها فان عدنا فلانا فلان المؤمنون فعند ذلك يقول الله تعالى اخسئوا فيها
 ولا تكلمون فاذا قال ذلك اطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم احد ثم قال تعالى مذكر الهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده
 المؤمنين وأوليائه فقال تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا ائمتنا فاعفرتنا وارحمتنا وانت خير الراحمين فاتخذتوهم سخريا
 أي فسخرتهم منهم في دعائهم اياي وتضرعهم الي حتى انسوكم ذكري (٣٧) أي جعلكم بغضهم على ان نسيت معاملتي

وكنتم منهم تفتخرون أي من
 صنعهم وعبادتهم كما قال تعالى ان
 الذين أخرجوا كانوا من الذين
 آمنوا يضحكون واذا مروا بهم
 يتغامضون أي يلزومهم استهزاء ثم
 اخبر تعالى عما جازى به اولياءه وعباده
 الصالحين فقال تعالى اني جزيتهم
 اليوم بما صبروا أي على اذا كملهم
 واستهزأتكم بهم انهم هم الفائزون
 أي جعلتهم هم الفائزين بالسعادة
 والسلامة والجنة والنجاة من النار
 قال كم لبثتم في الارض عدد سنين
 قالوا البتة ياوما أو بعض يوم فاسأل
 العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو
 انكم كنتم تعلمون احسبتم انما
 خلقناكم عبثا وانكم الينا
 لاترجعون فتعالى الله الملك الحق
 لا اله الا هو رب العرش الكريم
 يقول تعالى منها لهم على ما أضعوه
 في عرهم القصص يري في الدنيا من
 طاعة الله تعالى وعبادته وحده ولو
 صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفاضوا
 كما فاض اولياءه المنتقون قال كم لبثتم
 في الارض عدد سنين أي كم كانت
 اقامتكم في الدنيا قالوا البتة ياوما
 أو بعض يوم فاسأل العادين أي

هذا العذاب الذي أصابهم بقوله (انه كان عذاب يوم عظيم) لما فيه من الشدة عليهم
 التي لا يتبادر قدرها وقد تقدم فقوله (ان في ذلك لآية وما كان آسئراهم
 مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) في هذه السورة مستوفى فلانه قد تقدم
 الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهو قد أغنى عن الاعادة هنا في هذا التكرير
 لهذه الكلمات في آخر هذه القصص السابع من التثديد والزر والتقرير والتأكيدها
 يخفى على من يفهم واقع الكلام ويعرف أساليبه وقال النسفي قد كرر في هذه السورة في
 أول كل قصة وآخرها ما كرر تقرير المعاني في الصدور وليكون أبلغ في الوعظ والزر
 ولان كل قصة منها كتبت برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة
 بان تفتح بما افتتحت به صاحبها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) الضمير يرجع الى ما نزل
 عليه من الاخبار أي وان هذه الاخبار أو وان القرآن وان لم يجزله ذكرا له وبه قال
 قتادة (لتنزيل رب العالمين) أي فليس بشعر ولا بحر ولا أساطير ولا غير ذلك مما قالوه فيه
 (نزل) قرى مخفقا ومشددا (به الروح الامين) هو جبريل كما في قوله قل من كان عدوا
 لجبريل فانه نزل على قلبك وبه قال قتادة وابن عباس وعنه مرفوعا قال الروح الامين
 جبريل رأيت له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها فيها مثل ريش الطاووس أخرجه
 أبو الشيخ وسماه روحا لانه خلق من الروح وسماه آمينا لانه مؤتمن على وحيه لانيائه
 (على قلبك) أي انه تلاه على قلبك حتى تعبه وتفهمه ولا تنساه ووجه تخصيص القلب
 انه اول مدرك من الحواس الباطنة قال الكرخي خصه بالذكري ليوكد ان ذلك المنزل
 محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغير ولان القلب هو مخاطب في الحقيقة
 لانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه القرآن
 والحديث والمعقول اما القرآن فتعوله تعالى ان في ذلك لذكر لمن كان له قلب والحديث
 قوله صلى الله عليه وآله وسلم ألوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا
 فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجاه في الصحيحين واما المعقول فان القلب
 اذا غشى عليه وقطع سائر الاعضاء لم يحصل له شعور واذا فاق القلب شعر بجميع ما ينزل
 بالاعضاء من الافات وبجارية الخازن ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم
 والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر الاعضاء فيكون القلب

الحاسين قال ان لبثتم الا قليلا أي مدة يسيرة على كل تقدير لو انكم كنتم تعلمون اي لما آثرتم الفاني على الباقي ولما تصرفتم لانفسكم
 هذا التصرف السيئ ولا استحققتهم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة فلوانكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لفترتم
 كما فاضوا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يونس حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن أبي نعيم بن عبد الكلاعي انه سمعه يخاطب
 الناس فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يا أهل الجنة كم لبثتم في الارض
 عدد سنين قالوا البتة ياوما أو بعض يوم قال نعم ما تجرت في يوم أو بعض يوم رجتي ورضواني وحتي امكثوا فيها خالدين ثم

في اذنه فأخبره فقال له انهم اذا قرئت في اذنه أحرقت ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وروى أبو نعيم من طريق خالد بن بزارة عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن أبيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا ان نقول اذا نحن أمسينا وأصبحنا أن نحسبتم انما خلعناكم عبثا وانكم امينالا ترجعون قال فقرأناها فغفنا وسلمنا وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا اسحق بن وهب العلاف الواسطي حدثنا أبو المسيب سالم بن سلام حدثنا بكر بن حبيش عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن (٣٩) مزاحم عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم أمان أمتي من الغرق اذا ركبو السفينة بسم الله الملك الحق وما قدره الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم (ومن يدع مع الله الها آخر لابرهان له فانهما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) يقول تعالى متوعدا من اشرك به غيره وعبد معه سواه وخبر ان من اشرك بالله لابرهان له أي لا دليل له على قوله فقال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لابرهان له به وهـ ذه جلة معترضة وجواب الشرط في قوله فانهما حسابه عند ربه أي الله يحاسبه على ذلك ثم اخبر انه لا يفلح الكافرون أي لذي يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجات قال قتادة ذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل ما تعبد قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عد أصناما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فايهم اذا أصابك ضرر فدعوته كشفه عنك قال الله عز وجل

(ولو زلناهم) أي هذا القرآن على الصفة التي هو عليها (على بعض) رجل من (الاجميين) جمع أجمي قاله صاحب التحرير أو جمع أجم قاله ابن عطية يقال رجل أجمي وأجمي اذا كان غير فصيح اللسان وان كان عربيا ورجل أجمي اذا كان أصله من العجم وان كان فصيحيا الا ان الفراء أجاز ان يقال رجل أجمي بمعنى أجمي وقرئ على بعض الاجميين على الاصل وقال الزمخشري الاجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة أو استعجاب والاجمى مثله الا أن فيه زيادة النسب نو كيدا (فقرأه عليهم) قراءة صحيحة (ما كانوا مؤمنين) انفق من اتباعه مع انضمام اعجاز القراءة من الرجل الاجمى للكلام العربي أي القرآن أو المعنى أن الاجمى لا يتهم بكسابه أصلا ولا باختراعه لفقده الفصاحة فيه ولكونه ليس لغته وقيل المعنى ولو زلناهم على بعض الاجميين بلغته العجم فقرأه عليهم بلغته لم يؤمنوا به وقالوا ما نفقه هـ ذوا ولا نفقههم ومثله هـ ذاقوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أجميا لقالوا لولا فصلت آياته وهذه الشرطية لا تستلزم الوقوع (كذلك) أي مثل ذلك السلوك (سلوكه) أي أدخلنا القرآن (في قلوب الجرمين) أي كفار مكة بقراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى فهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه معجز وقال الحسن وغيره سلكت الشرك والتكذيب في قلوب الجرمين وقال عكرمة سلكت القسوة والاول أولى لان السياق في القرآن وفيه حجة على المعتزلة في خالق افعال العباد خيرا وشرها (لا يؤمنون به) أي بالقرآن (حتى يروا العذاب الاليم) أي الى هذه الغاية وهي مشاهدتهم للعذاب الاليم والمراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينفعهم والجملة مستأنفة أو حالية (فيأتيهم) أي العذاب (بغمة) أي جأمة والماء للترتيب الربوبي دون الزماني كما في الكشف والمعنى حتى يروا العذاب فما هو أشد من رؤيته وهو حوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سوء الهم الاضمار مع القطع بامتناعه كما يأتي (وهم) أي والحال انهم (لا يشعرون) باتيانهم وقرأ الحسن فتأتيهم بالفوقية أي الساعة وان لم يتقدم لها ذلك لانه قد دل العذاب عليها فهو (فوقه) أي لو اهل محن منظرون) أي مؤخرون ومهلون عن الهلاك ولو طرفة عين لمؤمن قالوا هذا تحسر اعلى ما فات من الايمان وطمعاني المحال وهو امها لهم بعد محي العذاب وتنبأ للرجعة الى الدنيا الاستدراك ما فرط منهم فيقال لهم لا تاخير ولا امهال وقيل المراد بقولهم هذا الاستعجاب للعذاب على طريقة الاستهزاء لقوله (أفبعذا بنا يستعجبون)

قال فما يحملك على ان تعبد هؤلاء مع ما حسبت ان تغلب عليه قال أردت شكره بعبادة هؤلاء معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون ولا يعلمون فقال الرجل بعد ما سلم نقيت رجلا خصمني هذا مرسل من هذا الوجه وقدرى أبو عيسى الترمذي في جامعه مسندا عن عمران بن الحصين عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وقوله تعالى وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين هذا ارشاد من الله تعالى الى هذا الدعاء فالغفر اذا اطلق معناه نحو الذنب وستره عن الناس والرجة معناه ان يسدده ووقفه في الاقوال والافعال آخر نفس سورة المؤمنون * (نفس سورة النور وهي مدينة) *

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يقول تعالى هذه سورة انزلناها فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينبي ما عداها وفرضناها قال مجاهد وقتادة اي بينا الحلال والحرام والامر والنهي والحدود وقال البخاري ومن قرأ فرضناها يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم وانزلنا فيها آيات بينات اي مفسرات واضحات لعلكم تذكرون (٤٠) ثم قال تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يعني هذه

ولا يخفى ما في هـ ذامن البعد والمخالفة للمعنى الظاهر فان معنى هل نحن منظر ونظرون طلب النظر والامهال واما قوله افعذابنا الخ فالمراد به الرد عليهم والانكار لما وقع منهم من قولهم امطر علينا حجارة من السماء او اتنا بعذاب اليم وقولهم فانتنا بعتنا بعدنا حيث استجبوا ما فيه ضررهم وحتف انفسهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي يكون حالهم كاذ كرمند نزول العذاب فيستجبون به وبينهما من التساني ما لا يخفى على احد او يغفلون عن ذلك مع تحققة وتقرره فيستجبون وتقديم الظرف لرعاية الفواصل (أفرايت) الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام ومعنى رأيت اخبرني والخطاب لكل من يصلح له (ان متعناهم سنين) في الدنيا متطاولة وطولنا لهم الاعمار (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب والهلاك (ما أعنى عنهم ما كانوا يتعون) اي اي شئ او اي اغناء أعنى عنهم كونهم متمتعين ذلك التمتع الطويل المديد والاستفهام للانكار التقريري وما في ما كانوا مصدرية أو موصولة وقيل ما الاولى نافية والثانية مصدرية اي لم يغن عنهم متمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتحقيقه وقرئ يتعون من أمتع الله زيدا بكذا وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمي لقاؤه فقال له عطفي فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرأها عند جلوسه للعلم (وما أهلكم من قرية الا الهامسذرون) من هزيمة للتأكيدي وما أهلكم اقر به من القرى الا بعد الانذار والاعذار بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب (ذكري) بمعنى تذكرة اي يذكرون ذكري قال النحاس وهذا قول صحيح لان معنى الهامسذرون الهامد كرون او التقدير انذارنا ذكري او ذلك ذكري قال ابن الانباري هي ذكري او نذركم ذكري وقيل يندرونهم ذكري تذكرة ولاجل التذكرة وبه صرح أبو البقاء اي تنذروهم لاجل تذكيرهم بالعواقب وقد ربح الاخفش انها خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية (وما كاطلمين) في تعذيبهم وليس من شأننا الظلم وقد قدمنا الحجة اليهم وأنذرناهم وأعدنا اليهم (وما تنزلت به) أي بالقرآن (الشياطين) وقرئ بالواو والنون اجراء له مجرى جمع السلامة قال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين قال المبرد وهذا غلط من العلماء وبه قال النجاشي وقال المؤرج ان كان الشيطان من شاط يشيط كان لهذه القراءة وجه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا

الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد وللعلماء فيه تفصيل ونزاع فان الزاني لا يخلو اما ان يكون بكرا وهو الذي لم يتزوج او محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فاما اذا كان بكرا لم يتزوج فان حده مائة جلدة كافي الآية ويزاد على ذلك ان يغرب عاما عن بلده عند جهور العلماء خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان عنده ان التغرب الى راي الامام ان شاء غرب وان شاء لم يغرب ووجه الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحاحين من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الاعرابيين اللذين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله ان ابني هذا كان عسيفا يعني اجيرا على هذا فنزنا به اياه فاقنيت ابني منه بمائه شاة ووليدته فسألت اهل العلم فاخبروني ان علي ابني جلدة مائة وتغريب عام وان علي امرأة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده

لا قضين بينكم بكاب الله تعالى الواحدة والغنم رد عليكم وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام واغديا نيس بساتين لرجل من اسلم الى امراته فان اعترفت فارجهما فعدا عليها فاعترفت فرجهما وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلدة مائة اذا كان بكرا لم يتزوج فاما اذا كان محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فانه يرحم كما قال الامام مالك حدثني ابن شهاب اخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان ابن عباس اخبره ان عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناهها ورجم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده فأخشى ان يطول بالناس زمان ان يقول قائل لا نجد آية الرجم في كتاب الله فمضوا
 بتركه فبعضه قد أنزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف
 أخرجه في الصحاحين من حديث مالك مطولا وهذا قطعة منه فيما مقصودنا ههنا وروى الامام أحمد عن هشيم عن الزهري عن
 عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حدثني عبد الرحمن بن عوف ان عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعه يقول ألا وان أناسا
 يقولون ما لرجم في كتاب الله وانما فيه الجلد وقد رجم رسول الله صلى الله (٤١) عليه وسلم ورجنا بعده ولولا ان يقول

قائل أو يتكلم متكلم ان عمر زاد في
 كتاب الله ما ليس منه لاثبتها كما نزلت
 وأخرجه النسائي من حديث
 عبيد الله بن عبد الله به وقد روى
 الامام أحمد أيضا عن هشيم عن علي
 ابن زيد عن يوسف بن مهران عن
 ابن عباس قال خطب عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه فذكر الرجم
 فقال انما لا نجد من الرجم بدافاته
 حدم من حدمود الله تعالى الا وان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 رجم ورجنا بعده ولولا ان يقول
 قائلون ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس
 فيه لكتب في ناحية من المحصف
 وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن
 ابن عوف وفلان وفلان ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قد رجم
 ورجنا بعده الا انه سيكون قوم
 من بعدكم يكذبون بالرجم
 وبالشفاعة وبعباد القبر ويقوم
 يخرجون من النار بعدما امتحشوا
 وروى أحمد أيضا عن يحيى القطان
 عن يحيى الانصاري عن سعيد بن
 المسيب عن عمر بن الخطاب اياكم
 أن تهلكوا عن آية الرجم الحديث
 رواه الترمذي من حديث سعيد

بساتين من ورا ثم يساقون وهذا رد لما زعمه الكفرة في القرآن انه من قبيل ما تلقيه
 الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين فلا يكون سحرا
 أو كهانة أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون (وما ينبغي لهم) ذلك وما يصح منهم ولا
 يصلح أن ينزلوا به (وما يستطيعون) ما نسيه الكفار اليهم أصلا ولا يمتكنهم (انهم عن السمع)
 للقرآن أول الكلام الملازمة (المعزولون) أي المحجوبون مرجعون بالشبه ثم لاقى الله
 سبحانه حقيقة القرآن وانه منزل من عنده أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بدعاء الله وحده
 فقال (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذنين) ان فعلت ذلك الذي دعوك اليه
 وخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا مع كونه منزها عنه معصوما منه لحث العباد
 على التوحيد ونهيهم عن شوائب الشرك وكانه قال أنت أكرم المخلوق علي وأعزهم عندي
 ولواتخذت معي الها العذبتك فكيف بغيرك من العباد قال في حاشية الجمل الخطاب له
 والمقصود غيره (وأندرعشيرتك الاقربين) خصهم لان الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم
 الى الحق أقدم فيسئلهم قريش وقيل بنو عبد مناف وقيل بنو هاشم وقد ثبت في البخاري
 ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم قريشا وعم وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم
 ضرا ولا نفعا يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا
 ولا نفعا يا معشر بني قصى أنقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا
 يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر
 بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا يا فاطمة بنت
 محمد أنقذي نفسك من النار فاني لأملك لك ضرا ولا نفعا ألا أن لكم رجلا سابلها
 يبلاها وفي الباب أحاديث من طريق جماعة من الصحابة فذلك منه صلى الله عليه وآله
 وسلم بيان للعشيرة الاقربين وانداره لهم جهارا (واخفض جناحك) أي جانبك يقال
 خفض جناحه إذا ألانه وفيه استعارة حسنة والمعنى ألن جناحك وتواضع (لمن أتبعك
 من المؤمنين) الموحدين من عشيرتك وغيرهم وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم
 (فان عصوك) أي خالفوا أمرتك ولم تبعوك (فقل) لهم (انني بري مما تعملون) أي من
 عملكم أو من الذي تعملونه من عبادة غير الله وهذا يدل على أن المراد بالمؤمنين المشارفون

(٦ - فتح البيان سابع) عن عمرو قال صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا
 يزيد بن زريع حدثنا ابن عوف عن محمد بن سيرين قال ابن عمر بنبت عن كثير بن الصلت قال كاعند مروان وفينا زيد فقال زيد
 ابن ثابت كأنقرأ الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة قال مروان ألا كتبتهما في المحصف قال ذكرا ذلك وفينا عمر بن الخطاب
 فقال أنا أشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكرا وكذا ذكرا فأناه فذكرا
 ذلك الرجل الرجم فقال يا رسول الله اكتب آية الرجم قال لا أستطيع الا أن هذا أو نحو ذلك وقد روى النسائي من حديث محمد

ابن المثنى عن غندر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به وهذه طرق كلها متعددة متعاضدة
ودالة على ان آية الرجم كانت مكتوبة فتم نسخ تلاوتها وبقي حكمها معمولاً به والله أعلم وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم
هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الاجير لما زنت مع الاجير ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عزاوا الغامدية وكل هؤلاء
لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جلدهم قبل الرجم وانما وردت الاحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والالفاظ
بالاقتصار على رجمهم وليس فيها ذكر الجلد (٤٢) ولهذا كان مذهب جمهور العلماء واليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي

للإيمان المصدقون باللسان لان المؤمنين الخالص لا يعصونه ولا يخالفونه ثم بين له ما يعتد
عليه عند عصيانهم له فقال (وتوكل على العزيز الرحيم) أى فوض جميع أمورك اليه
فانه القادر على قهر الاعداء وهو الرحيم للاولياء قري فتوكل بالفاء والواو وهم اقراءتان
سبعينتان فعلى الاولى يكون ما بعدها كالجزء مما قبلها مترتباً عليه وعلى الثانية يكون
ما بعد الواو معطوفاً على ما قبلها اعطف جملته على جملة من غير ترتيب (الذي يراك حين
تقوم) الى الصلاة وحده منفرداً فى قول أكثر المفسرين وقال مجاهد حين تقوم حينما
كنت (وتقلبك فى الساجدين) المصلين أى ويراك ان صليت فى الجماعة كما وقاماً
وساجداً كذا قال أكثر المفسرين وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة رجهما الله هل تجب
الصلاة بالجماعة فى القرآن قال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية وقيل يراك فى أصلاب
الرجال الموحدين من نبي الى نبي من لدن آدم وحواء الى عبد الله وامنة حتى أخرجك فى
هذه الامة فجميع أصوله رجالا ونساء مؤمنون وأورد على هذا آراء ابراهيم فانه كافر
بمقتضى الآيات وأجاب بعضهم بأنه كان عم ابراهيم لأباه وفيه ضعف بين وأجاب بعضهم
ان قولهم أصول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخلهم الشرك محله مادام النور المجدى
فى الذكر وفى الاثني فاذا اتقل منه لمن بعده أمكن ان يعبد غير الله وأزرماعبد الاصنام
الابعد اتقال النور منه لبراهيم وأما قبل اتقاله فلم يعبد غير الله قاله الحنفى واوى وقيل
المراد بقوم قيامه الى التهجيد وبالتقلب تردده فى تفحص أحوال المجتهدين فى العبادة
وتقلب بصره فيهم كذا قال مجاهد قال ابن عباس تقلبك أى قيامك وركوعك وسجودك
وعنه قال يراك وأنت مع الساجدين تقوم وتقعدهم معهم وعنه قال كان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم اذا قام الى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ومنه الحديث فى
الصحيحين وغيره ما عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل ترون
قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم وانى لأراكم من وراء ظهري (انه
هو السميع) لما تقوله (العليم) به ثم أكد سبحانه معنى قوله وما تنزلت به الشياطين وبينه
فقال (هل أتيتكم) يا كفار مكة (على من تنزل الشياطين) أى تنزل خذف احدى
التامين وفيه بيان اسمالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (تنزل
على كل أفاك أثيم) الأفاك الكثير الافك والاثيم كشيء الاثم والمراد به كل من كان كاهنا

رجهم الله وذهب الامام أحمد
رجه الله الى انه يجب ان يجمع على
الزاني المحسن بين الجلد للآية
والرجم للسنة كما روى عن أمير
المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله
عنه انه لما أتى بسراحة وكانت قد
زنت وهى محصنة فجلدها يوم
الخميس ورجها يوم الجمعة فقال
جلدها بكتاب الله ورجها بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد روى الامام أحمد وأهل السنن
الاربعة ومسلم من حديث قتادة
عن الحسن بن عطاء بن عبد الله
الرقاشى عن عبادة بن الصامت
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل
الله لهن سييلا البكر بالبكر جلد
مائة وتغريب عام والثيب بالثيب
جلد مائة والرجم وقوله تعالى
ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله
أى فى حكم الله أى لا تراهما فى
شرع الله وليس المنهى عنه الرأفة
الطبيعية على ترك الحد وانما هى
الرأفة التى تحمل الحاكم على ترك
الحد فلا يجوز ذلك قال مجاهد
ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله

قال قائمة الحدود اذا رفعت الى السلطان فتقام ولا تعطل وكذا روى عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح فان
وقد جاء فى الحديث تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغنى من حد فقد وجب وفى الحديث الا تحلوا ليدى الارض خسر لاهلها
من أن يطروا أربعين صباحا وقيل المراد ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فلا تقهوا الحد كما ينبغى من شدة الضرب الزاجر عن
الاثم وليس المراد الضرب المبرح قال عامر الشعبي ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال رجه فى شدة الضرب وقال عطاء ضرب
ليس بالمبرح وقال سعيد بن أبى عروبة عن جاد بن أبى سليمان بجلد القاذف وعليه ثيابه والزاني يتخلع ثيابه ثم تلا ولا تأخذكم

بهم أرفق في دين الله فقلت هذا في الحسك قال هذا في الحسك والخلد يعني في إقامة الحد وفي شدة الضرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن جارية لابن عمر زنت فضرب رجلها قال نافع أراه قال وظهرها قال قلت ولاتأخذكم بهما أرفق في دين الله قال يابني ورأيتني أخذتني بهما أرفق أن الله لم يأمرني أن أقتلها ولأن أجعل جلدها في رأسها وقد أوجعت حين ضربتها وقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر أرى فافعلوا ذلك واقموا الحدود على من زنى وشددوا عليه الضرب ولكن ليس (٤٣) مبرحاً يرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك وقد جاء

في المسند عن بعض الصحابة أنه قال يا رسول الله اني لأذبح الشاة وأنا أرحها فقال ولك في ذلك أجر وقوله تعالى وإشهد عذابهما طائفة من المؤمنين هذا فيه تشكيل للزانيين اذا جلدوا بحضرة الناس فان ذلك يكون أبلغ في زجرهما والجمع في ردهما فان في ذلك تقر بعا ونوبتاً وفضيحة اذا كان الناس حضوراً قال الحسن البصري في قوله وإشهد عذابهم ما طائفة من المؤمنين يعني علانية ثم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الطائفة الرجل بما فوقه وقال مجاهد العلانية الرجل الواحد الى الالف وكذا قال عكرمة ولهذا قال أحمد ان الطائفة تصدق على واحد وقال عطاء بن أبي رباح اثنان وبه قال اسحق بن راهويه وكذا قال سعيد بن جبير طائفة من المؤمنين قال الطائفة أربعة نفر فصاعداً وقال الزهري ثلاثة نفر فصاعداً وقال عبد الله بن وهب عن الامام مالك في قوله وإشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة أربعة نفر فصاعداً لانه لا يكفي

فان الشياطين كانت تسترق السمع ثم يأتون اليهم فيلقونهم اليهم مثل مسليمة من المتنبئة وكسطيح من الكهنة وهو معنى قوله (يلقون السمع) أي ما يسمعون مما يسترقونه فالمعنى حال كون الشياطين ملقين السمع أي ما يسمعون من الملا الاعلى الى الكهان ويجوز أن يكون المعنى ان الشياطين يلقون السمع أي يصغون الى الملا الاعلى ليسترقوا منهم شيئاً ويكون المراد بالسمع على الوجه الاول المسموع وعلى الوجه الثاني نفس حاسة السمع ويجوز أن تكون جملة يلقون السمع راجعة الى كل أقالم أئيم على أنها صفة أو مستأنفة ومعنى الالتقاء أنهم يسمعون ما تلقوه اليهم الشياطين من الكلمات التي تصدق الواحدة منها وتكذب المائة الكلمة ويلقونها الى عوام الخلق أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت سألت أناس النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكهان قال انهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله انهم يحدثون أحياناً بشيء يكون حقاً قال تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيمقدفها في أذن وليه فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة وفي لفظ للبخاري فيزيدون معها مائة كذبة (وجملة) أكثرهم كاذبون راجعة الى كل أقالم أئيم أي وأكثر هؤلاء الكهنة كاذبون فيما يلقونه من الشياطين لانهم يضمنون الى ما يسمعون كثير من أ كاذبيهم المختلفة أو أكثرهم كاذبون فيما يلقونه من السمع أي المسموع من الشياطين الى الناس وهذه الجملة راجعة الى الشياطين أي وأكثر الشياطين كاذبون فيما يلقونه الى الكهنة مما يسمعون فانهم يضمنون الى ذلك من عند أنفسهم كذراً من الكذب وكان هذا قبل ان حجبت الشياطين عن السماء وقد قيل كيف يصح على الوجه الاول وصف الافاكين بأن أكثرهم كاذبون بعدما وصفوا جميعاً بالافك وأجيب بأن المراد بالافك الذي يكثر الكذب لا الذي لا ينطق الا بالكذب فالمراد بقوله وأكثرهم كاذبون انه قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الشياطين والغرض الذي سبق لاجله هذا الكلام ردماً كان يزعمه المشركون من كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جملة من يلقي اليه الشيطان السمع من الكهنة ببيان ان الأغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من أحوال محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا الصدق فكيف يكون كما زعموا ثم ان هؤلاء الكهنة يعظمون الشياطين وهذا النبي المرسل من عند الله برسالاته الى الناس يذمهم ويلعنهم ويأمر بالبعوذ منهم ثم لما كان قد قال قائل من المشركين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاعر

شهادة في الزنا الأربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعي وقال ربيعة خمسة وقال الحسن البصري عشرة وقال قتادة أمر الله أن يشهد عذابهم ما طائفة من المؤمنين أي نفر من المسلمين ليكون ذلك موعظة وعبرة ونسكاً لا وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ببيعة قال سمعت نضر بن علقمة يقول في قوله تعالى وإشهد عذابهم ما طائفة من المؤمنين قال ليس ذلك للفضيحة انما ذلك ليدعى الله تعالى لهم بالتوبة والرحمة (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرک وحرم ذلك على المؤمنين) هذا خبر من الله تعالى بان الزاني لا يطأ الا زانية أو مشركة أي لا يطاوعه على امره من الزنا

الازانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمته ذلك وكذلك الزانية لا ينكحها الاзан أى عاص بزناه أو مشرك لا يعتقد تحريمه قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما الزاني لا ينكح الازانية أو مشركة قال ليس هذا بالنكاح انما هو الجماع لا يرنى بها الازان أو مشرك وهذا السناده عنه صحيح وقد روى عنه من غير وجه أيضا وقد روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو ذلك وقوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين أى تعاطبه والتزويج بالبغايا (٤٤) أو تزويج العنائف بالرجال التجار وقال أبو داود الطيالسي

بين سبحانه حال الشعراء ومنافاة ما هم عليه لما عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (والشعراء يتبعهم) مشددا ومخففا أى يجارهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم (الغاوون) أى الضالون عن الحق والشعراء جمع شاعر والغاوون جمع غاو وهم ضلال الجن والانس قاله ابن عباس وقيل الزائلون عن الحق وقيل المشركون وقيل الشياطين وقيل الذين يروون الشعر المشتمل على الهجاء وما لا يجوز وقيل المراد شعراء الكفار خاصة منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي وأمية بن أبي الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر عروا اجتماع اليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى هذا قال الزجاج اذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فيه فهم الغاوون والمعنى لا يتبعهم على كذبهم وباطلهم وتمزيق الاعراض والقصدح فى الانساب والطعن فى الاحساب ومدح من لا يستحق المدح وذم من لا يستحق الذم ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون عن ابن عباس قال تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهم ما غواة من قومه وهم السفهاء فأنزل الله هذه الآية ثم بين سبحانه قبائح شعراء الباطل فقال (ألم تر أنهم فى كل وادى يمبون) تقرير لما قبله والخطاب لكل من تنأت منه الرؤية يقال هام بهم هياما وهياما اذا ذهب على وجهه والهيام أن يذهب على وجهه من عشق وغيره وهو تمثيل كفاى الكشاف والمعنى ألم تر أنهم فى كل فن من فنون الكذب يخوضون وفى كل شعب من شعاب الزور يتكلمون فتارة يزفون الاعراض بالهجاء وتارة يأتون من الجون بكل ما يبعج السمع ويستعجبه العقل وتارة يخوضون فى بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق ويمدحون الباطل ويرغبون فى فعل المحرمات ويدعون الناس الى فعل المنكرات كما سمع فى أشعارهم من مدح الخمر والزنا واللواط ونحوه هذه الرذائل الملعونة كيف وأكثر مقدماتهم خيالات لاحقية لها وأغلب كلماتهم فى التشبيب بالحرام والغزل والابتهاج والقصدح فى الانساب والطعن فى الاحساب والوعد الكاذب والافتخار بالباطل ومدح من لا يستحقه والاطراف فيه قاله البيضاوى وغيره وهذا من باب الاستعارة البليغة

حدثنا قيس عن أبي حصين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وحرم ذلك على المؤمنين قال حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان حرم الله على المؤمنين نكاح البغايا وتقدم فى ذلك فقال وحرم ذلك على المؤمنين وهذه الآية كقوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخذان وقوله محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخذان الآية ومن ههنا ذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله الى انه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغى مادامت كذلك حتى تستتاب فان تابت صح العقد عليها والافلاو وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين وقال الامام أحمد حدثنا عمار حدثنا معمر بن سليمان قال قال أبو حنيفة حدثنا الحضرى عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رجلا من المسلمين استأذن رسول الله صلى

الله عليه وسلم فى امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح وتشتترط له ان تنفق عليه قال فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ذكره أمرها قال فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزانى لا ينكح الازانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين وقال النسائى أخبرنا عمرو بن عدى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرى عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح فأراد رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها فأنزل الله عز وجل الزانى لا ينكح الازانية أو مشركة والزانية لا ينكحها

الازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال الترمذي حدثنا عبد الله بن حميد حدثنا روح بن عباد عن عبيد الله بن الاخنس أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال وكانت امرأته تبيع بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وانه واعد رجلا من أسارى مكة يحمله قال جفت حتى انتهت الى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة فالتفت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت الى عرفتي فقالت مرثد فقلت مرثد فقالت مرحبا وأهلا لم فبت عندنا ليلة (٤٥) قال نقلت يا عناق حرم الله الزنا فقالت يا أهل

الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فتبعني ثمانية فسلكت الخندق فانتهيت الى غار أو كهف فدخلت فيه فجأوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل يولهم على رأسي فاعاهم الله عنى قال ثم رجعوا فرجعت الى صاحبي وجملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهت الى الاخر فسككت عنه أحببه فجعلت أحبه ويعيننى حتى أتيت به المدينة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقاً أنكح عناقاً مرتين فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد على شيئ حتى نزلت الزانى لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مرثد الزانى لا ينكح الزانية أو مشركة فلا تنكحها ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد رواه أبو داود والنسائي في كتاب النكاح من سننهما من حديث عبيد الله بن الاخنس به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أنى حدثنا مسدد أبو الحسن حدثنا

والتبديل الرابع شبه جولا منهم في أفانين القول بطريق المدح والذم والتشبيب وأنواع الشعر بهيام الهاشمى في كل وجه وطريق والهاشم هو الذى يخطب في طريقه ولا يقصد موضوع عامينا والهاشم العاشق والهيمان العطشان والهاشم داء يأخذ الابل من العطش وجمل أهيم وناقته هيماء والجمع فيه ما هيم قال تعالى فشاربون شرب الهيم قال ابن عباس في الآية فى كل لغو يخوضون وقيل يدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يدحون الشيء ثم يدمنونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادى مثل لفنون الكلام وطرقه والغوص فى المعانى والقوافى ثم قال سبحانه (وأنتهم يقولون ما لا يفعلون) أى يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة فى ذلك ألخأهم اليه الفن الذى سلكوه فقد يحنون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه وقد ينسبون الى أنفسهم من أفعال الشر ما لا يقدرون على فعله كما تجده فى كثير من أشعارهم من دعاوى الكاذبة والزور الخالص المتضمن لقدف المحصنات وأنهم فعلوا بهن كذا وكذا وذلك كذب محض واقترأ بحت ثم استثنى سبحانه الشعراء المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم تحرى الحق والصدق وكانوا يجيبون شعراء الكفار ويهجون وينافخون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى دخلوا فى حزب المؤمنين وعملوا بأعمالهم الصالحات (وذكروا الله كثيرا) فى أشعارهم ولم يشغلهم الشعر عن ذكر الله كإبراهيم وحنان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير رضى الله تعالى عنهم عن عروة قال لما نزلت والشعراء الى قوله ما لا يفعلون قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله أنى منهم فانزل الله الا الذين آمنوا الى قوله يتقلبون وروى نحوه هذا من طرق (واتصروا من بعد ما ظالموا) كمن يهجمونهم من هجاء أو ينتصر لعالم أو فاضل كما كان يقع من شعراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانهم كانوا يهجون من هجوه ويحدهون عنه ويدبون عن عرضه ويكافون شعراء المشركين وينافخونهم ويدخل فى هذا من اتصروا بشعره لاهل السنة وكافح أهل البدعة وزيف ما يقول شعراؤهم من مدح بدعتهم وهجو السنة المطهرة كما يقع ذلك كثيرا من شعراء الرافضة ونحوهم فان الاتصروا للحق بالشعر وتزييف الباطل به من أعظم المجاهدة وفاعله من المجاهدين فى سبيل الله المستصرين لدين الله القائمين بما أمر الله بالقيام به واعلم ان الشعر فى نفسه ينقسم الى أقسام فقد يبلغ مالا خير فيه

عبد الوارث عن حبيب المعلم حدثني عمرو بن شعيب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكح الزانى الجلود الا مثله وهكذا أخرجه أبو داود فى سننه عن مسدد وأبى معمر عن عبد الله بن عمرو وكلاهما عن عبد الوارث به وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا عاصم بن محمد عن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أخيه عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار مولى ابن عمر قال أشهد لسمعت سالما يقول قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث وثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق

لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى ورواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري عن عبد الله
ابن يساربه وقال الامام أجد أيضاً حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا الوليد بن كثير عن قطن بن وهب عن عويمر بن الازرع عن
حدثه عن سالم بن عبد الله بن عمر قال حدثني عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حرم الله عليهم الجنة مدمن
الخمر والعاق لوالديه والذي يقرب في أهله الخبث وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثني شعبة حدثني رجل من آل سهل بن
حنيف عن محمد بن عمار عن عمار بن ياسر (٤٦) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ديوث يستنهد به لما

قبله من الاحاديث وقال ابن ماجه
حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلام
ابن سوار حدثنا كثير بن سليم عن
الضخالك بن مزاحم سمعت أنس
ابن مالك يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من أراد
أن يليق الله وهو طاهر متطهر
فليتزوج الحرا في اسناده ضعف
وقال الامام أبو نصر اسمعيل بن
جماد الجوهري في كتابه الصحاح
في اللغة الديوث القنزع وهو الذي
لا غيره له فأما الحديث الذي رواه
الامام أبو عبد الرحمن النسائي
في كتاب النكاح من سننه أخبرنا
محمد بن اسمعيل بن علي بن يزيد
ابن هرون عن حماد بن سلمة وغيره عن
هرون بن زياد عن عبد الله بن عبيد
ابن عمير وعبد الكريم عن عبد الله
ابن عبيد بن عمير عن ابن عباس عبد
الكريم رفعه الى ابن عباس وهرون
لم يرفعه قال جاء رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
عندي امرأة من أحب الناس الي
وهي لا تمتنع يدلامس قال طلقها
قال لا صبر لي عنها قال استمتع بها
ثم قال النسائي هذا الحديث غير

منه الى قسم الحرام وقد يبلغ ما فيه خير منه الى قسم الواجب وقد وردت أحاديث في ذمه
وذم الاستكثار منه ووردت أحاديث أخرى في اباحتها وتجويزه والكلام في تحقيق ذلك
يطول وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى وابن مردويه عن كعب بن مالك أنه
قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فكيف ترى فيه
فقال ان المؤمن يجاهد نفسه بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان مات مؤمناً به ففتح
السبل وأخرج ابن أبي شيبة وأجد عن أبي سعيد قال بينما نحن نسير مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم إذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن يمتلي
جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن يمتلي شعراً وأخرج الديلمي مرفوعاً عن ابن مسعود
الشعراء الذين يموتون في الاسلام بأمرهم الله ان يقولوا شعراً يتغنى به الحور العين
لازواجهن في الجنة والذين ماتوا في الشرك يدعون بالويل والشورق النار وأخرج ابن
مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر لحكمة
قال وأناه قرينة بن كعب وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت فقالوا انا نقول الشعر
وقد نزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرؤا فقرؤا والشعراء الى
قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال أنتم هم ذكروا الله كنيها فقال أنتم هم
واتصروا من بعد ما ظلموا فقال أنتم هم وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة عن البراء بن
عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان بن ثابت اهج المشركين فان
جبريل معك وأخرج أحمد وابن سعد عن أبي هريرة قال مر عمر بحسان وهو ينشد في
المسجد فحفظ اليه فنظر اليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك فسكت ثم
التفت حسان الى أبي هريرة فقال أنشدك بالله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يقول أجب عنى اللهم أيده بروح القدس قال نعم وأخرج ابن أبي شيبة عن بريدة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر حكمة وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر حكمة ومن البيان من
مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن يمتلي جوف أحدكم
قبحاً خيراً به خير من أن يمتلي شعراً وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً ان
يتملي جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن يمتلي شعراً قال في الصحاح وري القبيح جوفه

ثابت وعبد الكريم ليس بالقوى وهرون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة وأولى بالصواب
من حديث عبد الكريم قلت وهو ابن أبي الخارق البصرى المؤدب تابعي ضعيف الحديث وقد خلفه هرون بن زياد وهو تابعي ثقة
من رجال مسلم فحديثه المرسل أولى كما قال النسائي لكن قد رواه النسائي في كتاب الطلاق عن اسحق بن زاهويه عن النضر بن شميل
عن حماد بن سلمة عن هرون بن زياد عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسنداً فذكره هذا الاسناد فرجاله على شرط مسلم الا ان
النسائي بعد روايته له قال هذا خطأ والصواب مرسل ورواه غير النضر على الصواب وقد رواه النسائي أيضاً وأبو داود عن الحسين

ابن حريث أخبرنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكره وهذا الاسناد جيد وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي ومنكر كما قال الامام أحمد وهو حديث منكر وقال ابن قتيبة انما أراد انهما حكيحة لا تمنع سائلا وحكاها النسائي في سننه عن بعضهم فقال وقيل حكيحة تعطي ورد هذا بان لو كان المراد لقال لا تريد ملتصق وقيل المراد ان حكيحة لا تريد لاس لان المراد ان هذا واقع منها وانما تفعل الفاحشة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأذن في مصاحبة من هذه (٤٧) صفتها فان زوجها والحالة هذه يكون ديوثا

وقد تقدم الوعيد على ذلك ولكن لما كانت حكيحة هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها ولو خلا بها أحد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقها فلماذا كراهه يحجبها أباح البقاء معها لان حكيحة لها محققة ووقوع الفاحشة متوهم فلا يصار الى الضرر العاجل للتوهم الآجل والله سبحانه وتعالى أعلم قالوا فلما اذا حصلت توبة فانه يحل التزويج كما قال الامام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن ابن أبي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال اني كنت ألم بامرأة أتت منها ما حرم الله عز وجل علي ففرق الله عز وجل من ذلك توبة فأردت ان تزوجها فقال أناس ان الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة فقال ابن عباس ليس هذا في هذا انكحها فما كان من اثم فعلي وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء ان هذه الآية منسوخة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد بن المسيب

يريه وري اذا أكله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسن الشعر كحسن الكلام وقيح الشعر كقيح الكلام قال القرطبي رواه اسمعيل عن عبد الله بن عوف الشامي وحديثه عن أهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره وأخرج مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشد في المسجد فروي انه دعا عمرو بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشد قصيدة فأنشده اياها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى البخاري عن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان من الشعر حكمة وقالت عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ولا زاد الجبراحي رحمه الله في بيان حكم الشعر كلام لطيف في كتابه تسليمة الفوائد ان شئت فارجع اليه ثم ختم سبحانه هذه السورة بآية جامعة للوعيد كله فقال (وسيعلم) وفيه تهديد شديد وتوبيخ عظيم وكذا في اطلاق (الذين ظلموا) وابهام (أى منقلب ينقلبون) بعد الموت وخص بعضهم هذه الآية بالشعراء ولا وجه لذلك فان الاعتبار بعوموم اللفظ وقد تلاها أبو بكر لعمر حين عهد اليه وكان السلف يتواظفون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عما الذي فاته منا والمعنى ينقلبون منقلبا أى منقلب والمراد جهنم وقدم أى تضمنه معنى الاستفهام قال أبو البقاء ولا يعمل فيه سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بل هو معلق عن العمل فيه وهذا الذي قاله مردود بان أيا الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة بل هما قسمان كل منهما قسم برأسه وأى تنقسم الى أقسام كثيرة قال النحاس وحقيقة القول في ذلك الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه ما قبله الدخول بعض المعاني في بعض والله أعلم وقال القرطبي معناه أى مصير يصرون وأى مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو أقيح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو أشر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال

قال ذكر عنده الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زانية أو مشركة قال كان يقال نسختها التي بعدها وأنكحوا الايامي منكم قال كان يقال الايامي من المسلمين وهكذا رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب النسخ والمنسوخ له عن سعيد بن المسيب ونص على ذلك أيضا الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرمة البالغة العفيفة فاذا كان المقدوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه

أبوا وليس فيه نزاع بين العلماء فان أقام القاذف بينة على صحة ما قاله دزى عنه الحد ولهذا قال تعالى ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون فأوجب على القاذف اذا لم يقم البينة على صحة ما قال ثلاثة أحكام أحدها ان يجلد ثمانين جلدة الثانية انه ترد شهادته أبداً الثالث ان يكون فاسقاً ليس يعدل لا عند الله ولا عند الناس ثم قال تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو الآية واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود الى الجملة الاخيرة فقط فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائماً (٤٨) وان تاب أو يعود الى الجملتين الثانية والثالثة أو ما الجلد فقد ذهب وانقضى

سواء تاب أو أصبر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الامام مالك وأحمد والشافعي الى انه اذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق وانصر عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضاً وقال الامام أبو حنيفة انما يعود الاستثناء الى الجملة الاخيرة فقط فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبداً ومن ذهب اليه من السلف القاضي شريح وابراهيم الخبيبي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن زيد ابن جابر وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وان تاب الا أن يعترف على نفسه انه قد قال المبهتان فينثذ تقبل شهادته والله أعلم (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدراً عنها العذاب ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم

كان عامياف صار كل مرجع منقلباً وليس كل منقلب مرجعاً كره الماوردي والمعنى عند الحسن وابن عباس ان الظالمين يطعمون في الانقلاب من عذاب الله والانفكاك منه ولا يقدر على ذلك وعن فضالة بن عبيد في الآية قال هؤلاء الذين يخربون البيت * (سورة النحل هي ثلاثاً وأربعاً وخمس وتسعون آية) *

قال القرطبي وهي مكية كلها في قول الجميع وبه قال ابن عباس وعن ابن الزبير مثله * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(طس) قد مر الكلام مفصلاً في فواتح السور وهذه الحروف ان كانت اسم السورة فحذفها على الابداء وما بعدها خبرها ويجوز أن تكون خبر مبتدأ محذوف أي اسم هذه السورة طس وان كانت مسرودة على غط التعديد فلا محل لها والله أعلم بمراده بذلك (تلك) اشارة الى نفس السورة لانها قد ذكرت اجالاً ابداً كراستها (آيات القرآن وكتاب مبین) عطف بزيادة صفة على مفهوم المعطوف عليه وكان مفيداً بهذا الاعتبار والمراد بالكتاب القرآن نفسه أو اللوح المحفوظ أو نفس السورة وقد وصف الآيات بالوصفين القرآنية الدالة على كونها مقروءة مع الاشارة الى كونها قرأنا عرياً مجزواً والكتابية الدالة على كونها مكتوبة مع الاشارة الى كونها متصفة بصفة الكتب المنزلة ثم ضم الى الوصفين وصفاً ثالثاً وهي الابانة المعانيه لمن يقرأه وهو من أبان بمعنى بان معناه اوضح بما اشتمل عليه من البلاغة أو مظهر لما في تضعيفه من الحكم والاحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها النواب والعقاب أو السبيل الرشيد والحق والباطل والحلال والحرام وقد وصف القرآنية هنا نظراً الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابة وأخره في سورة الحجر فقال تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظر الى حالته التي قد صار عليها فانه مكتوب والكتابة سبب القراءة والله أعلم وأما تعريف القرآن هنا وتنكير الكتاب وتعريف الكتاب في سورة الحجر وتنكير القرآن فلصلاحيته كل واحد منهما ما للتعريف والتنكير لان القرآن والكتاب اسمان للقرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووصفان له لانه يقرأ ويكتب حيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى للمؤمنين) أي تلك آيات هادية ومبشرة وهو هدى أو يهدى هدى وبشرى أو هاد من الضلالة ثم وصف المؤمنين الذين لهم الهدى والبشرى فقال

ورجته والله تواب حكيم) هذه الآية الكريمة فيها فرج للزواج وزيادة مخرج اذا قذف أحدهم زوجته وتعرض عليه اقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله عز وجل وهو ان يحضرها الى الامام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء انه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فاذا قال ذلك بانته منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبداً ويعظمها مهرها ويتوجه عليها بعد الزنا ولا يدراً عنها العذاب الا ان تلاعن فتشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين أي فيما رماها به والخامسة ان غضب

الله عليها ان كان من الصادقين ولهذا قال ويدرأ عنها العذاب يعنى الحدان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فخصم با الغضب كما ان الغالب ان الرجل لا يتحشم فضيحة أهله ورميها بالزنا الا وهو صادق معذوره وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها ان غضب الله عليها والمغضوب عليه هو الذى يعلم الحق ثم يحيد عنه ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع عليهم من الترحيح والخراج من شدة ما يكون منهم من الضيق فقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته اى لخرجتم ولشق عليكم كثير من اموركم (٤٩) وان الله تواب على عباده وان كان ذلك

بعد الحلف والايمان المغلظة حكيم فيما يشرع به ويأمر به وفيما ينهى عنه وقد وردت الاحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وذو كرسب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة قال الامام أحمد حدثنا يزيد اخبرنا عماد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال سعد بن عباد وهو سيد الانصار رضى الله عنه هكذا أنزلت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم فقالوا يا رسول الله لا تله فانه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط فاجترأ رجل من ان يزوجها من شدة غيرته فقال سعد والله يا رسول الله انى لا علم انما الحق وانها من الله ولكنى قد تجتبت انى لو وجدت لكعاقد تفخذها رجل لم يكن لى ان أهيبه ولا أحره حتى آتى بأربعة شهداء فوالله انى لا آتى بهم حتى يقضى حاجته قال قال النبوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية وهو

(الذين يقيمون الصلاة) أى الخمس ويدعون على شر انطها من الفروض والسنن ويأتون بها على وجهها (ويؤتون الزكاة) أى يؤدون ويعطون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم ولما كانت اقامة الصلاة وابتاء الزكاة مما يتكرر ويحدث في أوقاتهما أتى بهما فاعين ولما كان الايقان بالآخرة أمرا ثابتا مطلوبا واما ما أتى به جله اسمية فقال (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعلمونها بالاستدلال وجعل الخبر مضارعا للدلالة على أن ايقانهم يستمر على سبيل التجدد فى كل وقت وعدم الانقطاع وكرر الضمير للدلالة على الحصر ولما فصل بينه وبين الخبر أى لا يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحمله على تحمل المشاق وانهم الاوحدون فيه ثم لما ذكر سبحانه أهل السعادة ذكر بعدهم أهل الشقاوة فقال (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى لا يصدقون بالبعث وهم الكفار (زينالهم أعمالهم) قبل المراد ان الله زين لهم أعمالهم السيئة القبيحة بتركيب الشهوة فيهم حتى رأوا حاسنة وقيل المراد ان الله زين لهم الأعمال الحسنة وذکر لهم ما فيها من خيري الدنيا والآخرة فلم يقبلوا ذلك قال الزجاج معنى الآية انا جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زيننا لهم ما هم فيه بان جعلناهم مشتهى بالطبع محبوبا للنفس (فهم يعمهون) أى يترددون فيها متحيرين على الاستمرار لا يهتمون الى طريقه ولا يصدقون على حقيقة له لعدم ادراكهم فبحها في الواقع وقيل المعنى يتمدون قاله أبو العالبة وقال قتادة يلعبون وعن الحسن يتحيرون وقيل يداومون وينهمكون فيها ويستمررون والمعانى متقاربة (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أى أشده قيل فى الدنيا كالقتل والاسر ووجه تخصيصه بعذاب الدنيا قوله بعده (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أى هم أشد الناس خسرانا وأوعظهم خيبة فالمنفصل عليه هو أنفسهم من حيث اعتبار اختلاف الزمان والمكان ثم مهد سبحانه مقدمة نافعة لما سيذكره بعد ذلك من الاخبار العجيبة فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى يلقي عليك بشدة فتلقيه وتأخذه من لدن كثير الحكمة والعلم ووجه الجمع بينهما مع أن العلم داخل فى الحكمة ان العلم الذى يدخل فيها هو العلم العملى وهو الذى يتعلق بكيفية عمل والعلم أعم منه فكأنه قيل مصيب فى أفعاله لا يفعل شيئا الا على وفق علمه علم بكل شىء سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل أم لا قيل ان

(٧ - فتح البيان سابع) أحد الثلاثة الذين تيب عليهم بغا من أرضه عشاء فوجد عند أهل رجل فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فلم يهيبه حتى أصبح فعد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى جئت أهلى عشاء فوجدت عند رجل فرأيت بعينى وسمعت بأذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الانصار وقالوا قدنا تلبينا بما قال سعد بن عباد ان يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويظلم شهادته فى الناس فقال هلال والله انى لا رجوان يجعل الله لى منها محرجا وقال هلال يا رسول الله فانى قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم انى لصادق فوالله ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضره اذ أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي وكان اذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تزيد وجهه يعني فامسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهدوا اذ هم اربع شهادات بالله الاية فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا فقال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليها فإرساوا اليها فماتت فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما فذكرهما وأخبرهما ان عذاب الآخرة (٥٠) أشد من عذاب الدنيا فقال هلال والله يا رسول الله لقد صدقت عليهما فقالت

كذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهما فقبل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال والله لا يعذبني الله عليهما كما لم يعذبني عليهما فشهد في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل للمرأة اشهدي اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة وأوقفها اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أقضي قومي فشهدت في الخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان لا يدعى ولدها الأب ولا يرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد وقضى ان لا قوت لهما من أجل انهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى

لندن ههنا بمعنى عند وفيها لغات كما تقدم في سورة الكهف وهذه الآية بساط وتمهيدا يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه وقد اشتملت هذه السورة على قصص خمسة الاولى هذه وتليها قصة النملة وتليها قصة بلقيس وتليها قصة صالح وتليها قصة لوط (اذ قال موسى لاهله) قال الزجاج أي اذ كركسته اذ قال لاهله والمراد باهله امرأته في مسيرته من مدين الى مصر وكان في ليله مظلمة باردة مثلجة وقد ضل الطريق وأخذ وجهه الطلق والحامل له على هذا السفر ان يجتمع بامه وأخيه بمصر ولم يكن معه اذ ذلك الا زوجته بنت شعيب فكفى عنها بلقظ الاهل الدال على الكثرة للتعظيم وقيل كان معه ولده وخادمه أيضا ومثله قوله امكنوا (انني آتيت نارا) أي أبصرتهم من بعيد (سأتيكم منها بخبز) عن حال الطريق وكان قد ضلها والسين تدل على بعد مسافة النار وتأكيده الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل أو للتعظيم مبالغة في التسلية (أو أتيكم بشهاب قبس) بتوניהما على ان الثاني بدل من الاول أو صفة له لانه بمعنى مقبوس أي يشعله نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها وقرئ بالاضافة على أنها اللسان فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجرو وكما العديتين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفسح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة التبرج والتريد للايدان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرما من قاله أبو السعود والمعنى على القراءتين آتيكم بشعلة نار مأخوذة من أصلها في رأس فتسيلة أو عود قال الزجاج من نون جعل قبس من صفة شهاب وقال القراء هذه الاضافة كسجد الجامع وصلاة الاولى أضاف الشيء الى نفسه لاختلاف أسمائه وقال النحاس هي اضافة النوع الى الجنس كما تقول ثوب خز وخاتم حديد وهي بمعنى من أي شهاب من قبس قال ويجوز في غير القرآن شهاب قبسا على انه مصدق أو بيان أحوال قال الزجاج كل أبيض ذي نور فهو شهاب وقال أبو عبيدة الشهاب النار وقال ثعلب أصل الشهاب عود في أحد طرفيه جرة والاخر لا نار فيه والشهاب الشعاع المضي وقيل للكوكب شهاب (لعلكم تصطلون) أي رجاء ان تستدفنوا بها من البرد أو لكي تستدفنوا بها يقال صلى بالنار واصطلى بها اذا استدفنوا بالصلاة النار

عنها وقال ان جاءت به أصيب أربح نخس الساقين فهو لهلال وان جاءت به أورد جعدا جاليا خدج الساقين العظيمة سايع الاليتين فهو للذي رميت به فخامت به أورد جعدا جاليا خدج الساقين سايع الاليتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن قال عكرمة فكان بعد ذلك أميراً على مصر وكان يدعى لاهمه ولا يدعى للأب ورواه أبو داود وعن أنس عن الحسن بن علي عن يزيد بن هرون بنه فحوه مختصراً ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرهما من وجوه كثيرة فمنها ما قال البخاري حيدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند

النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن نجما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حدى في ظهره فكذلك قال رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطق بلس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو حدى في ظهره فقال هلال والذي بعثك بالحق انى لصادق ولينزلن الله ما يرى ظهرى من الحد فبزل جبريل وانزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فإرسلا اليهما فجاء هلال فشهدوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا (٥١) انها موجهة قال ابن عباس فملكات ونكصت حتى

ظننا انها ترجع ثم قالت لأفضح قومي سأرى اليوم فضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصروها فان جاءت به أكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو وشريك ابن نجما فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن انفرد به البخارى من هذا الوجه وقدرناه من غير وجه عن ابن عباس وغيره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزبائدي حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم بن يعنى ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى امرأته برجل فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يردده حتى أنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى فرغ من الآيتين فإرسلا اليهما فدعاهما فقال ان الله تعالى قد أنزل فيكم فدعا الرجل فقرأ عليه فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ثم امر به فأمسك على فيه فوعظه فقال له كل شئ اهن عليك من

العظيمة واختلاف الالفاظ في هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ التزويج (فلماجها) أى النار التى أبصرها (نودى) من جانب الطور (أن بورك من فى النار ومن حولها) أن هى المفسر لمانى النداء من معنى القول أى قيل له بورك أو هى المصدرية أى بان بورك أى بارك الله أى ناداه بان اقدسناك وطهرناك واخترتناك للرسالة وقيل هى الخففة من المنقلة وتقديره بأنه بورك واسمها ضمير الشأن وبورك خبرها وواز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشري أى لم يمتحج هنا الى فاضل لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة وقرى ان بورك النار وحكى الكسافى عن العرب باركك الله وباركك فيك وعليك ولك وكذلك حكى هذا القراء قال ابن جرير قال بورك من فى النار ولم يقل بورك على من فى النار على لغة من يقول باركك الله أى بورك وقدس وطهر من فى النار وهو موسى وليس هو فيها حقيقة بل فى المكان القريب منها وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكرمه له كما حى ابراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا راحة الله وبركاته عليكم أهل البيت قاله القرطبي وقال السدى كان فى النار ملائكة والنار هنا هى مجرد النور وليكنه ظن موسى انها نار فلما وصل اليها وجدها نورا وعن الحسن وسعيد بن جبيران المراد بمن فى النار هو الله سبحانه أى نوره وقدس وسلطانه وقيل بورك ما فى النار من أمر الله سبحانه الذى جعلها على تلك الصفة قال الواحدى ومذهب المفسرين ان المراد بالنار هنا النور وعن ابن عباس قال يعنى تبارك وتعالى نفسه كان نور رب العالمين فى الشجرة ومن حولها يعنى الملائكة وعنه قال كان الله فى النور نودى من النور ومن حولها قال الملائكة وعنه قال ناداه الله وهو فى النور وعنه قرئ بورك النار وفى مصنف أبى بن كعب بورك النار ما النار فيزعمون انها نور رب العالمين وعن ابن عباس بورك قال قدس وقيل المراد بمن غير العقل وهو النور والامكنة التى حولها وأخرج عبد بن حميد وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقى عن أبى موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفف القسط ويرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل سبحانه النور لورفع لاحت سجات وجهه كل شئ أدركه بصره ثم قرأ أبو عبيدة ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله

لعنة الله ثم أرسله فقال لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم دعاه فقرأ عليها فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ثم أمر بها فأمسك على فيها فوعظه وقال ويحك كل شئ اهن من غضب الله ثم أرسلهما فقالت غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لا قضين بينكما قضاء فصلا قال فولدت قارأت مولودا بالمدينة أكثر منه فقال ان جاءت به لكذا وكذا فهو وكذا وان جاءت به لكذا وكذا فهو وكذا فجاءت به يشبه الذى قدفت به وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الملك بن أبى سليمان قال سمعت سعيد بن جبيرة قال سألت عن المتلاعنين أيفرق بينهما فى اماره بن الزبير فدريت ما أقول

فقمتم من مكاني الى منزل ابن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما فقال سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال يا رسول الله أرايت الرجل يرى امرأته على فاحشة فان تكلم تكلم بأمر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك اتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابلمت به فأنزل الله تعالى هذه الآيات في سورة النور والذين يرمون ازواجهم حتى بلغ أن غضب الله عليهما ان كان من الصادقين فمدأ بالرجل فوعظوه وذكروه واخبره ان عذاب الدنيا هون من عذاب الآخرة فقال والذي بعثك بالحق (٥٢) ما كذبت ثم ثني بالمرأة فوعظها وذكرها واخبرها ان عذاب الدنيا هون

رب العالمين والحديث أصله مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة وفي التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران والمراد بعنة موسى من سيناء وبعنة عيسى من ساعين وبعنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من فاران وهو اسم مكة ثم نزه سبحانه نفسه من السوء فقال (وسبحان الله رب العالمين) فيه تعجب لموسى من ذلك وهو من جملة ما نودي به وانما وقع التعرض للتنزيه في هذا المقام لادفع ما رب ان يتوهمه موسى بحسب الطبع البشري الجارى على العادة الخلقية ان الكلام الذي يسمعه في ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق أو المتكلم به في مكان أو جهة قاله الحفناوى (يا موسى انه) أى الشان (أنا الله العزيز) الغالب القاهر (الحكيم) فى أمرى وفعلى وقيل ان موسى قال يا رب من الذى نادانى فاجابه سبحانه بقوله انه أنا الله وهو تهيم لما أراد ان يظهر على يده من المعجزات فأمره سبحانه بان يلقى عصاه ليعرف ما أجراه على يده من المعجزات الخارقة فيأنس بها فقال (وألحق) عطف على بورك منتظم معه فى سلك تفسير النداء أى نودى ان بورك وأن ألحق (عصاك فلما راهاتهنز) جملة حالية من هاء رآها لان الرؤية بصرية وقوله (كأنها جان) يجوز ان تكون حالاً ثانية وان تكون حالاً من ضمير تهتمت فتكون حالاً متداخلة قاله السمين قال الزجاج صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجبان وهو الحية البيضاء وانما شبهها بالجبان فى خفة حركتها والاختفتها كانت كبيرة جداً وشبهها فى موضع آخر بالثعبان لعظمتها ووجع الجبان جنان وهى الحية الخفيفة الصغيرة الجسم وقال الكلبي لا صغيرة ولا كبيرة والنساء فصيحة تنصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كأنه قيل فآلقها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب (ولى مدبراً) من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كره بعد الفريقال عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب وقيل لم يقف ولم يلتفت ولم يعطف ولم ينظر والاوّل أولى لان التعقيب هو الكره بعد الفروانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك الامر أريد به كما ينبت عنه قوله (يا موسى لا تخف) من غيرى أى من الحية وضررها ثقته بى وألا تخف مطلقاً (انى لا يخاف لى المرسلون) أى لا يخاف عندى من المرسلين ليس فى جميع الاوقات بل فى وقت فلا تخف أنت عندى قيل ونفى الخوف عن المرسلين ليس فى جميع الاوقات بل فى وقت

من عذاب الآخرة فقالت المرأة والذي بعثك بالحق انه لكاذب قال فبدأ بالرجل فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ثني بالمرأة فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين ثم فرق بينهما رواه النسائى فى التفسير من حديث عبد الملك بن ابى سليمان به واخرجاه فى الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن حماد حدثنا ابو عوانة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كآجل ساعشية الجمعة فى المسجد فقال رجل من الانصار احدنا اذا رأى مع امرأته رجلاً ان قتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه وان سكت سكت على غيظ والله لان أصبحت صحيحاً لاسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسأله فقال يا رسول الله ان احدنا اذا رأى مع امرأته رجلاً ان قتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه وان

سكت سكت على غيظ اللهم احكم قال فنزل آية الاعمان فكان ذلك الرجل اول من اتى به انفراداً اخرجاه مسلم فرواه الخطاب من طرق عن سليمان بن مهران الاعمش به وقال الامام احمد ايضا حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال جاء عويمر الى عاصم بن عدى فقال له سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت رجلاً وجد رجلاً مع امرأته فقتله ا يقتل به ام كيف يصنع فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل قال فليعه عويمر فقال ما صنعت قال ما صنعت انك لم تأتني بخير سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل فقال عويمر والله لا تين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سأله فأتاه فوجدته قد أنزل عليه فيها قال فدعاها ما ولا عن بينهما قال عويمر انطلقت بها يا رسول الله لقد

كذبت عليها قال ففارقها قبل ان يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصر وهافان جاءت به أسحيم أدمع العينين العظيم اليتيم فلا أراه الا قد صدق وان جاءت به أسحيمر كأنه وحرة فلا أراه الا كاذبا فجاءت به على النعت المكروه أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة الا الترمذي ورواه البخاري أيضا من طرق عن الزهري به فقال حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت رجلا رأى مع امرأته رجلا أيقضه فتمت له أم كيف يفعل (٥٣) فانزل الله تعالى فيه ما ذكر في القرآن من التلاعن

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قضى فيك وفي امرأتك قال قتلا عنا وانا شاهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ففارقها فكانت سنة ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فانكر حملها وكان ابنها يدعى اليها ثم حرت السنة في الميراث ان يرثها وترث منه ما فرض الله لها وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسحق بن الصيف حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن زيد بن بتيص عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكرهوا رأيت مع ام رومان رجلا ما كنت فاعلا قال كنت والله فاعلا به شرا قال فانت يا عمر قال كنت والله فاعلا كنت أقول لعن الله الاعمى فانه خبيث قال فنزلت والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهاد الا أنفسهم ثم قال لانعلم أحدا أسنده الا النضر بن شميل عن يونس بن اسحق ثم رواه من حديث الثوري عن أبي اسحق عن زيد بن بتيص مر سلفا لله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي

الخطاب لهم والايحاء والارسال لانهم اذ ذاك مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من شيء وأما في غير هذه الحالة فالمرسلون أخوف الناس منه تعالى أو المعنى لا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه ثم استثنى استثناء منقطع فقال (الامن ظلم) أى لكن من أذنب في ظلم نفسه بالمعصية (ثم يبدل حسنا) أى توبه ويندمأناه (بعد سوء) أى بعد عمل سوء (فأى عفو ررحيم) أقبل التوبة واغفر له وقيل الاستثناء من مقدر أى لا يخاف لدى المرسلون وانما يخاف غيرهم ممن ظلم الامن ظلم الخ كذا قال القراء وقال النحاس الاستثناء من محذوف محال لانه استثناء من شيء لم يذكر وعن القراء أن الا بمعنى الواو وقيل ان الاستثناء متصل من المذكور لامن المحذوف والمعنى الامن ظلم من المرسلين باتيان الصغائر التي لا يسلم منها أحد واختار هذا النحاس وقال علم من عصاه منهم فاستثناء فقال الامن ظلم وان كنت قد غفرت له كآدم وداود واخوة يوسف وموسى لقتله القبطى ولا مانع من الخوف بعد المغفرة فان نبيا صلى الله عليه وآله وسلم الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر كان يقول وددت انى شجرة تعضد (وأدخل يدك في جيبك) المراد بالجيب هو المعروف أى طوق التميمص سمي جيبا لانه يجاب أى يقطع ليدخل فيه الرأس وفي القصص اسلك يدك في جيبك وفى أدخل من المبالغة ما لم يكن فى اسلك ولم يأمره بادخالها فيه لانه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل كان لها كم قصير عن ابن عباس قال كانت على موسى جبة من صوف لا تبلغ مر فقيهه فقال له أدخل يدك في جيبك فادخلها (تخرج) خلاف لونها من الادمة (يضاء من غير سوء) أى من غير برص أو نحوه من الآفات فهو احترام وقيل فى الكلام حذف تقديره أدخل يدك تدخل وأخرجهما تخرج ولا حاجة الى هذا الحذف ولا لمجيء اليه قال المفسرون وكانت على موسى مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبه وأخرجهما فاذا هى تبرق كالبرق لها شعاع يغشى البصر (فى تسع آيات) قال أبو البقاء هو فى محل نصب على الحال من فاعل تخرج وفيه بعد وقيل متعلق بمحذوف أى اذهب فى تسع آيات وقيل متعلق بقوله ألق عصاك وأدخل يدك فى جله تسع آيات وقيل المعنى فيما آيات من تسع يعنى العصا واليد فتكون الآيات احدى عشرة هما تان والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم

حدثنا محمد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لا أول لعان كان فى الاسلام ان شريك بن سماعة قد فده هلال بن أمية بأمر أنه فرغته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة شهود والاحد فى ظهرك فقال يا رسول الله ان الله يعلم انى لصادق ولينزل الله عليك ما يعبرى به ظهرى من الجلد فانزل الله آية اللعان والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآية قال فدعاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد بالله انك لمن الصادقين فيما رميتك به من الزنا فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له فى الخامسة واعنة الله عليك ان كنت من الكاذبين فيما رميتك به من الزنا ففعل ثم دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قومي فاشهدى بالله انه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها فى الخامسة وغضب الله عليك

ان كان من الصادقين فيمار مال به من الزنا قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتى ظنوا انها استعرت ثم قالت لا افضع قومي ساير اليوم فضت على القول ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ما قال انظر وافان جاءت به جعد اخش الساقين فهو لشريك بن صهما وان جاءت به ايض سبطا قصر العينين فهو لهلال بن أمية فجاءت به جعد اخش الساقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما نزل فيهما من كتاب الله لكان لي ولها شأن (ان الذين جاؤا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه شر الكيم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما كتب من الاثم والذى تولى (٥٤) كبره منهم له عذاب عظيم) هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم

قال النحاس أحسن ما قيل فيه ان هذه الآية يعنى اليه سد داخله في تسع آيات وكذا قال المهدي والقشيري قال الزجاج والقشيري تقول خرجت في عشرة نفر وانت احدهم أي خرجت عاشر عشرة في معنى من لقر بها منها كما تقول خذني عشرا من الابل فيها فلان أي منها وقيل في معنى مع واليد والعصا خارجتان من التسع وكذا فعل ابن عطية (الى فرعون وقومه) قال الفراء في الكلام اضمار أي انك مبعوث أو مرسل الى فرعون وقومه وكذا قال الزجاج (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل لما قبله من المقدر أي خارجين عن الحد وفي الكفر والعدوان (فلما جاءتهم آياتنا) التي كانت على يد موسى حال كونها (مبصرة) أي مبينة واضحة اسم فاعل أطلق على المفعول نحو ما دقق اي مدفوق اشعارا بانهم القرب انارتها ووضوحها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر كقوله وآينا نمود الناقة مبصرة وقرئ مبصرة بفتح الميم والصاد أي مكانا يكثر فيه التبصر كما يقال الولد مجبنة ومجذله والاول أولى ونسب الابصار اليها مجازا لانها يبصر والمعنى اضاءة معنوية في كلها وأحسية أيضا في بعضها وهو اليه فلما جاءتهم آياتنا (قالوا هذا) الذي نشاهده من الخوارق التي أتت بها موسى (سحرمين) واضح ظاهر سحرية (وبجدوا بها واستيقنتها أنفسهم) أي قد كذبوا بها ولم يقرروا حال كون أنفسهم مستيقنة لها انهم من عند الله قالوا واللحال يقال جحد حقه وبجحده بمعنى والاستيقان أبلغ من الايقان (ظلمنا) أي للآيات كقوله تعالى بما كانوا آياتنا ينظرون ولقد ظلموا بها أي ظلم حيث حظوا عن رببتها العالمة وسموها سحرا (وعلموا) استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها واتصبا بها ما اعلى العلة أي الحامل لهم على ذلك الظلم والعلو وعلى الحالية من فاعل جحدوا أي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها ويجوز أن يكونانعت مصدر محذوف أي جحدوا بها جحدوا ظلموا وعلوا قال أبو عبيدة والباع في جحدوا بها زائدة وقال الزجاج التقدير وجحدوا بها ظلموا وعلوا أي وتكبروا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون انهم من عند الله (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أي تفكر يا محمد في ذلك فان فيه معتبر للمعتبرين وقد كان عاقبة أمرهم الاغراق لهم هنافي البحر على تلك الصفة الهائلة والاحراق ثمة وانما لم يذكر تبصرا على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولم فرغ سبحانه من قصة موسى شرع في قصة داود وابنه سليمان وهذه الصفة

المؤمنين رضى الله عنها حين رماها أهل الافك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والقرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فانزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبه منكم أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فانه كان يجمهعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في اذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزوا آخرون منهم وبقي الامر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن وبيان ذلك في الاحاديث الصحيحة وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلمقة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله تعالى وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم

كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض وما حديثهم يصدق بعضها ذكرها ان عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج لسفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة رضى الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزل الخجاب فانا أنجل في هودج وأترل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة وقفل ودونا من المدينة قافلين آذن لي بالرحيل فقمت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاؤني الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلما استصدرت فاذ اعقد لي من جرح نظفارقدا انقطع فرجعت

فالتست عقدي فحسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتوا هو دجى فرحلوه على بعدي الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت وكان النساء اذذاك خفا فلم يهلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حتى رفعوه وجعلوه وكنت جارية حديثة السن فبعنوا بالجل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فبعت منازلهم وليس بهاداع ولا مجيب فتمت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني فيرجعون الي فيبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء (٥٥) الجيش فادخل فاصبح عند منزلي فرأى سواد

انسان نام فأتاني فعرفني حين رأيته وقد كان قد رأني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمسرت وجهي بجلباني والله ما كالمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أنا خراجته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقودني الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأنه وكان الذي نزلني كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقد مننا المدينة فاشتكت حين قدمنا هاشمرا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريني في وجهي اني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي أرى منه حين أشمكتي انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك الذي يريني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نكحت وخرجت معي ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا يخرج الاليل الى ليل وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التزعة

وما قبلها وما بعد هاهي كالبيان والتقرير لقوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فقال (ولقد آتينا) أي أعطينا (داود وسليمان) ابنه (علما) التنوين اما للنوع أي طائفة من العلم أو للتعظيم أي علما كثيرا قيل المراد علم الدين والحكم وقيل علم القضاء والسياسة وقيل علم داود تسبيح الطير وعلم سليمان منطق الطير والدواب وكان داود تسعة عشر ولدا سليمان واحد منهم وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وعاش سليمان تسعين سنة وبينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم أربع سنة وسبع مائة سنة ذكره في التكميل (وقال) أي كل منهما والواو للعطف على محذوف لان هذا المقام مقام الفاء فالتقدير ولقد آتيناها علما فعلا به وقال اشكر الله (الجد لله) ويؤيده ان الشكر باللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا به دل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية (الذي فضلنا) بالعلم والنبوة وتسخير الطير والجن والانس والشياطين (على كثير) ممن لم يؤت علما أو مثل علما وهذه المقالة على سبيل التحدث والشكر (من عباده المؤمنين) ولم يفضلوا أنفسهم على الكل بواضع منهم وظاهر النظم ان التسخير كان لكل من داود وسليمان ومثل في الخازن والخطيب وفي الآية دليل على شرف العلم وارتفاع محله وتقدم جلته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم التي نعم الله بها على عباده وان من أوتيته فقد أوتي فضلا على كثير من العباد ومنع شرفا جليلا وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثة الانبياء الامداناتهم لهم في الشرف والمزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيه انه يلزمهم هذه النعمة الفاضلة ان يحمدهم الله على ما أوتوه وان يعتقدوا العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقر من عمرو بن عبد العزيز انه كتب ان الله لم ينعم على عبد نعمة خمد الله عليها الا كان حده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل فقد قال الله عز وجل ولقد آتينا داود وسليمان علما الى قوله عباده المؤمنين وأي نعمة أفضل مما أعطى داود وسليمان أقول ليس في الآية ما يدل على ما فهمه رحمه الله والذي يدل عليه انهم ما حمدوا الله سبحانه على ما فضلهم به من النعم في أين تدل على أن حده افضل من نعمته (ورث سليمان داود) أي ورثه العلم والنبوة والكتب دون باقي اولاده قال قتادة والكلبي كان داود تسعة عشر ولدا ذكرا فورث سليمان من بينهم نبوة ولو كان المراد

في البرية وكذا تنادي بالكنف ان نخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وام مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها ابنة صخر بن عامر خاله أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثانة بن عماد بن عبد المطلب فاقبلت أنا وابنة أبي رهم ام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعمرت ام مسطح في مطرها فقالت نعم مسطح فقلت لها بدسما قلت تسعين رجلا شهد بدر فقالت أي هتاء ألم تسمعي ما قال قلت وماذا قال قالت فاحبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقل ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن أتى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد ان أعين الخبر من قبلها

فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنت أبوي فقلت لامي بأمتها ماذا يتحدث الناس به فقالت أي بنية هو نبي عليك فوالله
 لقلما كانت امرأة قط وضئمة عند رجل يحبها ولها ضراير إلا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أو قد يتحدث الناس بها قالت
 فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا أرقألى دمع ولا أكحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي
 طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأمأ أسامة بن زيد فاشار على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالذى يعلم من براة أهله بالذى يعلم (٥٦) في نفسه لهم من الود فقال أسامة يا رسول الله اهلك ولا نعلم إلا

ورثة المال لم يخص سليمان بالذكور لأن جميع اولاده في ذلك سواء وكذا قال جهور
 المفسرين فهذه الوراثة هي وراثة مجازية كقوله صلى الله عليه وآله وسلم العلماء
 وورثة الانبياء قال قتادة في الآية ورث نبوته وملكه وعلمه وأعطى ما أعطى داود وزيدله
 تسخير الريح والجن والشياطين وكان اعظم ملكا منه وأقضى منه وكان داودا شديدا
 من سليمان شاكر النعم الله تعالى (وقال) سليمان لبني اسرائيل تحذوا بما أنعم الله به عليكم
 وشكر النعمة التى خصه بها (يا أيها الناس علمنا) الضمير فيه وفي اوتينا الكحل من داود
 وسليمان قال القرطبي تفضل الله علينا زيادة على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة
 والخلافة فى الارض ان فهمنا (منطق الطير) اى فهم ما يريد به كل طائر اذا صوت والمعانى
 التى فى نفوسها سمى صوت الطير منطقا لوصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس وقدم
 منطق الطير لانها نعمة خاصة به لا يشترك فيها غيره قال الفراء منطق الطير كلام الطير
 فجعل كمنطق الرجل ومعنى الآية فهمنا ما يقول الطير ومقتضى هذان كلامهما كان
 يعلم اصوات الطير وما تريده قال الخطيب علمناى انا وبنى باسراهم واسهله وفى
 البيضاوى النطق والمنطق فى التعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان أو مركبا
 مفيدا كان أو غير مفيد وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم
 نطق الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجمادات فان الاصوات الحيوانية من حيث
 انها تابعة للتخييلات نزات منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض
 بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية
 الغرض الذى صوت لاجله والغرض الذى توخاه به انتهى قال جماعة من المفسرين
 انه علم منطق جميع الحيوانات وانما ذكر الطير لانه كان جندا من جنوده يسير معه
 لتظليله من الشمس فخص بالذكور لكثرته مداخلة وقال قتادة والشعبي انما علم منطق
 الطير خاصة ولا يعترض ذلك بالنملة فانها من جملة الطير وكثيرا ما تخرج لها أجنحة فتطير
 وكذلك كانت هذه النملة التى سمع سليمان كلامها وفهمه أخرج أحمد فى الزهد وابن أبي
 شيبة وابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود يستسقى بالناس
 فمر على غملة مستلقية على فقاها رافعة قوائمها الى السماء وهى تقول اللهم انا خلق من
 خلقك ليس بناغى عن رزقك فاما ان تسقينا واما ان تهلكنا فقال سليمان للناس ارجعوا

خير او اما على بن أبي طالب فقال
 يا رسول الله لم يضيّق الله عليك
 والنساء سواها كثير وان تسأل
 الجارية تصدقك الخبر قالت فدعا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
 فقال أى بريرة هل رأيت من شئ
 يريدك من عائشة فقالت له بريرة
 والذى بعثك بالحق ان رأيت عليها
 أمر اقط أغصه عليها أكثر من انها
 جارية حديثة السن تنام عن بعين
 أهلها فتأتى الداجن فتأكله فقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي
 ابن سلول قالت فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر
 يا معشر المسلمين من يعذرنى من
 رجل قد بلغنى عنه أذاه فى أهلى
 فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا
 ولقد ذكر وار جلا ما علمت عليه
 الا خيرا وما كان يدخل على أهلى
 الا معى فقام سعد بن معاذ الانصارى
 رضى الله عنه فقال انا أعذر لئمنه
 يا رسول الله ان كان من الاوس
 ضر بنا عنقه وان كان من اخواننا
 الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرنا قالت
 فقام سعد بن عبادة وهو سيد

الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتمله الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من
 رهطك ما أحببت ان يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق
 تجادل عن المنافقين فتشاورا الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يحفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وبكيت يومى ذلك لا أرقألى دمع ولا أكحل بنوم
 وأبو اى يظن ان اليكافائق كبدى قالت فينتاهما جالسا عندى وأنا أبكي استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست

شكى معي فبينما نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهر الا وحي اليه في شأنى شئ قالت فتمت بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ائمت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته فخلص دمي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لاني أجب عنى رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لاني أجيبى (٥٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

والله ما أدري ما أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لاتصدقونى ولئن اعترفت بأمر والله يعلم انى منه بريئة لاتصدقنى فوالله ما أجدلى ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحوات فاضطجعت على فراشى قالت وأنا والله أعلم حينئذ انى بريئة وان الله تعالى مبرئى براءتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فى بأمري يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر

فقد سقیم بدعوة غيركم وقد ذكرا الخازن والنسفي فى تفسيرهم ما منطبق بعض الطيور وما تقوله القمري وغيرها وكذا القرطبي بلا اسناد صحيح متصل يعتد عليه ويصار اليه فتركا ذكره ههنا فانه لا يأتى بكثير فائدة للمتعين (وأوتينا من كل شئ) تدعو اليه الحاجة كالعلم والسبوة والحكمة والمال وتسخير الجن والانس والطير والرياح والحوش والدواب وكل ما بين السماء والارض وجاء سليمان بنون العظمة والمراد نفسه بيانا لحاله من كونه مطاعا لا يخالف لان تكبر او تعظيما لنفسه عن جعفر بن محمد قال أعطى سليمان ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سليمان سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم وأعطى كل شئ وفى زمانه صنعت الصنائع المجدبة حتى اذا أراد الله أن يقبضه أوحى اليه ان يستودع الله وحكمته أخاه وولد داود كانوا أربع مائة وثمانين رجلا أنبأه بالرسالة قال الذهبى هذا باطل وقد رويت قصص فى عظم ملك سليمان عن القرطبي وغيره لا تطيب النفس بذكر شئ منها فالامساك عن ذكرها أولى (ان هذا) أى ما تقدم ذكره من التعليم والايام (اهو الفضل المبين) أى الظاهر الواضح الذى لا يخفى على أحد أو المظهر لافضلنا وانما قال ذلك شكرا لا خيرا (وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن المختلفة فى مسيرله والحشر الجمع أى جمع جنوده من هذه الاجناس وقد اطل المفسرون فى ذلك مقدار جنوده وبالغ كثير منهم مبالغة تستبعدها العقول ولا تصح من جهة النقل ولو صححت لكان فى القدرة الرابطة ما هو أعظم من ذلك وأكثر (فهم يوزعون) أى لكل طائفة منهم وزعة تردأ ولهم على آخرهم فيقفون على مراتبهم قيل كان فى جنوده وزراء وهم النقباء تردأ أول العسكر على آخره لئلا يتقدموا فى السير يقال وزعه يرعه وزعا كفه فاتزع أى انكف وأوزعه بالشئ أغراه به واستوزعت الله شكره فاوزعنى أى استلهمته فألهمنى والوازع فى الحرب الموكل بالصفوف يرع من تقدم منهم أى يرده وجمعه وزعة وقيل هو من التوزيع بمعنى التفریق يقال القوم أوزاع أى طوائف وقال ابن عباس يوزعون يدفعون وعنه قال لكل صف وزعة تردأ ولاها على آخرها لئلا تتقدمها فى السير كما يصنع الملوك وفى الآية دليل على اتخاذ الأئمة والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض اذا لم يكن الحكام ذلك بانفسهم قال الحسن لا بد للناس من وازع أى سلطان يكفهم (حتى اذا أتوا) حتى هى

(٨ - فتح البيان سابع)

منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شات من نقل القول الذى أنزل عليه قالت فسررى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال بشرى يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك قالت فقالت لى أمى قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أجد الا الله عز وجل هو الذى أنزل براءتى وأنزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالاذن عصية منكم العشر الايات كما هالما أنزل الله هذا فى براءتى قال أبو بكر رضى الله عنه وكان ينفق على مطع ابن أخته لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذى قال عائشة فأنزل الله تعالى ولا يأتى أولوا الفضل منكم والسعة

ان بؤنوا أولى القرى الى قوله ألا تحبون أن يعفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله انى لأحب أن يعفر الله لى فرجع الى مسطح المنقة التى كان ينفق عليه وقال والله لأترزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمرى فقال يا زينب ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحيى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامىنى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى بالورع وطفقت أختها جنة بنت جحش (٥٨) تحارب لها فهلكت فبين هلك قال ابن شهاب فهذا ما انتهى اليه النيمان أمر

التي يتبدأ بعدها الكلام وتكون غاية لما قبلها والمعنى فهم يوزعون الى حضور هذه الغاية وهى ايمانهم (على واد النمل) أى فهم يسرون ممنوعا بعضهم من مفارقة بعض حتى اذا أتوا على مكان فيه نمل كثير وعدى بعلى لانهم كانوا محمولين على الريح فهم مستعملون والمعنى انهم قطعوا الوادى وبلغوا آخره قال كعب وادى النمل بالطائف وقال قتادة ومقاتل هو بالشام والنمل حيوان معروف شديد الاحساس والشم حتى انه يشم للشئ من بعيد ويدخر قوته ومن شدة ادراكه انه يفلق الحبة فلققتين خوفا من الانبات ويقلق حبة الكسبرة أربع فلق لانها اذا فلققت فلققتين نبتت وبأكل فى عامه نصف ما جمع ويستبقى باقيه عدة ووقف القراء جميعهم على وادى النمل بالرسيم حيث لم يحذف لالتقاء الساكنين كقوله الذين جاؤوا الضمر بالوادى الكسائى فانه وقف بالياء قال لان الموجب للحذف انما هو التقاء الساكنين بالوصل (قالت نمله) ملكة النمل على وجه النصيحة قول المشتمل على حروف وأصوات وكانت عرجاء ذات جناحين وهى من الحيوانات التى تدخل الجنة قاله سليمان الجمل قيل وكانت أثنى بدليل تأنيث الفعل المسند اليها وبه قال أبو حنيفة ورد هذا أبو حيان فقال لحاق التاء فى قالت لا يدل على أن النملة مؤنثة بل يصح أن يقال فى المذكر قالت لان نمله وان كانت بالتاء فانها مما لا يميز فيه المذكر من المؤنث بذكر الفعل ولا بآيائه بل يميز بالاخبار عنه بان ذلك أو أثنى ولا يتعلق بمثل هذا كثير فائدة ولا بالتعرض لاسم النملة ولا بذكر القصص الموضوعه والا حادىث المكذوبة وقرئ النمل والنمله بزنة رجل وسمرة وقرئ بضمتين فيها ثم قيل نمل هذا الوادى صغار وهو النمل المعروف أو بكار كالجاني أو كالذئب والاول هو المشهور والجملة جواب اذا كانوا الممارتهم متوجهين الى الوادى فترت ونبتت سائر النمل مناديه لها قائلة (يا أيها النمل) وقد اشتمل هذا القول منها على أحد عشر نوعا من البلاغة أو لها النداء بها وثانها انها كنت باى وثالثها نبتت بها التنبية ورابعها سمت بقولها النمل وخامسها أمرت بقولها (ادخلوا) وسادسها نصت بقولها (مساكنكم) جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء ففهمها ذلك الخطاب والمساكن هى الامكنة التى تسكن النمل فيها وقرأ أبى ادخلن مساكنكم وقرئ مسكنكم وسابعها حذرت بقولها (لا يحطمنكم) أى لا يكسرنكم والحطم الكسر يقال حطمته حطما أى كسرتة كسرا فاحطمته وتحطمت

هو لاء الرهط أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهم ما من حديث الزهرى وهكذا رواه ابن اسحق عن الزهرى كذلك قال وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى عن عمرة عن عائشة بنحو ما تقدم والله أعلم ثم قال البخارى وقال أبو اسامة عن هشام بن عروة قال أخبرني أبى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا على فى أناس أبوا أهلى وإيم الله ما علمت على أهلى من سوء وأبنوهم ممن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتى قط الا وأنا حاضر ولا غبت فى سفر الا غاب معى فقام سعد ابن معاذ الانصارى فقال يا رسول الله ائذن لى ان تضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم

حسان من رهط ذلك الرجل فقال كذبت اما والله ان لو كانوا من الاوس ما حبيت ان تضرب تكسر

أعناقهم حتى كاد ان يكون بين الأوس والخزرج شتر فى المسجد وما علمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت لها أى أم تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت لها أى أم تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرتا فقالت والله ما سبه الا فيك فقالت فى أى شأنى قالت فبقرت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله فرجعت الى بيتى كأن الذى خرجت له لأجدمنه قليلا ولا كثيرا وعكت

وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني الى بيت ابى فأرسل معى الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان فى السنبل وأبى بكر فوق البيت يقرأ فقالت أم رومان ما جاء بك يا بنيتى فأخبرتها وذكرتها الحديث وإذا هولم يبلغ منها مثل الذى بلغ منى فقالت يا بنيتى خفى عليك الشأن فإنه والله لقل ما كانت امرأه قط حسناء عند رجل يحبها ضراير إلا حسدتها وقيل فيها وإذا هولم يبلغ منها ما بلغ منى فقلت وقد علم به أبى قالت نعم قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتى وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لامى (٥٩) ما شأنها قالت بلغها الذى ذكر من شأنها

ففاضت عيناه رضى الله عنه فقال أقسمت عليك يا بنيتى الأرجعت الى بيتك فرجعت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتى فسأل عنى خادمى فقالت يا رسول الله لا والله ما علمت عليها عيبا إلا أنها تزدد حتى تدخل الشاة فتأكل خبزها أو عجينها وانتهر بها بعض أصحابه فقال اصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسقطوا لها به فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأجر وبلغ الأمر ذلك الرجل الذى قيل له فقال سبحان الله والله ما كشفت كنف أى قط قالت عائشة رضى الله عنها فقتل شهيداً فى سبيل الله قالت وأبى عنى فلم ير الا حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتفى أبو اوى عن يمينى وعن شمالى فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا عائشة إن كنت فارقت سواً أو ظلمت فتوبى الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده قالت وقد جاءت امرأته من الأنصار

تكسر والتكظيم التكسير والحطام ما تكسر من البس وهذا النهى هو فى الظاهر للفل وفى الحقيقة لسليمان فهو من باب لا أرى نك ههنا أو يدل من الأمر أو جواب للأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيده من ضرورات الشعر وقرئ لا يحط منكم بضم الباء وفتح الحاء وتشديد الطاء وثانها خصت بقولها (سليمان) وتاسعها عمت بقولها (وجنوده) أرادت جنود سليمان فجاءت بما هو أبلغ وعاشرها أشارت بقولها (وهـم) وحادى عشرها عذرت بقولها (لا يشعرون) أى يحطهم ~~كم~~ ولا يعلمون بمكانكم أى لو شعروا لم يفتعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة لهم بالعدل كأنها عرفت أن النبي معصوم وجنوده محفوظ فلا يقع منهم حطم هذه الحيوانات الاعلى سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء وحفظ أصحابهم وفيه ان الرافضة الذين ينسبون الظلم وحطم الحقوق الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أهل بيته وعترته هم أقل عقلاً وأضع رأياً من تلك التلة فإنها اعتمدت فى جنود سليمان العدل وهو لاء اعتمدوا بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم الظلم وشتان بينهما وقيل ان المعنى والتل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالها وهو بعيد جداً (فتبسم) سليمان ابتداء (صاحكاً) انتهاء (من قولها) وقرئ ضحكاً وعلى الاول حال مؤكدة لانه قد فهم الضحك من التبسم وقيل حال مقدره لان التبسم أول الضحك وقيل لما كان التبسم قد يكون للغضب كان الضحك مبيناً له وقيل ان ضحك الانبياء هو التبسم لا غير وعلى الثانى مصدر منصوب بفعل محذوف وكل من التبسم والضحك والقهقهة انفتاح فى الفم لكن الاول انفتاح بلا صوت أصلاً والثانى مع صوت خفيف والثالث مع صوت قوى وكان ضحك سليمان تعجباً من قولها وفهمها واهتداً ثم الى تحذير التمل أو فرحاً لظهور عدله (وقال رب أوزعنى) قد تقدم بيان معناه قريباى قوله فهم يوزعون قال فى الكشف وحقيقة أوزعنى اجعلنى أزع شكر نعمت عندى وأكفه واربطه لا ينفلت عنى حتى لا أنفك شاكر اللات انتهى قال الواحدى أوزعنى أى ألهمنى وبه قال قتادة وعن الحسن مثله يقال فلان موزع بكذا أى مولع به قال القرطبى وأصله من وزع فكانه قال كفى عما يسخطن انتهى وقال الزجاج معناه امنعنى أن أكفر نعمتك وهو تفسير باللازم (أن أشكر نعمتك التى أنعمت بها (على) مفعول ثان لاوزعنى أى من النبوة والملك والعلم (وعلى والذى)

فهى جالسة بالباب فقلت ألا تستحى من هذه المرأة ان تذكرك شياً فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الى أبى فقلت له أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإذا أقول فالتفت الى أبى فقلت أجبى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ماذا أقول فلم يجيبها تشهدت فحسدت الله وأثنت عليه بما هو أهله ثم قلت أما بعد فوالله ان قلت لكم انى لم أفعل والله عز وجل يشهد انى لصادقة ما ذك بنافعى عندكم لقد تكلمت به وأشربت به فلو بكم وان قلت لكم انى قد فعلت والله يعلم انى لم أفعل لتقولن قد باتت به على نفسها وانى والله ما أجدنى ولكم مثلاً والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه إلا أبى يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان

على ما تصفون وأُنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساعته فسكتما فرفع عنه واني لا بين السرور في وجهه وهو يسبح جبينه
ويقول أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك قالت وكنت أشد ما كنت غضبا فإل إلى أبو اى قومي اليه فقلت والله لأقوم اليه
ولأجده ولا أحد كواول لكن أحد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعته موهما أنكرتموه ولا غيرتوه وكانت عائشة تقول أما زينت بنت
بجش فعصمها الله يدينها فلم تقل الا خيرا وأما أختها حمنة بنت بجش فهلكت فين هلك وكان الذي يتكلم به مسطح وحسان بن
ثابت والمنافق عبد الله بن أبي ابن سلول (٦٠) وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم وهو حمنة

الدعاء منه بأن يوزعه الله شكر نعمته على والديه كما أوزعه شكر نعمته عليه لان الانعام
عليهما انعام عليه وذلك يستوجب الشكر منه الله سبحانه قال أهل الكتاب وأمه هي
زوجه أو ربا يوزن قوتها التي امتحن الله بها داود قاله القرطبي والله أعلم بصحته ثم طلب
أن يضيف الله له لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية فقال (وأن أعمل صالحا)
في بقية عمري (ترضاه) منى ثم دعأ أن يجعله الله سبحانه في الآخرة داخل في زمرة الصالحين
فان ذلك هو الغاية التي يتعلق بها الطلب فقال (وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَتِكَ
الصَّالِحِينَ) من النبيين أو صلحاء العباد والمعنى أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي في أسماهم
واحشرفي في زمرة من دار الصالحين وهي الجنة أو في معنى مع الصالح الكامل هو
الذي لا يعصى الله ولا يفعل معصية ولا يهملها وهذه درجة عالية اللهم واني أدعوك بما
دعاك به هذا النبي الكريم فتمقبل ذلك منى وتفضل على به فاني وان كنت مقصرا في
العمل ففضلك الواسع هو سبب الفوز بالخير ورحمتك أرحم عندي من عملي فهذه الآية
منادية بأعلى صوت وأوضح بيان بأن دخول الجنة التي هي دار المتقين بالتفضل منك
لا بالعمل منهم كما قال رسولك الصادق المصدوق فيما ثبت عنه في الصحيح سددوا وقاربوا
واعلموا أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني
الله برحمته فاذالم يكن الا بفضلك الواسع فترك طلبه منك عجز والتفريط في التوسل اليك
بالايصال اليه تصحيح ثم شرع سبحانه في ذكر قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمان
وذلك بدلالة الهدى فقال (وتفقد الطير) التفقد تطلب ما تهاب عنك وتعترف أحواله
والطير اسم جنس لكل ما يطير والمعنى انه تطلب ما فقد من الطير وتعترف حال ما تهاب
منها وكانت الطير تحب في سفره وتظله بأجنحتها (فقال مالي) وقرئ بكون الياء (لا أرى
الهدى) أي مال الهدى لا أراه فهذا من الكلام المقلوب الذي تستعمله العرب كثيرا
وقيل لا حاجة الى ادعاء القلب اذ المعنى صحيح بدونه بل هو استنهاض واستخبار عن المانع له
من رؤية الهدى كانه قال مالي لأراه هل ذلك لسأتر يستتره عنى أو لشيء آخر قال الكلبي
ولم يكن له في مسيره الهدى واحدا والهدى معروف ثم ظهر له انه غائب فقال (أم كان
من الغائبين) فلم أراه لغيبته وأم هي المنقطعة التي بمعنى الاضراب عن ابن عباس انه سئل
كيف تفقد سليمان الهدى من بين الطير فقال ان سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد الماء

قالت خلف أبو بكر أن لا ينفذ
مسطحا بنا فعة أبدا فانزل الله تعالى
ولا يأتل أولوا الفضل منكم الى آخر
الآية يعنى أبا بكر والسعة أن يؤتوا
أولى القرى والمسكين يعنى مسطحا
الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله
لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر
بلى والله ياربنا اننا نتحب أن تغفر
لنا وعادله بما كان يصنع هكذا
رواه البخاري من هذا الوجه معلقا
بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد
ابن أسامة أحد الأئمة الثقات
وقدر واه ابن جرير في تفسيره عن
سفيان بن وكيع عن أبي أسامة
مطولا به مثله أو نحوه ورواه ابن
أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن
أبي أسامة يعضه وقال الامام أحمد
حدثنا هشيم أخبرنا عمر بن أبي سلمة
عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها
قالت لما نزل عذري من السماء
جاءني النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبرني بذلك فقلت بحمد الله لا
يحمدك وقال الامام أحمد حدثني
ابن أبي عدى عن محمد بن اسحق عن
عبد الله بن أبي بكر عن عمرة أيضا
عن عائشة قالت لما نزل عذري قام

رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم ورواه أهل السنن الاربعة وكان
وقال الترمذي هذا حديث حسن ووقع عند أبي داود واسميتهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثانة وحننة بنت بجش فهذه طرق
متعددة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها وقدروى من حديث أمها أم رومان رضي الله
عنها فقال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم أخبرنا حصين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان قالت بينا أنا عند عائشة اذ دخلت
عليها امرأه من الانصار فقالت فعل الله بآئنها وفعيل فقالت عائشة ولم قالت انه كان فين حدث الحديث قالت وأي الحديث قالت

كذا وكذا قالت وقد بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وبلغ أبا بكر قالت نعم فخرت عائشة رضي الله عنها مغشياً عليها ما قالت إلا وعليها حتى بناقض قالت ففقت فدفترتها قالت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم قال فما شأن هذه فقالت يا رسول الله أخذتها حتى بناقض قال فلعل في حديثي تحدثت به قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت والله لئن حلفت لكم لا تصدقوني ولئن اعتذرت إليكم لا تعذرني فثبلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُنزل الله عذرها فراجع رسول الله

(٦١)

فقال يا عائشة إن الله تعالى قد أنزل عذرك فقالت بحمد الله لا يجهدك فقال لها أبو بكر تقولين هذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل يعوله أبو بكر خلف أن لا يسهل فأُنزل الله ولا يأكل أولو الفضل منكم والسعة إلى آخر الآية فقال أبو بكر لي فوصله تفرد به البخاري دون مسلم من طريق حصين وقد رواه البخاري عن موسى بن اسمعيل عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين وفي لفظ أبي عوانة حدثني أم رومان وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخطيب وقد كان مسروق يرسله فيقول سألت أم رومان ويسوقه فلعل بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوي أنها سألت فظنه متصلًا قال الخطيب وقد رواه البخاري كذلك ولم تظهر له علته كذا قال والله أعلم فقوله تعالى إن

وكان الهدد هديل سليمان على الماء فأراد أن يسأله عنه ففقده قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس رضي الله عنه هذا قيل له كيف ذلك والهدد ينصب له الفخ يلقي عليه التراب ويضع له الصبي الحباله فيغيبها فيصيده فقال إذا جاء القضاء ونزل القدر ذهب اللب وعي البصر فلما تحقق الغيبة قال (لا عذبة عذاباً شديداً) اختلقوا في هذا العذاب الشديد ما هو فقال ابن عباس ومجاهد وابن جرير يجهون ينتفريش به جميعا وروى نحوه هذا عن جماعة من التابعين وقال يزيد بن رومان هو ان ينتفريش جناحيه وقيل أن يجلسه مع اضداده وقيل أن يمنع من خدمته وقيل القائه في الشمس وقيل التفريق بينه وبين الغبة وقيل الزامه خدمة أقرانه وقيل إيداعه في القفص وقيل طرحه بين يدي النمل ليأكله وفي هذا دليل على أن العقوبة على قدر الذنب لا على قدر الجسد وحل له تعذيب الهدد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة وعن الحسن قال كان اسم هدد سليمان غير قال الشوكاني لأدري من أين جاء هذا للحسن رحمه الله وهكذا ما روى عنه أن اسم النمل حرس وانها من قبيلة يقال لهم بنو الشيبان وانها كانت عرجاء وكانت بقدر الذنب وهو رحمه الله أروع الناس عن نقل الكذب ومحن نعم لم انه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء ونعلم انه ليس للحسن اسناد متصل بسليمان أو بأحد من أصحابه فهذا العلم مأخوذ من أهل الكتاب وقد أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم فان ترخص مترخص بالرواية عنهم لمثل ما روى حديثوا عن بني اسرائيل ولا حرج فليس ذلك مما يتعلق بتفسير كتاب الله سبحانه بلا شك بل فيما يذكر عنهم من القصص الواقعة لهم وقد ذكرنا التنبية على مثل هذا عند عرض ذكر التفسير الغريبة (أو لا ذبحناه) بقطع حلقومه (أو ليأتي بساطان مبيين) هو الحجة البينة في غيبته قال ابن عباس السلطان المبين خبير الحق الصدوق البين وعنه قال كل سلطان في القرآن حجة وذو هذه الآية ثم قال وأي سلطان كان لله هدد يعني أن المراد بالسلطان الحجة لا السلطان الذي هو المالك والخلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فكلمة أو بين الأولين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينهما قال الزمخشري فان قلت قد حلت على أحد ثلاثة أشياء خلفه على فعله لا كلام فيه ولكن كيف يصح حلقه على فعل الهدد ومن أين درى انه

الذين جاؤا بالافك أي الكذب والبهت والافتراء عصبه أي جماعة منكم لا يحسبوه شر لكم أي يا آل أبي بكر بل هو خير لكم أي في الدنيا والآخرة لسان صدوق في الدنيا ورفعته منازل في الآخرة واطهار شرف لهم باعتبار الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنه وبعثها وهي في سياق الموت قال لها بشرى فانك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحبك ولم يتزوج بكرا غيرك ونزل براءتها من السماء وقال ابن جرير في نفسه يره حدثني محمد بن عثمان الواسطي حدثنا جعفر بن عون عن العلي بن عرفان

عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب رضي الله عنهما فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين حملني صفوان بن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين وقوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الأثم أي لكل من تكلم في هذه القضية ورعى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب والذي تولى كبره قيل ابتدأ به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه (٦٢) ويشبهه له عذاب عظيم أي على ذلك ثم الاكثرون على ان المراد بذلك

انما هو عبد الله بن أبي ابن سلول فحسه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد وقيل بل المراد به حسان ابن ثابت وهو قول غريب ولولائه وقع في صحيح البخاري ما قديلا على ذلك لما كان لا يراده كبر فائدة فانه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب وما تروا وحسن محاسنه انه كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجهم وجبريل معك وقال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل حسان بن ثابت فأمرت فأتني له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها تأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعزل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية

يأتي بسلطان قلت لما نظم الثلاثة بأوفي الحكيم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكون أحد الامور يعني ان كان الاثيان بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية انتهى وأو الثانية ترجع في المعنى الى أنها بمعنى الاوهى قيد في كل من الامر من قبلها فإكانه قال لا عذبه الآن يأتيني أو لا ذبحته الآن يأتيني بسلطان مبين (فكث) بفتح الكاف من باب نصر وقرئ بضم الكاف من باب قرب قال سيبويه مكث يمكث مكوثا كعديقه عد قعودا أي مكث الهدد بعد تفقد سليمان اياه زمانا (غير بعيد) وقيل ان الضمير في مكث لسليمان والمعنى بقى سليمان بعد التفقد والتوعد زمانا غير طويل والاول أولى (فقال أحطت بما لم تحط به) الاحاطة العلم بالشئ من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم ولعل في الكلام حذفاً والتقدير فكث الهدد غير بعيد فإفعا فعبقوب على مغيبه ففقال معذرا عن ذلك أحطت بما لم تحط به قال القراء ويقال أحطت بادغام الطاء في التاء والمعنى علمت ما لم تعلم من الامر وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك وقال ابن عباس اطلعت على ما لم تطلع عليه وقد ألهم الله الهدد هذا الكلام فكافح سليمان به مع ما أوتي من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وتنبهها على ان أدنى جنسه قد أحاط علمها بما لم يحيط به ليكون لطفها به في ترك الاعجاب وانما أخفى الله على سليمان مكانها وكانت المسافة بينهما ما قرئ به من قوله رأها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه (وجنتك من سبأ) قرئ بالصرف على انه اسم رجل نسب اليه قوم وقرئ بفتح الهمزة وترك الصرف على انه اسم مدينة وانكر الزجاج أن يكون اسم رجل وقال سبأ اسم مدينة تعرف بمأرب اليمن وقيل هو اسم امرأة سميت بها المدينة قال القرطبي والصحيح انه اسم رجل كما في كتاب الترمذي من حديث فروة بن مسيكة المرادي قال ابن عطية وخفي هذا على الزجاج فخطب خطب عشواء وزعم القراء ان الرواسي سأل أبا عمرو بن العلاء عن سبأ فقال ما أدري ما هو قال النحاس وأبو عمرو أجل من ان يقول هذا قال والقول في سبأ ما جاء التوقيف فيه انه في الاصل اسم رجل فان صرفته فلانه قد صار اسما للحي وان لم تصرفه جعلته اسما للقبيلة مثل عمود الآن الاختيار عند سيبويه الصرف انتهى وأقول لاشك ان سبأ اسم لمدينة باليمن كانت فيها بلقيس وهو

انها أشدها عند ما دخل عليها شعر اعمد حها به فقال * حصان رزان ما تزن برية * وتصيح غرني من لحوم ايضا الغوافل * فقالت أما أنت فلست كذلك وفي رواية لكنت است كذلك وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن قرعة حدثنا سلمة بن علقمة حدثنا اودع عن عامر عن عائشة أنها قالت ما سمعت بشعرا حسن من شعر حسان ولا تمثل به الارجوث له الجنة قوله لابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب هجوت محمد فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزء فان أبي والده وعرضي * اعرض محمد منكم وفاق * اتشتمه ولست له بكف * فشر كالحير كما القداء

لساني صارم لا عيب فيه * ويجرى لا تكدره الدلاء فقبل يأثم المؤمن ليس هذا لغوا قالت لانما اللغو ما قيل عند النساء
قيل ليس الله يقول والذي تولى كبره منهن له عذاب عظيم قالت ليس قد اصابه عظيم ليس قد ذهب بصره وكعب بالسيف تعنى
الضربة التي ضرب بها اياها صفوان بن المعطل السلمي حين بلغه عنه انه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد ان يقتله (لولا ان سمعتموه
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذم يا أيها الشهداء فأنزل عند الله هم
الكاذبون) هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قضية عائشة رضی (٦٣) الله عنها حين افاض بعضهم في ذلك

الكلام السيئ وما ذكر من شأن
الافك فقال تعالى لولا يعني هلا اذ
سمعتهم أى ذلك الكلام الذى
رمت به أم المؤمنين رضى الله عنها
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا أى قاسوا ذلك الكلام على
انفسهم فان كان لا يليق بهم فام
المؤمنين أولى بالبرائة منه بطريق
الاولى والاخرى وقد قيل انها نزلت
في أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى
وامرأته رضى الله عنها كما قال
الامام محمد بن اسحق بن يسار عن
أبيه عن بعض رجال بنى النجار
ان أبأيوب خالد بن زيد الانصارى
قالت له امرأته أم أيوب يا أيها
أيوب أمانت مع ما يقول الناس في
عائشة رضى الله عنها قال نعم وذلك
الكذب أكنت فاعله ذلك يأثم
أيوب قالت لا والله ما كنت لافعله
قال فعائشة والله خير منك قال
فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل
من قال في الفاحشة ما قال من أهل
الافك ان الذين جاؤا بالافك عصبة
منكم وذلك حسان وأصحابه الذين
قالوا ما قالوا ثم قال تعالى لولا اذ
سمعتهم ظن المؤمنون الآية أى
كما قال أبو أيوب وصاحبته وقال

أيضا اسم رجل من قحطان وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ولكن المراد
هنا ان الهدد جاء الى سليمان بنجر مانعا منه في مدينة سبأ مما وصفه وسيأتى من المأثور
ما يوضح هذا ويؤيده وعن ابن عباس قال سبأ بأرض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين
صنعاء مسيرة ثلاث ليال والمعنى ان الهدد جاء سليمان من هذه المدينة (بنبا يقين) النبأ
هو الخبر الخطير الشأن وهذا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى
ههنا ألا ترى انه لو وضع مكان بنبا بنجر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لمافى التبان من
الزيادة التي بطا بقها وصف الحال فلما قال الهدد لسليمان ما قال قال له سليمان وما ذلك
فقال (انى وجدت امرأة تملكهم) وهى بلقيس بنت شراحيل روى ذلك عن الحسن
وقنادة وزهير بن محمد وعن ابن جريح انها بنت ذى شرح وجدها الهدد تملك أهل
سبأ وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها
مجاوسا يعبدون الشمس والضمير فى تملكهم راجع الى سبأ على تأويل القوم وأهل المدينة
والجملة هذه كالبیان والتفسير للجملة التى قبلها أى ذلك النبأ اليقين هو كون هذه
المرأة تملك هؤلاء قال ابن عباس اسمها بلقيس بنت ذى شيرة وكانت هلباء شعراء قيل
كانت من نسل يعرب بن قحطان وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم احدى أبوى بلقيس كان جنيا أخرجه ابن عساكروا بن مردويه وأبو الشيخ وابن
جرير (وأوتيت من كل شئ) فيه مبالغة والمراد انها أوتيت من كل شئ من الاشياء التى
تحتاجها الملوك من الآلة والعدة وكان يخدمها النساء وهذا عام أريد به الخصوص وقيل
المعنى أوتيت من كل شئ فى زمانها شيا من أسباب الدنيا والمال والعدة ما يليق بحالها
فخذف شيا لأن الكلام قد دل عليه (ولها عرش عظيم) أى سرير كبير ضخم وقيل المراد
بالعرش هنا الملك والاول أولى لقول سليمان أياكم يا بنى بعرشها ووصفه بالعظم بالنسبة
اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا لانه كقيل كان مضروبا من الذهب والفضة طوله ثمانون
ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه فى السماء ثلاثون ذراعا مكلا بالدر والياقوت
الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وأما وصف عرش الله بالعظيم فهو بالنسبة الى جميع
المخلوقات من السموات والارض وما بينهما فبينهما بون عظيم وفرق بين قال ابن عطية
واللازم من الآية انها امرأة ملكة على مسداتن اليمن ذات ملك عظيم وسرير كبير

محمد بن عمر الواقدي حدثني ابن أبي حبيب عن داود بن الحصين عن أبى سفيان عن أفلح مولى أبى أيوب ان أم أيوب قالت لاني أيوب
ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أفكنت يا أم أيوب قالت لا والله قال فعائشة والله خير منك فلما نزل القرآن
وذكر أهل الافك قال الله عز وجل لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين يعنى أبأيوب حين
قال لام أيوب ما قال ويقال انما قالها أبى بن كعب وقوله تعالى ظن المؤمنون الخ أى ظنوا الخير فان أم المؤمنين أهل وأولى به هذا
ما يتعلق بالباطن وقوله وقالوا أى بالسنتهم هذا افك مبين أى كذب ظاهر على أم المؤمنين رضى الله عنها فان الذى وقع لم يكن ريبه

وذلك أن محجي أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكامله يشاهدون ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولو كان هذا الأمر في رية لم يكن هكذا جهرة ولا كانا بقدرمان على مثل ذلك على رؤس الأشهاد بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستورا فاعتين أن ما جاء به أهل الأفئدة مما رواه أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الفاجرة والصفقة الخاسرة قال الله تعالى لولا أي هلا جاؤا عليه أي على ما قالوه بأربعة شهداء يشهدون على صحة ما جاؤا به فاذلم يا توابا لالشهداء فأولئك عند الله هم (٦٤) الكاذبون أي في حكم الله كاذبون فاجرون (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في

وكانت كافرة من قوم كفار وعن ابن عباس قال سرر بكرم من ذهب وقوائمه من جوهر ولو لو حسن الصنعة على الثمن عليه سبعة آيات على كل بيت باب مغلق (وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله سبحانه قبل كانوا مجوسا وقيل زنادقة ووجدت بمعنى لقيت وأصبت فتعدى لواحد (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التي يعملونها وهي عبادة الشمس وسائر أعمال الكفر (فصدّهم عن السبيل) أي صدّهم الشيطان بسبب ذلك التزيين عن الطريق الواضح وهو الايمان بالله وتوحيده (فهم لا يهتدون) إلى ذلك ولا يعبدون الهدى التي معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهامان الله له كالألهة وغيره من الظيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا لله) قال ابن الأنباري الوقف على لا يهتدون غير تام عند من شدد الألفان المعنى وزين لهم الشيطان أن لا يسجدوا وقال النخاس هي ان دخلت عليها لاقال الاخفش أي زين لهم أن لا يسجدوا لله يعني للثلاث سجود وافهوا على الوجهين مفعول له وقيل فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله ولا على هذا زائدة كقوله ما منعك أن لا تسجد وعلى قراءة الجمهور ليس هذه الآية موضع سجدة لان ذلك اخبار عنهم بترك السجود اما بالتزيين أو بالصد أو بمنع الاهتداء وقد رجع كونه على للصد الزجاج ورجح الفراء كونه على لزين قال زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا وقرى الأبا للتخفيف وعلى هذا فهي حرف تنبيه واستفحاح وما بعدها حرف نداء الأبا يسجدوا واسجدوا فعل أمر وتقديره الأبا هو لا تسجدوا قال الزجاج وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون قراءة التشديد وقراءة التخفيف وجه حسن إلا أن فيها انقطاع الخبر عن أمر سائر الرجوع بعد ذلك إلى ذكرهم والقراءة بالتشديد خبر يتبع به ضم بعض الانقطاع في وسطه وكذا قال النخاس وعلى هذه تكون جملة الأبا يسجدوا معترضة من كلام الهدى أو من كلام سليمان أو من كلام الله سبحانه وقرأ ابن مسعود هـ لا تسجدوا بالفوقية وقرأ أبي الأنا يسجدوا بالتاء وفيه مناسبة لما قبله وهي الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله (الذي يخرج الخبء في السموات والارض) يقال خبأت الشيء أخبأه خبا والخبء ما خبأت أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيه - ما لأنه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من فيه - ما عالم

الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) يقول تعالى ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة أيها الخائضون في شأن عائشة بأن قبلت بتمسككم واتباعكم اليه في الدنيا وعفانكم لايمانكم بالنسبة الى الدار الآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه من قضية الافك عذاب عظيم وهذا فيمن عنده ايمان يقبل الله بسببه التوبة كطع وحسان وجنسة بنت جحش أخت زينب بنت جحش فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي ابن سلول واضرابه فليس أولئك مرادين في هذه الآية لانه ليس عندهم من الايمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقا مشروطا بعدم التوبة أو ما يقابلها من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه ثم قال تعالى اذ تلقونه بالسنتكم قال مجاهد وسعيد بن جبيرة يرويه بعضكم عن بعض

يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وكذا بعضهم كذا وقرأ آخرون اذ تلقونه بالسنتكم وفي صحيح البخاري عن عائشة انها كانت تقرؤها كذلك وتقول هو من لقي اللسان يعني الكذب الذي يستمر صاحبه عليه تقول العرب ولقي فلان في السير اذا استمر فيه والقراءة الاولى أشهر وعليها الجمهور ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة هي أعلم به من غيرها وقوله تعالى وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي تقولون ما لا تعلمون ثم قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين

بجميع

وتحسبون ذلك يسيرا سهلا ولولم تكن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لما كان هينا فكيف وهى زوجة النبي الامي خاتم الانبياء وسيد
المرسلين فعظيم عند الله ان يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل فان الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة
نبي من الانبياء ذلك حاشا وكلا ولمالم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الانبياء وزوجة سيد ولد آدم على الاطلاق في الدنيا
والآخرة ولهذا قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي الصحيحين ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى
ما تباع به يومئذ في النار ابعده مما بين السماء والارض وفي رواية (٦٥) لا يلقى لها بالاً (ولو لا اذ سمعتموه قلمت ما يكون لنا

ان تكلم به اذا سبحانك هذا بهتان
عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله
أبدا ان كنتم مؤمنين وبين الله
لكم الآيات والله عليم حكيم) هذا
تأديب آخر بعد الاول الامر بظن
الخير أى اذا ذكر ما لا يلقى من القول
في شأن الخيرة فالولى ينبغي الظن
بهم خيرا وان لا يشعر نفسه سوى
ذلك ثم ان علق بنفسه شئ من ذلك
وسوسة أو خيالا فلا ينبغي ان يتكلم
به فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى تجاوز لامتى عما
حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل
اخرجاه في الصحيحين وقال الله
تعالى ولو لا اذ سمعتموه قلمت ما يكون
لنا ان تكلم بهذا أى ما ينبغي لنا ان
نتقوه بهذا الكلام ولان ذكره لا حد
سبحانك هذا بهتان عظيم أى
سبحان الله ان يقال هذا الكلام
على زوجة رسوله وحليته خليله ثم
قال تعالى يعظكم الله ان تعودوا
لمثله أبدا أى ينهاكم الله متوعدا ان
يقع منكم ما يشبه هذا أبداى فيما
يستقبل ولهذا قال ان كنتم مؤمنين
أى ان كنتم تؤمنون بالله وشرعه
وتعظمون رسوله صلى الله عليه وسلم

بجميع المعلومات وفي اخراج الخبر دليل على القدرة قال الزجاج جاء في التفسير ان
الخبر ههنا بمعنى القطر من السماء والنبات من الارض وقيل خبر الارض كنوزها
ونباتها وقال قتادة الخبر السر قال النخاس أى ما غاب فيها وقرئ الخبر بنسخ الباء من
غزهمز وقرئ الخبايا لالف قال أبو حاتم وهذا لا يجوز في العربية ورد عليه بان سيبويه
حكى عن العرب ان الالف تبدل من الهمزة اذا كان قبلها ساكن وقرئ من السموات قال
الفراسم وفي تعاقبان عن ابن عباس قال يعلم كل خبيثة في السماء والارض (ويعلم
ما تحفون وما تعلمون) قرئ بالخبيثة في الفعلان وبالفوقية للخطاب اما الاولى فلكون
الضياء المتقدمه ضمما رعية وأما الثانية فلكون القراء فيها الامر بالسجود والخطاب
لهم بذلك فهذا من ذلك الخطاب والمعنى ان الله سبحانه يخرج ما في هذا العالم الانساني من
الخفي بعلمه كما يخرج ما خفي في السماء والارض وفيه دليل على اثبات العلم والاعلان
ذكرة لتوسيع دائرة العلم للتبسيه على تساويهما بالنسبة الى علمه تعالى ثم بعد ما وصف الرب
سبحانه بما تقدم مما يدل على عظيم قدرته وجليل سلطانه وسعة علمه ووجوب توحيده
وتخصيصه بالعبادة قال (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) بالجر نعتا للعرش وبالرفع
نعتا للرب وخص العرش بالذكور لانه أعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وأما عرش بلقيس فتعظيمه بالاضافة الى عروش أبناء جنسها
من الملوك وهذا بالنسبة الى جميع الموجودات من السماء والارض وبينهما بون عظيم
كما تقدم والى هنا كلام الهدهد لكنه من قوله الذى يخرج الى هنا ليس داخل تحت قوله
أحطت بما لم تحط به يعنى ليس بمعلم الهدهد دون سليمان بل سليمان يعلمه أيضا على وجه
أتم وأكمل من علم الهدهد وانما ذكر الهدهد لبيان ما هو عليه معتقده وظهار التصليه
في الدين فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) له سليمان (سننظر) فيما أخبرتنا به من هذه
القصة وتعرف والنظر هو التأمل والتصفح وفيه ارشاد الى البحث عن الاخبار والكشف
عن الحقائق وعدم قبول خبر الخبيرين تقليدا لهم واعتمادا عليهم اذا تمكن من ذلك بوجه
من الوجوه (أصدقت) فيما قلت والهزمة استفهامية (أم كنت من الكاذبين) أم هى
المتصلة وهذا القول أبلغ من قوله أم كذبت فيه مع انه اخصر وأشم رلان المعنى من الذين
انصفوا بالكذب وصار خلقا لهم فهو يفيد أنه كاذب لاحتماله على أتم وجهه ومن كان كذلك

(٩ - فتح البيان سابع) فاما ان كان متصفا بالكفر فلا حكم آخر ثم قال تعالى وبين الله لكم الآيات أى يوضح لكم الاحكام
الشرعية والحكم القدرية والله عليم حكيم أى عليم بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في
الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئا من الكلام السيء فقام بذم
شئ منه وتكلم به فلا يكفر منه ولا يشيعه ويزبعه فقد قال تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم
أى يختارون ظهور الكلام عنهم بالقيح لهم عذاب أليم في الدنيا أى بالحسد وفي الآخرة بالعذاب الليم والله يعلم وأنتم لا تعلمون أى

فردوا الامور اليه ترشدا ووافق الامام احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون بن أبي محمد المراني حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته (ولو لافضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولو لافضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدأ ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) يقول الله تعالى ولو لافضل (66) الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم أي لولا هذا كان أمر آخر ولكنه

لا يوثق به وقال البيضاوي التغيير للمبالغة والمحافظة على القواصل ثم بين سليمان هذا النظر الذي وعده فقال (اذهب بكاتبى هذا فאלقه اليهم) أي الى أهل سبا قال الزجاج في ألقه خمسة أوجه قرئ بها وخص الهدى بارساله بالكاتب لانه الخبر بالقصة ولكونه رأى منه من مخايل الفهم والعلم ما يقتضى كونه أهلا للرسالة (ثم قول) أي تخرج وانصرف عنهم) وقف قريبا منهم وانما أمره بذلك ليكون النبي بعد دفع الكتاب من أحسن الآداب التي يتأدب بها رسل الملوك والمراد النبي الى مكان يسمع فيه حديثهم حتى يخبر سليمان بما سمع وقيل معنى التولى الرجوع اليه والاول وأولى لقوله (فانظر ماذا يرجعون) أي تأمل وتفكر فيما يرجع بعضهم الى بعض من القول وما يترجعونه بينهم من الكلام قال ابن عباس يقول كن قريبا منهم فانظر ما الذي يردونه من الجواب (قالت) بلقيس (يا أيها الملك) في الكلام حذف والتقدير فذهب الهدى فآلقاه اليهم فسمعتها تقول يا أيها الملك (أني ألقى الى كتاب كريم) والملاهم الاشراف وهم الاملاء لانهم يعلون العيون وفاعل ألقى محذوف قيل لجلها به ان لم تكن شاهدته وقيل لاحتقاره ان كانت رأته والكريم المكرم المعظم ووصفت الكتاب بالكريم لكونه من عند عظيم في نفسها فغظمته اجلالا لسليمان وقيل لاشتماله على كلام حسن وقيل لكونه مصدرا بالبسملة وقيل لغرابته شأنه وقيل لكونه وصل اليها محتوما بما جاتم سليمان وكرامة الكتاب ختمه كما روى ذلك مرفوعا قال ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ثم بينت ما تضمنه هذا الكتاب فقالت (انه من) عبدالله (سليمان) بن داود الى بلقيس ملكة سبا (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) أي وان ما اشتمل عليه الكتاب من الكلام وتضمنه من القول مفتوح بالتسمية وفيه إشارة الى سبب وصفها اياه بالكريم قال ابن عباس انطلق بالكتاب حتى اذا توسط عرشها التي الكتاب اليها فقرئ عليها فاذا فيه انه من سليمان الخ وأخرج ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية فكان يكتب بسم الله وبعد السلام على من اتبع الهدى (ان لا تعالوا) أي اما بعد فلا تكبروا (على) كما تفعله جبارة الملوك وان هي المفسرة وقيل مصدرية ولانهاية وقيل نافية ومحل الجملة الرفع على انها بدل من كتاب أو خبر مبتدأ محذوف أي هو ان لا تعالوا وقرئ لا تعالوا بالغين من الغلوه وهو تجاوزا لحذف الكبر (واستوفى مسلمين)

تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم فتاب على من تاب اليه من هذه وطهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم عليهم ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان يعني طرائقه ومساكده وما يأمر به ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر هذا تنفير وتحذير من الله بافصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس خطوات الشيطان عمله وقال عكرمة زغاته وقال قتادة كل معصية فهي من خطوات الشيطان وقال أبو مجاز البدور في المعاصي من خطوات الشيطان وقال مسروق سألت رجلا من مسعود فقال اني حرمت ان آكل طعاما وسمما فقال هذا من زغات الشيطان كفر عن يمينك وكل وقال الشعبي في رجل نذر ذبيح ولده هذا من زغات الشيطان وأفتاه ان يذبح كبشا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان ابن عبد الله المصري حدثنا السري ابن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال غضبت على امرأتي

فقالت هي يوم يهودية ويوم نصرانية وكل مملوك لها حران لم تطلق امرأتك فأبنت عبدالله بن عمر فقال انما هذه من زغات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفضه امرأة بالمدينة وابنة عاصم بن عمرو قالت مثل ذلك ثم قال تعالى ولو لافضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدأ أي لولا بركة من يشاء التوبة والرجوع اليه ويزكى النفوس من شركها وخيرها ودينها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا ولكن الله يزكى من يشاء أي من خلقه ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي وقوله والله سميع أي سميع لأقوال عباده عليم عن يستحق منهم الهدى والضلال

(ولا يأكل أولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا) أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصنعوا الاتحجون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) يقول تعالى ولا يأكل من الاثمة وهي الخلف أى لا يحلف أولوا الفضل منكم أى الطول والصدقة والاحسان والسعة أى الجدة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله أى لا تحلفوا أن لا تصلوا قراياتكم المساكين والمهاجرين وهذا في غاية الترفق والعطف على صلة الارحام ولهذا قال تعالى وليعفوا وليصنعوا أى عما تقدم منهم من الاساءة والاذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لانفسهم (٦٧) وهذه الآية نزلت في الصديق حين

حلف أن لا ينفع مسطح بن اثانة بنافعة أبدا بعد ما قال في عائشة ما قال كما تقدم في الحديث فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيم عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة بعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن اثانة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكينا لا مال له الا ما تنفق عليه أبو بكر رضى الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد ذلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها وكان الصديق رضى الله عنه معروفا بالمعروف له الفضل والأيادي على الاقارب والاجانب فلما نزلت هذه الآية الى قوله الاتحجون أن يغفر الله لكم الآية فان الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب السك يغفر الله لك وكما تصفح عنك فعند ذلك قال الصديق بلى والله انانجب ان تغفر لنا بار بنا ثم رجع الى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال والله لا أنزعها منه أبدا في مقابلة ما كان

أى طائعين منقادين للدين مؤمنين بما جئت به قيل لم يزد سليمان على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جلا لا يطيلون ولا يكثرون قيل طبعه سليمان بالمسك أى جعل عليه قطعة منه كالشمع ثم ختمه بخاتمته (قالت يا أيها الملا أقتوني في أمرى) أى اشير واعلى وينوالى الصواب في هذا الامر وأجيبونى بما يقتضيه الحزم وعبرت عن المشورة بالقوى لكون ذلك حلالا أشكل من الامر عليها وفي الكلام حذف والتقدير فلما قرأت بلقيس الكتاب جمعت اشراف قومها وكانوا ثلثمائة واثني عشر لكل واحد منهم اتباع كثيرة وقالت لهم يا أيها الملا انى أنى الى يا أيها الملا أقتونى وكررت لمزيد العناية بما قالته لهم ثم زادت في التأدب واستجلاب خواطرهم ليعضوها النصيح ويشيروا عليها بالصواب فقالت (ما كنت قاطعة أمر احق تشهدون) أى عادى وشأتى معكم انى ما كنت مبرمة وقاضية وفاصلة أمر من الامور حتى تحضروا عندي ونشروا على فلما قالت لهم ذلك (قالوا) مجيبين لها (نحن أولو قوة) في العدد والعدة (وأولو بأس شديد) عند الحرب واللقاء ولنا من الشجاعة والنجدة ما نمنع به أنفسنا وبلدنا ومملكتنا يعنى أشاروا عليها بالقتال ثم فوضوا الامر اليها لعلهم بصحة رأيها وقوة عقولها فقالوا (والامر) موكول (الملك) أى الى رأيك ونظرك (فانظري) أى تأملى (ماذا أمرين) ايانا به فنحن سامعون لامرك مطيعون له فلما سمعت تفويضهم الامر اليها لم ترض بالحرب بل مالت للصلح وبينت السبب في رغبتها فيه (وقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) من القرى (أفسدوها) أى خربوا مبانيها وغير ما غنيتها وائتلفوا اموالها وفرقوا شمل أهلها قال ابن عباس اذا أخذوها عنوة وقهر آخر بها وعن الزجاج مثله (وجعلوا أعرزة أهلها اذلة) أى أهانوا اشرافها وحطوا مراتبهم فصاروا عند ذلك اذلة وانما يفعلون ذلك لاجل ان يتم لهم الملك وتستحكم لهم الوطأة وتنتقر لهم في قلوبهم المهابة والمقصود من قولها هذا تحذير قومها من مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم (وكذلك) أى مثل ذلك الفعل (يفعلون) أرادت ان هذه عادتهم المستمرة التى لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت قال ابن الانبارى الوقف على قوله اذلة وقت تام فقال الله عز وجل تحقبقا وتصديقا لقولها وكذلك يفعلون وقيل هذه الجملة من تمام كلامها فيكون من جملة مقول قولها اذلة كدت به ما قبله وعلى الاول مستأنفة لا يحمل لها من الاعراب قال النسبى واحتج السامعى فى الارض

قال والله لا أنفعه بنافعة أبدا فلماذا كان الصديق هو الصديق (ان الذين يرمون المحصنات العافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفىهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين) هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات العافلات خرج مخرج الغالب المؤمنات فأمهات المؤمنين أولى بالدخول فى هذا من كل محصنة ولا سيما التى كانت سبب النزول وهى عائشة بنت الصديق رضى الله عنها وقد أجمع العلماء رجمهم الله قاطبة على ان من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذى ذكر فى هذه الآية فإنه كافر لانه معاند للقرآن

وفي بقية أمهات المؤمنين قولان أحدهما أنهن كهي والله اعلم وقوله تعالى لعنوا في الدنيا والآخرة الآية كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقد ذهب بعضهم الى انها خاصة بعائشة رضی الله عنها فقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات قال نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبیر ومقاتل بن حیان وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقالت حدثنا احمد بن عبد الله الضبي حدثنا ابو عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن انس عن عائشة رضی (٦٨) الله عنها قالت رميت بما رميت به وانما عافله فبلغني بعد ذلك قالت فيمن رسول

بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقرآن على وجه التعريف فقد جمع بين كفر من انتهى ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة وبيئت لهم ما في دخول الملوكة الى أرضهم من المفسدة أو ضحت لهم وجه الرأي عندها وصرحت لهم بصوابه فقالت (واني مرسله اليهم) أي اني أجرب هذا الرجل بارسال رسلي اليه (بهديته) مشتقته على نقائس الاموال فان كان ملكا أرضينا به ذلك وكذا سينا أمره وان كان نبيا لم يرضه ذلك لان غاية مطلبه ومنتهى أربه هو الدعاء الى الدين فلا يتخيئنا منه الا اجابته ومتابعته والتدين بدينه وسلك طريقته ولهذا قالت (فتاظره بهم يرجع المرسلون) بالهدية من قبول أو رد فعامله بما يقتضيه ذلك وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتهم واخذ طول المفسرون في ذكر هذه الهدية قال ابن عباس أرسلت بلبيسة من ذهب فلما قدموا اذا احطان المدينة من ذهب فذلك قوله اتمدون بحال الآية وقال ثابت البناني أعدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج وقال مجاهد أهدت جوارى لباسهن لباس الغلمان وغلمانا لباسهم لباس الجوارى وقال عكرمة أهدت مائتي فرس على كل فرس غلام وجارية وعلى كل فرس لون ليس على الآخر وقال سعيد بن جبیر كانت الهدية جواهر وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بذلك (فلما جاء) رسولها المرسل بالهدية وهو من ذر بن عمرو والمراد بهذا المضمحل جنس فلا ينافي كونهم جماعة كما يدل عليه قولها بم يرجع المرسلون وقرئ فلما جاء أي الرسل (سليمان قال أعذون بحال) مسانفة والاستفهام للانكار أي قال منكر الامدادهم له بالمال مع علو سلطانه وكثرة ماله (فما آتاني الله) من النبوة والعلم والملك العظيم والاموال الكثيرة (خير مما آتاني) من المال الذي هذه الهدية من جلته وهذا تعليل للنفي ثم انه أضرب عن الانكار المتقدم فقال توبخا لهم بفرحهم بهذه الهدية فرح فخرو وخيلاء (بل أنتم هديتكم تفرحون) وأما أنا فلا أفرح بها وليست في الدنيا من حاجتي لان الله سبحانه قد أعطاني منها ما لم يعطه أحد من العالمين ومع ذلك أكرمني بالنبوة والمراد به هذا الاضراب من سليمان بيان السبب الحامل لهم على الهدية مع الازراء بهم والحط عليهم ثم قال سليمان للرسول (ارجع اليهم) أي الى بلقيس وقومها بما أتيت به من الهدية وحاطب المفرد ههنا بعد خطابه للجماعة فيما قبل امال ان الذي يرجع هو الرسول فقط أو خص أمير الرسل

الله صلى الله عليه وسلم جالس عندي اذا وحي اليه قالت وكان اذا وحي اليه أخذته كهيشة السبات وانه أوحى اليه وهو جالس عندي ثم استوى جالساً يسبح على وجهه وقال يا عائشة ابشري قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرأ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم هكذا اورده وليس فيه ان الحكم خاص بها وانما فيه انها سبب التزول دون غيرها وان كان الحكم بعمها كغيرها واعلمه مراد ابن عباس ومن قال كقوله والله اعلم وقال الضحاك وابو الجوزاء وسلمة بن نشيط المراد بها ازواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء وقال العوفي عن ابن عباس في الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية يعني ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وما هن اهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وبأوابه خط من الله فكان ذلك في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة

شهداء الى قوله فان الله غفور رحيم فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد وقال ابن جرير حدثنا القاسم بن الخطاب حدثنا الحسين حدثنا هشيم أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية قال في شأن عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مهمة وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن كذب أو لئلك توبة قال فهم بعض القوم ان يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور فقوله وهي مهمة أي

عامة في تحريم قذف كل محصنة ولعنته في الدنيا والآخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا أيضا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى ولكن عائشة كانت اما في ذلك وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح وبعض مد العموم مارواه ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن اخي بن وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن ابي الغيث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الابلاخ واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي (٦٩) يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات

المؤمنات اخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الخذاء الحراني حدثني ابي ح وحدثنا ابو شعيب الحراني حدثنا جدي احمد بن ابي شعيب حدثني موسى بن اعيين عن ليث عن ابي اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة وقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشجعي حدثنا ابو يحيى الرازي عن عمرو بن ابي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال انهم يعني المشركين اذا رأوا أنه لا يدخل الجنة الا اهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نبعثك فيبعثون فيختم على افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم ولا يكتبون الله حديثنا وروى ابن ابي حاتم وابن جرير ايضا حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي

باخطاب هنا وخطبهم معه فيما سبق اقتننا في الكلام وقرئ ارجعوا وقيل ان الضمير يرجع الى الهدى واللام في (فلما تبينهم) جواب قسم محذوف أي والله ان لم يأتوني مسلمين لئن أتيتهم قال النحاس وسعدت ابن كيسان يقول هي لام تو كيد ولام أمر ولام خفض وهذا قول الخدائق من نحو بين لانهم يريدون الشيء الى أصله وهذا لا يتم الا لمن درب في العربية (بجئود لا قبل) أي لا طاقة (لهم بها) وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة أي لا يقدر ان يقابلهم (ولنخرجهم منها) أي من بلادهم وأرضهم التي هم فيها وهي سبأ حال كونهم (أذلة) بعد أن كانوا أئمة (وهم صاغرون) هي حال ثانية مؤكدة للدلالة لان الصغار هو الذلة وقيل ان المراد بالصغار هنا الاسر والاستعباد وقيل ان الصغار الاهانة التي تسبب عنها الذلة ولما رجع الرسول الى بلقيس بالهدية تجهزت للمسير الى سليمان استنظر ما يامر هابه وأخبر جبريل سليمان بذلك (قال) سليمان لكل من هو عنده في قبضته من الجن والانس وغيرهما (يا أيها الملا أيكم يا تيني بعرضها) أي عرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم وكان سليمان اذ ذلك في بيت المقدس وعرضها في سبأ بلدة باليمن وبينها وبين القدس مسيرة شهرين (قبل أن يأتوني مسلمين) أي قبل أن تأتي هي وقومها منقادين طائعين قبل انما أراد سليمان أخذ عرشها قبل أن يصلوا اليه ويسلموا لانهم حينئذ حريون واذا أسلمت وأسلم قومها لم يحل أخذ أموالهم بغير رضائهم لان الاسلام يعصم مالهم قال ابن عطية وظاهر الروايات ان هذه المقالة من سليمان بعد مجيئها هديتها وردها لها وبعثه الهدى بالكتاب وعلى هذا وجه الروايات ان هذه المقالة من سليمان بعد مجيئها هديتها وصولها اليها القدرة التي هي من عند الله ويجعله دليلا على نبوته وقيل أراد أن يختبر عقابها ولهذا قال نكر والهاعرشها كما سمي أي وقيل أراد أن يختبر صدق الهدى وصفه للعرش بالعظام والقول الاول هو الذي عليه الاكثر (قال عفرية من الجن) وقرئ عفرية بفتح التحتية بعدها ثمانية منقلبة هاء ورويت هذه عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقرأ أبو حيان بفتح العين وهو شاذ والعفرية المارد الغليظ الشديد القوى قال النحاس يقال للشديد اذا كان معه خبث ودهاء عفرية وعفرية وعفرية وقال قتادة هو الداحية وقيل هو رئيس الجن وقال ابن عطية وقرأت فرقة عفرية بكسر العين جمع على عفار قال وهب اسمه كوزي وقال السهيلي ذكوان وقيل هو صخر المارد قاله ابن عباس

سعد عن ابي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيبعثون فيقال له هو لا خير انك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال اهلك وعشيرة فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيمخلفون ثم يصهم الله فتشهد عليهم ايديهم والسنتهم ثم يدخلهم النار وقال ابن ابي حاتم ايضا حدثنا ابو شيبة ابراهيم بن عبد الله بن ابي شيبة الكوفي حدثنا منجاب بن الحرث التميمي حدثنا ابو عامر الاسدي حدثنا سفيان بن عيينة المكتوب عن فضيل بن عمرو والنقبي عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كما عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذ ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من محادثة العبد ربه يوم

القيامة يقول يارب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول لا جبر علي إلا شاهدمني من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا
 وبالكرام عليك شهودا فيختم على فيه ويقال لا ركنه انطق فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وسحقا
 فعمكن كنت أناضل وقدر واه مسلم والنساء جميعا عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبيه عن عبد الله الأشعبي عن سفيان الثوري
 به ثم قال النساء لا أعلم احدا روى هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الأشعبي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال وقال
 قتادة ابن آدم والله ان عليك لشهودا غير (٧٠) متهمه من يدلك فراقهم وانق الله في شرك وعلا نيتك فانه لا يخفى عليه

وقيل اسمه دعوان وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان مسخر السليمان
 (أنا آتيتك به) أي أنا سأتى بالعرش اليك مضارع أو اسم فاعل (قبل أن تقوم من مقامك)
 أي مجلسك الذي تجلس فيه للحكومة بين الناس وهو من الغداة الى نصف النهار (واني
 عليه) أي على حمله (لقوى آمين) على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع
 من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المنزل على الانبياء قبل سليمان كالنوراة التي
 أنزلت على موسى قال أكثر المفسرين اسمه آصف بن برخيا بالمد وبالقصير وهو من بني
 اسرائيل وكان وزير السليمان وصدايقه وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تطهر الخوارق
 على يديه كثيرا وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب
 قال ابن عطية وقالت فرقة هو سليمان نفسه ويكون الخطاب على هذا للعصية كان
 سليمان استبطأ ما قاله العصية فقال له هذه المقالة تحقره وقيل هو جبريل وقيل ملك
 آخر وقيل الخضر وقد قيل غير ذلك مما لا أصل له والاول أولى (أنا آتيتك به) أي بالعرش
 وقال مجاهد في قراءة ابن مسعود أنا أنظر في كتاب ربي الخ ثم آتيتك به (قبل ان يرتد اليك
 طرفك) اذا نظرت به الى شيء ما والمراد بالطرف تحريك الاجفان وفحصها للنظر وارتداده
 انضمامها واول كونه أمر طبيعيا غير منوط بالنصد آخر الارتداد على الرد وفي القاموس
 ان الطرف كما يطلق على نظر العين يطلق على العين نفسها وقيل هو بمعنى المطرف أي
 الشيء الذي ينظره وقيل هو نفس الجفن عبره عن سرعة الامر كما تقول لصاحبك افعل
 ذلك في لحظة قاله مجاهد وقال سعيد بن جبيرة انه قال لسليمان انظر الى السماء فاطرف
 حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يعود اليك طرفك بعد مده الى السماء والاول
 أولى هذه الاقوال ثم الثالث قال ابن عباس لم يجز عرش صاحبة سببا بين الارض والسماء
 ولكن انشقت به الارض فجري تحت الارض حتى ظهر بين يدي سليمان وقال مجاهد لما
 تكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش في نفق تحت الارض حتى خرج اليهم (فلما رآه
 مستقرا عنده) قيل في الآية حذف والتقدير فاذن له سليمان فدعا الله فأتى به فلما رأى
 سليمان العرش حاضر لديه (قال هذا) أي حضور العرش وثبوت من غير تحريك وتقليل
 (من فضل ربي) واحسانه اي (ليسلوني) أي ليختبرني وقيل ليعبدني وهو مجاز والاصل
 في الابتلاء الاختبار (أأشكر) الله بذلك وأعترف بان من فضله من غير حول مني ولا قوة

نافية الظلمة عنده ضوء والسر
 عنده علانية فمن استطاع أن يموت
 وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة
 الا بالله وقوله تعالى يومئذ يوفهم
 الله دينهم الحق قال ابن عباس
 دينهم أي حسابهم وكل ما في
 القرآن دينهم أي حسابهم وكذا
 قال غير واحد ثم ان قراءة الجمهور
 بنصب الحق على انه صفة لدينهم
 وقراء مجاهد بالرفع على انه نعت
 الجلالة وقراء بعض السلف في
 مصحف أبي بن كعب يومئذ يوفهم الله
 الحق دينهم وقوله ويعلمون ان الله
 هو الحق المبين أي وعده ووعدته
 وحسابه هو العدل الذي لا جور
 فيه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون
 للخبيثات والطيبات للطيبين
 والطيبون للطيبات) ولئن لم يرو
 مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم
 قال ابن عباس الخبيثات من القول
 للخبيثين من الرجال والخبيثون
 من الرجال للخبيثات من القول
 والطيبات من القول للطيبين من
 الرجال والطيبون من الرجال
 للطيبات من القول قال وزلت في
 عائشة وأهل الافك وهكذا روى

عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والشعبي والحسن بن أبي الحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك وأقوام
 واختاره ابن جرير ووجهه بان الكلام القبيح أولى باهل القبيح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس مانسبه أهل
 النفاق الى عائشة من كلامهم أولى به وهي أولى بالبراءة والتزاهة منهم ولهذا قال تعالى أولئك مبرؤن مما يقولون وقال عبد الرحمن
 ابن زيد بن أسلم الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين
 من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا أيضا يرجع الى ما قاله أولئك باللازم أي ما سكن الله ليجعل عائشة

زوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهى طيبة لانه اطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له لاشرعاً ولا قدراً
ولهذا قال تعالى وان من دونهم بغيضون اي هم بعداء عما يقوله أهل الافك والعدوان لهم مغفرة أى بسبب ما قيل فيهم من
الكذب ورزق كريم أى عند الله في جنات النعيم وفيه وعد بأن تكون زوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة قال ابن أبي
حاتم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن الحكم بن أسناده الى يحيى بن الجزار
قال جاء أسير بن جابر الى عبد الله فقال لقد سمعت الوليد بن عقبة (٧١) تكلم اليوم بكلام أعجبنى فقال عبد الله ان

الرجل المؤمن يكون في قلبه
الكلمة الطيبة تتجلى في صدره
ما يستقر حتى يلفظها فيسمعها
الرجل عنده يتلها فيضمها اليه وان
الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة
الطيبة تتجلى في صدره ما يستقر
حتى يلفظها فيسمعها الرجل الذي
عنده يتلها فيضمها اليها ثم قرأ عبد
الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات الآية ويشبه
هذا ما رواه الامام أحمد في المسند
مرفوعاً مثل الذي يسمع الحكمة
ثم لا يحدث الا بشر ما سمع كذلك رجل
جاء الى صاحب غنم فقال اجز لي شاة
فقال اذهب فخذ بأذن ايهما شئت
فذهب فاخذ بأذن كلب الغنم وفي
الحديث الآخر الحكمة ضالة
المؤمن حيث وجدها اخذها (بأبوابها
الذين آمنوا تدخلوا بيوتنا غير
بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا
على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم
تذكرون فان لم تجدوا فيها أحد فلا
تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا هو أركى
لكم والله بما تعملون علم ليس عليكم

وأقوم بحقه (أمأ كفر) بترك الشكر وعدم القيام به أو بان أثبت لنفسى فعلا وتصرفا
في ذلك وقال الاخفش المعنى لينظر أشكر أمأ كفر (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) لانه
استحق بالشكر تمام النعمة ودوامها فان الشكر قيسد النعمة الموجودة وصيد النعمة
المفقودة والمعنى انه لا يرجع نفع ذلك وثوابه الا الى الشكر (ومن كفر) النعمة بترك
الشكر (فان ربي غني) عن شكره (كريم) في ترك المعالجة بالعبودية بنزع نعمه عنه
وسلمه ما أعطاه منها (قال نكرو والهاعرشها) قيل انما أعيد ذكر القول لكون المتعلق
مختلفا لكونه أو لثناء على الله وثانيه متعلقا بشأن عرشها والتنكير التغيير وجعل الشيء
بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه نقل الى مصطلح أهل العربية يقول غير واسريرها الى
حال تنكره اذ ارأته قيل جعل أسفله أعلاه وأسفله وقيل غير بزيادة ونقصان قاله
ابن عباس قال الفراء وغيره انما مر بتنكيره لان الشياطين قالوا له ان في عقلها شياً فاراد
ان يتخنها وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان فيولد له ولد منها فيبقون مسخرين
لا ل سليمان أبدأ فقالوا سليمان انها ضعيفة العقل ورجلها كرجل الحمار وقيل أراد
سليمان ان يظهر لها أن الجن مسخرون له (تنظر) أى نعلم قرئ بالخزم على انه جواب الامر
وبه قرأ الجمهور وقرئ بالرفع على الاستئناف قال ابن عباس لننظر الى عقلها فوجدت
ثابتة العقل (أتهتدى) الى معرفته أو الى الايمان بالله (أم تكون من الذين لا يهتدون)
الى ذلك (فلما جاءت) بلقيس الى سليمان (قيل) لها والقائل هو سليمان أو غيره بامر
(أهكذا عرشك) الذي تركته في قصرك وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حرسا
والهمزة للاستفهام ولم يقل هذا عرشك لثلاثا ليكون ذلك تلقينا لها فلا يتم الاختبار لعقلها
(قالت كأنه هو) أى فاجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من راحة
عقلها حيث لم تقع في التمثل للامر من قال مجاهد جعلت تعرف وتشكر وتعجب من
حضوره عند سليمان فقالت كأنه هو وقال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شهبوا
عليها ولو قيل لها أهذا عرشك لقلت نعم وقال عكرمة كانت حكيمة قالت ان قلت هو
خشيت ان اكذب وان قلت لا خشيت ان أكذب فقالت كأنه هو (وأوتينا العلم من
قبلها وكما مسلمين) قيل هو من كلام بلقيس أى وأوتينا العلم بجملة نبوة سليمان من قبل هذه

جناح ان تدخلوا بيوتنا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين
وذلك في الاستئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتنا غير بيوتهم حتى يستأنسوا أى يستأذنون قبل الدخول ويسلموا بعده وينبغي أن
يستأذن ثلاث مرات فان أذن له والا انصرف كما ثبت في الصحيح ان أبا موسى حين استأذن على عمر ثلثا فلم يؤذن له انصرف ثم قال
عمر ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ائذنوا له فطلبوه فوجدوه قد ذهب فلما جاء به ذلك قال ما أرجعك قال انى استأذنت
ثلاثا فلم يؤذن لي وانى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليصرف فقال عمر لئن نبى على

هذا بينة والأوجب جعلت ضرباً فذهب إلى ملائمة الانصار فذكر له - ثم ما قال عمر فقالوا لا يشهد لك الا بصغركنا فقام معه أبو سعيد الخدري فاخبر عمر بذلك فقال ألهاني عنه الصفاق بالاسواق وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عمر عن ثابت عن أنس وأوغرته ان النبي صلى الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عبادة فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال سعد وعليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى سلم ثلاثاً وورد عليه سعد ثلاثاً ولم يسمعه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه سعد فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما سلمت تسليمية (٧٢) الا وهي بأذني ولقد رددت عليك ولم أسمعك وارتدت ان استكثر من سلامك ومن

الآية في العرش وكذا منقادين لأمره وقيل هو من قول سليمان اي وأوتينا العلم بقدره الله من قبل بلقيس وقيل العلم باسلامها ومجيئها طائفة من قبل مجيئها وقيل هو من كلام قوم سليمان والقول الثاني أرجح من سائر الأقوال وبه قال مجاهد وعن زهير بن محمد نحوه (وصدها ما كانت تعب من دون الله) من جملة كلام سليمان او كلامها على الاحتمالين السابقين وذكروا السعد واحتمالا آخر وهو أنه من كلام الله سبحانه بيان لما كان يمنعها من اظهار ما دعته من الاسلام أي منعها من اظهار الايمان ما كانت تعبده وهو الشمس قال النخاس اي صدها عبادتها عن التقدم الى الاسلام وقيل منعها الله عما كانت تعبده من دونه وقيل منعها سليمان عما كانت تعبده والاولى والجمله مستأنفة للسنان (انها كانت من قوم كافرين) تلييل للجملة الاولى اي سبب تأخرها عن عبادة الله ومنع ما كانت تعبده عن ذلك انها كانت من قوم متصفين بالكفر را حنين فيسه ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بينهم بل حتى دخلت تحت ملك سليمان (قيل لها ادخلي الصرح) قال ابو عبيدة الصرح القصر وقال الزجاج الصرح العين يقال هذه صرحه الدار وقاعتها وقال ابن قتيبة الصرح بلاط اتخذها من قوارير وجعل تحته ماء وسمك وأصله من التصريح وهو الكشف وكذب صراح اي ظاهره كشوف ولوم صراح وحكى ابو عبيد في الغريب ان الصرح كل بناء عال مرتفع (فلما رأته) اي الصرح بين يديها (حسبته لجة) هي معظم الماء وقال ابن عباس البحر (و) لذلك (كشفت عن ساقها) لتخوض الماء خوفاً عليها ان تنبت فاذا هي احسن النساء ساقا سلمية مما قالت الجن فيها غير أنها كانت كثيرة الشعر فلما فعلت ذلك وبلغت الى هذا الحد (قال) لها سليمان بعد ان صرف بصره عنها (انه صرح محمد) اي مسقف بسطح (من قوارير) فن اراد مجازته لا يحتاج الى تشهير ثيابه والمرد المحكوك الملمس ومنه الامر بالملاسة ووجهه وقرن الرجل اذ لم يخرج لحيته قال الفراء ومنه الشجرة المرداء التي لا ورق لها والتمر يد في البناء القليس والتسوية والمرد ايضا المطول ومنه قيل للحصن مارد وقوارير جمع قارورة اي زجاج وتطلق القارورة على المرأة لان الولد والمثني يقترن رجمها كما يقترن في الاناء او تشبيهاً بنسبة الزجاج لضعفها قال الازهرى والعرب تكفي عن المرأة بالقارورة والقوصرة قال آزاد البحر اى رجمه الله

البركة ثم أدخله البيت فقرب اليه زيبياً فأكل كل نبي الله فلما فرغ قال أكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون وقدرى أبو داود والنسائي من حديث أبي عمرو الاوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارته عن قيس بن سعد هو ابن عباد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد رداً خفياً قال قيس فقلت ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعه يكثر علينا من السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد رداً خفياً ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم ورحمة الله ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه سعد فقال يا رسول الله انى كنت أسمع تسليمك وأرد عليك رداً خفياً التكثر علينا من السلام قال فانصرف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله خبيصة مصبوغة بزعفران أو ورس

فاشتمل بها ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وهو يقول اللهم اجعل صلاتك ورجعتك على آل سعد بن عبادة قال ثم أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطعام فلما أراد الانصراف قرب اليه سعد جارا قد وطئ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال اما أن تركب واما أن تنصرف قال فانصرف وقد روى هذا من وجوه آخر فهو حديث جيد قوى والله أعلم ثم يعلم انه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره لما

رواه أبو داود وحده ثم مؤمل بن الفضل الحراني في آخرين قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن بشر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه اليمين أو اليسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك أن الدور لم يكن عليها مؤذنتورافق ربه أبو داود وقال أبو داود أيضاً حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير حينئذ قال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص عن الأعشى عن طلحة عن هزيل قال جابرجل قال عثمان سعد فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على (٧٣) الباب قال عثمان مستقبل الباب فقال

له النبي صلى الله عليه وسلم هكذا عنك أو هكذا فأنما الاستئذان من النظر وقدرناه أبو داود الطيالسي عن سفيان الثوري عن الأعشى عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود من حديثه وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن امرأ طلع عليك بغير إذن فخذقه بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح وأخرج الجماعة من حديث شعبة عن محمد بن المنكر عن جابر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي فدقت الباب فقال من ذاققت أنا قال أنا أنا كأنه كرهه وإنما كره ذلك لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيته التي هو مشهور بها والافكل احد يعبر عن نفسه بانا فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس المأمور به في الآية وقال العوفي عن ابن عباس الاستئناس الاستئذان وكذا قال غير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار

كمن قلوب رفاق اثريسيهم * يا حادي العيس رفقاً بالقوارير
والمراد بها هنا بيت الزجاج فلما سمعت بلقيس ذلك اذعنت واستسلمت و (قالت رب اني ظلمت نفسي) أي بما كنت عليه من عبادة غيرك وهو الشمس وقيل بالظن الذي توهمته في سليمان لأنها توهمت انه أراد تعري بقها في اللجة والاول أولى (وأسلمت مع سليمان) متابعة له داخله في دينه وهو الاسلام (لله رب العالمين) التفقت من الخطاب الى الغيبة قيل لظاهر معرفتها بالله والاولى انها التفقت لما في هذا الاسم الشريف من الدلالة على جميع الاسماء ولكونه علماً للذات وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عباس في أثر طويل ان سليمان تزوجها بعد ذلك قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث قال ابن كثير في تفسيره بعد حكاية هذا القول بل هو منكر جيد ولعله من أو هام عطاء من السائب على ابن عباس والله أعلم والأقرب في مثل هذه السياقات انها متلقة عن أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم كروايات كعب ووهب صاحبهما الله فيما نقلنا الى هذه الامة من بنى اسرائيل من الاوابد والغرائب والمجانب مما كان ومالم يكن وبما حرف وبدل ونسخ انتهى وكلامه هذا هو شعبة مما قد كررناه في هذا التفسير ونهنا عليه في عدة مواضع وكنت أظن انه لم ينبه على ذلك غيري فالحمد لله على هذه الموافقة لمثل هذا الحافظ المنصف وقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت ولا علم لأحد ورا ذلك لأنه لم يذكري في الكتاب ولا في خبر صحيح وأخرج البخاري في تاريخه والعقيلي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول من صنعت له الحمامات سليمان وروى عنه مرفوعاً من طريق أخرى رواها الطبراني وابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب بلفظ أول من دخل الحمام سليمان فلما وجد حره قال أوه من عذاب الله روى ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وانقضى ملك بلقيس بانقضاء ملك سليمان فبحان من لانقضاء لدوام ملكه (ولقد أرسلنا الى عموداً خاهم صالحاً) اللام هي الموطئة للقسم وهذه القصة من جملة بيان قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وعمود هو أبو القبيلة التي منها صالح فهو وحده والمراد به هنا نفس القبيلة وتسمى عاد الثانية واما عاد الاولى فهم قوم هو ودوتقدم ان بينهما مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (ان اعبدوا الله) ان هي المنسرة أو المصدرية أي بان اعبدوا الله ووحده (فأذاهم)

(١٠ - فتح البيان سابق) حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسألوا فإذنوا قال انما هي خطأ من الكتاب حتى تستأذنوا وتسألوا وهكذا رواه هشيم عن أبي بشر وهو جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله وزادو كان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وتسألوا وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه وهذا غريب جدا عن ابن عباس وقال هشيم أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسألوا على أهلها وتستأذنوا وهذا أيضاً رواه عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير وقد قال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن

جر يجي أخبرني عمرو بن أبي سفيان أن عمرو بن أبي صفوان أخبره أن كلاة بن الحنبل أخبره أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح لبيا
وجداية وضغاييس والنبي صلى الله عليه وسلم با على الوادي قال فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم استأذن فقال
صلى الله النبي عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل وذلك بعدما أسلم صفوان ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث
ابن جرير بن يعبه وقال الترمذي حسن غريب لا يعرفه من حديثه وروى أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو الاحوص عن
منصور عن ربي قال أتى رجل من بني عامر (٧٤) استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقال أأجل فقال النبي صلى

الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا
فعله الاستئذان فقل له قل السلام
عليكم أأدخل فسمعه الرجل فقال
السلام عليكم أأدخل فاذن له النبي
صلى الله عليه وسلم فدخل وقال
هشيم أخبرنا منصور عن ابن سيرين
وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو
ابن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أأجل وأأجل فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لامة له يقال لها روضة قومي الى
هذا فعلمه فانه لا يحسن يستأذن
فقول له يقول السلام عليكم أأدخل
فسمعه الرجل فقال السلام عليكم
أأدخل فقال ادخل وقال الترمذي
حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا
سعيد بن زكريا عن عنبسة بن
عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن
محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام قبل الكلام ثم قال
الترمذي عنبسة ضعيف الحديث
ذاهب ومحمد بن زاذان في استناده
نكارة وضعف وقال هشيم قال مغيرة
قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة
وقد أذاه الرضاء فأتى فسطاط

امرأة من قريش فقال السلام عليكم أأدخل قالت ادخل بسلام فأعاد فاعتدت وهو يروح بين قدميه الطائر
قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل ولا بن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم الاحول حدثني خالد بن اياس حدثني
جدتي ام اياس قالت كنت في أربع نسوة نستأذن على عائشة فقلن ندخل فقالت لا قلن لصاحبتكن تستأذن فقالت السلام
عليكم أأدخل قالت ادخلوا ثم قالت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية وقال
هشيم أخبرنا الأشعث بن سوار عن كرويس عن ابن مسعود قال عليكم ان تستأذوا على امهاتكم واخواتكم وقال أشعث

واصل بن السائب حدثني أبو ثورة بن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة ويتنخخ فيؤذن أهل البيت هذا حديث غريب وقال قتادة في قوله حتى تستأنسوا وهو الاستئذان ثلاثين لم يؤذن لهم فليرجع أما الأولى فليسمع الحى وأما الثانية فيأخذ واحد منهم وأما الثالثة فان شأوا أذنوا وان شأوا ردوا ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم فان للناس حاجات ولهم اشغال والله أولى بالعذر وقال مقاتل بن حيان في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا (٧٦) وتسلوا على أهلها كان الرجل في الجاهلية إذا نزل صاحبها لا يسلم عليه ويقول حيت صباحا وحيت مساءً وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستره وعفته وجعله تقبلاً نزهاماً من الدنس والقذر والدرن فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلوا على أهلها الآية وهذا الذي قاله مقاتل حسن ولهذا قال تعالى

عليه ويقول حيت صباحا وحيت مساءً وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستره وعفته وجعله تقبلاً نزهاماً من الدنس والقذر والدرن فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلوا على أهلها الآية وهذا الذي قاله مقاتل حسن ولهذا قال تعالى ذلكم خير لكم بمعنى خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت لعلكم تذكرون وقوله تعالى فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وذلك لمفاهيم التصرف في ملك الغير بغير إذنه فان شاء اذن وان شاء لم يأذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أدنى لكم أي اذا ردوك من الباب قبل الاذن او بعده فارجعوا هو أركى لكم أي رجوعكم اركى لكم وأظهر والله بما تعملون عليم وقال قتادة قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمري

أولياته انهم ما فعلوا ذلك ولا رأوه وكان هذا مكرانهم ولهذا قال الله سبحانه (ومكروا) بهذه المخالفة (مكرا) وهو ما خفوه من تدبير القتل بصلاح (ومكروا مكرا) أي جازيتناهم بفعلهم فأدلسناهم (وهم لا يشعرون) بمكر الله بهم وهذا على سبيل الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة كما في الكشاف وشرحه يعني تشبيهه بالمكر من حيث كونه اضراً في خفية لان المكر قصد الاضرار على طريق الغدر والخيلة (فاتقوا كيف كان عاقبة مكركم) أي انظر ما انتهى إليه امرهم الذي نبوه على المكروما اصابهم بسببه (انادمرناهم وقومهم اجمعين) بفتح هـ هـزة انا وقري بكسر ها وهما سبعستان قال الفراء والزجاج من كسر استأنف وهو يفسر به ما كان قبله كأنه جعله تابعاً للعاقبة كأنه قال العاقبة انادمرناهم وعلى قراءة الفتح التقدير باناً ولا نأولاً كان تامة وعاقبة فاعل لها أو يكون بدل من عاقبة أو يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي انادمرناهم وفي حرف أبي ان دمرناهم والمعنى ان الله دمر التسعة الرهط المذكورين بالرعى ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك بصيغة جبريل عليه السلام وأجمعين تأكيدياً لكل من المعطوف والمعطوف عليه ومعناه انه لم يشد منهم احد ولا سلم من العقوبة فرد من افرادهم وجعله (قتل بيوتهم خاوية) مقررة لما قبله أي حال كونها خاوية قال الفراء والنحاس أي خالية عن أهلها خرابا ليس بها ساكن من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة متقدمة من خوى النجم اذا سقط وقيل الاصل تلك بيوتهم الخاوية كقوله وله الدين واصبا (عما ظلموا) أي بسبب ظلمهم (ان في ذلك) التدمير والهلاك (لاية) أي لعبرة عظيمة (لقوم يعلمون) أي يتصفون بالعلم بالاشياء (وانجيئنا الذين آمنوا) وهم صالح ومن آمن به (وكانوا يتقون) الله ويخافون عقابه وخرج صالح ومن معه من المؤمنين إلى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمى حضرموت قال الضحاك ثم بنى الاربعة آلاف الذين كانوا معه مدينة يقال لها حضرة (و) ارسلنا (لوطا اذا قال لقومه) هم أهل سدوم (أتأتون الفاحشه) أي الفعلة المتناهية في القبح والشناعة وهي اتيان الذكور واللوواط (وأنتم تبصرون) أي وأنتم تعلمون علماً يقينياً انها فاحشه وقبيحة وذلك أعظم ذنوبكم على ان تبصرون من بصر القلب وهو العلم أو بمعنى النظر لانهم كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة عتوا وعتروا بالجملة حالمة مفيدة لتأكيدهم والاشارة والتوبيخ وقد تقدم تفسير هذه

كله هذه الآية فما دركتم ان استأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانما معتبط فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركى لكم والله بما تعملون عليم وقال سعيد بن جبير في الآية اي لا تقفوا على أبواب الناس وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتكم مسكونة الآية هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها وذلك انها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد اذا كان له متاع فيها بغير اذن كالبيت المعتد للضييف اذا اذن له فيه اول مرة كفي قال ابن جريج قال ابن عباس لا تدخلوا بيوتكم ثم نسخ واستثنى فقال تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتكم مسكونة فيها متاع لكم وكذا روى عن عكرمة والحسن البصري وقال آخر ون هي بيوت التجار كالحانات ومنازل الاسفار وبيوت مكة وغير ذلك واختار

ذلك ابن جرير وحكاة عن جماعة والاول اظهر والله اعلم وقال مالك عن زيد بن اسلم هي بيوت الشعر (قل للمؤمنين بغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذ كى لهم ان الله خبير بما يصنعون) هذا امر من الله تعالى لعباده المؤمنين ان بغضوا من ابصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا الا الى ما اباح لهم النظر اليه وان بغضوا ابصارهم عن المحارم فان اتفق ان وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سر يعا كرواه مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن ابي زرعة عن عمرو ابن جرير عن جده عن جرير بن عبد الله الجبلي رضى الله عنه قال سألت النبي (ص) صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني

ان أصرف بصري وكذا رواه الامام احمد عن هشيم عن يونس ابن عبيد بن ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديثه أيضا وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية لبعضهم فقال اطرق بصرك يعني انظر الى الارض والصرف أعم فانه قد يكون الى الارض والى جهة اخرى والله اعلم وقال ابو داود حدثنا اسمعيل بن موسى القزاري حدثنا شريك عن ابي ربيعة الايدي عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الاخرة ورواه الترمذي من حديث شريك وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه وفي الصحيح عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتقده فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ايسم فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالعرف والنهي عن المنكر وقال ابو القاسم البغوي

القصة في الاعراف مستوى (أنتكم لتأتون الرجال) فيه تكرير للتوبيخ مع التصريح بان تلك الفاحشة هي اللواط التي أهمها أولاً وفيه اشارة الى ان فعلتهم هذه مما يعي الواصف ولا يبلغ كنهه فبحها ولا يصدق ذوق عقل ان أحد يفعلها ثم علة ذلك بقوله (شهوة) تنزى لا لهم الى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد ولا عفاف والتقدير للشهوة اوتيانا شهوة أو مشتهين لهم (من دون النساء) أي متجاوزين النساء اللاتي هن محل ذلك وفيه اشارة الى انهم أساؤا من الطرفين في الفعل والترك (بل أنتم قوم تجهلون) التحريم أو عاقبة فعلكم والعقوبة على هذه المعصية قيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها وتفعلون فعل الجاهلين بقصه وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا وفي قوله بل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى وأرسخ اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه الا ان قالوا) أي الا قولهم (أخرجوا آل لوط) أي لوط وأهله والمراد بهم بنتاه وزوجته المؤمنة (من قريبتكم) فيه امتنان عليه باسكانه عندهم والاضافة للجنس لان قراهم كانت خسأاً عظيماً هاسدوم (انهم أناس يتظهرون) أي يتزهون ويتباعدون عن أدبار الرجال قالوا ذلك استهزاء منهم بهم (فأنجيناه وأهله) من العذاب الواقع بالقوم فخرج لوط بأهله من أرضهم وطوى الله الارض حتى نجا ووصل الى ابراهيم (الاحمر أنه قدرناها) قرئ مخففتا ومشداو المعنى واحد مع دلالة زيادة البناء على زيادة المعنى (من الغابرين) أي الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم) أي على كل من كان منهم خارج المدائن (مطرا) أي سحابة مكتوباً عليها اسم صاحبها وهو سحابة السجيل أي الظين المحرق وهذا التأكيد يدل على شدة المطر وأنه غير معهود (فساء مطر المنذرين) أي الذين أنذروا فلم يعقلوا ولم يقبلوا الانذار والمخصوص بالذم محذوف أي مطرهم وقدم مضى بيان ذلك كما في الاعراف والشعراء (قل الحمد لله) قال الفراء قال أهل المعاني قيل للوط قل الحمد لله على هلاكهم وخلافه جماعة المفسرين فقالوا ان هذا خطاب لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم أي قل الحمد لله على هلاك كذا الامم الخالية قال النحاس وهذا أول لان القرآن منزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما فيه فهو مخاطب به الامم يصح معناه الا لغيره وكان هذا صدر خطبة لما يلقي من البراهين الدالة على الوحدة اية والعلم والقدرة الا التي ذكرها بقوله آمن خلق الخ قيل والمراد بقوله (وسلام على عباده الذين اصطفى)

حدثنا الطوت بن عباد حدثنا فضل بن جبير سمعت ابا امامة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكلوا الى سستاء كئيل لكم بالجنة اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا اوتى فلا يخن واذا وعد فلا يخلف وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم وحفظوا فروجكم وفي صحيح البخاري من يكفل لي ما بين لحية وما بين رجله ا كئيل له الجنة وقال عبد الرزاق ابنا ناعم عن ابي ب عن ابن سيرين عن عبيدة قال كل ما عصى الله به فهو كبيرة وقد ذكر الطرفين فقال قل للمؤمنين بغضوا من ابصارهم ولما كان النظر داعية الى فساد القلب كما قال بعض السلف النظر سهم سم الى القلب ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الابصار التي هي بواعث الى

ذلك فقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ويحفظ الفرج نارة يكون جنعه من الزنا كما قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الآية وتارة يكون بحفظه من النظر اليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن احفظ عورتك الامن زوجتك وماملكت عينك ذلك أذكرى لهم أى أظهر لقلوبهم وأنتى لدينهم كما قيل من حفظ بصره ورثه الله نوراً في بصرته ويروى في قلبه وروى الامام حدثنا عتاب حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زجر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة رضى الله عنه عن النبي (٧٨) صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتطير الى محاسن امرأه ثم

أمته صلى الله عليه وآله وسلم والاولى جملة على العموم وهم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين فيدخل في ذلك الانبياء واتباعهم قال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم اصطفاهم الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وروى مثله عن سفيان الثوري والاولى ما قدمناه من التعميم فيدخل في ذلك أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم دخولا اوليا وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بان يتبرك به ما ويستظهر لمكانهما (آ الله) فيه وجهان يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا الموضوع أحدهما تسهيل الهزمة الثانية مقصورة والثاني ابدالها الفاعل مودة ممد الازما والمعنى آ الله الذى ذكرت أفعاله وصفاته الدالة على عظيم قدرته (خيراً ما يشركون) به من الاصنام وفيه تكديت للمشركين والزام الخلة عليهم بعد هلاك الكفار وأم هذه متصلة عاطفة لاستكمال شروطها والتقدير أيهما خير وهذه الخيرة ليست بمعناها الاصل بل هي كقول الشاعر

أتهجوه ولست له بكف * فشر كما خير كما الفداء

فيكون ما في الآية من باب التكميم بهم اذ لا خير فيهم أصلاً وقد حكى سيبويه ان العرب تقول السعادة أحب اليك أم الشقاوة ولا خير في الشقاوة أصلاً وقيل المعنى آتوب الله خيراً أم عقاب ما تشركون به وقيل قال لهم ذلك جري على اعتقادهم لانهم كانوا يعتقدون ان في عبادة الاصنام خيراً وقيل المراد من هذا الاستفهام الخبر وقرأ الجمهور تشركون بالقومية على الخطاب وقرئ بالتحسية (أمن خلق السموات والارض) أم هذه هي المنقطعة وقال أبو حاتم تقديره آ آلهتكم خيراً أم من خلق السموات والارض وقدر على خلقهن وقيل المعنى آ عبادة ما تعبدون من آتوانكم خيراً أم عبادة من خلق العالم الجسماني فيكون أم على هذا متصلة وفيها معنى التوبيخ والتكلم كافي الجملة الاولى (وأنزل لكم من السماء ماء) أى نوعاً من الماء وهو المطر (فانبتنا به حدائق) جمع حديقة قال الفراء الحديقة البستان الذى عليه حائط فان لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة وعكرمة الحدائق التخل (ذات بهجة) أى ذات منظر حسن وروثق والبهجة هي الحسن الذى يتسهج به من رآه ولم يقل ذوات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق وصرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيده المعنى اختصاص الفعل

يغض بصره الا خلف الله له عبادة يجدر حلاوتها وروى هذا مر فوعا عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضى الله عنهم ولكن في أسانيدها ضعف الا انها في الترغيب ومثله يتسامح فيه وفي الطبراني من طريق عبيد الله بن يزيد عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة مر فوعا تغض أبصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقمن وجوهكم أو لتكسفن وجوهكم وقال الطبراني حدثنا أحمد بن زهير السيرى قال قرأنا على محمد بن حفص بن عمر الضرير المقرئ حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا هرير بن سفيان عن عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبيد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر بهم من سهام ابليس مسموم من تركه مخافتى أبدلته ايماناً يجدر حلاوته في قلبه وقوله تعالى ان الله خير مما يصنعون كما قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم كتب على ابن آدم حظ من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الاذنين بذاته الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تمنى وتشتهى والفرج بصديق ذلك أو يكذبه رواه البخارى تعليقا ومسلم مسنداً من وجه آخر بخموا ذكر وقد قال كثير من السلف انهم كانوا يهتفون ان يجد الرجل نظره الى الامر دو قد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك وحرمة طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتتان وشد آخرون في ذلك كثير اجدا وقال ابن ابي الدنيا حدثنا أبو سعيد المدني حدثنا عمر بن سهل المازنى حدثني عمر بن محمد بن هبهان عن صفوان بن سليم عن أبي هريرة رضى الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة الا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم (٧٩) ما يحفظن من زينتهن وتوكلوا الى الله جميعاً أيها

المؤمنون اعلمكم تفعلون) هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيره منه لازواجهن عباده المؤمنين وتغيير لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال بلغنا والله أعلم ان جابر بن عبد الله الانصاري حدث ان اسماء بنت مرشدة كانت في محل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلال وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت اسماء ما أقيم هذا فانزل الله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن الآية فقوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن أي عما حرم الله عليهن من النظر الى غير أزواجهن ولهذا ذهب كثير من العلماء الى انه لا يجوز للمرأة النظر الى الرجال الاجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي من حديث الزهري عن نهبان مولى أم سلمة انه حدثه ان أم سلمة حدثته انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة قالت فيئتما

بذاته وايدان ابان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع سقيها بما واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم ان تتبوا شجرها) فضلا عن ثمارها وما رصفاتها البدعة ومعنى هذا التقي الحظر والمنع من فعله هذا أي ما يصح للبشر ولا يتهيأ لهم ذلك ولا يدخل تحت مقدورهم لمجازهم عن اخراج الشيء من العدم الى الوجود وان تأق ذلك محال من غيره ثم قال سبحانه موجباً لهم ومقراً (آله) أي هل معبود (مع الله) الذي تقدم ذكر بعض أفعاله حتى يقرب به ويجعل شريكاً له في العبادة وقرئ الها أي أتدعون الها مع الله والاستغفام للانكار أي ليس معه اله وكذا يقال في المواضع الاربعة الآية ثم أضرب عن توخيهم وتقرير بعهم بما تقدم وانتقل الى بيان سوء حالهم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة فقال (بل هم قوم يعدلون) بالله غيره أو يعدلون عن الحق الى الباطل وبل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم ثم شرع في الاستدلال باحوال الارض وما عليها فقال (أمن جعل الارض قراراً القرار هو المستقر أي دحاها وسواها وجعلها بحيث يمكن الاستقرار عليها للانسان والدواب باخلاء بعضها من الماء حسب ما تدور عليه منافعهم وقيل هذه الجملة وما بعدها من الجمل الثلاث بدل من قوله أمن خلق السموات والارض ولا ملجئ لذلك بل هي وما بعدها اضراب وانتقال من التقرير والتوبيخ بما قبلها الى التوبيخ والتقرير بشيء آخر (وجعل) أي خلق أو صير (خلالها) أي فيما بينها (أنهاراً) تظرب بالمياه والخلال الوسط وقد تقدم تحقيقه في قوله فجرنا خللاً لهما نهر (وجعل لها رواسي) أي جبالاً أو ابنت تسكها وتمتعها من الحركة (وجعل بين البحرين) هما العذب والمالح أي جعل بينهما من قدرته (حاجزاً) أي مانعاً عنهما وهو المنع الالهى اذ ليس هناك حاجز حسي كما هو مشاهد فلا يحتاط أحدهما بالآخر فلا هذا بغير ذلك ولا ذلك يدخل في هذا وقد مر بيانه في سورة الفرقان (أالله مع الله) أي اذا ثبت انه لا يقدر على ذلك الا الله فهل اله في الوجود يصنع صنعه ويخلق خلقه فكيف يشركون به ما لا يضر ولا ينفع (بل أكثرهم لا يعلمون) توحيد ربهم وسلطان قدرته (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) هذا استدلال منه سبحانه بحاجته الانسان اليه على العموم والمضطر اسم مفعول من الاضطرار وهو واقف على ضرورة وهي الحاجة المحوجة الى الجبا يقال اضطره الى كذا والمضطر هو المكروب المجهود الذي

نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبت ايمانه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعيا وان انقأ السماء تبصرانه ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وذهب آخرون من العلماء الى جواز نظرهن الى الاجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر الى الحبشة وهم يلعبون بجرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر اليهم من وراءه وهو يستترها منهم حتى ملت ورجعت وقوله ويحفظن فروجهن قال سعيد بن جبيرة عن الفواحش وقال قتادة وسفيان عمالاجيل

لهن وقال مقاتل عن الزنا وقال أبو العالية كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا الأهده الآية
ويحفظن فروجهن ان لا يراها أحد وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها أي ولا يظهرن شيئا من الزينة للجانِب
الاما لا يمكن اخفاؤه قال ابن مسعود كالداء والسياب يعني على ما كان يعطاهن نساء العرب من المقنعة التي يجعل ثيابها وما يبدو
من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لان هذا لا يمكن اخفاؤه ونظرة في زى النساء من ازارها مما لا يمكن اخفاؤه وقال بقول ابن
مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزي (٨٠) و ابراهيم الخفي وغيرهم وقال الاعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن

مسعود الضرو ولا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب اذا استغفر وقيل هو المظلوم اذا دعا أو
من رفع يديه ولم ير نفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر وقيل هو الذي عراه ضر
من فقر أو مرض أو نازلة من نوازل الدهر فالجاء الى التضرع الى الله واللام في المضطر
للجنس لا للاستغراق فقد لا يجاب دعاء بعض المضطرين لما يمنع من ذلك بسبب محدثه
العبد يحول بينه وبين اجابة دعائه والافقد ضمن الله سبحانه اجابة دعاء المضطر اذا دعاه
وأخبر بذلك عن نفسه والوجه في اجابة دعاء المضطر أن ذلك الاضرار الحاصل له يتسبب
عنه الاخلاص وقطع النظر عما سوى الله وقد أخبر الله سبحانه بأنه يجب دعاء المخلصين له
الدين وان كانوا كافرين فقال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها
جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين
له الدين لئن أنجيتننا من هذه لنكونن من الشاكرين وقال فلما فتحاهم الى البر اذا هم
يشركون فاجابهم عند ضرورتهم واخلصهم مع علم بانهم سيعودون الى شركهم
(ويكشف السوء) الذي يسوء العبد من غير تعيين وقيل هو الضر وقيل هو الجور
وهذا من عطف العام على الخاص (ويجعلكم خلفاء الارض) أي يخلف كل قرن منكم
القرن الذي قبله بعد انقراضهم والمعنى يهلك قرنا وينشئ آخرين وقيل يجعل أولادكم
خلفاء منكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الارض وقيل يجعل المسلمين خلفاء من
الكفار ينزلون أرضهم وديارهم (أأله مع الله) الذي يوليكم هذه النعم الجسام (قليلما)
أي تذكرا قليلا (تذكرون) وما زائدة لتقليل القليل وهو كناية عن العدم بالكناية فالمراد
نبي تذكرهم رأسا قال الكرخي المعنى نبي التذكر والقله تستعمل في معنى النبي قرأ
الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتعنية على الخبر ذاعلى قوله بل أكثرهم لا يعلمون
(أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يرشدكم في الليالي المظلمة اذا سافرتهم في البر والبحر
الى مقاصدكم وقيل المراد مفاوز البر التي لا أعلام لها ولج البحار وشبهها بالظلمات لعدم
ما يهدون به فيها وقيل يهديكم بالنجوم ليلا وبعلامات الارض نهارا (ومن يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمة) المراد بالرحمة هنا المطر أي بين يدي المطر وقبل نزوله (أأله
مع الله) يفعل ذلك ويوجده (تعالى الله عما يشركون) أي تنزهه وتقدس عن وجود
ما يجعلونه له شريكا (أمن يسد الخلق ثم يعيده) كانوا يقولون بأن الله سبحانه هو الخالق

عباس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر
منها قال وجهها وكفها واخاتم
وروى عن ابن عمرو وعطاء وعكرمة
وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء
والضحاك و ابراهيم الخفي وغيرهم
نحو ذلك وهذا يحتمل ان يكون
تفسير الزينة التي نهين عن ابدائها
كما قال أبو اسحق السبيعي عن أبي
الاخوص عن عبد الله قال في قوله
ولا يبدين زينتهن الزينة القرط
والدمالج والخلخال والقلادة وفي
رواية عنه بهذا الاسناد قال الزينة
زينتان فزينة لا يراها الا الزوج
اخاتم والسوار وزينة يراها الاجانب
وهي الظاهر من الثياب وقال
الزهري لا يبدين لهؤلاء الذين سمى
الله من لا يجعل له الا السورة والاخرة
والاقرطة من غير حسر واما عامة
الناس فلا يبديون منها الا الخواتم
وقال مالك عن الزهري الا ما ظهر
منها الخاتم والخلخال ويحتمل ان ابن
عباس ومن تابعه أرادوا نفس
ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا
هو المشهور عند الجمهور ويستأنس
له بالحديث الذي رواه أبو داود في
سننه حدثنا يعقوب بن كعب

الانطاكي ومؤمل بن الفضل الجواني قال حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضى الله
عنها ان أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها وقال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت الحيمض
لم يصلح ان يرى منها الا هذا وأشار الى وجهه وكفيه لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو مرسل خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضى
الله عنها والله اعلم وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن يعني المفايع يعمل لها ضيقات ضاربات على صدورهن لتوازي
ما يحتمل من صدورهن ورائها الخائفن شعار نساء أهل الجاهلية فانهم لم يكن يفعل ذلك بل كانت المرأة تمنع تمرين الرجال مسفحة

أوبني اخوانهن أوبني أخواتهن من كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها ان تظهر عليهم من غير تبرج وقد روى ابن المنذر حدثنا موسى يعني ابن هرون حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي شعبة حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية ولا يبدن زينتهن الا للبعولتهن أو آبائهن أو آباء ببعولتهن حتى فرغ منها وقال لم يذكر كرام والخال لانهما ينعنان لانيتهما ولا تضع خمارها عند العم والخال فاما الزوج فاما ذلك كله من أجله فتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره وقوله أو نسائهن يعني تظهرن زينتهما أيضا (٨٢) للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا تصفهن رجالهن وذلك وان

(بل هم في شك منها) أي بل هم اليوم في الدنيا في شك من الآخرة ثم اضرب عن ذلك الى ما هو أشرف منه فقال (بل هم منها عيون) فلا يدركون شيئا من دلائلها لاختلال بصائرهم التي يكون بها الإدراك وعمون جمع عم وهو من كان أعشى القلب والمراد بيان جهلهم بهم بها على وجه لا يهتدون الى شيء مما يوصل الى العلم بها فمن قال ان معنى الآية الاولى انه كمل علمهم وتم مع المعايير فلا بد من جعل قوله بل هم في شك الخ على ما كانوا عليه في الدنيا ومن قال ان معنى الآية الاولى الاستهزاء بهم والتبكيك لهم لم ينجح الى تقييد قوله بل هم في شك الخ بما كانوا عليه في الدنيا وهذا يتضح معنى هذه الآيات ويظهر ظهورا بينا والاضرابات الثلاث تنزيل لحوالهم وتكرير لجهلهم ولما ذكر سبحانه أن المشركين في شك من البعث وأنهم عمون عن النظر في دلائله أراد أن يبين غاية شبهتهم وهي مجرد استبعاد احياء الموتى بعد صيرورتهم ترابا فقال (وقال الذين كفروا أننا كنا ترابا وأبوانا أننا نخرجون) المعنى انهم استنكروا واستبعدوا أن يخرجوا من قبورهم احياء بعد ان قد صاروا ترابا ثم أكدوا ذلك الاستبعاد بما هو تكذيب للبعث فقالوا (لقد وعدنا هذا) يعنون البعث (نحن وأبوانا من قبل) أي من قبل وعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنا وقد مررت الدهور على هذا الوعد ولم يقع منه شيء فذلك دليل على أنه لا حقيقة له والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الانكار مصدره بالقسم لزيادة التقرير (ان هذا) الوعد بالبعث (الأساطير الاولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم الملفقة التي كتبوها ولا حقيقة لها وقد تقدم تحقيق معنى الاساطير في سورة المؤمنین ثم أوعدهم سبحانه على عدم قبول ما جاءت به الانبياء من الاخبار بالبعث فأمرهم بالنظر في أحوال الامم السابقة المكذبة للانبياء وما عوقبوا به وكيف كانت عاقبتهم فقال (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) المكذبين بما جاءت به الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام من الاخبار بالبعث ومعنى النظر هو مشاهدة آثارهم بالبصر فان في المشاهد زيادة اعتبار وكفاية لاولى الابصار وقيل المعنى فانظروا بقلوبكم وبصائركم كيف كان عاقبة المكذبين لرسولهم والاول اولى الامرهم بالسيرة في الارض وفيه تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم (ولا تحزن عليهم) الحزن سببه اما فوت أمر في الماضي أو توقع مكرهه في المستقبل أي لا تحزن على عدم ايمان المستهزئين في الماضي

كان محذور في جميع النساء الا انه في نساء أهل الذمة أشد فانهم لا ينعنون من ذلك مانع فاما المسلمة فانها تعلم ان ذلك حرام فتتبرج عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبشتر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها أخرجاه في الصحاح عن ابن مسعود وروى سعيد بن منصور في سننه حدثنا اسمعيل بن عياش عن هشام ابن الفار عن عبادة بن نسي عن أبيه عن الحرث بن قيس ان عمر ابن الخطاب كتب الى أبي عبيدة أما بعد فانه بلغني ان نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان ينظر الى عورتها الاهل ملتها وقال مجاهد في قوله أو نسائهن قال نساؤهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن وليس للمرأة المسلمة ان تكشف بين يدي مشركة وروى عبيد الله في تفسيره عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس أو نسائهن قال هن المسلمات لا تبيدهن اليهودية ولا نصرانية وهو الخبر

والقرط والوشاح وما يحل ان يراه الاحرم وروى سعيد حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال لا تضع المسلمة خمارها ولا عند مشركة لان الله تعالى يقول أو نسائهن فليست من نسائهن وعن مكحول وعبادة بن انسي انهما كرها ان تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة فاما ما رواه ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا ابو عمير حدثنا ضمرة قال قال ابن عطاء عن ابيه قال لما قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس كان قوايل نسائهن اليهوديات والنصرانيات فهذا ان صح محمول على حال الضرورة وان ذلك من باب الامتثال ثم انه ليس فيه كشف عورة ولا بد والله أعلم وقوله تعالى أو ما ملكت أيما نهن قال ابن جرير

يعني من نساء المشركين فيجوز لها ان تطهر زينتها لها وان كانت مشركة لانها اتمتها واليه ذهب سعيد بن المسيب وقال الاكثرون بل يجوز لها ان تطهر على ريقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود حدثنا محمد بن عيسى حدثنا أبو جيع سالم بن دينار عن ثابت عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعد قدومه لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة خديجة (٨٣) المحصى مولى معاوية ان عمدا لله بن

مسعدة الفزاري كان أسود شديد الادمة وانه قد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهبته لابنته فاطمة فربته ثم اعتقته ثم قد كان بعد ذلك كله برز مع معاوية أيام صفين وكان من أشد الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى الامام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن نهبان عن أم سلمة ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان لاحد اهدن مكاتب وكان له ما يؤدى فلتحتجب منه ورواه أبو داود عن مسدد عن سفيان وقوله تعالى أو التابعين غير أولي الاربعة من الرجال يعني كالأجراء والتابع الذين ليسوا بالكفء وهم مع ذلك في عقولهم وله ولاهم لهم الى النساء ولا يشتمونهن قال ابن عباس هو المغفل الذي لاشهوة له وقال مجاهد هو الابله وقال عكرمة هو المخنث الذي لا يقوم ذكره وكذلك قال غير واحد من السلف وفي الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن عائشة ان

ولا تغتم وتهم بمكرهم في المستقبل وهو معنى قوله (ولا تكن في ضيق مما يكرهون) الضيق الخرج يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وضيقا بالكسر قرئ بهما وهما الغتان قال ابن السكيت يقال في صدر فلان ضيق وضيق وهو ما يضيق عنه الصدور وقرئ لا تكن بشبوت النون هنا على الاصل وقد حذف من هذا المضارع في القرآن في عشر من مواضع تسعة منها بدوءه بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو قوله ولم أك بغيا وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة النحل (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب الذي تعدنا (ان كنتم صادقين) في ذلك خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين (قل عسى أن يكون ردف لكم) يقال ردف الرجل وأردفته اذا ركبت خلفه وردفه اذا اتبعه وجاء في اثره قال ابن شجرة معنى ردف لكم تبعكم قال ومنه ردف المرأة لانه تبع لها من خلفها قال الجوهري وأردفه لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه قال الفراء ردف لكم دنالكم ولهذا قيل لكم وقرئ ردف بفتح الدال وهي لغة والكسر أشهر وقرأ ابن عباس أرف لكم وعسى ولعل وسوف في مواضع الملوك بمنزلة الجزم بدخولها وانما يظنونها اظهار اللوقار واشعارا بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح من عداهم وعلى ذلك يجري الله وعيده قاله ابوالعود والمعنى قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء الكفار عسى أن يكون هذا العذاب الذي به توعدون تبعكم ولحقكم فتكون اللام زائدة للتأكيد ومعنى اقرب لكم ودنا منكم قاله ابن عباس فتكون غير زائدة (بعض الذي تستحجون) من العذاب أي حلوله قيل هو عذابهم بالقتل يوم بدر وقيل هو عذاب القبر ثم ذكر سبحانه فضله فقال (وان ربك ليدفعه على الناس) في تأخير العقوبة والاولى أن نحمل الآية على العموم ويكون تأخير العقوبة من جملة افضاله سبحانه وانعامه (ولكن أكثرهم لا يشكرون) فضله وانعامه ولا يعرفون حق احسانه ثم بين سبحانه انه مطلع على ما في صدورهم فقال (وان ربك ليعلم ما كنتم صدورهم) أي ما تخفيه فليس التأخير خلفاء حالهم عليه قرئ بضم التاء من أكن وبفتحها وضم الكاف يقال كنته بمعنى سترته وأخفيت أثره (وما يعلنون) من أقوالهم وأفعالهم ويظهرونها وقال ابن عباس يعلم ما عملوا بالليل والنهار (وما من غائب في السماء والارض الا في كتاب مبين) أي في اللوح المحفوظ والغائبة هي من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كراوية

مخنثا كان يدخل على أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يعيدونه من غير أولي الاربعة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينعت امرأه يقول انها اذا قبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فأخرجه فكان بالبداية يدخل يوم كل جمعة ليس يتطمع وروى الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة انها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها عبد الله بن أبي أمية والمخنث يقول يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فليدركن يا غيا لانه فاتها تقبل بأربع وتدبر بثمان قال فسمعه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لام سلمة لا يدخلن هذا عليك أخرجاه في الصحيحين عن هشام بن عروة به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الأربعة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند بعض نساءه وهو يتعت امرأه فقال انها اذا أقبلت اقبلت بربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم هذا فحجوه ورواه مسلم وأبو داود من طريق (٨٤) عبد الرزاق به عن أم سلمة وقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات

النساء يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحر كآتهن وسكنآتهن فاذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء فاما ان كان مرافقا أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويديره ويفرق بين الشوهاة والحسنة فلا يمكن من الدخول على النساء وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والدخول على النساء قيل يا رسول الله أفرايت الجوقال الجواموت وقوله تعالى ولا يضر بن بارجلهن الآية كانت المرأة في الجاهلية اذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خنخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الارض فيسمع الرجال طنته فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذلك اذا كان شيء من زينتها مستورا فحصركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى ولا يضر بن بارجلهن الى آخره ومن ذلك انها تنهى عن

وعلامه وقيل هي الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعاقبة قال الرمنشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في أنها أسماء غير صفات قال الحسن الغائبه هنا هي القيامة وقال مقاتل علم ما يستعجلون من العذاب هو مبين عند الله وان غاب عن الخلق وقال ابن شجرة الغائبه هنا جميع ما أخفى الله عن خلقه وغيبه عنهم مبين في أم الكتاب فكيف يخفى عليه شيء من ذلك ومن جعله ذلك ما يستعجلون من العذاب فانه موقت بوقت مؤجل بأجل علمه عند الله فكيف يستعجلونه قبل أجله المضروب له وقال ابن عباس ما من شيء في السماء والارض سرا ولا علانية الا يعلمه (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) الموجودين في زمان نبينا بالتصريح والتنصيص ولذا خص الاكثر بالذكر وقال (أكثر الذي هم فيه يختلفون) من التشبيه والتزييه وأحوال الجنة والنار وعزير ومسح وذلك لان أهل الكتاب تفرقوا فارتجزوا أو حزابا يطعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من بعض فنزل القرآن مبينا لما اختلفوا فيه من الحق فلو أخذوا به لوجدوا فيه ما يرفع اختلافهم ويدفع تفرقهم (وانه لهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين) أي لمن آمن بالله وتاب مع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخصهم لانهم هم المتستغفون به ومن جلتهم من آمن من بني اسرائيل (ان ربك يقضى بينهم) كغيرهم يوم القيامة (بحكمه) أي يقضى بالعدل بين المختلفين من بني اسرائيل بما يحكمهم به من الحق فيجوزى الحق ويعاقب المبطل فلا يمكن أحد المخالفته كخالف الكفار في الدنيا أنبياءه ورسوله وقيل يقضى بينهم في الدنيا فيظهر ما حرقوه قرئ بحكمه بضم الحاء وسكون الكاف وبكسر ها وفتح الكاف جمع حكمة والحكمه معنى العدل والحق والمحكوم به (وهو العزيز) الذي لا يغالب (العليم) بما يحكمهم به والكثير العلم ثم أمره سبحانه بالتوكل وقوله المبالة فقال (فتوكل على الله) الفاء لترتيب الامر على ما تقدم ذكره لان هذه الاوصاف توجب على كل أحد أن يفوض جميع اموره اليه والمعنى فوض اليه أمرك واعتمد عليه فانه ناصرك ثم عمل ذلك بعلمه في الاولي قوله (انك على الحق المبين) أي الظاهر وقيل المظهر وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته وتأيدته وحفظه له والعلة الثانية قوله (انك لاتسمع الموتى) أي موتى القلوب وهم الكفار وفيه قطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأسا (ولاتسمع الصم الدعاء) لانه اذا علم ان

حاله

التعطر والتطيب عند خروجهما من بيتها فيشم الرجال طيبها فقد قال

أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمارة الحنفي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فرت بالجلس فهى كذا وكذا يعنى زانية قال وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح ورواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشر أخبرنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقيته امرأه شم منها ريح الطيب

ولذيلها اعصار فقال يا أمة الجبار جئت من المسجد قالت نعم قال لها تطيبت قات نعم قال اني سمعت جبي ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة ورواه ابن ماجه عن ابي بكر ابن ابي شيبة عن سيفان هو ابن عيينة به وروى الترمذي ايضا من حديث موسى بن عبيدة عن ايوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراقلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لانور لها ومن ذلك ايضا انهن نهين عن المشي في وسط الطريق لمناقبه من التبرج قال ابو داود حدثنا (٨٥) القعني حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد

عن ابي اليمان عن شدد ابن ابي عمر بن جالس عن ابيه عن حجرة بن ابي أسيد الانصاري عن ابيه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء استأخرن فانه ليس لكن ان تجعدن الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى ان ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به وقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والاخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الاخلاق والصفات الرذيلة فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه والله تعالى هو المستعان (وأنكحوا الاياحي منكم والصالحين من عبادكم وامانتكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع

عالمهم كحال الموتى في اتقاء الحدوى بالسماع أو بحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون ولا يهتدون صار ذلك سببا قويا في عدم الاعتداد بهم شبه الكفار بالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وبالصم الذين لا يسمعون المواعظ ولا يجيبون الدعاء الى الله وقرئ تسمع بضم الفوقية وكسر الميم من أسمع وقرئ بالتحسية مفتوحة وفتح الميم وفاعله الصم ثم ذكر سبحانه جله لتكميل التشبيه وتأكيد فقال (اذا لو امدبرين) أي أعرضوا عن الحق اعراضا تاما فان الاصم لا يسمع الدعاء اذا كان مقبلا فكيف اذا كان مدبرا معرضا عنه موليا قال قتادة الاصم اذاولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه من الايمان وظاهر في سماع الموتى العموم فلا يخص منه الا ما ورد بدليل كما ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم خاطب القتلى في قلب بدر فقبل له يا رسول الله انما تكلم أجد الأرواح لها وكذلك ما ورد من أن الميت يسمع خفق نعال المشيعين له اذا انصرفوا ثم ضرب العمى مثلا لهم فقال (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) أي ما أنت بمرشد من أسماء الله عن الحق ارشادا يوصله الى المطلوب منه وهو الايمان وليس في وسعك ذلك ومثله قوله انك لا تهدي من أحببت قرأ الجمهور ايضا فاهدى الى العمى وقرئ بالتسوين وقرئ تهدي فعلا مضارعا وفي حرف عبد الله وما ان تهدي العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أي من يصدق بالقرآن في علم الله لا من يكفر (فهم مسلمون) تعليل للساعة رأوها فقال (واذا وقع القول عليهم) اختلف في معنى هذا الوقوع فقال قتادة وجب الغضب عليهم وقال مجاهد حق القول عليهم بانهم لا يؤمنون وقيل حق العذاب عليهم وقيل وجب السخط والمعاني متقاربة وقيل المراد بالقول ما نطق به القرآن من محجى الساعة وما فيها من فنون الاحوال التي كانوا يستعملونها وقيل وقع القول بعوت العلماء وذهب العلم ورفع القرآن وذلك اذ لم يأمر واما المعروف وينها عن المنكر قاله ابن عمر وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعا وعن ابي العالية انه فسر وقع القول بما أوحى الى نوح انه ان يؤمن من قومك الا من قدامن والحاصل ان المراد بوقع وجب والقول مضمونه أو أطلق المصدر على المفعول أي المقول وجواب الشرط قوله (أخرجناهم دابة من الارض) اختلف في هذه الدابة على أقوال فقبل انها فصل ناقة صالح يخرج عند اقتراب

عليهم وليست تعفف الذين لا يجحدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يتبعون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكا توبهم ان علمت فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرر هو اقبيا تكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) اشملت هذه الآيات الكريمة المبينة على جملة من الاحكام المحكمة والاورام المبرمة فقوله تعالى وأنكحوا الاياحي منكم الى آخره هذا أمر بالتزويج وقد ذهب طائفة من العلماء الى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه

السلام يامعشر الشباب من استطاع منكم لباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أخرجه في الصحيحين من حديث ابن مسعود وجاء في السنن من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا الولود تناسلوا فاني مباه بكم الام يوم القيامة وفي رواية حتى بالسقط والايام جمع ايم ويقال ذلك للمرأة التي لازوج لها وللرجل الذي لازوجه له وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحدهنهما احكامه الجوهرى عن أهل اللغة يقال رجل ايم وامرأة ايم وقوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (٨٦) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رغبتهم الله في التزويج

وأمر به الاحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد الازرق حدثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد يعنى ابن عبد العزيز قال بلغنى ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال اطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعن ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح يقول الله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رواه ابن جرير وذكر البغوى عن عمر بن الخطاب عن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء والغازى في سبيل الله رواه الامام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل

الساعة ويكون من اشراطها وقيل هي دابة من غيبة ذات شعور وقوائم طوال يقال لها الحساسة وبه قال ابن عمرو وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيدها به بالتونين التخييمى من الدلالة على غرابية شأنها وخرابها عن طور البنان ما لا يخفى وقيل هي دابة على خلقة بنى آدم رأسها في الصحاب وقوائمها في الارض وقيل رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وخصرتها خاصرة هر وذنبا ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا ولعل ذلك هو الحساسة وقيل هي الثعبان والمشرى على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة والمراد انما هي التي تخرج في آخر الزمان وقيل هي دابة مالها ذنب ولها حية وقيل هي انسان ناطق متكلم يناظر أهل البدع ويراجع الكفار وفيه بعد وعن ابن عباس قال الدابة ذات وبر وريش مؤلفة فيهما من كل لون لها أربع قوائم تخرج بهقب من الحاج وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بذكره وقد رجع القول الاول القرطبي في تفسيره وقال هو أصح الاقوال واختلف في تعينها ووصفها اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة انتهى واختلف من أى موضع تخرج فقيل من جبل الصنابكة ينصدع فتخرج منه قاله ابن عمرو وقيل تخرج من جبل أبي قبيس وقيل لها ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي حتى يتقاتل عليها الناس وتكثر الممات ثم تسكن وتخرج في القرى ثم تخرج من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها وقيل تخرج من بين الركن والمقام وقال ابن عباس تخرج من بعض أودية تهامة وقيل من مسجد الكوفة من حيث فار التنور وقيل من أرض الطائف وقيل من صخرة من شعب أحياد قاله ابن عمرو وقيل من صدع في الكعبة وقيل من بحر سدوم قاله وهب بن منبه واختلف في معنى قوله (تكلمهم) فقيل تكلم الموجودين ببطان الاديان سوى دين الاسلام وقيل تكلمهم بما يسوهم وقيل تكلمهم بالعربية بقوله تعالى الآتى ان الناس كانوا ابا يانا لا يوقنون قاله ابن عباس أى يخروجها لان خروجها من الآيات وقال ابن عباس أيضا تكلمهم بتحدثهم وعنه انه سئل هو من التكليم باللسان أو من الكلم وهو الجرح فقال كل ذلك والله تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر أى تجرحه قرأ الجمهور تكلمهم من التكليم وتدل عليه قراءة أبي تبتهم وقرئ بفتح

الذي لم يجده عليه الا ازاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا فزوجه بثلث المرأة وجعل صداقها الفوقية عليه ان يعلمها ما معه من القرآن والمعهود من كرم الله تعالى واطفئه ان يرزقه ما فيه كفاية لها وله وامامنا يورده كثير من الناس على انه حديث تزوجوا فقراء يغنكم الله فلا أصل له ولم أره باسناد قوى ولا ضعيف الى الآن وفي القرآن غنية عنه وكذا هذه الاحاديث التي أوردناها والله الحمد والمنة وقوله تعالى وليست تعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا يجب بالتعفف عن الجرام كما قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم

الباءة فلتزوج فانه أعرض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعله بالصوم فانه له وجاء الحديث وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها وهي قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات الى قوله وان تصبروا واخير لكم أي صبركم عن تزويج الاماء خبر لكم لان الولد يبي عرققا والله غفور رحيم قال عكرمة في قوله وليست عفف الذين لا يجدون نكاحا قال هو الرجل يرى المرأة فكانه يشتهي فان كانت له امرأة فليذهب اليها وليقض حاجته منها وان لم يكن له امرأة فليتنظر في ملكوت السموات والارض حتى يغنيه الله وقوله تعالى والذين يتتغون الكتاب مما (٨٧) ملكت ايمانكم فكانت بهم ان علمت فيهم

خير اهذا أمر من الله تعالى للسادة اذا طلب عبيدهم منهم الكتابة ان يكتبوهم بشرط ان يكون للعبيد حيلة وكسب يؤدي الى سيده المال الذي شارطه على أدائه وقد ذهب كثير من العلماء الى ان هذا الامر امر ارشاد واستحباب لا أمر تحتم ويجاب بل السيد مخير اذا طلب منه عبده الكتابة ان شاء كاتبه وان شاء لم يكتبه قال الثوري عن جابر عن الشعبي ان شاء كاتبه وان شاء لم يكتبه وكذا روى ابن وهب عن اسمعيل بن عياش عن رجل عن عطاء بن أبي رباح ان يشأ يكتبه وان لم يشأ لم يكتبه وكذا قال مقاتل ابن حيان والحسن البصري وذهب آخرون الى انه يجب على السيد اذا طلب منه عبده ذلك ان يجيبه الى ما طلب اخذنا بظاهر هذا الامر وقال البخاري وقال روح عن ابن جريج قلت لعطاء أوجب على اذا علمت له مال ان يكتبه قال ما أراه الا واجبا وقال عمرو بن دينار قلت لعطاء أثاره عن احد قال لا ثم اخبرني ان موسى

الفوقية وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح قال عكرمة أي تسمهم وسما وقيل تجرحهم وقيل قراءة الجهم وما خوذته من الكلم وهو الجرح والتشديد للتكثير قاله أبو عاتم وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عمر في الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس ذلك حديثا ولا كلاما ولكنها اسمعة تسم من أمرها الله به فيكون خروجها من الصف الفيلة مني فيصيحون بين رأسها وذنبها لا يدحض داحض ولا يجرح جارح حتى اذا فرغت مما أمرها الله به فهلك من هلك ونجا من نجا كان أول خطوة تضعها بأنطاكية وأخرج أحمد وابن مردويه عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تخرج الدابة تقسم على خراطيمهم ثم يعمرن فيكم حتى يشترى الرجل الدابة فيقال له من اشتريتها فيقول من الرجل المخطم وعن حذيفة بن أسيد رفعه قال تخرج الدابة من أعظم المساجد حرة وأخرج أحمد بن الترمذي وحسنه ابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخرج دابة الارض ومعها عصي موسى وخاتم سليمان فقبلوا وجه المؤمن بانحاثهم وتخطم أنف الكافر بالعصي حتى يجتمع مع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال ذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجت من الدهر الحديث أخرجه البيهقي والحاكم وصححه وابن المنذر وغيرهم وفي صفتها ومكان خروجها وما صنعته ومتى تخرج احاديث كثيرة بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف وأما كونها تخرج وكونها من علامات الساعة فالاحاديث الواردة في ذلك صحيحة ومنها ما هو ثابت في الصحيح كحديث حذيفة مر فوعا لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات وذكر منها الدابة فانه في صحيح مسلم وفي السنن الاربع وكحديث بادروا بالاعمال طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة فانه في صحيح مسلم أيضا من حديث أبي هريرة مر فوعا وكحديث ابن عمر مر فوعا ان أول الآيات خروج طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فانه في صحيح مسلم أيضا ثم قرأ الجمهور (ان الناس كانوا اياتنا لا يوقنون) بكسر ان على الاستئناف وقرئ بفتحها قال الاخفش المعنى على الفتح بان الناس وبها قرأ ابن مسعود وقال أبو عبيدة أي تخبرهم أن الناس الخ وعلى هذه فالذي تكلم الناس به هو قوله ان الناس الخ كما قدمنا الاشارة الى ذلك واما على الكسر

ابن أنس اخبره ان سيرين سأل انسا المكانية وكان كثير المال فاني فانطلق الى عمر رضى الله عنه فقال كاتبه فأبى فضر به بالدرية وبتلو عمر رضى الله عنه فكانت بهم ان علمت فيهم خيرا فكانت به هكذا ذكره البخاري معلقا ورواه عبد الرزاق أخيرا بن ابن جريج قال قلت لعطاء أوجب على اذا علمت له مال ان يكتبه قال ما أراه الا واجبا وقال ابن جريج حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان سيرين أراد ان يكتبه فقلنا عليه فقال له عمر لكتاتبه اسناد صحيح وروى سعيد بن منصور حدثنا هشيم بن جوير عن الضحاك قال هي عزمة وهذا هو القول القديم من قول الشافعي وذهب في الحديث

الى انه لا يجب لقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب نفس وقال ابن وهب قال مالك الامر عندنا انه ليس على سيد
العبد ان يكتبه اذ اساله ذلك ولم اسمع احدا من الائمة اكره احدا على ان يكتب عبده قال مالك وانما ذلك امر من الله تعالى
واذن منه للناس وليس بواجب وكذا قال الثوري وابو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب
لظاهر الآية وقوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا قال بعضهم امانة وقال بعضهم صدقا وقال بعضهم حيلة
وكسبا وروى أبو داود في المراسيل (٨٨) عن يحيى بن أبي كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاتبوهم

فالجمله مسـ متأنفة كما قدمنا ولا يكون من كلام الدابة وقد صرح بذلك جماعة من
المفسرين وجرم به الكسائي والفراء وقال الاخفش ان كسر ان هو على تقدير القول
أى تقول لهم ان الناس فيرجع معنى القراءة الاولى على هذا الى معنى الثانية والمراد
بالناس في الآية هم الناس على العموم فيدخل في ذلك كل مكلف وقيل المراد الكفار
خاصة وقيل كفار مكة والاول أولى كما صرح جمهور المفسرين والمعنى لا يؤمنون بالقرآن
المشتمل على البعث والحساب والعقاب ونحوها ينقطع الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ولا يبقى نائب ولا نائب ولا يؤمن كافر كما وحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن ثم ذكر سبحانه طرفا مجملا من أهوال يوم القيامة بعد بيان مبادئها فقال
(ويوم نحش من كل أمة فوجا) العامل في الطرف فعل محذوف خوطب به النبي صلى الله
عليه وآله وسلم والحشر الجمع قيل والمراد بهذا الحشر هو حشر العذاب الخاص بعد الحشر
الكلى الشامل لجميع الخلق ومن لا تبدأ الغاية والقوج الجماعة كالزحرة والقوم
وقيدهم الراغب فقال القوج الجماعة المارة بسرعة وكان هذا هو الاصل ثم أطلق وان
لم يكن مرور ولا اسراع والجمع أفواج وفوج (من يكذب بآياتنا) من بيانية (فهم
يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم لاجل تلاحقهم وقيل معناها يدفعون وقد تقدم
تحقيقه في هذه السورة مستوفى ومعنى الآية واذا كرم بما يمد يوم نجح من كل أمة من
الامة جماعة مكذبين بآياتنا فهم عند ذلك الحشر يرد أولهم على آخرهم أو يدفعون أى
اذ كرلهم هذا ويثمه تحذير لهم وترهيبا (حتى اذا جاؤا) الى موقف الحساب (قال) الله
لهم تو بخا وتقرىعا (أ كذبتم بآياتي) التي أمرتكم على رسلي وأمرتهم بالبلاغها اليكم (و)
الحال انكم (لم تحيطوا بها علما) بل كذبتم بها بآياتي بدء جاهلين لها غير ناظرين فيها ولا
مستدلين على صحتها أو بطلانها اعتمادا وعنادا وجرأة على الله وعلى رسوله وفي هذا امر يذ
تقريع وتوبيخ لان من كذب بشئ ولم يحط به علما فقد كذب في تكذيبه ونادى على نفسه
بالجهل وعدم الانصاف وسوء النهم وقصور الادراك ومن هذا القبيل من تصدى
لذم علم من علوم الشريعة أولم علم هو مقدمة من مقدماتها ووسيلة يتوصل بها اليها وتفيد
زيادة بصيرة في معرفتها وتعلل معانيها كعلوم اللغة العربية بأسرها وهي اثنا عشر علما
وعلم أصول الفقه فانه يتوصل به الى استنباط الاحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية

ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم فيهم
حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس
وقوله تعالى وآتوهم من مال الله الذى
آتاكم اختلف المفسرون فيه
فقال بعضهم اطرحوا لهم من الكتابة
بعضها ثم قال بعضهم مقدار الربع
وقيل الثلث وقيل النصف وقيل
جزء من الكتابة من غير حد وقال
آخرون بل المراد من قوله وآتوهم
من مال الله الذى آتاكم هو النصيب
الذين فرض الله لهم من أموال
الزكاة وهذا قول الحسن وعبد
الرحمن بن زيد بن اسلم وابيه ومقاتل
ابن حيان واختاره ابن جرير وقال
ابراهيم الخنعي في قوله وآتوهم من
مال الله الذى آتاكم قال حث
الناس عليه مولا وغيره وكذا قال
بريدة بن الحصيب الاسلمى وقناة
وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين
ان يعينوا فى الرقاب وقد تقدم فى
الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ثلاثة حق على الله
عونهم فذكر منهم المكاتب يريد
الاداء والقول الاول أشهر وقال

ابن ابى حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن عمرانه
كاتب عبد الله يكنى أبا أمية فجاء بنجمه حين حل فقال يا أبا أمية اذهب فاستعن به فى مكاتبك فقال يا امير المؤمنين لو تركته
حتى يكون من آخر نعيم قال اخاف ان لا ادرك ذلك ثم قرأ فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال عكرمة
فكان اول نعيم ادى فى الاسلام وروى ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الافطس عن سعيد
ابن جبيرة قال كان ابن عمرا اذا كاتب مكاتب لم يضع عنه شيئا من اول نجومه مخافة ان يعجز فترجع اليه صدقته ولكنه اذا كان فى

آخر مكاتبة وضع عنه ما أحب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال صنعوا عنهم يعني من مكاتبتهم وكذا قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي هريرة وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي وقال محمد بن سيرين في الآية كان يعجبهم ان يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبة وقال ابن أبي حاتم اخبرنا الفضل بن شاذان المقرئ اخبرنا ابراهيم بن موسى اخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج اخبرني عطاء بن السائب ان عبد الله بن جندب اخبره عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ربع الكتابة وهذا حديث غريب ورفعه منكر والاشبه انه موقوف (١٨٩) علي رضي الله عنه كما رواه أبو عبد الرحمن

السلي رحمة الله وقوله تعالى ولا تكرر هو اقسايتكم على البغاء الآية كان أهل الجاهلية اذا كان لاحدهم أمة أرسلها ترني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الاسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن سلول فانه كان له امة فكان يكرههن على البغاء طلبا لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم * ذكر الآثار الواردة في ذلك * قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار رحمه الله في مسنده حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي يعني محمد بن الخلاج حدثنا محمد بن اسحق عن الزهري قال كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت الآية كرهوا فتياتكم على البغاء الآية وقال الاعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية قال نزلت في امة لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها مسيكة كان يكرهها على الفجور وكانت

مع اشقاله على بيان قواعد اللغة السكبية وهكذا كل علم من العلوم التي لها مزية نفع في فهم كتاب الله وسنة رسوله فانه قد نادى على نفسه بأنه جاهل مجادل بالباطل طاعن على العلوم الشرعية مستحق لان تنزل به فارة من قوارع العقوبة التي تزجره عن جهله وضلاله وطعنه على ما لا يعرفه ولا يعلم به ولا يحيط بكنهه حتى يصير عبثا لغيبه وموعظة يتعظ بها أمثاله من ضعفاء العقول وركان الاديان ورعا المتدبسين بالعلم زورا وكذبا (أم ماذا) أم هي المنقطعة بمعنى بل والمعنى أي شيء (كنتم تعملون) حتى شغلتم ذلك عن النظر فيها والتفكير في معانيها وهذا الاستفهام على طريق التوبيخ لهم (ووقع القول) أي وجب العذاب عليهم وقد تقدم تفسيره قريبا (عما ظنوا) أي بسبب الظلم الذي أعظم انواعه الشرك بالله (فهم لا ينطقون) عند وقوع القول عليهم أي ليس لهم عذر ينطقون به ولا يقدرون على القول لمسايرته من الهول العظيم وقال أكثر المفسرين ينتم على أفواههم فلا ينطقون ثم بعد ان خوفهم باهوال القيامة ذكروا سبحانه ما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغته في الارشاد وابلاء للمعذرة فقال (ألم يروا أن جعلنا الليل ليسكنوا فيه) أي ألم يعلموا اننا خلقنا الليل للسكون والاستقرار والنوم فيه وذلك بسبب ما فيه من الظلمة فانهم لا يسعون فيه للمعاش (وخلقنا النهار مبصرا) ليصروا فيه ما يسعون له من المعاش الذي لا يتلهم منه ووصف النهار بالابصار وهو وصف للناس مبالغته في اضاءته كانه يبصر ما فيه في الكلام اسناد عقلي من الاسناد الى الزمان قيل في الكلام حذف والتقدير وجعلنا الليل مظلما ليسكنوا وحذف مظلم الدلالة مبصر اعلمه وقد تقدم بحقيقته في الاسراء وفي يونس (ان في ذلك) المذكور (لايات) أي لعلا مات ودلالات (لقوم يؤمنون) بالله سبحانه وفي الآية دليل على صحة البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت كيف ومن تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلفها ما على وجوده مبنية على حكم تحارفي فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله وشاهد في الاتفاق تبدل ظلمة الليل المحاكاة للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالتيقظ الذي هو مثل الحياة قضي بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وحرم بان الله قد جعل هذا النموذج اذ لا يستدل به على ان

(١٢ - فتح البيان سابع) لا بأس بها فتأني فانزل الله هذه الآية ولا تكرر هو اقسايتكم على البغاء الى قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بنحوه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا علي بن سعيد حدثنا الاعمش حدثني أبو سفيان عن جابر قال كان لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية يقال لها مسيكة وكان يكرهها على البغاء فانزل الله ولا تكرر هو اقسايتكم على البغاء الى قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم صرح الاعمش بالسماع عن أبي سفيان طلحة بن نافع فدل على بطلان قول من قال لم يسمع منه انما هو صحيفة حكاه البزار وروى ابو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سماعة عن عكرمة عن ابن عباس ان جارية لعبد الله بن أبي كانت ترني في الجاهلية فولدت

أولاد من الزنا فقال لها مالك لاترين قالت والله لازني فضر بها فانزل الله عز وجل ولا تكرر هو افتيا تكلم على البغاء الآية وروى البراز
أيضا حدثنا احمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمر والبخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس رضي الله
عنه قال كانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت ولا تكرر هو افتيا تكلم على البغاء ان اردن
تحصنا الى ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري ان رجلا من قريش أسر
يوم بدر وكان عبد الله بن أبي اسيرا وكانت لعبد الله (٩٠) بن أبي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الاسير يريد ها على نفسها وكانت

مسلمة وكانت تمتنع منه لاسلامها
وكان عبد الله بن أبي يكرهها على
ذلك ويضربها رجاء ان تحمل للقرشي
فيطلب فداء ولده فقال تبارك
وتعالى ولا تكرر هو افتيا تكلم على
البغاء ان اردن تحصنا وقال
السدى أنزلت هذه الآية الكريمة
في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس
المنافقين وكانت له جارية تدعى
معاذة وكان اذا نزل به ضيف
أرسلها اليه ليوافعها ارادة
الثواب منه والكرامة له فأقبلت
الجارية الى أبي بكر رضي الله عنه
فشكت اليه ذلك فذكره أبو بكر
للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره
بقبضها فصاح عبد الله بن أبي من
يعذرنا من محمد يغلبنا على ما لو كنا
فأنزل الله فيهم هذا وقال مقاتل بن
حيان بلغني والله أعلم ان هذه الآية
نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين
لهما أحدهما اسمها مسيكة وكانت
للانصار (١) وكانت أمية أم مسيكة
لعبد الله بن أبي وكانت معاذة
وأروى تلك المترلة فأتت مسيكة
وأمرها النبي صلى الله عليه وسلم
فذكرتا ذلك فأنزل الله في ذلك
ولا تكرر هو افتيا تكلم على البغاء

سائر الآيات حق نازل من عند الله قاله أبو السعد ثم ذكر سبحانه علامة أخرى للقيامة
فقال (ويوم ينفخ في الصور) وهو معطوف على ويوم نضمر منصوب بناصبه المتقدم قال
القراء ان المعنى وذلك يوم ينفخ في الصور والاولى والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل
وقد تقدم في الانعام استيفاء الكلام عليه والنفخات في الصور ثلاث الاولى نفخة الفزع
والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث وقيل انها نفختان وان نفخة الفزع اما ان
تكون راجعة الى نفخة الصعق والى نفخة البعث واختار هذا القشيري والقرطبي
وغيرهما وقال الماوردي هذه النفخة المذكورة هنا هي يوم التشور من القبور (فزع)
كل (من) كان (في السموات ومن) كان (في الارض) حيا ذلك الوقت لم يسبق له موت
أو كان ميتا لكنه حتى في قبره كالانبياء والشهداء أي طافوا الخوف المنفصلي بهم الى الموت كما في
آية أخرى فصعق من في السموات الخ وانزعجوا المشدق ما سمعوا وقيل المراد بالفزع هنا
الاسراع والاجابة الى النداء من قولهم فزعت البك في كذا اذا أسرعت الى اجابته والاول
أولى بمعنى الآية وانما عبر بالماضي مع كونه معطوفا على المضارع للدلالة على تحقيق
الوقوع حسبما ذكره علماء البيان وقال القراء هو محمول على المعنى لان المعنى اذا نفخ
(الامن شاء الله) أن لا يفزع عند تلك النفخة فهو لا يفزع واختلاف في تعيين من وقع
الاستثناء له فقيل هم الشهداء والانبياء وقيل الملائكة وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت وقيل الحور العين وخزنة النار ووجه العرش وقيل هم المؤمنون كافة بدليل
قوله فيما بعد من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ويمكن ان يكون
الاستثناء شاملا للجميع المذكورين فلان من ذلك قال البيضاوي ولعل المراد ما يم
ذلك لعدم قرينة الخصوص انتهى فهو لا يكلمهم لا يفضي بهم الفزع الى الغشى والانعاش
بل هو أقل من ذلك (وكل أتوه) قرئ فعلا مضيا وكذا قرأ ابن مسعود وقرأ قتادة
كل أتاه وقرئ آتوه على اسم الفاعل مضافا الى الضمير الراجع الى الله سبحانه قال الزجاج
من قرأ على الفعل الماضي فقد وحده على لفظ كل ومن قرأ على اسم الفاعل فقد جمع على
معناه وهو غلط ظاهر فان كلمتا القراءتين لا توحيده فيهما بل التوحيد في قراءة قتادة فقط
(داخرين) أي صاغرين دليلين قاله ابن عباس وقرئ دخرين بغير الالف والمعنى صغار
ذل وهيبة من الجبار فيشمل هذا الطائعين والعاصين وقال الكرخي المراد به ذل العبودية

يعنى الزنا وقوله تعالى ان اردن تحصنا هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا والرق
أي من خراجهن ومهورهن وأولادهن وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام ومهر البغي وحلوان الكاهن
وفي رواية مهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث وعن الكلب خبيث وقوله تعالى ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن
غفور رحيم أي لهن كما تقدم في الحديث عن جابر وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فان علمت فان الله لهن غفور رحيم وأنهن على
من أكرههن وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والاعمش وقاتدة وقال أبو عبيد حدثني اسحق الأزرق عن عوف عن الحسن في هذه
(١) قوله وكانت أمية الخ كذا بالنسخ التي بأيدينا وحرر اه

الآية فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم قال لهن والله لهن والله وعن الزهري قال غفر لهن ما اكرهن عليه وعن زيد بن اسلم قال غفور رحيم للمكرهات حكاهن ابن المنذر في تفسيره باسائده وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن سفيان بن جبير قال في قراءة عبد الله بن مسعود فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم لهن واثمنهن على من اكرههن وفي الحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن ائمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وما وافصل تبارك وتعالى هذه الاحكام وبينها قال تعالى ولقد ازلنا اليكم (٩١) آيات مبينات يعني القرآن فيه آيات

واختجات مفسرات ومثلامن الذين خلوا من قبلكم أي خبرا عن الامم الماضية وما حل بهم من مخالفتهم أو امر الله تعالى كما قال تعالى فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين أي زاجر عن ارتكاب المآثم والمحارم للمتقين أي لمن اتقى الله وخافه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم وثبأ ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس الله نور السموات والارض يقول هادي أهل السموات والارض قال ابن جرير قال مجاهد وابن عباس في قوله الله نور السموات والارض

والرق لا ذل الذنوب والمعاصي وذلك يعم الخلق كلهم كما في قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وفي القاموس دخر الشخص كمنع وفرح دخرا ودخورا صغرو ذل وادخرته بالانف للتعديبة وقدمضي تفسير هذا في سورة النحل (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين وكسرها (جامدة) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولكل من يصلح للرؤية والرؤية بصرية وهذه هي العلامة الثالثة لقيام الساعة والمعنى تظنها واقفة فأنه ساكنة مكانها قاله ابن عباس (وهي غمر السحاب) أي وهي تسير سير احثينا كسير السحاب التي تسيرها الرياح وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة وعظمتها وبعدها بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمتها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمتها وقال القتيبي وذلك ان الجبال تجتمع وتسير وهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير قال النسفي وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت أي في سموت واحد لا تسكاد تبين حركتها ونحوه قال البيضاوي قال القشيري وهذا يوم القيامة ومثله قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا وقال ابو السعود هذا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق بيد الله الارض غير الارض وبغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى امكن تسيرها انما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله فقل ينسفها ربي نسفا الخ وقوله يوم تبدل الارض وقد قيل ان المراد بالنفخة هي النفخة الاولى والفرع هو الذي يستتبع الموت فيختص أثرها بمن كان حيا عند وقوع عهادون من مات قبل ذلك من الامم والمراد بالآيات دخر من رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان تزد ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفرع التي تكون قبل نفخة الصعق فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه وما هو نص في الباب ما سياتي من قوله تعالى وهم من فرغ يومئذ آمنون (صنع الله الذي أتقن كل شيء) أي صنع الله ذلك صنعا وهو مصدر مؤن كد لقوله يوم ينفع في الصور وقيل انظر واصنع الله الذي احكم يقال رجل تقن يكسر التاء أي حاذق بالاشياء والاتقان الاتيان بالشيء على أكل حالته وهو مأخوذ من قولهم تقن أرضه اذا ساق اليها الماء الخاثر بالطين لتصلح للزراعة وأرض

يدبر الامر فيهما الخ ومهما وشمسهما وقرهما وقال ابن جرير حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي حدثنا وهب بن راشد عن فرقة عن أنس بن مالك قال ان الله يقول نوري هدى واختار هذا القول ابن جرير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره قال هو المؤمن الذي جعل الله الايمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال الله نور السموات والارض فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نور من آمن به قال فكان أبي بن كعب يقرأها مثل نور من آمن به فهو المؤمن جعل الايمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبير وقيس بن سعد عن ابن عباس انه قرأها

كذلك نور من آمن بالله وقرأ بهضم الله نور السموات والارض وعن الضمك الله نور السموات والارض وقال السدي في قوله الله نور السموات والارض فبنوره أضأت السموات والارض وفي الحديث الذي رواه محمد بن اسحق في السيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يجعل لي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتيبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يقول اللهم (٩٢) لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات

وتقنة والتقن فعل ذلك بها والتقن أيضا ما رمى به في الغدير من ذلك والارض ذكره السمين قال ابن عباس اتقن أي أحسن كل شئ صنعه وخلقه وأوثقه (انه خبير بما تفعلون) تعليل لما قبله من كونه سبحانه صنع ما صنع واتقن كل شئ والخبير المطلع على الظواهر والضمائر قرئ بالفوقية على الخطاب وبالخصية على الخبر قال الخليل أي ما يفعلون أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) أي من جاء بحسن الحسنة يوم القيامة (قله) من الجزاء والثواب عند الله (خير) أي أفضل (منها) وأكثر وقيل خير حاصل من جهتها والاول أولى وقيل الحسنة هي الاخلاص وقيل أداء القرائن والتعميم أولى ولا وجه للتخصيص وان قال به بعض السلف وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة فله خير منها قال هي لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال هي الشرك واذا صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالمصير اليه في التفسير متعين ويحمل على ان المراد قال لا اله الا الله بحققها وما يجب لها فيدخل تحت ذلك كل طاعة ويشهد له ما أخرجه الحاكم في الكنى عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة جاء الايمان والشرك يجثوان بين يدي الله سبحانه فيقول الله للايمان انطلق أنت وأهلك الى الجنة ويقول للشرك أنت وأهلك الى النار ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة فله خير منها يعني قول لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة يعني شهادة أن لا اله الا الله فله خير منها يعني بالخير الجنة ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار وقال هذه تبنى وهذه تردى وعن ابن مسعود وابن عباس مثله وعنه قال خير منها أي من جهتها وقال أيضا خير أي ثواب قيل وهذه الجملة بيان لقوله انه بما تعملون خبير وقيل بيان لقوله وكل أولوه داخرين (وهم من فزع يومئذ آمنون) قرئ من فزع بالتثنية وفتح ميم يومئذ وقرئ بضمها من غير تثنية وقرئ باضافة فزع الى يومئذ قال أبو عبيدة وهذا أعجب الى لانه اعم التأويلين لان معناه الامن من فزع جميع ذلك اليوم ومع التثنية يكون الامن من فزع دون فزع وقيل

والارض ومن فيهن الحديث وعن ابن مسعود قال ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله تعالى مثل نوره في هذا الضمير قولان أحدهما انه عائد الى الله عز وجل أي مثل هداية في قلب المؤمن قاله ابن عباس كشكاة والثاني ان الضمير عائد الى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كشكاة فشبه قلب المؤمن وما هو مقطوع عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مقطوع عليه كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقتل من الزجاج الشفاق الجوهري وما يستدبه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف فقوله كشكاة قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد هو موضع القتيلة من القنديل هذا هو المشهور ولهذا قال بعده فيها مصباح وهو الزبالة التي تضيء وقال العوفي عن ابن عباس قوله الله نور السموات

والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء ف ضرب الله مثل ذلك لنوره فقال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة والمشكاة كوة البيت قال وهو مثل ضرب به الله لطاعته فسمى الله طاعته نورا ثم سماها أنوعا شتى وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد هي الكوة بلغة الحبشة وزاد بعضهم فقال المشكاة الكوة التي لا تنفذ لها وعن مجاهد المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل والقول الاول وهو ان المشكاة هو موضع القتيلة من القنديل ولهذا قال فيها مصباح وهو النور الذي في الزبالة قال أبي بن كعب المصباح النور وهو

القرآن والایمان الذي في صدره وقال السدي هو السراج المباح في زجاجة أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية وقال أبي
ابن كعب وغير واحد وهي نظير قلب المؤمن الزجاجة كأنها كوكب دري قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدرأي كأنها
كوكب من در وقرأ آخرون دري ودري بكسر الدال وضمهما مع الهمزة من الدرء وهو الدفع وذلك ان النجم اذا رمى به يكون أشد
استنارة من سائر الاحوال والعرب تسمى ما لا يعرف من الكواكب دراري قال أبي بن كعب كوكب مضى وقال قتادة مضى
مبين ضخم يوقد من شجرة مباركة أي يمد من زيت زيتون شجرة مباركة (٩٣) زيتونة بدل أو عطف بيان لاشرقية

ولاغربية أي ليست في شرق بقعتها
فلاتصل إليها الشمس من أول النهار
ولا في غربها فيقفلص عنها التي قبل
الغروب بل هي في مكان وسط
يقصرها الشمس من أول النهار إلى
آخره فيبي زيتها صافيا معتدلا
مشرفا وروى ابن أبي حاتم حدثنا
محمد بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن
ابن عبد الله بن سعد أخبرنا عمر بن
أي قيس عن سمك بن حرب عن
عكرمة عن ابن عباس في قوله زيتونة
لاشرقية ولاغربية قال هي شجرة
بالصحراء لا يظلمها شجر ولا جبل
ولا كهف ولا يوارها شيء وهو
أجود لزيتها وقال يحيى بن سعيد
القطان عن عمران بن جرير عن
عكرمة في قوله تعالى لاشرقية
ولاغربية قال هي ب صحراء وذلك
أصفي لزيتها وقال ابن أبي حاتم
حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا
عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير
عن عكرمة وسأله رجل عن قوله
تعالى زيتونة لاشرقية ولاغربية
قال تلك زيتونة بأرض فلا إذا
أشرفت الشمس أشرفت عليها فإذا
غربت غربت عليها فذلك أصفي

انه مصدر يتناول الكثير فلا يتم الترجيح بما ذكره فتكون القراءة ان بمعنى واحد وقيل المراد
بالنزع ههنا هو الفزع الا كبير المذكور في قوله لا يجزئهم الفزع الا كبير وقد تقدم في سورة
هو ذلك في هذا مستوفى (ومن جاء بالسبيته) قال جماعة من الصحابة ومن بعدهم حتى قيل
انه مجمع عليه بين أهل التأويل ان المراد بالسبيته هنا الشرك ووجه التخصيص قوله (فكبت
وجوههم في النار) فهذا الجزاء لا يكون الا للمثل سيئة الشرك والمعنى انهم كبروا فيها على
وجوههم وألقوا فيها وطرحوا عليها يقال كبيت الرجل اذا ألقىته لوجهه فانكبت وأكب
وذكرت الوجوه لانها موضع الشرف من الحواس وغيرها أوى (هل تجزون الا ما كنتم
تملكون) بتقدير القول أي يقال لهم ذلك وقت كبرهم أو مقولا لهم ذلك وهذا أوضح والقائل
لهم خزنة جهنم أي ما تجزون الاجزاء عملكم في الدنيا من الشرك والمعاصي (انما أمرت أن
أعبد رب هذه البلدة) لما فرغ سبحانه من بيان أحوال المبدأ والمعاد أمر رسوله صلى الله
عليه وآله وسلم ان يقول لهم هذه المقالة تنبيه لهم على انه قد تم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه
ولم يبق له بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم
ضلوا أو رشدوا أصلحوا أو فسدوا واليحملهم ذلك على ان يهتموا بأمر أنفسهم ويشتغلوا
بالتدبير فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعنى قل يا محمد انما أمرت أن أخص الله
بالعبادة وحده لا شريك له والمراد بالبلدة مكة قاله ابن عباس وانما خصها من بين سائر
البلاد لكون بيت الله الحرام فيها ولكونها أحب البلاد الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم (الذي) الموصول صفة للرب وهكذا قرأ الجمهور وقرأ ابن عباس وابن مسعود التي على
ان الموصول صفة للبلدة والسياق انما هو للرب لا للبلدة فذلك كانت قراءة العامة واضحة
ومعنى (حرمها) جعلها حراما آمنا لا يبتك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يعرض شوكها ولا
يصاد صيدها ولا يحتل خلاها وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها
فلا ينافي قوله (وله) أي للرب (كل شيء) من الاشياء خلقا وملكا وتصرفا (وأمرت أن
أكون من المسلمين) أي المنقادين لأمر الله المستسلمين له بالطاعة وامتثال أمره واجتناب
نهيهِ والمراد بقوله أن أكون ائبت على ما أنا عليه (وأن أتلا القرآن) أي أداوم تلاوته
وأواظب على ذلك لتكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في نضاعفه شيئا فشيئا قيل ليس
المراد من تلاوة القرآن هنا الاتلاوة الدعوة الى الايمان والاول وأولى قرأ الجمهور ان

ما يكون من الزيت وقال مجاهد في قوله تعالى لاشرقية ولاغربية قال ليست بشرقية لانصبيها الشمس اذا طلعت ولاغربية
لانصبيها الشمس اذا غربت بل تصيبها اذا طلعت واذا غربت وعن سعيد بن جبيرة في قوله زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها
يضى قال هو أجود الزيت قال اذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق فاذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس
فالشمس تصيبها بالغداة والعشي فذلك لانها شرقية ولاغربية وقال السدي قوله زيتونة لاشرقية ولاغربية يقول ليست
بشرقية يجوزها المشرق ولاغربية يجوزها المغرب دون المشرق ولكنها على رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله

وقيل المراد بقوله تعالى لاشرقية ولاغربية انها في وسط الشجر ليست باقية للمشرق وللغرب قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العباس عن أبي بن كعب في قول الله تعالى زيتونة لاشرقية ولاغربية قال هي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت قال فكذلك هذا المؤمن قد أجبر من أن يصيبه شيء من الفتن وقد يتلى بها فينبه الله فيها فهو بين أربع خلال ان قال صدق وان حكم عدل وان ابتلى صبر وان أعطى شكر فهو في سائر الناس كالرجل الحلي عشي في قبور الاموات قال ابن أبي حاتم (٩٤) حدثنا علي بن الحسين حدثنا سعد قال حدثنا أبو عوانة عن أبي

بشر عن سعيد بن جبيرة في قوله زيتونة لاشرقية ولاغربية قال هي وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقا ولا غربا قال عطية العوفي لاشرقية ولاغربية قال هي شجرة في موضع من الشجر يرى ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطع عليها الشمس ولا تغرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لاشرقية ولاغربية ليست شرقية ليس فيها شرق ولاغربية ليس فيها غرب ولكنها شرقية غربية وقال محمد بن كعب القرظي لاشرقية ولاغربية قال هي القلبية وقال زيد بن أسلم لاشرقية ولاغربية قال الشام وقال الحسن البصري لو كانت هذه شجرة في الارض لكانت شرقية واغربية ولكنه مثل ضربه الله تعالى لنوره وقال الضحاك عن ابن عباس نوقد من شجرة مباركة قال رجل صالح زيتونة لاشرقية ولاغربية قال

أتلوا بآيات الواو من التسلاوة وهي القراءة أو من التلو وهو الاتباع كقوله واتبع ما أوحى اليك من ربك وقرئ ان أتل بحذف الواو أمر الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وجهه الفراء قال النحاس ولا تعرف هذه القراءة وهي مخالفة لجميع المصاحف ولقد قام صلى الله عليه وآله وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به (فن اهتدى) أي على العموم أو فن اهتدى بما أنلوه عليه فعمل بما فيه من الايمان بالله والعمل بشرائعه (فانما اهتدى لنفسه) لان نفع ذلك راجع اليه لا الى (ومن ضل) بالكفر وأعرض عن الهداية (فقل) له (انما أنا من المنذرين) وقد فعلت الانذار بالبلغ ذلك اليكم وليس على غير ذلك وقيل الجواب محذوف أي فوالضلالة عليه وأقيم انما أنا من المنذرين مقامه لكونه كالعلة له والاول أظهر قيل نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) على نعمه التي أنعم بها على من النبوة والعلم وغير ذلك ووقفني لعمري أعبأ بها وتبليغ أحكامها الى كافة الوري وقوله (سير بكم آياته) هو من جملة ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله أي سير بكم الله آياته الباهرة التي نطق بها القرآن في أنفسكم وفي غيركم قبل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأبداهم وقيل آياته في السموات والارض وقيل آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (فتعرفونها) أي تعرفون آياته ودلائل قدرته ووجدانته وهذه المعرفة لا تنفع الكفار لانهم عرفوها حين لا يقبل منهم الايمان وذلك عند حضور الموت ثم ختم السورة بقوله (ومار بكم بغافل عما تعملون) قرئ بالفوقية على الخطاب وبالحمسة وهو كلام من جهته سبحانه غير داخل تحت الكلام الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله وفيه ترهيب شديد وتهديد عظيم

• (سورة القصص وتسمى أيضا سورة موسى وأسماء السور توقيفية وكذا

ترتيبها وترتيب الآيات الكريمة) •

وهي ثمان وثمانون آية وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء قال المحلى هي مكية الا ان الذي فرض عليك القرآن رادك الى معادنزلت بالحمسة والا الذين آتيناهم الكتاب الى لا ينبغي الجاهلين انتهى عن ابن عباس نزلت الاولى بالحمسة فليست مكية

لايهودي ولا نصراني وأولى هذه الاقوال القول الاول وانها في مستوى من الارض في مكان فسيح بادناهر ضاح للشمس ولا تفرعه من أول النهار الى آخره ليكون ذلك أصفى لزيته وألطف كما قال غير واحد من تقدم ولهذا قال تعالى يكاد يبتأيض ولولم تمسه نار قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لضوء اشراق الزيت وقوله تعالى نور على نور قال العوفي عن ابن عباس يعني بذلك ايمان العبد وعمله وقال مجاهد والسدى يعني نور النار ونور الزيت وقال أبي بن كعب نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى نور يوم القيامة الى الجنة وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال

حدثني عن قول الله تعالى يكادزيتهاضي * ولولم تمسه نار قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم بين للناس ولولم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت انه يضي * وقال السدي في قوله تعالى نور على نور قال نور النور نور الزيت حين اجتمع اضاءت اولايضي * واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن ونور الايمان حين اجتمع ا فلا يكن احدهما الا بصاحبه وقوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء * أي يرشد الله الى هدايته من يختاره كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الاوزاعي حدثني ربيعة بن زيد عن عبد الله الديلمي عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله (٩٥) صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق خلقه

في ظلمة ثم القى عليهم من نوره يومئذ فن
 اصاب من نوره يومئذ اهتدى ومن
 اخطاه ضل فلذلك اقول جف القلم
 على علم الله عز وجل طريق أخرى
 عنه قال البزار حدثنا اوب عن
 سويد عن يحيى بن أبي كثير الشيباني
 عن أبيه عن عبد الله بن عمرو سمعت
 رسول صلى الله عليه وسلم يقول
 ان الله خلق خلقه في ظلمة فالتقى
 عليهم نور من نوره فن اصابه من
 ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل
 ورواه البزار عن عبد الله بن عمرو
 من طريق آخر بلفظه وحروفه
 وقوله تعالى ويضرب الله الامثال
 للناس والله بكل شيء عليم لماذا
 تعالى هذا مثلاً لنور هداية في قلب
 المؤمن ختم الآية بقوله ويضرب
 الله الامثال للناس والله بكل شيء
 عليم أي هو أعلم من يستحق الهداية
 ممن يستحق الضلال قال الامام
 احمد حدثنا ابو النضر حدثنا
 ابو معاوية حدثنا شيبان عن ليث
 عن عمرو بن مرة عن أبي الجحتر
 عن أبي سعيد الخدري قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 القلوب اربعة قلب اجر وفيه مثل
 السراج يزهو وقلب اغلف مر بوط

ولامدينة وقال مقاتل فيمن المدنى الذى آتيناها الخ

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(طسم) الله أعلم بمراده بذلك والكلام في فاتحة هذه السورة قدم في فاتحة الشعراء
 وغيرها فلا نعيده وكذلك من الكلام على قوله (تلك آيات الكتاب المبين) قال الزجاج
 مبين الحق من الباطل والجلال من الحرام وهو من ابا بن بمعنى اظهر ويقال ابنته فابان
 لازم ومتعد أي مبين خيره وبركته (تلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون)
 أي نوحى اليك بواسطة جبريل من أمرهما متلبس بالحق وخص المؤمنين لان التسلاوة
 انما ينتفع بها المؤمن وقيل تلو عليك شيئاً من نبئهما ومن مزبذة على رأى الاخفش
 والاولى ان تكون للبيان وللتبعض ولا ملجئ الى الحكم يزيدتها والحق الصدق (ان
 فرعون عا في الارض) مستأنفة مسوقة لبيان ما أجله من النبأ قال المفسرون معنى
 علان تكبر وتعظم وتجب بسلطانه والمراد بالارض أرض مصر وقيل معنى علا ادعى الربوبية
 وقيل علا عن عبادة ربه (وجعل أهلها شيعا) أي فرقا واصنافا في خدمته يشايعونه على
 ما يريدو بطيعونه قال مجاهد فرق بينهم وقال قتادة يستعبد طائفة منهم ويدع طائفة
 ويقتل طائفة ويستحي طائفة أو فرقا متفرقة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا
 تتفق كلمتهم (يستضعف طائفة منهم) مستأنفة مسوقة لبيان حال الاهل الذين جعلهم
 فرقا واصنافا ويجوز ان تكون حال من فاعل جعل أي جعلهم شيعا حال كونه مستضعفا
 طائفة منهم ويجوز ان تكون صفة لطائفة والطائفة هم بنو اسرائيل فانهم عجزوا
 وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم وذلك ان بنى اسرائيل لما كثروا جصر استطالوا على
 الناس وعلموا المعاصى ولم يأمر وبال معروف ولم ينهوا على المنكر فسلط الله عليهم القبط
 فاستضعفوه الى أن أتجأهم الله على يدموسى عليه السلام (يذبح أبناءهم ويستحي
 نساءهم) بدل من الجلة الاولى أو مستأنفة للبيان أو حال أو صفة كالتى قبلها وانما كان
 فرعون يذبح أبناءهم ويترك نساءهم ويستبيحهم لان المنجمين في ذلك العصر أخبروه
 انه يذهب ملكه على يدمو لو من بنى اسرائيل قال الزجاج والعجب من حق فرعون فان
 الكاهن الذى أخبره بذلك ان كان صادقا عنده فيا يقع القتل وان كان كاذبا فلامعنى

على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الابجد فقلب المؤمن سراج فيه نوره وأما القلب الاغلف فقلب الكافر وأما
 القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء
 الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقبح فأى المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه اسناده جيد ولم يخرجوه (فى
 بيوت اذن الله أن ترفع ويذكريه اسم يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة
 وآتوا الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليحجزهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير

حساب) لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاج الصافية المتوقفة من زيت طيب وذلك
كانت قديلا مثلا ذكرا محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع الى الله تعالى من الارض وهي بيوت التي يعبد فيها ويوحى فقال
تعالى في بيوت اذن الله أن ترفع أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والاقوال والافعال التي لا تليق فيها كما قال
علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة في بيوت اذن الله أن ترفع قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة
وأبو صالح والضحك ونافع بن جبيرة وأبو بكر (٩٦) بن سليمان بن أبي خيثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المفسرين

للقتل وقد قيل انه ذبح سبعين ألفا (انه كان من المفسدين) الراستخين في الافساد في
الارض بالمعاصي والتجبر ولذلك اجترأ على مثل ذلك الجرعة العظيمة من قتل المعصومين
من أولاد الانبياء عليهم السلام وفيه بيان ان القتل من فعل أهل النساد (وزيد أن عن
علي الذين استضعفوا في الارض) جاء بصيغة المضارع لحكاية الحالة الماضية واستحضار
صورته أي زيد أن تنفضل عليهم بانجائهم من بأسه بعد استضعافهم وقال النسفي وهو
دليل لنا على مسئلة الاصلح انتهى والمراد بهؤلاء بنو اسرائيل والواو للعطف على جملة
ان فرعون علا وهذا أولى (وتجملهم أئمة) أي قادة في الخير ودعاة اليه يقتدى بهم وولادة
على الناس وملوكهم بعد ان كانوا أتباعا مستضعفين مهانين قال علي بن أبي طالب يعني
يوسف وولده وقال قتادة أي ولادة الامر وهم بنو اسرائيل (وتجملهم الوارثين) أي الذين
يرثون الارض بعد فرعون وقومه لا الورثة المعهودة في شرعنا قاله قتادة أي تجملهم
الوارثين لملك فرعون ومساكن القبط وأملا كههم فيكون ذلك فرعون فيهم ويسكنون
مساكن قومهم وينتفعون بأعمالهم وأملا كههم (وتمكن لهم في الارض) أي تجملهم
مقتدرين عليهم وعلى أهلهم مسلطين على ذلك يتصرفون فيها كيف شاؤوا يقال تمكن له
اذا جعل له مكانا يقعد عليه ويتمكن فيه أو يرقد ثم استعير للتسلط واطلاق الامر
والارض أرض مصر والشام (وزي فرعون وهامان وجنودهما) الفاعل هو الله سبحانه
وقري يرى بالتحسية والفاعل فرعون والاولى ألصق بالسياق لان قبله ان زيد وتمكن بالنون
وأجاز القراء ويرى فرعون أي ويرى الله فرعون والرؤية بصريه والاضافة اليه ما اما
للتغليب أو انه كان لهامان جنود مخصوصة به وان كان وزيرا أولان جنود السلطان جنود
وزيره والابصار لا يتوقف على الحياة عند أهل الحق ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
في أهل القلب ما أنتم بأسمع منهم أو المراد رؤية طلائعه وأسبابه وذلك حين أدر كههم
الغرق (منهم) أي من أولئك المستضعفين (ما كانوا يحذرون) والمعنى ان الله
يربهم أو يرونهم الذي كانوا يخافون منه ويحجته دون في دفعه من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد المولود من بنو اسرائيل المستضعفين والحذر التوق من الضرر
(وأوحينا الى أم موسى) أي ألهمناها الذي صنعت بموسى قاله ابن عباس وليس ذلك
هو الوحي الذي يوحى الى الرسل وقيل كان ذلك رؤيا في ما رواه وقيل كان ذلك بملأ أرسله

وقال قتادة هي هذه المساجد أمر
الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارها
ورفعها وتطهيرها وقد ذكر لنا ان
كعبا كان يقول مكتوبا في التوراة
ان بيوتى في الارض المساجد وانه
من توفأ فاحسن وضوءه ثم زارني
في بيتي أكرمه وحق على المزور
كرامة الزائر رواه عبد الرحمن بن
أبي حاتم في تفسيره وقد وردت
أحاديث كثيرة في بناء المساجد
واحترامها وتوقيرها وتطهيرها وتبخيرها
وذلك لمحل مفرد يذكر فيه وقد
كُتبت في ذلك جزأ على حدة والله
الحد والمنة ونحن بعون الله تعالى
نذكره هنا طرفا من ذلك ان شاء الله
تعالى وبه الثقة وعليه التكلان
فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان
رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من
بنى مسجدا يتبع به وجهه الله بنى الله
له مثله في الجنة أخرجه في الصحيحين
وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا
يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في
الجنة وللنساء عن عمرو بن عبسة

مثله والاحاديث في هذا كثيرة جدا وعن عائشة رضي الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء الله
المساجد في الدور وان تنظف وتطيب رواه أحمد وأهل السنن الا النسائي ولا جد وأبي داود عن حمزة بن جندب نحوه وقال البخاري
قال عمر ابن الناس ما يكنهم ويايك أن تحمرا وتصرفتم من الناس وروى ابن ماجه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ساء
عمل قوم قط الا زحفوا مساجدهم وفي اسناده ضعف وروى أبو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت
بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخر فيها كما زخرت اليهود والنصارى وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد رواه أحمد وأهل السنن الا الترمذى وعن بريدة ان رجلا نشد في المسجد فقال من دعا الى الجمل الاحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدت انما بنيت المساجد لمابنيت له رواه مسلم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتعا وعن تناشد الاشعار في المساجد رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حسن وعن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت من يبيع أو يتبع في المسجد فقولوا الأربح الله بجزارتك واذا رأيت من ينشد (٩٧) ضالة في المسجد فقولوا اردها الله عليك رواه

الترمذى وقال حسن غريب وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا قال خصال لا تتبع في المسجد لا يتخذ طريقا ولا يشرفه بسلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا يثر فيه نبل ولا يمر فيه بالحمل في ولا يضرب فيه حد ولا يتص فيه أحد ولا يتخذ سوقا وعن واثله بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنبوا مساجدنا صيانتكم ومجانبتكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم واقامة حدركم وسبل سب وفكهم واتخذوا على أبوابها المطاير وجرورها في الجمع ورواه ابن ماجه أيضا وفي انه اذا مضى بعض العلماء المرور فيه الحاجة اذا وجد مندوحة عنه وفي الاثر ان الملائكة لتتعب من الرجل يمر بالمسجد لا يصلي فيه وامانه لا يشرف فيه بسلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا يثر فيه نبل فلما يخشى من اصابة بعض الناس به لكثرة المصلين فيه ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر رجل بسهام أن يقبض

الله يعلم بذلك فعلى هذا هو روحى اعلام لا الهام وقد اجتمع العلماء على انها لم تكن نبيسة وانما كان ارسال الملك اليها عندهم من قال به على نحو كلم الملك للقرع والابصر والاعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت في الصحيح فلم يكن بذلك نبيا وكان اسمها يوحنا وقيل لويحا بنت هانن لابن لاوى بن يعقوب نقله القرطبي عن الثعلبي (ان ارضيه) ان هي المقسرة لان في الوحى معنى القول أو بان ارضعه قيل ارضعته ثمانية أشهر وقيل اربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها وكان الوحى برضاعه قبل ولادتها وقيل بعدها وأمرها بارضاعه مع انها ترضعه طبعاً لئلا ينفلها فلا يقبل ثدى غيرها بعد وقوعه في يد فرعون (فاذا خفت عليه) من فرعون بان يبلغ خبره اليه فيذبحه قال ابن عباس أن يسمع جيرانك صوته (فالقبه في اليم) وهو بحر النيل وقد تقدم بيان الكيفية التي ألقته في اليم عليها في سورة طه (ولا تخافى) عليه الغرق والضيعة (ولا تخزنى) لفرقه والخوف غم يصيب الانسان لامر يتوقعه في المستقبل والحزن غم يصيبه لامر وقع ومضى فلا يقال ما الفرق بينهما حتى عطف أحدهما على الآخر في الآية (انارادوه اليك) عن قريب على وجه تكون به نجاته وتأمين عليه والجملة لتعليل للنهي عن الخوف والحزن (وجاءه من المرسلين) الذين نزلهم الى العباد وقد اشتمت هذه الآية على أمرين أرضعيه والقبه ونهين لاختافى ولا تخزنى وخبرين انارادوه وجاءه وبشارتين في ضمن الخبرين وهما الرد والجعل المذكوران (فالتقطه آل فرعون) القاهى النصيحة والاتقاط اصابة الشئ من غير طلب والمراد بال فرعون هم الذين أخذوا التابوت الذى فيه موسى من البحر والتقدير فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت فالقطعه من وجده من آل فرعون أى اعوانه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا وحزنا) اللام لام العاقبة ووجه ذلك انهم انما أخذوه ليكون لهم ولدا وقررة عين لا ليكون عدوا فكان عاقبة ذلك انه كان لهم عدوا يقتل رجالهم وحزنا يستعبد نساءهم فانه الحلى وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي معناها التعليل ولكن هذا المعنى واراد على طريق المجاز لانه لما كانت هذه العداوة نتيجة لتعلمهم وغررة له شبت بالدعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله قرئ حزنا بفتح الحاء والزاى وحزنا بضم الحاء وسكون الزاى وهما لغتان كالعدم

(١٣ - فتح البيان سابع)

على نصالها لتلايؤذى أحدا كما ثبت ذلك في الصحيح واما النهى عن المرور باللحم التي فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كما نهيت الحائض عن المرور فيه اذا خافت التلوث وامانه لا يضرب فيه حداً ولا يقتص فلما يخشى من ايجاد النجاسة فيه من المضر وب أو المقطوع وامانه لا يتخذ سوقا فلما تقدم من النهى عن البيع والشراء فيه فانه انما بنى لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الاعرابى الذى بال في طائفة المسجد ان المساجد لم تبني لهذا انما بنيت لذكر الله والصلاة فيها ثم أمر بسجل من ماء فاهرق على بوله وفي الحديث الثانى جنبوا مساجدكم صيانتكم وذلك

لانهم يلعبون فيه ولا يناسبهم وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى صبياً يلعبون في المسجد ضربهم بالحققة وهي الدرة وكان يعس المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحد او يجانينكم بمعنى لاجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فمؤدى الى اللعب فيها ولما يخشى من تقديرهم المسجد ونحو ذلك ويحكم وشراءكم كما تقدم وخصوصاً تمكيم بمعنى التحاكم والحكم فيه ولهذا نص كثير من العلماء على ان الخاتم لا ينتصب لفصل القضية بالمسجد بل يكون في موضع غيرهما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والالفاظ التي لاتناسبه ولهذا (٩٨) قال بعده ورفع أصواتكم وقال البخارى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى

ابن سعيد حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن قال حدثني يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد الكندي قال كنت قائماً في المسجد فخصبني رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فائتني بهذين فختمه به ما فقال من أتمأ ومن أين أتمأ قال من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لاجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النسائي حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال سمع عمر صوت رجلاً في المسجد فقال اتردى أين أنت وهذا أيضاً صحيح وقوله واقامة حدودكم وسل سيفوكم تقدم ما وقوله واتخذوا على ابوابها المطاهر يعنى المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة وقد كان قريباً من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابار يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضؤون وغير ذلك وقوله وجروها في الجمع يعنى بجروها في ايام الجمع لكثرة

والعدم والرشد والرشد والسقم والسقم (ان فرعون وهامان وجنودهما) تعليل لما قبله واعتراض لقصد التأكيذ (كلوا حاططين) اي عاصين آمنين في كل أفعالهم وأقوالهم فعوقبوا على يديه مع انه تربي على أيديهم فهذا أبلغ في اذلالهم وهو مأخوذ من الخطا المقابل للصواب لانهم لم يشعروا انه الذي يذهب بملكهم أو من خطا يخطوا أى يتجاوز الصواب (وقالت امرأة فرعون) وقد هم مع اعوانه لقتله وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء وبنات الانبياء وقيل كانت من بنى اسرائيل وقيل كانت عمه موسى حكاة السهيلى (قرت عين لي وللك) وكان قولها لهذا القول عند رؤيتها لما وصل اليها وأخرجه من التابوت وخطبت بقولها (لا تقتلوه) فرعون ومن عنده من قومه أو فرعون وحده على طريقة التعظيم له وقرأ ابن مسعود قالت امرأة فرعون لا تقتلوه قره عين لي ولك قيل انها قالت هذا الولد أكبر من سنة وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقد حكى القراء عن السدي عن الكبي عن أبي صالح عن ابن عباس ان قوله لا تقتلوه من كلام فرعون واعترضه بكلام يرجع الى اللفظ ويكفي في رده ضعف اسناده وقيل انها قالت لا تقتلوه فان الله أتى به من أرض بعيدة وليس من بنى اسرائيل ثم عللت ما قالته بالتبرجى منها الحصول النفع منهم والتبني له فقالت (عدى أن ينفعنا) فنصيب منه خير الان فيه مخايل الين ودلائل النفع لاهله (أو اتخذها ولدا) وكانت لاتلد فاستوهبته من فرعون فوهبه لها (وهم لا يشعرون) انهم على خطا في التقاطه وان هلا كههم على يده فيكون حالاً من آل فرعون وهى من كلام الله سبحانه وقيل هى من كلام المرأة أى وبنو اسرائيل لا يدرون انا التقطنا وهم لا يشعرون قاله الكبي وهو بعيد جداً ما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) أى صار (فؤاد أم موسى فارغاً) من كل شئ الامن أمر موسى كأنهم لم تهم بشئ سواه قاله المفسرون وقال أبو عبيدة طالبا من ذكر كل من في الدنيا الامن ذكر موسى وقال الحسن وابن اسحق وابن زيد فارغاً مما أوحى الله اليها من قوله ولا تخافى ولا تحزنى وذلك لما سؤل الشيطان لها من غرقه وهلاكه وقال الاخفش فارغاً من الخوف والغم لعلها انه لم يغرق بسبب ما تقدم من الوحي اليها وروى مثله عن أبي عبيدة أيضاً وقال الكسائى ناسياً اذا هلا وقيل صفر من العقل وقال العلاء بن زياد نافرأ وقال سعيد بن جبير والهالكات تقول وابناه من شدة الخزع وقال مقاتل كادت تصيح

اجتماع الناس يومئذ وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا عبيد الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله شفقة ابن عمر عن نافع عن ابن عمر ان عمر كان يجمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة اسناده حسن لا بأس به والله أعلم وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلواته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفاً وذلك انه اذا توضأ فاحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرج الى الصلاة لم يخط خطوة الا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر

الصلاة وعند الدارقطني مر فوعا الصلاة لجوار المسجد الا في المسجد وفي السنن بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم
القيامه ويستحب لمن دخل المسجد ان يبدأ برجله اليمنى وان يقول كما ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حنظلمني سائر اليوم وروى مسلم بسنده عن أبي حمزة وأبي أسيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم افتح لي

أبواب فضلك ورواه النسائي عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم
افتح لي أبواب رحمتك واذا خرج
فليسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم اعصمني من
الشيطان الرجيم ورواه ابن ماجه
وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما
وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن
ابراهيم حدثنا الليث بن أبي سليم عن
عبد الرحمن بن حسين عن أمه
فاطمة بنت حسين عن جدتها
فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك
واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم
قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب فضلك ورواه الترمذي وابن
ماجه وقال الترمذي هذا حديث
حسن واسناده ليس بمتصل لان
فاطمة بنت الحسين الصغرى لم

شفقة عليه من الغرق وقيل المعنى انها لما سمعت بوقوعه في يذفر عون طار عقلها من فرط
الجزع والدهش قال النحاس وأصح هذه الاقوال الاول والذين قالوه أعلم بكباب الله فاذا
كان فارغاً من كل شيء الا من ذكر موسى فهو فارغ من الوحي وقول من قال فارغاً من الغم
غلط قبيح لان بعده ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وقرى فرغاً من كان فارغاً من
الفرغ أي خائفاً وجلاً وقرأ ابن عباس قرعاً من قرع رأسه اذا انخسر شعره (ان كادت
لتبدي به) من بدا يبدو واذا ظهر وبدي أي أظهر والمعنى لتظهر رأسه موسى وأنه ابنها
من فرط ما دهسها من الدهش والخوف والحزن وقيل الضمير في به عائد الى الوحي الذي
أوحى اليها والاول أولى وقال الفراء لتبدي باسمه لضيقت صدرها وقال ابن عباس تقول
بالبناء وقيل الباء زائدة للتأكيده والمعنى لتبديه كما تقول أخذت الحبل وبالحبل وقيل
المعنى لتبدي القول به (لولا ان ربطنا على قلبها) بالعصمة والصبر والتثبيت قال الزجاج
معنى الربط على القلب الهام الصبر وتقويته وجواب لولا محذوف أي لا بدت (لتكون
من المؤمنين) أي ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعده الله وهو قوله ان ارادوه اليك
قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت بشيئين فلم
ينفعاها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت) أم موسى (لاختمه) وهي
مريم وقال الضحاك ان اسمها كاتمة وقال السهيلي كاثوم ذكره الماوردي (قصيه) أي
تبعى أثره واعرف خبره وانظري أين وقع والى من صار يقال قصصت الشيء اذا تبعته
أثره متعرفاً لحاله (فبصرت به) أي أبصرت قال المبرد أبصرت به وبصرت به بمعنى قرئ
بصرت بفتح الباء وضم الصاد وقرئ بفتحها وبكسرهما (عن جنب) أصله عن مكان جنب
ومنه الاجنب وقيل المراد بقوله عن جنب عن جانب قاله ابن عباس والمعنى انها أبصرت
اليه متجانفةً فخالته وقرئ عن جنب اي بصرت به مستحفية كأنه عن جنب او بعيداً
منها وقرئ بضمين وبضم الجيم وسكون النون وقال ابو عمرو بن العلاء ان معنى عن جنب
عن شوق قال وهي لغة جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت اليك (وهم لا يشعرون)
انها اخته وانها تقصه وتتبع أثره أخرجه الطبراني وابن عساكر عن أبي امامة ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة اما شعرت ان الله زوجني مريم بنت عمران
وكاثوم اخت موسى وامرأة فرعون قالت هنيئاً لك يا رسول الله وأخرجه ابن عساكر عن

تدرك الكبرى فهذا الذي ذكرناه مع ما ذكرناه من الاحاديث الواردة في ذلك كله محاذرة الطول داخل في قوله تعالى في بيوت اذن الله
ان ترفع وقوله ويذرفه اسمه كقوله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقوله واقموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين وقوله وان المساجد لله الاية وقوله تعالى ويذرفه اسمه قال ابن عباس يعني بكابه وقوله تعالى يسبح له
فيها بالغدو والآصال أي في البكرات والعشيات والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس كل تسبيح
في القرآن هو الصلاة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما اقترض

الله من الصلاة فأجاب أن يذكرها وان يذكرها عبادته وكذا قال الحسن والضحاك يسجد فيها بالغدو والآصال يعني الصلاة
ومن قرأ من القراء يسجد له فيها بالغدو والآصال بفتح الباء من يسجد على أنه مبنى لمسلم بفتح الباء وقوله والآصال وقفاتها
وابتداء بقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكانه مفسر للفاعل المحذوف كما قال الشاعر
ليبك يزيد صار لخصومة * ومحتبط مما تطيح الطوائج
قال رجال واما على قراءة من قرأ يسجد بكسر (١٠٠) الباء فجعله فعلا وفعالها رجال فلا يحسن الوقف الاعلى الفاعل لأنه تمام

الكلام فقوله تعالى رجال فيه
اشعارهم مهمهم السامية ونياتهم
وعزائمهم العالية التي بها صاروا
عمارا للمساجد التي هي بيوت الله
في أرضه ومواطن عبادته وشكره
وتوحيده وتزيينه كما قال تعالى من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الآية واما النساء
فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن
لمارواه أبو داود عن عبد الله بن
مسعود رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال صلاة المرأة
في بيتها أفضل من صلاتها في حجرها
وصلاتها في مخدعها أفضل من
صلاتها في بيتها وقال الامام أحمد
في حديثنا يحيى بن غيلان
حدثنا رشد بن
حدثني عمرو بن أبي السمح
عن السائب مولى ام سلمة عن ام
سلمة رضى الله عنها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خير مساجد
النساء قعر بيوتهن وقال أحمد أيضا
حدثنا هرون أخبرني عبد الله بن
وهب حدثنا داود بن قيس عن عبد
الله بن سويد الانصاري عن عمته ام
جميد امرأة أبي جهم الساعدي

ابن رداد مر فوعا بطول من هذا وفي آخره انها قالت بالفاء والبنين (وحر مناعليه
المرضع) جمع مرضع وقيل جمع مرضع بفتح الصاد هو الرضاع أو موضعه وهو الثدي أى
منعناه أن يرضع من المرضعات جعله مجازا اما استعمارة أو مرضه اللان من حرم عليه شيء
فقد منعها لان الصبي ليس من أهل التكليف (من قبل) أى من قبل ان ترده الى امه
أو من قبل ان تاتيها امه او من قبل قصها لاثرة قال ابن عباس لا يؤتى برضع فيقبلها وقد
كانت امرأة فرعون طلبت لموسى المرضعات ليرضعه فلم يرضع من واحدة منهم (فتات)
اخته لما رأت امتناعه من الرضاع وحنوهم عليه (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم)
أى يضمنون لكم القيام به وارضاعه وهى امرأة قتل ولدها وأحب شيء اليها ان تجد ولدا
ترضعه (وهم لنا يحون) أى مشفقون عليه لا يقصرون في ارضاعه وتربيته والنصح
اخلاص العمل من شائبة الفساد وفى الكلام حذف أى قالوا الهامن هم فقالت أى
فقيل وهل لامك ابن قالت نعم ابن أخى هرون وكان ولد في السنة التي لا يقتل فيها فدلهم على
أم موسى فدفعوه اليها فقبل ثديها ورضع منه قيل كانوا يعطونها كل يوم دينار وانما حل
لها ما تأخذ لانه مال حربى لانه اجرة على ارضاع ولدها (فرددناه الى أمه كي تقر عينها)
بولدها (ولا تحزن) حينئذ على فراقه (ولتعلم ان وعد الله) أى جميع وعده ومن جملة
ذلك ما وعدنا بقوله ان ارادوه اليك (حق) لاخلف فيه واقع لا محالة (ولكن أكثرهم)
أى أكثر آل فرعون (لا يعلمون) بذلك بل كانوا فى غفلة عن القدر وسر القضاة او أكثر
الناس لا يعلمون بذلك أو لا يعلمون ان الله وعدها بان يردها اليها وهذه اخته وهذه امه (ولما
بلغ أشده) أى نهاية القوة وعمام العقل وهو جمع شدة كعممة وانم عند سيويه وقد قال
ربيعه ومالك هو الحلم لقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنس منهم ثم رشحوا الآية
وأقصاه اربع وثلاثون سنة كما قال مجاهد وسفيان الثوري وغيرهما وقيل الاشد ما بين
الثمانية عشر الى الثلاثين وقال ابن عباس ثلاثا وثلاثين سنة وقد تقدم الكلام فى بلوغ
الاشد فى الانعام (واستوى) أى اعتدل وتم استحكامه والاستواء من الثلاثين الى
الاربعين فاذا زاد على الاربعين أخذ فى النقصان قاله ابن عباس وقيل الاستواء هو بلوغ
الاربعين ويرى انه لم يبعث نبى الاعلى رأس أربعين سنة وقيل الاستواء اشارة الى كمال
انخلة وقيل الاشد والاستواء بمعنى واحد وهو ضعيف لان العطف يشعر بالمغايرة (آتيناه

انها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أحب الصلاة معك قال قد علمت انك تحبين الصلاة
معى وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك وصلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلاتك
فى مسجد قومك وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى قال فأمرت فبنى لها مسجدا فى اقصى بيت من بيوتها
فكانت والله تصلى فيه حتى لقيت الله تعالى لم يخربوه هذا ويجوز لها شهود وجماعة الرجال بشرط ان لا تؤذى أحد من الرجال
بظهور زينة ولا يربح طيب كفى الصحيح عن عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله رواه

البخارى ومسلم ولا جدواي داود ويوتن خيراهن وفي رواية واخرجن وهن تفلات أي لا يريح لهن وقد ثبت في صحيح مسلم عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهدت احدا كن المسجد فلا تمس طيبا وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجعن متلفعات بروطن ما يعرفن من الغلس وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل وقوله تعالى (١٠١) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر

الله كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع الآية يقول تعالى لا تعلمهم الدنيا وزخارفها وزينتها ولا تدعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم والذين يعملون للذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق ولهذا قال تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة أي يقدمون طاعته ومراعاة محبته على مرادهم ومحبتهم قال هشيم بن سمار حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودى للصلاة المكتوبة تركوا بيعاتهم ونهضوا إلى الصلاة فقال عبد الله بن مسعود هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية وهكذا روى عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه كان في السوق فاقبمت الصلاة

حكيم وعلماء الحكمة على العموم وقيل النبوة وقيل الفقه في الدين والعلم الفهم قاله السدي وقال مجاهد الفقه وقال ابن اسحق العليديته ودين آباءه وقيل كان هذا قبل النبوة وقد تقدم بيان معنى ذلك في البقرة (وكذلك) أي مثل ذلك الجزاء الذي جزى بنام موسى لما استلمت لأمر الله والقت وولدها في البحر وصدق بوعده الله (تجزى المحسنين) على إحسانهم والمراد العموم (ودخل المدينة) أي دخل موسى مدينة مصر الكبرى وقيل مدينة غيرها من مدائن مصر وهي منف من أعمال مصر وقيل أم خنسان أو حابن على رأس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) أي مستخفيا قبل لما عرف موسى ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون وفساد ذلك منه فأخفوه وخافهم فكان لا يدخل المدينة إلا مستخفيا قيل كان دخوله بين العشاء والعمّة قاله ابن عباس وقيل وقت الثالثة أي نصف النهار قاله ابن عباس أيضا وقيل يوم عبد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم قال الضحاك طلب أن يدخل المدينة وقت غفلة أهلها فدخل على حين علم منهم فكان منه ما حكى الله سبحانه بقوله (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يتحصمان ويتنازعا (هذان من شيعته) أي من شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل أي إسرائيل وقيل هو السامري (وهذان من عدوه) أي من المعادين له على دينه وهم قوم فرعون أي قبطي وهو طباطخ فرعون واسمه فارتين أو فليثون وكان كائنا اتفاقا وأما الاسرائيلي فقيل كان مؤمنا وقيل كان كافرا (فاستغفاه الذي من شيعته) أي طلب منه الاسرائيلي أن ينصره ويعينه على خصمه والاستغفاه طلب الغوث (على الذي من عدوه) أي القبطي فانعاه لأن نصر المظلوم واجب في جميع الملل قيل أراد القبطي أن يسخر الاسرائيلي ليعمل خطبا لمطبخ فرعون فأبى عليه واستغاث موسى (فوكزه موسى) الوكز الضرب والدفع بجميع الكف وهكذا الكز واللهمز وقيل الكز على اللبى والوكز على التلب وقيل الكز باطراف الاصابع والوكز بجميع الكف وقيل بالعكس والنكز كاللهمز وقيل ضرب به عصاه وقرأ ابن مسعود فلكزه وحكى الثعلبي أن في مصحف عثمان فنهكزه بالنون قال الاصمعي نكزه بالنون ضربه ودفعه قال الجوهري الكز الضرب على الصدر وقال أبو يزيد في جميع الجسد يعني أنه يقال له لكز واللهمز الضرب بجميع اليدين في الصدر ومثله عن أبي عبيدة (ففضى عليه) الضمير

فاعلقوا حوائثهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر الصنعاني حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم حدثنا عبد الله بن بجير حدثنا أبو عبد رب قال قال أبو الدرداء رضي الله عنه أتى قت على هذا الدرج أبياع عليه أربع كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد أما أني لأقول أن ذلك ليس بجلال ولكني أحب أن أكون من الذين قال الله فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال عمرو بن دينار لا أعور كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نزيد المسجد فررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخروا

مناعمهم فنظر سالم الى امتعتهم ليس معها احد فقتل سالم هذه الآية رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم قال هم هؤلاء وكذا قال سعيد بن أبي الحسن والضحاك لا تلهمهم التجارة والبيع ان يأتوا الصلاة في وقتها وقال مطر الوراق كانوا يبعون ويشترون ولكن كان أحدهم اذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل الى الصلاة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس وقال السدي عن الصلاة في جماعة وقال مقاتل بن حيان لا يلهمهم ذلك عن حضور (١٠٢) الصلاة وان يقوموا كما أمرهم الله وان يحافظوا على مواقيتها

المرفوع لله أولو كزأ ولموسى وهو الظاهر أى قتله وكل شئ أتيت عليه وفرغت منه فقد قضيت عليه قيل لم يقصد موسى قتل القبطى وانما قصد دفعه فأتى ذلك على نفسه خطأ فندم ودفنه في الرمل والوكزة لا تقتل غالباً وانما وافقت أجله ولهذا (قال هذا من عمل الشيطان) وانما قال بهذا القول مع ان المقتول كافر حقيقى بالقتل لانه لم يكن اذذاك مأموراً بقتل الكفار وقيل ان تلك الحالة طالة كفت عن القتال لكونه مأموراً عندهم فلم يكن له ان يغتالهم فكبر ذلك على موسى وقيل ان الإشارة بقوله هذا الى عمل المقتول لكونه كافر محالفا لما يريد الله وقيل انه إشارة الى المقتول نفسه يعنى انه من جنس الشيطان وحزبه ثم وصف الشيطان بقوله (انه عدو مضل مبين) أى عدو للانسان يسبى في اضلاله ظاهر العداوة والاضلال ثم طلب من الله سبحانه ان يغفر له ما وقع منه (قال رب انى ظلمت نفسى) بقتل القبطى من غير أمر (فاغفر لى فغفر) الله (له) ذلك وعلم انه غفر له بالهام أو بغيره ولا يلزم من هذا نبوته في هذا الوقت (انه هو الغفور) بأقواله الزلل (الرحيم) بأزالة الخلل المتصف بهم فى الابد والازل ووجه استغفاره انه لم يكن لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقيل انه طلب المغفرة من تركه لا لاولى كما هو سنة المرسلين أو أراد انى ظلمت نفسى بقتل هذا الكافر لان فرعون لو يعرف ذلك لقتلنى به وقيل معنى فاغفر لى استرد ذلك على لا يطلع عليه فرعون وهذا خلاف الظاهر فان موسى عليه السلام مازال نادى على ذلك خاتماً من العقوبة بسببه حتى انه يوم القيامة عند طلب الناس الشفاعة منه يقول انى قتلت نفساً أو امرى بقتلها كما ثبت ذلك فى حديث الشفاعة الصحيح وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وقيل بل كان قبل بلوغه سن التكليف وانه كان اذ ذلك فى اثنى عشر سنة وكل هذه التأويلات البعيدة محافظة على ما تقر من عصمة الانبياء ولا شك انهم معصومون عن الكبائر والقتل الواقع منه لم يكن عن عمد فليس بكبيرة لان الوكزة فى الغالب لا تقتل وقيل بل كان من قبيل دفع الصائل وهو لا اثم فيه وأشار له القرطبي بقوله وانما أعاتاه لان نصر المظلوم دين فى الملل كلها وفرض فى جميع الشرائع وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب فهو من باب حسنات الابراشيات المقربين ثم لما أجاب الله سؤاله وغفر له ما طلب منه مغفرته (قال رب بما أنعمت على) الباء اللقمة وما موصولة أو مصدرية أى أقم

وما استحققتهم الله فيها وقوله تعالى يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار أى يوم القيامة الذى تتقلب فيه القلوب والابصار أى من شدة الفزع وعظمة الأهوال كقوله وانذرهم يوم الآزفة الآية وقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً انما نطعمكم لوجه الله لانه لا يريد منكم جزاء ولا شكوراً انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قاطرياً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم عاصبراً وجزاءهم حسرة وحسرة وقوله تعالى ههنا ليجزيهم الله أحسن ما عملوا أى هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله ويريدهم من فضله أى يتقبل منهم الحسنات ويضاعف لهم كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية وقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها الآية وقال من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً الآية وقال والله يضاعف لمن يشاء وقال ههنا والله يرزق من يشاء بغير حساب وعن ابن

مسعود انه سبى بلين فعرضه على جلسائه واحداً واحداً فكلهم لم يشربه لانه كان صائماً فتناوله ابن مسعود فشر به بانعامك لانه كان مضطرباً ثم تلا قوله يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار واه النسائي وابن أبي حاتم من حديث الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عنه وقال أيضاً حدثنا ابى حدثنا سويد بن شعبة حدثنا على بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ليقم الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم

يحاسب سائر الخلاق وروى الطبراني من حديث ببيعة عن اسمعيل بن عبد الله الكندي عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ليوفيهم اجرهم ويزيدهم من فضله قال اجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا (والذين كفروا اعمالهم كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نورا فلا نور) هذان مثلان

(١٠٣)

ضربهم ما الله تعالى لنوع الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين نارياً ومائياً كما ضرب لما يقرب في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائياً ونارياً وقد تكلمت على كل منهما في موضعه بما اغنى عن اعادته ولله الحمد والمنة فاما الاول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة الى كفرهم الذين يحسبون انهم على شئ من الاعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الامر على شئ مثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الارض عن بعد كما أنه بحر طام والقيعة جمع قاع بحر وجيرة والقاع أيضاً واحدة القيعان كما يقال جار وجيران وهي الارض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب وانما يكون ذلك بعد نصف النهار واما الاول فانما يكون أول النهار ويرى كأنه ماء بين السماء والارض فاذا رأى السراب من هو محتاج الى الماء قصده يحسبه ماء يشرب منه فلما انتهى اليه لم يجده شيئاً فكذلك الكافر يحسب انه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً فاذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليه ونوقش

بانعامك على بالمغفرة لا تو بن قاله الزمخشري والمهدوي والماوردي وقيل المراد بما أنعم به عليه هو ما أنعم الله به من العلم والمعرفة والتوحيد قاله القرطبي وقال الثعلبي أي بالمغفرة فلم تعاقبني وجملة (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) كالتفسير للجواب وكأنه أقسم بما أنعم الله عليه أن لا يظهر محرماً ويجوز أن تكون الباء هي باء السببية متعلقة بمحذوف أي اعصمني بسبب ما أنعمت به عليّ ويكون قوله فلن أكون ظهيرا متباعدة ويكون في ذلك استعطاف لله تعالى وتوصل الى انعامه بانه ما هو وأراد بظاهرة المجرمين اما محبة فرعون والانتظام في جلته في ظاهر الامر ومظاهرة له على ما فيه اثم أو تكبير سواده قال الكسائي والفراء ليس قوله هذا خبر بل هو دعاء أي فلا تجعلني يارب ظهيرا لهم وبها قرأ عبد الله وقال الفراء المعنى اللهم فلن أكون الخ وقال النحاس ان جعله من باب الخبر أو في وأشبهه بنسب الكلام وفيه دليل على ان الاسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا وقيل أراد اني وان أسأت في هذا القتل الذي لم أمر به فلا أترك نصرته المسلمين على المجرمين فعلى هذا كان الاسرائيلي مؤمنا ونصرة المؤمنين واجبة في جميع الاديان وقيل لم يستثن فابتلى في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين كما قال الله تعالى (فاصبح في المدينة) أي دخل في وقت الصباح في المدينة التي قتل فيها القبطي (خافنا يترقب) المكروه أومتي يؤخذ به أو يترقب الفرج أو والخبر هل وصل الى فرعون أم لا قال النسفي وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله سبحانه زاد القرطبي وان الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه (فاذا الذي استنصره) اذا هي الفجائية أي فاذا صاحبه الاسرائيلي الذي استغاثه (بالامس) يقابل قبطيا آخر اراد ان يسخره ويظلمه كما اراد القبطي الذي قد قتله موسى بالامس (يستصرخه) أي يستغيث به والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك ان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث (قال له) أي للاسرائيلي (موسى) واليه ذهب الخازن والحلي وأللقبطي واليه ذهب القرطبي (انك لغوي ميين) أي بين الغواية وذلك انك تقابل من لا تقدر على مقابله ولا تطيقه وقيل انما قال له هذه المقالة لانه تسبب بالامس لقتل رجل ويريد اليوم ان يتسبب لقتل آخر (فلما ان اراد) موسى (ان ييطش بالذي) أي بالقبطي الذي (هو عدو لهما) أي لموسى وللأسرائيلي

على أفعاله لم يجده شيئاً بالكلية قد قبل ما لعمري من الاصلاح والعدم سلوك الشرع كما قال تعالى وقد مننا الى ما علمنا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال ههنا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب وهكذا روى عن أبي بن كعب وابن عباس ومجاهد وقدادة وغير واحد وفي الصحيحين انه يقال يوم القيامة لليوم ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ما ذابنغون فيقولون يارب عطشنا فاسقنا فيقال ألاتردون فتمثل لهم النار كأنهم اسراب يحطم بعضها بعضا فينطلقون فيتم افنون فيها وهذا المثال مثل لذوي الجهل المركب فاما اصحاب الجهل البسيط وهم الظماطم الاعشام المقلدون لا تمة الكفر

الصم اليكم الذين لا يعقلون فتلهم كما قال تعالى أو كظلمات في بحر لجي قال قتادة لجي هو العميق يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب قال معهم قيل فإلى أين يذهبون قال لأدرى وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يغشاه موج الآية يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى (١٠٤) سمعهم وعلى ابصارهم الآية وكقوله أفرأيت من اتخذ الهه

هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة الآية وقال أبي بن كعب في قوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض فهو يتقلب في خمسة من الظلم فكلامة ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجها ظلمة ومصيره يوم القيامة الى الظلمات الى النار وقال السدي والريبع بن أنس نحو ذلك أيضا وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نورا أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بترك قوله من يضل الله فلا هادي له وهذا في

حيث لم يكن على دينهما (قال) الاسرائيلي (ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالامس) قال ذلك لما سمع موسى يقول له انك لغوى مبين وراه يريد ان يبطش بالقبطي ظن انه يريد ان يبطش به فلما سمع القبطي ذلك أفشاه ولم يكن قد علم أحد من أصحاب فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي بالامس حتى أفشى عليه الاسرائيلي هكذا قال جمهور المفسرين وقيل ان القاتل هو القبطي وكان قد بلغه الخبر من جهة الاسرائيلي وهذا هو الظاهر وقد سبق ذكر القبطي قبل هذا بلا فصل لانه هو المراد بقوله عدو لهيما ولا موجب لمخالفة الظاهر حتى يلزم منه ان المؤمن بموسى المستغيث به المرة الاولى والمرة الاخرى هو الذي أفشى عليه وأيضاً قوله (ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) لا يليق صدور مثل الامن كقروان هي النافية أي ما تريد قال الزجاج الجبار في اللغة الذي يتعاطم ولا يتواضع لامر الله والقاتل بغير حق جبار وقيل الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقال عكرمة لا يكون الرجل جبارا حتى يقتل نفسين وهو بعيد ولا دلالة في الآية على ذلك والراجح هو الاول الموافق باللغة (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع الخصام التي هي أحسن (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) قيل المراد بهذا الرجل حرقيل وهو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم موسى وقيل اسمه شمعون وقيل طالوت وقيل سمعان والمراد بأقصى المدينة آخرها وأبعدها والمعنى يسرع في مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى وأخبره وأذره بما سمع (قال ياموسى ان الملا) أي أشرف قوم فرعون (يأترون بك ليقتلوك) أي يتشاورون في قتلك ويتآمرون بسبكك وانما سمى التشاورا تارة لان كلام المتشاورين يأمر الآخر ويأمر به قال الزجاج يأمر بعضهم بعضا بقتلك وهذا أقرب باللفظ والمعنى قاله الحفصاوى وقال أبو عبيدة تشاورون فيك قال الأزهرى اتهم القوم وتآمروا أي أجمع بعضهم بعضا ونظيره قوله تعالى واتمروا بينكم بمعروف (فأخرج) من المدينة (الى الك من الناصحين) في الامر بالخروج واللام للبيان لان معمول الجور ولا يتقدم عليه (فخرج) موسى (منها) أي من المدينة (حائفا يترقب) أي حال كونه خائفا من الظالمين مترقبا لحوقهم به وادراكهم له أو راجيا غوث الله اياه قولان للمفسرين وعن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينه وبينها عمان ليل ولم يكن له

تسبيله السموات السبع والارض ومن فيهن الآية

طعام

وقوله تعالى والطير صافات أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبد به بتسبيح الهمها وأرشد هاليه وهو يعلم ماهي فاعلة ولهذا قال تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أي كل قد أرشده الى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل ثم أخبر انه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ولهذا قال تعالى والله علم بما يفعلون ثم أخبر تعالى ان له ملك السموات والارض فهو الخالق المتصرف الاله المعبود الذي لا تنبغي العبادة الا له ولا معقب لحكمه والى الله المصير أي يوم القيامة فيحكمكم فيه بما يشاء ليجزي الذين

أسأوا بما عملوا الآية فهو الخالق المالك الإله الحكيم في الدنيا والآخرة (ألم تر أن الله يري ما يبأبأ ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالابصار يقاب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار) يذ كر تعالى انه يسوق السحاب بقدرته اول ما ينشأ وهي ضعيفة وهو الازجاء ثم يولأ بينه أى يجتمع به بعدد تفرقه ثم يجعله ركاما أى مترا كما أى يركب بعضه بعضا فترى الودق أى المطر يخرج من خلاله أى من خلاله وكذا قرأها ابن عباس (١٠٥) والضحك قال عبيد بن عمير النبي يبعث الله

المثيرة فتقم الارض قسا ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ثم يبعث الله المولفة فتولأ بينه ثم يبعث الله اللوايح فتلقح السحاب رواه ابن ابي حاتم وابن جرير رحمهما الله وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قال بعض النحاة من الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبويض والثالثة لبيان الجنس وهذا انما يجي على قول من ذهب من المفسرين الى ان قوله من جبال فيها من برد معناه ان في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد وأما من جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب فان من الثانية عند هذا الابتداء الغاية أيضا لكنها بدل من الاولى والله أعلم وقوله تعالى فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يحتمل بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد فيكون قوله فيصيب به من يشاء رجة بهم ويصرفه عن من يشاء أى يؤخر عنهم الغيث ويحتمل ان يكون المراد بقوله فيصيب به أى بالبرد نعمة على من يشاء لما فيه من نثر غارهم واتلاف زروعهم وأشجارهم

طعام الاورق الشجر وخرج حافيا فاصول اليها حتى وقع خنق قدمه وعنه قال خرج موسى خائفا جاعا ليس معه زاد حتى انتهى الى ماء مدين وهو اول ابتداء من الله تعالى لموسى ثم عاربهان بنجيه من خافه و (قال رب انجني من القوم الظالمين) قوم فرعون أى خلصني منهم وادفعهم عنى وحل بينى وبينهم واحتفظنى من لحوقهم (ولما توجه) أى قصد بوجهه (تلقاه مدين) أى شعوا ووجهتها قاصدا لها ماضيا اليها قال الزجاج أى سلك فى الطريق التى تلقاه مدين فيها انتهى والتوجه الاقبال على الشئ ومدين قرية شعيب يقال داره تلقاه دار فلان وأصله من اللقاء ولم تكن هذه القرية داخله تحت سلطان فرعون وله هذا خرج اليها ولكن لم يكن يعرف طريقها (قال عيسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أى يرشدني نحو الطريق المستوية الى مدين وهو من اضافة الصفة للموصوف وكان لها ثلاث طرق فاخذ موسى الوسطى وجاء الطلاب فى أثره فساروا فى الاخرين ذكره أبو السعود (ولما ورد ماء مدين) أى وصل اليه وهو الماء الذى يستقون منه والمراد بالماء ههنا بئر فيها صرح به الخازن والمحلى فهو من باب ذكر الحال وارادة المحل وللفظ الورود قد يطلق على الدخول فى المورد وقد يطلق على البلوغ اليه وان لم يدخل فيه وهو المراد ههنا وقد تقدم تحقيق معنى الورود فى قوله وان منكم الاواردها وقيل مدين اسم للقبيلة للقرية وهي غير منصرفه على كلال التقديرين (وجد عليه أمة) أى وجد على الماء جماعة كثيرة لان التنكير للتكثير (من الناس) أى من أناس مختلفين (يسقون) مواشيمهم (ووجد من دونهم) أى من دون الناس الذين يسقون ما بينهم وبين الجهة التى جاء منها وقيل معناه فى موضع أسفل منهم قاله أبو السعود وفى الخازن فى موضع بعيد منهم (أمر أن ينذودان) أى تحبسان أغنماهما من الماء حتى يفرغ الناس ويخلوا بينهما وبين الماء وبه قال ابن عباس وورد الذود به عنى الطرد أى نطردان وقيل تكفان الغنم عن ان تختلط بأغنما الناس وقيل تمنعان اغنماهما عن ان تندو وتذهب والاول أولى اقوله (قال) موسى للمرايين (ما خطبكم) أى ما شأنكم لاتسقيان غنمكم مع الناس والخطب الشأن قبل وانما يقال ما خطبكم لمصاب أو لضطهد (أ) أولن يأتي بذكر (قالتا) عادتنا التأتى (لاتسقى حتى يصدر الرعاء) عن الماء ويصرفوا منه حذرا من مخالطتهم أو عجزا عن السقى معهم قرئ نسقى بنسخ التون وبضمها من أسقى وقرئ يصدر من أصدر ومن صدر

(١٤ - فتح البيان سابع) ويصرفه عن من يشاء رجة بهم وقوله يكاد سنابرقه يذهب بالابصار أى يكاد ضوء برقه من شدة يخطف الابصار اذا سمعته وتراءته وقوله تعالى يقرب الله الليل والنهار أى يتصرف فيهما فياخذ من طول هذا فى قصر هذا حتى يعتدلا ثم ياخذ من هذا فى هذا فيطول الذى كان قصيرا ويقصر الذى كان طويلا والله هو المتصرف فى ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار أى لدليله على عظمته تعالى كما قال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الابصار وما بعد هامن الآيات الكريمة (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى

على رجلين ومنهم من يشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) يذكّر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع الخلق على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ما واحد فغنتهم من يشي على بطنه كالحية وما شاكلها ومنهم من يشي على رجلين كالإنسان والطيور ومنهم من يشي على أربع كالإنعام والحيوانات ولهذا قال يخلق الله ما يشاء أي بقدرته لانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا قال ان الله على كل شيء قدير (لقد أنزلنا آيات مبینات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يقرر تعالى انه أنزل في هذا القرآن من

(١٠٦)

تفهّمها وتعقلها أولى الالباب والبصائر والنهي ولهذا قال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقّه فأولئك هم الفائزون) يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرن خلاف ما يطنون يقولون قولا بالسننهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون ما لا يفعلون ولهذا قال تعالى وما أولئك بالمؤمنين وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء عن أبي ميمونة عن أبيه عن الحسن

يصدر لازما أي يرجعون مواشيتهم والرعاء جمع راع على غير قياس لان فاعلا الوصف المعتل اللام كقاص قياسه فعلة نحو قضاة ورماة خلا للزخم شري في أن جمعه على فعال قياس كصيام وقيام فإله الكرخي قرأ الجمهور الرعاء بكسر الراء وقرئ بفتحها قال أبو الفضل هو مصدر اقيم مقام الصفة فلذلك استوى فيه الواحد والجمع وقرئ الرعاء بالضم اسم جمع (وأبو ناشيت كبير) على السن وهذا من تمام كلامهما ابداء منهما للعدز في مباشرة السقي بأنفسهما أي لا يقدران يسقي ماشيته من الكبر فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان مستورتان لا تقدر على مزاجاة الرجال وعلى ان نسقي الغنم لعدم وجود رجل يقوم لنا بذلك قيل أبوهما هو شعيب وقيل هو ثيرون بن أخي شعيب وقيل هو رجل من آمن بشعيب والاولى وأولى وانما رضى شعيب لابنتيه بسقي الماشية لان هذا الامر في نفسه ليس يعظور والدين لا ياباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصا اذا كانت الحالة حالة الضرورة فلما سمع موسى كلامهما رقا لهما ورجعهما (فسقي لهما) أي سقي أعنماهما لاجلهم رغبة في المعروف واغائه للملهوف قال المحلى سقي من بئر أخرى لقربها رفع حجر اعن الا يرفعه الا عشرة أنفس انتهى (ثم) لما فرغ من السقي لهما (تولى الى الظل) أي انصرف اليه بجلس فيه من شدة الحر وهو جاثع قيل كان هذا الظل ظل سمرة هنالك وهي شجرة من شجر الطلح وفيه دليل على جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتكشفة (فقال) أي ثم قال لما أصابه من الجهد والتعب مناديا ليه (رب اني لما أنزلت الي من خير) أي خير كان (فقير) أي محتاج الى ذلك واللام بمعنى الى قال الاخفش يقال هو فقير له واليه قال ابن عباس لقد قال موسى رب الخوهوا كرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شئ تمر ولقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع وعنه قال ما سأل الا الطعام وعنه قال سألت فلان من الخبز يشدها صلبه من الجوع ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضاء بالبدل السنن وفرحا بالعود الهني وشكر الله الغني وقال ابن عطاء نظرن من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار (بخاءه احداهما) في الكلام حذف يدل عليه السياق قال الزجاج تقديره فذهبنا الى

أيهما

عن سمرة مرفوعا من دعوى الى سلطان فلم يجب فهو ظالم لاحقه وقوله تعالى واذا

دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم الآية أي اذا طلبوا الى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه وهذه كقوله تعالى ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الى قوله رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وقوله تعالى وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أي واذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاؤا سامعين مطيعين وهو معنى قوله مذعنين واذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعوا الى غير الحق وأحب ان يتحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم

ليروج باطله ثم فاذعانه أولالم يكن عن اعتقاد منسه ان ذلك هو الحق بل لانه موافق لهواه ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه الى غيره ولهذا قال تعالى في قلوبهم مرض الآية يعني لا يخرج أمرهم عن ان يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين أو يخافون ان يجور الله ورسوله عليهم في الحكم وأيا ما كان فهو كفر محض والله عليم بكل منهم وما هو منطوق عليه من هذه الصفات وقوله تعالى بل أولئك هم الظالمون أي بل هم الظالمون الفاجرون والله ورسوله مبرآن مما يبظنون ويتوهمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا

(١٠٧)

أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا

مبارك حدثنا الحسن قال كان الرجل اذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعى الى النبي صلى الله عليه وسلم علم انه سيقضى له بالحق واذا اراد ان يظلم فدعى الى النبي صلى الله عليه وسلم أعرض وقال أنطلق الى فلان فأنزله الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان بينه وبين أخيه شيء فدعى الى حكم من أحكام المسلمين فأبى ان يجيب فهو ظالم لاحق له وهذا حديث غريب وهو مرسل ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستحيين لله ورسوله الذين لا يغيون ديناسوى كتاب الله وسنة رسوله فقال تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا أي سمعنا وطاعة ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب فقال تعالى وأولئك هم المفلحون وقال قتادة في هذه الآية ان يقولوا سمعنا وأطعنا ذكرنا ان عبادة بن الصامت وكان عقبا يدريا أحد نقباء الانصار

أبيهما سريعتين وكانت عادتهما الابطاء في السقي فحدثنا بما كان من الرجل الذي سقى لهما قامر الكبرى من بنتيه وهي صفورا وقيل صفراء وقيل أمر الصغرى وهي لباقيل صفراء ان تدعوه لبقاءه وذهب أثير المفسرين الى انها بنتا شعيب وقيل هما بنتا أخى شعيب وان شعيبا كان قد مات والأول أرجح وهو ظاهر القرآن (تمنى) كائنه (على استحياء) حاله المشى والمجى لا عند المجى فقط وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم أي يجيبها أم لا فأتته مستحية قال عمر بن الخطاب جاءت مستترة بكم درعها على وجهها من الحياء والحياء والاستحياء بالمداخلة والانتباض والازواء ويتعدى بنفسه وبالطرف يقال استحيته واستحييت منه (قالت ان أبى يدعوك) مستأنفة جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا قالت له لما جاءته فقيل قالت الخ (ليجزيك أجر ما سقت لنا) أي جزاء سقيك لنا فاجابها منكرها في نفسه أخذ الاجرة وقيل اجاب لوجه الله وأللتبرك برؤية الشيخ لما سمع منهما ان أباهما شيخ كبير (فلما جاءه) أي جاء موسى شعيبا عن أبي حازم قال لما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء فقال له شعيب كل قال موسى أعوذ بالله قال ولم ألت بجائع قال بلى ولكن أخاف ان يكون هذا عوضا عما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا يبيع شيئا من عمل الآخرة بل الأرض ذهباً قال لا والله ولكنها عادتى وعادة أبائى تقرى الضيف ونظم الطعام فجلس موسى فأكل (وقص عليه القصص) مصدر يسمى به المفعول أى المقصود معنى أخبره بجميع ما اتفق له من عند قوله القبطى الى عند وصوله الى مامدين وعن مالك بن أنس انه بلغه ان شعيبا هو الذى قص عليه القصص (قال) شعيب (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) أي فرعون وأصحابه لان فرعون لاسطان له على مدين وفيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد ولو عبداً وأخى وعلى المشى مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وللرازي فى هذا الموضوع اشكالات باردة جدا لا تستحق ان تذكر فى تفسير كلام الله عزوجل والجواب عليها يظهر للمقصر فضلا عن الكامل وأشف ما جاء به ان موسى كيف أجاب الدعوة المعلمة بالجزء لما فعله من السقى ويجاب عنه بانه اتبع سنة الله فى اجابة دعوة نبي من أنبياء الله ولم تكن تلك الاجابة لاجل اخذ الاجر على هذا العمل ولهذا ورد انما قدم اليه الطعام قال اننا أهل بيت لا يبيع دينا بعل الأرض ذهباً كما مر وفى الكشاف ان

انه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية ألا أتيتك بماذا عليك وبماذا لك قال بلى قال فان عليك السمع والطاعة فى عسرك وبسرك ومنشطك ومكركهك وأثرة عليك وعليك ان تقيم لسانك بالعدل وان لا تنازع الامر أهله الا ان يأمر ولو بمعصية الله وباحلاف امرت به من شئ يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله وقال قتادة ذكرنا ان أبا الدرداء قال لاسلام الا بطاعة الله ولا خير الا فى جماعة والنصيحة لله ورسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة قال وذكرنا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول عروة الاسلام شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة والطاعة لمن ولاة الله أمر المسلمين رواه ابن أبي حاتم والاحاديث والآثار

في وجوب الطاعة لكاتب الله وسنة رسوله ولتخلفاء الراشدين والائمة اذا امر واطاعة الله أكثر من أن يحصر في هذا المكان وقوله ومن يطع الله ورسوله قال قتادة يطع الله ورسوله فيما أمر به وترك ما نهى عنه ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقوه فيما يستقبل وقوله فأولئك هم الفائزون يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شرف الدنيا والآخرة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن أولوا فانما عليه ما حل وعليكم ما حلت وإن تطيعوه (١٠٨) تهتموا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) يقول تعالى مخبراً عن

أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول صلى الله عليه وسلم لئن أمرتهم بالخروج في الغزوي ليجرجن قال الله تعالى قل لا تقسموا أي لا تحلفوا أو قوله طاعة معروفة قيل معناه طاعتكم طاعة معروفة أي قد علم طاعتكم انما هي قول لا فعل معه وكلما حلفتم كذبتكم كما قال تعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم الآية وقال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة الآية فهم من سجيتهم الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى ألم ترالى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لسكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون وقيل المعنى في قوله طاعة معروفة أي يكن أمرهم طاعة معروفة أي بالمعروف من غير حلف ولا اقسام كما يطاع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف فكونوا مثلهم ان الله خبير بما تعملون أي هو خبير بكم وعن

طلب الاجرة لشدة الفاقة غير منكر ويشهد لصحته لو شئت لاتخذت عليه أجرا (قالت احدهما) وهي التي جاءت به (بأب استأجره) ليرعى لنا الغنم وفيه دليل على ان الاجارة كانت عندهم مشروعة وقد اتفق على جوازها ومشروعيتها جميع علماء الاسلام الا الاصم فانه عن سماع أدلتها أصم (ان خير من استأجرت القوي الأمين) تعليل لما وقع منها من الارشاد لا يبيها الى استئجار موسى أي انه حقيق باستئجارك له لكونه جامعاً بين خصلتي القوة والامانة ولم يقل تستأجر مع انه الظاهر لانه جعله لتحققه وتجربته منزلة منزلة ما مضى وعرف قبل وقد روى عن ابن عباس وعمران أباهما سؤالها عن وصفها بالقوة والامانة فأجابته أما قوته فرفعه الجرجول لا يطبقه الا عشرة رجال وأما أماته فقال امشى خلفي وانعنى لي الطريق فاني أكره ان تصيب الريح ثيابك فتصلى جسدك فزاد ذلك رغبة فيه وعن ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وأبو بكر في أمر عمر (قال انى أريد ان أنكحك احدى بنتي هاتين) الكبرى أو الصغرى وفيه مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل وهذه سنة ثابتة في الاسلام كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة على ابي بكر وعثمان والقصة معروفة وغير ذلك مما وقع في أيام الصحابة وأيام النبوة وكذلك ما وقع من عرض المرأة لنفسها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه تزوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي ذهبت في طلب موسى وهاتين يدل على انه كان له غيرهما وقد قال البقاعي ان له سبع بنات كافي التوراة وهذه مواعدهم منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقد القال قد أنكحتك (على ان تأجرني ثمانى حجج) جمع حجة وهي السنة قال الفراء يقول على ان تجعل ثوابي ان ترعى غنمى ثمانى سنين قال المبردي قال أجرت دارى وعملى كى غير مدود ومدودا والاول أكثر والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان ائمت) ما استأجرتك عليه من الرعى (عشرا) من السنين (فن عندك) أي تفضلا من ثمر عالا الزامانى لك وليس بواجب عليك جعل ما زاد على الثمانية الاعوام الى تمام عشرة أعوام موكولا الى المروية أي فهمى من عندك والظاهر انه استدعاء عقد بالاجل الاول نظر الى شرعنا ويمكن كونه عقدا صححيا عندهم قاله الكرخي (وما أريد ان أشق عليك) بلزامك اتمام العشرة

يطيع ممن يعصى فالحلف واطهار الطاعة والباطن بخلافه وان راج على المخلوق فان الخالق تعالى يعلم السر وأخفى الاعوام لا يروج عليه شئ من التدليس بل هو خبير بضمائر عباده وان أظهر واخلفها ثم قال تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وقوله تعالى فان تولوا أي تولوا عنه وتبركوا ما جاءكم به فانما عليه ما حل أى ابلاغ الرسالة وأداء الامانة وعليكم ما حلت أى من قبول ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه وان تطيعوه تهتموا وذلك بان يدعوا الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الآية وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين كقوله تعالى فانما عليك

البلاغ وعلينا الحساب وقوله فذ كر انما أنت مذ كر لست عليهم عسيطر قال وهب بن منبه أوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل
يقال له شعباء أن قم في بني اسرائيل فاني سأطلق لسانك بوحى فقام فقال باسمه اسمعى ويا أرض انصتى فان الله يريد ان يقضى شأننا
ويدبر أمرنا هو منفذنا انه يريد ان يحول الريف الى الفلاة والأتاجام في الغيطان والانهار في الصحارى والنقمة في النقرء والملك في
الرعاة ويريد ان يعث أميا من الاميين ليس بفظ ولا غليظ ولا سحاب في الاسواق لوي على السراج لم يطفئه من سكينته ولو عشى
على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه (١) أبعنه بشيرا ونديرا (١٠٩) لا يقول الخنا يفتح به اعينا عميا واذ اناصها

وقلو باغلقا واسدده بكل أمر جميل
وأهب له كل خلق كريم وأجعل
السكينة لباسه والبرشعارة
والتقوى ضميره والحكمة منطقته
والصدق والوفاء طبيعته والعفو
والمعروف خلقه والحق شريعته
والعدل سيرته والهدى امامه
والاسلام ملته وأجدا سمه أهدي
به بعد الضلالة وأعلم به من الجهالة
وأرفع به بعد الخجلة وأعرف به
النكرة وأكثر به بعد القلة
واعتنى به بعد العيلة وأجمع به بعد
الفرقة وأولف به بين أمم متفرقة
وقلوب مختلفة وأهوا متشتتة
واستنقذه فثما من الناس عظيما
من الهلكة وأجعل أمته خيرا مة
أخرجت للناس يأمر ون بالمعروف
وينهون عن المنكر موحدين
مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت
به الرسل رواه ابن أبي حاتم (وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم انما
يعبدونى لا يشركون بى شيئا ومن

الاعوام ولا بالمناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق
اى شق ظنه نصفين فنارة يقول اطبق وتارة يقول لا اطبق ثم رغبه في قبول الاجارة فقال
(ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) في حسن الصحبة ولطف المعاملة ولين الجانب والوفاء
بالعهد وقيل أراد الصلاح على العموم فيدخل صلاح المعاملة في تلك الاجارة تحت
الآية دخولاً أوليا وقيد ذلك بالمشيئة توفيق الله ومعونه وللتبرك به
لا تعلق صلاحه بمشيئته تعالى ثم لما فرغ شعيب من كلامه قرره موسى و(قال ذلك بيني
وبينك) والاشارة الى ما تعاقدا عليه (أيما الاجلين قضيت) شرطية وجوابها (فلا عدوان
على) والمراد بالاجلين الثمانية الاعوام والعشرة الاعوام ومعنى قضيت وفيت به وأتمته
وفرغت منه والاجلين مخفوض باضافة أى اليه وما زائدة أو ما مخفوضه باضافة أى اليها
والاجلين بدل منها وقرأ ابن مسعود أى الاجلين ما قضيت والمعنى لا ظلم على بطلب الزيادة
على ما قضيت من الاجلين اى كالأطاب بالزيادة على الثمانية الاعوام لأطاب بالنقصان
عن العشرة وقيل المعنى كالأطاب بالزيادة على العشرة الاعوام لأطاب بالزيادة على
الثمانية الاعوام وهذا أظهر واصل العدوان تجاوز الحد في غير ما يجب قال المبرد وقد علم
موسى انه لا عدوان عليه في أتمهما ولكنه جمعهما ليجمع الاقل كالاتم في الوفاء وقرئ
عدوان بضم العين وبكسر ها (والله على ما نقول) من هذه الشروط الجارية بيننا (وكيل)
اى شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحدنا الى الخروج عن شئ من ذلك قيل هو من قول موسى
وقيل من قول شعيب والاول أولى لوقوعه في جملة كلام موسى وتم العقد بذلك ولعل هذا
كان في شرعهما والافهذه الصيغة لا تنكفي عندنا في عقد النكاح لان الواقع من شعيب
وعد بالانكاح والواقع من موسى ليس فيه مادة التزويج ولا الانكاح وايضا الصداق
ليس راجعا للمنكوح بل لا يبا هذا ما جرى عليه الخلق وقال غيره انهما عقدا عقدا
بغير الصورة المذكورة هنا منهما قال ابوالسعود ليس ما حكي عنهما في الآية تمام ما جرى
بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة ويقاعهما ما بل هو بيان لما عزم
عليه وانقاعا على يقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان
مواجب العقد في تلك الشريعة تفصيلا واخرج الطبراني وغيره عن عتبة السلمي
قال كأعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقرأ سورة طسم حتى اذ بلغ قصة موسى

كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بانه سيجعل أمته خلفاء الارض أى
أئمة الناس والولاية عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس امنوا وحكف فيهم وقد فعله تبارك
وتعالى وله الحمد والمنة فانه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن
بكلها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس
وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذى تملك بعد أصحابه رحمة الله وأكرمه ثم سلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختم الله له
(١) قوله أبعنه الخ كذا بالنسخ وحرره اه

ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهى بعدمه ونه صلى الله عليه وسلم وأخذ جزيرة العرب ومهداها وبعث جيوش الاسلام الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها وحبسوا آخر صحبة أبي عبيدة رضى الله عنه ومن اتبعه من الامر الى أرض الشام وثالث صحبة عمرو بن العاص رضى الله عنه الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليقهما من بلاد حران وما والاها وتوقاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة ومن على أهل الاسلام بان ألهم (١١٠) الصديق ان استخلف عمر الفاروق فقام بالامر بعده قيسا ما تامالم

قال ان موسى آجر نفسه ثمانى سنين أو عشر اعلى عفة فرجعه وطعام بطنه فلما وفى الاجل قيل يا رسول الله أى الاجلين قضى موسى قال أبرهما وأوقاهما فلما أراذ فراق شعيب أمر امرأته ان تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشتون به فاعطاها ما ولدت غنمه الحديث بطوله وفيه مسلمة دمشق ضعفه الأئمة (فلما قضى موسى الاجل) الذى هو أكلهما وأوقاهما وهو العشرة الاعوام والفاة فصحة عن ابن عباس انه سئل أى الاجلين قضى موسى قال أكثرهما وأطيها ان رسول الله اذا قال فعل وصحبه الحاكم أقول فى قوله اذا قال رسول الله فعل نظر فان موسى لم يقتل انه سمى أى أكثر الاجلين بل قال أعيى الاجلين قضيت فلا عدوان على وقدرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان موسى قضى اتم الاجلين من طرق اخرج الخطيب فى تاريخه عن ابى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سئلت اى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وان سئلت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا بى استاجرهما وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لى جبريل يا محمد ان سألت اليهود أى الاجلين قضى موسى فقل او فاهما وان سألتك أيهما تزوج فقل الصغرى منهما فروايات انه قضى اتم الاجلين لها طرق بقوى بعضها بعضا (و لما تم الاجل ودنا ايام الرزفة وظهرت انوار النبوة (سار بأهله) زوجته باذن ابيها الى مصر ليشتري كوا معه فى لطائف صنع ربه وقيل سار صلته رجه وزيارة امه واخيه وهذا الولى وفيه دليل على ان الرجل يذهب بأهله حيث شاء (آنس من جانب الطور) اى ابصر من الجهة التى تلى الطور (نارا) وذلك انه كان فى البرية فى ليله مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته التطلق وقد تقدم تفسير هذا فى سورة طه مستوفى قال ابن عباس لما قضى موسى الاجل سار بأهله فضل الطريق وكان فى الشتاء فرفعت له نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله (قال لاهله امكثوا انى آنست نار العلى آتيكم منها بخبير) اى على اجد من يدلنى على الطريق فان لم اجد خيرا آتيكم بشهاب قبس وهو المراد بقوله (او جذوة من النار) وهذا تقدم تفسيره ايضا فى سورة طه وفى سورة النمل وقرى جذوة بكسر الجيم وبضمها وبفتحها وهى لغات فى العود الذى فى رأسه نار هذا هو المشهور وقرى به بعضهم فقال نار من غير لهب وقد ورد ما يقتضى وجود اللهب فيه قال الجوهري الجذوة والجذوة والجذوة بالجرمة والجمع

يدر القلت بعد الانبياء على من له فى قوة سيرته وبكال عدله وتم فى أيامه فتح البلاد الشامية بكها وديار مصر الى آخرها وأكثر اقليم فارس وكسر كسرى وأهان غاية الهوان وتقهقر الى أقصى مملكته وقصر قيصر واتزع يده عن بلاد الشام وانحدر الى القسطنطينية وأنفق أموالها فى سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه من ربه اتم سلام وأزكى صلاة ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى أقصى مشارق الارض ومغاربها افتتحت بلاد المغرب الى أقصى ما هنالك الاندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبته مما يلى البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد مملكة بالكلية وفتحت سدائن العراق وخراسان والاهاوز وقتل المسلمون من التركة مقتله عظيمة جدا وخذل الله ملكهم الاعظم خاقان وحيء بالخراج من المشارق والمغارب الى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك ببركة تلاوته

ودراسته وجعه الامة على حفظ القرآن ولهذا ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله جنى زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتى ما زوى لى منها فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فنسأل الله الايمان به ورسوله والقيام بشكره على الوجه الذى يرضيه عما قال الامام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا ابن أبى عمير حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال امر الناس ما ضيا ما ولهم ثم انا عشر رجلا وتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عنى فساءت أبى ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال قال كلهم من قريش وزواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به وفي رواية لمسلم انه قال ذلك عشية ترجمه معاز
ابن مالك وكرمه احاديث اخر وفي هذا الحديث دلالة على انه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادل وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني
عشر فان كثيرا من اولئك لم يكن لهم من الامر شي فاما هؤلاء فانهم يكونون من قريش يلون فيعدلون وقد وقعت البشارة بهم في
الكتب المتقدمة ثم لا يشترط ان يكونوا متابعين بل يكون وجودهم في الامة مستتابعا ومتفرقا وقد وجد منهم أربعة على الولاة وهم
أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ثم كانت بعدهم فترة (١١١) ثم وجد منهم ماشاء الله ثم قد يوجد منهم من بقي

في الوقت الذي يعلمه الله تعالى ومنهم
المهدي الذي اسمه يطابق اسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته
كنيته علاء الارض عدلا وقسطا
كاملت جورا وظلما وقد روى
الامام أحمد وأبو داود والترمذي
والنسائي من حديث سعيد بن
صهमान عن سفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا
عضوضا وقال الربيع بن أنس
عن أبي العباس في قوله وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم
الذين ارتضى لهم وليبدلنهم من
بعد خو فهم امننا الآية قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
بمسكة نحووا من عشر سنين
يدعون الى الله وحده والى عبادته
وحده لا شريك له سرا وهم خائفون
لا يؤمرن بالقتال حتى أمر وابتعد
بالهجرة الى المدينة فقدموها
فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها
خائفين يمسون في السلاح

جذى وجذى وجذى قال مجاهد ان الجذوة قطعة من الحجر في لغة العرب وقال أبو عبيدة
هي القطعة الغليظة من الخشب كأن في طرفها نار ولم تكن وليس المراد هنا الاما في رأسه
نار قاله السمين (علكم تصطلون) من البرأى تستدفئون بالنار (فلما أتاهما) اي النار
التي ابصرها وقيل اي الشجرة والاولى لعدم الذكر للشجرة (نودي من) لابتداء
الغاية (شاطى الوادى العين) صفة للشاطى والوادى وهو من العين وهو البركة او من جهة
العين المقابل لليسار بالنسبة الى موسى اي الذي يلي يمينه دون يساره وشاطى الوادى
طرفه وحافته وكذا الشط والسيف والساحل كلها بمعنى قال الراغب وجع الشاطى
اشطاء قال ابن عباس كان النداء من السماء الدنيا وظاهر القرآن يخالف ما قاله رضى الله
تعالى عنه (في البقرة) متعلق بنودي او محذوف على انه حال من الشاطى (المباركة)
بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) بدل اشمال من شاطى الوادى لان الشجرة كانت نابتة
على الشاطى وقال الجوهري شاطى الاودية ولا يجمع قرأ الجمهور البقرة بضم الباء وقرئ
بفتحها وهي لغة حكاها ابو زيد عن ابن مسعود قال ذكرت لي الشجرة التي أوى اليها موسى
فسرت اليها يوى ويليتي حتى صحبتها فاذا هي سمرة خضراء ترف فصلت على النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وسلمت فأهوى اليها يعيرى وهو جائع فاخذ منها ملاما فيه فلا كفتم يستطع
أن يسبغه فلنظفه فصايت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسبت ثم انصرفت أخرج عبد
ابن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وقيل الشجرة العناب أو العوجيج وقيل
كانت من العليق (ان يا موسى انى أنا الله رب العالمين) ان هي المفسرة وهي الخنفة من
الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة النداء مفسرة له والاولى قرئ انى بكسر الهمزة
على اضم القول أو على تضمين النداء معناه والفتح قراءة ضعيفة قال جعفر أبصر ناراً
دلته على الانوار لانه رأى النور في هيئة النار فلما نادى انما شتمته انوار القدس واحاطت
به جلايب الانس فحوط بالطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك
مكاشفاً يفاً عطى ماسأل وأمن مما خاف قيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة
الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله فعلم بذلك ان المتكلم
هو الله تعالى وقيل ان الله خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بان المتكلم هو الله وان ذلك
الكلام كلام الله وذهب جماعة من المتكلمين منهم الغزالي الى انه سمع كلامه الا لى

ويصحبون في السلاح فغيره وبذلك ماشاء الله ثم ان رجلا من أصحابه قال يا رسول الله أباذر نحن خائفون هكذا ما يأتى علينا يوم
نأمن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تصبروا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبياً
ليس فيه حديدية وأنزل الله تعالى هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح ثم ان الله تعالى قبض نبيه
صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في امارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فالتخذوا
الحجارة والشرط وغيره وافتعرتهم وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر رضى الله عنهم حتى في كتاب الله ثم تلا هذه الآية وقال

البراء بن عازب نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى واذكروا انتم قليل مستضعفون في الارض الى قوله لعلكم تشكرون وقوله تعالى كما استخلف الذين من قبلهم كما قال تعالى عن موسى عليه السلام انه قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض الآية وقال تعالى وزيدان عن علي الذين استضعفوا في الارض الآيتين وقوله وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم الآية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم حين وفد عليه اُعرف الحيرة قال لم اُعرفها ولكن قد سمعت بها قال (١١٢) فوالذي نفسي بيده ليعتق الله هذا الامر حتى يخرج الظعينة من الحيرة

حتى تطوف بالبيت في غير جوار
أحد وليفتحن كنوز كسرى بن
هرمز قلت كسرى بن هرمز
قال نعم كسرى بن هرمز وليبدلن
المال حتى لا يقبله أحد قال عدى
ابن حاتم فهذه الظعينة تخرج من
الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار
أحد ولو قد كنت فين افتتح كنوز
كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده
لتكونن الثالثة لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد قالها وقال
الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق
أخبرنا سفيان عن أبي سلمة عن
الربيع بن أنس عن أبي العالية عن
أبي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة
بالسنة والرفعة والدين والنصر
والتمكين في الارض فمن عمل منهم
عمل الآخرة للدين لم يكن له في
الآخرة نصيب وقوله تعالى يعبدونني
لا يشركون بي شيئا قال الامام أحمد
حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا
قتادة عن أنس ان معاذ بن جبل
حدثه قال بينا انارديف النبي صلى
الله عليه وسلم على جارية بيني
وبينه الآخرة الرحل قال يامعاذ

النفسي بلا صوت ولا حرف ولا دليل عليه وقيل غير ذلك مما لا فائدة في ذكره وقال في
سورة طه اني انا ربك وقال في النمل نودى ان بورك من في النار ومن حولها وهم ما
مخالقان لما همنا من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافق في المقصود وهو فتح باب الاستنباط
وسوق الكلام على وجه يودى اليه قال الامام لا منافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر
الكل الا انه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء انتهى (وان ألوقصاك) وقد
تقدم تفسير هذا وما بعده في طه والنمل وفي الكلام حذف أي فاقها فصارت ثعبان فاقها تزت
(فلما رآها تهتز) أي تتحرك (كانها جان) في سرعة تحركها مع عظم جسمها (ولى مدبرا)
أي هاربا منهزما (ولم يعقب) أي لم يرجع فنودى (ياموسى اقبل ولا تخف انك من
الآمنين) من أن ينالك مكروه من الحية وقد تقدم تفسير جميع ما ذكرهنا مستوفى فلا
نعيده وكذلك قوله (اسلك يدك في جيبك) والاسلك بالفتح والسلك كل منهما مصدر
لسلك الشيء في الشيء أن ينفذه فيه فانه من باب قعد ونصر (تخرج يضا من غير سوء)
فادخلها فخرحت ولها شعاع كضوء الشمس من غير برص (واضمم اليك جناحك) جناح
الانسان عضده ويقال لليد كلها جناح أي اضمم اليك اليدك الميسرة لتتقي بها
الحية كالخائف الفزع وقد عبر به في المعنى بثلاث عبارات الاولى اسلك يدك في جيبك
والثانية وضمم اليك جناحك والثالثة وأدخل يدك في جيبك قال الزمخشري جعل
الجناح وهو اليد في أحد الموضوعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه فالمراد بالجناح
المضموم اليد اليمنى والجناح المضموم اليه اليد اليسرى وكل واحد من يميني اليدين
ويسراهما جناح ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا وقيل كل
خائف بعد موسى اذا وضع يده على صدره زال خوفه قال الفراء أراد بالجناح عصاه (من
الرهب) أي من أجل الخوف قرئ بفتح الراء والهاء وباسكان الراء وبضم الراء واسكان
الهاء وقال بعض أهل المعاني الرهب الكم بلغة جبرو بن حنيفة وقال الاصمعي سمعت
اعرابيا يقول لا آخرة اعطني ما في رهبك فسألته عن الرهب فقال الكم فعلى هذا يكون
معناها اضمم اليك يدك وأخرجها من الكم (قد انك) اشارة الى العصا واليد قرئ بتخفيف
النون قيل والتشديد لغة قرئ بيش وقرئ بياء تخفية بعد نون مكسورة وهي لغة هذيل وقيل
لغة تميم (برهانان) أي جثمان نيران ودليلان واضمحان وآياتان يستان وسميت الحجة برهانان

قلت لبنيك يا رسول الله وسعديك قال ثم سار ساعة ثم قال يامعاذ بن جبل قلت لبنيك
يا رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به
شيئا قال ثم سار ساعة ثم قال يامعاذ بن جبل قلت لبنيك يا رسول الله وسعديك قال فهل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قال
قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق العباد على الله ان لا يعذبهم اذ جاءه في الصحيحين من حديث قتادة وقوله تعالى ومن كفر بعد
ذلك فاولئك هم الفاسقون أي من خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما فالعبادة رضی الله عنهم

لانارتها

قلت لبنيك يا رسول الله وسعديك قال ثم سار ساعة ثم قال يامعاذ بن جبل قلت لبنيك

لما كانوا أقوم الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله وكان نصرهم بحسبهم أظهر وأكلمة الله في
 المشارق والمغرب وأيدهم تأييداً عظيماً وحكمه وأمر سائر العباد والبلاد ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم
 بحسبهم ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق
 لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وفي رواية حتى يقاتلون الدجال وفي
 رواية حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون وكل هذه الروايات (١١٣) صحيحة ولا تعارض بينها وأقيموا الصلاة

وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول
 لعلمكم ترجون لا تحسبن الذين
 كفروا معجزين في الأرض
 وما وأهم النار وليس المصير
 يقول تعالى أمر عباد الله المؤمنين
 بأقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده
 لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي
 الإحسان إلى المخلوقين ضعفاءهم
 وفقراءهم وان يكونوا في ذلك
 مطيعين للرسول صلى الله عليه وسلم
 أي سالكين وراه فيما به أمرهم
 وترك ما عندهم لعل الله يرحمهم
 بذلك ولا شك ان من فعل هذا ان
 الله سيرجحه كما قال تعالى في الآية
 الاخرى أولئك سيرجهم الله وقوله
 تعالى لا تحسبن أي لا تظن يا محمد
 ان الذين كفروا أي خالفوك
 وكذبوك معجزين في الاوضاع أي
 لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم
 وسعذبهم على ذلك أشد العذاب
 ولهذا قال تعالى وما وأهم أي في
 الدار الآخرة النار وليس المصير
 أي بنس المال مآل الكافرين
 وبنس القرار وبنس المهاد (يا أيها
 الذين آمنوا ليس تأذنكم الذين
 ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا

لأنهم من قولهم للمرأة البيضاء بهونة (من ربك) أي كأن من الله تعالى مرسلان
 أو واصلان (الفرعون وملائته) كانوا أقوماً فاسقين متجاوزين الحد في الظلم
 خارجين عن الطاعة بأخروج والجملة تعليل لما قبلها ولما سمع موسى قول الله سبحانه
 هذا طلب منه سبحانه ان يقوى قلبه و(قال رب اني قتلت منهم نفساً) يعني القبطي
 الذي وكزه فقتل عليه (فأخاف أن يقتلون) بها (وأخي هرون هو أفصح مني لساناً)
 أي كلاماً لأنه كان في لسان موسى حبسة من وضع الجفر في فيه كما تقدم بيانه والنصاحة لغة
 الخلوص يقال فصح اللبن وأفصح فهو فصيح أي خلص من الرغو ومنه فصح الرجل
 جادت لغته وأفصح تكلم بالعربية وقيل الفصح الذي ينطق والاعم الذي لا ينطق وأما
 في اصطلاح أهل البيان فصاحة الكلمة خلوصها عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة
 القياس وفصاحة الكلام خلوصه من ضعف التأليف والتعقيد (فأرسله معي رداً) النصب
 على الحال أي عونا والرد المعين من أردأه إذا غتمه يقال فلان رده فلان إذا كان
 ينصره ويشده ظهره وقيل من قولهم اردى على المائة اذا زاد عليهم فكان المعنى أرسله
 معي زيادة في تصديقي (يصدقني) بالرفع على الاستئناف وبالجزم على جواب الامر
 وقرأ أبي يصدقوني أي فرعون وملؤه وقال ابن عباس كي يصدقني أي هرون ومعنى
 تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان في مظان الجدل وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف
 الشبهة وتلخيص الدلائل بلسانه والجواب عن شبهات الكفار بيانه ليثبت دعواه لان
 يقول له صدقت لأتري الى قوله هو أفصح مني وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير
 البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وياقيل فيه يستويان وهذا هو الجارى مجرى التصديق
 كما يصدق القول بالبرهان (الى أخاف أن يكذبون) اذا لم يكن معي هرون لعدم انطلاق
 لساني بالحاجة (قال سنشد عضدك بأخيك) هرون وكان اذا ذلك بمصر أي تقويته فان
 قوة الشخص بشدة اليد على عز اوله الامور ولذلك يعبر عنه باليد عن شدتها بشدة العضد
 فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب بمرتبين فان شدة العضد
 مسبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص في المرتبة الثانية قال الشهاب
 الشد التقوية فهو اما كتابة تلويحية عن تقوية لان اليد تشد بشد العضد والجملة تشد
 بشد اليد ولا مانع من الحقيقة كما توهموا واستعارة تشبیهة شبه حال موسى في تقوية بأخيه

(١٥ - فتح البيان تابع) الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة
 العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يسين الله لكم الآيات
 والله عليم حكيم واذ بلغ الاطفال منكم الحلم فلا يستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك بين الله لكم آياته والله عليم حكيم
 والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بنينة وان يستعففن خير لهن
 والله سميع عليم هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الاقارب بعضهم على بعض وما تشددت في أول السورة فهو استئذان

الاجانب بعضهم على بعض فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال الأول من قبل صلاة الغداة لان الناس اذ ذاك يكونون نياما في فرشهم وحين تصعون ثيابكم من الظهيرة أى في وقت القبولة لان الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت النوم فيؤمر الخدم والاطفال ان لا يهجموا على أهل البيت في هذه الاحوال لما يخشى من ان يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الاعمال ولهذا قال ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن (١١٤) أى اذا دخلوا في حال غير هذه الاحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم اياهم

ولا عليهم ان رأوا شيئا من غير تلك الاحوال لانه قد أذن لهم في الهجوم ولا نهم طوافون عليكم أى في الخدمة وغير ذلك ويعتقروني الطوافين ما لا يعتقروني غيرهم ولهذا روى الامام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الهرة انهم ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم أو الطوافات ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشئ وكان عمل الناس بها قليلا جدا ذكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخر الآية والآية التي في سورة النساء واذا حضر القسمة أولى القربى الآية والآية التي في الحجرات ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفي لفظه أيضا من حديث اسمعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء

بجال اليد في تقويمها بالعضد ويقال في دعاء الخير شدا الله عضدك وفي ضده فت الله عضدك قرأ الجهور عضدك بفتح العين وضم الضاد وقرئ بضمها وسكون الضاد وبقتصهما (ويجعل لك سلطانا) أى حجة وبرهاناً وتسلطا وغلبة وهيبة في قلوب الاعداء (فلا يصلون اليك) بالاذى والسوء ولا يقدرن على غلبتك بالحقبة (باياتنا) أى تمنعان منهم باياتنا وأذهبنا باياتنا وقيل الباء اللقمة وجوابه فلا يصلون وما أضعف هذا القول وقال الاخفش وابن جرير في الكلام تقديم وتأخير أى أتموا من اتباعك الغالبون باياتنا وأولى هذه الوجوه أولها وفي قوله (أتموا من اتباعك الغالبون) تبشير لهم وتقوية لقلوبهم (فما جاءهم موسى بايات بينات) واضحات الدلالة وقد تقدم وجه اطلاق الآيات وهي جمع على العصا واليد في سورة طه وهو أن في كل منهما آيات عديدة (قالوا ما هذا الا سحر مقترى) أى محتلق مكذوب اختلقته من قبل نفسك ثم اقترته على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمجزئة من عند الله وسحر لم يفعل قبل هذا الوقت مثله (وما سمعنا بهذا) الذى جئت به من دعوى النبوة وما سمعنا بهذا السحر (في آياتنا الاولين) أى كائنا ما وقعنا بهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يريد نفسه وانما جاء بهذه العبارة لتلايصح لهم بما يريد قبل أن يوضح لهم الحق والله أعلم قرئ وقال بالواو وبغيرها وكذلك هو في مصاحف أهل مكة (ومن تكون له عاقبة الدار) بالفوقية وهي أوضح من قراءتها بالتحسية على ان اسم يكون عاقبة الدار والتسذ كبير لوقوع الفصل ولانه تأنيت مجازى والمراد بالدار هنا الدنيا وعاقبتها هي الجنة وانما كانت عاقبة لها لان الدنيا خلقت مجازا وطريقا اليها والمراد بالدار الآخرة الصادقة على الجنة والنار والاضافة بمعنى في والمعنى ومن تكون له العاقبة المحودة في الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) أى ان الشأن انهم لا يفوزون بمطلب خير (وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيرى) تمسك العين بمجرد الدعوى الباطلة مغالطة لقومه منه وقد كان يعلم ان ربه الله عز وجل والظاهر انه لا يريد بالهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على أحد فالشك في ذلك يقتضى زوال العقل بالكلية فالحذول لعنه الله كانه يظن ان الافلاك والكواكب كافية في اختلاف احوال هذا العالم السفلى فلا حاجة الى اثبات صانع قال القاضى نقي علمه باله غيره دون وجوده

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخر الآية وروى أبو داود وحدثنا ابن الصباح بن سفيان وابن عبدة وهذا حديثه أخيرا نسفيان بن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول لم يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وانى لا أمر جاريتي هذه تستأذن على قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به وقال الثورى عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال لم تنسخ قلت فان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن

بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلين سألاه عن الاستئذان في ثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس ان الله ستر يجب الستركان الناس ليس لهم ستور على أبواهم ولا جمل في بيوتهم فرعافاجأ الرجل خادمه أو وولده أو يتيم في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله ثم جاء الله بعد الستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الجمل فرأى الناس ان ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمر به وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس ورواه أبو داود عن القعبي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به وقال (١١٥) السدي كان أناس من الصحابة رضى الله عنهم

يحبون ان يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا الى الصلاة فأمرهم الله ان يأمروا المملوكين والغلمان أن لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات الا باذن وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله أعلم ان رجلا من الأنصار وامرأته اسماء بنت مرشدة صنعنا النبي صلى الله عليه وسلم طعاما فجعل الناس يدخلون بغير اذن فقالت اسماء يا رسول الله ما أقيح هذا انه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامها بغير اذن فأنزله الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخرها وما يدل على انها محكمة لم تنسخ قوله كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ثم قال تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم يعني اذا بلغ الاطفال منكم الحلم الذين انما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث فاذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال يعني بالنسبة الى أجاتهم والى الاحوال التي يكون الرجل على

اذ لم يكن عنده ما يقتضى الجزم بعدهم ولذلك أمر ببناء الصرح قلت هورد على الرنخسرى في قوله ان المقصود بتنى العلم بالاله نفي وجوده ويمكن التوجيه بان يقال الوجود وجودان وجود ذهني ووجود خارجي والمراد في كلامه الاول ولاشك انه اذا اتقى علم الانسان بشئ اتقى وجوده في ذهنه ولكن ربما كان هذا غير مراد للرناخسرى لان الظاهر من كلامه الوجود الشائع عند أهل اللغة وهو الخارجي قال سراج الدين غرض صاحب الكشاف ان عدم الوجود بسبب لعدم العلم بالوجود في الجمله ولاشك انه كذلك فاطلق المسبب وأريد السبب لان بينهما لازمة كلية على انه لما كان من أقوى أسباب عدم العلم لانه المطرد جازا ان يطلق ويراد به الوجود اذا لا يشترط عند علماء هذا الفن اللزوم العقلي بل العادي والعرفي كاف أيضا وقد يقول أحد من الأعلام ذلك أي لو كان موجودا لعلمته اذا قامت قرينة وهذا استعمال شائع في عرف العرب والمجمع عند العامة والخاصة كيف وكان المخدول يدعى الالهية فالظاهر انه من الكفاية لامن الجواز والمصنف انما ذكر معلومية اتقاء العلم لاتقاء الوجود ليس ان اتقاء العلم من روادف اتقاء الوجود انتهى قال الشوكاني وهو الذي خطر بيالي انه الجواب لكنه عارض ذلك الخاطر اشكالات لا يتسع لها المقام انتهى وقد أشار أبو السعود في تفسيره الى الجواب عن هذا الاشكال فقال وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقيق معلوماتها فيلزم من اتقائها اتقاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية انتهى وقد وافق على هذا القاضي ولاح لك عن هذا جوابان الاول انه ذكرني العلم وأرادني المعلوم بطريق الكفاية على الوجه الذي ذكره السراج الثاني تخصيص العلم بالفعل لا الانفعالي كما ذكره أبو السعود والبيضاوي والثالث ان يراد بالوجود الوجود في ذهن المتكلم تلك الكلمة وفي كل جواب من هذه الاجوبة كلام لا يلتبس على العالم بالفن قال الخفاجي وعلى كل حال فكلام القاضي لا يتخلو عن ضعف والذي غره فيه كلام صاحب الاتصاف انتهى قال ابن عباس لما قال فرعون هذا القول قال جبريل يارب طغي عبدك فأذن لي في هلكه فقال يا جبريل بل هو عبدي ولن يسبقني له أجل يحيي عذلك الاجل فلما قال انار بكم الاعلى قال الله يا جبريل سبقت دعوتك في عبدي وقد جاء وان هلاكه وأخرج ابن مردويه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمتان قالهما فرعون ما علمت لكم من اله غيري وقوله انار بكم الاعلى قال

امرأته وان لم يكن في الاحوال الثلاث قال الازاعي عن يحيى بن أبي كثير اذا كان الغلام رباعيا فانه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه فاذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال وهكذا قال سعيد بن جبير وقال في قوله كما استأذن الذين من قبلهم يعني كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه وقوله والقواعد من النساء قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتاده من اللواتي انقطع عنهن الحيض ويتسنن من الولد اللاتي لا يرجون نكاحا لم يبق لهن تشوف الى التزوج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة أي ليس عليهن من الحجرفي السترك على غيرهن من النساء قال أبو داود حدثنا أحمد بن محمد المرزوي حدثني علي بن

عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) اختلف المفسرون رحمه الله في المعنى الذي رفع لاجله الحرج عن الاعرج والمرضى ههنا فقال عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم يقال انها زلت في الجهاد وجعلوا هذه الآية ههنا كالتي في سورة الفتح وتلك في الجهاد لاجل حاله أي انهم لا اثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وبجزهم وكما قال تعالى في سورة براءة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا اجد

(117)

ما حملكم عليه الى قوله ان لا يجدوا

ما ينفقون وقيل المراد ههنا انهم كانوا يخرجون من الاكل مع الاعرج لانه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره الى ذلك ولا مع الاعرج لانه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جلسه والمرضى لا يستوفى من الطعام كغيره فكروها ان يؤاكلوهم اثلا يظلموهم فانزل الله هذه الآية رخصة في ذلك وهذا قول سعيد بن جبير ومقسم وقال الضحاك كانوا قبل المبعث يخرجون من الاكل مع هؤلاء تقذرا وتعززا ولئلا يتفضلوا عليهم فانزل الله هذه الآية وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر بن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ليس على الاعرج حرج الآية قال كان الرجل يذهب بالاعرج أو بالاعرج أو بالمريض الى بيت أبيه أو أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته فكان الزمنى يخرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم وقال السدي كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنة فتحتفه المرأة بشيء

الملائكة والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المبعدين والمقبوح المطرود المبعد وقال أبو عبيدة وابن كيسان معناه من المهلكين المقوتين وقال أبو زيد فحج الله فلا ناقبها وقبوحا بعده من كل خير قال أبو عمرو وقبحت وجهه بالتخفيف بمعنى فحجت بالتشديد وقيل المقبوح المشوه الخلقه أي فهم من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه والقبيح أيضا عظيم الساعد مما يلي النصف منه الى المرفق والعامل في يوم محذوف يفسره من المقبوحين أي وقبوحا يوم القيامة وهو الأظھر أو هو معطوف على موضع في هذه الدنيا أي وأتبعناهم لعنة يوم القيامة أو معطوف على حذف مضاف أي ولعنة يوم القيامة والوجه الثاني أظهر (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الاولى) أي قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وقيل من بعدما أهلكنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون والتعرض لكون آتاء التوراة بعد اهلاك الامم الماضية للاشعار بمسئس الحاجة الداعية اليها تمهيدا لما يقبله من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن على رسول الله فان اهلكنا القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على ممر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة كما قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة اليها أخرج البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أهلك الله قوما ولا قريانا ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الارض غير القرية التي مسخت قرده الم تر الى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وروى عنه موقفا (بصائر للناس) أي آتينا الكتاب لاجل أن يتبصر الناس به أو حال كونه بصائر لهم يبصرون به الحق والبصائر جمع بصيرة وهي نور القلب كما ان البصر نور العين (وهدى) يهتدون اليه وينتقدون أنفسهم به من الضلالة بالاهتدائه (ورحمة) من الله رحمتهم بها (لعلهم يتذكرون) هذه النعم فيشكرون الله ويؤمنون به ويحييون داعيته الى ما فيه خير لهم ويتعظون بما فيه من المواظ (وما كنت بجانب الغربي) هذا شروع في بيان انزال القرآن واقع في بيان شدة

من الطعام فلا يأكل من أجل ان رب البيت ليس ثم فقال الله تعالى ليس على الاعرج حرج الآية وقوله تعالى ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم انما ذكر هذا وهو معلوم ليعطف عليه غيره في اللفظ وليس اياه ما بعده في الحكم وتضمن هذا بيوت الانبياء لانه لم ينص عليهم ولهذا استدلل به انما من ذهب الى ان مالي الولد بمنزلة مال أبيه وقد جاء في المسند والسنن من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أنت ومالك لبيك وقوله أو بيوت آباءكم أو بيوت امهاتكم الى قوله أو ما ملكتكم مفاتيحه هذا ظاهر وقد يستدل به من يوجب نفقة الاقارب بعضهم على بعض كما هو مدعى أبي حنيفة والامام أحمد بن حنبل في المشهور عنهما وأما قوله

يعني فليسلم بعضكم على بعض وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم بحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيت الا البركة قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس انه كان يقول اذا دخل أحدكم بيته فليسلم قال ابن جريج قلت لعطاء وأوجب اذا خرجت ثم دخلت ان أسلم عليهم قال لا وأورث وجوبه عن أحد ولكن هو أحب الي وما أدعه الاناسيا وقال مجاهد اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت على أهلك فسلم عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وروى (١١٩) الثوري عن عبد الكريم الجزري عن

مجاهد اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل بسم الله والحمد لله السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه كان يؤمر بذلك وحدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا محمد بن المنثري حدثنا عويد عن أبي عمران الجولاني عن أبيه عن أنس قال قال أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بخمس خصال قال يا أنس أسبغ الوضوء يردني عمرتك وسلم على من لقيك من أمي تكلمت حسناتك واذا دخلت يعني بيتك فسلم على أهلك يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين قبلك يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة وقوله تحية من عند الله مباركة طيبة قال محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقول ما أخذت التشهد الا من كتاب الله

دليل واحد على ما ذكر (تتلوع عليهم) أي تقرأ على أهل مدين (آياتنا) وتعلم منهم وقيل تذكروهم بالود والوعيد وقيل الضمير لاهل مكة والمعنى عليه واضح وأكثر المفسرين على الوجه الاول والجملة في محل نصب على الحال أو خبر ثان ويجوز ان تكون هذه الجملة هي الخبر وثاوي حال وجعلها الفراء مستأنفة كانه قيل وهأنذا تتلوع على أمك (ولسكنا كما مرسلين) أي أرسلناك الى أهل مكة وأزنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى انك لم تشهد قصص الانبياء ولا تليت عليك ولدكنا أو حينها اليك وقصصناها عليك (وما كنت) يا محمد (بجانب الطور) أي بجانب الجبل المسمى بالطور (اذ نادينا) موسى لما أتى الى الميقات مع السبعين ان خذ الكتاب بقوة وبين الأرسال وإيتاء التوراة فتحو من ثلاثين سنة وقيل المنادى هو أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال وهب وذلك ان موسى لما ذكر الله له فضل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمه قال يارب أرنيهم فقال الله انك ان تدر كهم وان شئت ناديتهم فأسمعتك صوتهم قال بلى يارب فقال الله يا أمة محمد فأجابوا من أصلاب آبائهم فيكون معنى الآية على هذا ما كنت يا محمد بجانب الطور اذ كنا موسى فنادينا أمك وسيأتي ما يدل على هذا ويقويه ويرجحه وعن أبي هريرة في الآية قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل ان تسألوني واستجبت لكم قبل ان تدعوني وروى من وجه آخر عنه مرفوعا وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وأبو نصر السجزي في الإبانة والديلمي عن عمرو بن عبسة قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ما كان النداء وما كانت الرحمة قال كتبه الله قبيل ان يخلق خلقه بأني عام ثم وضعه على عرشه ثم نادى يا أمة محمد سبقت رحمتي على غضبي أعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني فن لقيت منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمد عبدي ورسولي صادقا فأدخلته الجنة وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن حذيفة في الآية قال نودوا يا أمة محمد ما دعوتونا اذا استجبنا لكم ولا سألتونا اذا أعطيتناكم وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا ان الله نادى يا أمة محمد أجيئوا ربكم قال فأجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم الى يوم القيامة فقالوا اليك أنت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا قال صدقتم أنا ربكم وأنتم عبيدى حقا قد عفوت عنكم قبل ان تدعوني وأعطيتكم قبل ان تسألوني فن لقيت منكم بشهادة ان لا اله الا الله

سمعت الله يقول فاذا دخلتم بيوت فاسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة فالتشهد في الصلاة التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يدعون نفسه ويسلم وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن اسحق والذي في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف هذا والله أعلم وقوله كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون لما ذكر تعالى ما في هذه السورة الكريمة من الأحكام المحكمة والشرايع المتقنة المبرمة به تعالى عباده على انه بين لعباده الآيات بيانا شافيا ليتدبروها

ويعقلوها عليهم يعقلون (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) وهذا ايضا ادب ارشد الله عباده المؤمنين اليه فكما امرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك امرهم بالاستئذان عند الانصراف لاسيما اذا كانوا في امر جامع مع الرسول صلوات وسلامه عليه من صلاة جمعة او عيد او جماعة او اجتماع في مشورة ونحو ذلك امرهم الله تعالى ان لا يتفرقوا عنه (١٢٠) والحالة هذه لا بعد استئذانه ومشاورته وان من يفعل ذلك فانه من المؤمنين

الكاملين ثم امر رسوله صلوات الله وسلامه عليه اذا استأذنه أحد منهم في ذلك ان يأذن له ان شاء ولهذا قال فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الآية وقد قال ابو داود حدثنا احمد بن حنبل ومسدد قال حدثنا بشر هو ابن المفضل عن ابن عجلان عن سعد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد ان يقوم فليسلم فليست الاولى باحق من الآخرة وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذي حديث حسن لا تجعلاوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا فليجذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم قال الضحاك عن ابن عباس كانوا يبولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك اعظاما منه صلى الله عليه وسلم قال فقولوا يا بني الله يا رسول الله وهكذا قال

مجاهد وسعيد بن جبيرة وقال قتادة امر الله ان يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وان يجبل ويعظم وان يسود وقال اهل مقاتل في قوله لا تجعلاوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا يقول لانه هو اذا دعوتهم يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا بني الله يا رسول الله وقال مالك عن زيد بن اسلم في قوله لا تجعلاوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال امرهم الله ان يشرفوه هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الى آخر الآية وقوله يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تعلمون

الى قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم الآية فهذا كله من باب الادب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته والقول الثاني في ذلك ان المعنى في لا تجعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً أي لا تعتقدوا ان دعاءه على غيره كدعاء غيره فان دعاءه مستجاب فاحذروا أن يدعوا عليكم فتملكوها وحكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي والله أعلم وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذ قال مقاتل بن حيان هم المنافقون كان يثقل عليهم (١٢١) الحديث في يوم الجمعة ويعني بالحديث الخطبة في ابوزون بأصحاب محمد

صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد الا باذن من النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة بعدما يأخذ في الخطبة وكان اذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل لان الرجل منهم كان اذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بطلت جعته وقال السدي كانوا اذا كانوا معاً في جماعة لاذ بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم وقال قتادة في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذ يعنى لو اذ اعن نبي الله وعن كتابه وقال سفيان قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذ قال من الصف وقال مجاهد في الآية لو اذ قال خلافاً وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيده ومنهجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الاقوال والاعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل

أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أنزل عليه من القرآن (قالوا) نعمنا منهم وجدنا بالباطل (لولا) هلا (أوتى) هذا الرسول (مثل ما أوتى موسى) من الآيات كاليد والعصا وغيرهما والتوراة المنزلة عليه جملة واحدة فأجاب الله عليهم بقوله (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أي من قبل هذا القول أو من قبل ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى انهم قد كثروا بما أوتى موسى كما كفروا بما أوتى محمد حيث (قالوا ساحران تطاهروا) مستأنفة مسوقة لتقرير كفرهم وعنادهم والمراد بهما موسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم والتظاهر بالتعاون أي تعاونا على السحر والضمير في أولم يكفروا الكفار قريش وقيل هو لليهود والاول أولى فان اليهود لا يصفون موسى بالسحر انما يصفونه بذلك كفار قريش وأمثالهم الا أن يراد من أن تكذبوا موسى كفرعون وقومه فانهم وصفوا موسى وهرون بالسحر ولكنهم ليسوا من اليهود ويمكن أن يكون الضمير لمن كفر بموسى ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فان الذين كفروا بموسى وصفوه بالسحر والذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفوه أيضا بالسحر وقيل المعنى أولم يكفروا اليهود في عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما أوتى موسى من قبله بالبشارة بعيسى ومحمد قرأ الجمهور ساحران وقرأ الكوفيون ساحران يعنون التوراة والقرآن وقيل الانجيل والقرآن قال بالاول الفراء وقال بالناني أبو زيد وقيل ان الضمير في أولم يكفروا لليهود وانهم عنوان بقولهم ساحران عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وقال ابن عباس في الآية هم أهل الكتاب (وقالوا انما بكل كافرين) يعني بكل من موسى ومحمد أو من موسى وهرون أو من موسى وعيسى أو من عيسى ومحمد أو بكل من التوراة والانجيل والفرقان على اختلاف الاقوال وفي هذه الجملة تقرير لما تقدمها من وصف النبيين بالسحر أو من وصف الكتابيين به وتوابع ذلك ثم أمر الله سبحانه نبيه أن يقول لهم قولاً يظهر به عجزهم فقال (قل) لهم يا محمد اذالم تؤمنوا بهذين الكتابين وقلتم فيهما ما قلتم (فأولم يكفروا من عند الله هو أهدى منهما) أي من التوراة والقرآن وأوضح وأبين في هداية الخلق (أتبعه) جواب الامر وقد جزمه جمهور القراء لذلك وقرئ بالرفع على الاستئناف أي فان أتيت به فأنا أتبعه وقال القراء انه على هذه القراءة صفة الكتاب وفي هذا الكلام تهكم بهم وفيه أيضا دليل على أن قراءة الكوفيين أقوى من قراءة الجمهور لانه راجع الكلام الى الكتابيين

(١٦ - فتح البيان سابع) وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كما تبين في العميتين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا ان تصيهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حبس أو نحو ذلك كما روى الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفرائش وهي هذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها

وجعل بحجزهن ويغلبنه فيمتحن فيها قال فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ بحجزكم عن النار فغلبوني وتفتخرون فيها
 أخرجه من حديث عبد الرزاق (ألا أن الله ما في السموات والأرض قدي علم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل
 شيء عليم) يخبر تعالى أنه ملك السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم فقال
 قدي علم ما أنتم عليه وقد للتحقيق كما قال قبلها قدي علم الله الذين يسألون منكم لو أذوا قال تعالى قدي علم الله المعوقين منكم الآية وقال
 تعالى قد سمع الله قول التي تجادل الآيات وقال (١٢٢) قد نعلم أنه ليجزئك الذي يقولون فأنهم لا يكذبونك ولكن

الظالمين بآيات الله يجحدون
 وقال قد نرى تقلب وجهك في
 السماء الآية فكل هذه الآيات
 فيها تحقيق الفعل بقدم قول
 المؤذن تحقيقا وثبوتا قد قامت
 الصلاة قد قامت الصلاة فقوله
 تعالى قدي علم ما أنتم عليه أي هو عالم
 به مشاهد له لا يعزب عنه مثقال ذرة
 كما قال تعالى وتوكل على العزيز
 الرحيم إلى قوله أنه هو السميع العليم
 وقوله وما تكون في شأن وما تألو
 منه من قرآن ولا تعملون من عمل
 إلا كأعليكم شهودا إذ تفيضون
 فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
 ذرة في الأرض ولا في السماء ولا
 أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في
 كتاب مبين وقال تعالى أفمن هو قائم
 على كل نفس بما كسبت أي هو
 شهيد على عباده بما هم فاعلمون من
 خير وشر وقال تعالى الأحسين
 يستعشون نبيهم يعلم ما يرون
 وما يعلنون وقال تعالى سوا منكم
 من أسرار القول ومن جهر به الآية
 وقال تعالى وما من دابة في الأرض
 إلا على الله رزقها يعلم مستقرها
 ومستودعها كل في كتاب مبين

لإلى الرسولين (ان كنتم صادقين) فيما وصفتم به الرسولين أو الكتابين (فان لم يستجيبوا
 لك) أي لم يفعلوا ما كلفوا به من الآيات بكتاب هو أهدى من الكتابين وهذا كقوله فان
 لم تفعلوا وقيل المعنى فان لم يستجيبوا للآيات بالآيات بما حجت به وتعدية يستجيبوا باللام هو
 أحد الجائزين وجواب الشرط (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) أي آراءهم الزائفة
 واستحساناتهم الزائفة بلا حجة ولا برهان وإنما أداة حصر أي أنهم ليس لهم مستند في
 ذلك ومتمسك يتمسكون به وانما لهم محض هواهم الفاسد (ومن أضل ممن اتبع هواه
 بغير هدى من الله) الاستفهام انكارى بمعنى النفي أي لأحد أضل منه بل هو الفرد
 الكامل في الضلال (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم بالكفر وتكذيب الأنبياء
 والاعراض عن آيات الله (واقدمو صلنا لهم القول) قرئ بتشديد الصاد وتحفيفها ومعنى
 الآية اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التسديد كبير أو في النظم لتقرر الدعوة بالحنة
 والمواظب بالمواظب والنصائح بالعبر وبعثنا رسولا بعد رسول وقال أبو عبيدة والاختف
 معناه أتمنا وقال ابن عيينة والسدى يينا وقال ابن زيد وصلنا لهم خيرا الدنيا بخير الآخرة
 حتى كانوا في الدنيا والاول أولى وهو مأخوذ من وصل الحبال بعضها
 ببعض وقال مجاهد جعلناه أو صلا أي أنواعا من المعاني والضمير في لهم عائذ إلى قرئش
 وقيل إلى اليهود وقيل للجميع (لعلهم يتذكرون) فيكون التذكير سببا لإيمانهم مخافة
 أن ينزل بهم ما نزل عن قبلهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل القرآن وقيل
 من قبل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هم به) أي بالقرآن أو بحمد صلى الله
 عليه وآله وسلم (يؤمنون) أخبر سبحانه ان طائفة من بني اسرائيل آمنوا بالقرآن كعبد الله
 ابن سلام وسائر من أسلم من أهل الكتاب قيل نزلت في ثمانين أربعين من نجران واثمان
 وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام وقال ابن عباس يعني من آمن بحمد صلى الله
 عليه وآله وسلم من أهل الكتاب والاول أولى (واذ أتيت) أي القرآن (عليهم قالوا آمننا به
 أي صدقنا به) انه الحق الذي نعرفه المثل (من ربنا) استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم
 به (انا كنا من قبله مسلمين) أي مخلصين لله بالتوحيد أو مؤمنين بحمد صلى الله عليه وآله
 وسلم وبما جاء به لما نعلمه من ذكره في التوراة والإنجيل من التبشير به وانه سيبعث آخر
 الزمان وينزل عليه القرآن (أولئك) أي الموصوفون بتلك الصفات (يؤمنون أجرهم

من ربين

وقال وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة

في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين والآيات والاحاديث في هذه كثيرة جدا وقوله ويوم يرجعون إليه أي ويوم
 يرجع الخلائق إلى الله وهو يوم القيامة فينبئهم بما عملوا أي يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقيق وصرير وكبير كما قال
 تعالى نبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب
 لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلمونك شيئا ولا يظلمونك شيئا ولهذا قال ههنا ويوم يرجعون إليه فينبئهم

بما علموا والله بكل شيء عليم والحمد لله رب العالمين ونسأله التمام آخر تفسير سورة النور والله الحمد والمنة

* (تفسير سورة الفرقان مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) يقول تعالى حامدا لنفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات الآية (١٢٣) وقال ههنا تبارك وهو تفاعل من البركة

المستقرة الثابتة الدائمة الذي نزل الفرقان نزل فعلم من التكرار والتكثر كقوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل لان الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن نزل متجزا مفردا مفصلا آيات بعد آيات واحكاما بعد احكام وسورا بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اعناء بن أنزل عليه كما قال في انشاء هذه السورة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن حلة واحدة كذلك لتثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسير ولهذا سماه ههنا الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد والحلال والحرام وقوله على عبده هذه صفة مدح وثناء لانه اضافته الى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله وهي ليله الاسراء فقال سبحانه الذي أمرى بعبده ليلا وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة اليه وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبيدا وكذلك وصفه عند انزال

مرتين) بايمانهم بالكتابين منصوب على المصدر قال ابن عباس نزلت في عشرة رهط أنا أحدهم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الاول والاخر ورجل كانت له أمة فآذنها فأحسن تأديبها ثم أعقها وترجها وعبدهم لولك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده (بصبروا) أي بسبب صبرهم وثباتهم على الايمان بالكتاب الاول والكتاب الاخر وبالنبى الاول والنبي الاخر أو بالعمل بهما أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ومن عاداهم من أهل دينهم (ويدرون بالحسنة السيئة) الدرء الدفع أي يدفعون بالا احتمال والكلام الحسن ما يلاقونه من الأذى وقيل يدفعون بالطاعة المعصية وقيل بالتوبة والاستغفار الذنوب وقيل بالحلم الأذى وقيل بشهادة أن لا اله الا الله الشرك (ومما رزقناهم ينفقون) أي ينفقون أموالهم في الطاعات وفيما أمر به الشرع ثم مدحهم سبحانه باعراضهم عن اللغو فقال (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكروما وتزهوا وتأديبا بأداب الشرع ومثله قوله سبحانه واذا مروا باللغو مروا كراما واللغو هنا هو ما يسمونه من المشركين من الشتم لهم ولدينهم والاستهزاء بهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) لا يلحقنا من ضرر كفركم شيء ولا يلحقكم من نفع ايماننا شيء (سلام عليكم) ليس المراد بهذا السلام سلام التحية ولكن المراد به سلام المتاركة والاعراض والفرق ومعناه أمانة لكم منا وسلامة لا ننجوا بكم ولا ننجازيكم فيما أنتم فيه ولا نقابل لغوكم بمثله قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال (لا يتبعي الجاهلين) أي لا نطلب صحبتهم ومخاطبتهم وقال مقاتل لا يريد أن تكون من أهل الجهل والسفه وقال الكلبي لا نحب دينكم الذي أنتم عليه (انك لاتهدى من أحببت) هدايته من الناس وليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته (وهو أعلم) أي عالم (بالمهتدين) أي القابلين للهداية المستعدين لها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث المسيب ومسلم وغيره من حديث أبي هريرة ان هذه الآية نزلت في أبي طالب لما امتنع من الاسلام وقد تقدم ذلك في براءة قال الزجاج أجمع المفسرون على انها نزلت في أبي طالب وقد تقرر في الاصول ان الاعتبار بعرض سوم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في ذلك أبو طالب دخولا أوليا والآية حجة على المعتزلة

الكتاب عليه ونزل الملك اليه فقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله ليكون للعالمين نذيرا أي انما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي جعله فرقانا عظيما يخلصه بالرسالة الى من يستظل بالخضراء ويستقل على الغبراء كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال اني أعطيت خصالا يعطهن أحد من الانبياء قبلي فذكر منهن انه كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة كما قال تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية أي الذي أرسلني هو مالك السموات والارض الذي يقول للشيء كن فيكون

وهو الذي يحيى ويميت وهكذا قال ههنا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ووزنه نفسه عن الولاد وعن الشريك ثم أخبر انه خلق كل شيء فقدره تقديرا أى كل شيء مما سواه مخلوق من بوب وهو خالق كل شيء ورببه ومليكه والهه وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وأوهم بخلقون ولا يعلمون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء المالك لازمة الامور (١٢٤) الذي ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ومع هذا عبدوا معه من الاصنام

مالا يدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يعلمون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف يعلمون لعابدهم ولا يعلمون موتا ولا حياة ولا نشورا أى ليس لهم من ذلك شيء بل ذلك كله مرجعه الى الله عز وجل الذي هو يحيى ويميت وهو الذي يعيد الخلق يوم القيامة أولهم وآخرهم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كقوله وما أمرنا الا واحدة كالمح بالبر وقوله فأنما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فأنما هي زجرة واحدة فاذا هم يتظرون ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فهو الذي لا اله غيره ولا رب سواه ولا تبغى العبادة الا له لانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو الذى لا ولد له ولا والد ولا عدل ولا بديل ولا وزير ولا نظير بل هو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (وقال الذين كفروا ان هذا الافك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى

لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يدعى هداية وهو خلق الهدى واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أى قال مشركو قريش ومن تابعهم ان ندخل في دينك ونعمل به يا محمد يتخطفنا العرب من مكة وتتزع منها بسرعة ولا طاقة لنا بهم وهذا من جملة اعدائهم الباطلة وتعللاتهم العاطلة والتخطف في الاصل هو الانتزاع بسرعة وقرئ يتخطف بالجزم على جواب الامر وبالرفع على الاستئناف ثم رد الله ذلك عليهم ردا مصدرا باستفهام التوبيخ والتقريع وألقمهم الحجر فقال (أولم تحسب انهم حرما آمنا) أى ألم تجعل لهم حرما آمنا من أومؤسنا يؤمن من دخله قال أبو البقاء عداه بنفسه لانه بمعنى جعل كما صرح بذلك في قوله أولم يروا اننا جعلنا حرما آمنا ويمكن متعدي بنفسه من غير ان يضمن معنى جعل كقوله مكاهم فيما ان مكاهم فيه واستناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز عطف على ومن المعروف انه كان تأمن فيه الطباء من الذناب والحمام من الخدأة ثم وصف هذا الحرم بصفة أخرى دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة بقوله (يجبى اليه غترات كل شيء) أى تجمع اليه الثمرات على اختلاف أنواعها من الاراضى المختلفة وتحمل اليه من الشام ومصر والعراق واليمن وتساوق اليه فعنى الكلمة الكثرة على سبيل المجاز كقوله وأوتيت من كل شيء قرئ يجبى بالتحسية اعتبارا بتدكير كل شيء ووجود الخائل بين الفعل وبين غترات وأيضا ليس تأنيت غترات بحقيق وبالنوقية اعتبارا بغترات وقرئ غترات بفتح تين وبضم تين وقرئ بفتح التاء وسكون الميم (رزقنا من لدنا) أى نسوقه اليهم رزقا من عندنا أو رزقين (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ما نقوله حق لفرط جهلهم ومزيد غفلتهم وعدم تفكيرهم في أمر معادهم ورشادهم لكونهم بمن طبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة (وكم أهلكت من قرية) أى أهل قرية كانوا في خدض عيش ودعة ورخاء ردقوا لهم ان تتبع الهدى معك نتخطف الخ حين الله بهذا ان الامر بالعكس وانهم احقوا بأن يخافوا بأس الله ولا يغتروا بالامن الحاصل لهم فكثير من أهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء في الامن والخصب ثم (بطرت) أى طغت وتعدت وخسرت وأشرت (معيشتها) أى في زمن حياتها وقال الكرخي كفرت نعمة معيشتها أى أيام حياتها وهي ما يعاش به من النبات والحيوان وغيره ما يعنى وقع منهم

يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيميا) يقول تعالى مخبرا عن سخافة عقول الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن ان هذا الافك أى كذب افتراه يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأعانته عليه قوم آخرون أى واستعان على جمعه بقوم آخري فقال الله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا أى فقد افترواهم قولا باطلا يعلمون انه باطل ويعرفون كذب انفسهم فيما زعموه وقالوا أساطير الاولين اكتبها يعنون كتب الاوائل أى استنسختها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا أى في أول النهار وآخره وهذا الكلام له صفاة وكذب و بهتة منهم يعلم كل أحد بطلانه فانه قد علم بالتواتر وبالضرورة ان محمد ارسول الله

البطر

صلى الله عليه وسلم لم يكن يعاني شيئا من الكفاية لاني اول عمره ولا في آخره وقد نشأ بين أظهرهم من اول مولده الى ان بعثه الله نحو
 من أربعين سنة وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه وبره وزايمته وأماتته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الاخلاق الرديئة
 حتى انهم كانوا يسمونه في صغره والى ان بعث الامين لما يعلمون من صدقه وبره فلما أكرمهم الله بما أكرمهم به نصبوا له العداوة ورموه
 بهذه الاقوال التي يعلم كل عاقل براءتها منها وحاووا فيما يقذفونه به فتارت من افكهم يقولون ساحر وتارة يقولون شاعر وتارة يقولون
 مجنون وتارة يقولون كذاب قال الله تعالى انظر كيف ضرب بوالك (١٢٥) الامثال فضلا فلا يستطيعون سبيلا

وقال تعالى في جواب ما عاندوا ههنا
 واقتروا قل أنزله الذي يعلم السرفى
 السموات والارض الآية أى أنزل
 القرآن المشتمل على أخبار الاولين
 والآخرين اخبارا حقا صادقا
 مطابقا للواقع في الخارج ماضيا
 ومستقبلا الذي يعلم السرفى
 الله الذي يعلم غيب السموات
 والارض ويعلم السرائر كعلمه
 بالظواهر ورسوله انه كان غفورا
 رحيمادعاهم الى التوبة والانابة
 واخبار لهم بأن رحمة واسعة وان
 علمه عظيم وان من تاب اليه تاب
 عليه فهو لا مع كذبهم واقتراهم
 وجورهم وبتانهم وكفرهم
 وعنادهم وقولهم عن الرسول
 والقرآن ما قالوا يدعوهم الى
 التوبة والاقلاع عما هم فيه الى
 الاسلام والهدى كما قال تعالى لقد
 كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
 وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا
 عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم
 عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله
 ويستغفرونه والله غفور رحيم
 وقال تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
 والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب

البطرفاهل كما قال الزجاج البطر الطغيان عند النعمة وفي القاموس البطر محر كما النشاط
 والاشروقه واحتمال النعمة والدهش والخيرة والطغيان بالنعمة وكراهة الشيء من غير ان
 يستحق الكراهة وفعل الكل كفرح وبطر الحق أى تكبر عند فلا يقبله قال عطاء عاشوا
 في البطرفا كما ورزق الله وعبدوا الاصنام وقال الزجاج والمآزني معناها بطرت في
 معيشتها فلما حذف في تعدى الفعل كقوله واختر موسى قومه وقال القراء هو منصوب
 على التفسير كما تقول بطرك مالك وبطرته ونظيره قوله تعالى الامن سفة نفسه ونصب
 المعارف على التمييز غير جائز عند البصر بين لان معنى التفسير ان تكون النكرة على
 الجنس وقيل ان معيشتها منصوبة ببطرت على تضمينه معنى جهلت (فتلك مساكنهم)
 أى منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار كبلاد عمود وقوم شعيب وغيرهم قد
 خربت بما ظلموا (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) أى لم يسكنها احد بعدهم الا من اقل
 كالذي عبرهم مسافرا فانه يلبث فيها يوما أو بعض يوم أو المعنى لم يبق من يسكن فيها
 الا أياما قليلة لشؤم ما وقع فيها من معاصيهم وقيل ان الاستثناء يرجع الى المساكن أى لم
 تسكن بعدها لك أهلها الا قليلا من المساكن وأكثرها خراب كذا قال القراء وهو قول
 ضعيف (وكأنن الوارثين) لهما منهم لانهم لم يتركوا وارثا يرث منازلهم وأموالهم ولم
 يخلفهم احد تصرف فهم في ديارهم وغيرها (وما كان ربك) بيان للعادة الربانية
 أى ماصح ولا استنعام وما كان وما ثبت في حكمه الماضى وقضائه السابق ان يكون
 (مهلك القرى) الكافر أهلها قبل الانذار (حتى يبعث) ويرسل (في أمها) أى أكبرها
 وأعظمها (رسولا) يندرهم (يتلو عليهم آياتنا) أى نالها عليهم آيات الله الدالة الناطقة
 بما أوجب الله عليهم وما أعد من الثواب للمطيع والعقاب للعاصى ومخبر ان العذاب
 سينزل بهم اذ لم يؤمنوا وخص الاعظم منها بالبعثة اليها لان فيها أشرف القوم وأهل
 الفهم والرأى وفيها الملوك والابرصارت بهذا الاعتبار كالأمر ما حولها من القرى
 وقال الحسن أم القرى أولها وقيل المراد بأم القرى هنا مكة كفى قوله ان أول بيت وضع
 للناس الآية والالتفات الى نون العظمة لترتبة المهابة والروعة وقد تقدم بيان ما تضمنته
 هذه الآية في آخر سورة يوسف (وما كنا مهلكي القرى الا أهلها الظالمون) معطوفة على
 الجملة التي قبلها والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أى وما كنا مهلكي لاهل القرى بعد ان

جهنم ولهم عذاب الحريق قال الحسن البصرى انظر الى الهذا الكرم والجود قتلا أولياءه وهو يدعوهم الى التوبة والرجعة
 (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويشى في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) ويلقى اليه كثيرا وتكون له جنة يأكل
 منها وقال الظالمون ان تبغون الارجل ما مسجورا أنظر كيف ضرب بوالك الامثال فضا لولا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء
 جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بال ساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم
 من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا

ثورا كثيرا) يحضر تعالى عن نعمت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم وانما تعالوا بقولهم ما لهذا الرسول يا كل الطعام يعنون كانوا كلهم ويحتاج اليه كما يحتاج اليه ويمشي في الاسواق أي يتردد فيها واليهاطلما للتكسب والتجارة لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا يقولون هلا أنزل اليه ملك من عند الله فيكون له شاهدا على صدق ما يدعيه وهذا كما قال فرعون فلولا أتت عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين وكذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا أو يلقى اليه كثر أي علم كثر ينطق منه أو تكون له جنة (١٢٦) يا كل منها أي تسير معه حيث سار وهذا كله سهل يسير على الله

ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا أي جاؤوا بما يقصدونك به ويكذبون به عليك من قولهم ساحر مسحور يجنون كذاب شاعر وكلها أقوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف تكذيبهم واقتراءهم في ذلك ولهذا قال فضلوا عن طريق الهدى فلا يستطيعون سبيلا وذلك ان كل من خرج عن الحق وطريق الهدى فانه ضال حيثما توجه لان الحق واحد ومنهجه متحد يصدق بعضه بعضا ثم قال تعالى مخبرا نبيه انه ان شاء لا تأخيرا بما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الآية قال مجاهد يعني في الدنيا قال وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصرا كبيرا كان أو صغيرا قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خزيمة قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيك خزائن الارض ومغنايتها ما لم نعط نبيا قبلك ولا نعطي أحدا من بعدك

نبتت الى أمهار سولا يدعوه م الى الحق في حال من الاحوال الاحال كونهم ظالمين قد استحقوا الاهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وقا كيدا لحجة عليهم كقوله سبحانه وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مالحون (وما أو تبتين) يا كفار مكة (من نبي) من الاشياء (فتتاع) أي فهو متناع (الحياة الدنيا) تمتعون به مدة حياتكم أو بعض حياتكم ثم تزولون عنه أو يزول عنكم (وزينتها) تزينون به أيام عيشكم ثم ينفي وعلى كل حال فذلك الى فناء وانقضاء (وما عند الله) من ثوابه وجزائه (خير) من ذلك الزائل الفاني لانه لذة خالصة عن شوب الكدر (وأبقى) لانه يدوم أبدا وذلك يتقضى بسرعة (أفلا تعقلون) ان الباقي أفضل من الفاني وما فيه لذة خالصة غير مشوبة بأفضل من اللذات المشوبة بالكدر المنغصة بعوارض البدن والقلب قبل من لم يرج الآخرة على الدنيا فليس يعاقل قال الشافعي رحمه الله من وصى بثلاث ماله لا عقل الناس صرف الى المشتغلين بطاعة الله وقرئ يعقلون بالياء والتاء على الخطاب وهي أرح لقوله وما أو تبتين وأخرج مسلم والبيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول الله عز وجل يا ابن آدم مرضت فلم تعدني الحديث بطوله وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبد بن عبد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا أو أعطش ما كانوا وأعرى ما كانوا فغن أطمع الله عز وجل أطعمه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كان في رضاء الله كان الله في رضاء (أفمن وعدناه وعدا حسنا) بالجنة وما فيها من النعم التي لا تحصى (فهو لاقية) أي مدركه ومصيبه لا محالة فان الله لا يخلف الميعاد ولذلك جى بالاسمية المفيدة لتحقيقه وعطف بفاء السببية والفاء الاول لترتيب انكار التساوي بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاعها وبين ما عند الله عز وجل (كن متعنا متاع الحياة الدنيا) المشوب بالاكدار المستتبع للتحسر على الانقطاع فأعطى منه بعض ما أراد مع سرعة زواله وتمغيصه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) هذا معطوف على قوله متعنا داخل معه في حيز الصلة مؤكدا لانكار التشابه ومقرره والمعنى ثم هذا الذي متعناه هو يوم القيامة من المحضرين النار وتخصيص المحضرين بالذين احضروا العذاب اقتضاه المقام وفيه من التهور ما لا يخفى أي ليس حالهم اسواء فان الموعد بالجنة لا بد ان يظهر بما وعد به مع

ولا ينقص ذلك مما لك عند الله فقال اجعوهما لي في الآخرة فانزل الله عز وجل في ذلك تبارك الذي ان شاء انه

جعل لك خيرا من ذلك الآية وقوله بل كذبوا بالساعة أي انما يقول هؤلاء هكذا تكذبا وعناد الأئمة بظلمون ذلك تبصرا واسترشادا بل تكذيبهم بيوم القيامة يحلمهم على قول ما يقولونه من هذه الاقوال وأعدنا أي أرسدنا لمن كذب بالساعة سعة أي عذابا أليما حارا لا يطاق في نار جهنم قال الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبيرة السعير وادم من قبح جهنم وقوله اذ ارأتمهم أي جهنم من مكان بعيد يعني في مقام المحشر قال السدي من مسيرة مائة عام سمعوا الهاغيظا زفير أي حنقا عليهم كما قال تعالى اذا

ألقوا فيها سمعوا الهاشمية قاوهى تفور تكاد تميز من الغيظ أى يكاد يتفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله وروى
 ابن أبي حاتم حدثنا ادریس بن حاتم بن الاحنف الواسطى انه سمع محمد بن الحسن الواسطى عن اصبغ بن زيد عن خالد بن كثير عن
 خالد بن دريك باسناده عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بقل على ما لم يقل أو
 ادعى الى غير والديه أو اتى الى غير ماله فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله وهل لها من عيني قال أما سمعت الله يقول
 اذ اراهم من مكان بعيد الآية ورواه ابن جرير عن محمد بن خداس عن (١٢٧)

حدثنا أبو حنيفة عن علي بن محمد
 القناسى حدثنا أبو بكر بن عياش
 عن عيسى بن سليم عن أبي وائل
 وله أيضا عن قال في
 خرجنا مع عبد الله يعنى ابن
 مسعود ومعنا الربيع بن
 ابن خنيم فرأى على حداد فقام عبد
 الله ينظر الى حديدة في النار ونظر
 الربيع بن خنيم اليها فمائل الربيع
 ليسقط فرعبه الله على أنون على
 شاطئ القنات فلما رآه عبد الله
 والنار تلمب في جوفه قرأ هذه
 الآية اذ اراهم من مكان بعيد
 سمعوا الهاشمية فزفرا فصعق
 يعنى الربيع وجلاه الى أهل بيته
 فرابطه عبد الله الى الظهر فلم يبق
 رضى الله عنه وحدثنا أبو حنيفة
 عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل
 عن أبي يحيى عن مجاهد ولا بن أبي حاتم
 أيضا عن ابن عباس قال ان العبد
 ليجرى النار فتشبه اليه شهقة
 البغلة الى الشعر ثم تفر فرزة لا يبقى
 أخذ الاخاف هكذا رواه ابن أبي
 حاتم باسناده مختصرا وقدر واه الامام
 أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن
 ابراهيم الدورق حدثنا عبد الله بن
 موسى أخبرنا اسرائيل عن أبي

انه لا يفوته نصيبه من الدنيا وهذا حال المؤمن وأما حال الكافر فانه لم يكن معه الا مجرد
 القمع بشئ من الدنيا يستوى فيه هو والمؤمن وينال كل واحد منهما حظا منه وهو صائر
 الى التار فهل يستويان وتم للترخى في الزمان وفى الرتبة قيل نزلت في رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم وأبي جهل وفى على وحزرة وأبي جهل وفى المؤمن والكافر وفى عمار
 ابن ياسر والوليد بن المغيرة (ويوم يناديهم) أى اذ كرم ينادى الله سبحانه هؤلاء المشركين
 الذين عبدوا غير الله والقصد من هذا النداء ان ينجسهم ويقر بغيرهم بان معبوداتهم لم تنفعهم
 في هذا الوقت (فيقول لهم) (أين شركائ الذين) عبدتموهم من دونى واثبت لهم شركة في
 استحقاق العبادة و (كنتم تزعمون) انهم ينصرونكم ويشفعون لكم (قال الذين حق
 عليهم القول) أى حقت عليهم كلمة العذاب بدخول النار وهم رؤساء الضلال الذين
 اتخذوهم أربابا من دون الله كذا قال الكلبى وقال قتادة هم الشياطين (ربنا هؤلاء الذين
 أغويانا) أى دعوناهم الى الغواية يعنون الاتباع في الكفر (اغويانا هم كما غويانا) أى
 اضللناهم كما ضلناوا وتروا الكفر على الايمان كما آثرناه نحن وكما السبب في كفرهم فقبلوا
 منافلا فرق اذ اباين غينا وغيرهم وان كان تسو بلناهم دعا الى الكفر فقد كان في مقابلته
 دعاء الله تعالى لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل
 وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعود والمواعظ والزواجر ونهايتك بذلك صارفا
 عن الكفر وداعيا الى الايمان (تبرأنا اليك) ممن أطاعناوه وهذا مقرر لما قبله ولذلك لم
 يعطف قال الزجاج برئ بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى الاخلاء يومئذ
 بعضهم لبعض عدو (ما كانوا ايانا يعبدون) انما كانوا يعبدون أهواءهم قبل ما مصدرية
 أى تبرأنا اليك من عبادتهم ايانا والاول اولى (وقيل) للكفار من بنى آدم تم كبرهم
 وتبكتيهم (ادعوا شركاءكم) أى استغيثوا بالهتكم التى كنتم تعبدونهم من دون الله
 في الدنيا ينصرونكم ويدفعوا عنكم (فدعوهم) عند ذلك (فلم يستجيبوا لهم) ولا نفعوهم
 بوجه من وجوه النفع (ورأوا) أى التابع والمتبوع (العذاب) قد غشيهم (لو أنهم كانوا
 يهتدون) قال الزجاج جواب لو محذوف أى لا تجاهم ذلك ولم يروا العذاب وقيل المعنى
 مادعوهم وقيل لو كانوا يهتدون فى الدنيا لعلوا أن العذاب حق وقيل لو يهتدون بوجه من
 وجوه الخيل لدفعوا به العذاب وقيل قد آن لهم ان يهتدوا لو كانوا يهتدون وقيل غير ذلك

يحيى عن مجاهد باسناده الى ابن عباس قال ان الرجل ليجرى النار في نوزى بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك قالت انه
 يستجير منى فيقول أرسلا عبدى وان الرجل ليجرى النار فيقول يارب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك فيقول ان تسعنى
 رحمتك فيقول أرسلا عبدى وان الرجل ليجرى النار فتشبه اليه شهقة البغلة الى الشعر ثم تفر فرزة لا يبقى أحد الاخاف
 وهذا اسناد صحيح وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله سمعوا الهاشمية فزفرا قال ان جهنم
 لترفر فرزة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر ترعد فرأته حتى ان ابراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول رب لا أسألك

الذي تفضل به عليهم وأحسن به اليهم ولهذا قال كان على ربك وعدا مستولا أي لا بد ان يقع وان يكون كما حكاه أبو جعفر بن جرير
عن بعض علماء العربية ان معنى قوله وعدا مستولا أي وعدا واجبا وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس كان على ربك وعدا
مستولا يقول سلا الذي وعدتكم أو قال أو وعدنا كم تجزوه وقال محمد بن كعب القرظي في قوله كان على ربك وعدا مستولا ان
الملائكة تسأل لهم ذلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقال أبو حازم اذا كان يوم القيامة قال المؤمنون ربنا علمناك
بالذي أمرتنا فافجز لنا ما وعدتنا فذلك قوله وعدا مستولا (١٢٩) وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ثم

التنبية على حال أهل الجنة كما ذكر
تعالى في سورة الصافات حال أهل
الجنة ثم وما فيها من النضرة والخبور
ثم قال أذلك خير من زلا أم شجرة
الزقوم أنا جعلناها فتنة للظالمين
إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم
طلعها كأنه رؤس الشياطين فإنهم
لا تكون منها النون منها البطون
ثم إن لهم عليها الشوبان من حميم ثم
إن من جمعهم لا إلى الجحيم إنهم أقوا
آباءهم ضالين فهم على آثامهم
يهرعون (ويوم يحشرهم وما
يعبدون من دون الله فيقول أأنتم
أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا
السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي
لنا ان نتخذ من دونك من أولياء
ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا
الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم
بما تقولون فأتيتهم بطيعة صرفا
ولانصرا ومن يظلم منكم نذقه
عذابا كبيرا) يقول تعالى مخبرا عما
يتبع يوم القيامة من تفرع الكفار
في عبادتهم من عبدوا من دون الله
من الملائكة وغيرهم فقال ويوم
يحشرهم وما يعبدون من دون الله
قال مجاهد هو عيسى والعزير

لهم فيه الخيرة والصحيح الاول لاجماعهم على الوقف وقال ابن جرير ان تقدير الآية
ويختار لولايته الخيرة من خلقه وهذا في غاية من الضعف وجوز ان عطية ان تكون
كان تامة ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة وهذا أيضا بعيد جدا ومن قال بمعناه ويختار
للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو ماثل الى الاعتزال وقيل ان ما مصدرية أي يختار
اختيارهم والمصدر واقع موقع المفعول به أي ويختار مختارهم وهذا كالتفسير لكلام
ابن جرير والراجح أول هذه التفاسير ومثله قوله سبحانه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا
قضى الله ورسوله أمر أن تكون لهم الخيرة وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في
الصحيح تعليم الاستخارة وكيفية صلاحها ودعائها فلا تطول بك رها ثم نزه سبحانه نفسه
فقال (سبحان الله) أي تتره تترها خاصا به من غير ان ينازعه منازع أو يشاركه مشاركا
أو يراحم اختياره (وتعالى عما يشركون) أي عن الذين يجعلونهم شركاء له (وربك يعلم
ما تكن صدورهم) أي تحفيه قلوبهم وتسره من الشرك أو من عداوة رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وحسده أو من جميع ما يخفونه مما يخالف الحق (وما يعلمون)
بالسنة من ذلك ويظهور منه ثم تحمد نفسه سبحانه بالوحدانية والتفرد بالاستحقاق للحمد
فقال (وهو الله) أي هو المستأثر بالالهية المختص به أو قوله (لا اله الا هو) تقرير لذلك
(له الحمد في الاولى) أي في الدنيا (والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمد
المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا والحمد لله على وجه اللذة لا على الكلفة وهو قولهم
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين (وله
الحكم) أي القضاء النافذ في كل شيء فيقضى بين عباده بما شاء من غير مشاركا (واليه)
لا الى غيره (ترجعون) بالبعث والنشور والخروج من القبور فيجازي المحسن باحسانه
والمسيء بما ساءته (قل) لاهل مكة (أرأيتم) أي اخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا)
باسكان الشمس تحت الارض أو بتحويلها حول الافق الغائر والسرمد هو الدائم
المستمر من السرد وهو المتابعة والاطراف الميم زائدة كما في دلامس من الدلاص ووزنه
فعمل وقيل ان ميمه أصلية ووزنه فعلا لا فعلا وهو الظاهر بين لهم سبحانه انه مهدهم
أسباب المعيشة ليقوموا بشكر النعمة فانه لو كان الدهر الذي يعيشون فيه ليلادئما
لانهار معه (الي يوم القيامة) لم يتكنا من الحركة فيه وطلب ما لا بد لهم منه مما يقوم به

(١٧ - فتح البيان سابع) والملائكة فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء الآية أي فيقول الرب تبارك وتعالى للمعبودين
أأنتم دعوتهم هؤلاء الى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم كما قال الله تعالى واذا قال الله
يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلت
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به الآية ولهذا قال تعالى مخبرا
عما يجب به العبدون يوم القيامة قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء قرأ الاكثرون بفتح النون من قوله

تخذ من دونك من أولياء أي ليس للخلائق كلهم ان يعبدوا احد اسواك لانتن ولا هم فحن مادعوناهم الى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهو آياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك الآية وقرأ آخرون ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء أي ما ينبغي لاحد ان يعبدنا فانا عبيدك فقرأ اليك وهي قرية المعنى من الاولى ولكن متعتمهم وآباءهم أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر أي نسوا ما أنزلته اليهم على السنة رسلك من الدعوة (١٣٠) الى عبادتك وحدك لا شريك لك وكانوا قوم ابورا قال ابن عباس

أي هلكي وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري أي لا خير فيهم وقال ابن الزبير حين أسلم يارسول الملئك ان لسانى راتق ما فتقت اذا نابور اذا جارى الشيطان فى سنن النعى وى ومن مال ميله مشبور قال الله تعالى فقد كذبوك بما تقولون أي فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم انهم لكم أولياء وانهم يتقربونكم الى الله زلفى كقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله فما يستطيعون صرفا ولا نصرا أي لا يتقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لانفسهم ومن يظلم منك أي يترك بالله نذقه عذابا كبيرا (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) يقول تعالى محجرا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين انهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون الى التغذية به ويمشون فى الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصهم فان الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والاقوال الفاضلة والاعمال الكاملة والخوارق الباهرة والادلة القاهرة ما يستدل به كل ذى لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاؤا به من الله ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقوله وما جعلناهم جسدا الا ياكلون الطعام الآية وقوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أي اختبرنا بعضكم ببعض وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع

العيش من المطاعم والمشارب والملابس ثم امتن عليهم فقال (من الله غير الله يا أيكم) أي هل لكم من الله بزرعكم من الآلهة التي تعبدونها يقدر على ان يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم (بضياء) أي بنور تطلبون فيه المعيشة وتبصرون فيه ما تحتاجون اليه وتصلح شماركم وتنوعه زراةكم وتعيش فيه دوابكم والجملة صفة أخرى لاله عليها يدور التبيكت والالزام (أفلاتسمعون) هذا الكلام سماع فهم وقبول وتدبر وتفكر وهذا توخي لهم على أبلغ وجه ثم لما فرغ الله من الامتنان عليهم بوجود النهار امتن عليهم بوجود الليل فقال (قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) أي جعل جميع الدهر الذي تعيشون فيه نهارا (الى يوم القيامة) لاليل معه باسكان الشمس فى وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الافق (من الله غير الله) بزرعكم (يا أيكم بليل تسكنون) أي تستقرون (فيه) من النصب والتعب وتستريحون مما تزاولون من طلب المعاش والكسب (أفلاتبصرون) هذه المنفعة العظيمة ابصار معظم متيقظ حتى تنزجوا عما أنتم فيه من عبادة غير الله فاذا أقر واثابه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فقد دلتمتهم الحجة وبطل ما يتمسكون به من الشبهة الساقطة وانما قرن سبحانه بالضياء قوله أفلاتسمعون لان السمع يدرك ما لا يدرك البصر من درك منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل قوله أفلاتبصرون لان غيرك يبصر من منفعته الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه البصر يدرك ما لا يدرك السمع من ذلك (ومن رحمته) تعالى (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أي فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أي فى النهار بالسعي فى المكاسب وفيه مدح للسعي فى طلب الرزق وهو لا ينال فى التوكل (ولعلكم تشكرون) أي ولكي تشكروا نعمة الله عليكم وهذه الآية من باب اللف والنشر واعلم انه وان كان السكون فى النهار ممكنا وطلب الرزق فى الليل ممكنا وذلك عند طلوع القمر على الارض أو عند الاستضاءة بشئ مما له نور كالسراج لكن ذلك قليل نادر مخالف لما يألفه العباد فلا اعتبار به (ويوم يناديهم فيقول أين شركائ الذين كنتم تزعمون) كسر سبحانه هذا لاختلاف الحالات لانهم ينادون مرة فيدعون الاصنام وينادون أخرى فيسكتون وفى هذا التكرار أيضا تقرير بعد تقرير وتوخي بعد توخي وايدان بانه لا شئ أجلب لغضب الله من الاشرار به كما لا شئ أدخل فى مرضاته من توحيده أو الاول لتقرير فساد رأيهم

من ههنا ولهذا قال أنصبرون وكان ربك بصير أي من يستحق ان يوحى اليه كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته ومن يستحق ان يهديه الله لما أرواه به ومن لا يستحق ذلك قال محمد بن اسحق في قوله وجعلنا بهضكم لبعض فتنة أنصبرون قال يقول الله لو شئت ان أجعل الدينامع رسل فلا يخالفون انعت ولكني قد اردت ان أتبلى العبادهم وفي صحيح مسلم عن عياض بن جاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني مبتليك ومبتلي بك وفي المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وفي الصحيح انه عليه أفضل (١٣١) الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبيا

ملكا أو عبدا رسولا فاختران يكون عبدا رسولا (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) يقول تعالى محسبا عن نعمت الكفار في كفرهم وعنادهم في قولهم لولا أنزل علينا الملائكة أي بالرسالة كما تنزل على الانبياء كما أخبر الله عنهم في الآية الاخرى قالوا ان نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا لولا أنزل علينا الملائكة فتراهم عيانا فيخبرونا أن محمدا رسول الله كقولهم أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ولهذا قال أنرى ربنا ولهذا قال الله تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقد قال تعالى ولو انزلنا لينا اليهم الملائكة وكلهم المولى الآية وقوله تعالى

راهم والثاني لبيان انه لم يكن عن مستند وانما هو محض تشبه وهوى (وزرعنا) جاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق أي أخرجنا (من كل امة) من الامم (شهيدا) يشهد عليهم بما قالوا قال مجاهد هم الانبياء وقيل عدول كل امة والاول اولى ومثله قوله سبحانه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا ثم بين سبحانه ما يقوله لكل امة من هذه الامم بقوله (فقلنا) لهم (ها توراها انكم) أي حجتكم ودليلكم بان معي شر كما فعند ذلك اعترفوا وخرسوا عن اقامة البرهان ولذا قال (فعلوا ان الحق لله) في الالهية وانه وحده لا شريك له (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي غاب عنهم غيبة الشيء الضائع وبطل وزهد ما كانوا يخلقون من الكذب في الدنيا بان الله شر كما يستحقون العبادة ثم عقب سبحانه حديث أهل الضلال بقصة فارون لما اشتمت عليه من بدع القدرة وبجيب الصنع فقال (ان فارون كان من قوم موسى) فارون على وزن فاعول اسم أعجمي ممنوع للجملة والعلمة وليس يعرب مشتق من قرنت قال الزجاج لو كان فارون من قرنت الشيء لانصرف قال النخعي وقتادة وغيرهما كان ابن عم موسى وهو فارون بن بصير بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث وقال ابن اسحق كان عم موسى لاب وأم فجعله أخا لعمران وهما ابنا قاهث وقيل هو ابن خالة موسى وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله قاله الرازي ولم يكن في بني اسرائيل اقر التوراة منه فنافق كنافق السامري وخرج عن طاعة موسى وهو معنى قوله (فبغى) أي جاوز الحد في التخيير والتكبر وطلب التفضل (عليهم) وان يكونوا تحت أمره وحسد موسى على رسالته وهرون على امامته وكفر بالله بعدما آمن بهما بسبب كثرة ماله قال الضحاك بغية على بني اسرائيل استخفافهم لكثرة ماله وولده وقال قتادة بغية بنسبة ما آناه الله من المال الى نفسه لعلمه وحيلته وقيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم وقيل كان بغية بغير ذلك مما لا يناسب معنى الآية (وآتيناه من الكنوز) جمع كنز وهو المال المدخر سميت أمواله كنوزا لانه كان ممنوعا من أداء الزكاة قال عطية أصاب كنزا من كنوز يوسف وقيل كان يعمل الكيمياء (ما ان مفتاحه) ما موصولة صلته ان وما في حيزها ولهذا كسرت ونقل الاخفش الصغير عن الكوفيين منع جعل المكسورة وما في حيزها صلة

يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم بل يوم ربههم لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث اخرجي الى سموم وجهيم وظل من محموم فتأني الخروج وتفرق في البدن فيضربونه كما قال الله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم الآية وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في عمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أي بالضرب اخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون

على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولهذا قال في هذه الآية الكريمة يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم فانهم يبشرون بالخيرات وحصول المسرات قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتمون أنفسكم ولكم فيها ما تعدون من لآمن غفور رحيم وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب ان الملائكة تقول لروح المؤمن (١٣٢) اخرجي أيها النفس الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي

الى روح ورب يحان ورب غير غضبان وقد تقدم الحديث في سورة ابراهيم عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقال آخرون بل المراد بقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يعني يوم القيامة قاله مجاهد والضحاك وغيرهما ولا منافاة بين هذا وما تقدم فان الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تجلي للمؤمنين وللكافرين فنبشروا المؤمنين بالرحمة والرضوان وتجبر الكافرين بالخيبه وانحسر ان فلا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي وتقول الملائكة للكافرين حرام محرم عليكم الفلاح اليوم واصل الحجر المنع ومنه يقال حجر القاضي على فلان اذا منعه التصرف اما الفلاس أو سفه أو صغرا ونحو ذلك ومنه سمي الحجر عند البيت الحرام لانه يمنع الطواف ان يطوفوا فيه وانما يطاف من ورائه ومنه يقال للعقل حجر لانه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق والفرس ان الضمير في

الذي واستفتح ذلك منهم لوروده في الكتاب العزيز في هذا الموضوع والمفاتيح جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل المراد بالمفاتيح الخزائن فيكون واحدها مفتاح الميم وقال الواحدى ان المفاتيح الخزائن في قول أكثر المفسرين كقوله وعندده مفاتيح الغيب قال هو اختيار الزجاج قال الاشبه في التفسير ان مفاتيحه خزائن ماله وقال آخرون هي جمع مفاتيح وهو ما يفتح به الباب فهذا قول قتادة ومجاهد وعن خزيمة قال كانت مفاتيح كنوز فارون من جلود الابل كل مفاتيح مثل الاصبع كل مفاتيح على خزائنه على حدة فاذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلا غرمجمل وعنه قال وجددت في الانجيل ان بغال مفاتيح خزائن فارون غرمجمله تميز يد كل مفاتيح منها على اصبع لكل مفاتيح كثر قال الشوكاني لم أجد في الانجيل هذا الذي ذكره خزيمة (تنوير العصبه أولى القوة) أي لتنقل بالجماعة الاقوياء يقال نأى بجملة اذا نهض به مثقلا ويقال نأى بي الحمل أى اثقلنى والمعنى ينقلهم حمل المفاتيح فلا يستطيعون حملها وقال الرازى فلا يستطيعون ضبطها لكثرتها انتهى قال أبو عبيدة هذا من المقلوب والمعنى تنويرها العصبه أى نهض بها قال أبو زيد نأوت بالحمل اذا نهضت به وقال الفراء معنى تنوير العصبه تميلهم بشقلها كما يقال يذهب بالبؤس ويذهب البؤس وذهبت به وأذهبت به وجئت به واجأته ونوتت به وأنأوت به اخنار هذا النحاس وبه قال كثير من السلف وقيل هو مأخوذ من النأى وهو البعد وهو بعيد وقرئ لينوه بالتحية أى لينوه الواحد منها أو المذكور فعمل على المعنى أو التقدير حملها أو نقلها وقيل الضمير في مفاتيحه لفارون فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كقولهم ذهبت أهل اليمامة قاله الرخشي والمعاد العصبه الجماعة التى يتعصب بعضها لبعض قيل هى من الثلاثة الى العشرة وقيل من العشرة الى الخمسة عشرة وقيل ما بين العشرة الى العشرين وقيل من الخمسة الى العشرة وقيل أربعون وقيل سبعون وقيل غير ذلك قال ابن عباس لا ترفعها العصبه من الرجال أولى القوة والعصبه أربعون رجلا (أذ قال له قومه لا تفرح) أى اذكر والمراد بقومه ههنا هم المؤمنون من بنى اسرائيل وقال الفراء هو موسى وهو جمع اريد به الواحد والمعنى لا تبطر ولا تأثر ولا تفرح بكثرة المال (ان الله لا يحب الفرحين) البطر من الاشرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قال الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يؤدى حقه وقيل المعنى لا تفسد قال

قوله ويقولون عائد على الملائكة هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقاتدة وعطية العوفى وعطاء الزجاج انخراسانى وخصيف وغير واحد واختاره ابن جرير وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا موسى يعنى ابن قيس عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى في الآية ويقولون حجرا محجورا قال حرام محرم ماى يبشر بما يبشر به المتقون وقد حكى ابن جرير عن ابن جرير انه قال ذلك من كلام المشركين يوم يرون الملائكة أى يعوذون من الملائكة وذلك ان العرب اذا نزل باحدهم نازله أو شدة يقول حجرا محجورا وهذا القول وان كان له ما أخذ وجهه ولكنه بالنسبة الى السياق بعيد لا سيما وقد نص الجمهور على

خلافه ولكن قد روى ابن أبي نجيب عن مجاهد انه قال في قوله حجر محجور أى عودا معاذا فيجتمهمل انه أراد ما ذكره ابن جرير
ولكن في رواية ابن أبي حاتم عن ابن أبي نجيب عن مجاهد انه قال حجر محجور عودا معاذا الملائكة تقول ذلك فالله أعلم وقوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآيات هذايوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فأخبرانه لا يحصل لهؤلاء
المشركين من الاعمال التي ظنوا انها منجاة لهم شيء وذلك لانهم افقدت الشرط الشرعي اما الاخلاص فيها واما المتابعة لشرع الله
فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل (١٣٣) فاعمال الكفار لا تتحولن واحدا من هذين

وقد ترجمه هماما فتكون أبعدهن
القبول حيثئذ ولهذا قال تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآيات
قال مجاهد والثوري وقد معنا أى
وعمدنا وكذا قال السدي وبعضهم
يقول أئينا عليه وقوله تعالى فجعلناه
هباء منثورا قال سفيان الثوري
عن أبي اسحق عن الحرث عن علي
قال شعاع الشمس اذا دخل في الكوة
وكذا روى من غير هذا الوجه
عن علي وروى مثله عن ابن عباس
ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير
والسدي والضحاك وغيرهم وكذا
قال الحسن البصري هو الشعاع
في كوة أحدهم ولو ذهب يقبض
عليه لم يستطع وقال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس هباء منثورا قال
هو الماء المهرق وقال أبو الاحوص
عن أبي اسحق عن الحرث عن علي
هباء منثورا قال الهباء وهج
الدواب وروى مثله عن ابن عباس
أيضا والضحاك وقاله عبد الرحمن
ابن زيد بن أسلم وقال قتادة في قوله
هباء منثورا قال ما رأيت يبيس
الشجر اذا ذرته الريح فهو ذلك

الزجاج الفرحين والفرحين سواء وقال الفراء معنى الفرحين الذين همهم في حال الفرح
والفرحين الذين يفرحون في المستقبل وقال مجاهد معنى لا تفرح لا تبغ والفرحين
الباغين وقيل معناه لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين وقال ابن عباس الفرحين المرحين
قيل انه لا يفرح بالدينا الامن رضى بها واطمان واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها
عن قريب فلا يفرح بها (وابتغ فيما آتاك الله) أى واطب فيما أعطاك الله من الاموال
والثروة والغنى (الدار الآخرة) هى الجنة فانفقه فيما يرضاه الله كصدقة وصله ورحم واطعام
جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج لافى التجبر والبغى وقرى واتبع (ولاتنس نصيبك من
الدينا) قال جمهور المفسرين وهو ان يعمل في دنياه لآخرته ونصيب الانسان عمره وعمله
الصالح قال الزجاج معناه لاتنس ان تعمل لآخوتك لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا
الذى يعمل به لا آخرته وقال الحسن وقتادة معناه لاتضيع حظك من دنياك في تمتك
بالحلال وطلبك اياه وهذا الصق بمعنى النظم القرانى وقال ابن عباس ان تعمل فيها
لا آخرتك وفسر بعضهم النصيب بالكفن وعليه قول الشاعر

نصيبك مما تجتمع الدهر كاه * ردا آن تدرج فيهما وحنوط

وفسره البيضاوى بما يحتاج اليه منها وفي الحديث اغتمت خسا قبل خمس شبائك قبل
هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك
وهو مرسل وهذا ما جرى عليه مجاهد وابن زيد وقيل معناه خذ ما محتاجه من الدنيا
وأخرج الباقي وقيل امر ان يعدم الفضل ويسك ما يغنيه (وأحسن كما أحسن الله اليك)
الكاف للتشبيه أى أحسن احسانا كاحسان الله اليك أو للتعليل أى أحسن الى عباد
الله بما أنعم به عليك من نعم الدنيا المأمرة بالاحسان بالمال أمره ثانيا بالاحسان مطقا
ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وقيل اطع الله واعبده
كما أنعم عليك ويؤيده ما ثبت في الصحيحين وغيرهما ان جبريل سأل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (ولا
تبغ الفساد فى الارض) أى لاتعمل فيها بما عصى الله (ان الله لا يحب المفسدين) فى
الارض يعنى انه يعاقبهم (قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندى) قال قارون هذه
المقالة ردا على من نصحه بما تقدم أى انما أعطيت ما أعطيت من المال لاجل علمى وليس

الورق قال وقال عبد الله بن وهب أخبرني عاصم بن حكيم عن أبي سريع الطائي عن عبيد بن يعلى قال وان الهباء الرماد اذا ذرته
الريح وحاصل هذه الاقوال التشبيه على مضمون الآية وذلك انهم عملوا الاعمال واعتقدوا انها على شيء فلما عرضت على الملك الحكم
العدل الذى لا يجوز ولا ينظم أحد اذا انما اشئى بالكلية وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحفر المتفرق الذى لا يقدر صاحبه منه على
شيء بالكلية كما قال تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم باليمن والاذى الى قوله تعالى لا يقدرون على شيء مما كسبوا وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه

الظما آن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ونفخ الكلام على نفسه بذلك ولله الحمد والمنة وقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير امستقرا
 وأحسن مقبلا أي يوم القيامة لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وذلك ان أهل الجنة يصيرون
 الى الدرجات العاليات والغرفات الآمنات فهم في مقام أمين حسن المنظر طيب المقام خالدون فيها حسنت مستقرا ومقاما وأهل
 النار يصيرون الى الدرجات السافلات والحسرات المتتابعات وانواع العذاب والعقوبات انما ساءت مستقرا ومقاما أي بنس
 المنزل منظر او بنس المقبل مقاموا ولهذا (١٣٤) قال تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقبلا أي بما عملوه

من الاعمال المتقبلة تالوا ما نالوا
 وصاروا الى ما صاروا اليه بخلاف
 أهل النار فانهم ليس لهم عمل واحد
 يقتضى دخول الجنة لهم والنجاة
 من النار فبقية تعالى بحال السعداء
 على حال الاشقياء وانه لا خير عندهم
 بالكلمة فقال تعالى أصحاب الجنة
 يومئذ خير مستقرا وأحسن مقبلا
 قال الضحالك عن ابن عباس انما
 هي ساعة في قبيل أولياء الله على
 الاسر مع الحور العين ويقبيل
 أعداء الله مع الشياطين مقرنين
 وقال سعيد بن جبير يفرغ الله من
 الحساب نصف النهار في قبيل أهل
 الجنة في الجنة وأهل النار في النار
 قال الله تعالى أصحاب الجنة يومئذ
 خير مستقرا وأحسن مقبلا وقال
 عكرمة اني لاعرف الساعة التي
 يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل
 النار النار وهي الساعة التي
 تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى
 الا كبر اذا انقلب الناس الى أهلهم
 للقبول فيصرف أهل النار الى
 النار واما أهل الجنة فينطلق بهم
 الى الجنة فكانت قبولتهم في الجنة
 واطعموا كبدهوت فاشبعهم ذلك

تفضلا وهذا العلم الذي جعله سببا لما ناله من الدنيا قبل هو علم التوراة وقبيل علمه بوجوه
 المكاسب والزراعات وانواع التجارات وقبيل معرفة الكنوز والدقائق وقبيل علم الكيمياء
 وقبيل المعنى ان الله آتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاق اياها الفضل علمه مني واختار
 هذا الزجاج وانكر ما عداه ثم رد الله عليه قوله هذا فقال (أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله
 من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال ولو كان المال أو القوية لكان على
 فضيله لما أهلكهم الله وقيل القوة الآلات والجمع الاعوان وهذا الكلام خارج مخرج
 التقرير والتوبيخ لقارون لانه قد قرأ التوراة وعلم علم القرون الأولى واهلاك الله
 سبحانه لهم أو غيره من حفاظ التواريخ قاله الكرخي (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون)
 أي لا يسئلون سؤال استعجاب كما في قوله ولا هم يستعجبون وما هم من المعتبين وانما
 يسئلون سؤال تقرير وتوبيخ ويحاسبون ويشدد عليهم كما في قوله تعالى فوربك لنسألنهم
 أجمعين وقال مجاهد لا تآل الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بيمينهم فانهم
 يحشرون سود الوجوه زرق العيون وقال قتادة لا يسئل المجرمون عن ذنوبهم لظهورها
 وكثرة ما بل يدخلون النار بغير سؤال وحساب وقيل لا يسئل مجرمو هذه الامة عن ذنوب
 الامم الخالية أو المعنى يعرفون بها بغير سؤال وقيل لا يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكيفية
 اذا أراد ان يعاقبهم قال ابن عادل وألقى الوجوه بهذه الآية الاستعجاب (مخرج) فارون
 وكان خروجه يوم السبت (على قومه في زينته) أي باتباعه الكنعين ربكنا متحليين بملابس
 الذهب والحري على خيول وبغال متحلية قاله المحلى عن أويس بن أويس الثقفي عن النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم قال خرج على قومه في أربعة آلاف بغل أخرجه ابن مردويه
 وقدرى عن جماعة من التابعين أقوال في بيان ما خرج به على قومه من الزينة ولا يصح
 منها شيء مرفوعا بل هي من أخبار أهل الكتاب كما عرفناك غير مرة ولا ادري كيف اسناد
 هذا الحديث الذي رفعه ابن مردويه فن ظفر بكتابه فلم ينظر فيه وقيد كالمفسرون أيضا
 في هذه الزينة التي خرج فيها رايات مختلفة والمراد انه خرج في زينة اشتهر لها من رآها
 ولهذا تعنى الناظرون اليه أن يكون لهم مثاها كما حكي الله عنهم بقوله (قال الذين يريدون
 الحياة الدنيا) اختلف في هؤلاء القائلين بهذه المقالة فقيل هم من مؤمنى ذلك الوقت تمنوا
 الدنيا ليتقربوا الى الله تعالى ولينفقوه في سبيل الخير فتمنوا مثله لآعينه حذرنا من الحسد

كلهم وذلك قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقبلا وقال سفيان عن ميسرة عن المنهال عن أبي
 عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال لا ينتصف النهار حتى يقبيل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقبلا
 وقرأ ثم ان مرجعهم الى الجحيم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقبلا قالوا في
 الغرف من الجنة وكان حسابهم اذ عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله تعالى فاما من أتى كتابه
 يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وقال قتادة خير مستقرا وأحسن مقبلا ما سوى ومنزلا وقال قتادة

وقيل

وحدث صفوان بن محرز انه قال يجاب رجلين يوم القيامة أحدهما كان ملكا في الدنيا الى الحرمة والبياض فيحاسب فاذا عبد لم يعمل خيرا فاقط فيؤمر به الى النار والاخر كان صاحب كساء في الدنيا فيحاسب فيقول يا رب ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به فيقول الله صدق عبدى فارسا فؤمه به الى الجنة ثم يتر كان ماشاء الله ثم يدعى صاحب النار فاذا هو مثل الجملة السوداء فيقال له كيف وجدت فيقول شرمقيل فيقال له عد ثم يدعى بصاحب الجنة فاذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال له كيف وجدت فيقول رب خير مقيل فيقال له عد رواها ابن أبي حاتم كلها وقال ابن جرير (١٣٥) حدثني يونس أنبا نا بن وهب أنبا نا عمرو بن

الحرث ان سعيد الصواف حدثه انه بلغه ان يوم القيامة يقصر على المؤمن حتى يكون كبا بين العصر الى غروب الشمس وانهم يتقلبون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلت ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الامور العظيمة فمنها الشقاق السماء وتفطرها وانقراضها بالغمام وهو ظلل النور العظيم الذي يهر الابصار ونزول الملائكة السموات يومئذ فيصيطنون بالخلائق في مقام المحشر ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء قال مجاهد وهذا كما قال تعالى هل ينظرون الا الآن يا تنهم الله في ظلل من الغمام والملائكة الآية قال

وقيل هم قوم من الكفار (يا) للتنبية (ليت لنا مثل ما أوتى قارون) في الدنيا (انه لذو حظ عظيم) أي نصيب وبيعت ودولته ووافره من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) بما وعد الله في الآخرة وهم احبار بني اسرائيل قالوا الذين تمنوا (ويلكم) كلمة زجر منصوبة بمقدرا أي ألكم الله ويا لكم قاله الزخمشري ومثله في التبيان وأصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى (تواب الله) في الآخرة بالجنة (خيرين آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون في الدنيا لان الثواب منافعه عظيمة خاصة عن شوائب المضار دائمة وهذه النعم على الصديق هذه الصفات فلا تتمتعوا عرض الدنيا الزائل الذي لا يدوم وهذا بيان للمفضل عليه (ولا يلقاها) أي هذه الكلمة التي تكلم بها الاحبار وقيل الضمير يعود الى الاعمال الصالحة وقيل الى الجنة والمعنى لا يفهمها ويوقف عاينها ويفوق للعمل لها (الصابرون) على طاعة الله والمصبرون أنفسهم عن الشهوات الراضون بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار (تخسفنا به) أي بقارون (وبداره الارض) يقال خسف المسكن يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسف به الارض خسفا أي غاب به فيها والمعنى ان الله غيبه وغيب داره في الارض (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) أي ما كان له جماعة يدفعون ذلك الخسف عنه (وما كان) هو في نفسه (من المنتصرين) أي من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فاتصر أي منعه منه فامتنع أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال كان قارون ابن عم موسى وكان يتبع العلم حتى جمع علما فلم ينزل في أمره ذلك حتى بعى على موسى وحسده فقال له موسى ان الله أمرني ان آخذ الزكاة فابي فقال ان موسى يريد ان يأكل أموالكم جاءكم بالصلاة وجاءكم بآسيا فاحتلمتوها ففتحتمون ان تعطوهم أموالكم فقالوا لا نحتلم فبا ترى فقال لهم أرى ان أرسل الى بغي من بغايا بني اسرائيل فترسلها اليه فترميه بانه أرادها على نفسها فارسا فاسلوا اليها فقالوا الهان عظيمك جعلك على ان تنهدي على موسى انه جريك قالت نعم فجاء قارون الى موسى فقال اجع بني اسرائيل فاخبرهم بما أمر بك ربك قال نعم فجمعهم فقالوا اله ما أمر بك ربك قال أمرني ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تصلوا الرحم وكذا وكذا وأمرني اذا زنى الرجل وقد أحصن ان يرجم قالوا وان كنت أنت قال

ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا مؤمل حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد بن يوسف بن مهران عن ابن عباس انه قرأ هذه الآية ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا قال ابن عباس رضى الله عنهم ما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والانس والبهايم والسباع والطير وجميع الخلق فتتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والانس وجميع الخلق فيصيطنون بالجن والانس وجميع الخلق ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها فيصيطنون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم والجن والانس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق ثم تشقق السماء الثالثة فينزل أهلها

وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والانس وجميع الخلق ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة وهم أكثر من نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والانس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والانس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والانس وجميع الخلق لهم قرون كأعقاب القناوهم تحت العرش لهم (١٣٦) زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله عز وجل ما بين أخص قدم أحدهم إلى

نعم قالوا فانك قد زنت قال انافارسلوا للمرأة فحامت فقالتوا ما تشهدين على موسى فقال لها موسى انشدك بالله الا ما صدقت قالت اما اذا نشدتني بالله فانهم دعوني وجعلوا لي جعلاً على ان اذفوك نفسي وانا أشهد انك بريء وانك رسول الله فخر موسى ساجداً يركع ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه ما يبكيك قد سلطانك على الارض فخرها فطبعك فرفع رأسه فقال خذهم فخذتهم إلى أعقابهم فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى فقال خذهم فخذتهم إلى أعناقهم فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى فقال خذهم فخذتهم فغشيتهم فاوحى الله اليه يا موسى سألك عبادي وتضرعوا اليك فلم تجبهم وعزيت لوانهم دعوني لاجبتهم قال ابن عباس وذلك قوله فحسفناه وبداره الارض خسف به إلى الارض السفلى ذكره الخازن والقرطبي وغيرهما بالفاظ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لبس ثوباً جديداً فاختال فيه خسف به من شفير جهنم فهو يتجلبل فيها لا يبلغ قعرها لان قارون لبس جبة فاختال فيها خسف الله به الارض رواه الحرث بن اسحق من حديث ابن عباس وأبي هريرة بسند ضعيف جداً قال الحافظ في الفتح ان مقتضى هذا الحديث ان الارض لاتأكل جسده فيمكن ان يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون ذكره ابن القيمه والتجلبل السوخ في الارض والتحرك والتضعف والجلجلة التحريك قيل اذا وصل قارون إلى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل في الصور (وأصبح) أي صار (الذين تمنوا مكانه) أي منزلته ورتبته من الدنيا (بالامس) أي منذ زمان قريب ولم يرد خصوص اليوم الذي قبل يومه (يقولون ويكان الله) أي يقول كل واحد منهم متندماً على ما فرط منه من التفتي قال النحاس أحسن ما قيل في هذا ما قاله الخليل وسيبويه ويونس والكسائي ان القوم تنهوا فاقوالوا وي المتندم من العرب يقول في خلال ندومه وي قال الجوهري وي كلمة تجب وي يقال ويك وقد تدخل وي على كان الخففة والمشددة وي كان الله قال الخليل هي مفصولة تقول وي ثم تبتدئ فتقول كان وقال الفراء هي كلمة تقرير كقولك أما نرى صنع الله واحسانه وقيل هي كلمة تنبيه بمنزلة الأوقال فطرب انما هو وبك فاسقطت لامه وقال ابن الاعرابي والاحفش معنى ويك اعلم وقال القسبي معناها بلغة جبر رحمة لك وقيل هي بمعنى ألم تر وروى عن الكسائي انه قال هي كلمة

كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته إلى حجزته مسيرة خمسمائة عام وما بين حجزته إلى رقبته مسيرة خمسمائة عام وما بين رقبته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام وجهنم (١) محسبه هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثني الججاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران انه سمع ابن عباس يقول ان هذه السماء اذا انشقت ينزل منها من الملائكة أكثر من الانس والجن وهو يوم التلاق يوم يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض فيقول أهل الارض جاء ربنا فيقولون لم يحي وهوأت ثم تنشق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس قال فتسزل الملائكة الكروبيون ثم يأتي ربنا في حمله العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة

سبعين سنة وبين نخده ومنكبه مسيرة سبعين سنة قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجهه ووجه صاحبه وكل ملك منهم واضع رأسه بين يديه يقول سبحان الملك القدوس وعلى رؤسهم شيء مبسوط كأنه القنا والعرش فوق ذلك ثم وقف فداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف في سياقانه عالما وفيها انكاره شديدة وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا والله أعلم وقد قال الله تعالى في يومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ غماية قال شهر بن حوشب حمله العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبمحمدك لك الحمد عن حملك بعد علمك (١) قوله محسبه هكذا في الاصل الذي بأيدينا من غير نقط ولجرح راقظ الرواية اه صححه

وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك رواه ابن جرير عنه وقال أبو بكر بن عبد الله إذا نظرت أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم من فوقهم شخصت إليه أبصارهم ورحفت كلالهم في أجوافهم وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى جناجرهم قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا المعتمر بن سليمان عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبد الله بن عمرو قال يهبط الله عز وجل حين يهبط وينهه وبين خلقه سبعون ألف سحابة منها النور والظلمة فيصوت في تلك الظلمة صوت تتخلع له القلوب وهذا موقوف على عبد الله بن عمرو ولعله من الزاملتين (١٣٧)

الحق للرحمن الآية كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الصحيح إن الله تعالى يطوى السموات بيمنه ويأخذ الأرض بيسده الأخرى ثم يقول أنا الملك أنا الذي أنزلت ملكاً الأرض أين الجبارون أين المتكبرون وقوله وكان يوماً على الكافرين عسيرا أي شديدا صعبا لأنه يوم عدل وقضاء فصل كما قال تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فهذا حال الكافرين في هذا اليوم وأما المؤمنون فكما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر الآية وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أظول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقوله تعالى ويوم يعرض الظالم على يديه الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا هزيمة فيه وسلك طريقا

تفجع وقيل معناها أظن وأقدر (يسبط) أي يوسع (الرزق إن يشاء من عباده وبقدر) أي ويضيق على من يشاء والمعنى ليس الأمر كما زعمنا من أن البسط ينبي عن الكرامة والقبض ينبي عن الهوان بل كل منهما مقتضى مشيئته (لولا أن من الله علينا) برحمته بعدم إعطاء ما تمنينا وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي (نحسف بنا) كما خسف به قرى منبيا للفاعل والمفعول (ويكأنه لا يفلح الكافرون) أي لا يفوزون بطلب من مطالبهم تأكيدهما قبله (تلك) التي سمعت بخبرها وبلغك شأنها (الدار الآخرة) أي الجنة والاشارة إليها قصد التعظيم لها والتخفيف لشأنها (تجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض) أي رفعة وتكبرا على المؤمنين وقيل ظلما وقيل استطالة على الناس وتمها ونابهم بالبغي (ولا فسادا) أي عملا يعاصي الله سبحانه فيها كقتل النفس والزنا والسرقه وشرب الخمر أو دعاء إلى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهم ما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تتركوا الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يردد ما حتى قبض وقال بعضهم حقيقته التفسير عن متابعه فرعون وقارون متشبها بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض وذكر الفساد والعلو منكرين في حيز النبي يدل على شمولهما لكل ما يطلق عليه أنه فساد وأنه علو من غير تخصيص بنوع خاص أما الفساد فظاهر أنه لا يجوز شيء منه كأننا ما كان وأما العلو فالممنوع عنه ما كان على طريقة التكبر على الغير والتطاول على الناس وليس منه طلب العلو في الحق والرياسة في الدين ولا المحبة للبأس الحسن والمركوب الحسن والمتر للحسن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال التخيير في الأرض والاختيار في الحق أخرجه المحاملي والديلمي وروى مثله عن مسلم البطين وابن جرير وعكرمة وقال سعيد بن جبيرة بغي في الأرض وعن الحسن قال هو الشرف والعلو عند ذوي سلطانهم وأقول إن كان ذلك للتقوى به على الحق فهو من خصال الخير لا من خصال الشر وعن علي بن أبي طالب قال إن الرجل يحب أن يكون شمع نعله أفضل من شمع نعل صاحبه فيدخل في هذه الآية قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر هذه الرواية عن علي وهذا محمول على من أحب ذلك لا بمجرد التجميل فهذا الأبا س به فقد ثبت أن رجلا قال يا رسول الله إنني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة أفن الكبر

(١٨ - فتح البيان سابع) أخرى غير سبيل الرسول فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعرض على يديه حسرة وأسفا وسواء كان سبب نزولها في عقبه من أي معيط أو غيره من الأشقياء فإنها عامة في كل ظالم كما قال تعالى يوم تقلب وجوههم في النار الآياتين فكل ظالم ندم يوم القيامة غاية الندم وبعض على يديه فائلا باليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتني التي لم أتخذ فلانا خليلا يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال وسواء في ذلك أئمة من خلفه وأخوه أو بن خلفه أو غيرهما لقد أضلني عن ذلك وهو القرآن بعد إذ جاءني أي بعد بلوغه إلى قال الله تعالى وكان الشيطان للإنسان خذولا أي يخذله عن الحق

ويصرفه عنه ويستعمل في الباطل ويدعوه اليه (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) يقول تعالى مخبرا عن رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه قال يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وذلك ان المشركين كانوا يصغون للقرآن ولا يسمعون كما قال تعالى وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الاية فكانوا اذا تلى عليهم القرآن أكثر اللغو والكلام في غيره حتى لا يسمعون فهدا من هجرانه وترك الايمان به وترك تصديقه من هجرانه وترك تدبره (١٣٨) وتفهمه من هجرانه وترك العمل به وامثال أو امره واجتناب زواجره

ذلك قال لا ان الله جميل يحب الجمال وعن علي بن أبي طالب قال نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس وعن ابن عباس مثله وعن عدي بن حاتم قال لما دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى اليه وسادة فجلس على الارض فقال أشهدك لا تبغي علوا في الارض ولا فسادا فاسلم أخرجه ابن مردويه (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) أي لمن اتقى عقاب الله بآء أو امره واجتناب نواهيهِ وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء) يوم القيامة متصفا (بالحسنة) بان كان من المؤمنين والحسنة ما يحمد فاعلمها شرعا وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها في القيامة والمراد الحسنة المقبولة الاصلية المعمولة للعباد وما في حكمها كما لو تصدق عنه غيره لا المأخوذة في نظير ظلامتهم كما لو ضرب زيد عمر اضربه وكان لزيد حسنة موجودة فيؤخذ منها فيعطي لعمر وهذه الحسنة لا تنسب لعمر ولا حقيقة ولا حكم فلا تضاعف له وخرج بالمعمولة ما لو هم بحسنة فلم يعملها المانع فانها تكتب له واحدة ويجازى عليها من غير تضعيف (فله خير منها) وهو ان الله يجازيه بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف والتضعيف خاص بهذه الامة وأما غير هذه الامة من بقية الامم فلا تضعيف لهم والصواب دخول المضاعفة في حسنات العصاة ان كانت على وجه يتناول القبول بان يعملها على وجه لا رياء فيه ولا سمعة وعدم دخولها في أعمال الكفار لانه لا يجتمع مع الكفر طاعة مقبولة ان لم يسلم والافتة تكون كالمقبولة في الاسلام ولا تضاعف الحسنات الحاصلة بالتضعيف (ومن جاء بالسنة فلا يجزي) معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيات) موضع الضمير لان في اسناد عمل السنة اليهم مكررا افضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسنة الى قلوب السامعين والسنة هي ما يذم فاعلمها شرعا صغيرة كانت أو كبيرة وسميت سنة لان فاعلمها يساء بها عند الجحازة عليها (الا) مثل (ما كانوا يعملون) وحذف المثل وأقيم مقامهما كانوا الخ مبالغة في المماثلة ومن فضله العظيم ان لا يجزي السنة الا بعملها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وقد تقدم بيان معنى هذه الآية في سورة النمل ان الذي فرض عليك القرآن قال المفسرون أي أنزل عليك وقال الزجاج فرض عليك العمل بما يوجب القرآن وتقدير الكلام فرض عليك أحكام القرآن وفرائضه وقيل أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه عن علي بن حسين بن واقد قال أنزلت

من هجرانه والعدول عنه الى غيره من شعرا وقول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ففسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخط ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه أثناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ورضاه انه كريم وهاب وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الامم الماضية لان الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين يدعون الناس الى ضلالهم وكفرهم كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الايتين ولهذا قال تعالى ههنا وكفى بربك هاديا ونصيرا أي لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدقته واتبعه فان الله هاديه وناصره في الدنيا والاخرة وانما قال هاديا ونصيرا لان المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن لئلا يهتدى أحديه ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن فلهذا قال وكذلك

جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الآية (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جله واحدة كذلك لنثبت به فؤادك هذه ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئتنا بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعتهم وكلامهم فيما لا يعينهم حيث قالوا لولا نزل عليه القرآن جله واحدة أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذين أوحى اليه جله واحدة كما نزلت الكتب قبله جله واحدة كالتوراة والانجيل والزابور وغيرها من الكتب الالهية فاجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه انما نزل منجما في ثلاثة وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج

اليهمن الاحكام ليثبت قلوب المؤمنين به كقوله وقرأنا فرقان الآيه ولهذا قال لثبت به فرقانك ورتلناه ترتيلا قال قتادة بيناه
 تبينا وقال ابن زيد وفسرناه تفسيراً ولا يا تونك بمثل أى بجمعة وشبهة الاجتنالك بالحق وأحسن تفسير أى ولا يقولون قولاً
 يعارضون به الحق الأجنبناهم بما هو الحق في نفس الامر وأبين وأوضح وأفصح من مقالهم قال سعيد بن جبير عن ابن عباس
 ولا يا تونك بمثل أى بما يلمسون به عيب القرآن والرسول الاجتنالك بالحق الآيه أى الانزل جبرائيل من الله تعالى بجوابهم وما
 هذا الاعتناء وكبير شرف للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان (١٣٩) يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً

ومساءً وليلاً ونهاراً سقراً وحضراً
 وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن
 كانزال الكتاب مما قبله من الكتب
 المتقدمة فهذا أعلى وأجل وأعظم
 مكانة من سائر اخوانه من الانبياء
 صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
 فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ومحمد
 صلى الله عليه وسلم أعظم نبي أرسله
 الله تعالى وقد جمع الله للقرآن
 الصفتين معاً في الملائكة الاعلى أنزل
 جملة واحدة من اللوح المحفوظ
 الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم
 أنزل بعد ذلك الى الارض منجماً
 بحسب الوقائع والحوادث وروى
 النسائي باسناده عن ابن عباس قال
 أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء
 الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك
 في عشرين سنة قال الله تعالى
 ولا يا تونك بمثل الاجتنالك بالحق
 وأحسن تفسيراً وقال تعالى وقرأنا
 فرقاناً لتقرأه على الناس على مكث
 ونزلناه تنزيلاً ثم قال تعالى مخبراً
 عن سوء حال الكفار في معادهم
 يوم القيامة وحشرهم الى جهنم في
 أسوأ الحالات وأقبح الصفات الذين
 يحشرون على وجوههم الى جهنم

هذه الآيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخفة حين خرج صلى الله عليه وآله وسلم
 مهاجر الى المدينة فليست مكية ولا مدنية كما مر في أول السورة (لرأدك الى معاد) قال
 جمهور المفسرين أى الى مكة وهذا أقرب التفاسير وبه قال ابن عباس كما أخرجه البخارى
 عنه وزاد كما أخرجت منها قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده
 وقال مجاهد وعكرمة والزهرى والحسن ان المعنى لرأدك الى يوم القيامة وهو اختصار
 الزجاج يقال بينى وبينك المعاد أى يوم القيامة لان الناس يعودون فيه احياء وقال أبو
 مالك وأبو صالح لرأدك الى الجنة وبه قال أبو سعيد الخدرى وروى عن مجاهد وقيل
 الى معاد أى الى الموت (قل ربنا علم من جاء بالهدى) وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 لانه الجاني به (ومن هو في ضلال مبين) وهم المشركون وهذا جواب لكتنار مكة لما قالوا
 للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انك في ضلال والاولى حمل الآيه على العموم وان الله سبحانه
 يعلم حال كل طائفة من هاتين الطائفتين ويجازيهما بما تستحقه من خير وشر (وما كنت)
 قبل محيىء الرسالة اليك (ترجو) وتوهم ان نرسلك الى العباد (ان يلقى اليك الكتاب)
 فأنزله عليك ليس عن معاد ولا عن طلب سابق منك وهذا تذكير له صلى الله عليه وآله
 وسلم بالنعم والاستثناء في قوله (الارحمة من ربك) منقطع أى لكن القاؤه عليك رحمة من ربك
 أو متصل جملاً على المعنى كأنه قيل وما أتى اليك الكتاب الا لاجل الرحمة من ربك والاول
 أولى وبه حزم الكسائى والقراء ثم أمره الله بجمعة أشياء فقال (فلان تكونن ظهيراً
 للكافرين) أى عوناً لهم وفيه تعريض بغيره من الامة وقيل المراد لان تكونن ظهيراً لهم
 بعد ارتدادهم (ولا يصدنك) قرئ من صده بصدده ومن أصدده بمعنى صده والمعنى لا يصدنك يا محمد
 الكافرون وأقوالهم وكذبهم واذاهم (عن آيات الله) أى عن تلاوتها والعمل بها وتبليغها
 (بعد إذ أنزلت اليك) أى بعد إذ أنزلها الله اليك وفرضت عليك (وادع) الناس (الى ربك)
 أى الى الله والى توحيد العمل بقراءته واجتناب معاصيه (ولا تكونن من المشركين)
 باعانتهم وفيه تعريض بغيره كما تقدم لانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون منهم بحال من
 الاحوال وكذلك قوله (ولا تدع مع الله الها آخر) فانه تعريض بغيره ثم وحده سبحانه نفسه
 ووصفها بالبقاء والدوام فقال (لا اله الا هو كل شئ) من الاشياء كأنها ما كان (هالك) في
 حسداته لان وجوده ليس ذاتياً بل لاستناده الى واجب الوجود فهو بالقوة بالذات

أولئك شرمكانا وأضل سبيلا وفي الصحيح عن أنس ان رجلاً قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال ان
 الذى أمشاه على رجليه قادر ان يمشيه على وجهه يوم القيامة وهكذا قال مجاهد والحسن وقاتدة وغير واحد من المفسرين (ولقد
 آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً وقوم نوح لما كذبوا
 الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعدنا للظالمين عذاباً أليماً وعادوا وعودوا أصحاب الرس وقرنوا بين ذلك كثيراً وكلا ضربه الله
 الامثال وكلا تبرنا تبريراً ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطراً سوءاً فلما يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً) يقول تعالى

متوعدا من كذب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي قومه ومن خالفه ومخذرهم من عقابه وأليم عذابه مما أحله بالأمم الماضية المكذبين لرسله فبدأت كرموسى وأنه بعثه وجعل معه أخاه هارون وزيراً أي نبيا وأزوا مؤيدا وناصراف كذبها فرعون وجنوده فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحا عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل اذ لا فرق بين رسول ورسول ولو فرض ان الله تعالى بعث اليهم كل رسول فأنهم كانوا يكذبون ولهذا قال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل (١٤٠) ولم يعث اليهم الا نوح فقط وقد لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما

معدوم حالا والمراد بالمدوم ما ليس له وجود ذاتي لان وجوده كلا وجود وأما جل هالك على المستقبل فكلام ظاهري قاله الشهاب (الاجهه) أى الاذاته قال الزجاج وجهه منصوب على الاستثناء ولو كان في غير القرآن كان مرفوعا بمعنى كل شئ غير وجهه هالك وقضية الاستثناء اطلاق الشئ على الله تعالى وهو الصحيح لان المستثنى داخل في المستثنى منه وانما جاء على عادة العرب في التعبير بالاشرف عن الجله ومن لم يطلقه عليه جعله متصلا أيضا وجعل الوجه ماعمل لاجله سبحانه فان ثوابه باق قاله الكرخي وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال لما نزلت كل من علمها فان قات الملائكة هلك أهل الارض فلما نزلت كل نفس ذائقة الموت قات الملائكة هلك كل نفس فلما نزلت كل شئ هالك الا وجهه قالت الملائكة هلك أهل السماء والارض وعنه قال الامأريد به وجهه والمستثنى من الهلاك والقضاء ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله

ثمانية تحكم البقاء بعلمها * من الخلق والباقون في حيز العدم

هي العرش والكرسي و نار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

(له الحكم) أى القضاء النافذ يقضى بما شاء ويحكم بما أراد (والبه) أى الى جزائه أو اليه وحده (ترجعون) في جميع أحوالكم في الدنيا وعند البعث ليجزى المحسن باحسانه والمسيء بأساءته الى غيره سبحانه وتعالى

* (سورة العنكبوت هي تسع وتسعون آية قبل مكة كلها) *

قاله ابن عباس وابن الزبير والحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقيل انها مدنية كلها وهو أحد قولى ابن عباس وقتاده وهو قول يحيى بن سلام وعن علي بن أبي طالب قال نزلت بين مكة والمدينة وهذا قول ثالث وأخرج الدارقطني في السنن عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجودات يقرأ في الركعة الاولى العنكبوت أو الروم وفي الثانية يس

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) الله أعلم بما اراده به وقد تقدم الكلام على فاتحة هذه السورة مستوفى في أول سورة البقرة (أحسب الناس) الاستفهام للتوبيخ والتقرير والحسبان قوة أحد

يدعوهم الى الله عزوجل ويخذرهم تقمه فما آمن معه الا قليل ولهذا أعزقهم الله جميعا ولم يترك من بنى آدم على وجه الارض سوى أصحاب السفينة فقط وجعلناهم للناس آية أى عبرة يعتبرون بها كما قال تعالى انما لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية أى وأبقينا لكم من السفن ما تركون في ليلج البحار لتذكروا نعمه الله عليكم من انجائكم من الغرق وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق امره وقوله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس قد تقدم الكلام على قصتهم ما في غير ما سورة كسورة الاعراف بما أغشى عن الاعادة وأما أصحاب الرس فقال ابن جرير عن ابن عباس هم أهل قرية من قرى ثمود وقال ابن جرير قال عكرمة أصحاب الرس ينزل وهم أصحاب يس وقال قتادة فلج من قرى اليمامة ولا بن أى حاتم بسنده عن ابن عباس في قوله وأصحاب الرس قال بئر بأذربيجان وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة الرس بئردسا

التقيضين

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

فيها نبيهم أى دفنوه فيها قال ابن اسحق عن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود وذلك ان الله تعالى بعث نبيا الى أهل قرية فسلم يؤمن به من أهلها الا ذلك العبد الأسود ثم ان أهل القرية عدوا على النبي فخره واله بئر فالتقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشتري به طعاما وشرا بئرا ثم يأتي به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله تعالى عليها فينزل اليه طعامه وشرا به ثم يردا كما كانت قال فكان ذلك ما شاء الله ان يكون ثم انه ذهب يحطب كما كان يصنع فجمع حطبه وعزم خزمته

وفرغ منها فلما أراد ان يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على آذنه سبع سنين ثم انه هب فتمطى فتمحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على آذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب واحتمل حرمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجا الى القرية فباع حرمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب الى الحفيرة في موضعها الذي كانت فيه فالتسه فلم يجده وكان قد بدأ القوم فيه بدهاء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه قال فكان بينهم يسألهم عن ذلك الاسود وما فعل فيقولون له لا ندري حتى قبض الله النبي وهب الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤١) ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة

وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن كعب مر سلا وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه ادراجا والله أعلم وقال ابن جرير لا يجوز ان يحمل هؤلاء على انهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن لان الله أخبر عنهم انه أهلكتهم وهؤلاء آمنوا بينهم اسم الا ان يكون حدث احداث آمنوا بالنسبي بعد هلاك آبائهم واختار ابن جرير ان المراد بأصحاب الرس أصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج فانه أعلم وقوله تعالى وقرون ايين ذلك كثر ايرأى وأما بين اضعاف ذلك أهلكتهم كثر ايرأى وهذا قال وكلا ضربا له الامثال أي بيناهم الحجج وأضعنا لهم الادلة كما قال قتادة وأزحنا الاعذار عنهم وكلا تبرنا تبتيرا أي أهلكتنا اهلا كما كقولته تعالى وكم أهلكتنا القرون من بعد نوح والقرن هو الامة من الناس كقوله ثم أنشأنا من بعدهم قرون ائرين وحده بعضهم بمائة وعشرين سنة وقيل بمائة وقيل بشانين وقيل

النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم هو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعاني المتردات ولكن بمضامين الجمل (أن يتركوا أن يقولوا) أي لان يقولوا أو بان يقولوا أو على ان يقولوا (أمانة) أي نظقوا بكلمة الشهادة (وهم لا يقننون) أي يتركون بغير اختيار ولا ابتلاء وليس الامر كما حسبوا بل لا بد ان تختبرهم حتى يتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب والثابت في الدين من المضطرب فيه فالآية مسوقة لانكار ذلك الحسبان واستبعاده وبيان انه لا بد من الامتحان بأنواع التكليف وغيرها فالزجاج المعنى أحسبوا ان نقتنع منهم بان يقولوا انامؤمنون فقط ولا يمتحنون بما يتبين به حقيقة ايمانهم بل يمتحنون لتمييز الراسخ في الدين من غيره قال السدي وقتادة ومجاهد أي لا يتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب وسيأتي في بيان سبب نزول هذه الآيات ما يوضح معنى ما ذكرنا قال ابن عطية هو هذه الآية وان كانت نازلة في سبب خاص فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم موجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتن من الله باقية في شعور المسلمين بالأسرو نكايه العدو وغير ذلك والفتنة الامتحان بشدة التكليف من مفارقة الاوطان والمهاجرة ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والفقر والتعط وأتباع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم لينالوا بالصبر عليها عو الى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود في العذاب أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وغيرهم انها أنزلت في ناس كانوا بمكة وقد أقروا بالاسلام فكذب اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة لما أنزلت آية الهجرة انه لا يقبل منكم اقرار ولا اسلام حتى تهاجر وقال فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردهم فزلت فيهم هذه الآية فكذبوا اليهم انه قد أنزل فيكم كذا وكذا فقالوا فخرج فان اتبعنا أحد قتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلواهم فقتلوا منهم من قتل ومنهم من نجح فانزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما قسوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعد الغفور رحيم وعن قتادة نحو ما خصر منه وقيل نزلت في عمار ابن ياسر ان كان يعذب في الله وعن ابن مسعود قال أول من أظهر الله اسلامه سبعة رسول الله وأبو بكر وصحبة أم عمار وعمار وصهيب وبلال والمقداد فامر رسول الله فقتله الله

أربعين وقيل غير ذلك والظاهر ان القرن هو الامة المتعاصرون في الزمن الواحد واذا ذهبوا وخلفهم جيل فهو قرن آخر كما ثبت في الصحيحين خيرا القرون قرنى الحديث ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهلكتها الله بالقلب والمطر من الحجارة التي من حبيس كما قال تعالى وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال وانكم لترون عليهم مصعبين وبالليل أفلا تعقلون وقال تعالى وانما البسيل مقيم وقال وانهم مال بالمامعين ولهذا قال أفلم يكونوا يرونها أي فيعتبروا بما حل باهلها بسبب تكذيبهم الرسول وبتحالفهم وأمر الله بل ككأنوا لا يرجون نشورا يعني المنارين بهم ان الكفار لا يعتبرون

أى لولا ان الشمس تطلع عليه لما عرف فان الضد لا يعرف الابضه قال قتادة والسدى دليلاتلوه وتبعه حتى تأتى عليه كاه
 وقوله تعالى ثم قبضناه اليها قبضاً يسيراً أى الظل وقيل الشمس يسيراً أى سهلاً قال ابن عباس سريعا وقال مجاهد خفياً
 وقال السدى قبضاً خفياً حتى لا يبقى في الارض ظل الا تحت سقف أو تحت شجرة وقد أظلت الشمس سافوقه وقال أيوب بن موسى
 في الآية قبضاً يسيراً قليلاً قليلاً وهو الذى جعل لكم الليل لباساً أى يلبس الوجود ويغشاه كما قال تعالى والليل اذا يغشى
 والنوم سباتاً أى قاطعاً للحركة لراحة الابدان فان الاعضاء والجوارح (١٤٣) تسكن من كثرة الحركة فى الانتشار

بالنهار فى المعاش فاذا جاء الليل
 وسكن سكنت الحركات فاستراحت
 فحصل النوم الذى فيه راحة
 البدن والروح معا وجعل النهار
 نشورا أى يتشرف الناس فيه
 لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم
 كما قال تعالى ومن رحمته جعل
 لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
 ولتبتغوا من فضله الآية (وهو
 الذى أرسل الرياح بشرا بين يدي
 رحمته وأنزلنا من السماء ماء
 طهورا نحيى به بلدة ميتا ونسقيه
 مما خلقنا أنعاما وآناسى كثيرا ولقد
 صرفناه بينهم ليدرؤا فإني أكثر
 الناس الا كفورا) وهذا أيضا
 من قدرته التامة وسلطانه العظيم
 وهو انه تعالى يرسل الرياح بشرات
 أى عجيء السحاب بعدها والريح
 أنواع فى صفات كثيرة من التسخير
 فيها ما تثير السحاب ومنها ما تحمله
 ومنها ما تسوقه ومنها ما يكون بين
 يدي السحاب مبشرا ومنها ما يكون
 قبل ذلك تقسم الارض ومنها
 ما يلقح السحاب لمطر ولهذا قال
 تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا

الزجاج ما فى موضع نصب بمعنى ساء شياً أو حكا يحكمون قال ويجوز ان تكون مافى
 موضع رفع بمعنى ساء الشئ أو الحكم حكمهم وقال ابن كيسان ساء حكمهم (من كان
 يرجو لقاء الله) الرجاء بمعنى الطمع قاله سعيد بن جبير وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف
 قال القرطبي وأجمع أهل التفسير على ان المعنى من كان يخاف الموت وقيل البعث
 والحساب قال الزجاج أى ثواب المصير اليه تعالى فالرجاء على هذا معناه الامل ومن
 موصله أو شرطية والجزء قوله (فإن أجل الله) والراجح انه ليس بجزء لان أجله جاء
 لامحالة من غير تقييد بشرط لانه لو كان جواب الشرط لزم ان لا يرجوه لا يكون أجل
 الله آتيا بل الجواب محذوف أى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادته به أحد او المعنى
 من كان يرجو وطمع لقاء الله فان أجله المضروب للبعث والثواب والعقاب (لا ت) أى
 الجاء لامحالة قال مقاتل يعنى يوم القيامة وفى الآية من الوعد والوعيد والترهيب
 والترغيب ما لا يخفى (وهو السميع) لاقوال عباده (العليم) بما سره وما يعلنونه (ومن
 جاهد) الكفار وجاهد نفسه بالصبر على الطاعات أو جاهد الشيطان بدفع وساوسه (فانما
 يجاهد نفسه) أى ثواب ذلك له لا غيره ولا يرجع الى الله سبحانه من نفع ذلك شئ وهذا
 بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى فالحصر اضافى فلا يقال كيف
 يستقيم الحصر مع ان جهاد الشخص قد ينتفع به غيره كما ينتفع الاباء بصلاح الاولاد
 وينتفع من سن سنة حسنة بفعل من استنبها وقيل المعنى ومن جاهد عدوه لنفسه لا يريد
 بذلك وجه الله فليس لله حاجة بجهاده والاول أولى وفيه بشارة وتخويف (ان الله لغنى عن
 العالمين) من الانس والجن والملائكة فلا يحتاج الى طاعتهم كالاتى بهم معاصيهم وانما
 أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعلوا الصالحات لتكفرن عنهم سيئاتهم) أى
 لتبطلها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهب السيئة بالحسنة والمراد بالسيئة
 الشرك والمعاصى وتكفيرها هو الايمان والتوبة والآية تستدعى وجود السيئات حتى
 تكفر والوجه فيه انه ما من مكلف الا وله سيئة أما غير الانبياء فظاهر وأما الانبياء فلان ترك
 الافضل منهم كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم (ولنجزى
 أحسن الذى كانوا يعملون) أى باحسن جزاء أعمالهم وقيل بجزء أحسن أعمالهم
 والمراد باحسن مجرد الوصف لا التفضيل لثلاثا يكون جزاؤهم بالحسن مسكوتا عنه وهذا

أى آله يتطهر بها كالسحور والوحوور وما جرى مجراهما فهذا أصح ما يقال فى ذلك وأما من قال انه فعول بمعنى فاعل وأنه مبنى
 للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما اشكالان من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا
 أبى باسناده الى الطويل عن ثابت البناني قال دخلت مع أبى العالىة فى يوم مطير وطرق البصرة قدرة فصلى فقلت له فقال
 وأنزلنا من السماء ماء طهورا قال طهره ماء السماء وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا أبوسلمة حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن
 المسيب فى هذه الآية قال أنزل الله طهورا لا ينجسه شئ وعن أبى سعيد قال قيل يا رسول الله أتوسأمن برؤى بضاعته وهى بر

عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا صحابه يوم اعلى اثره ما اصابته من اللبل
أندرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصحح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته
فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب (ولو شئنا لبعضنا في كل قرية
نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرح البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما
برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا (١٤٥) وكان ربك قديرا) يقول تعالى ولو شئنا

لبعضنا في كل قرية نذيرا يدعوهم
الى الله عز وجل ولكن خصصناك
بمحمد بالبعثة الى جميع أهل الارض
وأمرناك ان تبلغهم هذا القرآن
لانذرهم به ومن بلغ ومن يكفر به من
الاحزاب فالنار موعده لتندرام
القرى ومن حولها قل يا أيها الناس
انى رسول الله اليكم جميعا وفي
الصحيحين بعثت الى الاسود والاحمر
وفيها وكان النبي يبعث الى قومه
خاصة وبعثت الى الناس عامة
ولهذا قال تعالى فلا تطع الكافرين
وجاهدوهم به يعنى القرآن قاله ابن
عباس جهادا كبيرا كما قال تعالى
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين
الآية وقوله تعالى وهو الذي مرح
البحرين هذا عذب فرات وهذا
ملح أجاج أى خلق الماء من الحلو
والمالح فالحلو كالأنهار والعيون
والآبار وهذا هو البحر الحلو
العذب فرات الزلال قاله ابن
جرير واختاره ابن جرير وهذا
المعنى لاشئ فيه فإنه ليس في الوجود
بحر ساكن وهو عذب فرات
والله سبحانه وتعالى انما أخبر

ذو المرجع والوعيد تحذير من متابعتها على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في
الدين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أى في زمرة الراسخين في
الصلاح وهو من أبلغ صفات المؤمنين وهو معنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه
السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما
والحقي بالصالحين وقيل لندخلنهم في مدخل الصالحين وهو الجنة كذا قيل والاولى
ومعنى ادخالهم فيهم كونهم معدودين من جملتهم لا اتصافهم بصفاتهم أى تحشرهم معهم
اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين وارزقنا لسان صدق في الآخرة (ومن الناس من
يقول آمنا بالله فإذا أؤذى) أى أصابه بلاء من الناس أو أذى من الكفار (في الله) أى في
شأن الله وسيدله ولا حله كما يفعل أهل الكفر مع أهل الايمان وكما يفعل أهل المعاصي مع
أهل الطاعات وأصحاب البدع مع أصحاب السنة وأهل التقليد مع أهل الاتباع بل كل
مبطل مع كل محق من ايقاع أنواع الاذى عليهم لاجل الايمان بالله والعمل بما أمر به
من كتاب وسنة (جعل فتنة الناس) التي هي ما يقعونه عليه من الاذى وجرع من أذاهم
فلم يصبر عليه وجعله في الشدة والعظم (كعذاب الله) فأطاع الناس كما يطيع الله من
يخاف عقابه وقيل هو المنافق اذا أؤذى في الله رجوع عن الدين فكفر وكان يمكنه أن يصبر
على الاذى الى حد الكراهه ويكون قلبه مطمئنا بالايمان فجعل المنافقون فتنة الناس
صارف عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر فعذاب الناس له دافع
وعذاب الله ماله من دافع وأيضا عذاب الناس يترتب عليه ثواب عظيم وعذاب الله بعده
عقاب أليم والمشقة اذا كانت مستتعبة للراحة العظيمة تطيب النفس لها ولا تعدها
عذابا قال الزجاج ينبغى للمؤمن أن يصبر على الاذى في الله أخرجه أحمد والترمذي
وصححه وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لقد أؤذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف
أحد ولقد أتت على ثلاثة ومالى ولبلال طعام يأكله ذكيد الاما وارى ابظ بلال (ولئن
جاء نصر من ربك) أى فتح من الله للمؤمنين وغلبة على الاعداء وغنمة يغفونها منهم
(ليقولن) بضم اللام جلا على المعنى بعد الجمل على اللفظ ونقل أبو معاذ النخوى انه قرئ
بالفتح جري على مرعاة لفظها أيضا وقراءة العامة أحسن لقوله (انا كنا معكم) في دينكم

(١٩ - فتح البيان سابع) بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس
فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم اليه أنهارا وعيونا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لانفسهم وأراضيهم وقوله تعالى
وهذا ملح أجاج أى ملح مرزعاق لا يستطاع وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر
القلزم وبحر اليمن وبحر البصرة وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الحرور وما شاها من البحار الساكنة
التي لا تجرى ولكن توج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح ومنها ما فيه مد وجزر في أول كل شهر يحصل منها

مدّ وفيض فأذاع الشرح النقصان جزرف حتى ترجع الى غايتها الاولى فاذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرفت في المدالى
 الدلة الرابعة عشر ثم تشرع في النقص فاجرى الله سبحانه وتعالى وهو ذو القدرة التامة العادة بذلك فشكل هذه البحار الساكنة
 خلقها الله سبحانه وتعالى مالحة لتلايصل بسياهاتن الهواء فيفسد الوجود بذلك ولتلا تجوى الارض بما عوت فيها من الحيوان
 ولما كان ماؤها ملحا كان هوؤها صحيفا وميتها طيبة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر أتوضأ به
 فقال هو الطهور ماؤه الحلى ميتته (١٤٦) رواه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن بإسناد جيد وقوله

فأشهر كونها في الغنمة فالمراد المعية في الايمان دون العصبة في القتال لانها غير واقعة قاله
 الشهاب فكذبهم الله فقال (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الايمان والنفاق
 أى هو سبحانه أعلم بما فيها من خير وشر فكيف يدعون هذه الدعاوى الكاذبة وهؤلاء
 هم قوم ممن كان في ايمانهم ضعف كانوا اذا مسهم الاذى من الكفار وافقوهم واذا ظهرت
 قوة الاسلام ونصر الله المؤمنين في موطن من المواطن قالوا انا كما معكم وقيل المراد
 بهذا وما قبله المنافقون قال مجاهد نزلت في ناس كانوا يؤمنون بالله بالسنة ثم اذا أصابهم
 بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم اقتنوا وقال المنافقون نزلت في ناس من المنافقين بحكمة
 كانوا يؤمنون فاذا أذوا رجعو الى الشرك وقيل نزلت في الذين أخرجهم المشركون
 معهم الى بدر والظاهر ان هذا النظم من قوله ومن الناس من يقول الى قوله وقال الذين
 كفروا نازل في المنافقين لما ينظرون من السياق ولقوله (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقاؤهم
 أى صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) بترك الايمان عند البلاء
 فانه لتقرر ما قبله وتأكيده واللام في الفعلين لام قسم أى والله ليعين الله بين الطائفتين
 ويظهر اخلاص المخلصين ونفاق المنافقين فيجازى الفريقين فالخلص الذى لا يتزلزل بما
 يصيبه من الاذى ويصبر في الله حق الصبر ولا يجعل فتنة الناس كعذاب الله والمنافق
 الذى يعيل هكذا وهكذا فان أصابه أذى من الكافرين وافقهم وتابعهم وصدقهم بالله
 عز وجل وان خفقت ریح الاسلام وطلع نصره ولاح فتحه رجع الى الاسلام وزعم انه
 من المسلمين وتغير الاسلوب حيث عبر في الاول بالفعل وفى الثانى باسم الفاعل تفتن لرعاية
 الفاصلة قيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية وباقى السورة مكي قاله
 يحيى بن سلام (وقال الذين كفروا) من أهل مكة كأبي ذبيان وأتباعه (الذين آمنوا)
 اللام لام التبليغ أى قالوا مخاطبين لهم سبق بيانهم في غير موضع أى قالوا لهم (اتبعوا
 سبيلنا) أى اسلكوا طريقنا وادخلوا في ديننا (ولنحمل خطاياكم) أى ان كان اتباع
 سبيلنا خطية تؤخذون بها عند البعث والنشور كما تقولون فلنحمل ذلك عنكم فتؤخذ
 بها دونكم قال مقاتل يعنى قولهم نحن الكفلاء بكل تبعه تصيبكم من الله واللام فى
 لنحمل لام الامر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك وقال الزمخشري الامر بمعنى انظر وقرئ
 بكسر اللام وهو لغة الحجاز ثم رد عليهم بقوله (وما هم بمخلصين من خطاياهم من شئ) من

تعالى وجعل بينهما برزخا وجرا
 أى بين العذب المالح برزخا أى
 حاجزا وهو ليس من الارض
 وجرا مجورا أى مانعا من أن
 يصل أحدهما الى الآخر كقوله
 تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما
 برزخ لا يبغيان فبأى الآراء
 تكذبان وقوله تعالى أمن جعل
 الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا
 وجعل للهارواسى وجعل بين البحرين
 حاجزا أله مع الله بل أكثرهم
 لا يعلمون وقوله تعالى وهو
 الذى خلق من الماء بشرا الآية
 أى خلق الانسان من نطفة
 ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل
 الخلق ذكرا أو أنثى كما يشاء فجعله
 نسا وصرافه في ابتداء أمره
 ولدنسيب ثم يتزوج فيصير صهرا
 ثم يصير له أصفارا وأختان وقرابات
 وكل ذلك من مامهم ولهذا قال
 تعالى وكان ربك قديرا (ويعبدون
 من دون الله ما لا ينفعهم ولا
 يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا
 وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا
 قل ما سألتكم عليه من أجر الا من

شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الخى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذى
 خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا واذ قيل لهم استجدوا للوحن قالوا
 وما الرحمن أن استجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الاصنام التى لا تملك ضرا
 ولا نفعا بلا دليل فادهم الى ذلك ولا حجة أدتهم اليه بل بمجرد الآراء والتشهى والاهواء فهم يوالونهم ويقائلون في سبيلهم ويعادون
 الله ورسوله والمؤمنين فهم ولهذا قال تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا أى عونانى سبيل الشيطان على حزب الله وحزب الله عليهم

الغالبون كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لهم لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون أي آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تمك لهم نصر او هولا الجهلة للاصنام جند محضرون يقاتلون عنهم ويذبون عن حوزتهم ولكن العاقبة والنصرة لله ورسوله وللمؤمنين في الدنيا والآخرة قال مجاهد وكان الكافر على ربه ظهيرا قال يظاها الشيطان على معصية الله ويعينه وقال سعيد بن جبير وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول عوننا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك وقال زيد بن أسلم وكان الكافر على ربه ظهيرا قال واليا ثم قال تعالى لرسوله (١٤٧) صلوات الله وسلامه عليه وما أرسلناك

الامبشرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين مبشرا بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله قبل ما أسألكم عليه من أجر أي على هذا البلاغ وهذا الانذار من أجرة أطلبها من أموالكم وانما أفعل ذلك ابتغاء وجهه الله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم الامن شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا أي طريقا ومسلكا ومنهاجا يقتدى فيها بما حثت به ثم قال تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت أى فى أمورك كلها كن متوكلا على الله الحى الذى لا يموت أبد الذى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم الدائم الباقي السرمدى الابدى الحى القيوم رب كل شئ ومليك اجعله ذرك ومجلك وهو الذى يتوكل عليه ويفزع اليه فانه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وروى ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا

الاولى بيانية والثانية مزيدة للاستغراق أى وما هم بمجاهدين شيئا من خطاياهم التى التزموا بها وضمنوا لهم جملها ثم وصفهم الله سبحانه بالكذب فى هذا التحمل فقال (انهم لكاذبون) فيما ضمنوا به من حمل خطاياهم قال المهدوى هذا التكذيب لهم من الله عز وجل حمل على المعنى لان المعنى ان اتبعتم - ميلنا حملنا خطاياكم فلما كان الامر يرجع فى المعنى الى الخبر أوقع عليه التكذيب كما يوقع على الخبر (وليجملنا انقالهم) أى أوزارهم التى عملوها والتعبير عنها بالانقال للايدان بأنها ذنوب عظيمة (وانقالهم انقالهم) أى أوزارا مع أوزارهم وهى أوزار من أضلوهم وأخرجوهم عن الهدى الى الضلالة ومثله قوله سبحانه ليجملوا وأوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها كما فى حديث أبي هريرة الثابت فى صحيح مسلم وغيره (وليسئلن يوم القيامة) سؤال تفرغ وتوبخ (عما كانوا يفترون) أى يختلفونه من الاكاذب والباطيل التى كانوا يأتون بها فى الدنيا وأضلوهم بها ومن جعلتها هذا الوعد (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) وعمره أربعون سنة أو أكثر وبين آدم ألف سنة أجل سبحانه قصة نوح تصدىيق قوله فى أول السورة ولقد قننا الذين من قبلهم (فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) فيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كانه قيل له ان نوحا لبث هذه المدة الكثيرة يدع قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فصر وما خجرت فانت أولى بالصبر اقله مدة لبثك وكثرة عددا مستك قيل ووقع فى النظم الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة سنة وخمسين لان فى الاستثناء تحقيق العدد بخلاف الثانى فقد يطلق على ما يقرب منه وذكرا لالف انهم وأوصل الى الغرض وجى بالمميز أو لا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد فى كلام واحد تحقيق بالاجتناب فى البلاغة ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايدان بان نبى الله لما استراح منهم بقى فى زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الخدب بالسنة وقد اختلف فى مقدار عمر نوح عليه السلام وليس فى الآية الا أنه لبث فيهم هذه المدة وهى لا تدل على انها جميع عمره فقد لبث فى غيرهم قبل اللبث فيهم وقد تابست فى الارض من بعدهم لا كما هم بالطوفان فقال ابن عباس بعث الله نوحا وهو ابن أربعين سنة ولبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعهم الى الله وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وعن عكرمة قال كان عمر نوح

عبد الله بن محمد بن علي بن نفييل قال قرأت على معقل يعنى بن عبيد الله عن عبد الله بن ابي حسين عن شهر بن حوشب قال لقي سلمان النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض جناح المدينة فمجدله فقال لا تسجد لى يا سلمان واسجد لى الذى لا يموت وهذا مرسل حسن وقوله تعالى وسبح بحمده قرن بين جسده وتسيحه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه اللهم ربنا و محمدك أى اخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاعبده وكنى به بذنوب عباده خبير أى يعلمه التمام الذى فاعبده وتوكل عليه وقال تعالى قل هو الرحمن آمنابه وعليه توكلنا وقوله تعالى وكنى به بذنوب عباده خبير أى يعلمه التمام الذى

لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله تعالى الذي خلق السموات والارض الآية أى هو الخلق الذى لا يموت وهو خالق كل شئ وربّه ومليكه الذى خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع فى ارتفاعها واتساعها والارضين السبع فى سفولها وكثافتها فى ستة أيام ثم استوى على العرش أى يدبر الامر ويقضى الحق وهو خير الفاضلين وقوله ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خيرا أى استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه راقته وقدم علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد (١٤٨) آدم على الاطلاق فى الدنيا والآخرة الذى لا ينطق عن الهوى ان هو

قبل أن يبعث الى قومه وبعد ما بعث ألفا وسبع مائة سنة وعن عوف بن شداد قال ان الله أرسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين وثمانمائة سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين وثمانمائة سنة وقال أبو السعود عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين وأربعين وعن أنس بن مالك قال جاء ملك الموت الى نوح فقال يا طول النبين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل بيتا له يابان فقال فى وسط البيت هنية ثم خرج من الباب الآخر (فأخذهم الطوفان) أى الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا وارتفع على أعلى جبل أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر حتى غرق كل شئ غير من فى السفينة والفاء للتعقيب أى أخذهم عقب تمام المدة المذكورة والطوفان يقال لكل شئ كثير مطيف يجمع محيط بهم من مطر أو قتل أو موت قاله النحاس وقال سعيد بن جبير وقتادة والسدى هو المطر وقال الضحاك الغرق وقيل الموت قال الشهاب ولكنه غلب فى الماء كما هو المراد هنا (وهم ظالمون) أى مستمرون على الظلم والشرك ولم ينجع فيهم ما وعظهم به نوح وذكرهم هذه المدة بطولها (فأنجيناهم وأصحاب السفينة) أى أنجيناهم ونوحا وأنجيناهم معه فى السفينة من أولاده وأتباعه واختلف فى عددهم على أقوال قيل كانوا ثمانمائة وسبعين نفسا وفقهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافت ونسأوهم (وجعلناها) أى السفينة (آية للعالمين) أى عبرة عظيمة لهم ولمن بعدهم من الناس ان عصار سؤلهم وفى كونها آية وجوه أحدها انها كانت باقية على الجودى مدة مديدة كذا قال قتادة وثانيها ان الله سلم السفينة بأن جعلها آية وقيل ان الضمير راجع فى جعلناها الى الواقعة أو القصة أو الحادثة أو الى النجاة أو الى العقوبة بالغرق (وابراهيم) اتصا به بالعطف على نوحا وقال الكسائى هو معطوف على الهامى فى جعلناها وقيل منصوب بمقدراى واذا كرر ابراهيم التنعى وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهم ما و ابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال) منصوب على الظرفية أى وأرسلنا ابراهيم وقت قوله أو جعلنا ابراهيم آية وقت قوله أو اذكر ابراهيم وقت قوله (لقومه اعبدوا الله) أى أطيعوه وأفردوه بالعبادة وخصوه بها ووحده وفيه اشارة الى اثبات الاله (واتقوه) أن تشركوها بشيا وفيه اشارة الى نفي الغير لان من يشرك مع الملك غيره فى ملكه فقد أتى بأعظم الجرائم وقيل اعبدوا الله اشارة الى الايمان

الاولى يوحى فما قاله فهو الحق وما أخبر به فهو الصدق وهو الامام المحكم الذى اذا تنازع الناس فى شئ وجب رد نزاعهم اليه فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كما كنا من كان قال الله تعالى فان تنازعتم فى شئ الآية وقال تعالى وما اختلقتهم فىه من شئ فخكمه الى الله وقال تعالى وتمت لكم ربكم صدقا وعدلا أى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاوامر والنواهي ولهذا قال تعالى فاسأل به خيرا قال مجاهد فى قوله فاسأل به خيرا قال ما أخبرتك من شئ فهو كما أخبرتك وكذا قال ابن جريج وقال شهر بن عطية فى قوله فاسأل به خيرا هذا القرآن خير به ثم قال تعالى منكر اعلى المشركين الذين يسجدون لغير الله من الاصنام والانداد واذا قيل لهم اسجدوا للرحن قالوا وما للرحن أى لانعرف الرحن وكان ينكرون ان يسهوا الله باسمه الرحن كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم

للكاتب اكتب بسم الله الرحن الرحيم فقالوا لانعرف الرحن ولا الرحيم ولكن اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم ولهذا أنزل الله تعالى قل ادعوا الله وأدعوا الرحن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى أى هو الله وهو الرحن وقال فى هذه الآية واذا قيل لهم اسجدوا للرحن قالوا وما للرحن أى لانعرفه ولا تقربيه أنسجد لما تأمر نأى مجرد قولك وزادهم نفورا فاما المؤمنون فانهم يعبدون الله الذى هو الرحن الرحيم ويفردونه بالالهية ويسجدون له وقد اتفق العلماء رجهم الله على ان هذه السجدة التى فى الفرقان مشروع السجود عندها القارئها ومستمعها كما هو مقررى موضعه والله سبحانه

بالواجبات

وتعالى أعلم (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقراميرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر
أو أراد شكورا) يقول تعالى مجدا لنفسه ومعظما على جليل ما خلق في السماء من البروج وهي الكواكب العظام في قول مجاهد
وسعيد بن جبيرة وأبي صالح والحسن وقتادة وقيل هي قصور في السماء للحرس يروى هذا عن علي وابن عباس ومحمد بن كعب وابراهيم
النخعي وسليمان بن مهران الأعشى وهو رواية عن أبي صالح أيضا والقول الأول أظهر لله - م الا ان يكون الكواكب العظام هي
قصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الآية وقوله تعالى تبارك الذي

(١٤٩)

جعل في السماء بروجا وجعل فيها
سراجا وهي الشمس المنيرة التي هي
كلسراج في الوجود كما قال تعالى
وجعلنا سراجا وهاجا وقراميرا أي
مشرقا مضيئا بنور آخر من غير نور
الشمس كما قال تعالى وهو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وقال مخبر عن نوح عليه السلام انه
قال لقومه ألم ترأ كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل القمر
فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ثم
قال تعالى وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفه أي يخلف كل
واحد منهما صاحبه يتعاقبان
لا يفتران اذا ذهب هذا جاء هذا
واذا جاء هذا ذهب ذلك كما قال
تعالى وستخل لكم الشمس والقمر
دائمين الآية وقال يغشى الليل
النهار يطلبه حينئذ الآية وقال
لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر
الآية وقوله تعالى لمن أراد أن يذكر
أو أراد شكورا أي جعلهما
يتعاقبان توقيما لعبادة عباده له
عز وجل فن فاته عمل في الليل
استدركه في النهار ومن فاته عمل

بالواجبات وقوله اتقوه اشارة الى الامتناع من المحرمات ثم يدخل في الاول الاعتراف بالله
وفي الثاني الامتناع من الشرك (ذلكم) أي عبادة الله وتقواه (خير لكم) من الشرك
ولا خير في الشرك أبدا ولكنه خاطبهم باعتبار اعتقادهم وقيل خيرا من كل شيء لان حذف
المفضل عليه يقتضي العموم مع عدم احتياجه الى التأويل اذ المراد بكل شيء كل شيء وفيه
خبرية ويجوز كونه صفة لاسم تنضيل (ان كنتم تعلمون) شيئا من العلم وتعلمون علما
تميزون به بين ما هو خير وما هو شر وان المرسلين ابراهيم ثم ذكرا ابراهيم بطلان مذهبهم
بأبلغ وجه بقوله (انما عبدون من دون الله آثانا) وبين لهم انهم يعبدون ما لا ينفع
ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر والآثان هي الاصنام وقال أبو عبيدة الصنم ما يتخذ من ذهب
أو فضة أو نحاس والوثن ما يتخذ من جص أو سحارة وقال الجوهرى الوثن الصنم والجمع
أو ثان (وتخلفون افكا) أي وتكذبون كذبا على ان معنى تخلفون تكذبون قال الحسن
معنى تخلفون تخفون أي انما تعبدون أو ثانا وانتم تصنعونها وهذا على قراءة الجمهور
بفتح الفوقية يسكون الخاء وضم اللام مضارع خلق وافكا بكسر الهمزة وسكون الفاء
وقرأ على بن أبي طالب وزيد بن علي والسلمي وقتادة بفتح الخاء واللام مشددة والاصل
تخلفون وروى عن زيد بن علي انه قرأ بضم التاء وتشديد اللام مكسورة وقرأ ابن الزبير
وفضيل بن ورقان افكا بفتح الهذفة وكسر الفاء وهو مصدر كالكذب أو صفة لمصدر
محدوف أي خلقا افكا (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) أي
لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق (فايتعوا عند الله الرزق) أي اصرفوا رغبتكم
في أرزاقكم الى الله فهو الذي عنده الرزق كله فاسألوه واطلبوه من فضله (واعبدوه)
أي وحدوه دون غيره (واشكروا له) على نعمائه ذكرهما بعد طلب الرزق لان الاول أي
العبادة سبب لحدوث الرزق والثاني أي الشكر موجب لبقائه وسبب لمزيد عليه يقال
شكرته وشكرت له (اليه) أي الى محل جزائه تعالى (ترجعون) بالموت ثم بالبعث لا الى
غيره فاستعدوا للقاءه بعبادته والشكر له على أنعمه ولما فرغ من بيان التوحيد أتى
بعده بالتهديد وقال (وان تكذبوا فسد كذب أمم من قبلكم) أي وان تكذبوني فقد وقع
ذلك لغيري من قبلكم فهو من قول ابراهيم وقيل هو من قول الله سبحانه أي وان تكذبوا
محمد صلى الله عليه وآله وسلم فذلك عادة الكفار مع من سلف كقوم شيث وادريس ونوح

في النهار استدركه في الليل وقد جاء في الحديث الصحيح ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسيء الليل وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو حمزة عن الحسن ان عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى فقيل له صنعت
اليوم شيئا لم تكن تصنعه فقال انه بقي على من وردى شيئا فاحبت ان آتته أو قال أقضيه وتلاه هذه الآية وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول من فاته شيء من الليل ان يعمله أدركه
بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقال مجاهد وقتادة خلفه أي مختلفين أي هذا

بسواده وهذا بضيائه (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا انصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انهم اساءت مستقرا ومقاما والذين اذا نفقوا لم يسمعوا ولم يبقروا وكان بين ذلك قواما) هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون على الارض هونا أى بسكينته ووقار من غير جراءة ولا استكبار كتبه له تعالى ولا تمس في الارض من حال الآيته فأما هؤلاء فانهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أشرو ولا يطر وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى

(١٥٠)

من صلب وكأتما الارض تطوى له وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتضع حتى روى عن عمر أنه رأى شيبا يمشى رويدا فقال ما بالك أتت مريض قال لا يا أمير المؤمنين فعلاه بالذرة وأمره أن يمشى بقوة وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيت الصلاة فلا تأتوها واتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فاتوا وقال عبيد الله بن المبالغ عن معمر بن عمرو بن المختار عن الحسن البصر في قوله وعباد الرحمن الآية قال ان المؤمنين قوم ذلت منهم والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض وانهم والله لا يسمعون ولا يسمعون من الخوف مالم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن أما والله ما أحرزهم ما أحرز الناس ولا تعاطف في نفوسهم شئ طلبوا به الجنة ولكن أبكاهم

وغيرهم وقيل هذا اعتراض متصل الى قوله عذاب أليم وقع تذكير الاهل مكة وتحذير الهم (وما على الرسول الا البلاغ المدين) لقومه الذين أرسل اليهم وليس عليه هدايتهم وليس ذلك في وسعه ولما بين الله تعالى الاصل الاول وهو التوحيد وأشار الى الثاني وهو الرسالة بقوله ما على الرسول الا ما أوحى اليه في بيان الاصل الثالث وهو الحشر وهذه الاصول الثلاثة لا ينقل بعضها عن بعض في الذكرا الهى فقال (أو لم يروا كيف بيدي الله الخلق ثم يعيده) قرئ بالتخسئة على الخبر قال أبو عبيد كانه قال أو لم يروا كيف بيدي الله الخلق ثم يعيده) الخطاب من ابراهيم لقومه وقيل هو خطاب من الله لقريش وقرئ بيدي من ابدى بيدي ومن بدأ بيدي وقرئ كيف بدأ والمعنى ألم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم ينفخ فيهم الروح ثم يخرجهم الى الدنيا ثم يتوفاهم بعد ذلك ثم هو يعيدهم كما بدأهم وكذلك سائر الحيوانات وسائر النباتات فاذا رأيت قدرة الله سبحانه على الابتداء والايجاد فهو القادر على الاعادة والهزيمة لان تكرار عدم رؤيتهم والواو والعطف على مقدر والمراد بالرؤية العلم الواضح الذي هو كل رؤية والعامل يعلم ان البسء من الله لان الخلق الاول لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله (ان ذلك) اى الخلق الاول والثاني (على الله يسير) لانه اذا أراد امرأ قاله كن فيكون فكيف ينكرون الثاني ثم امر سبحانه ابراهيم ان يأمر قومه بالمسيح في الارض ليتفكروا ويعتبروا فقال (قل) لمنكري البعث (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف الوانهم وطبائعهم وألسنتهم وانظروا الى مساكن القرون الماضية والامم الخالية وآثارهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله فان من قدر على انشاء هابذا بقدر على اعادةها وقيل ان المعنى قل لهم يا محمد سيروا ومعنى قوله (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) ان الله الذى بدأ النشأة الاولى وخلقها على تلك الكيفية ينشئها نشأة ثانية عند البعث اى فكالم يبعد عليه احداثهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاء وهم معيد بعد الموت ثانيا وهذا دليل على انها نشأتان وان كل واحد منهما ما انشاء اى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والجملة عطف على جملة سيروا في الارض داخله معاهي حيز القول قال ابن عباس النشأة الآخرة هى الحياة بعد الموت وهو النشور قرئ النشأة بالقصر وسكون الشين وبالمد وفتح الشين وهما الغتان

كأرفاة

الخوف من النار انه من لم يعز بهما الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير الله نعمة الا في

مطعم أو في مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اذ اسفاه عليهم الجاهل بالقول السى لم يقابلوهم عليه بمثل بل يعفون ويصفحون ولا يقولون الا خيرا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لا يزيد شدة الجاهل عليه الاحكام وكما قال تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآية وروى الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الاعشى عن أبي خالد الوالى عن النعمان بن مقرن المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسب رجل رجلا عنده فجعل المسبوب يقول

عليك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن ملكا ينيك يذب عنك كلما شئت هذا قال له بل أنت وأنت أحق به وإذا قلت له وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به أسد مائة حسن ولم يخزجوه وقال مجاهد قالوا وسلاما يعني قالوا سدا وقال سعيد ابن جبير ردا معروفا من القول وقال الحسن البصري قالوا وسلام عليكم ان جهل عليهم حلوا ايضا حبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ثم ذكر ان لي لهم شيريل فقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أي في طاعته وعبادته كما قال تعالى كانوا قديلا من الليل ما يجمعون وبالاستحارهم يستغفرون وقوله تجب في جنوبهم عن (101) المضاجع الآية وقال تعالى أمن

هو فانت آناه الليل ساجدا وقاما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه الآية ولهذا قال تعالى والذين يقولون ربنا صرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما أي ملازما دائما كما قال الشاعر

ان يعذب يكن غراما وان يعسط جز يلافانه لا يبالى

ولهذا قال الحسن في قوله ان عذابها كان غراما كل شيء يصيب ابن آدم ويترول عنه فليس بغرام وانما الغرام اللازم مادامت الارض والسموات وكذا قال سليمان التيمي

وقال محمد بن كعب ان عذابها كان غراما يعني ما نعموا في الدنيا ان الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها اليه فأغرهمهم فأدخلهم النار انها ساءت مستقرا ومقاما أي بسئت المنزل منظرا وبئس المتبيل مقاما وقال ابن أبي حاتم عند قوله انها ساءت مستقرا ومقاما حدثنا أبي حدثنا الحسن ابن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مالك بن الحارث قال اذا طرح الرجل في النار هو

كالرافة والرافة وهي منتصبة على المصدرية بخذف الزوائد والاصل الانشاء او على حذف العامل أي ينشئ فينشئ انشاء (ان الله على كل شيء قدير) والجملة تعليل لما قبلها (يعذب من يشاء) تعذيبه بعد النشأة الاخرة بالخذلان وهم الكفار والعصاة (ويرحم) بالهداية (من يشاء) رحمة وهم المؤمنون به المصدقون لرسله العاملين بأوامره ونواهيه والمعنى يعذب بالحرص ويرحم بالقناعة وبسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمقتضى البسوع وبملازمة السنة وقدم التعذيب في الذكرك على الرحمة مع ان رحمة سابقة لان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب أو لانسج ذكرك مستقيم (واليه) لالاي غيره (تقلبون) أي ترجعون وتردون (وما انتم) الخطاب لبني آدم وهم من أهل الارض وليس في وسعهم الهرب في السماء لكن المقصود امتناع القوات على جميع الاحوال (بمجزين) ربكم عن افراكم (في الارض) النفسية (ولا في السماء) التي هي افسح منها قال الفراء ولا من في السماء بمجزين الله فيها قال وهو كافي قول حسان

فمن يجور رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أي ومن يمدحه وينصره سواء ومثله قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم أي الامن له مقام معلوم والمعنى انه لا يعجزه سبحانه اهل الارض في الارض ولا اهل السماء في السماء ان عصوه وقال قطوب ان معنى الآية ولا في السماء لو كنتم فيها كما تقول لا يفتوني فلان ههنا ولا بالبصرة يعني ولا بالبصرة لوصار اليها وقال المبرد المعنى ولا من في السماء على ان من ليست موصولة بل نكرة وفي السماء صفة لها فاقترنت مقام الموصوف وردده الاخفش ورجح ما قاله قطرب والمقصود بيان امتناع القوات على جميع التقادير ~~ممكن~~ كان او مستحيلا وهذا ان حلت الارض والسماء على المشهور ومن معناهما ويجوز أن يزداد بهما جهة السفلى وجهة العلو وقال هنا في الارض ولا في السماء واقتصر في شوري على الارض لان ما هنا خطاب لقوم فيهم التزود الذي حاول الصعود الى السماء وقد حذفنا معا للاختصار في قوله في الزمر وما هم بمجزين (وما لكم من دون الله) أي غيره (من ولي ولا نصير) من مزيدة للتأكيد أي ليس له ولي يواليه ولا نصير ينصره ويدفع عنه عذاب الله (والذين كفروا بآيات الله) أي التزيلية او التكوينية اوجيهما (ولقائه) أي

فيها فاذا انتهى الى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تتخف قال فيسقي كاسا من سيم الاساود والعقارب قال فيميز الخلد على حدة والشعر على حدة والعصب على حدة والعروق على حدة وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال انه في النار لجا بابها حبات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدم فاذا قذف بهم في النار خرجت اليهم من أوطانها فأخذت بشفاهم وأبشارهم وأشعارهم فكشطت لحومهم الى أقدانهم فاذا وجدت حر النار رجعت وقال الامام احمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سلام يعني بن مسكين عن أبي طلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عبدني جهنم لينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل جبريل اذهب ائتني بعبدى هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين فيكون فيرجع الى ربه عز وجل فيخبره فيقول الله عز وجل ائتني به فانه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيالك فيقول يا رب شرمكان وشرمقيل فيقول الله عز وجل ردوا عبدى فيقول يا رب ما كنت أرجو اذا خرجتني منها ان تردني فيها فيقول الله عز وجل دعوا عبدى وقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم

(١٥٢)

الحاجة ولا ينجلاء عن أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم بل عدلا خيارا وخيرا الامور أوسطها لا هذا ولا هذا وكان بين ذلك قواما كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآتية وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبي عمير القسائي عن ضمرة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فقه الرجل قصده في معيشته ولم يخرجوه وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا مسكين بن عبد العزيز العبدى حدثنا ابراهيم الهجرى عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد لم يخرجوه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا ابراهيم بن محمد بن محمد بن ميمون حدثنا سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب عن بلال يعنى العيسى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحسن القصد

انكروا البعث وما بعده ولم يعملوا بما أخبرتهم به رسل الله سبحانه والاشارة بقوله (اولئك) الى الكافرين بالآيات واللقاء (يتسوا من رحمتي) في الدنيا ولم ينجع فيهم من انزل من كتب الله ولا ما أخبرتهم به رسله وقيل المعنى انهم يأسون يوم القيامة من رحمة الله وهى الجنة وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه وازداد الرجاء الى نفسه ولم يصف العذاب اليها سبق رحمة واعلاما لعباده بعمومها لهم (واولئك لهم عذاب اليم) تكرر بالاشارة للتأكيد ووصف العذاب بكونه أليما للدلالة على انه في غاية الشدة وهذا آخر الآيات في تذكرة أهل مكة وقوله (فما كان جواب قومه الا ان قالوا) رجوع الى خطاب ابراهيم بعد الاعتراض بما تقدم من خطاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قول من قال ان قوله قل سيروا في الارض خطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واما على قول من قال انه خطاب لابراهيم عليه السلام فالكلام في سياقه سابقا لاحقا اى قال بعضهم لبعض عند المشاورة بينهم لاجتبيواعن براهينه الثلاثة الدالة على الاصول وهى التوحيد والنبوة والحشر وفعلا بابراهيم احد الامرين (اقتلوه) بالسيف او نحوه فقتل بجوارحه عاجلا (او حره) بالنار فاما ان يرجع الى دينكم اذا وجعته النار واما ان يموت بها اذا اصصر على قوله ودينه وانما اجابوا بذلك لعدم قدرتهم على الجواب الصحيح ثم اتفقوا على تحريقه فقتلوه في النار (فأتجاه الله من النار) بأن جعلها عليه بردا وسلاما قبل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار وذلك لذهاب حرها (ان في ذلك) اى في انجاء الله لابراهيم بعد القائه في النار (لايات) اى دلالات واضحة وعلامات ظاهرة على عظيم قدرة الله وبديع صنعته حيث أضر موت تلك النار العظيمة وألقوه فيها ولم تحرقه ولا اثرت فيها اثر ابل صارت الى حالة مخالفة لما هو شأن عنصرها من الحرارة والاحراق قال المحلى هى عدم تأثيرها فيه واجتادها وانشائها ووض مكانها في زمن يسير انتهى اى مقدار طرفه عين بحيث انهم لم يؤذوه ولكن احرقت وثاقه ليحل (لقوم يؤمنون) اى يصدقون بتوحيد الله وقدرته وانما خص المؤمنون لانهم الذين يعتبرون بآيات الله سبحانه وينتفعون بها واما من عداهم فهم عن ذلك غافلون (وقال) ابراهيم لقومه بعد الانجاء من النار ولم يحصل له منهم رعب ولا مهابة (انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم) اى للتودد بينكم والتواصل لاجتماعكم على عبادتها وللخشية من ذهاب المودة فيما بينكم ان تركتم عبادتها فربى برفع

في الغنى وما أحسن القصد في الفقر وما أحسن القصد في العبادة ثم قال لانعرفه يروى الامن حديث حذيفة مودة

رضى الله عنه وقال الحسن البصرى ليس في النفقة في سبيل الله سرف وقال اياس بن معاوية ما جازت به امر الله تعالى فهو سرف وقال غيره السرف النفقة في معصية الله عز وجل (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقأنا ما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية

حدثنا الاعمش عن شقيق بن عبد الله هو ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك قال عبد الله وأنزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية وهكذابوا النساء عن هناد بن السرى عن أبي معاوية به وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الاعمش ومنصور زاد البخارى وواصل ثلاثتهم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود به فأنه أعلم ولفظه ما

(١٥٣)

الذنب أعظم الحديث طريق غريب وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي حدثنا عامر بن مدرك حدثنا السرى عن ابن اسمعيل حدثنا الشعبي عن مسروق قال قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فجلس على نثر من الأرض وقعدت أسفل منه ووجهي حياض ركبتيه وانعمت خلوته وقلت يا أيها الرسول الله أي الذنب أكبر قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم قال ان تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك قلت ثم قال ان تزاني حليلة جارك ثم قرأ والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية وقال النساءى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الا انما هي أربع فإنا بأشع عليهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركون بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق

مودعة واضافتها الى بينكم وبالنصب منونة ونصب بينكم على الظرفية (في الحياة الدنيا) اي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة (في يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) اي يكفر بعض هؤلاء المتخذين للوثان العابدين لها بالبعض الآخر منهم في تبرأ القادة من الاتباع والاتباع من القادة وقيل المعنى تبرأ العابدون للوثان من الاوثان والاوثان من العابدين لها يقولون لانعرفكم (ويبلغ بعضكم بعضا) اي كل فريق الآخر على التفسيرين المذكورين (وما اواكم النار) اي ماوى الكفار جميعا وقيل يدخل في ذلك الاوثان (وما لكم من ناصرين) اي لصوصكم منها بنصرتهم لكم (فان من له) اي لبراهيم (لوط) فصدقه في جميع ما جاء به وقيل انه لم يؤمن به الا حين رأى النار لا تحرقه وكان لوط ابن أخي ابراهيم هاران وقيل ابن أخته والاول أولى قال ابن عباس آمن أي صدق برسالته (وقال انى مهاجر الى ربى) قال التخمي وقادة الذى قال انى مهاجر هو ابراهيم قيل هو أول من هاجر الى الله وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة وقال قتادة هاجر من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهى بركة الشام ثم الى الشام ومعه ابن أخيه لوط وامرأة سارة وقد تزوجها ومن ثم قالوا الكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان والمعنى انى مهاجر عن دار قومي الى حيث أعبد ربى عن أنس قال أول من هاجر من المسلمين الى الحبشة بآله عثمان بن عفان فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من هاجر الى الله بأهله بعد لوط أخرجه أبو يعلى وابن مردويه عن أسماء بنت أبي بكر قالت هاجر عثمان الى الحبشة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه أول من هاجر بعد ابراهيم ولوط أخرجه ابن منده وابن عساکر وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان بين عثمان وبين رقية وبين لوط مهاجر أخرجه الطبرانى والحاكم فى السكنى وابن عساکر (انه هو العزيز الحكيم) أي الغالب الذى أفعاله جارية على مقتضى الحكمة وقيل ان القائل انى مهاجر الى ربى هو لوط والاول أولى رجوع الضمير فى قوله (وهبنا له اسحق ويعقوب)

الى ابراهيم وكذا الضمير فى قوله (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناها أجره فى الدنيا) فان هذه الضمائر كلها لبراهيم بلا خلاف يعنى من الله عليه بالاولاد فوهب له بعد اسمعيل بأربع عشرة سنة اسحق ولد له ويعقوب ولد الولد اسحق وقول ابن عباس هما

(٢٠ - فتح البيان سابع) ولا تزنا ولا تسرقوا وقال الامام أحمد حدثنا علي بن المدينى رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعيد الانصارى سمعت أبا طيبة الكلاعى سمعت المقداد بن الاسود رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه ما تقولون فى الزنا قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه لان ربى الرجل بعشر نسوة أسير عليه من أن يربى بأمرأة جاره قال فما تقولون فى السرقة قالوا حرمها الله ورسوله فهى حرام قال لان يسرق الرجل من عشرة آيات أسير عليه من أن يسرق من جاره وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا

بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من
نظفة وضعا رجل في رحم لا يحل له وقال ابن جرير أخرجني يعلى عن سعيد بن جبيرة سمع ابن عباس يحدث أن ناسا من أهل الشرك
قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثر وأثم أتوا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو الله لحسن لو تخبرنا ان لنا كفارة فنزلت
والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا
ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن عمرو بن أبي (١٥٤) فاختة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ان الله ينهالك ان تعبد

المخلوق وتدع الخالق وينهالك أن
تقتل ولدك وتغزو كلبك وينهالك
أن ترني ببلد جارك قال سفيان
وهو قوله والذين لا يدعون مع الله
الها آخر الآية وقوله تعالى ومن
يفعل ذلك يلقأنا ما روى عن عبد
الله بن عمرو انه قال أنما واد في جهنم
وقال عكرمة يلقأنا ما أودية في
جهنم يعذب فيها الزناة وكذا روى
عن سعيد بن جبيرة ومجاهد
وقال قتادة يلقأنا ما نكالا كما
نحدث انه واد في جهنم وقد ذكر لنا
ان لقمان كان يقول يا بني ابالك
والزناة اوله مخافة وآخرة دامة
وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن
جرير وغيره عن أبي امامة الباهلي
موقوفا ومر فوعان غيا وأنما بئران
في قعر جهنم أجازنا الله منها بمنته
وكرمه وقال السدي يلقأنا ما جزاء
وهذا أشبه بظاهر الآية وبهذا فسره
بما بعده مبدل منه وهو قوله تعالى
يضاعف له العذاب يوم القيامة
أي يكرر عليه ويغلظ ويحذف فيه
مهنا أي يحقر اذله لا وقوله تعالى
الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا
أي حراؤه على ما فعل من هذه

ولد ابراهيم لعله يريد ولده وولد ولده لان ولد الولد بمنزلة الولد ومثله هذا لا يخفى على مثل ابن
عباس وهو جبر الامة وهذه عنه من رواية العوفي وفي الصحيحين ان الكرم ابن الكرم
ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وجعل في ذريته النسوة فلم
يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الامن صلبه ونسله ووجد الكتاب لان الانف واللام فيه للجنس
الشامل للكتب والمراد التوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعنى آباء الاجر في الدنيا انه
أعطى فيها الاولاد في غير أوانه وأخبر الله باستمرار النسوة فيهم وذلك مما تقر به عينه ويزداد
به سرور وقيل أجره في الدنيا ان أهل الملل كلها تدعيه ويقول هو منهم ويثنون عليه الثناء
الحسن ويذكره أهل الاسلام في آخر كل تشهد الى آخر الدهر وقيل أعطاه في الدنيا عملا
صالحا وعاقبة حسنة وفيه دليل على ان الله تعالى قد يعطي الاجر في الدنيا وعن ابن
عباس قال ان الله وصى أهل الاديان بدينه فليس من أهل الاديان دين الا وهم يقولون
ابراهيم ويرضون به وقال أجر الدنيا الذكر الحسن وقال أيضا الولد الصالح والثناء روانه
في الآخر قلن الصالحين أي الكاملين في الصلاح المستحقين لتوفير الاجرة وكثرة العطاء
والقوز بالدرجات العلى من الرب سبحانه (و) اذ كر (لوطا) وقال الكسائي المعنى وأنجينا لوطا
أو أرسلنا لوطا (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أي اخلصه المتساهية في القبح وهي
اللواطه قرئ بالاستفهام وبغيره (ما سبقكم به من أحد من العالمين) الانس والجن
مستأنفة مقررة لئلا يكال قبح هذه الخصلة وانهم منفردون بذلك لم يسبق الى عملها أحد من
الناس على اختلافا اجناسهم قيل لم يزد ذكر على ذلك قبل قوم لوط من حيث انها مما
اشمزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى قدموا عليها خبث طينتهم وهذه الآية
دالة على وجوب الحد في اللواط لانها اشتركت مع الزنا في كونها فاحشة وقد قال تعالى
ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة وهذا وان كان قياسا الا ان الجامع مستفاد من الآية قاله
الرازي ثم بين سبحانه هذه الفاحشة فقال (أتتكم لتأتون الرجال) أي تلوطون بهم
(وتقطعون السبل) قيل انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن عبر بهم من المسافرين فلما فعلوا
ذلك ترك الناس المرور بهم فقطعوا السبل بهذا السبب قال القراء كانوا يعترضون الناس
في الطرق بعملمهم الخبيث وقيل كانوا يقطعون الطريق على المارة بقتلهم ومنهم
والظاهر انهم كانوا يفعلون ما يكون سببا لقطع الطريق من غير تقييد بسبب خاص

الصنات القبيحة ما ذكر الامن تاب أي في الدنيا الى الله عز وجل من جميع ذلك فان الله يتوب عليه
وفي ذلك دلالة على صحة توبه القاتل ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء ومن يقتل ومنامت عمدا الآية فان هذه وان كانت
مدينة الا انها مطلقة فعمل على من لم يتب لان هذه مقيدة بالتوبة ثم قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية وقد ثبتت السنة
الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجهة توبه القاتل كما ذكره مقرر من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب فقبل الله توبته
وغير ذلك من الاحاديث وقوله تعالى فأولئك يدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيفا في معنى قوله يسئل الله

وقيل

سياتهم حسنة قولان أحدهما أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فابدلهم مكان السيئات الحسنات وروى عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية وبدلن بجره خريفا * وبعد طول النفس الوجيفا يعني تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها وقال عطاء بن أبي رباح هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيرا وقال سعيد بن جبيرة أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن وأبدلهم (١٥٥) بقتال المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بنكاح

المشركات نكاح المؤمنات وقال الحسن البصري أبدلهم بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك الاخلاص وأبدلهم بالفجور احصانا وبالكفر اسلاما وهذا قول أبي العالبيدة وقتادة وجماعة أخرى والقول الثاني ان تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنة وما ذلك الا انه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وان وجدته مكتوبا عليه فانه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار النبوية عن السلف رضی الله عنهم (١) فعن

وقيل ان معنى قطع الطريق قطع النسل بالعدول عن النساء الى الرجال (وتأوتون في ناديكم المنكر) النادي والندي والمنتدي مجلس القوم ومتحدثهم ولا يقال للمجاس ناد الامام فيه أهله واختلف في المنكر الذي كانوا يأوتونه فيه فتميل كانوا يخذفون الناس بالخصاء ويستخفون بالغريب وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية قال كانوا يجلسون بالطريق فيخذفون أبناء السبيل ويستخرون منهم أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وقال لانعرفه الا من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك وأخرج ابن مردويه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الخذف وهو قول الله سبحانه وتأوتون في ناديكم المنكر وعن ابن عمر قال في الآية هو الخذف وعن ابن عباس مثله وقيل كانوا يضارطون في مجالسهم فالتسه عائشة وقيل كانوا يأوتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقيل كانوا يلعبون بالحمام وقيل كانوا يناقرون بين الديكة ويناطحون بين الكباش وقيل يترق بعضهم على بعض ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون المصبغات وكان من أخذ لاقههم مضغ العلك وتطربف الاصابع بالخناء وحمل الازار والصفير ولا مانع من انهم كانوا يفعلون جميع هذه المنكرات قال الزجاج في هذا الكلام انه لا ينبغي ان يتعاشر الناس على المنكر وان لا يجتمعوا على الهزء والمناهي وما أنكر لوط عليهم ما كانوا يفعلون أجابوا بما حكى

الله عنهم بقوله (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أي فاجابوا بشيء الا بهذا القول رجوعا منهم الى التكذيب والجاج والعناد وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقد تقدم في سورة النمل فاما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم وقد تقدم في الاعراف فاما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوه من قريبتكم وقد جمع بين هذه الثلاثة المواضع بأن لوطا كان تابعا على الارشاد ومكررا للنهي لهم والوعيد عليهم فقالوا له أولا اتنا بعذاب الله كما في هذه الآية فلما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا أخرجوه من قريبتكم وقيل انهم قالوا أولا أخرجوه من قريبتكم ثم قالوا تابعا اتنا بعذاب الله ثم ان لوطا المائس منهم طلب

النصرة عليهم من الله سبحانه و (قال رب انصرني على القوم المفسدين) ينزال مذابك عليهم وتحقق قولي ان العذاب نازل بهم وفسادهم هو ما سبق من اتيان الرجال وعمل

فيقول يا رب عملت أشياء لا أراها ههنا قال فضحك رسول صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه انفرده باخراجه مسلما وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن يزيد حدثنا محمد بن اسمعيل حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان اعطني صحيفةك فعطيه اياها فها وجد في صحيفته من حسنة محاسبها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنة فاذا أراد احدكم ان ينام فليكب ثلثا وثلاثين (١) قوله فعن أبي ذر الخفي بعض النسخ زيادة السند بما لفظه قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر الخفي ٥٥

كلها ولم يترك حاجة ولا داجة له فهل له من توبة فقال أسلمت فقال نعم قال فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات
 كلها قال وغدراني وخراني قال نعم قال فما زال يكسبح حتى توارى ورواه الطبراني من طريق أبي فروة الهاوي عن ياسين
 الزيات عن أبي سلمة الجصبي عن يحيى بن جابر عن سلمة بن نفيل مرفوعا وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا
 عيسى بن شعيب بن ثوبان عن فليح بن عبيد بن أبي عميد الشمس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءتني امرأة فقالت
 هل لي من توبة اني زينت وولدت وقتلته فقلت لا ولا نعمت العيين ولا كرامة فقامت وهي تدعو

بالحسرة ثم صليت مع النبي صلى
 الله عليه وسلم الصبح فقصصت عليه
 ما قالت المرأة وما قلت لها فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما
 قلت أما كنت تقرأ هذه الآية
 والذين لا يدعون مع الله الها آخرا الى
 قوله الامن تاب الآية فقرأتها عليها
 فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي
 جعل لي مخرجا هذا حديث غريب
 من هذا الوجه وفي رجاله من لا يعرف
 والله أعلم وقد رواه ابن جرير من
 حديث ابراهيم بن المنذر الخراساني
 بسنده بنحوه وعندده فخرت
 تدعو بالحسرة وتقول يا حسرتنا
 اخلق هذا الحسن للنار وعندده انه
 لما رجع من عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تطلبها في جميع دور المدينة
 فلم يجدها فلما كان من الليلة
 المقبلة جاءته فأخبرها بما قال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي
 جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت
 وأعتقدت جارية كانت معها وابنتها
 وتابت الى الله عز وجل ثم قال تعالى
 مخبرا عن عموم رحمة بعباده وانه
 من تاب اليه منهم تاب عليه من أي

العذاب بالرجز لانه يعلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس أي اضطرب قرأ ابن عباس
 منزلون بالتشديد وقرى بالتخفيف (عما كانوا ينسبون) أي بسبب فسقهم (ولقد تر كآمنها
 آية بيّنة) أي أبقينا من القرية علامة ودلالة بيّنة وهي الآثار التي بها من الحجارة التي
 رجوا بها حتى أدركها أوائل هذه الامه وخراب الديار و آثارنازلهم الخربة وقال
 مجاهد هو الماء الأسود الباقي على وجهه أرضهم ولا مانع من حمل الآية على جميع ما ذكر
 (القوم) متعلق بتلك الآية أو بيّنة وهو أظهر (يعقلون) أي يتدبرون الآيات تدبر ذوي
 العقول ورخص من به قل لانه الذي يفهم ان تلك الآثار عبارة بعبرها من يراها (والى
 مدين) هو اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى الاول المعنى وأرسلنا الى مدين وأولاده
 وعلى الثاني أرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا) قد تقدم ذكره و ذكر نسبه و ذكر قومه في
 سورة الاعراف وسورة هود واضيف شعيب هنا اليهم بخلافه في قصة نوح و ابراهيم ولوط
 حيث ذكر قوم مؤخر اعنيهم معر فبالاضافة الى ضمير كل واحد منهم لان الاصل في جميع
 المواضع ان يذ كر القوم ثم يذ كر رسولهم لان الله لا يعث رسولا الى غير معين غير ان قوم
 نوح و ابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فمرفوعا بالاضافة
 لتبهم فقبل قوم نوح وقوم لوط وقوم ابراهيم وأما قوم شعيب وهو وصالح فكان لهم
 نسب معلوم اشتهر وابه عند الناس فخرى الكلام على أصله فقال والى مدين أخاهم شعيبا
 والى عاد أخاهم هو واذ ذكره الرازي (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي أفرده بالعبادة وخصوه
 بهم ليد كر عن لوط انه أمر قومه بالعبادة والتوحيد و ذكر عن غيره ذلك لان لوطا كان في
 زمن ابراهيم و ابراهيم سبقه بذلك حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند الخلق وانما ذكر عنه
 ما اختص به من النهي عن الفاحشة وأما غيره فجاوفا في زمن غيره شتهر بالتوحيد فامروا
 به (وارجوا اليوم الآخر) أي توقعوه وافعلوا اليوم من الاعمال ما يدفع عذابه عنكم
 قال يونس النحوى معناه اخشوا الآخرة التي فيها الجزاء على الاعمال وخافوه (ولا تعسوا
 في الارض مفسدين) حال مؤكدة لعاملها والعنوا العنى أشد الفساد وقد تقدم
 تفسيره (فكذبوه) والتكذيب راجع الى الاخبارات الضمنية كأنه قال الله واحد
 فاعبده واحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه فلا يقال انه لا يكذب الامر ولا
 الناهي وانما يكذب الخبر (فاخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة وكذا في الاعراف

ذنب كان جليلا أو حقيرا أو صغيرا فقال تعالى ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا أي فان الله يقبل توبته كما قال تعالى
 ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية وقال تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده الآية وقال تعالى قل يا عبادي الذين
 أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية لمن تاب اليه (والذين لا يشهدون الزور واذأمروا بالاعتماد وكراموا الذين
 اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها اصما وعميانا الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا نكافرنا آعين واجعلنا للمتقين اماما)
 هذه أيضا من صفات عباد الرحمن انهم لا يشهدون الزور قيل هو الشرك وعبادة الاصنام وقيل الكذب والنسق والكفر واللغو

والباطل وقال محمد بن الحنفية هو اللغو والغناء وقال ابو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم هو أعياد
المشركين وقال عمرو بن قيس هي مجالس السوء وانحنا وقال مالك عن الزهري شرب الخمر لا يحضره ولا يرغبون فيه كما جاء في
الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مأثمة يدار عليها الخمر وقيل المراد بقوله تعالى لا يشهدون الزور أى شهادة
الزور وهى الكذب متعمدا على غيره كما فى الصحيحين عن أبى بكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أتيتكم بأكبر الكبائر ثلاثا
قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك بالله وعقوق (١٥٨) الوالدين وكان متكئا جالس فقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فقال

وقال فى سورة هود الصيحة والقصة واحدة قال ابن عباس أى صيحة جبريل وهى سبب
الرجفة فرجفت الارض من صيحته والقلوب رجفت بها والاضافة الى السبب لانتساق
الاضافة الى سبب السبب (فاصبحوا فى دارهم) أى فى بلدتهم وأرضهم أو منازلهم (جائعين)
أى باركين على الركبتين (وعادا وعود) بالصرف وتركه بمعنى الخى والقبيلة قال
الكسائى قال بعضهم هو راجع الى أول الورد أى ولقد دقتنا الذين من قبلهم وقتنا عادا
وعودا قال وأحب الى أن يكون معطوفا على فاختتمهم الرجفة أى وأخذت عادا وعودا
وقال الزجاج التقدير وأهلكنا عادا وعودا وقيل المعنى اذ كر عادا وعودا اذ أرسلنا اليهم هودا
وصالحا (وقد تبين) أى ظهر (لكم) يامعشر الكفار ويا أهل مكة (من مساكنهم) أى
منازلهم الكائنة بالخمر والاحقاف واليه آيات بينات تتعظون بها وتتفكرون فيها وكانوا
يمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التى يعملونها من
الكفر ومعاصى الله (فصددهم) بهذا التزيين (عن السبيل) أى الطريق الواضح الموصل
الى الحق (وكانوا مستبصرين) بواسطة الرسل يعنى لم يكن لهم فى ذلك عذر لان الرسل
أوضحوا السبيل قاله الرازى وقيل مستبصرين فى الضلالة قاله ابن عباس أى أهل
بصائر يتمكنون بها من معرفة الحق بالاستدلال لكنهم لم يفعلوا وقال القراء كانوا عتقاء
أبناء ذوى بصائر فى أمور الدنيا فلم ينفعهم بصائرهم وقيل المعنى كانوا مستبصرين فى
كفرهم وضلالتهم معجبين بها يحسبون أنهم على هدى ويرون أن أمرهم حق فوصفهم
بالاستبصار على هذا باعتبار ما عند أنفسهم أو متبينين أن العذاب للاحق لهم باخبار الرسل
لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) قال الكسائى ان شئت كان
معطوفا على عاد وكان فيه ما فيه وان شئت كان على فصددهم عن السبيل أى وصد
قارون الخ وقيل التقدير وأهلكنا هؤلاء بعد ان جاءتهم الرسل وقدم قارون على فرعون
لشرف نسبه بقرايته من موسى لكونه ابن عمه وهامان هو وزير فرعون (ولقد جاءهم
موسى بالبينات) أى بالحجج الظاهرات والدلالات الواضحات الباهرات (فاستكبروا فى
الارض) عن عبادة الله (وما كانوا سابقين) أى فائتين عذابنا فارين منه يقال سبق طالبه
اذا فاته وقيل سابقين فى الكفر بل قد سبقهم اليه قرون كثيرة (فكلا) من المذكورين
(أخذنا بندين) أى عاقبنا بسبب كفره وتكذيبه قال الكسائى أى فآخذنا كلا بندين

يكبرها حتى قلنا ميتة سكت والاظهر
من السياق ان المراد لا يشهدون
الزور أى لا يحضره ولهذا قال
تعالى واذا مروا باللغو مروا
كراما أى لا يحضرون الزور واذا
اتفق مروا بهم به مروا ولم يتدنسوا
منه بشئ ولهذا قال مروا كراما وقال
ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج
حدثنا ابو الحسن العجلي عن محمد
ابن مسلم أخبرنى ابراهيم بن ميسرة
ان ابن مسعود مر به وهو معرض فلم
يقف فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد أصبح ابن مسعودوا مسمى
كريمنا ثم تلا ابراهيم بن ميسرة واذا
مروا باللغو مروا كراما وقوله تعالى
والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم
يجروا عليها صما وعميانا وهذه أيضا
من صفات المؤمنين الذين اذا
ذكروا الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم
يتوكلون بخلاف الكافر فانه اذا
سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير
عما كان عليه بل يبقى مستورا على
كفره وطغيانه وجهله وضلاله كما
قال تعالى واذا ما أنزلت سورة فأنهم
من يقول أى يكفرون هذه ايمانا فاما

الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فقوله لم يجروا
عليها صما وعميانا أى بخلاف الكافر اذا سمع آيات الله لا تؤثر فيه فاستمر على حاله كان لم يسمعها أصم أعمى قال مجاهد قوله لم يجروا
عليها صما وعميانا قال لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئا قال الحسن البصرى رضى الله عنه كم من رجل يقرؤها ويحرفها ويحرفها على أصم
أعمى وقال قتادة قوله تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يجروا عليها صما وعميانا يقول لم يسمعوا عن الحق ولم يعموا فيه فهم والله قوم
عقلوا عن الله واتقوا بما سمعوا من كتابه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا عبد الله بن جرير عن ابن عون قال

سألت الشعبي قلت الرجل يرى القوم سجودا ولم يسمع ما سجدوا أو يسجد معهم قال فتلا هذه الآية يعني أنه لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر آية السجدة ولا ينبغي لله ومن أن يكون امعة الاعلى بصيرة في أمره و يقين واضح بين وقوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وزرياتنا قرة أعين يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له قال ابن عباس يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة قال عكرمة لم يريدوا بذلك صباحة ولا جلا ولا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال ان يرى الله (١٥٩) العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن جميعه

طاعة الله لا والله لا شيء أقر لعين المسلم ان يرى ولدا أو ولدا أو ولد ولدا وأخا أو جميعا طيعا لله عز وجل قال ابن جرير في الآية في قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك فيحسبون عبادتك ولا يجرون علينا الخرائر وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني يسألون الله الله تعالى لازواجهم وذرياتهم ان يهديهم للإسلام وقال الامام أحمد حدثنا معمر بن بشر حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال جالسنا الى المقداد بن الاسود يوما فربه رجل فقال طوبى لها تين العينين اللتين رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددنا انارأينا مارأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب المقداد فجعلت أعجب لأنه ما قال الا خيرا ثم أقبل اليه فقال ما يحمل الرجل على أن يتمي محضرا غيبه الله عنه لا يدرى لو شهدته كيف كان يكون فيه والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه أو لا تحمدون الله اذا نحر جكم الله من بطون أمهاتكم لان تعرفون الاربكم مصدقين بما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء لغيركم لقد بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم على أشرف حال بعث عليها نبيامن الانبياء في فترة جاهلية ما يرون ان ديننا أفضل من عبادة الاوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده ان كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافر وقد فتح الله قفل قلبه للايمان يعلم انه ان هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه في النار وانها التي قال الله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وهذا اسناد صحيح ولم يخرجوه وقوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما قال ابن عباس والحسن والسدي

وفيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أي ريحا تأتي بالخصباء وهي الحصى الصغار فتحرقهم بها وهم قوم لوط قاله ابن عباس (وممنهم من أخذته الصيحة) وهو ثمود وأهل مدين قاله ابن عباس (وممنهم من خسفنا به الارض) وهو قارون وأصحابه قاله ابن عباس (وممنهم من أغرقنا) وهم قوم نوح وفرعون قاله ابن عباس (وما كان الله ليظلمهم) بما فعل بهم فيعذبهم بغير ذنب لانه قد أرسل اليهم رسوله وأنزل اليهم كتبه (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) باستمرارهم على الكفر وتكذيبهم للرسول وعلمهم بمعاصي الله وارتكابهم الذنوب (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يوالونهم ويتكلمون عليهم في حاجاتهم من دون الله سواء كانوا من الجناد والحيوان ومن الاحياء أو من الاموات (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان يتها في غاية الضعف والوهن لا يغني عنها شيئا لا في حر ولا في قرو ولا مطر كذلك ما اتخذوه وليا من دون الله فانه لا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ولا يغني عنهم شيئا شبه حال من اتخذ الاصنام والاثوان والاحبار والرهبان أولياء وعبدوا واعتمد عليها راجيا لذنوبها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتا لا يغني عنها في مطر ولا في آذى قال الفراء هو مثل ضرب به الله لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره كما ان بيت العنكبوت لا يقمها حر او لبرد ا قال ولا يحسن الوقف على العنكبوت لانه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقمها من شئ شبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر به وقد جوز الوقف على العنكبوت الاخفش وغلطه ابن الانباري قال لان اتخذ صله للعنكبوت كانه قال كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتا فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصل والعنكبوت تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وتؤنثه أصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل قولهم في الجمع عننا كيب وفي التصغير عنكيب وهذا مطرد في أسماء الاجناس ويجمع على عكاب وعكبة وأعكاب وعنكيب وعنكبوتات أيضا وهي الدويبة الصغيرة التي تنسج نسجا رقيقا وقد يقال لها عنكبات والغالب في استعماله التانيث (وان أو هن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أضعف منه مما اتخذته الهوام بيتا ولا يدانه في الوهن والوهن شئ من ذلك فان الرياح اذا هبت عليه أولسه لأمس فلا يبقى له عين ولا أثر فكأن أو هن البيوت بيته كذلك أضعف الاديان دين عبدة الاوثان ومن يعبد غير الله أو يتخذ وليا أو ربا من دونه كقمتدى الاحبار والرهبان ومقلديهم (لو كانوا

وقتادة والربيع بن أنس أئمة يقتدى بنا في الخير وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فاحبوا وان تكون عبادتهم متصله بعبادة اولادهم وذرياتهم وان يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر نوابوا أحسن ما بآلهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعوه أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية (أو أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقر ومقاما قل ما يعجبو بكم ربي لو ادعواوكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما) (١٦٠) لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة والاقوال

والافعال الجميلة قال بعد ذلك كله أولئك أي المتصفون بهذه يجزون يوم القيامة الغرفة وهي الجنة قال أبو جعفر الباقر وسعيد بن جبير والضحاك والسدي سميت بذلك لارتفاعها بما صبروا أي على القيام بذلك ويلقون فيها أي في الجنة تحية وسلاما أي يتسرون فيها بالتحية والاحترام ويلقون التوقير والاحترام فلهم السلام وعليهم السلام فان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقب الدار وقوله تعالى خالدين فيها أي مقيمين لا يظعنون ولا يحولون ولا يتولون ولا يزولون عنها ولا يبعثون عنها حولا كما قال تعالى واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الآية وقوله تعالى حسنت مستقرا ومقاما أي حسنت منظرا وطابت مقبلا ومنزلا ثم قال تعالى قل ما يعجبو بكم ربي أي لا يبالي ولا يكثر بكم اذا لم تعبدوه فانه انما خلق الخلق ليعبدوه ويوحده ويسجده بكرة وأصيلا قال مجاهد وعمر بن شعيب ما يعجبو بكم ربي يقول ما يفعل بكم ربي وقال علي بن

يعلمون ان اتخاذهم الاولياء من دون الله كاتخاذ العنكبوت بيوتا وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ما عبدوها ولو كانوا يعلمون شيئا من العلم لعلوا بهذا قال ابن عباس في الآية ذلك مثل ضرب به الله لمن عبده غيره ان مثله كما مثل بيت العنكبوت وأرح أبو داود في مراسيله عن يزيد بن مرثد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العنكبوت شيطان مسخه الله فمن وجدها فليقتلها وعن يزيد بن ميسرة قال العنكبوت شيطان وأخرج الخطيب عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت أنا وأبو بكر الغار فاجتمعت العنكبوت فنسجت بالباب فلا تقتملوهن وروى القرطبي في تفسيره عن علي انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر وعن عطاء الخراساني قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه السلام ومرة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) ما استفهامية أو نافية أو موصولة ومن للتبيين أو مزيدة للتأكيد وقيل التقدير قل للكافرين ان الله يعلم أي شيء تدعون من دونه من انس وجن وملائك وجروراهب وغير ذلك وجرم أبو علي الفارسي بانها استفهامية وعلى تقدير النفي كأنه قيل يعلم انكم لا تدعون من دونه من شيء يعني ما تدعون به ليس بشيء وهذا تأكيد للمثل وزيادة عليه وعلى تقدير الموصولة ان الله يعلم الذين تدعونهم من دونه وهذا أظهر الوجه فيها كما قال الكرخي ويجوز ان تكون ما مصدرية ومن شيء عبارة عن المصدر وقرئ يدعون بالتحية لا كرام قبل هذه الآية وقرئ بالفوقية على الخطاب (وهو العزيز) الغالب المصدر أفعاله على غاية الاحكام والاتقان وفيه تهجيل لهم حيث عبدوا وجاهدا وحيوا بالاعماله ولا قدرة وتركوها عبادة القادر القاهر على كل شيء (الحكيم) الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدبير (وتلك الامثال) أي هذا المثل وغيره من الامثال التي في القرآن (نضربها للناس) تنبيه لهم وتقريرا لما بعد من افهامهم (وما يعقلها) أي ما يفهم صحتها وحسنها وفائدتها وتعقل الامر الذي ضرب بها الاجله (الاعالمون) بالله وباسمائه وصفاته الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه بين حال المشرك وحال الموحد ودلت الآية على فضل العلم على العقل ثم انه تعالى لما أمر الخلق

ابن طلحة عن ابن عباس في قوله قل ما يعجبو بكم ربي الآية يقول لو لا ايمانكم وأخبر الله تعالى الكفار بالاعمان انه لا حاجة لهم اذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الى المؤمنين وقوله تعالى فقد كذبتم أيها الكافرون فسوف يكون لزاما أي فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم يعني مفضيا لهدابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والاخرة ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسره بذلك عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري فسوف يكون لزاما أي يوم القيامة ولا منافاة بينهما (آخر تفسير سورة الفرقان والله الحمد والمنة)

كريم من زروع وثمار وحيوان قال سفيان الثوري عن رجل عن الشعبي الناس من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كرم ومن دخل النار فهو لثيم ان في ذلك لاية اى دلالة على قدرة الخالق للاشياء الذي بسط الارض ورفع بناء السماء ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا نهييه وقوله وان ربك له العزيز رأى الذي عز على كل شئ وقهره وغلبه الرحيم اى يخلفه فلا يجعل على من عصاه بل يوجهه وينظره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن اسحق العزري في نقمته وانتصاره (١٦٢) ممن خالف أمره وعبد غيره وقال سعيد بن جبيرة الرحيم عن نأب اليه وأتاب لديه

(واذ نادى ربك موسى أن ات القوم)

الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى فأرسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلون قال كلا فاذها يا ياتنا نامعكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انار رسول رب العالمين أن ارسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلت كالتى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأمان الضالين فقررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وثالث نعمة تمتها على أن عبدت بنى اسرائيل يخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكلمه موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الايمن وكلمه وناجاه وارسله واصطفاه وأمره بالذهاب الى فرعون ومثله ولهذا قال تعالى أن ات القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون قال رب انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى فأرسل الى هارون ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلون هذه أعدار سأل من الله ازاحتها

يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه مادام فى صلواته فانها انتهت عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان فى الصلاة للشغلا وقيل تنهى عنهما مطلقا فى سائر الاوقات لان الصلاة تشغل جميع بدن المصلى فاذا دخل فى المحراب خشع وأخبت لربه وتذكرانه واقف بين يدي مولاه وانه تعالى مطلع عليه وانه يراه فصلحت لذلك نفسه وتذلت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيئتها ولو بعد نحو وجه منها ولم يكديفتر عن ذلك حتى تظله صلاة اخرى يرجعها الى أفضل حاله فهذا معنى هذه الآية لان صلاة المؤمن هكذا ينبغي ان تكون لاسيما وان أشعر نفسه ان هذا رجا بما يكون آخر عمله فهو أبلغ فى المقصود وأتم فى المراد فان الموت ليس له من محدود ولا زمن مخصوص ولا مرد معلوم وهذا مما لا خلاف فيه روى عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فسكاهم فى ذلك فقال انى واقف بين يدي الله وحق لى هذا مع مالوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر ومن صلواته قاصرة على الاجزاء اى اسقاط الطلب عن المكلف ولا خشوع فيها ولا تذكرة ولا فضائل كصلاتنا فتلك تنزل صاحبها من منزلته حيث كان فان كان مرتكباً للمعاصى قد بعد من الله بسببها فتلك الصلاة تتركه يتمادى على بعده وقيل لاسيما مسعودان فلانا كثير الصلاة فقال انها لا تنفع الا من اطاعها ذكره القرطبي وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن والاول اولى وعلى كل حال فان المرعى للصلاة لا بد وان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها (ولذ كراته) بسائر أنواعه من تحميد وتهليل ونسب و غير ذلك (أكبر) من كل شئ اى أفضل من العبادات كلها بغير ذكره وقد نقل القرطبي هذا التقيد عن ابن زيد وقتادة قال ابن عطية وعندى ان المعنى ولذ كراته أكبر على الاطلاق اى هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذى منه فى الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل ما لم يكن منه فى الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا من ذكرا لله مراقباً له وقيل ذكرا لله أكبر من الصلاة فى النهى عن الفحشاء والمنكر مع المداومة عليه قال الفراء وابن قتيبة المراد بالذكرة هنا الصلاة والصلاة أكبر من سائر الطاعات وعبر عنها بالذكرة كفى قوله فاسعوا الى ذكرا لله للدلالة على ان ما فيها من الذكر هو العمدة فى تفضيلها على سائر الطاعات وكونها ناهية عن السيئات وقيل عبر عنها بالذكرة ليعتدل بالتعليل كانه قال والصلاة أكبر لانها ذكرا لله

عنه كما قال فى سورة طه قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى الى قوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وقوله تعالى وقيل ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلون اى بسبب قتل القبطى الذى كان سبب خروجه من بلاد مصر قال كلاً اى قال الله له لا تخف من شئ من ذلك كقوله سنشد عضدك لنا خيك وتجعل لك السلطان اى برهاناً فلا يصحون اليك يا ياتنا أتمنا ومن اتبعك الغالبون فاذها يا ياتنا نامعكم مستمعون كقوله انى معك اسمع وأرى اى انى معك بجنظى وكلاءتى ونصرى وتأييدى فأتيا فرعون فقولا انار رسول رب العالمين كقوله فى الآية الاخرى انار رسولاً ربك اى كل من ارسل اليك أن ارسل معنا بنى اسرائيل اى أطلقهم من

اسارك وقبضك وقهرك وتعذيبك فانهم عباد الله المؤمنون وحرز الخالصون وهم معك في العذاب المهين فلما قال له موسى ذلك
 أعرض فرعون عما هنالك بالكلية ونظر اليه بعين الازدراء والغمص فقال ألم نربك فينا وليد الآيه أي أما أنت الذي ربنا فينا
 وفي بيتنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا فأبليت ذلك الاحسان بتلك الفعله أن قتلت منا رجلا وحدثت نعمتنا عليك ولهذا
 قال وأنت من الكافرين أي الجاحدين قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير قال فعلتها إذا أي في تلك
 الحال وأمان الضالين أي قبل ان يوحى الي وينعم على بالرسالة (١٦٢) والسورة قال ابن عباس رضي الله عنهما

ومجاهد وقتادة والضحك وغيرهم
 وأمان الضالين أي الجاهلين قال
 ابن جرير وهو كذلك في قراءة عبد
 الله بن مسعود رضي الله عنه
 فقررت منكم لما خفتكم الآية
 أي انفصل الحال الاول وجاء أمر
 آخر فقد أرسلني الله اليك فان
 أطعته سلمت وان خالفته عطبت
 ثم قال موسى وتلك نعمة تمنها على
 أن عبدت بني اسرائيل أي وما
 أحسنت الي وريثتي يقابل ما أسأت
 الي بني اسرائيل فجعلتهم عبدا
 وخدم ما تصرفهم في أعمالك
 ومشاق رعبتك أفيني احسانك
 الي رجل واحد منهم بما أسأت الي
 مجموعهم أي ليس ما ذكرته شيئا
 بالنسبة الي ما فعلت بهم (قال
 فرعون وما رب العالمين قال رب
 السموات والارض وما بينهما ان
 كنتم موقنين قال لمن حوله ألا
 تستمعون قال ربكم ورب آبائكم
 الاولين قال ان رسولكم الذي
 أرسل اليكم لجنون قال رب المشرق
 والمغرب وما بينهما ان كنتم
 تعقلون) يقول تعالى مخبرا عن
 كفر فرعون وعمده وطغيانه
 وبجوده في قوله وما

وقيل المعنى ولذ كرا لله لكم بالثواب والثناء عليكم منه أكبر من ذكركم له في عبادتكم
 وصالواتكم واختار هذا ابن جرير ويؤيده حديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
 ومن ذكرني في ملاذ كرتيه في ملاخيرهم وقال ابن عباس يقول ولذ كرا لله لعباده
 اذا ذكره أكبر من ذكرهم اياه وعن عبد الله بن ربيعة قال سألتني ابن عباس عن قول الله
 ولذ كرا لله أكبر فقلت ذ كرا لله بالتسبيح والتليل والتكبير قال ولذ كرا لله اياكم أكبر من
 ذ كراكم اياه ثم قال اذ كروني اذ كركم وعن ابن مسعود قال ذ كرا لله العبد أكبر من ذكر
 العبد لله وعن ابن عمر نحوه وعن ابن عباس أيضا قال لها وجهان ذ كرا لله أكبر مما سواه
 وفي لفظ ذ كرا لله عند ما حرمه وذ كرا لله اياكم أعظم من ذ كراكم اياه وعن معاذ بن جبل
 قال ما عمل آدمي عملا أنجي له من عذاب الله من ذ كرا لله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال
 لا الا ان يضرب بسيفه حتى ينقطع لان الله يقول في كتابه العزيز ولذ كرا لله أكبر وعن
 عنتره قال قلت لابن عباس أي العمل أفضل قال ذ كرا لله وعن أبي الدرداء قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم
 وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا
 أعداءكم فتنضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذ كرا لله
 أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال اذا كرون الله كثيرا قالوا
 يا رسول الله ومن الغازی في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى
 ينكسرو ويختضب دمال كان اذا كرون الله كثيرا أفضل منه درجة وأخرج مسلم عن
 أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون
 يا رسول الله قال اذا كرون الله كثيرا واذا كرات وأخرج البخاري عن أبي هريرة وأبي
 سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يتعد قوم يذ كرون الله
 الاخفتم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذ كراهم الله فيمن عنده
 وروى ان اعرايا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال تفارق الدنيا ولسانك رطب
 بذ كرا لله وفي الباب أحاديث كثيرة لان طول بذ كراها قال ابن عطاء أكبر أي لن يبق معه
 معصية وقيل ذ كرا لله اياكم برحمته أكبر من ذ كراكم اياه بطاعته وقيل لان ذ كره بلا علة

رب العالمين وذلك انه كان يقول لقومه ما علمت لكم من الغيرى فاستخف قومه فاطاعوه وكانوا يمجدون الصانع جل وعلا
 ويعتقدون انه لا رب لهم سوى فرعون فلما قال له موسى انى رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذى ترعّم انه رب العالمين
 غيرى هكذا افسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدى هذه الآية كقوله تعالى فن ربك يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ
 خلقه ثم هدى ومن زعم من أهل المنطق ان هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فانه لم يكن مقربا للصانع حتى يسأل عن الماهية بل
 كان حادها بالكلية فيما يظهر وان كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى لما سأل عن رب العالمين قال

رب السموات والارض وما بينهما أى خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه واله لا شريك له هو الذى خلق الاشياء كلها العالم العلوى وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات والعالم السفلى وما فيه من بحار وقفار وحبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والظير وما يحتمى عليه الجواجم عبيده خاضعون ذليلون ان كنتم موقنين أى ان كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة فعند ذلك التففت فرعون الى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلاً اللهم على سبيل التكلم والاستهزاء والتكذيب لموسى (١٦٤) فيما قاله ألا تستمعون أى ألا تعجبون فيما يقول هذا فى زعمه ان

لكم الهاغرى فقال لهم موسى ربكم ورب آبائكم الاولين أى خالقكم وخالق آبائكم الاولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه قال أى فرعون لقومه ان رسولكم الذى أرسل اليكم مجنون أى ليس له عقل فى دعوة ان تمرباغرى قال أى موسى لا أولئك الذين أغروا اليهم فرعون ما أغروا من الشبهة فاجاب موسى بقوله رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون أى هو الذى جعل المشرق مشرقاً وتطلع منه الكواكب والمغرب مغرباً تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذى سخرها فيه وقدرها فان كان هذا الذى يزعم انه ربكم والهكم صادقاً فليكس الامر وليجعل المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً كما قال تعالى عن الذى حاج ابراهيم فى ربه اذ قال ابراهيم ربى الذى يحبى ويميت قال أنا احبى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فان بهم من المغرب الآية ولهذا ما غلب فرعون وانقطعت حجته عدل الى استعمال جاهه وقوته وسلطانه

وذ كركم مشوب بالعلل والامانى ولان ذكره لا يفنى وذ كركم لا يبقى أود كره أكبر من ان تحويه افهامكم وعقولكم والذ كركم النافع هو الذى يكون مع العلم واقبال القلب وتفرغه مما سوى الله تعالى واما ما لا يتجاوز اللسان فى رتبة أخرى (والله يعلم ما تصنعون) من الذكرو من سائر الطاعات لا يخفى عليه من ذلك خافية فهو مجاز يكمل بالخبر خيراً وبالشر شراً ثم شرع سبحانه فى بيان ارشاد أهل الكتاب بعد بيان ارشاد أهل الشرك فقال (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) أى بالخصلة التى هي أحسن للشواب وذلك على سبيل الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه لهم على حجة وبراهينه رجاها بآياتهم الى الاسلام لاعلى طريق الاغلاظ والمخاشنة وعن ابن عباس قال بالتي هي أحسن بلا اله الا الله (الا الذين ظلموا منهم) بان افرطوا فى المجادلة ولم يتادبوا مع المسلمين فلا بأس بالاغلاظ عليهم والتخشين فى مجادلتهم هكذا افسر الآية أكثر المفسرين بان المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى وقيل معنى الآية لا تجادلوا من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسائر من آمن منهم الا بالتي هي أحسن بمعنى بالموافقة فيما حدثوكم به من اخبار أهل الكتاب ويكون المراد بالذين ظلموا على هذا القول هم الباقرن على كفرهم قال مجاهد هذه الآية محكمة فيجوز مجادلتهم بها وقيل هي منسوخة بآية القتال وبذلك قال قتادة ومقاتل قال النحاس وغيره من قال هي منسوخة احتج بان الآية مكية ولم يكن فى ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن لان أحكام الله عز وجل لا يقال فيها انها منسوخة الا بخبر يقطع العذر أو حجة من معقول واختار هذا القول ابن العربي قال سعيد بن جبير ومجاهد المراد بالذين ظلموا منهم الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجدا لهم بالسيف حتى ليملأوا ويعطوا الجزية وقيل الا الذين ابنتوا الولد والشريك فيدخل فيه أهل الشرك وعمدة الاوثان والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة فى الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تتحقق المجادلة الحقة بالتي هي أحسن قال السمين الاستثناء متصل وفيه معنيان أحدهما الا الظلمة فلا تجادلوهم البتة بل جادلوهم بالسيف والثانى جادلوهم بغير التى هي أحسن أى اغلظوا عليهم كما اغلظوا عليكم وقرأ ابن عباس الاحرف تنبيه أى جادلوهم (وقولوا) هذا تبيين لمجادلتهم بالتي هي أحسن (أما بالذى أنزل علينا) من

واعتقد ان ذلك نافع له وناقض موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه (قال لئن اتخذت الهاغرى لاجعلنك من المسجونين قال أولو جنتك بشئ مبين قال فأتته ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي نعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملاحول ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا تأمرون قالوا أربحه وأخاه وابتعت فى المداش حاشرين يا أولئك بكل سخار عليم) لما قامت الحججة على فرعون بالبيان والعقل عدل الى ان يقهر موسى بيده وسلطانه فظن انه ليس وراء هذا المقام مقال فقال لئن اتخذت الهاغرى لاجعلنك من المسجونين فعند ذلك قال موسى أولو جنتك

القرآن

بشيء مبين أي ببرهان قاطع واضح قال فأت به ان كنت من الصادقين فالتقى عصاه فاذا هي نعبان مبين أي ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج ونزع يده أي من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين أي تتلألأ كقطعة من القمر فيادر فرعون بشسقاوته الى التكذيب والعناد فقال للملاحول ان هذا الساحر عليم أي فاضل بارع في السحر فرج عليهم فرعون ان هذا من قبيل السحر لامن قبيل المعجزة ثم هيجهم وحرصهم على مخالفتهم والكفر به فقال يريدان يخرجكم من ارضكم بسحره الآية أي أراد ان يذهب بقلوب الناس معه بسبب

(١٦٥)

القرآن (وأَنْزَلَ اليكُم) من التوراة والانشيل أي بانهم امنزلان من عند الله وانهم ما شريعة ثابتة الى قيام الشريعة الاسلامية والبعضة المحمدية ولا يدخل في ذلك ما حرفوه وبدلوه آخر ج البخاري والنسائي وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل اليكنا واليكم وأخرج البيهقي وأبو نصر السجزي في الابانة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان تصدقوا بساطل أو تكذبوا بحق والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا ان يتبعني وعن ابن مسعود قال لا تسألوا أهل الكتاب وذكروا حديث جابر ثم قال فان كنتم سائلهم لمخالفة فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه وهذه الآية من جنس المجادلة بالاحسن (والهنا والهكم واحد) لا شريك له ولا ند ولا ضد (ويحسب له مسلمون) أي ونحن معاشر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مطيعون له خاصة لم نقل عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا اتخذنا أحيانا واورهنا ناسا أربابا من دون الله ويحتمل ان يراد ونحن جميعا منقادون له ولا يقدر في هذا الوجه كون انقياد المسلمين أتم من انقياد أهل الكتاب وطاعتهم أبلغ من طاعتهم (وكذلك أنزلنا) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاشارة الى مصدر الفعل كما بيناه في مواضع كثيرة أي ومثل ذلك الانزال البديع أنزلنا (اليك الكتاب) وهو القرآن وقيل المعنى كما أنزلنا الكتاب عليهم أنزلنا عليك القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره وخصهم بآياتهم الكتاب لكونهم العاملين به وكان غيرهم لم يؤنوه لعدم عملهم بمافيته وبجدهم اصناف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فيه وكان اسلامهم بالمدينة والسورة مكية فهذا من قبيل الاخبار بالغيب أخبره تعالى بحالهم قبل وقوعه (ومن هؤلاء) اشارة الى أهل مكة والمراد ان متهم وهو من قد أسلم (من يؤمن به) أي بالقرآن وقيل اشارة الى جميع العرب (وما يجحدوا بآياتنا) أي القرآن والجود انما يكون بعد المعرفة وعبر عن الكتاب بالآيات للتبسيه على ظهوره لا لتساعلى معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية

ويغلبكم على دولتكم فيأخذوا البلاد منكم فاشير واعلى فيه ماذا أصنع به قالوا أرحبه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأوتك بكل سحر عليم أي أخره حتى تجمع له من مدائن مملكته وأقاليم دولته كل سحر عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاءه فتغلبه أنت وتكون لك النصره والتأييد فاجابهم الى ذلك وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك ليجمع الناس في سعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة (بجمع السحرة ليلقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجمعون لعنا تتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلجاء السحرة قالوا لفرعون ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا من المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فالتقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا نحن الغالبون فالتقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يا فسكون فالتقى السحرة ساجدين قالوا آمننا رب العالمين رب موسى وهرون) ذكر تعالى هذه المناظرة الفعلية بين موسى عليه السلام والقبط في سورة الاعراف وفي سورة طه وفي هذه السورة وذلك ان القبط أرادوا ان يطفئوا نور الله بأقواهم فأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وهذا شأن الكفر والايمن ما تواجها وتقابل الاغلبه الايمان بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وقل جاء الحق وزهق الباطل الآية ولهذا جاء السحرة وقد جمعوه من أقاليم بلاد مصر وكانوا اذ ذاك أحرار الناس وأصنعهم وأشدهم تخيلا في ذلك وكان السحرة جمعا كثيرا وجماعفيرا قيل كانوا اثني عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل تسعة عشر ألفا وقيل بضعة وثلاثين

أنفا وقيل ثمانين ألفا وقيل غير ذلك والله أعلم بعدتهم قال ابن اسحق وكان أمرهم راجعا إلى أربعة منهم وهم رؤسأ وهم وهم ساور وعادور وحطط ومصفي واجتمع الناس في الاجتماع ذلك اليوم وقال قائلهم لعلمنا تتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ولم يقولوا تتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعية على دين ملكهم فلما جاء السحرة أي إلى مجلس فرعون وقد ضربوا له وطافا وجمع خدمه وحشمه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود ملكته فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الاحسان اليهم والتقرب اليه ان غلبوا (١٦٦) أي هذا الذي جمعنا من أجله فقالوا أن لنا لاجر ان كنا نحن الغالبين

قال نعم وانكم اذا لمن المقربين أي وأخص مما يطلبون أ جعلكم من المقربين عندي وجلسا في فعادوا إلى مقام المناظرة قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون إلى قوله اننا نحن الغالبون وهذا كما تقوله الجهلة من العوام اذا فعلوا شيئا هذا بثواب فلان وقد ذكر الله تعالى في سورة الاعراف انهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وقال في سورة طه فاذا جبالهم وعصيم يخيل اليه من سحروهم انها تسعي إلى قوله ولا ينفع الساحر حيث ألقى وقال ههنا فلقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون أي تحتطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئا قال الله تعالى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون إلى قوله رب موسى وهرون فكان هذا أمر اعظما جدا وبرهانا قاطعا للعدو وبخلة دامغة وذلك ان الذين استنصروهم وطلب منهم ان يغلبوا غلبوا وخضعوا وأمنوا بموسى في الساعة الراهنة

التشنيع على من يمجدها (الا الكافرون) المصمومون على كفرهم المتوغلون فيه من المشركين ومن أهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيقتها (وما كنت) يا محمد (تتلون من قبله من كتاب) أي من قبل القرآن كتابا ولا تقدر على ذلك لانك أي لا تقراء ولا تكتب ومن زائدة (ولا تحطه بميثك) أي ولا تسكبه لانك لا تقدر على الكتابة وخص اليمين لان الكتابة غالب تكون باليمين أي ولا كنت كاتباً قال مجاهد كان أهل الكتاب يجحدون في كتبهم ان محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يخط ولا يقرأ فترت هذه الآية قال النحاس وذلك دليل على نبوته لانه لا يكتب ولا يخاط أهل الكتاب ولم يكن بحكمة أهل الكتاب فجاءهم بأخبار الانبياء والامم قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ولا يكتب وكان أميا قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافي قال البغوي في التهذيب هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله أولا والاصح انه كان لا يحسنهما ولكن كان يميز بين ردى الشعر وجيده ذكره الشهاب وما أحسن ما قال آزر رحمه الله

ما كان يعرف ألواحا ولا قلاما * وكان يعرف ما في اللوح والقلم

وهذا شروع في الدليل على كون القرآن مجزأ (اذا الرتاب المبطلون) أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا العله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة من الكتب المدونة في اخبار الامم فلما كنت أميا لا تقراء ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريسة ولا محل للشك أبدا بل انكار من أنكروا كفر من كفر بجزء عنادو بخود بلا شبهة وسماهم المبطلين لان اربابهم على تقدير انه صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب ظلم منهم لظهور نزاهته ووضوح مجزأته (بل هو) أي القرآن الذي حثت به (آيات بينات) وقال قتادة ومقاتل ان الضمير يرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي بل محمد آيات أي ذوات آيات وقرأ ابن مسعود بل هي آيات بينات قال الفراء معنى هذه القراءة بل آيات القرآن آيات بينات واختار ابن جرير ما قاله قتادة ومقاتل وقد استدل لما قاله بقراءة ابن السميع بل هذا آيات بينات ولا دليل في هذه على ذلك لان الاشارة بجوزان تكون إلى القرآن كما جازان تكون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل رجوعها إلى القرآن أظهر لعدم احتياج ذلك إلى التأويل وهو اضراب عن اربابهم أي ليس القرآن مما يراتب فيه لكونه

وسجد والله رب العالمين الذي أرسل موسى وهرون بالحق وبالمعجزة الباهرة فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله محفوظا

وكان وقاجر يتأليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع يهدهم ويتوعدهم ويقول انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقال ان هذا المكرم كرموه في المدينة الآية (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين قالوا الاضيرانا إلى ربنا متقلبون اننا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين) تهددهم فلم يتبع ذلك فيهم وتوعدهم فما زادهم الا ايمانا وتسليما وذلك انه

قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم من ان هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر الا ان يكون الله قد ايد به وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه ولهذا لما قال لهم فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم أي كان ينبغي ان تستأذوني فيما فعلتم ولا تفتنوا علي في ذلك فان أذنت لكم فعلتم وان منعتكم امتنعتم فاني انا الحاكم المطاع انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها فانهم لم يجتبهه عواجموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذي افادهم صناعة السحر هذا الا يقوله عاقل ثم وعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل (١٦٧) والصلب فقالوا الاضربنا لارجح ولا يضرنا ذلك

ولانباي به انا الى ربنا منقلبون أي المرجع الى الله عز وجل وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء ولهذا قالوا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أي ما قارفناه من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر ان كنا أول المؤمنين أي بسبب انابادربنا قومنا من القبط الى الايمان فقتلهم كلهم (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون فأرسل فرعون في المدينتي حاشرين ان هؤلاء لشردمة قليلون وانهم لنا لغاظون وانا لجمع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعميون وكنوزهم مقام كرم كذلك وأورثناها بني اسرائيل) لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها حتى الله وبراهينه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون لم يبق لهم الا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام ان يخرج بني اسرائيل ليسلام مصر وان يمضي بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل خرج بهم بعد

مخفوطا (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني العلماء المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهد صلي الله عليه وآله وسلم وحفظوه بعده عن ظهر قلب وهذا من خصائص القرآن بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف ولذا جاء في وصف هذه الامة صدورهم أناجيلهم ولذلك لا يقدر على تحريفه ولا تغييره والمراد انهم يحفظونه تلقيا منك وبعضهم من بعض وانت تلقيتهم عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذ من كتاب بطريق تلقية منه (وما يجحد باياتنا) أي القرآن الكريم (الا الظالمون) أي الجاوزون للعدو المتوغلون في الظلم (وقالوا) أي المشركون (لولا أنزل عليه آيات من ربه) المعنى هلا أنزلت عليه آيات كآيات الانبياء وذلك كآيات موسى وناقصة صالح واحياء المسيح للموتى ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عليهم فقال (قل انما الآيات عند الله ينزلها على من يشاء من عباده ولا قدرة لاحد على ذلك (وانما أنا نذير مبين) أنذركم بما أمرت وابين لكم ما ينبغي ليس في قدرتي غير ذلك (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) مستأنفة للرد على اقتراحهم ويبيان بطلانه أي أولم يكف المشركين من الآيات التي اقترحوها هذا الكتاب المعجز الذي قد تحدتهم بان يأبوا بمثله أو بسورة منه فمجزوا ولو أتيتهم بآيات موسى أو بآيات غيره من الانبياء لقالوا اسحر ونحن لانعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة ولما آمنوا كالم يؤمنوا بالقرآن الذي يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلانزال معهم آية ثابتة لاترول كما ترول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان والمعنى ان القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الانبياء مغنية عن سائر الآيات لان معجزة القرآن تدوم على مر الدهور والزمان ثابتة لاتضمحل كغيرها من الآيات (ان في ذلك) الكتاب الموجود في كل مكان وزمان الى آخر الدهور الموصوف بما ذكر (لرحمة عظيمة في الدنيا والاخرة (وذكري) في الدنيا يتذكرون بها وترشدهم الى الحق (لقوم يؤمنون) أي لقوم يصدقون بما جئت به من عند الله فانهم هم الذين يتبعون بذلك أخرج الدارمي وأبو داود في مراسيله وغيرهما عن يحيى بن جعدة قال جاء اناس من المسلمين يكتبون كتبها فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفى بقوم حقتا وضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الي ما جاء به غيره الى غيرهم فنزلت أولم يكفهم الآية وعن الزهري ان حفصة جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله

ما استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا وكان خروجهم فيما ذكره غير واحد من المفسرين وقت طلوع القمر وذكري ما هدرجه الله انه كسف القمر تلك الليلة فآله أعلم وان موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني اسرائيل عليه فاحتمل تابوته معهم ويقال انه هو الذي حمله بنفسه عليه السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك اذا خرج بنو اسرائيل ان يحتملوه معهم وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضال عن عبد الله بن أبي اسحق عن ابن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال نزل رسول الله

صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدنا فأناؤه الاعرابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك قال ناقة برحلتها وعنز يمتد بها أهلى فقال أعزيت أن تكون مثل عجوزي اسرايل فقال له أصحابه وما عجوز بنى اسرايل يا رسول الله قال ان موسى عليه السلام لما أراد أن يسير بينى اسرايل أضل الطريق فقال لبنى اسرايل ما هذا فقال له علماء بنى اسرايل نحن نجدك ان يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى تنقل تابوته معنا فقال لهم (١٦٨) موسى فايكم يدري أين قبر يوسف قالوا ما يعلمه الا عجوز من بنى

اسرايل فأسرسل اليها فقال لها دليني على قبر يوسف فقالت والله لا أفعل حتى تعطيني حكمتي فقال لها وما حكمتك قالت حكمتي ان أكون معك في الجنة فكأنه نقل عليه ذلك فقبل له أعطها حكمها قال فانطلقت معهم الى بحيرة مستنقع ماء فقالت لهم انصبوا هذا الماء فلما أنصبوه قالت احفروا فلما حفروا استخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه اذا الطريق مثل ضوء النهار وهذا حديث غريب جدا والاقرب انه موقوف والله أعلم فلما أصعبوا وليس في ناديم داع ولا مجيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بنى اسرايل لما يريد الله تعالى به من الدمار فأسرسل سرى معانى بلاده حاشرين أى من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والحجاب ونادى فيهم ان هؤلاء يعنى بنى اسرايل لشردمة قليلون أى لطائفة قليلة وانهم لنا الغائطون أى كل وقت يصل منهم المينا ما يغيطانا وانا لجميع حاذرون أى نحن كل وقت نجد من غائطهم وقرأ طائفة من

وسلم بكتاب من قصص يوسف في كيف فعلت بقرؤه والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يتلون وجهه فقال والذى نفسى بيده لو أنكم يوسف وأباينكم فاتبعتموه وتركتوني لضلتم وعن عبد الله بن الحرث الانصارى قال دخل عمر بن الخطاب على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال هذه أصبت ما مع رجل من اهل الكتاب أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغيرا شديدا لم أر مثله قط فقال عبد الله بن الحرث لعمر أمتري وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبينا فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتوني لضلتم أنا حظكم من النبيين وأنا حظكم من الامم أخرجه عبد الرزاق وابن سعد وابن الضريس وأخرج البيهقي وضعفه عن عمر بن الخطاب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تعلم التوراة فقال لا تعلمها وآمن بها وتعلموا ما أنزل اليكم وآمنوا به (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أى قل للمكذبين كفى الله شهيدا بما وقع بينى وبينكم وقال ابن عباس معناه يشهد لى رسول الله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بالانزال الكتاب عليه والقرآن وحده كفى وافى لا حاجة معه الى غيره من الكتب لمن آمن به وعمل صالحا (يعلم ما فى السموات والارض) لا تخفى عليه من ذلك خافية ومن جملته ما صدر بينكم وبين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (والذين آمنوا بالباطل) أى بما يعبدونه من دون الله قال ابن عباس بالباطل أى بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله والمعانى متقاربة ثم ذكر الكفر بعد الباطل لبيان قبح الاول فقال (وكفروا بالله) وآياته والجملة مؤكدة لما قبلها (أولئك هم الخاسرون) الخاسرون بين خسرا الدنيا والاخرة فى صفتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعملونك بالعذاب) استنزاه وتكذبا منهم بذلك كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو اتتنا بعذاب أليم (ولو لا أجل مسمى) قد جعله الله لعذابهم وعينه وهو القيامة وقال الضحاك الاجل مدة أعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل المراد بالاجل المسمى النفخة الاولى وقيل الوقت الذى قدره الله لعذابهم فى الدنيا بالقتل أو الاسير يوم بدر والحاصل ان لكل عذاب اجلا لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه كما فى قوله سبحانه لكل نيا مستقر (لجاءهم العذاب) أى لولا ذلك الاجل المضروب لجاءهم العذاب

السلف وانا لجميع حذرون أى مستعدون بالسلاح وانى أريد ان أستأصل شأفتهم وأيد خضرهم فجوزى فى الذى نفسه وجنده بما أراد لهم قال الله تعالى فأخر جناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم أى أخرجوا من هذا النعيم الى الخيم وتركوا تلك المنازل العالسة والبساتين والانهار والاموال والارزاق والمالك والجاه الوافر فى الدنيا كذلك وأورشها بنى اسرايل كما قال تعالى وأورشنا انوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها الآية وقال تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين الآيتين (فأتبعوهم مشركين فلما رأى الجمع انهم قال أصحاب

موسى ان المذركون قال كلان معى ربي سيهدين فأوحىنا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفناهم الآسرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآسرين ان في ذلك لآية لربما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لاهو العزيز الرحيم) ذكر غير واحد من المفسرين ان فرعون خرج في محفل عظيم وجع كبيره وعبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه أولى الخلق والعقد والدول من الامراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود فاما ما ذكره غير واحد من الاسرائليات من أنه خرج في ألف وستمائة ألف فارس منها مائة ألف على (١٦٩) خيل دهم ففيه نظر وقال كعب الاحبار

فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم
وفي ذلك نظر و الظاهر ان ذلك من
مجازفات بنى اسرائيل والله سبحانه
وتعالى أعلم والذي أخبر به القرآن
هو النافع ولم يعين عدتهم اذ الفائدة
تحتسب لانهم خرجوا بأجمعهم
فأتبعوهم مشركين أى وصلوا اليهم
عند شروق الشمس وهو طولوعها
فلما ترأى الجمع ان أى رأى كل من
الفر يقين صاحبه فعند ذلك قال
أصحاب موسى ان المذركون وذلك
انه انتهى بهم السير الى سيف البحر
وهو بحر القلزم فصار امامهم البحر
وقد أدركهم فرعون بجنوده فلماذا
قالوا ان المذركون قال كلان معى
ربى سيهدين أى لا يصل اليكم شئ مما
تخذرون فان الله سبحانه هو الذي
أمرنى ان أسير ههنا بكم وهو سبحانه
وذلك الى لا يخلف الميعاد وكان هرون
عليه السلام فى المقدمة ومعهم يوشع
ابن نون أو مؤمن آل فرعون
وموسى عليه السلام فى الساقة
وقد ذكر غير واحد من المفسرين
انهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون
وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل
فرعون يقول لموسى عليه السلام

الذى يستحقونه بنوهم عاجلا (وليا أتيتهم بغتة) أى جأة كوقعة بدر فانها أتتهم بغتة
والجملة مستأنفة مبينة لجمي العذاب المذكور قبلها (وهو لا يشعرون) أى حال كونهم
لا يعلمون بآتيانه على ما يشهد له كتب السير ثم ذكر سبحانه ان موعد عذابهم النار فقل
(يستجلبونك بالعذاب) أى يطلبون منك تجلب عذابهم فى الدنيا ذكر هذا للتعجب لان من
توعد بما فيه ضرر يبر كطمة أول كلمة قد يرى من نفسه الجلد ويقول باسم الله هات
واما من توعد بما غرق أو أحرق ويقطع بان الموعد قادر لا يخلف الميعاد فلا يخاطر بسأله
ان يقول هات ما توعدتني به فقله ويستجلبونك بالعذاب أو لا اخبار عنهم وقوله ثانيا
يستجلبونك بالعذاب تعجب منهم وقيل التكرير للتأكيد (وان جهنم محيطة بالكافرين)
أى والحال ان مكان العذاب محيط بهم أى سيجط بهم عن قرب فان ما هو آت قريب
فعبء عن الاستقبال بالحال للدلالة على التحقيق والمبالغة أو يراد بجهنم أسباب الموصلة
اليها فلا تأويل فى قوله محيطة والاول أظهر والمراد بالكافرين جنسهم فيدخل فيه هؤلاء
المستجلبون دخولا وأليا والمعنى ان جهنم جامعة لهم لا يبقى منهم أحد الا دخلها قال ابن
عباس جهنم هو هذا البحر الاخضر تنثر الكواكب فيه وتكون فيه الشمس والقمر
ثم يستوقدون فيكون هو جهنم وفى هذا نكارة شديدة فان الاحاديث الكثيرة الصحيحة
ناطقة بان جهنم موجودة مخلوقة على الصفات التى ورد بها الكتاب والسنة ثم ذكر سبحانه
كيفية احاطة العذاب بهم فقال (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم)
أى من جميع جهاتهم لقوله تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فاذا غشاهم
العذاب على هذه الصفة فقد أحاطت بهم جهنم قيل خص الجانبين ولم يذكر العين ولا
الشمال ولا الخلف ولا الامام لان المقصود ذكر ما يميزه نار جهنم عن نار الدنيا فان نار الدنيا تحيط
بالجوانب الاربع فان من دخلها تكون الشعلة قد ادمه وخلفه ويمينه وشماله وأما النار
من فوق فلا تنزل وانما تصعد من أسفل فى العادة وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة التى تحت
القدم بل تطفأ ونار جهنم تنزل من فوق ولا تطفأ بالدوس عليها بوضع القدم ذكره الرازى
(ويقول ذو قوما كنتم تعملون) والقائل هو الله سبحانه أو بعض ملائكته بامرده فى
ذلك اليوم أى ذو قواجر اما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى فلا تفوتوننا قرئ تقول
بالنون وبالتحسية لقوله قسلى كنى بالله وقرئ ويقال ذو قواجر لما ذكر سبحانه حال الكفرة من

(٢٢ - فتح البيان سابع) يابى الله ههنا أمر ربك ان تسير فيقول نعم فأقرب فرعون و جنوده ولم يبق الا القليل فعند ذلك أمر
الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فضر به وقال انقلب باذن الله وروى ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن
صالح حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كل قبلى
كل شئ المكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا فأوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر وقال قتادة أوحى الله ثلاث
الليلة الى البحر ان اضربك موسى بعصاه فاسمع له وأطع فبات البحر تلك الليلة وله اضطراب ولا يدري من أى جانب يضرب به موسى

فلما انتهى اليه موسى قال له فتاه يوشع بن نون يا نبي الله أين أمرك ربك عز وجل قال أمرني أن أضرب البحر قال فاضرب به وقال
محمد بن اسحق أوحى الله فيما ذكر لي الى البحر ان اضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضرب ويضرب بعضه بعضا
فرقامن الله تعالى وانتظار المأمرة الله ووحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضر بهم فافقها سلطان الله الذي أعطاه
فانفلق وذكري غير واحد انه جاءه فقال انفلق على ذلك باذن الله قال الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل
الكبير قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن (١٧٠) كعب والضحاك وقتادة وغيرهم وقال عطاء الخراساني هو الفج بين الجليلين

وقال ابن عباس صار البحر اثني عشر طر يقال لكل سبط طريق وزاد السدي وصار فيه طاقات ينظر بعضهم الى بعض وقام الماء على حمله كالخطان وبعث الله الريح الى قعر البحر فلفحته فصارت يسا كوجه الارض قال الله تعالى فاضرب لهم طر يقا في البحر يسا لا تخاف دركولا وتخشى وقال في هذه القصة وأزلفنا ثم أي هنالك الآخر بن قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي وأزلفناهم أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدبناهم اليه وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أعرفنا الآخر بن أي أنجينا موسى وبني اسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل الاهلك وروى ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة بن دنايونس عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود ان موسى عليه السلام حين أسرى بني اسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحها وقال لا والله لا يفرع من سلخها حتى يجمع الى ستمائة ألف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى الى البحر فقال له انفرق فقال له البحر لقد استكبرت

أهل الكتاب ومن المشركين وجمعهم في الانذار وجعلهم من أهل النار استعد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايداء المسلمين بكل وجه فقال الله سبحانه (يا عبادي الذين آمنوا) اضعفهم اليه بعد خطابه لهم نشر يقا وتكر عيا والموصول صفة موضحة أو ميمزة (ان أرضي واسعة) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله ان كنتم في ضيق في مكة من انظار الايمان وفي مكابدة للكفار فاخرجوا منها لتيسر لكم عبادتي وحدي وتسهل عليكم وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الآية ولم يعذر لهم بترك الخروج قال الزجاج أمر ويا للهجرة من الموضع الذي لا تمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يتم اليه ان يعبد الله حق عبادته وقال مطرف بن الشخير المعنى ان رحمتي واسعة ورزقي لكم واسع فابتغوه في الارض وقيل البلاد والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا قال علي القاري رحمه الله وأما اليوم فانا بحمد الله لم نجد أعور على قهر النفس وأجمع للقلب وأحدث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للاهر الدين وأظهر له من مكة حر سها الله تعالى أقول لولا ما فيها الآن من استطالة أهل البدع على أهل السنة واينثار التنظيمات السلطانية على الاحكام الرجائية وظلم أهل المكس على الخلاج وعدم الاتصاف من أهل الاعتساف والحجر على العمل بالسنة والتمسك بالحق والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها الى أرض المطيعين قلت وأنى لنا هذا اليوم ولو علمنا أرضا طاعة على وجه البسيطة على حسب مناطق الكتاب والسنة أو ما ذهب اليه فقهاء الامة لخرجنا اليها ان شاء الله تعالى ولكن كم من أمينة ضاعت فانا لله وانا اليه راجعون وروى مرفوعا من فريد بن من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة ولينظر في سنده وتخرجه وقيل المعنى ان أرضي التي هي أرض الجنة واسعة (فاياي فاعبدون) حتى أورثكموها وانتصاب اياي بفعل مضمرا أي فاعبدوا اياي ثم المصعب على المؤمنين ترك الاوطان ومفارقة الاخوان خوفهم سبحانه بالموت ليهون عليهم أمر الهجرة وشجع المهاجرين لئلا يتيموا بدار الشرك خوفا من الموت فقال (كل نفس) من النفوس (ذائقة الموت) أي واجدة مرارة الموت وكرهه ومشاقه لا محالة كما

يحدث حتى يجمع الى ستمائة ألف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى الى البحر فقال له انفرق فقال له البحر لقد استكبرت يحدث
يا موسى وهل انفرقت لاحد من ولد آدم فانفرقت لك قال ومع موسى رجل على حصان له فقال له ذلك الرجل أين أمرت يا نبي الله قال
ما أمرت الا به ذا الوجه يعني البحر قال والله ما كذبت ولا كذبت ثم اقمم الثانية فسمع (١) ثم خرج فقال أين أمرت يا نبي الله قال
ما أمرت الا بهذا الوجه قال والله ما كذبت ولا كذبت قال فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضر به موسى بعصاه
فانفلق فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يتراءون فلما خرج أصحاب موسى وتام أصحاب فرعون اتقى البحر عليهم فأغرقهم
(١) قوله ثم اقمم الثانية الخ هكذا في النسخ وحرره

وفي رواية اسرئيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر فرأى سواداً كثيراً من يومئذ وغرق فرعون لعنه الله ثم قال تعالى ان في ذلك لآية لأي في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصريات ليدلعباد الله المؤمنين بالدلالة ووجه قاطعة وحكمة بالغة وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره (واتل عليهم نبأ إبراهيم اذ قال لآبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال (١٧١) أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم

الاقدمون فانهم عدو لي الارب العالمين) هذا اخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه ابراهيم عليه السلام امام الخلفاء أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ان يتلوه على أمته ليقتدوا به في الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتسبى من الشرك وأهله فان الله تعالى آتى ابراهيم رشده من قبل أى من صغره الى كبره فانه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الاصنام مع الله عز وجل فقال لآبيه وقومه ما ذاتعبدون أى ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفين أى مقيمين على عبادتها ودعائها قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون يعنى اعترفوا بان أصنامهم لا تفعل شيئاً من ذلك وانما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم بهرعون فعند ذلك قال لهم ابراهيم أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الارب

يوجد الذائق طعم المذوق فلا يصعب عليكم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان وهجر الخلان بل الاولى ان يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد الشقة ومقاساة المشقة (ثم اليسا) لا الى غيرنا (ترجعون) بالموت والبعث اليسا لكل حى في سفر الى دار القرار وان طال لبثه في هذه الدار عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت انك ميت وانهم ميتون قلت يا رب ايموت الخلائق كلهم ويبقى الانبياء فنزلت كل نفس ذائقة الموت الآية أخرجه ابن مردويه وينظر كيف صحته فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان يسمع قول الله سبحانه انك ميت وانهم ميتون يعلم انه ميت وقد علم ان من قبله من الانبياء قد ماتوا وانه خاتم الانبياء فكيف ينشأ عن هذه الآية ما نقل عنه على رضى الله عنه من قوله ايموت الخلائق ويبقى الانبياء فاعل هذه الرواية لا تصح من فوعة ولا موقوفة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) في هذا ترغيب الى الهجرة وان جزاء من هاجر ان يكون في غرف الجنة كما قال (لتبؤنهم) أى لتزلنهم وهو مأخوذ من المباشرة وهى الانزال وقرئ لشؤبهم بالناء والمعنى لعنطينهم غرفا يثوبون فيها من الثوى وهو الإقامة قال الزجاج يقال ثوى الرجل اذا قام وأثوته اذا أرتته منزلا يقيم فيه قال الاخفش لا تعجبني هذه القراءة لانك لاتقول أثوته الدار بل تقول في الدار وليس في الآية حرف حرقى المفعول الثانى (من الجنة عرفا) أى غرف الجنة وهى علائها جمع عليه ثم وصف سبحانه تلك الغرف فقال (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت الغرف (خالدين فيها) أى مقدرين الخلود في الغرف لا يموتون أبداً وفى الجنة والاول أولى (نعم أجر العاملين) للادعمال الصالحة أجرهم بين في هذه الآية ان المؤمنين الجنات في مقابلة ان للكافرين النيران وان فيها غرفا تحتها الانهار في مقابلة ان تحت الكافرين النار وبين ان ذلك أجر عملهم بقوله نعم أجر العاملين في مقابلة ما تقدم للكفار بقوله ذو قوما كنتم تعملون ولم يذكروا فوق المؤمنين لانهم في أعلى عليين فلم يذكروا فوقهم شيئاً إشارة الى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم ولم يجعل الماء من تحت أقدامهم بل من تحت غرفهم لان الماء يكون ملتذبه في أى جهة كان وعلى أى بعد كان اذا كان تحت الغرفة ذكروه الازى ثم وصف هؤلاء العاملين بقوله (الذين صبروا) على مشاق التكليف وعلى أذية المشركين لهم والهجرة لاظهار الدين وعلى الطاعة وعن المعاصى ولم يتركوا دينهم لشدة لخطتهم (وعلى

العالمين أى ان كانت هذه الاصنام شيئاً ولها تأثير وتقدر فتخلص الى بالمساءة فانى عدولها لا أبالى بها ولا أفكر فيها وهذا كما قال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام فأجمعوا أمرهم وشركائهم الآية وقال هو د عليه السلام انى أشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون انى توكت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو أخذنا صيتها ان ربى على صراط مستقيم وهكذا تبرأ ابراهيم من آلهتهم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله الآية وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله حتى تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى واذا قال ابراهيم لآبيه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى

فانه سيهدى ويجهلها كانه يعني لاله الا الله (الذي خلقني فهو يهدى والذى هو يطعمني ويسقيني واذا مرضت فهو يشفين والذى يمتني ثم يميتني والذى اطعم ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين) يعني لأ عبد الا الذي يفعل هذه الاشياء الذي خلقني فهو يهدى من أي هو الخالق الذي قدر قدره وهدى الخلائق اليه فكل يجرى على ما قدر له وهو الذي يهدى من يشاء ويضل من يشاء والذي يطعمني ويسقيني أي هو خالق ورازقي بما خسر ويسر من الاسباب السماوية والارضية فساق المزن وانزل الماء وأحيى به الارض وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد (١٧٢) وانزل الماء عندي لا لا يسقيه مما خلق أنعاما وأنا مني كثيرا وقوله

ر بهم توكلون) أي يفوضون أمورهم اليه في كل اقدام واجام ثم ذكر سبحانه ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر في حال الدواب فقال (وكأين) قد تقدم الكلام فيها وانها أي دخلت عليها كافي التشبيه وصار فيها معنى كم كما صرح به الخليل وسيبويه وتقديرها عندهما كشيء كثير من العدد (من دابة) وقيل المعنى وكمن دابة ذات حاجة الى غذاء (لا تحمل رزقها) أي لا تطيق حمله لضعفها ولا تدخره لغد ولا ترفعه معها مثل البهائم والطيير (الله يرزقها واياكم) أي انما يرزقها الله من فضله ويرزقكم فكيف لا تتوكلون على الله مع قوتكم وقدرتكم على أسباب العيش كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها قال الحسن تأكل لوقتها لا تدخر شيئا وقال مجاهد يعني الطير والبهائم تأكل باقواها ولا تحمل شيئا وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغرد وخصا وتروح بطنانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والمعنى انها تذهب أول النهار جبا عاصمارة البطون وتروح آخر النهار الى أوكارها شبعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيئا قال سفیان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والغملة سوى سبحانه وتعالى في هذه الآية بين الحريرص والمتوكل في الرزق وبين الراغب والقانع وبين الجلد والعاجز يعني ان الجلد لا يتصور انه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز انه ممنوع من الرزق بعجزه (وهو السميع) الذي يسمع كل مسموع (العليم) بكل معلوم أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساکر قال السيوطي بسند ضعيف عن ابن عمر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر ويأكل فقال لي مالك لا تأكل كل قلت لأشبهته يا رسول الله قال لكني أشبهته وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجدده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقبصر فكيف بلك يا ابن عمرا اذا بقيت في قوم يحبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فواته ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا بتابع الشهوات الاواني لا أكنز دينار ولا درهمها ولا أخبار رزقا لغد وهذا الحديث فيه نكارة شديدة مخالفة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يعطى نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتمدة

واذا مرضت فهو يشفين أسند المرض الى نفسه وان كان عن قدرة الله وقضائه وخلقه ولو كان أضافه الى نفسه أديا كما قال تعالى أمر المصلي ان يقول اهـدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فأسند الانعام والهداية الى الله تعالى والغضب حذف فاعله أديا وأسند الضلال الى العبد كما قالت الجن وأنا لا ندري أشأ تريد بمن في الارض أم أريد بهم ربهم رشدا وكذا قال ابراهيم واذا مرضت فهو يشفين أي اذا وقعت في مرض فانه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الاسباب الموصلة اليه والذي عيتني ثم يميتني أي هو الذي يميت ويعيت لا يقدر على ذلك أحد سواه فانه هو الذي يهدى ويعيد والذي اطعم ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة الا هو ومن يغفر الذنوب الا الله وهو الفعال لما يشاء (رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم

واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم) وهذا سؤال وفي من ابراهيم عليه السلام ان يؤت به حكما قال ابن عباس وهو العلم وقال مجاهد هو القرآن وقال السدي هو النبوة وقوله وألحقني بالصالحين أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند الاحتضار اللهم في الرفيق الاعلى قالها ثلاثا وفي الحديث في الدعاء اللهم أجمعنا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبذولين وقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي واجعل لي ذكرا جميلا يهدى أذكريه ويقنتي بي في الخير كما قال تعالى وتركنا عليه

في الآخر من سلام على ابراهيم كذلك تجزي المحسنين قال مجاهد وقتادة واجعل لي اسان صدق في الآخر من يعنى النناء الحسن قال مجاهد كقوله تعالى وآيناه في الدنيا حسنة الآية وكقوله وآيناه اجره في الدنيا الآيه وقال ليث بن أبي سليم كل مله تحبه وتولاه وكذا قال عكرمة وقوله تعالى واجعلني من ورثة جنة النعيم أى أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجليل بعدى وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم وقوله واغفر لآبى الآيه كقوله ربنا اغفر لي ولوالدي وهذا مما رجح عنه ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه الى قوله ان (١٧٣) ابراهيم لاواه حليم وقد قطع تعالى

الالحاق في استغفاره لآبيه فقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه الى قوله وما أملك لك من الله من شئ وقوله ولا تخزني يوم يبعثون أى أجرني من الخزي يوم القيامة ويبعث الخلائق أولهم وآخريهم وقال البخارى عنده هذه الآية قال ابراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم يوم القيامة أباه عليه الغبرة والفترة وفي رواية أخرى حدثنا اسمعيل حدثنا أنخى عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم أباه فيقول يا رب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافر من هكذا رواه عنه هذه الآية وفي أحاديث الانبياء بهذا الاسناد بعينه منقرداه ولفظه يلقي ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر فترة وغبرة فيقول

وفي اسناده أبو العتوف الجوزي وهو ضعيف ثم انه سبحانه ذكر حال المشركين من أهل مكة وغيرهم ويجب السامع من كونهم يقرون بأنه خالفهم ورازقهم ولا يوجدونه ولا يتركون عبادة غيره فقال (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض) أى بشيئين أحدهما يتعلق بالذوات وهو هذا والثاني يتعلق بالصفات وهو قوله (وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) خلقها لا يقدرن على انكار ذلك ولا يتمكنون من محوده (فأنى يؤفكون) أى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرد بالاهية وانه وحده لا شريك له والاستفهام للانكار والاستبعاد ذكر في السموات والارض المطلق وفي الشمس والقمر التسخير لان مجرد خلقها ما ليس بحكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد لا تحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فحينئذ الحكمة انما هي في تحريكها وتسخيرها ولما قال المشركون لبعض المؤمنين لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء دفع الله سبحانه ذلك بقوله (الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أى التوسيع في الرزق والتفتيره هو من الله الباسط القابض ييسره لمن يشاء ويضيقه على من يشاء على حسب ما تقتضيه حكمته وما يليق بأحوال عباده من القبض والبسط ولهذا قال (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما فيه صلاح عباده وفسادهم وعنه البسط والتضييق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجبي به الارض من بعد موتها) أى جعلها وخط أهلها (ليقولن الله) أى يعترفون بذلك لا يجحدون الى انكاره سيلا فكيف يشركون به بعد هذا الاقرار ثم لما اعترفوا بهذا الاعتراف في هذه الآيات وهو يقتضى بطلان ما هم عليه من الشرك وعدم افراد الله سبحانه بالعبادة أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحمدا الله على اقرارهم بذلك وعدم سجودهم مع تصليهم في العناد وتشددهم في رد كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد فقال (قل الحمد لله) أى احمد الله على ان جعل الحق معلوما وأظهر حجتك عليهم وقبيل على انزال الماء واحياء الارض بالنبات والاول أولى ثم ذمهم فقال (بل أكثرهم لا يعقلون) الاشياء التي تتعقلها العقلاء فلذلك لا يعلمون بمقتضى ما اعترفوا به مما يستلزم بطلان ما هم عليه عند كل عاقل ثم أشار سبحانه الى تحقير الدنيا وتصغيرها وانها من جنس اللعب والله هو لآثرن عند الله جناح بعوضة وان الدار على الحقيقة هي الدار الآخرة فقال (وما هذه الدنيا الا للهو ولعب) أى من جنس

له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصيني فيقول أبوه فاليوم لأعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأى خزي أخزى من أبى الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافر من ثم يقول يا ابراهيم انظر تحت رجليك فينظر فإذا هو يدع من تلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ورواه عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير وقوله ولا تخزني يوم يبعثون أخبرنا أحمد بن حنبل بن عبيد الله حدثني أبي حدثني ابراهيم بن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم وأبى ابراهيم يوم القيامة عليه الغبرة والفترة وقال له قد نهيته عن هذا فعصيتني قال لكني اليوم لأعصيك واحدة قال يا رب وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فان أخزيت أباه فقد أخزيت

الأبعد قال إبراهيم انى حرمته على الكافرين فأخذته منه قال يا إبراهيم أين أبوك قال أنت أخذته منى قال انظر أسفل منك فنظر فاذا نخب يخرج في تنه فأخذ بقوائمه فألقى في النار وهذا السناد غريب وفيه نكارة والذي يخبر هو الذك من الضباع كانه حول آزر الى صورة ذئب متطبخ بعذرتة فليق في النار كذلك وقدر واه البزار باسناد من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه غرابه ورواه أيضا من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقوله يوم (١٧٤) لا ينفع مال ولا بنون أى لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو اقمته على

الارض ذهبوا ولا بنون أى ولو اقمته
 بن على الارض جميعا ولا ينفع
 يومئذ الا الايمان بالله واخلاص
 الدين له والتبرى من الشرك وأهله
 ولهذا قال الامن أى الله بقلب
 سليم أى سالم من الدنس والشرك
 قال ابن سيرين القلب السليم ان
 يعلم ان الله حق وان الساعة آتية
 لا ريب فيها وان الله يبعث من فى
 القبور وقال ابن عباس الامن أى
 الله بقلب سليم القلب السليم ان
 يشهد أن لا اله الا الله وقال مجاهد
 والحسن وغيرهما بقلب سليم يعنى
 من الشرك وقال سعيد بن المسيب
 القلب السليم هو القلب الصحيح
 وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر
 والمنافق مريض قال الله تعالى فى
 قلوبهم مرض قال أبو عثمان
 النيسابورى هو القلب السالم من
 البدعة المظلمة أى السنة
 (وأزلقت الجنة للمتقين
 وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم
 أينما كنتم تعبدون من دون الله
 هل ينصرونكم أو ينتصرون
 فكذبوا فيها هم والغاوين
 وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم

ما يلهو به الصبيان ويلعبون به وأما القرب كالصلاة والصوم والحج والاستغفار والتسبيح
 فن أمور الآخرة لظهور غرتها فيها والله هو الاستمتاع ببلدات الدنيا وقيل هو الاشتغال
 بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العبث وقيل الله هو الاعراض عن الحق بالكليسة
 واللعب الاقبال على الباطل قاله الرازى وفى هذا نص غير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية
 ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم
 ينصرفون (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى الحياة الدائمة الخالدة التى لاموت فيها قال
 أبو عبيدة وابن قتيبة ان الحيوان الحياة قال الواحدى وهو قول جميع المفسرين ذهبوا
 الى أن معنى الحيوان ههنا الحياة وانه مصدر بمنزلة الحياة فيكون كالزوان والغليان
 ووالحيوان مقلوبة عن باء عند سيبويه وأتباعه وقال أبديت شذوذ وكذا فى حياة علماء
 وقال أبو البقاء ثلثا يلبس بالثنية وغير سيبويه جعل ذلك على ظاهره فالحياة عنده لامها
 واو ولا دليل لسيبويه فى حى لان الواو متى انكسرت ما قبلها قلبت ياء نحو عرى ورعى
 ورضى والتقدير لهى دار الحيوان أو ذات الحيوان أى دار الحياة الباقية التى لاتزول
 أو لا ينقصها موت ولا مرض ولا هـم ولا غم وقدر أبو البقاء ان حياة الدار وذلك ليطابق
 المبتدأ والخبر والمبالغة أحسن قال ابن عباس هى الحيوان أى باقية وعن أبي جعفر قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عجب كل العجب من مصدق بدار الحيوان وهو
 ليسعى لدار الغرور وأخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب وهو مرسل (لو كانوا يعلمون)
 أن الحياة هى حياة الآخرة أو يعلمون شيئا من العلم لما آثر والدار الفانية المنغصة
 على الآخرة الباقية ثم بين سبحانه انه ليس المانع لهم من الايمان المجرد تأثير الحياة فقال
 (فأذا ركبوا فى القلوب) أى اذا انقطع رجأؤهم من الحياة وخافوا العرق رجعوا الى الفطرة
 والركوب هو الاستعلاء وهو متعبد بنفسه وانما عدى بكلمة فى اللاشعار بأن المركوب فى
 نفسه من قبيل الامكنة (دعوا الله) وحده (مخلصين له الدين) بصديق نياتهم وتركهم عند
 ذلك لدعاء الاصنام لعلمهم انه لا يكشف هذه الشدة العظيمة النازلة بهم غير الله سبحانه
 (فلما نجأهم الى البر) وأمنوا (أذاهم يشركون) أى فاجروا المعاودة الى الشرك ودعوا
 غير الله سبحانه وعادوا الى ما كانوا عليه من العناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبوا
 البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها فى البحر وقالوا يا رب يا رب (ليكفر واما

فما يتحتمون نالته ان كالتى ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين وما أضلنا الا الجرمون فالنا من شافعين آتيناهم
 ولا صدق جيم فلان لناكرة فنكون من المؤمنين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وأزلقت
 الجنة أى قربت وأدنت من أهل الموقف من خرفة من نية لناظرها وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما فى الدنيا وعملوا لها فى الدنيا
 وبرزت الجحيم للغاوين أى أظهرت وكشف عنها وابتد منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل لأهلها تارة يعاوتون بها
 أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون أى ليست الآلهة التى عبدتموها من دون الله من تلك الاصنام

والانداد لتغني عنكم اليوم شيئاً ولا تدفع عن أنفسها فانكم واياها اليوم حسب جهنم انتم لها واردون وقوله فكذبوا فيها هم
والغاوون قال مجاهد يعني قد هو وافياها وقال غيره كذبوا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد انه ألقي بعضهم على بعض
من الكفار وقادتهم الذين دعواهم الى الشرك وخنود ابليس أجمعون أي ألقوا فيها عن آخرهم قالوا وهم فيها يحتصمون بالله ان كان
لني ضلال ميين اذنسو يكتم رب العالمين أي يقول الضعفاء للذين استكبروا انا كالكتم تبعافه ل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة نالته ان كألني ضلال مبيين (١٧٥) اذنسو يكتم رب العالمين أي نجعل أمركم

مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين
وعبدناكم مع رب العالمين وما
أضلنا الا المجرمون أي مادعانا الى
ذلك الا المجرمون فما لنا من شافعين
قال بعضهم يعني من الملائكة كما
يقولون فهل لنا من شفعا فيشفعوا
لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
وكذا قالوا لما لنا من شافعين ولا
صديق حميم أي قريب قال قتادة
يعلمون والله ان الصديق اذا كان
صالحا نفع وان الحميم اذا كان
صالحا شفع فلوان لنا كرهة فنسكون
من المؤمنين وذلك انهم يتمنون انهم
يردون الى دار الدنيا ليعملوا بطاعة
ربهم فيباينهمون والله تعالى يعلم
انهم لو رددوا الى دار الدنيا لعادوا لما
نحو اعنهم وانهم لكاذبون وقد أخبر
الله تعالى عن تخاصم أهل النار في
سورة ص ثم قال تعالى ان ذلك لحق
تخاصم أهل النار ثم قال تعالى ان
في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين أي ان في محاجة ابراهيم
لقومه واقامة الحج عليهم في
التوحيد لآية أي للدلالة واضحة
حليله على ان لا اله الا الله وما كان
أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزير الرحيم (كذبت قوم نوح

آياتهم) من نعمة الانبياء (وليتمتعوا) أي فاجوا الشرك بالله ليكفروا ويحجدوا بنعمة
الله وليتمتعوا بها فاللام في الضمير لام كي وفيه شيء لانه ليس الحامل لهم على الاشرار قصد
الكفر والظاهر انها لام العاقبة والمآل كما أشار له الشهاب وقيل اللام للتعليل والمعنى
لا فائدة لهم في الاشرار الا الاتمتع به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة وقيل هو ما لا
الامر تهديد او وعيد أي اكفروا بما اعطناكم من النعمة وتمتعوا وابدل على هذا المعنى
قراءة أبي وتمتعوا وهذا الاحتمال للاه من انما هو على قراءة أبي عمرو وورش بكسر اللام
واما على قراءة الجمهور بسكونها فلا خلاف انها لام الامر (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك
الامر وما فيه من الوبال عليهم وفيه تهديد لهم عظيم (أولم يروا) أي ألم ينظروا كفار قريش
(أنا جعلنا) حرمة أي بلدكم مكة (حرما آمنا) يأمن فيه ساكنه من الغارة والقتل
والسبي والنهب فصاروا في سلامة وعافية مما صار فيه غيرهم من العرب فانهم في كل حين
نظروهم الغارات ويحتاج أموالهم الغزاة وتسفك دماءهم الخنود وتستبيح حرمة
وأموالهم شطار العرب وشياطينها (ويخطف الناس) بجملة حالية أي وهم يخطف الناس
(من حولهم) بالقتل والسبي والنهب والخطف الاخذ بسرعة وقد مضى تحقيق معناه في
سورة القصص والجملة حالية (أقبل الباطل يؤمنون) وهو الشرك والاصنام والشيطان بعد
ظهور حجة الله عليهم واقرارهم بما يوجب التوحيد (وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد
صلى الله عليه وآله وسلم والاسلام ويجعلون كفرها مكان شكرها وفي هذا الاستفهام من
التقريع والتوبيخ ما لا يقادر قدره (ومن) أي لأحد (أظلم من افترى على الله كذبا) وهو
من زعم ان الله شريكا (أو كذب بالحق لما جاءه) أي كذب بالرسول الذي أرسل اليه
أو الكتاب الذي أنزل على رسوله وقال السدي بالتوحيد والظاهر شموله لما يصدق عليه
انه حق ثم هرد المكد بين وتوعدهم فقال (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي مكان
يستقرون فيه والاستفهام للتقرير والمعنى أليس يستحقون الاستقرار فيها وقد فعلوا
ما فعلوا الان همزة الانكار اذا دخلت على النفي صاروا يجابا فيرجع الى معنى التقرير أو ألم
يصح عندهم ان جهنم مثواهم حين اجترأ مثل هذه الجرأة ثم لما ذكر حال المشركين
الجاحدين التوحيد الكافرين بسم الله أردفه بحال عباده الصالحين فقال (والذين
جاهدوا) أي اوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة (فينا) أي في شأن الله

المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الاتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى
رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون (هذا الخبر من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو اول رسول بعثه الله الى أهل
الارض بعد ما عبدت الاصنام والانداد بعثه الله ناهيا عن ذلك ومحذرا من ويل عقابه فكذب قوم فاستمروا على ما هم فيه من
الفعال الخبيثة في عبادتهم اصنامهم مع الله تعالى وانزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فلهمذا قال تعالى كذبت
قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الاتقون أي لا تخافون الله في عبادتكم اني لكم رسول أمين أي اني رسول من الله اليكم

رسول أمم من فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الأعلى رب العالمين أتبنون بكل ربيع آية تعبدون وتتخذون مصانع لعلمكم تتخذون وإذا بطشتم ببطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمركم بما تعلمون أمركم بانعام وبنين وجنات وعميون أني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وهذا الخبر من الله تعالى عن عبده ورسوله هو عليه السلام أنه دعا قومه عاداً وكان قومه يسكنون الاحقاف وهي جبال الرمل قريباً من حضرموت من جهة بلاد اليمن وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال في سورة الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم

(١٧٧)

غاية من قوة التركيب والقوة

والبطش الشديد والطول المديد

والارزاق الدارة والاموال والجنات

والانهار والابناء والزروع والثمار

وكلوا مع ذلك يعبدون غير الله معه

فبعث الله هوداً اليهم رجلاً منهم

رسولاً وبشيراً ونذيراً فدعاهم الى

الله وحده وحدهم فقسمة

وعذابه في مخالفته وبطشه فقال

لهم كما قال نوح لقومه الى ان قال

أتبنون بكل ربيع آية تعبدون

اختلف المفسرون في الريع بما

حاص له انه المكان المرتفع عند

جواد الطرق المشهورة تبنيون عنك

بنياناً محكماً ثابلاً باهراً ولهذا قال

أتبنون بكل ربيع آية أي علماء

مشهورات تعبدون أي وانما تفعلون

ذلك عبثاً لا للاحتياج اليه بل لجرد

العب والالهو واطهار القوة ولهذا

أنكر عليهم نبينهم عليه السلام

ذلك لانه تضيق للزمان واتعاب

للابدان في غير فائدة واشتغال بما

لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة

ولهذا قال وتتخذون مصانع لعلمكم

تخذون قال مجاهد والمصانع

البروج المشيدة والبنيان المخلد

* (سورة الروم هي ستون أو تسع وخمسون آية) *

قال القرطبي كلها مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقال البيضاوي الا قوله فسبحان الله - بين تسون وحين تصبحون والاول اولى وأخر جرح عبد الرزاق وأحمد قال السيوطي بسند حسن عن رجل من الصحابة نرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم الصبح فقرأ فيها سورة الروم وأخرج البرازع عن الاغر المزني مثله وعن عبد الملك بن عمران النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في القبر يوم الجمعة بسورة الروم وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد بن قانع من طريق ابن عيسى مثل حديث الرجل الذي من الصحابة زاد فتردد فيها فلما انصرف قال انما يلبس علينا في صلواتنا قوم يحضرون الصلاة بغير ظهور من شهد الصلاة فليحسن الظهور

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) قد تقدم الكلام على فاتحة هذه السورة في فاتحة سورة البقرة والله أعلم بمراد ذلك (غلبت الروم) قرئ مبنيًا للمفعول وللفاعل قال النحاس قراءة الناس بضم الغين وكسر اللام قال أهل التفسير غلبت فارس الروم فخرج بذلك كسار مكة وقالوا الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب واقتصر واعلى المسلمين فقالوا نحن ايضا تغلبكم كما غلبت فارس الروم وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب أي نصارى فهم أقرب الى الاسلام والفرس مجوس فهم أقرب الى كفار قريش وفارس اسم أعجمي علم على تلك القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث بل والجمعة وعن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهر الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت الم غلبت الروم وقرأها على البناء للفاعل ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس وعن أبي الدرداء قال سيجي أقوام يقرؤون الم غلبت يعنى بالفتح وانما هي غلبت يعنى بالضم والروم اسم قبيلة سميت باسم جدها وهوروم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم قاله ابن جرير في تفسيره وسمى عيصو لانه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجه مات ارجا وأراد كل ان يخرج قبل صاحبه فقال عيصو ليعقوب ان لم أخرج قبلك والاخرجت من جنبها فتأخر يعقوب شفقة منه فلذا كان أبان الانبياء وعيصو أبان الجبارين كذا قيل والله أعلم قيل وكان هذا الحرب بين اذرعات

(٢٣ - فتح البيان سابع) وفي رواية عنه بروج الحمام وقال قتادة هي مأخذ الماء قال قتادة وقرأ بعضهم وتتخذون

مصانع كأنكم خالدون وفي القراءة المشهورة وتتخذون مصانع لعلمكم تتخذون أي لكي تقيموا فيها أباداً وذلك ليس يحصل لكم بل

زائل عنكم كما زال عن كنانة قبلكم وروى ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن بجلان

حدثني عون بن عبد الله بن عتبة ان أبان الدرداء رضى الله عنه لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنين ونصب الشجر قام في

مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا اليه فمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا تسهون ألا تسهون! ألا تسهون تجتمعون ما لنا كآون وتبنون

مالا تسكنون وتاملون ما لاتدركون انه قد كانت قبلكم قرون بمجموعون فيوعون وينون فيوثقون وياملون فيطيلون فأصبح املهم غرورا وأصبح جمعهم بورا وأصبحت مساكنهم قبورا إلا ان عاد املك ما بين عدن وعمان خيلا وركابا بن يشتري مني مبرات عاد بدرهمين وقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين أي بصفهم بالقوة والغلظة والجبروت فاتقوا الله وأطيعوا أي اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولاكم ثم شرع يذكركم نعم الله عليهم فقالوا تقوا الذي أمركم بما تعلمون أم دكم بانعام وبنين وبنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي ان كذبتم

(١٧٨)

وأوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الاخلاق الاولين وما نحن بمعدين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول تعالى مخبرا عن جواب قوم هود له بعدما حذرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه قالوا سواء علينا أوعظت وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها بجزيرة احاطة البحار والانهار العظيمة بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال ابن جري في تفسيره الجزيرة بين الشام والعراق وهي أول الروم الى فارس قال ابن عطية ان كانت الواقعة باذرعان فهي من أدنى الارض بالقياس الى مكة وان كانت الواقعة بالجزيرة فهي أدنى بالقياس الى أرض كسرى وان كانت بالاردن فهي أدنى الى أرض الروم وعن ابن عباس قال كان المشركون يحبون ان يظهر فارس على الروم لانهم كانوا أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم أصحاب كتاب فذكروه لابي بكر فذكروه لابي بكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما انهم سيغلبون فذكروه لابي بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فان ظهروا كان لنا كذا وكذا وان ظهروا كان لكم كذا وكذا فجعل بينهم أجلا خمس سنين فلم يظهر وافذ كذا لابي بكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الاجلته أراه قال دون العشرة فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله الم غلبت الروم فغلبت ثم غلبت بعد قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر وعن البراء بن عازب نحوه وزاد انه لما مضى الاجل ولم تغلب الروم فارس ساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جعله أبو بكر من المدة وكرهه وقال مادعا الى هذا قال تصديق الله ولرسوله فقال تعرض لهم وأعظم الخطية واجعله الى بضع سنين فاتاهم أبو بكر فقال هل لكم في العود فان العود أجد قالوا نعم فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارس وربطوا اخيولهم بالمدائن وبنوار ومية فقم أبو بكر بخباءه أبو بكر يحمله الى رسول

أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الاخلاق الاولين وما نحن بمعدين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول تعالى مخبرا عن جواب قوم هود له بعدما حذرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه قالوا سواء علينا أوعظت وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها بجزيرة احاطة البحار والانهار العظيمة بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال ابن جري في تفسيره الجزيرة بين الشام والعراق وهي أول الروم الى فارس قال ابن عطية ان كانت الواقعة باذرعان فهي من أدنى الارض بالقياس الى مكة وان كانت الواقعة بالجزيرة فهي أدنى بالقياس الى أرض كسرى وان كانت بالاردن فهي أدنى الى أرض الروم وعن ابن عباس قال كان المشركون يحبون ان يظهر فارس على الروم لانهم كانوا أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم أصحاب كتاب فذكروه لابي بكر فذكروه لابي بكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما انهم سيغلبون فذكروه لابي بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فان ظهروا كان لنا كذا وكذا وان ظهروا كان لكم كذا وكذا فجعل بينهم أجلا خمس سنين فلم يظهر وافذ كذا لابي بكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الاجلته أراه قال دون العشرة فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله الم غلبت الروم فغلبت ثم غلبت بعد قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر وعن البراء بن عازب نحوه وزاد انه لما مضى الاجل ولم تغلب الروم فارس ساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جعله أبو بكر من المدة وكرهه وقال مادعا الى هذا قال تصديق الله ولرسوله فقال تعرض لهم وأعظم الخطية واجعله الى بضع سنين فاتاهم أبو بكر فقال هل لكم في العود فان العود أجد قالوا نعم فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارس وربطوا اخيولهم بالمدائن وبنوار ومية فقم أبو بكر بخباءه أبو بكر يحمله الى رسول

الذين كفروا ان هذا الافك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظاهرا وزورا قالوا أساطير الاولين وقرأ آخرون الله

ان هذا الاخلاق الاولين بضم الخاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الامر هودين الاولين من الآباء والاجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونوت كما ماتوا ولا نبعث ولا معادول هذا قالوا وما نحن بمعدين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان هذا الاخلاق الاولين يقول دين الاولين وقاله عكرمة وعطاء الخراساني وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقوله فكذبوه فاهلكناهم أي استمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده فاهلكهم الله وقد بين سبب اهلاكهاهم

في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريمحاصر صرمامية أي ريمحاشديدة الهبوب ذات برد شديد جدا فسكان سبب اهلا كههم
 من جنسهم فانهم كانوا أعتى شئ وأجبره فسطاط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة كما قال تعالى ألم تركب مع ريمحاصر ذات
 العماد وهم عاد الأولى كما قال وأنه أهلك عاد الأولى وهم من نسل ارم بن سام بن نوح ذات العماد الذين كانوا يسكنون العمدة ومن
 زعم ان ارم مدينة فاعلم أخذ ذلك من الاسرائيليات من كلام كعب ووهب وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال التي لم يخلق مثلها
 في البلاد أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدهم وجبروتهم (١٧٩) ولو كان المراد بذلك مدينة لقال التي لم يبن

مثلها في البلاد وقال تعالى فأما
 عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق
 وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا
 أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم
 قوة وكانوا بايتنا يبجدون وقد
 قدمنا ان الله تعالى لم يرسل عليهم
 من الريح الاممقدار أفك الثور عمت
 على الخزنة فأذن الله لها في ذلك
 فسلكت فخصبت بلادهم فخصبت
 كل شئ لهم كما قال تعالى تدمر كل
 شئ بأمر ربها الآية وقال تعالى
 فاما عاد فأهلكوا بريح صرصر
 عاتية الى قوله حسوما أي كاملة
 فسترى القوم فيها صرعى كأنهم
 أعجاز نخل خاوية أي بقوا أيدانا
 بلا روس وذلك ان الريح كانت تأتي
 الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء
 ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ
 دماغه وتكسر رأسه وتلقبه كأنهم
 أعجاز نخل مننعرو وقد كانوا يتحصنوا
 في الجبال والكهوف والمغارات
 وحفر لهم في الارض الى أنصافهم
 فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شياً
 لان أجل الله اذا جاء لا يؤخر ولهذا
 قال تعالى فكذبوه فأهلكناهم
 الآية (كذبت عود المرسلين اذ قال
 لهم أخوهم صالح الاتقون اني

الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذا السحت تصدق به ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد
 ان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائز في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد
 احتجوا على صحة ذلك بهذه القصة والقصة حجة عليهم ما لا اله الا هو والروم من بعد غلب فارس
 اياهم (سيعلبون) أهل فارس والغلب والغلبة لغتان (في بضع سنين) قد تقدم تفسير
 البضع واشتقاقه في سورة يوسف والمراد به هنا ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسع
 وقيل الى السبع وقيل مادون العشرة وانما أجمع البضع ولم يبينه وان كان معلوماً لانيه
 صلى الله عليه وآله وسلم لادخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت كما يؤخذ ذلك من تفسير
 الفخر الرازي أخرج الترمذي وصححه والدارقطني في الافراد والطبراني وابن مردويه
 وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب عن نيار بن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت
 الروم الآية كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين الروم وكان المسلمون يحبون
 ظهور الروم عليهم لانهم واياهم أهل الكتاب وفي ذلك يقول الله ويومئذ يفرح المؤمنون
 بنصر الله الخ وكانت قريش تحت ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا أهل كتاب ولا ايمان
 بيعت فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى
 الارض وهم من بعد عليهم سيعلبون في بضع سنين فقال ناس من قريش لابي بكر ذلك بيننا
 وبينكم يزعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين فلانرا هذا على ذلك فقال
 بلى وذلك قبل تحريم الرهان فازتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا للرهان وقالوا لابي
 بكر لم تجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسمع بيننا وبينك وسطان انتهى اليه قال فسمعوا
 بينهم ست سنين فصت الست قبل أن يظهر واخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت
 السنة السابعة ظهرت الروم فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين لان الله قال في
 بضع سنين فاسلم عند ذلك ناس كثير وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس ان النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم لم قال لابي بكر ألا احتطت يا أبا بكر فان البضع ما بين ثلاث الى تسع
 وأخرج البخاري عنه في تاريخه نحوه وفي الباب روايات وما ذكرنا يغني عن عساواه (الله
 الأمر) أي هو المتفرد بالقدره وانفاذ الاحكام (من قبل ومن بعد) أي من وقت المغلوبة
 ووقت الغالبة فهو لفظ ونشر مرتب على الآية وقال ابو السعدي في اول الوقتين

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجزان أجرى الاعلى رب العالمين وهذا اخبار من الله عز وجل عن
 عبده ورسوله صالح عليه السلام انه بعثه الى قومه عود وكانوا عرابة سكنون مدينة الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام
 ومساكنهم معروفة مشهورة وقد قدمنا في سورة الاعراف الاحاديث المروية في مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم حين أراد
 عبور الشام فوصل الى تبول ثم عاد الى المدينة ليتأهب لذلك وكانوا بعد عاد وقيل الخليل عليه السلام فدعاهم بينهم صالح الى الله عز
 وجل ان يعبدوه وحده لا شريك له وان يطيعوه فيما بلغتهم من الرسالة فابوا عليه وكذبوه وخافوه وأخبرهم انه لا يتبعني بدعوتهم أجزا

منهم وانما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال (أتتركون في ما ههنا آمين في جنات وعميون وزروع
وتخل طلعا هضم وتحتون من الجبال بيوتافر هين فاتقوا الله وأطيعوا ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض
ولا يصلحون) يقول لهم واعظاهم ومحذرههم نعم الله ان تحملهم ومذكرا بانعم الله عليهم فيما رزقهم من الارزاق الدارة وجعلهم في
أمن من المحذرات وأثبت لهم من الجنات وجعل لهم من العيون الخاريات وأخرج لهم من الزروع والثمرات ولهذا قال وتخل
طلعا هضم قال العوفي عن ابن عباس (١٨٠) أئبع وبلغ فهو هضم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

وتخل طلعا هضم يقول مة شبة
وقال اسمعيل بن أبي خالد عن عمرو
ابن أبي عمرو وقد أدرك العجابه عن
ابن عباس في قوله وتخل طلعا
هضم قال اذا رطب واسترخى رواه
ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن أبي
صالح نحو هذا وقال أبو إسحق عن
أبي العلاء وتخل طلعا هضم قال
هو المزيب من الرطب وقال مجاهد
هو الذي اذا يبس تهشم وتفتت
وتناثر وقال ابن جرير سمعت عبد
الكريم أبا نامة سمعت مجاهدا
يقول وتخل طلعا هضم قال حين
يطلع يقبض عليه فيضمه فهو من
الرطب الهضم ومن اليابس الهشم
تقبض عليه فتهشم وقال عكرمة
وقدادة الهضم الرطب اللين وقال
الضحاك اذا كثرت حنجر الثرة وركب
بعضها بعضا فهو هضم وقال مرة
هو الطلع حين يتفرق ويخضر
وقال الحسن البصري هو الذي
لانوى له وقال أبو حنيفة ما رأيت
الطلع حين ينشق عنه الكم فترى
الطلع قد لصق ببعضه ببعض فهو
الهضم وقوله وتحتون من الجبال
بيوتافر هين قال ابن عباس وغير

وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون والمعنى ان كلاما من كونهم مغلوبين أو لا وغالبين آخرها
ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام ندوا لها بين الناس انتهى قرى بضم الظرفين
لكونهما مقطوعين عن الاضافة اى من قبل الغلب ومن بعده او من قبل كل امر وبعده
قال الزجاج معنى الآية من متقدم ومن متأخر وحكى الكسائي من قبل ومن بعد بكسر
الاول متونا وضم الثاني بلاتنوين وحكى الفراء بكسرهما من غير تنوين وغلطه
الحساس وقال انما يجوز زكوة ورامتونا قلت وقد قرى بذلك وجهه انه لم يوافقهما
فاعبرهما وقال شهاب الدين وقد قرى بكسرهما متونين (ويومئذ) اى يوم ان تغلب
الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصرته) للروم على
فارس لكونهم اهل كتاب كما ان المسلمين اهل كتاب بخلاف فارس فانهم لا كتاب لهم ولهذا
سرا المشركون بنصرهم على الروم وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به
المشركين من غلبة الروم على فارس والاول اولى قال الزجاج هذه الآية من الآيات التي
تدل على ان القرآن من عند الله لانه أنبأ بما سيكون وهذا لا يعلمه الا الله سبحانه (ينصرون
يشاء) أن ينصره (وهو العزيز) الغالب القاهر (الرحيم) الكثير الرحمة لعباده
المؤمنين وقيل المراد بالرحمة هنا الدينونة وهى شامله لاهل السلم والكافر (وعدا الله لا يخلف الله
وعده) أى وعد الله وعدا لا يخلفه وهو ظهور الروم على فارس (ولكن أكر الناس
لا يعلمون) بجهلهم وعدم تنكرهم ان الله لا يخلف وعده وهم الكفار وقيل كثر ما مكه على
الخصوص نفي عنهم العلم النافع للآخرة وقد أثبت لهم العلم باحوال الدنيا فقال (يعلمون)
بدل من لا يعلمون وهذا أحسن من قول الخوفا انها مستأنفة من حيث المعنى الا ان
الصناعة لا تساعده عليه لان بدل فعل مثبت من فعل منفي لا يصح والضمير للاكثر وكذا
يقال فيه ببعده وفيه بيان انه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى
لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا (ظاهر من الحياة الدنيا) أى ظاهر ما يشاهدونه من زخارف
الدنيا وملاذها وأمر معاشهم واسباب تحصيل فوائدهم الدينوية وقيل هو ما تلقى
الشياطين اليهم من أمور الدنيا عند استراقهم السمع وقيل الظاهر الباطل وقيل يعنى
معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ومتى يزرعون ومتى يحصدون قال
الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم طرف ظفره فيذكر وزنه لا يحطى وهو لا يحسن يوصل

واحد يعنى حاذق وفي رواية عنه شريهين اشريهين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا مفاة بينهما فانهم كانوا
يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أنرا بطرا وعبثا من غير حاجة الى بنائها وكانوا حذقين متقنين لحياتهم ونفسهم كما هو
المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ولهذا قال فاتقوا الله وأطيعوا أى أقبلوا على ما بعد نفعه عليكم في الدنيا والآخرة من
عبادة بكم الذى خلقكم ورزقكم لتعبده وخدمته وتسجدوا بكرة وأصيلا ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض
ولا يصلحون يعنى رؤساءهم وكبراءهم الدعاء لهم الى الشرك والكفر ومخالفة الحق (قالوا انما أنت من المستحزين ما أنت

الابشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول تعالى مخبراً عن ثمود وجوابهم لنبيهم صالح عليه السلام حين دعاهم الى عبادة ربهم عز وجل انهم قالوا انما أنت من المسحورين قال مجاهد وقتادة يعنون من المسحورين وروى أبو صالح عن ابن عباس من المسحورين يعني من الخلقين واستشهد بعضهم على هذا بقول الشاعر
 فان تسألنا فيم نحن فاننا
 (١٨١) * عسافير من هذا الانام مسحور

يعنى الذين لهم سحر والسحر الرئة والاطهر في هذا قول مجاهد وقتادة انهم يقولون انما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك ثم قالوا ما أنت الابشر مثلنا يعني فكيف أوحى اليك دوننا كما قالوا في الآية الاخرى أنزل عليه الذكر من بيننا بل هو كذاب أشرف سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ثم انهم اقرحوا عليه آية يأتينهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم وقد اجتمع ملائمتهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الان من هذه الصخرة ناقة عشرة وأشاروا الى صخرة عندهم من صنتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الى ما سألو المؤمنين به وليتبعنه فأعطوه ذلك فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل ان يجيبهم الى سؤالهم فانقطرت تلك الصخرة اتى أشار واليهاء عن ناقة عشرة على الصفة التي وصفوها فآمن بعضهم وكفراً أكثرهم قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم

وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها وقيل لا يعلمون الدينا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وافادت الآية الكريمة ان للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتمتع بملاذها وباطناتها انما يجازى الآخرة بتزود منها اليها بالطاعة وبالأعمال الصالحة وتنكير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهراً واحداً من جملة تطواهرها (وهم عن الآخرة) التي هي النعمة الدائمة واللذة الخالصة (هم غافلون) لا يلتفتون اليها ولا يعدون لها ما تحتاج اليه أو غافلون عن الايمان بها والتصديق بحقيقتها وفيه انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها واعادة لفظهم الثانية لتأكيده (أولم يتفكروا) الهمة للانكار عليهم والوالوال للعطف على مقدر كما في نظائره (في أنفسهم) طرف للتفكير وليس مفعولاً للتفكير والمعنى ان أسباب التفكير حاصلة لهم وهي أنفسهم لو تفكروا فيها كما ينبغي لعلموا وحدانيتهم تعالى وصدق أنبيائه وقيل انهم مفعول التفكير والمعنى أولم يتفكروا في خلق الله اياهم ولم يكونوا شياً والاول أولى لان المعنى أولم يتفكروا في قلوبهم الفارغة من الفكر التي هي أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم علم باحوالهم باحوال ما عداها فيتدبروا وما أودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها من الانتهاء الى وقت يجازى فيه على الاحسان احساناً وعلى الاساءة مثلها حتى يعلم عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا في قولوا هذا القول وقيل معناه في الكلام دليل عليه وما في ما خلق نافية اى لم يخلقها (الابالحق) الثابت الذي يحق ثبوته أو هي اسم في محل نصب على اسقاط الخافض اى بما خلق الله ويضرب ان تكون استفهامية بمعنى النبي والباء للسببية أو هي ومحرورها في محل نصب على الحال اى متلبسة بالحق قال الفراء معناه الاللق اى للشواب والعقاب وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة وقيل انه هو الحق والحق خلقها (وأجل مسمى) للسموات والارض وما بينهما تنتهى اليه وهو يوم القيامة وفي هذا تنبيه على الفناء وان لكل مخلوق أجلاً لا يجاوزه وقيل معناه انه خلق ما خلق في وقت سماه خلق ذلك الشيء (وان كثير من الناس بلفاء ربهم) اى بالبعث بعد الموت (لكافرون)

معلوم يعني ترماءكم يوماً ويوماً تردونه انتم ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب يوم عظيم فخذهم نعمة الله ان أصابوها بسوء فكشفت الناقة بين أظهرهم حينما من الدهر ترماء وتأت كل الورق والمرعى ويتفتنون بلبنيها يعلمون منها ما يكفهم شرباً وورقاً فلما طال عليهم الامد وحضراً سقاهاهم تعالى اعنى قتلها وعقرها فعقرها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب وهوان أرضهم زلزات زلز الا شديد اوجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها وأتاهم من الامر ما لم يكونوا يحتسبون وأصبحوا في دارهم جاثمين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط الا لتقون اني

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجران أجرى الأعلى رب العالمين) يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزر وهو ابن أخي ابراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بعثه الى أمة عظيمة في حياة ابراهيم عليه السلام وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكتها الله بها وجعل مكانها بحيرة ممتلئة خبيثة وهي مشهورة ببلاد الغور بناحية حبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك فذاعهاهم الى الله عز وجل ان يعبدوه وحده لا شريك له وان يطيعوا رسولهم الذي بعثه (١٨٢) الله اليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا اقداء بتدعوه

واللام هي المؤكدة والمراد بهؤلاء الكفار على الاطلاق أو كفار مكة (أولم يسعروا في الارض فينظروا) الاستفهام للتقريع والتوبيخ لعدم تفكيرهم في الاستمرار وتأملهم لمواقع الاعتبار والمعنى انهم قد ساروا وشاهدوا (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من طوائف الكفار والاعم الذين أهلكتها الله بسبب كفرهم بالله وجودهم للعق وتكذيبهم للرسول (كانوا أشد منهم قوة) كعادتهم ودوا الجملة مبينة للكيفية التي كانوا عليها وانهم أقدر من كفار مكة ومن تابعهم على الامور الدنيوية وقال ابن عمر كان الرجل ممن كان قبلكم بين منكبسيه ميل أخرجه ابن مردويه (وأثأروا الارض) أي حرثوها وقلبوا للزراعة وزاولوا أسباب ذلك ولم يكن أهل مكة أهل حرث (وعمرها) عمارة (أكثر مما عمرها) لان أولئك كانوا أطول منهم اعماراً وأقوى اجساماً وأكثر تحصيلاً لاسباب المعاش فعمروا الارض بالابنية والزراعة والغرس (وجاتهم رساهم بالبينات) أي المعجزات والحجج الظاهرات وقيل بالاحكام الشرعية (فما كان الله ليظلمهم) بتعذيبهم على غير ذنب راهلا كههم بغير جرم (وايكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والتكذيب للرسول (ثم كان عاقبة الذين أسأوا) أي عملوا السيئات من الشرك والمعاصي (السواى) هي فعلى من السوء تأنيث الاسوا وهو الاقبح أي كان عاقبتهم العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وقيل هي اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة أو مصدركا ليسرى والذكري وصفت به العقوبة مبالغه وقرئ عاقبة بالرفع على انها اسم كان وان خبر السواى أي الفعلة او الخصلة او العقوبة السواى ومن القائلين بان السواى جهنم الفراء والزجاج وابن قتيبة واكثر المنسرين وسميت سواى لانها تسوء صاحبها (أن كذبوا) أي لان كذبوا (بآيات الله) التي أنزلها على رسوله أو بان كذبوا قال الزجاج المعنى ثم كان عاقبة الذين أشركوا تكذيبهم بآيات الله واستهزاؤهم بها (وكانوا يهتزون) عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية او في حكم الاسم لكان وان خبرية لهما (الله يهتزون) أي الى موقف الخلق فيجازى المحسن باحسانه والمسيء باسائه وافرد الضمير في بعده باعتبار لفظ الخلق وجمعه في ترجعون باعتبار معناه وقرئ يرجعون بالتحية والفوقية على الخطاب واللاتفات المؤذن بالمبالغة (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قرئ يبلس على البناء

في العالم مما لم يسبتهم أحد من الخلائق الى فعله من اتيان الذكور دون الاناث ولهذا قال تعالى (أتأتون الذكران من العالمين) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته لوط له كوزن من الخرجين قال انى لعمركم من القالين رب نجى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين العجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) لما نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور وأرشدهم الى اتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له الا ان قالوا لئن لم تنته لوط له كوزن من الخرجين أي عما جئت به من بين أظهرنا كما قال تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتظهرون فلما رأى انهم لا يرتدعون عما هم فيه وانهم مستترون على

ضلالتهم تبرأ منهم وقال انى لعمركم من القالين أي المبغضين لأحبه ولا أرضى به وانى يرى منكم ثم دعا للفاعل الله عليهم فقال رب نجى وأهلى مما يعملون قال الله تعالى فنجيناه وأهله أجمعين أي كلهم العجوزا في الغابرين وهي امرأته وكانت عجوزاً بقيت فهلكت مع من بقي من قومه وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الاعراف وهو ذو كذا في المخرجين أمره الله ان يسرى بأهله الامرأته وانهم لا يلتفتوا اذا دعوا للصيحة حين تنزل على قومه فصبروا بالامر الله واستروا وانزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك الآية ولهذا قال تعالى ثم دمرنا الآخرين

وأمرنا عليهم مطرا الى قوله وان بك لهوا العزير الرحيم (كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الاتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) هؤلاء يعني أصحاب الايكة هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم وانما لم يقل ههنا أخوهم شعيب لانهم نسبوا الى عبادة الايكة وهي شجرة وقيل شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها فلذلك قال كذب أصحاب الايكة المرسلين لم يقل اذ قال لهم أخوهم شعيب وانما قال اذ قال لهم شعيب فقطع نسب الاخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا اليه وان (١٨٣) كان أخاهم نسبا ومن الناس من لم يقطن له هذه

النسبة فظن ان أصحاب الايكة غير أهل مدين فزعم ان شعيبا عليه السلام بعثه الله الى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمم وقدرى اسحق بن بشر الكاهلي وهو ضعيف حدثني ابن السدي عن أبيه وزكريا بن عمرو عن خصيف عن عكرمة قال لا مابعث الله نبيا من نبي الاشياء مارة الى مدين فاخذهم الله بالصحة ومرة الى أصحاب الايكة فاخذهم الله تعالى بعد ذاب يوم الظلة وروى أبو القاسم البغوي عن هذبة عن همام عن قتادة في قوله تعالى وأصحاب الرس قوم شعيب وقوله وأصحاب الايكة قوم شعيب وقاله اسحق بن بشر وقال غير جويبر أصحاب الايكة ومدين هما واحد والله أعلم وقدرى الحافظ بن عساكر في ترجمة شعيب بن طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن يوسف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوم مدين وأصحاب الايكة أمتان بعث الله اليهما شعيبا النبي

للفاعل يقال أبلس الرجل اذا سكت وانقطعت حجته فهو قاصر لا يتعدى قال القراء والزجاج الملبس الساكت المنقطع في حجته الذي أبلس ان يهتدى اليها وقرئ مبني للمفعول وفيه بعد لان أبلس لا يتعدى وقال الكلبي أي ينس المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب وقد مننا تنسيرا الابلاس عند قوله فاذا هم ملبسون وقال ابن عباس بيلس يبتئس وعنه يكتب وعنه الابلاس الفضيحة (ولم يكن لهم) أي لا يكون للمشركين يوم تقوم الساعة (من شركائهم) الذين عبدوهم من دون الله وأشركوهم وهم الاصنام ليسفحوا لهم (شفعا) يجيرونهم من عذاب الله (وكانوا) في ذلك الوقت (بشركائهم) أي بألهتهم الذين جعلوهم شركاء لله (كافرين) أي جاحدين لكونهم آلهة لانهم علما اذ ذلك انهم لا يتفكرون ولا يضررون وقيل ان معنى الآية كانوا كافرين في الدنيا بسبب عبادتهم والاول أولى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أي يتفرق جميع الخلق المدلول عليهم بقوله الله يبدأ الخلق والمراد بالفرق ان كل طائفة تنفرد بالمؤمنون بصيرون الى الجنة والكافرون الى النار وليس المراد بتفرق كل فرد منهم عن الآخر ومثله قوله فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب فلا يجتمعون أبدا ثم بين الله سبحانه كيفية تفرقهم فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال النحاس سمعت الزجاج يقول معنى أمدع ما كفايه وخذ في غيره وكذا قال سيبويه ان معناها ما يمكن من شئ نخذ في غير ما كفايه (فهم في روضة) الروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وقيل البستان الذي هو في غاية النضارة قال المفسرون والمراد بها هنا الجنة والتشكيك لا يهاجم امرها وتفخيم شأنها قال ابو عبيد الروضة ما كان في سفلى فاذا كان مرتفعا فهو ترعة وقال غيره احسن ما تكون الروضة اذا كانت في مكان مرتفع (يجبرون) الجبور والخبرة السرور أي فهم في رياض الجنة ينعمون وقال ابن عباس يجبرون يكرمون وقال النحاس حكى الكسائي خبرته أي أكرمته ونعمته وقيل يحلون والاولى تفسير يجبرون بالسرور كما هو المعنى العربي ونفس دخول الجنة يستلزم الاكرام والتعظيم وفي السرور زيادة على ذلك وقيل التحبير التحسين فمعنى يجبرون يحسن اليهم وقيل هو السماع الذي يسمعون في الجنة وقيل غير ذلك والوجه ما ذكرناه واخرج الديلمي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة قال الله اين الذين كانوا ينزهون اسماعهم

عليه السلام وهذا غريب وفي رفعه نظر والاشبه ان يكون موقوفا والصحيح انهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشئ ولهذا وعظ هؤلاء أمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على انهم أمة واحدة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين وزنوا بالقسط المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين وانقوا الذي خلقكم والجلية الاولين) يأمرهم عليه السلام بايقاف المكيال والميزان وينهاهم عن التطفيف فيما يقال أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين أي اذا دفعتم للناس فكملا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتعطوه ناقصا وتأخذوه اذا كان لكم تاما وافيلا لكن خسذوا كما تعطون

وأعطوا كما تأخذون وزنوا بالقسطاس المستقيم والقسطاس هو الميزان وقيل هو القبان قال بعضهم هو معرب من الرومية قال مجاهد القسطاس المستقيم هو العدل بالرومية وقال قتادة القسطاس العدل وقوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم أى لا تنقصوهم أموالهم ولا تعثوا فى الأرض منسدين يعنى قطع الطريق كما قال فى الآية الأخرى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وقوله واتقوا الذى خلقكم والجلد الاولين يخوفهم بأس الله الذى خلقهم وخلق آباءهم الاوائل كما قال موسى عليه السلام ربكم ورب آباءكم الاولين قال ابن عباس (١٨٤) ومجاهد والسدى وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم

وابصارهم عن من امير الشيطان ميزوهم فيميزون فى كتب المسك والعنبر ثم يقول للملائكة اسمعوهوم من تسبيحى وتحميدى وتهللى قال فيسبحون باصوات لم يسمع السامعون بمثلها قط وعن مجاهد قال ينادى مناد يوم القيامة قد كرتنحوه وعن ابن عباس قال السبيوطى بسند صحيح فى الجنة شجر على ساق قدر ما يسير الراكب الجندى فى ظلها مائة عام فيخرج اهل الجنة اهل الغرف وغيرهم فيحدثون فى ظلها فيشتمى بعضهم ويذكروها الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا وعن أبى هريرة روى عن عائشة اخرجها الحكيم الترمذى فى النوادر (واما الذين كفروا) بالله (وكذبوا باياتنا) اى القرآن (ولقاء الآخرة) اى البعث والجنة والنار (فاولئك) المتصفون بهذه الصفات (فى العذاب محضرون) اى مقيمون فيه لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها وقيل مجموعون وقيل بازلون وقيل معذبون والمعاني متقاربة والمراد دوام عذابهم ثم لما بين عاقبة طائفة المؤمنين وطائفة الكافرين ارشد المؤمنين الى ما فيه الاجر الوافر والخير العام فقال (فسبحان الله) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى فاذا علمت ذلك فسبحوا الله اى زهوهم عما لا يليق به وصفوه بصفات الكمال وهذا أولى وقيل صلوا كما سأتى (حين تمسون وحين تصبحون) اى فى وقت الصباح والمساء وفى العشى وفى وقت الظهيرة وعلى ان المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس فقوله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء وقوله حين تصبحون صلاة الفجر (وله الجدى فى السموات والأرض) معترضة مسوقة للإرشاد الى الحمد والايدان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح كما فى قوله سبحانه فسبح بحمدهم وقوله ونحن نسبح بحمدك وقيل معنى واه الحمد الاختصاص به بالصلاة التى يقرأ فيها الحمد والاولى (وعشيا) عطف على حين وفيه صلاة العصر والعشى من صلاة المغرب الى العمة قاله الجوهري وقال قوم هو من زوال الشمس الى طلوع الفجر اى الحمد له يكون فى السموات والأرض (وحيث تطهرون) اى تصلون صلاة الظهر كذا قال الضحاك وسعيد ابن جبير وغيره ما قال الواحدى قال المفسرون ان معنى فسبحان الله فصلوا الله قال الخناس أهل التفسير على ان هذه الآية فى الصلوات الخمس قال وسمعت محمد بن يزيد يقول حقيقة عنده فسبحوا الله فى الصلوات لان التسبيح يكون فى الصلاة وقال ابن عباس كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة وعنه قال جعلت هذه الآية مواقيت الصلاة

ورب آباءكم الاولين قال ابن عباس والجلد الاولين يقول خلق الاولين وقرأ ابن زيد ولقد أضل منكم جبلا كثيرا (قالوا انما أنت من المسكرين وما أنت الا بشر مثلنا وان تظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون فكنذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية لى ما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يخبر تعالى عن جواب قوم له بمثل ما أجابت به عود لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا انما أنت من المسكرين يعنى من المسحورين كما تقدم وما أنت الا بشر مثلنا وان تظنك لمن الكاذبين أى متعمدا الكذب فيما تقوله لأن الله أرسلك اليها فأسقط علينا كسفا من السماء قال الضحاك جابيا من السماء وقال قتادة قطعاً من السماء وقال السدى عذابا من السماء وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى أن قالوا وأتسقط

السماء كما رعت علينا كسفا وتأتى بالله والملائكة قبيلا وقوله واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من فسبحان عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية وهكذا قال هؤلاء الكفار الجاهلة فاسقط علينا كسفا من السماء الآية قال ربى أعلم بما تعملون يقول الله أعلم بكم فان كنتم تستحقون ذلك جازا كره وهو غير ظالم لكم وهكذا وقع بهم جزاء كسألوا جزاء وفاقا ولهذا قال تعالى فكنذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وهذا من جنس ما سألوهم من اسقاط الكسف عليهم فان الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكفهم منه شئ ثم أقبلت اليهم سبحانه أظلمتهم فجعلوا ينظفون

اليها يستظلون بظلمها من الحرف فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شر من نار ولهبها ووجعاً عظيماً ورجفت بهم الارض وجاءتهم صيحة عظيمة ازهقت أرواحهم ولهذا قال تعالى انه كان عذاب يوم عظيم وقد ذكر الله تعالى صفة اهلا كههم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق في الاعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جائعين وذلك لانهم قالوا انخرجنا يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ولتعودن في ما كنا فأرجفوا نبي الله ومن اتبعه فاخذتهم الرجفة وفي سورة هود قال فاخذتهم الصيحة وذلك لانهم استهزؤا بنبي الله في قولهم

(١٨٥)

أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء
انك لانت الحليم الرشيد قالوا ذلك
على سبيل التهكم والازدراف فاسب
ان يأتيهم صيحة تسكتهم فقال
فاخذتهم لصيحة الآتية وههنا قالوا
فأسقط علينا كسفا من السماء
الآتية على وجهه التعتت والعتاد
فناسب ان يحقق عليهم ما استبعدوا
وقوعه فاخذهم عذاب يوم الظلة
انه كان عذاب يوم عظيم قال
قتادة قال عبد الله بن عمر رضي الله
عنه ان الله سلط عليهم الحرس سبعة
أيام حتى ما ينظلم منهم شيء ثم ان
الله تعالى أنشأ لهم صحابة فانطلق
اليها أحدهم فاستظل بها فاصاب
تحتها بردا وراحة فأعلم بذلك قومه
فأتوها جميعا فاستظلوا تحتها فاجت
عليهم ناراً وهكذا روى عن عكرمة
وسعيد بن جبير والحسن وقتادة
وغيرهم وقال عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم بعث الله اليهم الظلة حتى اذا
اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة
وأحى عليهم الشمس فاحترقوا كما
يحترق الجراد في المقلبي وقال محمد
ابن كعب القرظي ان أهل مدين
عذبوا ثلاثاً لأنه أصناف من العذاب

فصبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين
تظهرون الظهر وقد وردت أحاديث صحاح في فضل التسبيح ونواب المسبح وأخرج أحمد
وابن السني والطبراني وغيرهم عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذي وفي لانه كان يقول كلما أصبح وأمسى سبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد الآتية وفي اسناده ابن لهيعة وأخرج أبو داود
والطبراني وابن السني وغيرهم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
قال حين يصبح سبحان الله الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاتة في يومه ومن قالها حين
يمسي أدرك ما فاتة في ليلته واسناده ضعيف (يخرج الحى من الميت) كالانسان
من النطفة والطير من البيضة والمؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) كالنطفة
والبيضة من الانسان والطير والكافر من المؤمن وقد سبق بيان هذا في سورة آل عمران
قيل ووجه تعلق هذه الآتية بالتى قبلها ان الانسان عند الصباح يخرج من شبه الموت وهو
النوم الى شبه الوجود وهو اليقظة وعند العشاء يخرج من اليقظة الى النوم (ويحى
الارض) بالنبات (بعدموتها) باليباس وهو شبهه باخراج الحى من الميت (وكذلك)
الخراج (تخرجون) من قبوركم قرئ على البناء للمفعول والفاعل فأسند الخروج
اليهم كقوله يخرجون من الاجداث والمعنى ان الابداء والاعادة يتساويان في قدرة من هو
قادر على اخراج الميت من الحى وعكسه (ومن آياته) الباهرة الدالة على البعث وذكر
لفظ من آياته ست مرات تنتهى عند قوله اذا أنتم تخرجون ذكر فيها بدء خلق الانسان آية
آية الى حين بعثه من القبور وختم هذه الآتية بقيام السموات والارض لكونه من
العوارض اللازمة لان كلام السماء والارض لا يخرج عن مكانه فيتعجب من وقوف
الارض وعدم نزولها ومن علو السماء وثباتها بغير عمد ثم أتبع ذلك بالنشأة الآخرة وهى
الخروج من الارض وذكور من الانفس أمرين خلقكم وخلق لكم من أنفسكم وذكر
من الآفاق السماء والارض وذكور من لوازم الانسان اختلاف اللسنة واختلاف اللون
وذكور من عوارضه المناام والابتغاء ومن عوارض الآفاق البرق والمطر ومن لوازمهما
قيام السماء وقيام الارض كذا في النهر جفلة ما يتعلق بالنوع الانسانى ستة أشياء اثنان
أصول واثنان لوازم واثنان عوارض وستة متعلقة بالآفاق اثنان أصول واثنان لوازم

(٢٤ - فتح البيان سابق) أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا
الى البيوت فتسقط عليهم فارسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال ما رأيت كالיום ظلالاً أطيب ولا أبر من هذا هلوا أيها
الناس فدخلوا جميعاً تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فقالوا جميعاً ثم تلا محمد بن كعب فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب
يوم عظيم وقال محمد بن جرير حدثني الحرث حدثني الحسن حدثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد حدثنا حماد بن أبي صيفرة حدثني
يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآتية فاخذهم عذاب يوم الظلة الآتية قال بعث الله عليهم رعدة وحر اشديداً فاخذ بانفاسهم

فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرية فبعث الله عليهم صحابة فأظلمت من الشمس فوجدوا الهابردا وولده فنادى بعضهم بعضهم حتى إذا اجتمعوا تحتهم أرسل الله عليهم نارا قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك له العزيز الرحيم أي العزيز في انتقامه من الكافر من الرحيم بعباده المؤمنين (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانه أي القرآن الذي (١٨٦) تقدم ذكره في أول السورة في قوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث

واثنان عوارض (أن خلقكم) أي خلق أبائكم آدم (من تراب) وخلقكم في ضمن خلقه لان الفرع مستمد من الاصل وما أخذ منه وقدمضى تفسير هذا في الانعام (ثم اذا أنتم بشر) الترتيب والمهملة هنا ظاهراً فانهم انما يصيرون بشر بعد أطوار كثيرة واذا هي الفيضية وان كانت أكثر ماتقع بعد الفاء لكنها وقعت هنا بعد ثم بالنسبة إلى ما يليق بهذه الحالة الخاصة وهي أطوار الانسان كما حكاه الله في مواضع من كونه نطفة ثم علقته ثم مضغه ثم عظمها مكسو الجافاجأ البشرية والانتشار (تنتشرون) أي تنصرفون فيما هو قوام معاشكم وتبسطون في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم) أي من جنسكم في البشرية والانسانية (أزواجاً) وقيل المراد حواء فانه خلقها من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال ونطف النساء (لتسكنوا) أي تألفوا وتميلوا (اليها) أي إلى الأزواج فان الجنسيتين المختلفتين لا يسكن أحدهما إلى الآخر ولا يميل قلبه اليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي ودادا وترجاً بسبب عصمة النكاح يعطف به بعضهم على بعض من غير أن يكون بينكم من قبل ذلك معرفة فضلاً عن مودة ورحمة وقال مجاهد المودة الجماع والرحمة الولاد وبه قال الحسن وابن عباس وقال السدي المودة المحبة والرحمة الشفقة وقيل المودة حب الرجل امرأته والرحمة رحمته ايها من أن يصيبها بسوء وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أي بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (ان في ذلك) المذكور سابقاً (آيات) عظيمة الشأن بدعوة البيان واضحة البرهان على قدرته سبحانه على البعث والنشور (لقومهم يتفكرون) ان قوام الدنيا بوجود التناسل لانهم الذين يقتدرون على الاستدلال لكون التفكير مادة له يتحصل عنه أولاً ان التفكير يؤدي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة من التأنس والتجانس بين الاشياء كالزوجين وأما الغافلون عن التفكير ففاهم الا كالانعام (ومن آياته) الدالة على أمر البعث وما يتلوه من الجزء (خلق السموات والارض) فان من خلق هذه الاجرام العظيمة بلا مادة مساعده لها وجعلها باقية مادامت هذه الدار وخلق فيهما من عجائب الصنع وغرائب التكوين ما هو عسرة للمعتبرين قادر على ان يخلقكم بعد موتكم وينشركم من قبوركم وقد دم السماء على الارض لان السماء كالأرض كرفقنزل المطر من السماء على الارض كنزول المنى من الذكرفي المرأة لان

الآية لتنزيل رب العالمين أي انزله الله عليكم وأوحاه اليك نزل به الروح الامين وهو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفى والسدي والخالك والزهرى وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه قال الزهرى وهذه كقوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله مصداقاً لما بين يديه وقال مجاهد من كلمه الروح الامين لا تأكله الارض على قلبك لتسكون من المنذرين أي نزل به ملك كريم ذو مكانة عند الله مطاع في الملا الاعلى على قلبك يا محمد سالماً من الدنس والزيادة والنقص من المنذرين أي لتسذره بأمر الله ونعمته على من خالفه وكذبه وتبشر به المؤمنين المتبعين له وقوله تعالى بلسان عربي مبين أي هذا القرآن الذي أنزلناه اليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون ينساوا وخطاها قاطعاً للعدو مقيماً للحجة دليلة إلى المحجة قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عبد الله بن ابي بكر العتكي حدثنا عبد بن عماد المهلبى عن

موسى بن محمد عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في يوم دجن الارض اذ قال لهم كيف ترون بواسيتها قالوا ما أحسنها وأشدترا كمها قال فكيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكثها قال فكيف ترون جريها قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال فكيف ترون رجاها استدارت قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال فكيف ترون برقها وأبيض أم خفق أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال الحياء الحياء ان شاء الله قال فقال رجل يا رسول الله باني وأمي ما أفصحت ما رأيت الذي هو أعرب منك قال فقال حق لي وانما انزل القرآن بلساني والله يقول بلسان عربي مبين وقال سفيان الثوري لم ينزل

وحى الابرار به ثم ترجم كل نبى لقومه واللسان يوم القيامة بالسر باينة فن دخل الجنة تكلم بالعربية قرأه ابن ابي حاتم (وانه لفي زبر
الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علواً بنى اسرائيل ولونزلناه على بعض الاجميين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين) يقول تعالى
وان ذكر هذا القرآن والتسوية به موجود في كتب الاولين المأثورة عن انبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما اخذ الله عليهم
الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيباً في ملته بالبشارة بأجدواذ قال عيسى بن مريم بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصداق لما بين
يدى من التوراة ومبشر برسول يأتى من بعدى اسمه اجدواذ زبرهنا هي (١٨٧) الكتب وهي جمع زبور وكذلك الزبور

وهو كتاب داود قال الله تعالى وكل
شئ فعلناه في الزبر اى مكتوب عليهم
في صحف الملائكة ثم قال تعالى
اولم يكن لهم آية ان يعلمه علواً بنى
اسرائيل اى اوليس يكتبهم من
الشاهد الصادق على ذلك ان العلماء
من بنى اسرائيل يحدون ذكر هذا
القرآن في كتبهم التى يدرسونها
والمراد العدول منهم الذين يعترفون
بما فى ايديهم من صفة محمد صلى الله
عليه وسلم ومبعثه وامته كما اخبر
بذلك من آمن منهم كعبد الله بن
سلام وسلمان الفارسي عن أدركه
منهم ومن شا كلهم قال الله تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامى
الاية ثم قال تعالى محجراً عن شدة
كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن
انه لو نزل على رجل من الاعاجم عن
لا يدري من العربية كلمة وانزل عليه
هذا الكتاب بيانه وفصاحته
لا يؤمنون به ولهذا قال ولونزلناه على
بعض الاجميين فقرأ عليهم ما كانوا
به مؤمنين كما اخبر عنهم فى الآية
الاخري ولو فتحنا عليهم باباً من
السماء فظفوا فيه يعرجون لقوا
انما سكرت ابصارنا الآية وقال

الارض تنبت وتحضر بالمطر (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم من عرب وعجم وترك
وروم وغير ذلك بان علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها وأجناس النطق
وأشكاله فانك لاتكاد تسمع متكلمين متساويين فى الكيفية من كل وجهه (وألوانكم)
من البياض والسواد والحمر والصفرة والشقرة والزرقه والخضرة مع كونكم أولاد رجل
واحد وأم واحدة ويجمعكم نوع واحد وهو الانسانية وفصل واحد وهو الناطقية حتى
صرت متميزين فى ذات بينكم لا يلبس هذا بهذا بل فى كل فرد من افرادكم ما يميزه عن غيره
من الافراد حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى
التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة وان كانا فى غاية التشابه وفى هذا من بديع القدرة
ما لا يعقله الاعلمون ولا يفهمه المتفكرون ولو انفقت الاصوات والصور وتشاكلت
وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والتباس وتغطت مصالح كثيرة ولم يعرف العدو من
الصديق ولا القريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وانما
نظم هذا فى سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات
الانفسية الحقيقية بالانتظام فى سلك ما سبق من خلق انفسهم وأزواجهم للايدان
باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تمام خلقهم (ان فى ذلك لايات) لدلالات على
قدرته تعالى (للعالمين) لعموم العلم فيهم قرئ بكسر اللام وبفتحها وهما سبعيتان
وقال القراء للكسرة وجه جيد لانه قد قال لايات لقوم يعقلون لايات لاولى الالباب
وما يعقلها الاعلمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله) قيل فى
الكلام تقديم وتأخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغواكم من فضله بالنهار وقيل
المعنى صحيح من دون تقديم وتأخير اى ومن آياته العظيمة انكم تنامون بالليل وتنامون
بالنهار فى بعض الاحوال للاستراحة كوقت القيولة والنوم بالنهار مما كانت العرب تعده
نعمة من الله ولا سيما فى البلاد الحارة وابتغواكم من فضله فيما فان كل واحد منهم ما يتبع
فيه ذلك وان كان ابتغاء الفضل فى النهار أكثر والاول هو المناسب لسائر الآيات الواردة
فى هذا المعنى والآخر هو المناسب للنظم القرآنى ههنا ووجه ذكر النوم والابتغاء ههنا
وجعلها من جملة الأدلة على البعث ان النوم شبيه بالموت والتصرف فى الحاجات
والسعى فى المكاسب شبيه بالحياة بعد الموت (ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون) الآيات

تعالى ولو اتنا زبرنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى الآية وقال تعالى ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية (كذلك سلكنا فى
قلوب الجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فباتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل انتم منظرون أفبعذا بنا يستعجبون
أفأرى ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما ادلكم من قرية الا لهامنذرون ذكرى
وما كاذبنا لى يقول تعالى كذلك سلكنا التكذيب والكفر والجحود والعناد اى أدخلناهم فى قلوب الجرمين لا يؤمنون به اى بالحق حتى
يروا العذاب الاليم اى حيث لا يتوقع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار فباتيهم بغتة اى عذاب الله بغتة وهم لا يشعرون

فيقولوا هل نحن منظرون أي يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظرنا قليلا ليعملوا في زعمهم بطاعة الله كما قال الله تعالى وأنذر
الناس يوم يأتيهم العذاب إلى قوله ما لكم من زوال فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته ندم ندما شديدا هذا فرعون لما دعا عليه
الكليم بقوله ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة وأموال في الحياة الدنيا إلى قوله قال قد أجبت دعوة كما فآثرت هذه الدعوة في فرعون
فأمن حتى رأى العذاب الاليم حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل إلى قوله وكنت من المفسدين
وقال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا (١٨٨) بالله وحده الآيات وقوله تعالى أقمعنا بناتجيجون انكارا عليهم وتهديد اللهم

فانهم كانوا يقولون للرسول تكديبا
واستبعادا اتقنا عذاب الله كما قال
تعالى ويستجيبونك بالعذاب الآيات
ثم قال أفرايت ان منعناهم سنين ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى
عنهم ما كانوا يتعنون أي لو أخرناهم
وأظنناهم وألمينا لهم برهة من
الدهر وحينما من الزمان وان طال
ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي
عنهم ما كانوا فيه من النعيم كأنهم
يوم يرونهم يلبثوا الا عيشة أو سخاها
وقال تعالى يودأ حدتهم لو يعمر ألف
سنة وما هو بمنزح من العذاب
أن يعمر وقال تعالى وما يغني عنه
ماله اذا تردى ولهذا قال تعالى
ما اغنى عنهم ما كانوا يتعنون وفي
الحديث الصحيح يؤتى بالكافر
فيغمس في النار غمسة ثم يقال له
هل رأيت خيرا قط هل رأيت نعيما
قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد
الناس بؤسا كان في الدنيا فيصبغ في
الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت
بؤسا قط فيقول لا والله يارب أي
ما كان شيا كان ولهذا كان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا
البيت

والمواعظ سماع متفكر متدبرا إذان واعية فيستدلون بذلك على البعث (ومن آياته
يريكم البرق) المعنى ان يركم ومنه المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وقيل
ويريكم البرق من آياته وقيل من آياته يركم بها وفيها البرق وقيل التقدير ومن آياته
سحاب يركم البرق (خوفا وطمعا) من آياته قال قتادة خوفا للمساافر وطمعا للمقيم وقال
الضحك خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث وقال يحيى بن سلام خوفا أن يكون البرق
برقا خلبا لا يطر وطمعا أن يكون مطرا (وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها)
بالياس بأن تنبت (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) فان من له نصيب من العقل يعلم ان
ذلك آية يستدل بها على القدرة الباهرة كيف والعقل ملاك الامر وهو المؤدى الى العلم
فيما ذكر وغيره وانما قال هنا يعقلون وفيما تقدم يتفكرون لانهما كانا حدثا الولد
من الولد أمر اعادة مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام القاصرة ان ذلك
بالطبيعة لان المطرد أقرب الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس أمر المطرد اغبر
مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون
ضعيفا فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو آية لمن له عقل وان لم يتفكر
تفكرا تاما قاله الكرخي (ومن آياته ان تقوم السماء والارض) هذا شروع في بيان
بقائهما وثباتهما بعد بيان ايجادهما في قوله ومن آياته خلق السموات والارض وأظهر كلمة
أن هذا التي هي علم الاستقبال لان القيام هنا بمعنى البقاء لا الايجاد وهو مستقبل باعتبار
أواخره وما بعد نزول هذه الآيات (بأمره) أي قيامهما واستمسكهما بارادته سبحانه
وقدرته بلا عمد بعدهما ولا مستقر يستقران عليه قال الفراء يقول ان تدوما قائمتين
بأمره وانما ذكر قوله ان في ذلك لايات في أربع مواضع ولم يذكره في الاول وهو قوله
ومن آياته أن خلقكم من تراب ولا في الاخرة وهي هذا لان في الاول خلق الانفس وخلق
الازواج من باب واحد وهو الايجاد كما كتفي فيهما بذكره مرة واحدة وأما قيام السموات
والارض الذي هو الاخير فلان في الآيات السماوية ذكر أنها آيات للعالمين وتقوم بسمعهم
ولقوم بعقلون لظهورها فلما كان في أول الامر ظاهرا في آخر الامر بعد سرد الدلائل
يكون اظهر فلم يترأخدا عن أحدود كرها هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة قاله الرازي

كانت لم تؤثر من الدهر ليه اذا أنت أدركت الذي أنت تطلب ثم قال تعالى مخبر عن عدله في خلقه انه ما اهلك أمة من الامم (ثم)
الابعد الاعذار اليهم والانداز اليهم وبعثة الرسل اليهم وقيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى وما أهلكنا من قرية الا لاهم منذرون ذكرى
وما كنا ظالمين كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امهارسولا يتلو عليهم
آياتنا إلى قوله وأهلها الظالمون (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لم عزولون) يقول تعالى مخبر عن
كآبه العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فنزل من حكيم حيسدانه نزل به الروح الامين المؤيد من الله وما تنزلت به

الشياطين ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لأن من سجاياهم الفساد واضلال العباد وهذا فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونور الهدى وبرهان عظيم فينبه وبين الشياطين منافاة عظيمة ولهذا قال تعالى وما ينبغي لهم وقوله تعالى وما يستطيعون أي ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته حاشعا متصدعا من خشية الله ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا الى ذلك لانهم معزل عن استماع القرآن حال نزوله لان السماء ملئت حرسا شديدا وشهابا في مدة (١٨٩) انزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد

من الشياطين الى استماع حرف واحد منه لتسلايشته الامر وهذا من رحمة الله بعباده وحفظه لشعره وتأنيده لكتابته ورسوله ولهذا قال تعالى انهم عن السمع لمعزولون كما قال تعالى مخبرا عن الجن وانما نسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانما كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا الى قوله أم أراد بهم ربهم رشدا (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتک الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يرالسحسين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم) يقول تعالى امر اعبادته وحده لا شريك له ومخبرا أن من أشرك به عذبه ثم قال تعالى امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يذرع شيرته الاقربين أي الاذنين اليه وانه لا يخلص أحدا منهم الايمان به به عز وجل وأمره ان يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين ومن عصاه من خلق الله كما نمان كان

(ثم) أي بعد موتكم ومصيركم في القبور (اذا دعاكم دعوة واحدة (من الارض) التي أنتم فيها كما يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع الى وقيل أي خرجتم من الارض ولا يجوز أن يتعلق بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وهذه الدعوة هي نفخة اسرافيل الآخرة في الصور على ما تقدم بيانه (اذا أنتم تخرجون) أي فاجأتهم الخروج منها بسرعة من غير تلبث ولا توقف كما يجيب المدعو المطيع دعوة الداعي المطاع واذا الفجائية تقوم مقام الفاء في جواب الشرط وقال هنا اذا أنتم وقال في خلق الانسان ثم اذا أنتم بشر تنتشرون لان هنالك يكون خلق وتقدير وتدرج حتى يصير التراب قابلا للحياة تنفخ فيه الروح فاذا هو بشر وأما في الاعادة فلا يكون تدرج بل يكون بدء وخروج فلم يقل هنا ثم ذكره الكرخي وقد أجمع القراء على فتح التاء في تخرجون هنا وانما قرئ بضمها في الاعراف (وله من في السموات والارض) من جميع المخلوقات ملكا ونصرا وخالقا ليس غيره في ذلك شيء (كل له قاتون) أي مطيعون طاعة انقياد قاله النحاس وقيل مقرنون بالعبودية اما بالمقال واما بالدلالة قاله عكرمة وأبو مالك والسدي وقيل مصلون وقيل قاتون يوم القيامة كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين أي للحساب قاله الربيع ابن أنس وقيل بالشهادة انهم عبادته قاله الحسن وقيل مطيعون لانفعاله لا يمتنع عليه شيء يريد فعله هم من حياة وموت ومرض وصحة فهي طاعة الارادة لاطاعة العبادة وقيل مخلصون قاله سعيد بن جبير وقال ابن عباس مطيعون في الحياة والنشور والموت وهم له عاصون فيما سوى ذلك من العبادة (وهو الذي يبدأ الخلق) للناس (ثم يعيده) بعد الموت فيحييه الحياة الدائمة (وهو) أي البعث والاعادة نظرا الى المعنى دون اللفظ وهو رجعه أو رده أو تذكيره باعتبار الخبر (أهون عليه) أي هين لا يستصعبه أو أهون عليه بالنسبة الى قدر تكلم وعلى ما يقوله بعضكم لبعض والافلاشي في قدرته بعضه أهون من بعض بل كل الاشياء مستوية بوجودها بقوله كن فيكون قال أبو عبيد من جعل أهون عبارة عن تفضيل شيء على شيء فقوله مردود بقوله وكان ذلك على الله يسيرا وبقوله ولا يؤده حفظهما والعرب تحمل أفعل على فاعل كثيرا كما في قول الفرزدق ان الذي سملك السماء بني لنا * بتادعائه أعز وأطول أي عزيرته طويله وأنشد أجد بن يحيى ثعلب على ذلك

فليترأ منه ولهذا قال تعالى فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال تعالى لتندرقوا ما اندرابا وهم غافلون وقال تعالى لتندرق أم انقري ومن حولها وقال تعالى وأنذره الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم وقال تعالى لتبشروا بالمتقين وتندربه قوما اذا وقال تعالى لا تذكرهم به ومن بلغ كما قال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وفي صحيح مسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي الا دخل النار وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلندكرها الحديث الاول قال الامام احمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن عمر عن الاعمش

عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتكم الاقربين أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس اليه بين رجل يجي اليه وبين رجل يعثر رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر أرايتم لو أخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتوني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم أما دعوتنا الا لهذا وانزل الله نبت يدا أبي لهب وتب ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الاعمش به (١٩٠) الحديث الثاني قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه

عن عائشة قالت لما نزلت وأنذر عشيرتكم الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا امالك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم انفراد باخراجه مسلم الحديث الثالث قال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمر وحدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمر عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتكم الاقربين دعار رسول الله صلى الله عليه وسلم قر يشا فعم وخص فقال يا معشر قريش اتقوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب اتقوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب اتقوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد اتقوا أنفسكم من النار فاني والله لا امالك لكم من الله شيئا الا ان لكم رجاسا بلها يسلاها ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل

غنى رجال ان أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أي بواحد وكقولهم الله كبر أي كبير وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقرأ ابن مسعود وهو عليه هين وقال مجاهد وعكرمة والضحاك ان الاعادة أهون على الله من البداءة أي أيسر وان كان جميعه هينا وقيل المراد ان الاعادة فيما بين الخلق أهون من البداءة وقيل الضمير في عليه للخلق أي والعود أهون على الخلق أي اسرع واقصر عليه وأيسر وأقل اتقلا من طور الى طور لانه يصاح بهم صحة واحدة فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون فذلك أهون عليهم من ان يكونوا نطفة ثم علقه ثم مضغه الى آخر النشأة وقال ابن عباس الاعادة أهون على الخلق لانه يقول له يوم القيامة كن فيكون وابتداء الخلق من نطفة ثم من علقه ثم من مضغه (وله المثل الاعلى) أي الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال والجلال والجمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها وقال الخليل المثل الصفة أي وله الوصف الاعلى قول لاله الا الله أي الوجودانية وبه قال قتادة وقال الزجاج وله المثل الاعلى (في السموات والارض) مرتبط بما قبله وهو قوله وهو أهون عليه قد ضرب لكم مثلا فيما يصعب ويسهل وقيل مرتبط بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقيل المثل الاعلى هو أنه ليس كمثل شئ قاله ابن عباس وقيل هو ان ما اراده كان بقول كن والمعنى انه سبحانه عرف بالمثل الاعلى ووصف به في السموات والارض أي في هاتين الجهتين وقيل غير ذلك (وهو العزيز) في ملكه القادر الذي لا يغالب (الحكيم) في افعاله واقواله (ضرب لكم) أيها المشركون (مثلا) قد تقدم تحقيق معنى المثل (من أنفسكم) من لابتداء الغاية أي مثلا متزعا كما نسا وما خوذ من أنفسكم فانها أقرب شئ منكم وأبين من غيرها عندكم فاذا ضرب لكم المثل به في بطلان الشرك كان أظهر دلالة واعظم وضوحا من المثل المذكور فقال (هل لكم مما ملكت أيمانكم) من للتبعيض أي من ممالِككم وفي قوله (من شركاء) زائدة للتأكيده والمعنى هل لكم شركاء (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها كما تكونون من النوع الذي ملكت أيمانكم وهم العبيد والاماء والاستقهام للانكار قال ابن عباس في الآية كان يلي أهل الشرك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فأنزل الله هذه الآية (فاتم) وهم (فيه سواء) أي مستوون في التصرف فيه على عادة الشركاء

وهذا ولم يذكر فيه أباهريرة والموصول هو الصحيح وأخرجه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة وقال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عيسى بن ابي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله يا صفية عمه رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكم من الله فاني لا أغني عنكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم انفراد به من هذا الوجه وقد رده أيضا عن معاوية بن زائدة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بخوه ورواه أيضا عن حسن بن

لهيعة عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يابني قصى يابني هاشم يابني عبدمناف أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد الحديث الرابع قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت وأندر عشرتك الاقر بن صعدر رسول الله صلى الله عليه وسلم رضىة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادى يابني عبدمناف انما أنا نذير انما سألنى ومثلكم كرحل رأى العدو فذهب يربأ أهل رجاء أن يسبقوه فجعل (١٩١)

والناسق من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد الرحمن بن سهل النهدي عن قبيصة وزهير بن عمرو والهلالى به الحديث الخامس قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الاعشى عن المنهال عن عباد بن عبد الله الاسدى عن علي بن رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وأندر عشرتك الاقر بن جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فاكلوا وشربوا قال وقال لهم من يضمن عنى دينى ومواعيدى ويككون معى فى الجنة ويكون خليفتى فى أهلى فقال رجل لم يسمه شريك يا رسول الله أنت كنت بجرا من يقوم بهم هذا قال ثم قال الاخر ثلاثا قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال على ان طريق اخرى بأبسط من هذا السياق قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان ابن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة ابن ماجد عن علي بن رضى الله عنه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أودع رسول الله بنى عبدالمطلب وهم رهط وكلهم بأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو كانه لم يمس ثم دعا بغير فشربو حتى رووا وبقى الشراب كانه لم يمس أولم يشرب وقال يابني عبدالمطلب انى بعثت اليكم خاصة والى الناس عامة وقد رأيتهم من هذه الآية مارأيتهم فابكم بيا يعنى على أن يكون أخى وصاحبى قال فلم يقم اليه احد قال فقامت اليه وكنت أصغر القوم قال فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم اليه فيقول لى اجلس حتى كان فى الثالثة ضرب يده على يدى طريق اخرى أعرب وأبسط من هذا السياق بزادات أخر قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن

وهذا جواب للاستفهام الذى يعنى النفى ومحقق لنى الشركة بينهم وبين العبيد والاماء المملوكين لهم فى أموالهم والمعنى هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم واماءكم أمثالكم فى البشرية أن يساؤكم فى التصرف بما رزقناكم من الاموال ويشاركوكم فيها من غير فرق بينكم وبينهم (تخافونهم) خيفة (كنهيفتكم انفسكم) أى كما تخافون الاحرار المشابهين لكم فى الحرية وملك الاموال وجواز التصرف والمراد فى الاشياء الثلاثة الشركة بينهم وبين المملوكين والاستواء معهم وخوفهم اياهم وليس المراد ثبوت الشركة ونفى الاستواء والخوف كما قيل فى قولهم ماتا تينا فتحدثنا والمراد اقامة الحجة على المشركين فانهم لم يابد أن يقولوا لارضى بذلك فيقال لهم فكيف ترضون انفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم فى البشرية وتجعلون عبيد الله شركاءه فاذا بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه وخالق كلهم عبيد الله تعالى لم يبق الا انه لرب وحده لا شريك له قرئ أنفسكم بالنصب على انه معمول المصدر المضاف الى فاعله وبالرفع على اضافة المصدر الى مفعوله (كذلك تفصل الآيات) تفصيلا واضحا وبيانا جليا لان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) لانهم الذين يتدققون بالآيات التنزيلية والتكوينية باستعمال عقولهم فى تدبرها والتفكر فيها ثم أضرب سبحانه عن مخاطبة المشركين وارشادهم الى الحق بما ضرب لهم من المثل فقال (بل اتبع الذين ظلموا) بالانثراك وفيه الاضراب مع الالتفات وأقيم الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليهم بوصف الظلم (أهواءهم بغير علم) أى لم يعقلوا الآيات بل اتبعوا أهواءهم الزائغة وآراءهم الفاسدة الزائفة والمعنى جاهلين بأنهم على ضلالة (فمن يهدى من أضل الله) أى لأحد يقدر على هدايته لان الرشاد والهداية بتقدير الله وارادته (ومالهم) أى مال هؤلاء الذين أضلهم الله والجمع باعتبار معنى من (من ناصرين) ينصرونهم ويحولون بينهم وبين عذاب الله سبحانه ثم أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده وعبادته كما أمره فقال (فأقم وجهك للدين حنيفا) شبه الاقبال على الدين بتقويم وجهه اليه واقباله عليه أى ما اتلا اليه مستقيما عليه غير ملتفت الى غيره من الاديان الباطلة فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسددا اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه (فطرت الله التى فطر الناس عليها) الفطرة فى الاصل الخلق والمراد بها هنا الملة وهى الاسلام والتوحيد قال

فاكوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو كانه لم يمس ثم دعا بغير فشربو حتى رووا وبقى الشراب كانه لم يمس أولم يشرب وقال يابني عبدالمطلب انى بعثت اليكم خاصة والى الناس عامة وقد رأيتهم من هذه الآية مارأيتهم فابكم بيا يعنى على أن يكون أخى وصاحبى قال فلم يقم اليه احد قال فقامت اليه وكنت أصغر القوم قال فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم اليه فيقول لى اجلس حتى كان فى الثالثة ضرب يده على يدى طريق اخرى أعرب وأبسط من هذا السياق بزادات أخر قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن

اصحوق قال حدثني من سمع عبد الله بن الحرث بن نوفل واستسكتني امه عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتاك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت اني ان بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فخافني جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك قال علي رضي الله عنه فدعاني فقال يا علي ان الله تعالى قد أمرني ان أنذر عشيرتي الاقربين فعرفت اني ان بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت (١٩٢) عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك

فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام واعد لنا عس لبن ثم اجعل لي بني عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا اليه وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيهم أم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم تلك الخفنة فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة فشقهها باسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال كلوا باسم الله فأكل القوم حتى نمت نواحيها ما يرى الا آثار أصابعهم والله ان كان الرجل منهم لياكل مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقهم يا علي فحُت بذلك القعب فشربوهم منه حتى نمت نواحيها وايم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدمه أبو لهب الى الكلام فقال لهذا سحركم صاحبكم ففترقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرنى الى ما سمعت قبيل ان اكلم القوم

الواحدى هذا قول المفسرين في الفطرة وقيل المراد بها قابلية الدين والتهيؤ له وترسم الفطرت بالثناء المجرورة وليس في القرآن غيرها والمراد بالناس هنا الذين فطرهم الله على الاسلام لان المشرك لم يفطر على الاسلام وهذا الخطاب وان كان خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمته داخله معه فيه قال القرطبي باتفاق من أهل التأويل والاولى جل الناس على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم وانهم جميعا مفطورون على ذلك لولا عوارض تعرض لهم فيسبقون بسببها على الكفر كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة ولكن ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة واقرؤا ان شئتم فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي رواية حتى تكفونوا انتم تجدعونها اخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن اسود بن سرية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية الى خيبر فقاتلوا المشركين فانتهى القتل الى الذرية فلما جاؤا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جاءكم على قتل الذرية قالوا يا رسول الله انما كانوا اولاد المشركين قال وهل خياركم الا اولاد المشركين والذي نفسي بيده ما من نسمة تولد الا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها واخرج أحمد من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعبر عنه لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما سكر او اما كفورا وروى الامام أحمد في المسند عن عياض بن حماد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب يوم افاق في خطبته كما يكاف عن الله سبحانه واني خلقت عبادة حنفاء كلهم وانهم اتهم الشياطين فأضلتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم الحديث وهذا معارض حديث أبي هريرة المتقدم فكل فرد من أفراد الناس مفطور على ملة الاسلام ولكن لا اعتبار بالايان والاسلام الفطر بين وانما يعتبر بالايان والاسلام الشرعيان وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم وقول جماعة من المفسرين وهو الحق والقول بان المراد بالفطرة هنا الاسلام هو مذهب جمهور السلف وقال آخرون هي البداءة التي ابتدأهم عليها فانه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاوة والفاطر في كلام العرب هو المبتدئ وهذا مصير من القائلين به الى معنى الفطرة

ففعلت ثم جمعتم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالامس فاكوا حتى نمت نواحيها وايم الله ان كان الرجل منهم لياكل مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقهم يا علي فحُت بذلك القعب فشربوهم منه حتى نمت نواحيها وايم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدمه أبو لهب بالكلام فقال لهذا سحركم صاحبكم ففترقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرنى الى ما سمعت قبيل ان اكلم القوم ففعلت ثم جمعتم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما صنع بالامس فاكوا حتى نهوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهوا عنه وايم الله ان كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب منها
 ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعم شابا من العرب جاء قومها بافضل مما جئتمكم به اني قد جئتمكم بخير
 با من الدنيا والآخرة قال أحمد بن عبد الجبار بلغني ان ابن اسحق انما سمعه من عبد الغنار بن القاسم بن أبي مريم عن المنهال بن عمرو
 ابن عبد الله بن الحرث وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن عبد الغنار بن القاسم بن أبي مريم عن
 المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب (١٩٢) فذكر مثله وزاد بعد قوله اني جئتمكم بخير

الدنيا والآخرة وقد أمرني الله ان
 ادعوكم اليه فايكم يوازي على هذا
 الامر على ان يكون أخي وكذا وكذا
 قال فاجم القوم عنها جميعا وقلت
 واني لا أحدثهم سنا وأرخصهم عينا
 وأعظمهم بطنا وأخشمهم ساقا
 أنا يا بني الله أكون وزيرك عليه
 فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخي
 وكذا وكذا فامعوا له وأطيعوا ثم
 قام القوم بضحكون ويقولون لابي
 طالب قد أمرنا ان نسمع لانسك
 وتطيع تفرد بهذا السياق عبد
 الغنار بن القاسم بن أبي مريم وهو
 متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن
 المديني وغيره بوضع الحديث
 وضعفه الأئمة رجهم الله طريق
 أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي
 أخبرنا الحسين بن عيسى بن
 ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن
 عبد القدوس عن الاعمش عن
 المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث
 قال قال علي رضي الله عنه لما نزلت
 هذه الآية وأندر عشيرتك
 الاقربين قال لي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اصنع لي رجل شاة بصاع
 من طعام وانا لبنا قال ففعلت ثم

لغة واهمال معناها شرعا والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي باتفاق أهل الشرع ولا
 ينافي ذلك ورود الفطرة في الكتاب أو السنة في بعض المواضع مراد بها اللغوي كقوله
 تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض أي خالقهما ومبتدئهما وكقوله وما لي لأعبد الذي
 فطرني اذ لا نزاع في ان المعنى اللغوي هو هذا ولكن النزاع في المعنى الشرعي للفطرة وهو
 ما ذكره الاولون كما بيناه وانتصاب فطرة على انها مصدر مؤكدة كالجمله التي قبلها وقال
 الزجاج منصوب بمعنى اتبع فطرة الله قال لان معنى فاقم وجهك للدين اتبع الذين واتبع
 فطرة الله وقال ابن جرير هي مصدر من معنى فاقم وجهك لان معنى ذلك فطرة الله الناس
 على الدين وقيل هي منصوبة على الاعراض اي الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وورد هذا
 الوجه أبو حيان وقال ان كلمة الاعراض لاتضم اذ هي عوض عن الفعل فلا حذفها لزم حذف
 العوض والمعوض عنه وهو اجحاف وأجيب بان هذا رأى البصريين واما الكسائي
 واتباعه فيحيزون ذلك (لاتبديل لخلق الله) أي لما جعلكم وطبعكم عليه من قبول الحق
 وهذا تعديل لما قبله من الامر بلزم الفطرة أي هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها
 لاتبديل لها من جهة الخالق سبحانه أو تعديل لوجوب الاتثال له أي لاصحة ولا استقامة
 لتبديله بالاخلاق بوجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة
 الشياطين وقيل لا يقدر احد أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس
 الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من
 ادراك ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعاً فالتعديل حينئذ من جهة
 ان سلامة الفطرة متحقة في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم
 الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذكره أبو السعود وقيل هو نفي
 معناه النهي أي لاتبدلوا خلق الله قال مجاهد و ابراهيم الخنعي معناه لاتبديل لدين الله قال
 قتادة وابن جبير والضحاك وابن زيد هذا في المعتقدات وقال عكرمة ان المعنى لاتغيير
 لخلق الله في البهائم بان تخصص خلقها وقيل لاتبدلوا التوحيد بالشرك والسنة بالبدعة
 وقيل لاتبديل لما جعل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقياً ولا
 الشقي سعيداً (ذلك) الدين المأمور باقامته الوجه له هو (الدين القيم) أو لزوم الفطرة هو
 الدين القيم أي المستقيم وقال ابن عباس الدين القضاء (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة

(٢٥ - فتح البيان سابع) قال لي ادع بني هاشم قال فدعوتهم وانهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة
 كلهم يأكل الجذعة بادامها قال فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال كوا فأن كوا حتى شبعوا
 وهي على هيئة المبرزد وامنهم الا اليسير قال ثم أتته بالاناء فشر بوا حتى روي وقال وفضل فضل فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان يشركهم فبدره السلام فقال ما رأينا كالذيوم في الصحراء فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع رجل
 شاة بصاع من طعام فصنعت قال فجمعتهم فلما كوا وشربوا بدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام فقال أياكم يقضى عنى

ديني ويكون خليفة في أهلي قال فسكتوا وسكت العباس خشية ان يحيط ذلك بماله قال وسكت أناس من العباس ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس فلما رأيت أن ذلك قلت أبا رسول الله قال واني يومئذ لا سأؤهم هيئة واني لاعمش العينين ضخم البطن خش الساقين فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم لا عامه وأولادهم ان يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني ان قتل في سبيل الله كأنه خشى اذا قام باعباء الاذنان يقتل فلما أنزل الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فعند ذلك آمن وكان أول ما يحرس حتى

نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس ولم يكن أحد في بني هاشم اذ ذلك أشد ايماناً وابقاناً وصديقاً رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه ولهذا يدبرهم الى التزام ما طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد هذا والله أعلم دعاؤه الناس جهرة على الصفا واندازه لبطون قريش عموماً وخصوصاً حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لمنبه بالادنى على الاعلى أي انما أنا نذير والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوية عن عبد الواحد الدمشقي قال رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويفتيهم وولده الى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقبله ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين فقال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أزهدهم الناس في الدنيا الايبياء وأشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما أنزل الله عز

(لا يعلمون) ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به (منيين) أي راجعين (اليه) بالذوبة والاخلاص ومطيعين له في أوامره ونواهيه قال الجوهري أناب الى أي أقبل وتاب قال الفراء فاقم وجهك ومن معك منيين وكذا قال الزجاج وقال تقديره فاقم وجهك وأمتك فالحال من الجميع وقيل كونوا منيين اليه دلالة ولا تكونوا من المشركين على ذلك ثم أمرهم سبحانه بالتقوى بعد أمرهم بالانابة فقال (واتقوه) أي خافوه باجتناب معاصيه (واقموا الصلاة) التي أمرتم بها (ولا تكونوا من المشركين) بالله أي ممن يشرك به غيره في العبادة وقوله (من الذين فرقوا دينهم) باختلافهم فيما يعبدونه وهو يدل مما قبله باعادة الجار (وكانوا شيعاً) الشيع الفرق أي لا تكونوا من الذين تفرقوا في الدين يشايح بعضهم بعضاً من أهل البدع والاهواء وقيل المراد بهم اليهود والنصارى وقرئ فارقوا دينهم أي الذي يجب اتباعه وهو التوحيد وهي سبعة وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الانعام (كل حزب) أي كل فريق منهم (بما لديهم) من الدين المبني على غير الصواب (فرحون) أي مسرورون مبتهجون يظنون انهم على الحق وليس بأيديهم منه شيء والجملة اعتراض مقرر لما قبله من تفريقهم دينهم وكونهم شيعاً (واذ من الناس) أي كانوا مكة وغيرهم (ضر) أي تحط وشدة أو هزال أو مرض (دعوا ربهم) أن يرفع ذلك عنهم واستعانوا به (منيين) أي راجعين ملتجئين (اليه) لا يعولون على غيره وقيل مقبلين عليه بكل قلوبهم (ثم اذا اذاهم منه رحمة) باجابة دعائهم ورفع تلك الشدة عنهم (اذا فريق منهم برهم يشركون) اذا هي الفجائية وقعت جواباً للشرط كأنها كالداء في افادة التعقيب أي فاجا فريق منهم الاشرار وهم الذين دعواهم فخلصهم مما كانوا فيه وهذا الكلام مسوق للتعجب من احوالهم وما صاروا عليه من الاعتراف بوحداية الله سبحانه عند نزول الشدة والرجوع الى الشرك عند رفع ذلك عنهم وفيه مراعاة معنى لفظ الفريق وكذا في قوله (ليكفروا بما آتيناهم) أي بنعمة الله عليهم واللام كي وقيل لام الامر لقصد الوعيد والتهديد وقيل هي لام العقاب التي تقتضي المهلة سميت لام المساك والشرك والكفران متقارنان لامهله بينهما ثم خاطب سبحانه هؤلاء الذين وقع منهم ما وقع فقال (فتمتعوا) اريد به التهديد ايضاً وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب لاجل المبالغة في زجرهم وقرئ فتمتعوا على الخطاب وبالخشية على البناء للمفعول وفي مصحف ابن مسعود فليتمتعوا (فسوف تعلمون)

وجل قال تعالى وأندرعشيرة الاقربين الى قوله فقل اني بريء مما تعملون وقوله تعالى ونو كل على العزيز الرحيم ما أي في جميع أمورك فانه مؤيدك وحافظك وناصرك ومظفرك ومعلى كلمتك وقوله تعالى الذي يرأك حين تقوم أي هو معتك بك كما قال تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعينا قال ابن عباس الذي يرأك حين تقوم يعني الى الصلاة وقال عكرمة يري قيامه وركوعه وسجوده وقال الحسن الذي يرأك حين تقوم اذا صليت وحدك وقال الخليل الذي يرأك حين تقوم أي من فراشك أو مجلسك وقال قتادة الذي يرأك قائماً وجالساً وعلى حالاتك وقوله تعالى وتقبل في الساجدين قال قتادة الذي يرأك حين

تقوم وتقبلك في الساجدين قال في الصلاة يرادك ويرادك في الجمع وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري
وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كإبري من أمامه ويشهد لهذا ما صح في الحديث سووا عفوكم
فاني أراكم من وراء ظهري وروى البرار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس انه قال في هذه الآية يعني تقبله من صلب نبي الى
صلب نبي حتى أخرجه نبيا وقوله تعالى انه هو السميع العليم أي السميع لأقوال عباده العليم بجزواتهم وسكاتهم كما قال تعالى وما
تكون في شأن وماتوا منهم من قرآن ولا تعملون من عمل الالكاعليم (١٩٥) شهودا لتفيضون فيه الآية هل

أبشركم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل أفاك أثيم يقولون
السمع وأكثهم كاذبون والشعراء
يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد
يمشون وأنهم يقولون ما لا يفعلون
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا واتصروا من
بعد ما ظلموا ووسع لهم الله
منقلب يتقلبون يقول تعالى
مخاطبا لمن زعم من الشركين ان
ما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم ليس بحق وأنه شيء افتعله من
تلقاه نفسه أو أنه أتاه به رؤى من
الجان فنزه الله سبحانه وتعالى جناب
رسوله عن قولهم واقتربهم ونبه ان
ما جاء به انما هو من عند الله وأنه تنزيله
ووجه نزل به ملك كريم أمير عظيم
وأنه ليس من قبل الشياطين فانهم
ليس لهم رغبة في مثل هذا
القرآن العظيم وانما ينزلون على من
يشاكلهم ويشابههم من الكهان
الكذبة ولهذا قال تعالى هل
أبشركم أي أحبركم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم
أي كذوب في قوله وهو الأفاك
الأثيم أي الفاجر في أفعاله فهذا

ما يتعقب هذا التمتع الزائل من العذاب الاليم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أم هي المنقطعة
والاستفهام للانكار على مذهب الكوفيين ومذهب البصريين انما يعني بل والههزة
والسلطان الحجة الظاهرة وفيه التفات عن الخطاب الى الغيبة للايدان بالاعراض عنهم
وبعدهم عن ساحة الخطاب قال الفراء ان العرب تؤث السطان يقولون قضت به عليك
السلطان فاما البصريون فالتذكير عندهم أفصح وبه جاء القرآن والتأنيث عندهم جائز
لانه بمعنى الحجة وقيل المراد بالسلطان هنا الملك (فهو يتكلم) أي يدل كما في قوله هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق وهو في حيز التي المستفاد من أم (بما كانوا يشركون) أي ينطق
باشرا كههم بالله سبحانه والمعنى بالامر الذي كانوا يسيبه يشركون (واذا أذقنا الناس)
أي كفار مكة وغيرهم (رحمة) أي خصبا ومطرا ونعمة وسعة وصحة وعافية (فرحوا بها)
فرح بطر وأثر لافرح شكرها وابتهاج بوصولها اليهم كما دل عليه قوله قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم قال سبحانه (وان تصبهم سيمة) أي بلاء من جذب أوضيق
او مرض أو شدة على أي صفة (بما قدمت أيديهم) أي بسبب شؤم ذنوبهم (اذاعهم
يقنطون) القنوط الاياس من الرحمة كذا قال الجمهور وقال الحسن القنوط ترك
قرائض الله سبحانه وقرى يقنطون بفتح النون وبكسرها وهما سبعتان وبابه ضرب
وتعب والمعنى اذاعهم يأسون وهذا خلاف وصف المؤمنين فان من شأهم أن يشكروا عند
النعمة ويرجوا ربهم عند الشدة أو يقال الدعاء اللساني بناء على مجرى العادة لا ينافي
القنوط القلبي وقد يشاهد مثل ذلك في كثير من الناس فلا يخالف هذا قوله دعوا ربهم
منيين اليه أو المراد يقنطون فعلى القانطين كالأهتام يجمع الذخائر أيام الغلاء قاله
الكرخي (أو لم يروا) أي فبالههم لم يشكروا في السراء والضراء كانوا من ولم يعلموا (ان
الله يبسط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) من عباده امتحانا هل يشكر أم يطغى فيكفر
(ويقدر) أي يضيق على من يشاء ابتلاء هل يصبر أم يضيق ذرعا فيكفر (ان في ذلك) البسط
والقبض (آيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على الحق لدلائلها على كمال القدرة
وبديع الصنع وغريب الخلق والحكمة وما بين سبحانه كيفية التعظيم لامر الله أشار
الى ما ينبغي من مواساة القرابة وأهل الحاجات بمن بسط الله له في رزقه فقال (فأت ذا
القربى حقه) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمه أسوته أول كل مكلف له مال

هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من كذبة النسفة فان الشياطين أيضا كذبة فسفة يلتون السمع أي
يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلتونها الى أوليائهم من الانس فيحدثون
بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء كما صح بذلك الحديث كما رواه البخاري
من حديث الزهري أخذ برني يحيى بن عروة بن الزبير انه سمع عروة بن الزبير يقول قالت عائشة رضيت الله عنها سألت ناس النبي صلى
الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فانهم يحدثون بالشئ يكون حقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم

تلك الكلمة من الحق يحفظها الجن فيقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخاطون معها أكثر من مائة كذبة وروى البخاري أيضا حدثنا الحمدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو وقال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا اللذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسد ترق السمع ومسد ترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بيده فخرها وبدين أصابعه فيسمع الكلمة (١٩٦) فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها

على لسان الساحر أو الكاهن
 فرجما أدرك الشهاب قبل ان يلقها
 وربما لقها قبل ان يدركه
 فيكذب معها مائة كذبة فيقال
 أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا
 كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة
 التي سمعت من السماء تفرد به
 البخاري وروى مسلم من حديث
 الزهري عن علي بن الحسين عن ابن
 عباس عن رجال من الانصار قريبا
 من هذا وسأني عند قوله تعالى في
 سبأ حتى اذ فرغ عن قلوبهم الآية
 وروى البخاري أيضا وقال الليث
 حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن
 أبي هلال أن أبا الاسود أخبره
 عن عروة عن عائشة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم انه قال ان الملائكة
 تحدث في العنان والعنان الغمام
 بالامر في الارض فتسمع الشياطين
 الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما
 تقر القارورة فيزيدون معها مائة
 كذبة وروى البخاري في موضع
 آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن
 أبي زيد عن الليث عن عبد الله بن
 أبي جعفر عن أبي الاسود بن عبد
 الرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه

وسمع الله به عليه وقدم الاحسان الى القرابة لان خير الصدقة ما كان على قريب فهو
 صدقة مضاعفة وصله رحم مرغب فيها والمراد الاحسان اليهم بالصدقة والصلة والبر سواء
 كانوا في محنة أو لم يكونوا وقيل فيه دليل على وجوب الصدقة للمحارم وبه قالت الحنفية
 وعدم ذكر بقية الاصناف المستحقين للزكاة يدل على ان ذلك في صدقة التطوع وقاس
 الشافعي سائر الاقارب ما عدا النروع والاصول على ابن العم لان ولادة بينهم ولا يصح
 حمل الصدقة على الواجبة وهي الزكاة لان السورة مكية والزكاة ما فرضت الا في السنة
 الثانية من الهجرة بالمدينة وللقريب الفقير في مال قريبه الغنى حق واجب وبه قال
 مجاهد وقتادة قال مجاهد لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاج وقيل المراد بالقرابي قرابة
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال القرطبي والاول أصح فان حقهم دين في كتاب الله
 عز وجل في قوله فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى وقال الحسن ان الامر في آية ذى
 القربى للندب (والمسكين وابن السبيل) أي آتهم ما حقهما الذي يستحقانه ووجه
 تخصيص الاصناف الثلاثة بالذكر انهم أولى من سائر الاصناف بالاحسان ولكون ذلك
 واجبا لهم على كل من له مال فاضل عن كفايته وكفاية من يعول سواء كان زكوايا أو لم
 يكن وسواء كان قبل الخول أو بعده لان المقصود هنا الشفقة العامة وهؤلاء الثلاثة يجب
 الاحسان اليهم وان لم يكن للانسان ما زاد والنقير داخل في المسكين لان من أوصى
 للمساكين بشئ يصرف الى الفقراء أيضا واذا انطرت الى الباقي من الاصناف رأيتهم
 لا يجب صرف المال اليهم الاعلى الذين وجبت الزكاة عليهم وأما المسكين فحاجته ليست
 مختصة بموضع فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع قال مقاتل حق المسكين
 ان تصدق عليه وحق ابن السبيل الضيافة وقد اختلف في هذه الآية هل هي محكمة
 أو منسوخة فقيل هي منسوخة بآية المواريث وقيل محكمة (ذلك خير للذين يريدون
 وجه الله) أي ذلك الايتاء فضل من الامساك لمن يريد التقرب الى الله سبحانه ويقصد
 بمرؤفة اياه خالصا (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بطوبىهم حيث أنفقوا الوجه الله
 استئالا لآمره (وما آتيتكم) بالمدينة أعطيتم وقرى بالقصر بمعنى ما فعلتم وهما سبع مائة
 وقيل بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا وهو يؤل من حيث المعنى الى القراءة
 المشهورة لانه يقال أتى معر وفارأتى قبيلها اذا فعلهما (من ربا) وأجمعوا على الاولى في

وقوله تعالى والعرا يتبعهم الغاؤون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الكفار يتبعهم ضلال قوله
 الانس والجن وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقال عكرمة كان الشاعران يتباحيان فينتصر
 لهدافنام من الناس ولهذافنام من الناس فانزل الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا
 ليث عن ابن الهادي عن مختس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد قال بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ
 عرض شاعر بنشد فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان لان يمتلي جوف أحدكم فيخا خبره من

أن يمتلي شعرا وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل لغوي يخوضون وقال الضحاك عن ابن عباس في كل فن من الكلام وكذا قال مجاهد وغيره وقال الحسن البصري قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتية فلان ومرة في مديحة فلان وقال قتادة الشاعر مدح قوم مياطل ويذم قوم مياطل وقوله تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون قال العوفي عن ابن عباس كان رجلا ن على عهد رسول الله أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخر بن وانهما تاجيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السنهاء فقال الله تعالى والشعراء (١٩٧) يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد

يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكثر قولهم يكذبون فيه وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الاصراف الشعراء يتبعون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيستكثرون بما ليس ولهذا

اختلف العلماء رجعهم الله فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما لا يوجب حدا هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا لانهم يقولون ما لا يفعلون على قولين وقد ذكر محمد بن اسحق ومحمد بن سعد في الطبقات والزبير بن بكار في كتاب الفسكاة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدي بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال

الأهل أتى الحسنة أن خليلها
يمسان يسقي في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتي دهاقين قرية
ورقاصة تحشوع على كل مبسم
فان كنت ندما في فبالا كبر اسقني
ولا تسقني بالاصغر المشتم

قوله وما آتيتهم زكاة فصل الربا الزيادة والمعنى ما أعطيتم من زيادة خالية عن العوض بان تعطوا شيئا هبة أو هدية (اي روي أموال الناس) أي ليزيدون كوفي أموالهم (فلا يربو عند الله) قرى بالتحية على ان الفعل مستند الى ضمير الربا وقرى بالفوقية مضمومة خطابا للجماعة بمعنى لتكوفوا ذوى زيادات وقرى لربوها ومعنى الآية انه لا يربو كوا عند الله ولا يثيب عليه لانه لا يقبل الا ما أريد به وجهه خالصا قال السدي الربا في هذا الموضع الهدية يهدى بها الرجل لآخره يطلب المكافأة فان ذلك لا يربو عند الله أي لا يؤجر عليه صاحبه ولا انتم عليه وهكذا قال قتادة والضحاك قال الواحدى وهذا قول جماعة المفسرين قال الزجاج يعنى دفع الزجل الشئ ليعوض أكثر منه وذلك ليس بجرام ولكنه لا ثواب فيه لان الذى يهبه يستدعى به ما هو أكثر منه وقال الشعبي معنى الآية ان ما خدم به الانسان أحد ينتفع به في دنياه فان ذلك النفع الذى يجرى به الخدمة لا يربو عند الله وقيل هذا كان حراما على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الخصوص لقوله سبحانه ولا تمنن تستكثر ومعناها ان تعطى فتأخذ أكثر منه عوضا عنه وحرم عليه تشريفه وقيل ان هذه الآية تنزلت في هبة الثواب وبه قال ابن عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد قال ابن عطية وما يجرى مجراه مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام وغيره وهو وان كان لا انتم فيه فلا أجر فيه ولا زيادة عند الله قال عكرمة الربا ربا وان فر باحلل وربا حرام فاما الربا بالحلال فهو الذى يهدى بتمس ما هو أفضل منه يعنى كافي هذه الآية وقيل ان هذا الذى في هذه الآية هو الربا المحرم فعنى لا يربو عند الله على هذا القول لا يحكم به بل هو للمأخوذ منه قال المهلب اختلاف العلماء فبين وهبة يطلب بها الثواب فقال مالك ينظر فيه فان كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له فله مثل ذلك مثل هبة الفقير للغنى وهبة الخادم للمخدوم وهبة الرجل لاميره وهو أحد قولى الشافعى رحمه الله وقال أبو حنيفة رحمه الله لا يكون له ثواب اذا لم يشترط وهو قول الشافعى رحمه الله الآخر وعن علي قال المواهب ثلاثة موهبة يراد بها وجه الله وهبة يراد بها ثناء الناس وموهبة يراد بها الثواب فوهبة الثواب يرجع فيها صاحبها اذا لم يثب عليها بخلاف القسمين الآخرين فلا يرجع فيها صاحبها ما قال ابن عباس في الآية الربا ربا بالأس به وربا لا يصلح فاما الربا الذى لا بأس به فهديته الرجل الى الرجل يريد فضلها وأضعافها وعنه قال هذا هو الربا بالحلال أن يهدى

لعل أمير المؤمنين بسوءه * تنادى بالجو سق المتهم
اي والله انه ليسوءنى ذلك ومن لقيه فليخبره اي قد عزلته وكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لاله الا هو اليه المصير أما بعد فقد بلغنى قولك
لعل أمير المؤمنين بسوءه * تنادى بالجو سق المتهم
وام الله انه ليسوءنى وقد عزلتك فلما قدم على عمر بكنه بهذا الشعر وقال والله يا أمير المؤمنين ما شرت بما تهاقظ وما ذاك الشعر الا شئ طغى على اساقى فقال عمر اظن ذلك ولكن والله لا تعمل لى عملا أبدا وقد

قلت ما قلت فلم يذكرانه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لانهم يقولون ما لا يفعلون ولكن ذمه عمر رضى الله عنه ولا مده على ذلك وعزله به ولهذا جاء في الحديث لأن يمتلي جوف أحدكم فيحارب به خيره من أن يمتلي شعرا والمراد من هذا ان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لان حاله مناف للخالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الاذكر وقرآن مبين وقال تعالى انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين وهكذا قال (١٩٨) ههنا وانه لتنزىل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون

من المنذرين بلسان عربي مبين الى ان قال وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لم يعزولون الى ان قال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفلأثم يلقون السمع وأكثهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل وادع يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الدارى قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاؤون جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون قالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية انا شعراء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال أنتم وذكروا الله كثيرا قال أنتم واتصروا من بعد ما ظلموا قال من رواه ابن ابي حاتم وابن جرير من رواية ابن اسحق وقدرى ابن ابي حاتم أيضا عن أبي سعيد الأشج عن ابن أسامة عن الوليد بن ابي

يريد أكثر منه وليس له أجر ولا وزير ونهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فقال ولا تمنن تستكثر (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله) أى وما أعطيتم من صدقة تطوع لا تطلبون بها المكافأة وانما تقصدون به ما عند الله (فاولئك هم المضعفون) أى ذروا الأضعاف من الحسنات الذين يعطون بالحسنة عشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف قال الفراء هو نحو قولهم مسين ومعطش ومضعف اذا كانت له ابل-هتان وعطاش وضعفة وقرئ بفتح العين اسم مفعول وفيه التفات حسن عن الخطاب لانه يفيد التعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تمرى بالخالفهم فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون أو للتعميم غير مخاطبين كأنه قال من فعل هذا فسد سبيل مخاطبين وكان مقتضى ظاهر المقابلة ان يقال فير بوعند الله فغير عبارة الربا الى الأضعاف ونظم النعمانية الى الائمة الدالة على الدوام المشتملة على ضمير الفصل المفيد للعصر والمعنى المضعفون به لانه لا بد له من ضمير يرجع الى ما الموصولة (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يمتكم ثم يحييكم) عاد سبحانه الى الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرازق المميت المحيى أى المختصر بالخلق والرزق والامانة والاحياء ثم قال على جهة الاستفهام (هل من شركائكم) أى أصنامكم التى زعمتم انهم شركاء وأضاف الشركاء اليهم لانهم كانوا يسمعونهم آلهة ويجعلون لهم نصيبا من أموالهم (من يفعل من ذلكم أى الخلق والرزق والامانة والاحياء من شئ) أى شيا من هذه الأفعال ومعلوم انهم يقولون ليس فيهم من يفعل شيا من ذلك فتقوم عليهم الخجة ومن الاول والثانية لبيان شروع الحكم فى جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم التثني ثم زعم سبحانه نفسه فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى زعموه تنزيها وهو متعال عن أن يجوز عليه شئ من ذلك (ظهر الفساد بين سبحانه ان الشرك والمعاصى سبب لظهور الفساد (فى البر والبحر) أى العالم والناسد من فساد كمنصر وكرم فساد اذ صلح فهو فاسد والفساد أخذ المال ظلما والجذب والمفسد ضد المصلحة واختلف فى معنى ظهور الفساد المذكور فقبل هو التجحظ وعدم النبات ونقصان الرزق وكثرة الخوف ونحو ذلك وقال مجاهد وعكرمة فساد البرقتل ابن آدم أخاه يعنى قتل قاييل لهايل وفساد البحر الملك الذى يأخذ كل سفينة غصبا ولت شعري أى دليل دلهم ما على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب فان الآية نزلت على

كثير عن يزيد بن عبد الله عن ابي الحسن مولى بنى نوفل ان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول محمد الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية والشعراء يتبعهم الغاؤون ييكان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأها عليهم والشعراء يتبعهم الغاؤون حتى يبلغ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال انتم فقال ايضا حدثنا ابى حدثنا ابوسلمة حدثنا جاد ابن سلمة عن هشام بن عروة قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاؤون الى قوله وانهم يقولون ما لا يفعلون قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله انى منهم فأنزل الله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد

وقمادة وزيد بن اسلم وغير واحد ان هذا استثناء مما تقدم ولا شك انه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الانصار وفي ذلك نظر ولم تقدم الامرسلات لايتمد عليها والله اعلم ولكن الاستثناء دخل فيه شعراء الانصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بدم الاسلام واهله ثم ناب وأناب ورجع وأقنع وعمل صالحا وذكرا لله كثيرا في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ فان الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الاسلام وآهله في مقابلة ما كان يذمه كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم يارسول المليك ان لسانى * راتقى ما فتقت اذا تابور (١٩٩)

اذا جارى الشيطان في سنن الغي
ومن مال ميله منثور
وكذلك أبو سفيان بن الحرث بن
عبد المطلب كان من أشد الناس
عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
ابن عمه وأكثرهم له هجوا فلما أسلم
لم يكن أحدا أحب اليه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ما كان يهجوه ويتولاه بعدما كان
قد عاداه وهكذا روى مسلم في صحيحه
عن ابن عباس ان أباسفيان بن حرب
حرب لما أسلم قال يارسول الله ثلاث
أعطين قال نعم قال معاوية تجعله
كتابا بين يديك قال نعم قال
وتؤمن منى حتى أقاتل الكفار كما
كنت أقاتل المسلمين قال نعم وذكر
الثالثة ولهذا قال تعالى الا الذين
آمَنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيرا قبل معناه ذكروا الله
كثيرا في كلامهم وقيل في
شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما
سبق وقوله تعالى واتصروا من
بعد ما ظلموا قال ابن عباس يردون
على الكفار الذين كانوا يهجون به
المؤمنين وكذا قال مجاهد وقمادة

محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتعريف في الفساد يدل على الجنس فيعم كل فساد واقع في
حيزي البر والبحر وقال السدي الفساد الشرك وهو أعظم الفساد ويمكن ان يقال ان
الشرك وان كان الفرد الكامل في أنواع المعاصي ولكن لا دليل على انه المراد بخصوصه
وقيل الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل قطع السبل والظلم وقيل نقصان البركة
بأعمال العبادكى يتوبوا قال النحاس وهو أحسن ما قيل في الآية وقومنه ان الفساد في البحر
انقطاع صيده بنوب بنى آدم قال ابن عطية فاذا قل المطر قل الغوص فيه وعميت دواب
البحر وقيل غير ذلك مما هو تخصيص لا دليل عليه والظاهر من الآية ظهور ما يصح
اطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعا الى أفعال بنى آدم من معاصيهم واقترافهم
السيئات وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم وأرجعا الى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب
ذنوبهم كالقطع وكثرة الخوف والموتان ونقصان الزرائع والثمار وكثرة الحرق والغرق
ومحق البركات من كل شئ والبر والبحر هما المعروفان المشهوران وقيل البر القياى والبحر
القرى التى على ماء قاله عكرمة والعرب تسمى الامصار الجار قال مجاهد البرما كان من
المدن والقرى على غير نهر والبحر ما كان على شط نهر وعن ابن عباس فحجوه والاول أولى
ويكون معنى البر مدن البر ومعنى البحر مدن البحر وما يتصل بالمدن من مزارعها
ومراعها (كما كتبت أيدى الناس) من المعاصي والذنوب والباء للسيئة وامام موصولة
أو مصدرية (ليذيقهم بعض الذى عملوا) اللام لعله أى ليذيقهم بعض عقوبة عملهم
أو جزاء بعض عملهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها فى الآخرة وقيل للصيرورة قرى بالباء
وبنون العظيمة (لعلهم يرجعون) عما هم فيه من المعاصي ويتوبون الى الله قال ابن
عباس يرجعون من الذنوب ولما بين سبحانه ظهور الفساد فيه ما عاين كسبت أيدى
المشركين والعصاة بين لهم ضلال امثالهم من أهل الزمن الاول فقال (قل سرور فى
الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أمرهم بان يسير والينظر وانذارهم
ويشاهدوا كيف كانت عاقبتهم فان منازلهم حاوية وأراضهم مقفرة موحشة كعاد
وعمود ونحوهم من طوائف الكفار (كان أكثرهم مشركين) مستأنفة لبيان الحالة التى
كانوا عليها وايضاح السبب الذى صارت عاقبتهم به الى ما صارت اليه وهو فساد الشرك
والعصيان فيما بينهم أو كان الشرك فى أكثرهم ومادونه من المعاصي فى قليل منهم (فاقم)

غير واحد وهذا كانت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجهم أو قال هاجهم وجبريل معذ وقال الامام
أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل قد أنزل فى الشعر اءما أنزل فقال رسول الله ان المؤمن يجاهد نفسه ولسانه والذى نفسى بيده لكان مات موتهم به نضح
السبل وقوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون كقوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية وفى الصحيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال قمادة بن دعامة فى قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اى

منقلب ينقلبون يعني من الشعراء وغيرهم وقال ابو داود الطيالسي حدثنا ابان بن ابي عمير قال حضرت الحسن وهو عليه بجزاة نصراني فقال وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال عبد الله بن ابي رباح وصفوان بن محرزانه كان اذا قرأ هذه الآية بكى حتى اقول قد اندق قضيب زوره وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وقال ابن وهب اخبرنا شرح الاسكندراني عن بعض المشيخة انهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشترتون عليها او يصلون اذا بركان قد أقبلوا فقاوا والمهم فاذا فضالة بن عبيد فيهم فانزلوه فجلس معهم قال وصاحب (٢٠٠)

ينقلبون قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يجربون البيت وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين والصحيح ان هذه الآية عامية في كل ظالم كما قال ابن ابي حاتم ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطي حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام عن ابيه عن عائشة رضی الله عنها قالت كتب ابي في وصيته سطرين بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به ابو بكر بن ابي جحافة عند دخوجه من الدنيا حين يؤمن الكفار وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وان يجبر ويبدل فلا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين

• (تفسير سورة النمل وهي مكية) •
(بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكآب مبين هدى وبشري للمؤمنين الذين يقعون

خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمة اسوته فيه كأن المعنى اذا قد ظهر الفساد بالسبب المتقدم فاقم (وجهك) يا محمد (لادين القيم) قال الزجاج اجعل جهتك اتباع الدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأق في عوج وهو الاسلام وقيل المعنى أوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل بما أنت فيه ولا تحزن عليهم قاله الفرطبي (من قبل ان يأتي يوم) يعني يوم القيامة (لا مرد له من الله) المراد مصدر رأى لا يتدرا حد على ان يره كقوله لا يستطيعون ردها فلا بد من وقوعه وقيل المعنى لا يره الله لتعلق ارادته القديمة بعبيته قاله ابو السعود (يومئذ) أي يوم اذ يأتي هذا اليوم (يصدعون) أصله يصدعون والتصدع التفرق يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه قول الشاعر

وكأ كندماني جذيمة حنمة * من الدهر حتى قيل ان يتصدعا

وفي المصباح صدعته صدعا من باب نفع شققته فاصدع وصدعت القوم صدعا فتصدعوا أي فرقتم فتفرقوا وقوله فاصدع عما توهم قيل ماخوذ من هذا أي شق جماعاتهم بالتوحيد وقيل افرق بذلك بين الحق والباطل وقيل أظهر ذلك وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وصدعت القفلة قطعها والمراد بتفرقهم ان أهل الجنة بصير ون الى الجنة وأهل النار الى النار ثم فصل سبحانه المتصدعين بقوله (من كفر فعليه كفره) أي جزاء كفره وهو بالله وهو النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم يهدون) أي يوطئون لانفسهم منازل في الجنة بالعمل الصالح والمهاد القراش وقد تقول مهدت القراش مهذا اذا بسطته ووطأته فجعل الاعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة كبناء المنازل في الجنة وفرشها وقيل المعنى فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم قرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضوعين للدلالة على الاختصاص وقال مجاهد فلا تفهمهم يهدون في القبر أي يوطئون المضاجع ويسوقونهم في القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) والكافرين بعدله متعلق بصدعون أو يهدون أي يتفرقون ليجزي الله المؤمنين بما يستحقونه على ان ضرر الكافر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزة أو يهدون لانفسهم بالاعمال الصالحة ليجزيهم وقال ابن عطية تقديره ذلك ليجزي وتكون الاشارة الى ما تقدم من قوله من كفر ومن عمل قال ابن عباس ليشيهم الله ثواباً أكثر من أعمالهم وجعل أبو حيان قسم قوله الذين آمنوا وعملوا

الصالحات

الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة يؤقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم فهم

يعصون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) قد تقدم الكلام في سورة البقرة على الحروف المقطعة في أوائل السور وقوله تعالى تلك آيات أي هذه آيات القرآن وكآب مبين أي بين واضح هدى وبشري للمؤمنين أي انما تحصل الهداية والشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدق وعمل بما فيه واقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال خيرا وشرها والجنة والنار كما قال تعالى قل هو الذي

آمنوا هدى وشفاهم والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الآية وقال تعالى لتبشروا بالمتقين وتذريه قوم ما دلوا لهذا قال تعالى ههنا ان الذين لا يؤمنون بالآخرة أي يكذبون بها ويستبعدون وقوعها في آذانهم أعمالهم فهم يعمهون أي حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم في غيهم فهم يتبهون في ضلالهم وكان هذا جزءا على ما كذبوا به من الدار الآخرة كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الآية أولئك الذين لهم سوء العذاب أي في الدنيا والآخرة وهم في الآخرة هم الآخسرون أي ليس يخسر انفسهم واموالهم سواهم من اهل الخسر وقوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن (٢٠١) حكيم علم أي وانك يا محمد لتلقى أي

لتأخذ القرآن من لدن حكيم علم أي من عند حكيم علم أي حكيم في أمره ونبيه علم بالأمور جليلها وحقيقها نخبه هو الصادق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا (اذ قال موسى لاهله اني آتيت نارا سا تيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبر ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون الامن ظلم ثم يدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وسجدوا لها واستبقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مذكراه ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله

الصالحات محذوف دلالة قوله (انه لا يحب الكافرين) عليه لانه كناية عن بغضه لهم الموجب لغضبه سبحانه وغضبه يستتبع عقوبته وقيل تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس وفيه تهديد ووعيد لهم (ومن آياته أن يرسل الرياح) أي ومن دلالات بديع قدرته تعالى ارسال الرياح أي الشمال والصبيا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فهي ريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قري الرياح بالجمع والافراد على قصد الجنس لاجل قوله (مبشرات) بالمطر لانها تقدمه كما في قوله سبحانه بشر ابين يدي رحمة (وليديقكم من رحمة) أي يرسلها ليديقكم بها الغيث وانصب أو نعمته من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها الا الله وقيل اللام متعلقة بمحذوف أي وأرسلها ليديقكم وقيل الواو مزيدة على رأى من يجوز ذلك فتعلق اللام بمرسل ومن تبعضية (و يرسل الرياح) التجري (الثلاث) في البحر عند هبوبها ولما أسند الجري الى الفلك عقبه بقوله (بأمره) أي بتدبيره أو بتكوينه كقوله انما أمره اذا أراد شيئا الآية (ولتبغوا) الرزق (من فضله) بالتجارة التي تحملها السفن (ولعلكم تشكرون) هذه النعم فتفردون الله بالعبادة وتستكثرون من الطاعة (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومك وهذا نسلمية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو اعترض بين الكلامين المتصلين معنى أي قوله ومن آياته أن يرسل الرياح وقوله الله الذي يرسل الرياح وقال أبو حيان جاء نأ يساله صلى الله عليه وآله وسلم ووعدا بالنصر ووعيد الاهل الكفر وحقية نصر المؤمنين على الله لا تختص بالدنيا بل نعم الآخرة أيضا في الآخرة من متناولات الآية (جأؤهم بالبينات) أي بالمعجزات الواضحات والحجج النيرات على صدقهم في رسالتهم اليهم فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله (فآتقنا) بالاهلاك في الدنيا (من الذين أخرجوا) أي فعلوا الأجرام وهي الآثام (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) على الكافرين باهلا كهم وانجاء المؤمنين هذا الخبر من الله سبحانه بان نصره لعباده المؤمنين حق عليه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد وفيه نشر للمؤمنين وهو يد تكريمة لعباده الصالحين أخرج الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه والترمذي عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من مسلم يرتع عن عرض أخيه الا كان

(٢٦ - فتح البيان سابع) وكلمه وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والإدلة القاهرة وابتعثه الى فرعون ومثله سجدوا وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانتقاده فقال تعالى اذ قال موسى لاهله أي اذ كرحن سار موسى باهله فأفضل الطريق وذلك في ليل وظلام فآتس من جانب الطور نارا رأى نار أتأج ونضطرم فقال لاهله اني آتيت نارا سا تيكم منها بخبر أي عن الطريق أو آتيكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون أي تتدفقون به وكان كما قال فانه رجع منها بخبر عظيم واقبتس منها نورا عظيما ولهذا قال تعالى فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها أي فلما أتاها ورأى منظرها تألا عظيما حيث انتهى

اليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لا تزاد النار الا توقد ولا تزاد الشجرة الا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فاذا نورها متصل بعنان السماء قال ابن عباس وغيره لم تكن نار وانما كانت نوراً يتوهج وفي رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوق موسى متججماً رأى فنودي أن بورك من في النار قال ابن عباس تقديس ومن حوالها أي من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبيرة والحسن وقنادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود وهو الطيالسي حدثنا شعبة والمسهودي عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث (٢٠٢) عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلاوا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وهو من طريق شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء (الله الذي يرسل الرياح) قرئ بالجمع والافراد قال أبو عمرو وكل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو موحد وهي مسوقة لبيان ما سبق من أحوال الرياح (فتشير سخاباً) أي ترتبته وتهبه وتحركه (فيبسطه) أي ينشره متصلاً ببعضه ببعض أي ينشره كمال الانتشار والافصل الانتشار موجود في السحاب دائماً (في السماء) أي في سميت السماء وجهتها وشقها كقوله وفرعها في السماء أي في جهة العلو وليس المراد حقيقة السماء المعروفة (كيف يشاء) تارة سائر اوتارة واقفا وتارة مطبقاً وتارة غير مطبق وتارة الى مسافة بعيدة وتارة الى مسافة قريبة وتارة من ناحية الشمال وتارة من ناحية الجنوب والديور أو الصبا وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة وفي سورة النور (ويجعل كسفاً) تارة أخرى أو يجعله بعد بسطه قطعاً متفرقة بعضها فوق بعض والكسف جمع كسفة بالكسر وهي القطعة من الشيء أو السحاب وقرئ بفتح السين وسكونها والمسكن مخفف من المحرك بمعنى والقراءتان سبعيتان وجمع الجمع أكساف وكسوف وكسفة يكسفه قطعه (فتري الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من بينه ووسطه (فإذا أصابه) أي بالودق (من يشاء من عباده) أي بلادهم وأرضهم (إذا هم يستبشرون) إذا هم الفجائية أي فأجوا الاستبشار بمعنى المطر والخصب والاستبشار الفرح (وان) أي وان الشأن وفسر الخليل ان بقدر سبعة للبغوى والاولى وولى وبذلك اللام في المبلسين فانها اللام الفارقة (كأنوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) تنكيراً لئلا يكيد قاله الاخفش وأكثر النحويين كما حكاه عنهم النحاس كقوله فكان عاقبتهم ما انهم في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها على ما قاله الزمخشري الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تناول فاستحكم ياسهم وتمادي ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قال السمين وهو كلام حسن وقال ابن عطية وفائدة هذا التأكيد اعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك ان قوله من قبل ان ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان أي من قبل ان ينزل بكثير كالايام فجاء قوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو توكيد مفيد وقال قطرب ان الضمير في قبله راجع الى المطر أي وان كأنوا من قبل التنزيل من قبل المطر قيل

ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل زاد المسعودي وحجابه النور والنار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره ثم قرأ أبو عبيدة أن بورك من في النار ومن حوالها وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات ولا يكتنفه الارض والسموات بل هو الاحد الصمد المتزه عن مماثلة المحدثات وقوله تعالى يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم اعلمه أن الذي يخاطبه ويتأخيه هو ربه الله العزيز الذي عز كل شيء وقهره وغلبه الحكيم في أقواله وأفعاله ثم أمره أن يلقى عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء فلما أتى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية

الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ولهذا قال تعالى فلما رآها تهتراً كأنها جبان والجان ضرب من الحيات أسرع المعنى حركة وأكثره اضطراباً وفي الحديث تهسى عن قتل جنان السيوت فلما عاين موسى ذلك ولى مدبراً ولم يعقب أي لم يلتفت من شدة فرقه يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون أي لا تخف مما ترى فاني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وحيها وقوله تعالى الامن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوءه فاني غفور رحيم هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك أن من كان على عمل سيئ ثم أقبل عنه ورجع وتاب وأب فان الله يتوب عليه كما قال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وقال تعالى ومن يعمل

سواء وظلم نفسه الآية والآيات في هذا كثيرة جدا وقوله تعالى وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له معجزة وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده في جيبه درعه فإذا أدخلها وأخر جها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قمر لها المعان تملأ كالبرق الخاطف وقوله تعالى في تسع آيات أي هاتان ثنتان من تسع آيات أو يدك بهم واجعلهن برهاناً لك إلى فرعون وقومه أنهم كانوا قوماً فاسقين وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كما تقدم تقرير ذلك (٢٠٣) هنالك وقوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا

مبصرة أي بينة واضحة ظاهرة قالوا هذا صحر مبين وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين وخذوا بها أي في ظاهر أمرهم واستيقنتها أنفسهم أي علموا في أنفسهم أنهم ساحق من عند الله وليكن بحدوها وعاندوها وكابروها وظلموا وعلموا أي ظلموا أنفسهم بحجة ملعونة وعلموا أي استكبروا عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم في اهلاك الله إياهم واغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة وخوى الخطاب يقول احذروا أيها المكذبون لحد الحاح دون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى فان محمد صلى الله عليه وسلم أشرف وأعظم من موسى وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ الموثيق له عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام (ولقد

المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع والمطر وقيل من قبل ان ينزل عليهم من قبل السحاب أي من قبل رؤيته واختار هذا النحاس وقيل الضمير عائداً إلى الكسف وقيل إلى الأرسال وقيل إلى الاستبشار والراجح الوجه الأول وما بعده من هذه الوجوه كلها في غاية التكلف والتعسف (لمدسين) أي آيين يقال أبلس الرجل بلا ساسكت وأبلس آيس وقد تقدم تحقيق الكلام في هذا (فانظر إلى آثار رحمة الله) الناشئة عن انزال المطر من السحاب والآثار والزرايع التي بها يكون الخصب ورخاء العيش أي انظر نظر اعتبار واستبصار لتستدل بذلك على توحيد الله وقدره بهذا الصنع العجيب والفاء للدلالة على سرعة ترتيبها عليه وقرئ أثراً بالتوحيد وأياً بالجمع سبعية (كيف يحيى الأرض بعد موتها) فاعل الأحياء ضمير يعود إلى الله سبحانه وقيل ضمير يعود إلى الأثر أي انظر إلى كيفية هذا الأحياء البديع للأرض بعد موتها والمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته وسعته ورحمته مع ما فيه من التمهيد لآمر البعث وقرئ يحيى بالفوقية على أن فاعله ضمير يعود إلى الرحمة أو إلى الآثار (أن ذلك) أي أن الله العظيم الشأن اخترع لهذه الأشياء المذكورة (لحي الموتى) أي لقد ادر على أحيائهم في الآخرة وبعثهم ومجازاتهم كما أحيى الأرض الميتة بالمطر وهذا استدلال بأحياء الموات على أحياء الاموات (وهو على كل شيء قدير) أي عظيم القدرة وكثيرها وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء (ولئن أرسلنا ريحاً مضره وهى الريح الديورية التي أهلكت بها عاد (قراؤه) أي الزرع والنبات الذي كان من أثر رحمة الله (مصقراً) من البرد الناشئ عن الريح التي أرسلها الله بعد اخضراره وقيل الضمير راجع إلى الريح وهو يجوز تذكيره وتأنينه وقيل راجع إلى الأثر المدلول عليه بالأثر وقيل راجع إلى السحاب لأنه إذا كان مصقراً لم يطر والأول أولى واللام هي الموطئة وجواب القسم قوله تعالى (لظلموا من بعده) وهو يدل على وجوب الشرط لأنه اجتمع هنا شرط وقسم والشرط مؤخر في حذف جوابه دلالة عليه بجواب القسم على القاعدة والمعنى وباللثة لئن أرسلنا ريحاً حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفرة لظلموا من بعد ذلك (يكذبون) بالله ويجحدون نعمه والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذاباً على زرعهم لحدوا سالف نعمتي وفي هذا دليل على سرعة تقبلهم وعدم صبرهم وضعف قلوبهم وليس كذا حال أهل الإيمان ثم شبههم بالموتى وبالصم فقال (فانك لا تسمع الموتى)

آتينادودوسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا هو النزل المبين وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطيور فهم يوزعون حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحاً ترضاه وادخني برحمتك في عبادك الصالحين يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان عليهم السلام من النعم الخزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة

وما جمع لهم من سعادة الدنيا والآخرة الملك والتمكين التمام في الدنيا والنبوة والرسل في الدين ولهذا قال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين قال ابن أبي حاتم ذكر عن ابراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال كتب عمر بن عبد العزيز ان الله لم ينعم على عبده نعمة خمد الله عليها الا كان حده افضل من نعمه لو كنت لاتعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فاي نعمة افضل مما آتينا داود وسليمان عليهم ما السلام (٢٠٤) وقوله تعالى وورث سليمان داود اى في الملك والنبوة وليس المراد

وراثه المال انلوا كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر اولاد داود فانه كان لداود مائة امرأة ولكن المراد بذلك وراثه الملك والنبوة فان الانبياء لا تورث اموالهم كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فمن معانير الانبياء لا تورث ما تركناه فهو صدقة وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء اى أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التمام والتمكين العظيم حتى انه سخن له الانس والجن والطير وكان يعرف لغة الطير والحيوان ايضا وهذا شئ لم يعطه احد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به رسوله ومن زعم من الجهلة والرعا ان الحيوانات كانت تنطق كطق بنى آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم ولو كان الامر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة اذ كلهم يسمع كلام لطيور والبهائم ويعرف ما تقول وليس الامر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات

اى موقى القلوب اذ ادعوتهم فكذا هو لاء لعدم فهمهم للحقائق ومعرفة لهم للصواب (ولا تسمع الصم الدعاء) اذ ادعوتهم الى الحق ووعظتهم بعواظ الله وذكرتهم بالآخرة وما فيها (اذا ولوا مدبرين) بيان لاعراضهم عن الحق بعد بيان كونهم كالموات وكونهم صم الاذان وقد تقدم تفسير هذا في سورة النمل فان قلت الا صم لا يسمع مقبلا او مدبرا فما فائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالاشارة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاهل بدر والاستناد ضعيف والمشهور في الصحيحين وغيرهما ان عائشة استدلبت بهذه الآية على رد رواية من روى من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نادى اهل قلب بدر وهو من الاستدلال بانعام على رد الخاص فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له انك تنادى اجسادا بالية ما انتم باسمع لما أقول منهم وفي مسلم من حديث أنس ان عرب الخطاب لما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يناديهم فقال يا رسول الله تناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون يقول الله انك لاتسمع الموقى فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يطيقون ان يجيبوا ثم وصفهم بالعمى فقال (وما انت بهادى العمى عن ضلالهم) ان تقدمهم للانتفاع بالابصار كما ينبغي أو لتقدمهم للبصائر (ان) اى ما تسمع الامن يؤمن باياتنا) لكونهم اهل التفكير والتدبر والاستدلال بالاثار على المؤثر (فهم مسلمون) اى متقادون للعق متبعون له وفيه مراعاة معنى من (الله الذى خلقكم) ذكر سبحانه استدلالا آخر على كمال قدرته وهو خلق الانسان نفسه على أطوار مختلفة كما قال (من ضعف) اى بدأكم وأنشأكم على ضعف وهو مصدر ضد القوة قال الواحدى قال المفسرون من نطفة كقوله من ماء مهين اى ذى ضعف وقيل المراد حال الطفولة والصغر فهذه أحوال غاية الضعف قرئ ضعف بضم الصاد في هذه المواضع وبتفخه اوهما سبعتان قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم قال الجوهري الضعف والضعف خلاف القوة والصحة وقيل هو بالفتح فى رأى وبالضم فى الجسم وأجاز الكوفيون ضعف بفتحين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وهى قوة الشباب وبلوغ الاشد فانه اذ الكبر تسهكتم القوة وتشتد الخلقة الى بلوغ النهاية (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) اى عند الكبر والهزم (وشبهة) هى تمام الضعف ونهاية الكبر وقيل بياض الشعر الاسود ويحصل اوله

من وقت خلقت الى زمانها هذا على هذا الشكل والمواضع ولكن الله سبحانه كان قد افهم سليمان ما يخاطب به الطيور فى الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء اى مما يحتاج اليه الملك ان هذا هو الفضل المبين اى الظاهر المبين لله علمنا قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن ابي عمرو عن المذنب عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلقت الابواب فلم يدخل على أهله اى حتى يرجع قال نخرج ذات يوم وأغلقت الابواب فاقبلت امرأة تطالع الى الدار

فاذا رجع قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لنتهضن بداد داود عليه السلام
 فاذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت فقال الذي لا يهاب الملوك ولا يمتنع من الحجاب فقال داود أنت اذا والله ملك الموت
 مرحبا بامر الله فدخل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير
 اظلي داود فظلت عليه الطير حتى اظلمت عليه الارض فقال لها سليمان اقبضي جناحا جناحا قال ابو هريرة يا رسول الله كيف
 فعلت الطير فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وغابت عليه يومئذ (٢٠٥) المضرجية قال ابو الفرج ابن الجوزي

المضرجية هي التسور الحجر وقوله
 تعالى وحشر سليمان جنوده من
 الجن والانس والطير فهم يوزعون
 اى وجمع سليمان جنوده من الجن
 والانس والطير يعنى ركب فيهم في
 ابهة وعظمة كبيرة في الانس
 وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم
 بعدهم في المنزلة والطير ومنزلتها
 فوق رأسه فان كان حرا اظلمت منه
 باجنتها وقوله فهم يوزعون اى
 يكف اولهم على آخرهم لثابتهم
 أحسن منزلة التي هي مرتبة له
 قال مجاهد جعل على كل صنف
 وزعة يردون اولها على آخرها
 لتسليتها تقدموا في المير كما يفعل
 الملوك اليوم وقوله حتى اذا اتوا على
 وادى النمل اى حتى اذا امر سليمان
 عليه السلام بمن معه من الحيوش
 والجنود على وادى النمل قالت غلة
 يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
 لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
 لا يشعرون فاورد ابن عساکر من
 طريق اسحق بن بشر عن سعيد عن
 قتادة عن الحسن ان اسم هذه النملة
 حرس وانها من قبيلة يقال لهم بنو
 الشيصان وانها كانت عرجاء وكانت

في الغالب في السنة الثالثة والاربعين وهو اول سن الاكتمال والاخذ في النقص بان نعل
 بعد الخمسين الى أن يزيد النقص في الثالثة والستين وهو اول سن الشيخوخة ويقوى
 الضعف الى ما شاء الله تعالى (يخلق ما يشاء) من جميع الاشياء ومن جملتها القوة والضعف
 والشباب والشيبة في بنى آدم (وهو العليم) بتدبيره وأحوالهم (القدير) على خلق
 ما يريد وتغييرهم وهذا التردد في الاحوال ابين دليل على الصانع القادر (ويوم تقوم)
 اى توجد ويحصل (الساعة) اى القيامة وهي النفخة الثانية وسميت ساعة لانها تقوم في
 آخر ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة (يقسم المجرمون) اى يحلف المشركون
 والكافرون المنكرون للبعث بانهم (ما لبثوا) في الدنيا قاله الخطيب والكشاف والقاضي
 اوفى قبورهم قاله مقاتل والكلبي (غير ساعة) فيمكن ان يكونوا استقلوا مدة لبثهم واستقر
 ذلك في اذهانهم فخلقوا عليه وهم يظنون ان حلقهم مطابق للواقع وقال ابن قتيبة انهم
 كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل وهذا هو الظاهر لانهم ان ارادوا البتة في
 الدنيا فقد علم كل واحد منهم مقداره وان ارادوا البتة في التبرور فقد حلفوا على جهالة ان
 كانوا لا يعرفون الاوقات في البرزخ (كذلك) الصرف (كانوا يوفون) اى يصرفون
 ويقولون ما هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين يقال افك الرجل اذا صرف عن الصدق
 والحق وقيل المراد يصرفون عن الحق وقيل عن الخير والاول اولى وهو دليل على ان
 حلفهم كذب (وقال الذين اتوا العلم والايان) اختلف في تعيين هؤلاء فقيل الملائكة
 وقيل الانبياء وقيل علماء الامم وقيل مؤمنو هذه الامة ولا مانع من الجمل على الجميع
 قالوا راد على هؤلاء الكفرة وتكذيبهم (لقد ابتمت في كتاب الله) اى سابق علمه وسالف
 قضائه (الى يوم البعث) قال الزجاج في علم الله المنبث في اللوح المحفوظ قال الواحدى
 المفسرون جلاوا هذا على التقديم والتأخير على تقدير وقال الذين اتوا العلم في كتاب الله
 وكان رد الذين اتوا العلم عليهم باليمين للتأكد وللمقابلة لليمين باليمين ردوا ما قالوه
 وحلفوا عليه وأطلعواهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريرهم على انكار البعث فنبهوهم
 على طريقة التبيكيت بقولهم (فهذا) الوقت الذي صار وافته هو (يوم البعث) الذي كنتم
 تنكرونه في الدنيا وقيل النفاء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين للبعث
 فهذا يومه اى فقد تبين بطلان انكاركم (واكننكم كنتم لا تعلمون) انه حق وقوعه في

بقدر الذب اى خفت على النمل ان تحطمها الخيول بجوارحها فامرهم بالدخول الى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها
 فتسبم صاحبكم قولها وقال رب اوزعنى ان أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه اى الهمنى ان
 أشكر نعمتك التي مننت بها على من تعليمي منطق الطير والحيوان وعلى والدى بالاسلام لك والايان بك وان أعمل صالحا ترضاه
 اى عملا تحببه وترضاه وأدخلني برحمتك في عبدك الصالحين اى اذا توفيتنى فألحقني بالصالحين من عبادك والرفيق الاعلى من
 اوليائك ومن قال من المفسرين ان هذا الوادى كان بارض الشام او بغيره وان هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب او غير ذلك

من الاقاول فلا حاصل لها وعن نوف البكالي أنه قال كان نعل سليمان أمثال الذناب هكذا آيته مضبوطا بالياء المثناة من تحت وانما هو بالياء الموحدة وذلك تصحيف والله أعلم والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكا من ذلك وهذا أمر عظيم جدا وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هرون أن أبا ناسه سمر عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فاذا هو بملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن سقيك (٢٠٦) والانسنة اتملكا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم

الدينا بل كنتم تستعجلونه تكذبا واستهزاء (فقد مر منذ) النماء تفصيل لما يفهم مما قبلها من انه لا يفيدهم تقليل مدة البعث ولا النسيان أو هو جواب شرط مقدر أيضا (لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) أي لا ينفعهم الاعتذار يومئذ ولا يفيدهم علمهم بالقيامة كأنهم توهموا ان التقليل ونحوه عذر في عدم طاعتهم كقوله أولم نعمركم ما تذكر فيه من تذكار وقيل لما رد عليهم المؤمنون سألو الرجوع الى الدنيا واعتذروا فلم يعذروا قرئ لا ينفع بالتحسنة وبالفرقية وهما سبعيتان (ولاهم يستعيبون) أي لا يطلب منهم العتبي وهو الرجوع الى ما رضى الله من التوبة والعمل الصالح وذلك لا تقطع التكليف في ذلك اليوم يقال استعيبته فاعتبني أي استرضيته فأرضاني وذلك اذا كنت جائعا عليه وحققة أعتبه أزلت عتبه والمعنى أنهم لا يدعون الى ازالة عتبيهم من التوبة والطاعة كما دعوا الى ذلك في الدنيا (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي وصفنا لهم كل صفة كانتا مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة بحسب الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصنا لهم ما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعجابهم وكذا ضربنا لهم من كل مثل من الامثال التي تدلهم على توحيد الله وصدق رسوله واجتنبنا عليهم بكل حجة تدل على بطلان الشرك وفيه اشارة الى ازالة الاعتذار والاتبان بما فوق الكفاية من الانذار (ولئن جنتهم بآية) من آيات القرآن الناطقة بذلك ولئن جنتهم بآية كالعصا والبدأ وجنتهم بكل آية جاءت بها الرسل (ليقولن الذين كفروا) منهم (ان انتم الامبطلون) أي ما أنت يا محمد وأصحابك الا أصحاب اباطيل يتبعون السحر وما هو مشا كل له في البطلان أو انكم كلكم أيها الرسل مبطلون واللام مؤكدة واقعة في جواب القسم (كذلك) الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي الفاقدين للعلم النافع الذي يهتدون به الى الحق والتوحيد وينجون به من الباطل والشرك والمصرين على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب الحق ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر معللا ذلك بحقيقة وعده سبحانه وعدم الخلف فيه فقال (فاصبر) على ما نسمع من الاذى وتنظره من الافعال الكفرية والفناء فصيحة (ان وعد الله حق) وقد وعدك بالنصر عليهم واعلاء حجتك واطهار دعوتك وعده حق لا خلف فيه (ولا يستخفك) أي لا يحلمنك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخفة والجهل

وقد ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قرصت نيامن الانبياء غملة فامر بقرية النمل فاحرق فوحي الله اليه أفي أن قرصت غملة أهلكت امته من الامم تسبح فهل غملة واحدة (وتفقد الطير فقال مالي لأرى الهدد أم كان من الغائبين لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنمه أولياتني بسطان ميين) قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره كان الهدد مهندسا يد سليمان عليه السلام على الماء اذا كان بارض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الارض كما يرى الانسان الشيء الظاهر على وجه الارض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الارض فاذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان ففسر والذالك المكان حتى يستنبط الماء من قراره فنزل سليمان عليه السلام يوما بفلاة من الارض فتفقد الطير ليرى الهدد فلم يره فقال مالي لأرى الهدد أم كان من الغائبين حدث

والطيش

يوما عبد الله بن عباس بنحو هذا وفي القوم رجل من الخوارج يقال له نافع بن الازرق وكان

كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له قبا بن عباس غلبت اليوم قال ولم قال انك تخبر عن الهدد انه يرى الماء في تخوم الارض وان الصبي ليضع له الحبة في الفخ ويحتمو على الفخ ترايا فيجي الهدد لياخذها فيقع في الفخ فيصيده الصبي فقال ابن عباس لولا ان يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أحبته ثم قال له ويحك انه اذا نزل القدر على البصر وذهب الحذر فقال له نافع والله لا جاد لك في شيء من القرآن أبدا وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله البرزى من أهل برزة من حواط دمشق

وكان من الصالحين يصوم يوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين فروى ابن عسار بسنده إلى أبي سليمان بن زيد أنه سأله عن سبب عورته فأمتنع عليه فألح عليه شهورا فآخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة وسألاه عن واديهما فأرتهما آياه فأخرجا مجاهرا وأوقدا فيها بخورا كثيرا حتى يجمع الوادي بالدخان فاخذوا يعزمان والحيات تقبل من كل مكان اليهما فلا يلتفتان إلى شيء منها حتى أقبلت حية نحو الذراع وعيناهما توقدان مثل الدينار فاستبشرا عظيميا وقال الحمد لله الذي لم يخيب سفرنا من سنة وكسرا المجاهر واخذ الحية فأدخلها في عينها ميلا فاكحلها به (٢٠٧) فسألتهما ان يكحلاني فأيا فالحخت عليهما

وقلت لابن من ذلك وتوعدتهما بالدولة فكحل عليني الواحدة اليمنى فحين وقع في عيني نظرت إلى الأرض تحتني مثل المرأة أنظر ما تحتها كما ترى المرأة ثم قال لي سر معا قليلا فسررت معهما وهما يجدها تأتي حتى إذا بعدت عن القرية أخذاني فكنتفاني وادخل أحدهما يده في عيني ففقاها ورحم بها ومضى فلم ازل كذلك ملقيا مكتوبا حتى مر بي نفر ففككت وناقى فهذهما كان من خبر عيني وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو الغساني حدثنا عباد بن مسيرة المنقري عن الحسن قال اسم هدهد سليمان عليه السلام عنبر وقال محمد بن اسحق كان سليمان عليه السلام اذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير وكان فيما رزغون يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر فنظر فرأى من أصناف الطير كاهما من حضره الا الهدهد فقال مالي لأرى الهدهد أم كان من الغائين أخطأه بصري أم غاب فلم يحضر

والطيش بترك الصبر ولا يستغفر عن دينك وما انت عليه يقال استخف فلان فلا نأى استجبه له حتى جملة على اتساعه في الغي وقرى من الاستحقاق والنهي في الآية من باب لا اربك ههنا (الذين لا يؤقنون) بالله ولا يصدقون انبياءه ولا يؤمنون بكتبه ولا بالبعث والحساب

* (سورة لقمان آياتها ثلاث وأربع وثلاثون آية) *

وهي مكية الاثلاث آيات وهي قوله تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة اقلام إلى تمام الآيات الثلاث قاله ابن عباس وعنه انها مكية ولم يستثن وعن قتادة انها مكية الايتين فحدثنيان وأخرج النسائي وابن ماجه عن البراء قال كان صلى خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظهر نسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان والذاريات

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) الله أعلم مراده به وقد تقدم الكلام على مثل فاتحة هذه السورة فلان عيده (تلك آيات الكتاب الحكيم) وقد تقدم أيضا بيان مرجع الإشارة مرارا في نظائرها والحكيم اما ان يكون بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل أو بمعنى ذى الحكمة أو الحكيم قائله والاضافة بمعنى من (هدى ورجحة) قال الزجاج المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرجحة وقرئ بالرفع أى هو هدى ورجحة (للمحسنين) المحسن العامل للحسنات أو من يعبد الله كما تراه كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح لما سأله جبريل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يرأى ثم وصفهم بقوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) وخص هذه العبادات الثلاث لانها عمدتها (أو لئلا على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) قد تقدم تفسير هذا في أوائل سورة البقرة والمعنى هنا ان أولئك المتصفين بالاحسان وفعل تلك الطاعات التي هي امهات العبادات هم على طريقة الهدى وهم الفائزون بمطالبتهم الظافرون بخيري الدارين (ومن الناس من يشتري من امام موصولة أو موصوفة ومفردا فظا جمع معنى وروعي لفظها أو لافي ثلاثة ضمائر يشتري ويضل ويتخذ وروعي معناها ثانيا في موضعين وهما أولئك لهم ثم رجع الى مراعاة اللفظ في خمسة ضمائر وهي واذا تتلى عليه الخ (لهو الحديث) وهو كل باطل

وقوله لا اعذبه عذبا شديدا قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن عيسى عن ابن عباس يعني تفريسه وقال عبد الله بن شداد تفريسه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف انه تفريسه وتركه ملقيا بأكمله الذر والنمل وقوله أولاد بجنه يعني قتله أو لياقيني بسلطان ميين بعذر بين واضح وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد لما قدم الهدهد قالت له الطير ما خلفك فقد نذر سليمان دمك فقال هل استثنى قالوا نعم قال لا اعذبه عذبا شديدا أولاد بجنه أو لياقيني بسلطان ميين قال لجوت اذا قال مجاهد انما دفع الله عنه ببره بامه (فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئت منك من سبابا يقين اني وجدت امرأة تلبسهم وأوتيت

من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتمون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) يقول تعالى فكث الهدى غير بعيد أي غاب زمانا يسيرا ثم جاء فقال سليمان أحطت بعالم تحط به أي اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك وجمعتك من سبأ بنينا يقين أي بنينا بصدق حتى يقين وسبأ هم حبيروهم ملوك اليمن ثم قال انى وجدت امرأة تملكهم قال الحسن (٢٠٨) البصرى وهى بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقال قتادة

يلهى ويشغل عن الخير من الغناء والملاهى والأحاديث المكذوبة والأضاحيك والسمر بالأساطير التي لأصل لها والخرافات والقصص المختلفة والمعازف والمزامير وكل ما هو منكر والإضافة بيانية أي اللهو من الحديث لأن اللهو يكون حديثا وغيره فهو كثنوب خز وهذا المبلغ من حذف المضاف وقيل المراد شراء القينات المغنيات والمغنين فيكون التقدير من يشتري أهل لهو الحديث قال الحسن لهو الحديث المعازف والغناء وروى عنه أنه قال هو الكفر والشرك وفيه بعد والمراد بالحديث الحديث المنكر والمعنى يختارون حديث الباطل على حديث الحق قال القرطبي ان أولى ما قيل في هذا الباب هو تفسير لهو الحديث بالغناء قال وهو قول الصحابة والتابعين قال ابن عباس لهو الحديث باطله وهو في النضر بن الحرث بن علقمة اشترى أحاديث الاعاجم وأخبار الاكسرة وصنعهم في دهرهم وكان يكتب الكتب من الحيرة الى الشام ويحدث بها قريشا ويكذب القرآن وعنه قال هو الغناء وأشباهه اخرج البخاري في الادب المفرد وعنه قال الجوارى الضاربات وعن ابن مسعود قال هو والله الغناء وفي لفظ قال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يردّها ثلاث مرات وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبيرة قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية تزنت فمه وقيل هو كل لهو ولعب والمعنى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن واخرج احمد والترمذي وابن ماجه والطبراني والبيهقي وغيرهم عن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تبعوا القينات ولا تشتروهن ولا خير في تجارة فيهن وتمنن حرام في مثل هذا أنزلت هذه الآية وفي اسناده عبيد بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن وفيهم ضعف وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الملاهى وابن مردويه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حرم القينة وبيعها وثنها وتعليمها والاستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشتري لهو الحديث وأخرج البيهقي في السنن وابن أبي الدنيا وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل ورواه عنه موقوفا وأخرج ابن أبي الدنيا وابن مردويه عن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما رفع أحد صوته بغناء الا بعث الله اليه شيطانا ينجلسان على منكبيه يضربان باعقابهم ما على صدره حتى يمسا وأخرج الترمذي عنه مر فوعا نحوه

كانت أمها اجنية وكان مؤخر قدمها مثل حافر الدابة من بيت مملكة وقال زهير بن محمد هى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنبية وقال ابن جرير بلقيس بنت ذى سرخ وأمها بلتعثة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال كان مع صاحبة سليمان مائة الف قيل تحت كل قبيل مائة ألف وقال الاعشى عن مجاهد كان تحت يدي مملكة سبأ اثنا عشر ألف قبيل تحت كل قبيل مائة الف مقاتل وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى انى وجدت امرأة تملكهم كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بارض يقال لها مارب على ثلاثة اميال من صنعاء وهذا القول هو أقرب على انه كثير على مملكة اليمن والله أعلم وقوله وأوتيت من كل شيء أي من متاع الدنيا مما يحتاج

وفي

اليه الملك المتمكن ولها عرش عظيم يعنى سر يرتجلس عليه عظيم هائل من خرف بالذهب

وأشواع الجواهر واللاكى قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحته من مولتان بالياقوت والزبرجد طولها ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وقال محمد بن اسحق كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكان انما يتخذها النساء ولها مائة امرأة تلى الخدمة قال علماء التاريخ وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع النساء يحكمه وكان فيه ثلثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه قد وضع بناؤه على ان تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صبا ومساء

ولهذا قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أي عن طريق الحق فهم لا يهتدون وقوله ألا يسجدوا لله معنا وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ان لا يسجدوا لله أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي اخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها كما قال تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس وللأرض ولا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون وقرأ بعض القراء الا يسجدوا لله جعلها ألا الاستفاحية وباللذاه (٢٠٩) وحذف المنادى تقديره عنده ألا يا قوم

اسجدوا لله وقوله الذي يخرج الخبء في السموات والارض قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيثة في السماء والارض وكذا قال عمر كرمته ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد وقال سعيد بن المسيب الخبء الماء وكذا قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم خبء السموات والارض ما جعل فيها من الارزاق المطر من السماء والنبات من الارض وهذا مناسب من كلام الهدى الذي جعل الله فيه من الخاصة ما ذكره ابن عباس وغيره من انه يرى الماء يجرى في تخوم الارض وداخلها وقوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون أي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الاقوال والافعال وهذا كقوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار وقوله الله لاله الاهورب العرش العظيم أي

وفي الباب أحاديث في كل حديث منها مقال وقال ابن مسعود لهوا الحديث الرجل يشتري جارية تغنيه ليلا ونهارا وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في لهوا الحديث انما ذلك شراء الرجل اللعيب والباطل أخرجه ابن مردويه وعن نافع قال كنت أسير مع عبد الله بن عمر في طريق فسمع زمارة فوضع اصبعه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع انسمع قلت لا فأخرج اصبعيه من أذنيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنع وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انما سميت عن صوتين أحقين فاجر بن صوت عند نغمة لهو ومن أمير شيطان وصوت عند مصيبة خش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان (ليضل عن سبيل الله) اللام للتعليل قرئ بضم الياء أي ليضل غيره عن طريق الهدى ومنهج الحق وقرئ بفتح الياء أي ليضل هو في نفسه ويذوم ويستمر ويثبت على الضلال وهما سبعتان قال الزجاج من قرأ بضم الياء فعناه ليضل غيره فاذا أضل غيره فقد ضل هو ومن قرأ بالفتح فعناه ليصير أمره الى الضلال وهو ان لم يكن يشتري الضلالة فان أمره الى ذلك فاذا هذا التعليل انه انما يستحق الذم من اشترى لهوا الحديث لهذا المقصد ويؤيد هذا سبب النزول قال ابن عباس سبيل الله قراءة القرآن وذكر الله نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية قال الطبري قد أجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه وانما قارق الجماعة ابراهيم بن سعد وعبد الله العنبري قال القاضي أبو بكر بن العربي يجوز للرجل ان يسمع غناء جاريته اذ ليس شي منها عليه حر اما لمن ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها وقال في نيل الاوطار بعد ذكر الاختلاف فيه مع الأدلة لا يخفى على الناظر ان محل النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاستباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لرضه ودينه ومن حرم حول الحى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتهلا على ذكر القنود والحودود والجمال والذلال والهجر والوصول ومعاقر العقار وخلع العذار والوقار فان سامع ما كان كذلك لا يتخلو عن بليمة وان كان من التصلب في ذات الله على حديث قصر عنه الوصف وكلمة الوسيلة الشيطانية من قتل دمه مطلول وأسير به موم غرامه رهيامه مكبول نسأل الله السداد والنبات قلت وقد جمع الشوكاني رسالة مشتهلة على أقوال أهل العلم في الغناء وما استدل

(٢٧ - فتح البيان سابع) هو المدعو الله وهو الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم أي الذي ليس في الخلق اعظم منه ولما كان الهدى دعا عيا الى الخير وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتل له كارهوا الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدى والصرور واسناده صحيح (قال سننظر أصدق أم كنت من الكاذبين اذهب بكاني هذا فألقه اليهم ثم نزل عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها المسئلة اني ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعولوا عن واتوني مسلمين)

يقول تعالى محضرا عن قسبل سليمان لله - دعه حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين
 أي أصدقت في أخبارك هذا أم كنت من الكاذبين في مقالتك لتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك اذهب بكتابي هذا
 قاله اليهم ثم نزل عنهم فانظر ماذا يرجعون وذلك ان سليمان عليه السلام كتب كتابا الى بلقيس وقومها وأعطاه ذلك الهدى
 فعمله قيل في جناحه كما هي عادة الطير وقيل بمنقاره وذهب الى بلادهم فجاء الى قصر بلقيس الى الخلوقة التي كانت تحتل
 فيها بنفسها فالقاه اليها من كوة (٢١٠)

فصيرت ممرأت وهالها ذلك ثم
 عمدت الى الكتاب فأخذته
 ففحخت ختمه وقرأته فاذا فيه انه
 من سليمان وانه بسم الله الرحمن
 الرحيم ألا تعلو اعلى واتوني مسلمين
 في - معت عند ذلك أمراءها
 ووزراءها وكبراء دولتها
 وملكها ثم قالت لهم يا أيها الملأ
 اني ألقى الى كتاب كريم تعنى
 بكرمه مارأته من عجيب أمره
 كون طائر جاء به فالقاه اليها ثم
 تولى عنها أباوه هذا أمر لا يقدر
 عليه أحد من الملوك ولا سبيل
 لهم الى ذلك ثم قرأت عليهم انه
 من سليمان وانه بسم الله الرحمن
 الرحيم ألا تعلو اعلى واتوني مسلمين
 فعرفوا انه من نبي الله سليمان
 عليه السلام وانه لا قبل لهم به
 وهذا الكتاب في غاية البلاغة
 والوجازة والفصاحة فانه حصل
 المعنى بأيسر عبارة وأحسنها قال
 العلماء لم يكتب أحد بسم الله
 الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه
 السلام وقد روى ابن أبي حاتم

المخلون له والمحرمون له وحق هذا المقام بما لا يحتاج من نظرها وتدبر معانيها الى النظر
 في غيرها وسماها ابطال دعوى الاجماع على تحريم مطلق السماع ولنا أيضا بحمد الله
 عز وجل جواب بسيط في جواز الغناء وعدم جوازه بالفارسية ذكرناه في كتابنا هداية
 السائل فن أحب تحقيق المقام كما ينبغي فليرجع الى ذلك (بغير علم) أي حال كونه غير علم
 بحال ما يشترطه أو بحال ما ينفع من التجارة وما يضر فلهذا الاستبدال بالخير ما هو شر محض
 أو يفعله عن جهل أو جهل منه بما عليه من الوزر ونحوه قوله تعالى فإرسلنا نوحا
 وما كانوا مهتدين أي لصواب التجارة (ويتخذها) قرأ حزة والكسافي والاعمش بالنصب
 عطفًا على يضل والضمير المنصوب راجع الى السبيل فيكون المعنى على هذه القرارة من
 جملة التعليل للتحريم والمعنى انه يشتري لهو الحديث للاضلال عن سبيل الله واتخاذ
 السبيل (هزوا) أي مهزوا به والسبيل يذكر ويؤنث وقرأ الجمهور بالرفع عطفًا على يشتري
 فهو من جملة الصلة وقيل الرفع على الاستئناف والضمير المنصوب يعود الى آيات المتقدم
 ذكرها والاولى (أولئك) إشارة الى من والجمع باعتبار ما معناها كان الافراد في الفعلين
 باعتبار لفظها كما تقدم (لهم عذاب مهين) هو السديد الذي يصير به من وقع عليه مهينا
 (وإذا أتى عليه) أي على هذا المستهزئ (آياتنا ولي مستكبرا) أي أعرض عنها حال كونه
 مبغيا في التكبر رافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كأن لم يسمعها) أي كان ذلك
 المعرض المستكبر لم يسمعها مع انه قد سمعها ولكن أشبهت حاله حال من لم يسمع (كأن
 في أذنيه وقرا) ولا يقر فيهما والوقر النقل وهو حال من لم يسمعها وقد تقدم بيانه وفيه مبالغة
 في اعراض ذلك المعرض (فبشره بعذاب أليم) أي أخبره بأن له العذاب البليغ في الالم
 وذكر البشارة تمكيم به ثم لما بين سبحانه حال من يعرض عن الآيات بين حال من يقبل
 عليها فقال (ان الذين آمنوا) بالله وبآياته ولم يعرضوا عنها بل قبلوها (وعملوا الصالحات
 لهم جنات المعيم) أي نعيم الجنات فمكسبة للمبالغة جعل لهم جنات النعيم كما جعل
 للفريق الاول العذاب المهين (خالدين فيها) حال من الضمير فيهم أي مقدر اخلودهم فيها
 اذا خلوها (وعدا الله حقا) هما مصدران الاول مؤكدا لنفسه أي وعد الله وعدا والثاني
 مؤكدا لغيره وهو مضمون الجملة الاولى وتقديره حتى ذلك حقا والمعنى ان وعده بأن لهم
 جنات النعيم كائن لا محالة ولا خلف فيه (وهو العزيز) الذي لا يغلبه غالب (الحكيم) في

كل

في ذلك حديثا في تفسيره حيث قال حدثنا أبي حدثنا هرون بن

الفضل أبو يعلى الخياط حدثنا أبو يوسف - ف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم أبي أمية عن ابن بريدة عن أبيه قال
 كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود قلت يا نبي الله أي آية قال
 سأعلمكها اقبل ان اخرج من المسجد قال فانتهى الى الباب فأخرج احدى قدميه فقلت نسي ثم اتنتت الى وقال انه من سليمان
 وانه بسم الله الرحمن الرحيم هذا حديث غريب واسناده ضعيف وقال ميمون بن مهران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية فكذبهم الله الرحمن الرحيم وقوله ان لانعلوا على قال قتادة يقول لا تخبروا
 على واستوفى مسلمين وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم لا تمتنعوا ولا تتكبروا على واستوفى مسلمين قال ابن عباس موحدين وقال
 غيره مخلصين وقال سليمان بن عيسى طائعين (قالت يا أيها الملا أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمر حتى تشهد دون
 قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين قالت ان الملوكة اذا دخلوا قرية أفسدوها
 وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسله اليهم (٢١١)
 بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون
 لناقرأت عليه من كتاب سليمان
 استشارتهم في أمرها وما قد
 نزل بها ولهذا قالت يا أيها الملا
 افتوني في أمري ما كنت قاطعة
 أمرا حتى تشهد دون أي حتى
 تحضرون وتشهرون قالوا نحن
 أولو قوة وأولو بأس شديد أي متوا
 اليها بعددهم وعددهم وقوتهم
 ثم فوضوا اليها بعد ذلك الأمر
 فقالوا والأمر إليك فانظري ماذا
 تأمرين أي نحن ليس لنا عاقبة
 ولا نبالأس ان شئت ان تقصده
 وتجاريه فمالنا عاقبة عنه وبعد
 هذا فالأمر إليك فأراي فينا
 رأيك نمتله ونطيعه قال الحسن
 البصري رحمه الله فوضوا أمرهم
 الى علبة يضطرب ثديها فلما
 قالوا لها ما قالوا كانت هي أحرز
 رأيا منهم واعلم بأمر سليمان
 وانه لا قبل لها بجنوده وحيوشه
 وما حضره من الجن والانس والطير
 وقد شاهدت من قضية الكتاب مع
 الهدى هدأمرها بجيبا يدعى فقلت
 لهم اني أخشى أن تخاربه وتمتنع

كل أفعاله وأقواله ثم بين سبحانه عزته وحكمته بقوله (خلق السموات بغير عمد) جمع
 عمد كآهب جمع اهاب وهو ما يعمله أي يستند يقال عمدت الحائط اذا عمدته والدعامة
 بالكسر ما يستند به الحائط اذا مال يعمه السقوط ودعت الحائط دعما من باب نفع
 وقد تقدم الكلام فيه في سورة الرعد قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحنه مستوية
 وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لانها به له وكون السماء في بعضه دون بعض
 ليس ذلك الا بقدره قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها شيء
 يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرته الله تعالى وفيه
 وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أي ليست هي بعمد وانتم ترونها كذلك بغير عمد
 الوجه الثاني انه راجع الى العمود معناه بغير عمد من شيء فيمكن ان تكون ثم عمد ولكن
 لا ترى وقيل ولا عمد البتة قال علي بن سليمان الاولى أن يكون مستأنفا أي ولا عمد ثم
 (والأق في الارض رواي) أي جبالا مرتفعة ثوابت شواخ من أو تاد الارض وهي سبعة
 عشر جبلا منها قاف وأبوقبيس والجودي وامنان وطور سينين وطور سيناء أخرجه ابن
 جرير ولكن لا وجه للتخصيص والاولى العموم والجبال على الارض أكثر من ذلك
 والكل يصلح للرسم يقال رسا الشيء ثبت وبابه عدو سمع او الرواسي الرواسخ واحدها
 راسية (أن تميد بكم) أي كراهة أن تميد بكم وقيل لثلاث تدوم المعنى انه خلقها وجعلها
 مستقرة ثابتة لا تتحرك بجبال جعلها عليها وأرساها على ظهرها (وبث) أي نشر وفرق
 (فيها) أي في الارض (من كل دابة) أي كل نوع من أنواع الدواب ومن زائدة (وأزلنا)
 فيه التفات عن الغيبة (من السماء ماء) مطهرا وهو من انعام الله على عباده وفضله
 (فأبتنا فيها) أي في الارض بسبب انزال الماء (من كل زوج كريم) أي من كل صنف
 حسن ووصفه بكونه كريما الحسن لونه وكثرة منافعه وقيل ان المراد بذلك الناس فالكريم
 منهم من يصير الى الجنة والثيم من يصير الى النار قاله الشعبي وغيره والاول أولى (هدأ)
 أي ما ذكر من خلق السموات والارض وما تعلق به ما من الامور المعدودة (خلق الله)
 أي مخلوقه تعالى (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي من آلهتكم التي تعبدونها من
 دون الله والاستفهام للتقريع والتوبيخ والمعنى فأروني أي شيء خلقوا مما يحاكي خلق
 الله أو يقاربه حتى استوجبوا عندكم العبادة وهذا الأمر لهم لقصد التمييز والتبكيك

عليه فيقصدنا بجنوده ويهدأ بكم معه ويخلص الى والمكمل الهلال والدمار دون غيرنا ولهذا قالت ان الملوكة اذا دخلوا قرية
 افسدوها قال ابن عباس أي اذا دخلوا بلدة افسدوا أي خربوه وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي وقصدوا امن فيها من الولاة
 والجنود فأهانوهم غاية الهوان اما بالقتل أو بالاسر قال ابن عباس قالت باقيس ان الملوكة اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا
 أعزة أهلها أذلة قال الرب عز وجل وكذلك يفعلون ثم عدت الى المصالحة والمهادنة والمسالمة والمخادعة والمصانعة فقالت واني
 مرسله اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون أي سأبعث اليهم بهدية تليق بثل وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فعمله يقبل

ذلك منا ويكف عنا أو يضرب علينا خراجنا هذه اليه في كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا قال قتادة رحمه الله ما كان أعقلها في اسلامها وشركها علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها ان قبيل الهدية فهو ملك فقواتوه وان لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه (فلما جاء سليمان قال أتمدوني بما لي فقال أتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا يقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم انها (٢١٢) بعثت اليه هدية عظيمة من ذهب وجواهر ولا كى وغير ذلك وقال

ثم اضرب عن تكبيرهم بما ذكر الى الحكم عليهم بالضلال الظاهر والاعلام ببطان ما هم عليه فقال (بل الظالمون في ضلال مبين) فقرر ظلمهم أولا وضلالهم ثانيا وصفه بالوضوح والظهور ومن كان هكذا فلا يعقل الخجة ولا يهتدى الى الحق (ولقد آتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف لبيان بطلان الشرك واختلف في لقمان هل هو عربي أم أعجمي مشتق من اللقم فمن قال انه أعجمي منعه للتعريف والمجتمعة ومن قال انه عربي منعه للتعريف ولزيادة الالف والنون قال الحنفياوى والاول أظهر واختلفوا أيضا هل هو نبي أم رجل صالح فذهب أكثر أهل العلم الى انه ليس نبي وحكي الواحدى عن عكرمة والسدى والشعبي انه كان نبيا والاول أرجح لما سياتى وقيل لم يقل بنبوته الا عكرمة فقط مع ان الراوى لذلك عنه جابر الجعفي وهو ضعيف جدا وقيل خبر بين النبوة والحكمة فأختار الحكمة وهو لقمان بن باعور ابن ناحور بن تارخ وهو أزرأو ابراهيم وقيل هو لقمان بن عنقابن مرون وكان نوبيا من أهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب هو ابن أخت أيوب وقال مقاتل هو ابن خالته عاش ألف سنة وأخذ عنه العلم وكان يقف قبل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوى فقبل له فقال ألا أكتفي اذ كفت وقيل كان خياطاً وقيل نجارا وقيل راعيا وقال الواقدي كان قاضيا في بني اسرائيل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون ما كان لقمان قالوا الله ورسوله أعلم قال كان حبشيا أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال كان عبدا حبشيا نجارا وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء قال الطبراني أراد الحبشية والحكمة التي آتاه الله هي الفقه والعقل والاصابة في القول وفسر الحكمة من قال بنبوته بالنبوة وقال ابن عباس يعنى العقل والفهم والنظنة في غير نبوة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا حفظه وقد ذكر جماعة من أهل الحديث روايات عن جماعة من الصحابة والتابعين تتضمن كلمات من مواعظ لقمان وحكمه ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك شيء ولا يثبت اسناد صحيح الى لقمان بشئ منها حتى نقبله وقد حكى الله سبحانه من مواعظه لابنه ما حكاها في هذا الموضوع وفيه كفاية وماعدا ذلك

بعضهم أرسلت بلبنة من ذهب والصحيح انها أرسلت اليه بآنية من ذهب قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أرسلت جوارى في زى الغلمان وعلمتا في زى الجوارى فقالت ان عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فأمرهم سليمان فتوضوا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يغترف فيزهم بذلك وقيل بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل نظرها والغلام بالعكس وقيل بل جعلت الجوارى يغسلن من أكفهن الى مرافقهن والغلمان من مرافقهن الى كفوهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم وذكروا بعضهم انها أرسلت اليه بقدر ليملاء ماء رواء لا من السماء ولا من الارض فاجرى الخيل حتى عرقت ثم ملاء من ذلك وبخرزة وسلك ليحمله فيها ففعل ذلك والله أعلم كان ذلك أم لا وأكثر ما أخذ من الاسرائيليات والظاهر ان سليمان عليه السلام لم ينظر الى ما جاوبه بالكيفية ولا اعتنى به بل أعرض عنه وقال

لا ترككم على شرككم وملكتكم فما أتاني الله خيرا مما آتاكم أى الذى أعطاني الله من المالك والمال والجنود خيرا مما آتيتكم فيه بل أنتم بهديتكم تفرحون أى أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف وأما أنا فلا أقبل منكم الا الاسلام أو السيف قال الاعمش عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه أمر سليمان الشياطين فثووه الالف قصر من ذهب وفضة فلما رأت رسلها ذلك قالوا ما يصنع هذا بهديتنا وفي هذا جواز تهيب الملوك وإظهارهم الزينة للرسول والقصاد ارجع اليهم أى بهديتهم

أيضا وهب بن منبه قال أبو صالح وكان كأنه جبل أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك قال ابن عباس يعني قبل ان تقوم من مجلسك وقال مجاهد مقعدك وقال السدي وغيره كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار الى ان تزول الشمس واني عد له قوى أمين قال ابن عباس أي قوى على حمله أمين على ما فيه من الجوهر فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك ومن ههنا يظهر ان سليمان أراد باحضار هذا السرير اظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما حضره من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لاحد من بعده وليتخذ ذلك (٢١٤) حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لان هذا خارق عظيم ان

يأتي بعرضها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه هذا وقد حجتته بالاعلاق والاقبال والحفظة فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب قال ابن عباس وهو آصف كاتب سليمان وكذا روى محمد بن اسحق عن يزيد ابن رومان انه آصف بن برخيام وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم وقال قتادة كان مؤمنا من الانس واسمه آصف وكذا قال أبو صالح والضحك وقاتدة انه كان من الانس زاد قتادة من بنى اسرائيل وقال مجاهد كان اسمه أسطوم وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليخا وقال زهير بن محمد وهو رجل من الانس يقال له ذو النور وزعم عبد الله بن لهيعة انه الخضر وهو غريب جدا وقوله أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك أي ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه فانك لا تبصر الا وهو حاضر عندك وقال وهب بن منبه ان مد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به فذكروا انه امر دان ينظر نحو العين التي فيها هذا العرش

نزات ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لم شق ذلك على الصحابة وقالوا أي نال مظلم نفسه فأ نزل الله ان الشرك لظلم عظيم فطابت أنفسهم (ووصينا الانسان بالديه) أي أمرناه أن يبرهما وهذه التوصية بالوالدين وما بعدها الى قوله وما كنتم تعملون اعتراض بين كلام لقمان على تحريم الاستطراء لصد التما كيد لما قبلها من النهي عن الشرك بالله وتفسير التوصية هو قوله أن اشكر لي ولوالديك وما بينهما اعتراض بين المفسر والمفسر وفي جعل الشكر لهما مقترنا بالشكر لله دلالة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدها وجوباً (جملته أمه وهنأ على وهن) قرئ بسكون الهاء وبفتحها في الموضعين وهما الغتان أي انها جملته في بطنها وهي تزاد كل يوم ضعفا على ضعف فاتها الا يزال يتضاعف ضعفها والوهن الضعف والمشقة وقد وهن من باب وعدو وهنه غيره توهينا والوهن والموهن نحو من نصف الليل وقال ابن عباس شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق وقيل المعنى ان المرأة ضعيفة الخلقه ثم يضعفها الحمل وقيل أي جملته بضعف على ضعف وقال الزجاج المعنى لزمها بحملها اياه أن تضعف مرة بعد مرة أي وهنا كأننا على وهن لان الحمل وهن والطاق وهن والوضع وهن والرضاعة وهن واتصاب وهنأ على المصدر أو الخال (وفصالة في عامين) الفصال الفطام عن الرضاع وهو ان يفصل الولد عن الام وقرئ وفصله وهما لغتان يقال انفصل عن كذا أي تميز به سمي الفصيل والمعنى فطامه لتعام سنتين عن الرضاع قال البيضاوي وفيه دليل على ان مدة الارضاع حولان (أن اشكر لي ولوالديك) أي وصينا به بشكرنا وشكر والديه قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا والديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين وان مفسرة أو مصدرية وهو قول الزجاج (الى المصير) تعليل لوجوب امتثال الامر أي الرجوع الى لا الى غيري وقيل الجزاء على وقت المصير الى (وانجاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم) أي ما لا علم لك بشركته وذكرك هذا القيد موافقة للواقع ولا منهوم له اذ ليس لله شريك يعلم لانه مستحيل (فلا تطعهما) في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا ترك فرضة على الاعيان وتلزم طاعتهم ما في المباهات وقد قدمنا تفسير الآية وسبب نزولها في سورة العنكبوت قال سعد بن أبي وقاص نزات في هذه الآية وعن أبي هريرة مثله وعليه جماعة من

المفسرين

المطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى قال مجاهد قال يا ذا الجلال والاكرام وقال الزهري

قال يا الهنا والالهة الا انت اتيتني بعرضها قال فغسل بين يديه قال مجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن اسحق وزهير ابن محمد وغيرهم لما دعا الله تعالى وسأله ان يأتيه بعرض بلقيس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام بيت المقدس غاب السرير وغاص في الارض ثم نبع من بين يدي سليمان وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ثم يشع سليمان الا وعرضها يحمله بين يديه قال وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر فلما عاين سليمان وملؤه ذلك وراهم مستقر اعتمده قال هذا من فضل ربي أي هذا من نعم الله

على ليلوني أي ليختبرني أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وكفوله ومن عمل صالحا فلنفسهم يعهدون وقوله ومن كفر فإن الله غني عن عباده ويبغضون أي هو غني عن العباد وعبادتهم كريم أي كريم في نفسه وان لم يعبد الله أحد فان عظمتها ليست مفتقرة الى أحد وهذا كما قال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله الغني حميد وفي صحيح مسلم يقول الله تعالى يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنسكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنسكم كانوا على أفقر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي اغماص أعمالكم أحصاها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه (قال نكرو والهيا عرشها تنظر أيتها تدي أم تكون من الذين لا يهتمون فإجابات قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافر من قبل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال انه صرح محمد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين لما جى سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدمها أمر به أن يعبر بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على انه عرشها أو انه ليس بعرشها فقال نكرو والهيا عرشها تنظر أيتها تدي أم تكون من الذين لا يهتمون قال ابن عباس نز عنه فصوصه ومرافقه وقال مجاهد أمر به بغير ما كان فيه أجرح جعل أصفر وما كان أصفر جعل أجرو وما كان

(٢١٥)

المفسر بن (وصاحبها في الدنيا) أي في أمورها التي لا تتعلق بالدين مادامت حيا صحابيا (معروفا) ببرهما ان كانا على دين يقرآن عليه وقيل صاحبهما معروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة والخلق الجليل والاحتمال وما يقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي الشيم (وانتبع سبيل من أناب) أي رجع (الى) والخطاب لساير المكفرين أي اتبع أيها المكلف دين من أقبل الى طاعتى من عبادى الصالحين بالتوبة والاخلاص وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وقيل يعني أبابكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال ابن عباس وذلك حين أسلم أتاه عثمان وطهمة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا قد صدقت هذا الرجل وأمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أسلموا فلهؤلاء ما بقية الاسلام أسبلوا بارشاد أبي بكر (ثم الى) لا الى غيرى (مراجعةكم) جميعا أي أنت ووالدك ومن أناب الى (فأنتبكم) أخبركم عند رجوعكم الى (بما كنتم تعملون) من خيرا أو شر فاجازى كل عامل بعمله ثم شرع سبحانه في حكاية بقية كلام لقمان في وعظه لابنه فقال (بابي انها) الضمير عائذ الى الخطيئة لما روى ان ابن لقمان قال لايه يا أبت ان علمت الخطيئة حيث لا يراني أحد هل يعلمها الله فقال انها أي الخطيئة (ان تلك) بالفوقية على معنى ان تلك الخطيئة أو المسئلة أو اخصله أو القصرة مثقال) قرئ بالنصب على انه خبر كان واسمها هو أحد تلك المقدرات وقرئ بالرفع على انه اسم كان وهي تامة وأنت الفاعل في هذه القراءة لاضافة مثقال الى المؤنث أي زنة (حبة من خردل) والجملة الشرطية مفسرة للضمير قال الزجاج التقدير ان اتى سألني عنها ان تلك مثقال حبة من جنس الخردل وعبر بالخردل لانها أصغر الحبوب ولا يدرك ثقلها بالحس ولا ترجح ميزانها في بيان خفاء الحبة مع خفتها وصغرها فقال (فتكن في صخرة) فانها عند كونها في الصخرة قد صارت في أخفى مكان وأحرزه قرئ فتكن بضم الكاف (١) ومن الكن الذي هو الشيء المغطى قال السدي هذه الصخرة هي صخرة ليست في السموات والارض وقال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهي التي تكتب فيها أعمال الفجار وهي السبعين وخضرة السماء منها وقيل غير ذلك (أوفى) السموات أوفى الارض أي حيث كانت من بقاع السموات أو بقاع الارض أي في أخفى مكان من ذلك فالأخفى من الصخرة كان تكون في صخرة تحت الارضين السبع والأخفى

أخضر جعل أجرح غير كل شيء عن حاله وقال عكرمة زاد وافية ونقصوا وقال قتادة جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزاد وافية ونقصوا فلما جاءت قيل أهكذا عرشك أي عرض عليها عرشها وقد غير ونكرو زيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات عقل ولها لب ودهاء وحزم فلم تقدم على انه هولاء ما ساقته عنها ولا انه غيره لما سارت من آثاره وصفاته وان غير وبدل ونكرو فقالت كأنه هو أي يشبهه ويقاربه وهذا غاية في الذكاء والحزم وقوله وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين قال مجاهد سليمان يقوله وقوله تعالى وصددها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافر من هدامين بنام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعيد بن جبير رجعهما (١) ومن الكن الخ كذا في أصله وتأمل وحرر اه

الله اى قال سليمان اوتينا العلم من قبلها وكناه سليمان وهى كانت قد صدها اى منعها من عبادة الله وحده ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين وهذا الذى قاله مجاهد وسعيد حسن وقاله ابن جرير وايضا ثم قال ابن جرير ويحتمل ان يكون فى قوله وصدها ضمير يعود الى سليمان اولى الى الله عز وجل تقديره ومنعها ما كانت تعبد من دون الله اى صدها عن عبادة غير الله انها كانت من قوم كافرين (قلت) ويؤيد قول مجاهد انها انما اظهرت الاسلام بعد دخولها الى الصرح كما سياتى وقوله قيل لها ادخلى الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت

(٢١٦)

عظيما من قوارير اى من زجاج واجرى تحته الماء فانذى لا يعرف امره يحسب انه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشى وبينه واختلفوا فى السبب الذى دعا سليمان عليه السلام الى اتخذه فقيل انه لما عزم على تزوجها واصطفاها لنفسه ذكر له جمالها وحسنها ولكن فى ساقها هلب عظيم ومؤخر اقدامها كؤخر الدابة فساء ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته اى لا هكذا قول محمد بن كعب القرظى وغيره فلما دخلت وكشفت عن ساقها رأى أحسن الناس ساقا وأحسنهم قدما ولكن رأى على رجلها شعر الانها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقبل له موسى فقالت لا أستطيع ذلك وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير موسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا له النورة وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظى والسدى وابن جرير وغيرهم وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلى الصرح لسير يها ملكا هو أعز من

من السموات كأن تكون فى أعلاها والاخفى من الارض كان تكون فى أسفلها (يات بها الله) اى يحضرها يوم القيامة ويحاسب فاعلمها اعلمها (ان الله لطيف) باستخراجهما لا يتخفى عليه خافية بل يصل علمه الى كل خفى (خير) بمكانها وبكل شئ لا يغيب عنه شئ ومعنى الآية الاحاطة بالاشياء صغيرة وكبيرها (يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهن المنكروا واصبر على ما أصابك) من الاذى فى ذات الله اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر واصبر على ما أصابك من المحن فانها تورث المنح حتى سبحانه عن لقمان انه أمر ابنه بهذه الامور ووجه تخصيص هذه الطاعات انها أهمها والعبادات وعماد الخير كله (ان ذلك) الطاعات المذكورة التى وصاه بها (من عزم الامور) اى مما جعله الله عزيمته وأوجبها على عباده وحثه على المكلفين ولم يرخس فى تركه وقيل المعنى من حق الامور اى أمر الله بها والعزم يجوز أن يكون بمعنى المعزوم اى من معزومات الامور او بمعنى العازم كقوله فاذا عزم الامر قال المبرد ان العين تبدل حاء فىقال عزم وحزم وقال ابن جرير ويحتمل أن يريد ان ذلك من مكارم أهل الاخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة وصوب هذا القرطبي وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الالام (ولانصرم خذك للناس) وقرئ تصاعرو والمعنى متقارب وكل منهما فى خط المحصف الامام بلائف والصعر الميل يقال صعر خده وصاعر خده اذا مال وجهه وأعرض تكبرا والمعنى لانعرض عن الناس تكبرا عليهم وبه قال الهروي يقال أصاب البعير صعرا اذا أصابه داء يلوى عنقه وقيل المعنى ولا تلوش ذلك اذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره وقال ابن خوارزمنداد كأنه نهى ان يذل الانسان نفسه من غير حاجة ولعله فهم من التصعير التذلل وعن ابي أيوب الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قوله ولانصرم خذك فقال لى الشدق اخرج به الطبرانى وابن عدى وابن مردويه وقال ابن عباس لا تكبر فتحتقر عبادة الله وتعرض عنهم اذا كملوك وعنه قال هو الذى اذا سلم عليه لوى عنقه كالمستكبر والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصنعتهم كما يفعل المتكبرون بل يكون القبر والغنى عندك سواء (ولانصرم فى الارض مرحا) اى خيلا وفرحا والمراد النهى عن التكبر والتعير والتختمال يرح فى مشيه وقد تقدم تحقيقه (ان الله لا يحب كل مختال فخور) تعليل للنهى المذكور لان الاختيال هو المرح والفخور هو

هو

ملكها وسلطانها هو أعظم من سلطانها فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها لانتهك انما متخوضه فقيل

لها انه صرح محمد بن قوارير فلما وقفت على سليمان دعاها الى عبادة الله وحده وعاتبها فى عبادتها الشمس من دون الله وقال الحسن البصرى لما رأت العليجة الصرح عرفت والله أن قدرات ملكا أعظم من ملكها وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال أمر سليمان بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحتها ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال لها ادخلى الصرح لير يها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانها هو أعظم من سلطانها فلما رآته

حسبه بلجة وكشفت عن ساقها الا تشك انه ماء مخوضه قبل لها انه صرح مرمز من قوارير فلما وقفت على سليمان دعاها الى عبادة الله عز وجل وحده وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمان ساجدا اعظاما لما قالت وسجد معه الناس فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قالت ويحك ماذا قلت قال وانسيت ما قلت فقالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فاسلمت وحسن اسلامها وقدرى الامام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا اثر اغريسا عن ابن عباس فقال حدثنا الحسن بن علي عن زائدة حدثني عطاء بن السائب (٢١٧) حدثنا مجاهد ونحن في الازد قال حدثنا ابن

عباس قال كان سليمان عليه السلام يجلس على سريره ثم يوضع كراي حوله فيجلس عليها الانس ثم يجلس الجن ثم الشياطين ثم تأتي الريح فتفرعهم ثم يظلمهم الطير ثم تعدو وقد رمايشتهى الراكب ان ينزل شهر اور واحها شهر قال فيينا هو ذات يوم في مسيره اذ تفقد الطير ففقد الهدد فقال مالي لأرى الهدد أم كان من الغائبين لا عذبه عذابا شديدا أو لا ذبحنه أو ليا تبنى بسطان مبيد قال فكان عذابه اياه أن ينتفه ثم يلقيه في الارض فلا يتنع من غله ولا من شيء من هوام الارض قال عطاء وذ كرسعدين جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد فكث غير بعيد فقرأ حتى انتهى الى قوله سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكاني هذا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم الى بلقيس ان لاتعلاوا على واتوني مسلمين فلما أتى الهدد الكتاب اليها التي في روعها انه كتاب كريم وانه من سليمان وان لاتعلاوا على واتوني مسلمين قالوا نحن أولو قوة قالت ان المسلول اذا

هو الذي يتفخر على الناس بماله من المال والشرف أو بالقوة أو يعدد مناقبه تطاولا وغير ذلك ويظن ان اسباع النعم الدينوية عليه من محبة الله له وذلك من جهله فان الله أسبغ نعمه على الكافر الخاخذ فينبغي للعارف ان لا يتكبر على عباده وليس منه التكديت بنعم الله فان الله يقول وأما بنعمة ربك فحدث (واقصد في مشيك) أي توسط فيه واقصد ما بين الاسراع والبطء يقال قصد فلان في مشيته اذا مشى مستويا لا يديب اليتمادين ولا يثب وثوب الشياطين وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا مشى أسرع فلا بد أن يحمل القصد هنا على ما جاوز الحد في السرعة وقال مقاتل معناه لا تحتل في مشيتك وقال ابن مسعود كانوا ينهون عن خيب اليهود وديب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل انظر موضع قدميك متواضعا والمعنى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين الديق والاسراع وقال عطاء امش بالسكينة والوقار كقوله يمشون على الارض هونا (واعض من صوتك) أي انقص منه واخفضه ولا تكف رفعه فان الجهر بأكثر من الحاجة يؤذى السامع ومن تبعضية وعند الاخفش مزيدة ويؤيده قوله ان الذين بغضون أصواتهم والمعنى شيئا من صوتك وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت (ان أنكر الاصوات) أي أو حشمها أو قبحها (لصوت الجير) تلعيل للامر بالغض من الصوت على أبلغ وجهه وأكده قال قتادة أقمج الاصوات صوت الجير أوله زفير أي صوت قوى وآخره شهيق أي صوت ضعيف وهما صوتا أهل النار وأنكر قيل مبنى من النعل المبني للمفعول نحو أشغل من ذات النخين وهو مختلف فيه قال المبرد تأريده ان الجهر بالصوت ليس بمعمود وانه داخل في باب الصوت المنكر واللام للتأكيده ووحده الصوت مع كونه مضافا الى الجمع لانه مصدر وهو يدل على الكثرة وهو مصدر صات بصوت صوتا فهو صاتت وقيل انما وحده ولم يجمع لانه لم يرد ان يذ كر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيدده وعن الثوري في الآية قال صياح كل شيء تسبيح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة والاول أولى وفي تشبيهه الرافعين أصواتهم بالجير وتمثيل أصواتهم بالنهيق تشبيهه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة ولما فرغ سبحانه من قصة لقمان رجع الى توبيخ المشركين وتبكيهم واقامة الحجج عليهم فقال (الم

٢٨ - فتح البيان سابع) دخلوا قرية أفسدوها وانى مرسله اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاءت الهدية سليمان قال أتعدوني بما لرجع اليهم فلما نظر الى الغبار اخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبا ومن معها حين نظر الى الغبار فينا وبين الحرة قال عطاء ومجاهد حينئذ في الازد قال سليمان أيكم بأن يني بعروشها قال وبين عروشها وبين سليمان حين نظر الى الغبار مسيرة شهرين قال عفر بن من الجن انا آتيتك به قبل ان تقوم من مقامك قال وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس كما يجلس الامراء ثم يقوم فقال انا آتيتك به قبل ان تقوم من مقامك قال سليمان أريد أن أجعل من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب انا أنظر

في كتاب ربي ثم أتيت به قبل أن يرتد اليك طرفك قال فتبجع عنهما من تحت قدم سليمان من تحت كبرهبي كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد الى السير قال فلما رأى سليمان عرشها قال هذا من فضل ربي الآية قال تنكروا لها عرشها فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو قال فسأله حين جاءته عن أمرين قالت لسليمان أريد ماء ليس من أرض ولا سماء وكان سليمان اذا سئل عن شيء سأل الانس ثم الجن ثم الشياطين قال فقالت الشياطين هذا هين أجز الخليل ثم خذ عرقها ثم املا منه الآية قال فأمر بالخليل فأجريت ثم أخذ عرقها فملا منه الآية قال وسألت عن (٢١٨) لون الله عز وجل قال فوثب سليمان عن سريره فخرساجدا فقال يا رب لقد

سألتني عن أمر انه ليتعاطم في قلبي ان أذكره لك فقال ارجع فقد كفيستكم قال فرجع الى سريره قال ما سألت عنه قالت ما سألتك الا عن الماء فقال لجنوده ما سألت عنه فقالوا ما سألتك الا عن الماء قال ونسوه كلهم قال وقالت الشياطين ان سليمان يريد ان يتخذها لنفسه فان اتخذها لنفسه ثم ولدينيها ما ولدتم تنقل من عبوديته قال فجعلوا صر حامر دامن قوارير فيه السمك قال فقبل لها دخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها فاذا هي شعراء فقال سليمان هذا قبيح فاذهب به قالوا يذهب الموصي فقال اثر الموصي قبيح قال فجعلت الشياطين النورة قال فهو أول من جعل له النورة ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث قلت بل هو منكرب غريب جدا ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم والأقرب في مثل هذه السياتات أنهم ملقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سمحهما الله تعالى فيما نقله الى هذه الامة من أخبار

تروا ان الله سخزل لكم ما في السموات وما في الارض قال الزجاج معنى تسخيرها للامميين الاتقاعها انتهى فمن مخلوقات السموات المسخرة لربي آدم بأمر الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك ومن مخلوقات الارض المسخرة للاشجار والمعادن والتراب والزرع والشجر والتمر والبخار والانهار والحوانات والدواب التي ينتفعون بها والعشب الذي يرعون فيه دوابهم وغير ذلك مما لا يحصى كثرة فالمراد بالتسخير جعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له سواء كان منقادا له وداخل تحت تصرفه أم لا (وأصبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) أي أتم وأكمل عليكم نعمه يقال سبغت النعمة اذا تمت وكملت وقرئ أصبح بأبدال السين صاد وهي لغة كلب يفعلون ذلك في كل حين اجتمع مع الغين والخاء والقاف كصلح وصقروا النعم جمع نعمة وقرئ نعمة على الافراد والتسوية اسم جنس يراد به الجمع ويدل به على الكثرة كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والنعممة كل نفع قصده به الاحسان والمراد بالنعم الظاهرة ما يدرك باله عقل أو الحس ويعرفه من يتعرفه وبالباطنة ما لا يدرك للناس ويحفي عليهم وقيل الظاهرة الصحة وكال الخلق والبصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة المعرفة والعقل والقلب والفهم وما أشبه ذلك وقيل الظاهرة ما يرى بالابصار من المال والجاه والجمال وفعل الطاعات والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يذفعه الله عن العبد من الآفات وقد سرد الماوردي في هذا اقوال التسعة كلها ترجع الى هذا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة وقيل الظاهرة الاسلام والقرآن والجمال والباطنة ما ستره الله على العبد من الاعمال السنية وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد باللائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والباطنة محبته واللفظ أعظم من ذلك وعن عطاء قال سألت ابن عباس عن هذا فقال هذه من كنوز علمي سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أما الظاهرة فما سوى من خلقك وأما الباطنة فما ستر من عورتك ولو أباها لقالك أهلك فمن سواهم أخرجهم البيهقي وعنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله وأصبح

بني اسرائيل من الأوابد والغرائب والجمائب مما كان وما لم يكن وما حفر وبديل ونسخ وقد أعطانا الله سبحانه عليكم عن ذلك مجاهداً وأصبح منه وأنفع وأوضع وأبلغ والله الحمد والمنة أصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع قال الله سبحانه وتعالى اخبارا عن فرعون لعنه الله انه قال لو زير همامان ابن لي صرحا على أبلغ الاسباب الآية والصرح قصر في الين عالي البناء والممرد المبني بناء محكم أملس من قوارير رأى زجاج وعمر يد البناء تلمسه ومارد حصن بدومة الجندل والغرض ان سليمان عليه السلام اتخذ قصر اعظيما منيفان زجاج لهذه الملكة لير بها عظمة سلطانه وتمكنه فلما رأته ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت

في امره انقادت لامر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم ومملك عظيم وأسلمت لله عز وجل وقالت رب اني ظلمت نفسي اي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين أي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا (واقدم أرسلنا إلى نوح إذا خاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلمكم ترجون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائر كم عند الله بل أنتم قوم تقتنون) يخبر تعالى عن نوح وما كان من أمره اجمع نبيها صالح عليه السلام (٢١٩) حين بعثه الله اليهم فدعاهم الى عبادة الله

وحده لا شريك له فاذا هم فريقان يختصمون قال مجاهد مؤمن وكافر كقوله تعالى قال المسلا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انما ارسل به ومؤمنون قال الذين استكبروا اننا الذي آمنتم به كافرون * قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمة ولهذا قال لولا تستغفرون الله لعلمكم ترجون قالوا اطيرنا بك وبمن معك أي مارأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرا وذلك انهم لشقايمهم كان لا يصيب أحد منهم سوء الا قال هذا من قبل صالح وأصحابه قال مجاهد تشاء مواهبهم وهذا كما قال الله تعالى اخبار عن قوم فرعون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يبطروا بموسى ومن معه الآية وقال تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله أي بقضائه وقدره وقال تعالى يخبر عن أهل القرية اذ جاءها المرسلون قالوا

عليكم نعمه الخ فقال أما الظاهرة فالاسلام وما سوى من خلقك وما أسبغ عليك من رزقه وأما الباطنة فاستمر من مساوي عمالك أخرجه ابن النجار والديلمي والبيهقي وعنه قال النعمة الظاهرة الاسلام والنعمة الباطنة كل ما ستر عليكم من الذنوب والعيوب والحدود أخرجه ابن مردويه وعنه انه قال في تفسير الآية هي لاله الا الله (ومن الناس من يجادل في الله أي في شأن الله سبحانه في توحيده وصفاته مكابرة وعنادا بعد ظهور الحق له وقيام الحجة عليه ولهذا قال (بغير علم) مستفاد من عقل ونقل (ولا هدى) من جهة رسول يهتدى به الى طريق الصواب (ولا كذب منير) نير واضح أنزله الله بل مجرد نعت ومحض عناد وتقليد وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة قبل نزولها في النضر بن الحرث وأبي بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الله وفي صفاته بغير علم (واذا قيل لهم أي لهؤلاء المجادلين والجمع باعتبار معنى من (أتبعوا ما أنزل الله) على رسوله من الكتاب تمسكوا بمجرد التقليد البحت) قالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا) فعبدا كما كانوا يعبدونه من الاصنام وعشى في الطريق التي كانوا يمشون فيها في دينهم ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء قال ابن القيم قد احتج العلماء بهذه الآية وأمثالها في ابطال التقليد ولم يمنعهم كفرا وثبت من الاحتجاج بها لان التشبيه لم يقع من جهة كفرا أحدهما واما الآخر وانما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة للمقلد كالمقلد رجلا فكفروا وقد اذنبوا وقد اذنبوا في مسئلة فأخطأ وجهها كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة لان كل تقليد يشبه بعضه بعضا وان اختلف الآثام فيه والتقليد أنواع أحدها الاعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات اليه اكتفاء بتقليد الآباء الثاني تقليد من لا يعلم المقلدان أهل لان يؤخذ بقوله الثالث التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد والفرق بين هذا وبين النوع الاول ان الاول قلده قبل تمكنه من العلم والحجة وهذا قلده بعد ظهور الحجة له فهو أولى بالذم ومعصية الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذم الله سبحانه هذه الأنواع الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابه والتقليد ليس بعلم بانفاق أهل العلم ولا يكون العبد مهتديا حتى يتبع ما أنزل الله على رسوله فهذا المقلدان كان يعرف ما أنزل الله على رسوله فهو مهتدي وليس بمقلدان كان لم يعرف ما أنزل الله فهو جاهل ضال باقراره على نفسه فن أي يعرف

ان تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا التبرجنكم ولم تستكفوا عن عذاب أليم قالوا طائر كم معكم الآية وقال هؤلاء اطيرنا بك وبمن معك قال طائر كم عند الله أي الله يجازيكم على ذلك بل أنتم قوم تقتنون قال قتادة يتسلون بالطاعة والمعصية والظاهر ان المراد بقوله تقتنون أي تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا اتقاسموا بالله لنبيتنهن وأهلهم ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكروا مكرا وكبرنا كبرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مبكرهم أنادمرناهم وقومهم أجمعين فقلل يوتهم خلو به بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانجيينا الذين آمنوا وكانوا

صالحان كان صادقا بعبادته فلما وان كان كاذبا قد أحقناه بناقته فآلوه ليل لبيسوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما بطوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين قدرضخوا بالحجارة فقالوا الصالح أنت قتلتهم ثم هو ابه فقامت عشرته دونه وليسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا فلا تزيدوا بكم عليكم غضبا وان كان كاذبا فانتم وراعاتريدون فانصرفوا عنهم لم يلتمهم تلك وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم لعقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غيره كذوب قالوا زعم صالح انه (٢٢١) يفرغ منا الى ثلاثة أيام فحن نفرغ منه

وأهله قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه فخرجوا الى كهف أي غار هناك ليلا فقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا اذا فرغنا منه الى أهله ففرغنا منهم فبعث الله عليهم صخرة من أهدب جبالهم فحشوا ان تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم أين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب الله هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه ثم قرأ ومكروا مكرا ومكروا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكروهم أنادمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية أي فارغة ليس فيها أحد بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (ولو طأذ قال لقومه أنأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم اناس يطهرون فأنجيناهم وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم

لا تقع بالموقع الذي تقع به عبادة المحسنين وقد صرح عن الصادق المصدوق لما سأله جبريل عن الاحسان انه قال له ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (فقد استسك بالعروة الوثقى) أي اعتمصم بالعهد الاوثق وتعاق به وهو تمثيل للحال من أسلم وجهه الى الله بحال من أراد ان يرتقى الى شاهق جبل فيمسك باوثق عرى جبل متدلل منه (والى الله عاقبة الامور) أي مصيرها اله لا الى غيره فيجازي عليها (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أي لا تحزن لذلك فان كفره لا يضر لك قرى بفتح الياء وضم الزاي وبضم الياء وكسر الزاي سبعيتان بين سبحانه حال الكافر من بعد فراغه من بيان حال المؤمنين ثم توعدهم بقوله (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) أي نخبرهم بقبائح أعمالهم ومجازيهم عليها (ان الله علم بذات الصدور) أي بما أسر صدورهم لا تخفى عليه من ذلك خافية فالسر عنده كالعلانية (تمتعهم) تمعيا وزمانا (قليل) أي بقبهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها الى انقضاء آجالهم فان النعيم الزائل هو أقل قليل بالنسبة الى النعيم الدائم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) أي نجذبهم ونزدهم الى عذاب النار في الآخرة لا يجذون عنها تحيضا والمراد الشدة والتدلل على المعذب فانه لا أثقل منه على من وقع فيه وأصيب به فلهذا استعيره الغلظ (ولئن) لام قسم (سألتم من خلق السموات والارض ليقولن الله) أي يدعترفون بان الله خالق ذلك للوضوح الامر فيه عندهم وهذا اعتراف منهم بما يدل على التوحيد وبطلان الشرك والزمام لهم على اقرارهم ولهذا قال (قل) يا محمد (الحمد لله) على اعترافكم فكيف تعبدون غيره وتجعلونه شركا له أو المعنى فقل الحمد لله على ما هدانا له من دينه ولا جد غيره أو على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ويجعلها الجاحدون ثم أضرب عن ذلك فقال (بل أكثرهم لا يعلمون) ان ذلك يلزمهم واذا نهبوا عليه لم يتبها وقيل لا يتظرون ولا يتدبرون حتى يعلموا ان خالق هذه الاشياء هو الذي يجب له العبادة دون غيره (الله ما في السموات والارض) ملكا وخالقا وعييدا فلا يستحق العبادة فيها غيره (ان الله هو الغني) عن غيره (الحمد) أي المستحق للحمد وان لم يحمدوه والمحمود من عباده بلسان المتكلم أو بلسان الحال ثم لما ذكر سبحانه ان له ما في السموات والارض أتبعه بما يدل على ان له وراء ذلك ما لا يحيط به عد ولا يحصر بحذف قال (ولو ان) جميع ما في الارض من شجرة أو قلام) وحد الشجرة لما تقرر في علم المعاني ان استغراق المفرد أشمل قيل وتوحيد

مطارف اساء مطر المنذرين) يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه أتدركومه نعمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم اليها أحد من بني آدم وهي ايمان الذكور دون الاناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال أنأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أي يرى بعضكم بعضا وتأتون في ناديكم المنكرات تنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون أي لا تعرفون شيئا لا طبع ولا شرع كما قال في الآية الاخرى أنأتون الذكر ان من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم اناس يطهرون

أى يخرجون من فعل ما تفعلونه ومن أقراركم على صديقكم فاخر جوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فخرجوا
 على ذلك فدمر الله عليهم والكافرين آمننا لها قال الله تعالى فأنجيناها وأهلكه الآخر أنه قدرناها من الغابرين أى من الهالكين
 مع قومها لأنها كانت ردا لهم على دينهم وعلى طريقهم في رضاها بافعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضيفان لوطا أي أبا
 اليهم لأنها كانت تفعل القواحش تكريما لنبى الله صلى الله عليه وسلم لا كرامة لها وقوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا أي حجارة من
 سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى (٢٢٢) من الظالمين يبعيد ولهذا قال فساءمطر المنذرين أى الذين قامت

عليهم الحجة ووصل اليهم الانذار
 فخالفوا الرسول وكنذوبه وهموا
 باخراجه من بينهم (قل الحمد لله
 وسلام على عباده الذين اصطفى الله
 خيرا ما يشركون أمن خلق السموات
 والارض وأنزل من السماء ماء
 فانبثابه حداثق ذات بهجة
 ما كان لكم أن تنبتوا شجرها الله
 مع الله بل هم قوم بعدلون) يقول
 تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن يقول الحمد لله أى على نعمه
 على عباده من النعم التي لا تعد ولا
 تحصى وعلى ما اصفه من الصفات
 العلى والاسماء الحسنى وان يسلم
 على عباده الله الذين اصطفاهم
 واختارهم وهم رسله وأنبيائه الكرام
 عليهم من الله أفضل الصلاة
 والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن
 زيد بن أسلم وغيره ان المراد بعباده
 الذين اصطفاهم الانبياء قال وهو
 كقوله سبحانه ربك رب العزة عما
 يصفون وسلام على المرسلين والحمد
 لله رب العالمين وقال الثورى
 والسدى هم أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم ورصى عنهم أجمعين وروى
 نحوه عن ابن عباس أيضا ولا منافاة

شجرة لان المراد تفصيل الشجر واستقصاؤه فكانت قال كل شجرة شجرة حتى لا تبقى من
 جنس الشجر واحدة الا وقد يرت أقلاما ولو لم يفر دم يفده هذا المعنى اذا جمع بتحقيق بما
 فوق الثلاثة الا ان تدخل عليه لام الاستغراق هكذا قرره قال الشهاب وفيه بحث فان
 افادة المفرد التفصيل بدون تكرار والاستغراق بدون في محل نظرا لانه انما عهد ذلك في
 نحو جأوى في رجله لرجلا وما عندى عمرة قال أبو حيان وهو من وقوع المفرد موقعا للجمع
 والنكرة موقعا للمعرفة كقوله ما ننسخ من آية وجمع الاقلام لتصد التكرير أى ولو أن يعد
 كل شجرة من الشجر أقلاما ثم قال سبحانه (والبحر) أى المحيط لانه المتبادر من التعريف
 اذ هو التردد الكامل قرئ البحر بالرفع على انه مبتدأ وخبره يده وبالنصب عطفا على اسم ان
 أو بفعل مضمير يفسره (يتعد من بعده) أى بعد نفاذه (سبعة أبحر) أى والحال ان البحر
 المحيط مع سبعة يده السبعة الا بحر مد الا ينقطع كذا قال سيبويه وقال المبرد ان البحر
 مرتفع بفعل مقدر تقديره ولو ثبت البحر حال كونه تمده من بعده سبعة أبحر وقرئ يده من
 أمد وقرئ والبحر مداده وجواب لو (ما نفدت كلمات الله) التي هي عبارة عن معلوماته
 لانها لانهاية لها قال أبو على الفارسي المراد بالكلمات والله أعلم ما في المقدور والامكان
 دون ما خرج منه الى الوجود والزمان ووافقه القفال فقال المعنى ان الاشجار لو كانت
 اقلاما والبار سدادا فكتب بها عما يصنع الله تعالى الدالة على قدرته ووحدايته لم
 تنفذ تلك العجائب قال القشيري رد القفال معنى الكلمات الى المقدورات وحل الآية
 على الكلام القديم أولى والمخلوق لا بد له من نهاية واذ انقضت النهاية فهى نفي للنهاية عما
 يقدر في المستقبل على ايجاده فاما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناسله والقديم
 لانهاية له على التحقيق قال النحاس قدس سره ان الكلمات ههنا يراد بها العلم وحقائق
 الاشياء لانه جل وعلا علم قبل ان يخلق ما هو خالق في السموات والارض من شئ
 وعلم ما فيه من مثاقيل الذر وعلم الاجناس كلها وما فيها من شعرة وعضو وما في الشجرة من
 ورق وما فيها من ضرب الخلق وقيل ان قريشا قالت ما أكثر كلام محمد فترت قاله
 السدى وعن ابن مسعود قال ان أحبار اليهود قالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 بالمدينة يا محمد أرايت قولك وما وتبتم من العلم الا قليلا يا نبي الله قوما كذا فقالوا
 ألسنت تلوف في جاك انا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ فقال انها في علم الله قليل وأنزل

فانهم اذا كانوا من عبادة الله الذين اصطفى فالانبياء بطريق الاولى والاخرى والقصد ان الله تعالى أمر رسوله الله
 ومن اتبعه بعد ذلك كره لهم ما فعل باولياؤه من النجاة والنصر والتأييد وما حل باعدائه من الخزي والنكال والقهر ان يحمدهم على
 جميع أفعاله وان يسلموا على عباده المصطفين الاخيار وقد قال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عمار بن صبيح حدثنا طلق بن غنم حدثنا
 الحكم بن ظهير عن السدى ان شاء الله عن أبي مالك عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال هم أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم اصطفاهم الله لنبيه رضى الله عنهم وقوله تعالى خير أم ما يشركون استفهام انكار على المشركين في عبادتهم مع الله

آلهة اخرى ثم شرع تعالى يبين انه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى امن خلق السموات اى خلق تلك السموات
فى ارتفاعها وصفاتها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والافلاك الدائرة وخلق الارض فى استفعالها وكثافتها وما
جعل فيها من الجبال والسهول والاعوار والقباني والقنار والزروع والاشجار والثمار والبخار والحيوان على اختلاف الاصناف
والاشكال والالوان وغير ذلك وقوله تعالى وأنزل لكم من السماء ماء اى جعله رزقا للعباد فانبتنا به حدائق اى بساين ذات جمجمة
اى منظر حسن وشكل بهى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اى لم تكونوا (٢٢٣) تقدر ان تنبتوا شجرها وانما يقدر على ذلك

الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد
به دون ما سواه من الاصنام والانداد
كما يعترف به هؤلاء المشركون كما
قال تعالى فى الآية الاخرى ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن
سألهم من نزل من السماء ماء فاحياه
الارض من بعد موتها ليقولن الله
اى هم معترفون بانه الفاعل لجميع
ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون
معه غيره مما يعترفون انه لا يخلق
ولا يرزق وانما يستحق ان يفرد
بالعبادة من هو المتفرد بالخلق
والرزق ولهذا قال تعالى االه مع الله
اى اله مع الله يعبد وقد تبين لكم
ولكل ذى لب مما يعترفون به ايضا انه
الخالق الرازق ومن المفسرين من
يقول معنى قوله اله مع الله فعل
هذا وهو يرجع الى معنى الاول لان
تقدير الجواب انهم يتولون ليس
ثم احد فعل هذا مع بل هو المتفرد
به فيقال فكيف يعبدون معه غيره
وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق
والتدبير كما قال تعالى ائن يخلق
كن لا يخلق الآية وقوله تعالى ههنا
امن خلق السموات والارض
امن فى هذه الايات كلها تقديره

الله ولوان ما فى الارض الآية أخرجه ابن اسحق وابن جرير وابن ابي حاتم قال أبو عبيدة
المراد بالبحر هنا الماء العذب الذى ينبت الاقلام واما المالح فلا ينبتا قال الشوكاني
ما أسقط هذا الكلام وأقل جدواه (ان الله عزير حكيم) اى غالب لا يعجزه شئ ولا يخرج
عن حكمته وعلمه فرد من افراد مخلوقاته (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس) اى خلق
نفس (واحدة) وبعثها لانه بكلمة كن فيكون قال النحاس هكذا قدره النحويون يعنى
الا كخلق نفس كقوله واسأل القرية قال الزجاج اى قدرة الله على بعث الخلق كلهم
وعلى خلقهم كتدبيره على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة اى سواء فى قدرته
القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (ان الله سميع) لكل ما يسمع (بصير) لكل
ما يصير (الم تر) الخطاب لكل احد يصلح لذلك وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) اى يدخل كل واحد منهما فى الآخر فيزيد كل
منهما بما ينقص من الآخر وقد تقدم تفسيره فى سورة الحج والاعناب (وسخر الشمس
والقمر) اى ذلها وجعلها منقادين بالطلوع والاقول تقدير اللآجال وتتميم للمنافع
والاختلاف بينهما فى الصبغة لما ان ايلاج احد الملوك فى الآخر متحدد فى كل حين واما
تسخير النيران فامر لا تعدد فيه وانما التعدد والتجدد فى آثاره (كل) منهما (يجرى الى
اجل مسمى) قيل هو يوم القيامة وقيل وقت الطلوع ووقت الاقول وقيل الشمس الى
آخر السنة والقمر الى آخر الشهر والاول اولى وقال هنا بلفظ الى وفى فاطر والزمر بلفظ
اللام لان ما هنا وقع بين آيتين دلتين على غاية ما ينتهى اليه الخلق وهما قوله ما خلقكم
الآية وقوله اتقوا ربكم واخشوا وما الآية فناسب ذكر الالى الدالة على الانتهاء وما فى
فاطر والزمر حال عن ذلك اذ ما فى فاطر لم يذكر مع ابتداء خلق ولا انتهائه وما فى الزمر ذكر
مع ابتداءه فناسب ذكر اللام والمعنى يجرى كل كاذ كابلوغ اجل قاله الكرخى (وان الله
بما تعملون خبير) لا تخفى عليه خافية لان من قدر على مثل هذه الامور العظيمة فقد رته
على العلم بما يعملونه بالاولى وهو عطف على ان الله يولج الخ داخل معه فى حيز الرؤية (ذلك)
اى ما تقدم ذكره من الايات الكريمة المشتملة على سعة العلم وشمول القدرة ومجائب
الصنع واختصاص البارى بها (بان الله) اى بسبب انه سبحانه (هو الحق) الثابت ألوهيته
أوفعل ذلك ليعلموا انه الحق وهو المستحق للعبادة (وان ما يدعون من دونه الباطل)

امن يفعل هذه الاشياء كن لا يقدر على شئ منها هذا معنى السياق وان لم يذكر الاخر لان فى قوة الكلام ما يرشد الى ذلك وقد قال
الله تعالى الله خير ام ما يشركون ثم قال فى الآية الاخرى بل هم قوم بعدلون اى يجعلون الله عدلا نظيرا وهكذا قال تعالى امن
هو قانت آتاء الليل ساجدا واقامنا يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه اى امن هو هكذا كن ليس كذلك ولهذا قال تعالى قل
هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ائمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله الآية وقال تعالى ائمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اى امن هو شهيد على افعال الخلق حركاتهم

وسكتهم بعلم الغيب جليلة وحقيرة مكن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الاصنام التي عبدوها من دون الله وله - ذاق قال تعالى
 وجعل لهم الله شركا قتل سمومهم وهكذا هذه الآيات الكريمة كلها (أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها
 رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى أمن جعل الارض قرارا أي قارة ساكنة ثابتة
 لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترحف بهم فأنه لو كانت كذلك لمطاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا باسقاطها
 ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى (٢٢٤) في الآية الاخرى الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء

« وجعل خلالها أنهارا أي جعل فيها
 الانهار العذبة الطيبة شسقتها في
 خلالها وصر فيها ما بين انهار
 كبار وصغار وبين ذلك وصيرها
 شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بحسب
 مصالح عبادته في أقاليمهم واقطارهم
 - حيث ذرأهم في ارجاء الارض سير
 لهم ارزاقهم بحسب ما يحتاجون
 اليه وجعل لها رواسي أي جبالا
 شاهجة ترمي الارض وتنبت الثلا
 تيمد بكم وجعل بين البحرين حاجزا
 أي جعل بين المياه العذبة والمالحة
 حاجزا أي مانعا يمنعها من الاختلاط
 لتلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا فان
 الحكمة الالهية تقضي بقاء كل
 منها على صفته المقصودة منه فان
 البحر الخلو هو هذه الانهار السارحة
 الجارية بين الناس والمقصود منها
 ان تكون عذبة زلالا يسقي الحيوان
 والنبات والثمار منها والبحار المالحة
 هي المحيطة بالارجاج والاقطار من
 كل جانب والمقصود منها ان يكون
 مأوها ملحا اجاجا لتلا تفسد
 الهوا ويريحها كما قال تعالى وهو
 الذي مريح البحرين هذا عذب
 فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما

لا يستحق العبادة قال مجاهد الذي يدعون من دونه هو الشيطان وقيل ما أشركوا به من
 صنم أو غيره وهذا أولى (وأن الله هو العلي الكبير) أي ان ذلك الصنع البديع الذي وصفه
 في الآيات المتقدمة للاستدلال به على حقيقة الله وبطلان ما سواه وعلوه وكبريائه على
 الخلق له الصفات العليا والاسماء الحسنى وهو على الذات سمي الصفات كبر الشان جلجل
 القدر رفيع الذر مطاع الامر جلي البرهان ثم ذكر من عجيب صنعه وبديع قدرته وغاية
 حكمته وشمول انعامه نوعا آخر فقال (ألم تر أن النلك) أي السفن والمركب (تجري في
 البحر بنعمة الله) أي بظنه بكم ورحمته لكم او بالرغ لانهم من نعم الله تعالى وذلك من
 اعظم نعمه عليكم لانها تخلصكم من الغرق عند اسفاركم في البحر لطلب الرزق وقرئ
 بنعمات الله جمع نعمة والباله الصلة او الال (ليريكم من آياته) من للتبعيض أي بعض آياته
 قال يحيى بن سلام وهو جري السفن في البحر بالريح وقال ابن شجرة المراد بقوله من آياته
 ما يشاهدونه من قدرة الله تعالى قال النقاش ما يرزقهم الله من البحر (ان في ذلك لآيات
 لكل صبار شكور) هذه الجملة لتعليل لما قبلها أي ان في آيات عظيمة وعبر اخيمة
 لكل من له صبر بليغ وشكر كثير يصبر عن معاصي الله ويشكر نعمه وهما صفتا المؤمن
 فالايان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكأنه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن حيث
 يبعث نفسه في التفكير في عدم غرقه وفي سيره الى البلاد الشاسعة والاقطار البعيدة وفي
 كون سيره ذهابا وايابا بريحين وتارة بريح واحدة وفي انجاء ابيه نوح عليه السلام وعن
 اراد الله تعالى من خلقه واغرق غيرهم من جميع اهل الارض وفي غير ذلك من شؤنه
 واموره وافعاله وصنائه (واذا غشيمهم موج كالظلل) أي كالجبال التي تظل من تحتها شبه
 الموج لكبره بما يظل الانسان من جبل او صحاب او غيرها وانما شبه الموج وهو واحد
 بالظلل وهي جمع لان الموج يأتي شيا بعد شئ ويركب بعضها بعضا وقيل ان الموج في معنى
 الجمع لانه مصدر واصل الموج الحركة والازدحام ومنه يقال ما ج البحر وما ج الناس
 وقرئ كالظلال جمع ظل (دعوا الله) وحده (مخلصين له الدين) أي لا يعولون على غيره في
 خلاصهم لانهم يعلمون انه لا يضر ولا ينفع سواه وانكسبه يغلب على طبائعهم العادات
 وتقليد الاموات فاذا وقعوا في مثل هذه الحالة اعترفوا بوحداية الله تعالى واخلصوا
 دينهم له طلبا للخلاص والسلامة مما وقعوا فيه لزوال ما ينازع الفطرة الايمانية

برزخا وحجر المحجورا وهذا قال تعالى أله مع الله أي فعل هذا أو بعد على القول الاول والاخر وكلاهما
 متلازم صحيح بل أكثرهم لا يعلمون أي في عبادتهم غيره (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أله مع
 الله قليلا ما تذكرون) ينيه تعالى انه المدعو عند الشدة الموجود عند النوازل كما قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
 الاياه وقال تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وهكذا قال ههنا من يجيب المضطر اذا دعاه أي من هو الذي لا يلجأ المضطر الا
 اليه والذي لا يكشف الضر ويرين سواء قال الامام أحمد أنبا ناعفان أنبا ناهيب أنبا خالد الخداء عن أبي عبيدة الههيم عن

رجل من بلهيم قال قلت يا رسول الله الام تدعو قال ادعوا الى الله وحده الذي ان مسك ضرفدعوه كشف عنك والذي ان اضللت
بارض قفر فدعوه رد عليك والذي ان اصابك سنة فدعوه ائبت لك قال قلت اوصني قال لاتسبن احدا ولا تزهدن في المعروف
ولو ان تلقى اهلك وانت منبسط اليه وجهك ولو ان تفرغ من دلوك في اناه المستقي واترالى نصف الساق فان آيت فالى الكعبين
واياك واسبال الازار فان اسبال الازار من الخيلة وان الله لا يحب الخيلة وقد رواه الامام احمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابي فقال
حدثنا عفان حدثنا جاد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا (٢٢٥) عبيدة الهجيمي عن ابيه عن ابي عمية

الهجيمي عن جابر بن سليم
الهجيمي قال ائبت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو محتب بشهلة
وقد وقع هديها على قدميه فقلت
ايكم يحمد رسول الله فأومأ بي يده
الى نفسه فقلت يا رسول الله ائمان
أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني
قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو
ان تلقى اهلك ووجهك منبسط ولو
ان تفرغ من دلوك في اناه المستقي
وان امر وشمك بما يعلم فيك فلا تشمه
بما تعلم فيه فانه يكون لك اجره
وعليه وزره واياك واسبال الازار
فان اسبال الازار من الخيلة وان
الله لا يحب الخيلة ولا تسبن احدا
قال فاسبيت بعده احدا ولاشاة
ولا بعيرا وقد روى ابو داود والنسائي
لهذا الحديث طرقا وعندهما
طرف صالح منه وقال ابن ابي حاتم
حدثنا ابي حدثنا علي بن هشام
حدثنا عبيدة بن نوح عن عمر بن
الخطاب عن عبيد الله بن ابي صالح
قال دخل على طاوس يعوذني فقلت
له ادع الله لي (٣) يا ابا عبد الرحمن
فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر
اذا دعاه وقال وهب بن منبه قرأت

من الهوى والتقليد بما دعاهم من الشدائد (فلما نجحهم الى البر) صاروا قسمين (فمنهم
مقتصد) أي فقسم مقتصد أي عدل موف في البر بما دعا عليه الله في الجرم من اخلاص
الدين له باق على ذلك بعد ان نجاه الله من هول البحر وأخرجه الى البر سالما قال الحسن
معنى مقتصد مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة وقال مجاهد مقتصد في القول مضمهر
للكفر وقال الرازي المقتصد المتوسط بين السابق بالخيرات والظالم لنفسه وهو الذي
تساوت سميانه وحسناته وقيل متوسط بين الكفر والايان لانه انزجر بعض الانزجار
ومنهم باق على كفره لان بعضهم كان أشد قولا وأعلى افتراء من بعض والاولى ما ذكرناه
قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاهم ريح عاصف
فقتل عكرمة لئن نجانا الله من هذا الاربعن الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاضعن يده
في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وحسن اسلامه وفي الكلام حذف
والتقدير فتنهم مقتصد ومنهم كافر لم يوف بما دعا ويدل على هذا المحذوف قوله (وما يجحد
باياتنا الا كل ختار كفور) لانه نقض العهد الفطري ورفض ما كان عليه في البحر وهذا
في مقابلة صبار كان كفور في مقابلة شكور والخترا سوء الغدر واقبحه قال الجوهرى
الخترا الغدر يقال ختره فهو ختار أي غدار قال الماوردي وهذا قول الجمهور وقال ابن
عطية انه الجاحد وسجد الايات انكارها والكفور عظيم الكفر بنعم الله سبحانه قال
ابن عباس ختار جحد (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى) أي لا يغنى
ولا يقضى (والدعن ولده) شيئا ولا ينفعه بوجه من وجوه النفع لاشتغاله بنفسه وقد تقدم
بيان معناه في البقرة (ولا مولود هو) مبتدأ ثان خبره (جازعن والده شيئا) وبالجملة خبر
مولود وجاز الابتداء به وهو نكرة لانه في سياق النفي ثم الخبر مع المبتدأ كلام وارد على
طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية آكد من الجملة
النحوية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين
فأريد حسم أطمأئنتهم ان يتفعدوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيد في لفظ
المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعة فضلا ان يشفع
لاجداده اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك كذا في الكشف
وبالجملة فقد ذكر سبحانه هنا فردين من القرابات وهما الوالد والولد وهما الغاية في الخنو

(٢٩ - فتح البيان سابع) في الكتاب الاقول ان الله تعالى يقول بعزتي انه من اعتصم بي فان كادته السموات بن فيهن والارض
بن فيهن فاني اجعل له من بين ذلك مخرجا ومن لم يعتصم بي فاني اخسف به من تحت قدميه الارض فاجعله في الهواء فاكله الى نفسه
وذكر الحافظ بن عسافر في ترجمة رجل حكى عنه ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالذقي الصوفي قال هذا الرجل كنت اكارى
على بغل لي من دمشق الى بلد الزبداني فركب معي ذات مرة رجل فخر راعا على بعض الطريق على طريق غير مسلو كذا فقال لي خذ في
هذه فانها اقرب فقلت لا خيرة لي فيها فقال بل هي اقرب فسلكتها فانتهيت الى مكان وعرواد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لي
(٣) قوله ادع الله لي يا ابا عبد الرحمن فقال ادع الخ في نسخة ادع الله لي قال يا ابا عبد الرحمن ادع الخ وحرر اه صححه

أمسك رأس البغل حتى انزل فنزل وتشمر وجع عليه ثيابه وسل سكينامعه وقصدني ففرت من بين يديه وتبعني فنادته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقال هو لي وانما اريد قتلك فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستلمت بين يديه وقلت ان رأيت ان تتركني حتى أصلي ركعتين فقال ويجعل فقمت أصلي فأرتج على القرآن فلم يحضرنى منه حرف واحد فبقيت واقفا متحمرا وهو يقول هيه افرغ فاجرى الله على لساني قوله تعالى آمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فاذا اناب فارس قد أقبل من سم الوادي ويده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده (٢٢٦) فخر صريعا فتعلقت بالفارس وقلت بالله من أنت فقال أنار رسول الذي يجيب

المضطر اذا دعاه ويكشف السوء قال فأخذت البغل والجل ورجعت سالما وكرت في تربة فاطمة بنت الحسن أم أحد المجملات قالت هزم الكفار يوما المسلمين في غزاة فوقف جواد جديدا صاحبه وكان من ذوى اليسار ومن الصلحاء فقال للجواد مالك وملك انما كنت اعدك لمنسل هذا اليوم فقال له الجواد ومالي لا اقصر وأنت تسلك العلوقة الى السؤاس فيظلموني ولا يطعمونني الا القليل فقال لك على عهد الله اني لا اعلفك بعد هذا اليوم الا في حجرى جفري الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلقه بعد ذلك الا في حجره واشتهر امره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم امره فقال ما نضام بلدة يكون هذا الرجل فيها واحتمل ليحصله في بلده فبعث اليه رجلا من المرتدين عنده فلما انتهى اليه اظهر له انه قد حسنت نيتته في الاسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجوا ما عيشيان على جنب الساحل وقد وعد شخصيا آخر من جهة ملك الروم لبتساعدا على أسره فلما

والحبة والسفينة على بعضهم ابعض فاعادها من القرابات لا يجزي بالاولى فكيف بالا جانب ونسبه أيضا بالا على على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده في الدنيا الكمال شفقتة عليه والولد يجزي عن والده لاله عليه من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا بهم بقرب ولا ببعيد وقال ابن عباس كل امرئ مهمته نفسه اللهم اجعلنا من لا يرجو سوال ولا يعول على غيرك (ان وعد الله) بالبعث (حق) لا يتخلف قسا وعده من الخير وأوعده من الشر فهو كائن لا محالة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) وزخارفها عن الاسلام فانها زائله ذاهبة فانية (ولا يغرنكم بالله) في حلمه وامهاله (الغرور) بفتح الغين أى الدنيا والامل بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجبركم على المعاصى وقال ابن عباس الغرور هو الشيطان وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة لان من شأنه أن يغري الخلق ويمنيهم بالاماني الباطلة ويلهمهم عن الآخرة ويصددهم عن طريق الحق وقال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويتقى المغفرة وقرئ بضم الغين مصدر غر يغرور ويجوز أن يكون مصدرا واقعا وصفا للشيطان على المبالغة (ان الله عنده علم الساعة) أى علم وقتها الذى تقوم فيه قال الفراء ان معنى هذا الكلام النفى أى ما يعلمه الا الله عز وجل قال النحاس وانما صار فيه معنى النفى لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في قوله وعند الله الغيب لا يعلمها الا هو ان هذه أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما فى الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنى هريرة فى حديث سؤاله عن الساعة وجوابه باشر اطها ثم قال فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا هذه الآية أى لا يدري أحد متى تقوم الساعة فى أى سنة وأى شهر وأى يوم وأى ساعة ليلا أو نهارا وفى الباب أحاديث وعن جاهد قال جاء رجل من أهل البادية فقال ان امرأتى حبلى فأخبرنى ما تلدو بلادنا مجذبة فأخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت واخبرنى متى أموت فأنزل الله ان الله عنده علم الساعة الآية وعن عكرمة نحوه وزاد وقد علمت ما كسبت اليوم فاذا أكسبت غدا وزاد ايضا انه سأل عن قيام الساعة وقيل نزلت فى الحرث بن عمرو بن حارثة من أهل

البادية

اكتشفه لياخذاه ورفع طرفه الى السماء وقال اللهم انه انما اخذ عنى بك فاكنهم بما مشتت قال فخرج

سبعان فاخذاهما ورجع الرجل سالما وقوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض أى يخلف قرا لقرن قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى ان يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين وقال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال تعالى واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة أى قوما يخلف بعضهم بعضا كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية ويجعلكم خلفاء الارض أى أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل وقوما بعد قوم ولوشاء لا وجدهم كلهم

في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لوشاء خلقتهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولوشاء ان يجعلهم ذرية بعضهم من بعض ولكن لا يمت احد حتى يكون وفاة الجميع في وقت واحد فكانت تضيق عنهم الارض وتضيق عليهم معاشهم وكساحهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته ان يخلفهم من نفس واحدة ثم يكثروا بها الكثرة ويذروا هم في الارض ويجعلهم قروا ويا بعد قرون واما بعد ادم حتى ينقضي الاجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما احصاهم وعددهم عدائهم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله اذ بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى (٢٢٧) أمن يجب المضطر اذ ادعاه ويكشف السوء

ويجعلكم خلفاء الارض اله مع الله أي يتدر على ذلك وأ لله مع الله يعبد وقد علم ان الله هو المتفرد بعبادته ذلك وحده لا شريك له قليلا ما تذرون أي ما أقل تذركهم فيما يرشدكم الى الحق ويهديهم الى الصراط المستقيم (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراب يندي رحمة الله مع الله تعالى الله عما يشركون) يقول تعالى أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر أي بما خلق من الدلائل السماوية والارضية كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر الآية ومن يرسل الرياح بشراب يندي رحمة أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجددين الازليين القنطين اله مع الله تعالى الله عما يشركون (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض اله مع الله قل ها تورا برهانكم ان كنتم صادقين) أي هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى في الآية

البادية (وينزل الغيث) في الاوقات والامكنة التي جعلها معينة لانزاله ولا يعلم ذلك غيره قرئ من التنزيل والانزال (ويعلم ما في الارحام) من الذكور والاناث والصلاح والفساد (وما تدرى نفس) من النفوس كانه ما كانت من غير فرق بين الملائكة والانبياء والجن والانس (ما اذا تكسب غدا) من كسب دين أو كسب دنيا خيرا أو شر (وما تدرى نفس باي أرض تموت) وقرئ باية أرض وجوز ذلك الفراء وهي لغة ضعيفة قال الاخفش يجوز ان يقال مررت بجارية أي جارية والمعنى ولا تعلم نفس باي مكان يقضي الله عليها بالموت من الارض في بر أو بحر في سهل أو جبل وربما أقامت بأرض وضربت أو تادها وقالت لا ابرحها فترجى بها امرأى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل يتظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت قال كانه يريدني وسأل سليمان عليه السلام ان يحمله على الريح ويلقيه بسيلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك ذكره النسفي في المدارك ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فعبها المعبرون بخمس سنوات وبخمس أشهر وبخمس أيام فقال أبو حنيفة هو إشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله قال الكرخي أضاف في الآية العلم الى نفسه في الثلاثة من الخمسة المذكورة ونفى العلم عن العباد في الاخرتين منها مع ان الخمسة سوا في اختصاص الله تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد بها لان الثلاثة الاولى أمرها أعظم وأنخم فخصت بالاضافة اليه تعالى والاخرتان من صفات العباد فخصت بالاضافة اليهم مع انه اذا اتقى عنهم علمهما كان انتفاء علم ما عداهما من الخمسة أولى (ان الله عليم) بهذه الاشياء وبغيرها من الغيوب (خبير) بما كان وبما يكون ويواطن الاشياء كما هاليس علمه محيطا بالظاهر فقط قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فانه كفر بالقرآن وعن الزهري أكثر واقراءة سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم وفيه رد على المنجم والكاهن اللذين يخبران بوقت الغيث والموت وغيرهما

* (سورة السجدة آياتها تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية) *

الاخرى ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وقال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ومن يرزقكم من السماء والارض أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الارض كما قال تعالى والسموات ذات الرجوع والارض ذات الصدع وقال تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركا فيسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والازهار وغير ذلك من ألوان شتى كلوا وارعوا أنعم لكم ان في ذلك لايات لاولي النهى ولهذا قال تعالى اله مع الله أي فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا قل ها تورا برهانكم على

على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى ان كنتم صادقين في ذلك وقد علم انه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها
 آخر لبرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان
 يعثون بل اذارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها معمون) يقول تعالى امر ارسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول
 مع ما يلجج الخلق انه لا يعلم احد من أهل السموات والارض الغيب الا الله وقوله تعالى الا الله استثناء منقطع أى لا يعلم احد ذلك
 الا الله عز وجل فانه المتفرد بذلك وحده (٢٢٨) لا شريك له كما قال تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو الآية

بناء على الاختلاف في أن آخر الآية تلي خلق جديد أو هو كافرون فعلى الاول تكون
 ثلاثين وعلى الثاني تكون تسعا وعشرين وهي مكية قاله ابن عباس وابن الزبير وأخرج
 البخاري عنه هي مكية سوى ثلاث آيات نزات بالمدينة اثنتان كان مؤمنا الى تمام الآيات
 الثلاث وكذا قال الكلبي ومقاتل وقيل الا خمس آيات من قوله تجابى جنوبهم الى قوله
 الذي كنتم به تكذبون وقد ثبت عند مسلم وأهل السنن من حديث أبي هريرة ان النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة بالم تزييل السجدة وهل أتى على
 الانسان وأخرج أحمد والدارمي والترمذي والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن جابر
 قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ الم تزييل السجدة وتبارك الذي
 بيده الملك وقد وردت في فضائل هذه السورة أحاديث

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) قد قدمنا الكلام على فاتحة هذه السورة في البقرة وفي مواضع كثيرة من فواتح
 السور والله أعلم بمراده به (تزييل الكتاب) فيه أوجه خمسة ذكرها السمين (لأرب فيه)
 أى لاشك في أنه (من رب العالمين) وانه ليس بكذب ولا سحر ولا كهانة ولا أساطير الاولين
 (أم يقولون) أم هي المنقطعة التي بمعنى بل والهزمة أى بل يقولون فأضرب عن الكلام
 الاول الى ما هو معتقد الكفار مع الاستفهام المتضمن للتقريع والتوبيخ (افتراه) أى
 افتعله واختلقه من تلقاء نفسه ثم اضرب عن معتقدهم هذا الى بيان ما هو الحق في شأن
 الكتاب فقال (بل) اضراب ابطال لنفس افتراه وحده وعلى هذا كل ما في القرآن اضراب
 فهو اتقال الاهداف انه يجوز ان يكون ابطالا لانه ابطال لقولهم أى ليس هو كما قالوا بل
 (هو الحق من ربك) فكذبهم سبحانه في دعوى الافتراء ثم بين العلة التي كان التنزيل
 لاجلها فقال (لتنذروا ما أنهم من نذير من قبلك) وهم العرب وكانوا أمة أمية لم يأتهم
 رسول وقيل قريش خاصة والتقدير لتنذروا ما العقاب وجوز أبو حيان ان تكون
 ما موصولة أى العقاب الذي أتاهم وهو ضعيف جدا فان المراد تلعيل الانزال بالانذار
 لقوم لم يأتهم نذير قبله لاتعليله بالانذار لقوم قد أنذروا بما أنذرهم به وقيل المراد بالقوم
 أهل الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (لعلهم يهتدون) أى كي يهتدوا
 أو رجاء ان يهتدوا والترجي معتبر من جهته عليه السلام (الله الذي خلق) أى أو وجد

وقال تعالى ان الله عنده علم
 الساعة وينزل الغيث الى آخر
 السورة والآيات في هذا كثيرة
 وقوله تعالى وما يشعرون ايان
 يعثون أى وما يشعرون الخلاق
 الساكنون في السموات والارض
 بوقت الساعة كما قال تعالى ثقلت
 في السموات والارض لانا نيكتم
 الابغمة أى ثقيل علمها على أهل
 السموات والارض وقال ابن أبي
 حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد
 حدثنا أبو جعفر الرازي عن داود
 ابن أبي هند عن الشعبي عن
 مسروق عن عائشة رضی الله
 عنها قالت من زعم انه يعلم بعنى
 النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون
 في غد فقد أعظم على الله الفرية
 لان الله تعالى يقول قل لا يعلم من
 في السموات والارض الغيب الا
 الله وقال قتادة انما جعل الله
 هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها
 زينة للسماء وجعلها يهتدى
 بها وجعلها رجوما للشياطين فن
 تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأه
 وأخطأ حفظه وأضاع نصيبه وتكاف
 ما لا علم له به وان انا ساجهله بأمر

الله قد أحدتوا من هذه النجوم كهانة من أعرض بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا
 وكذا كان كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا وولد عمرى ما من نجم الا يولده الاجر والاسود والقصر والطويل
 والحسن والدميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشئ من الغيب وقضى الله تعالى أن لا يعلم من في السموات والارض
 الغيب الا الله وما يشعرون ايان يعثون رواه ابن أبي حاتم عنه بجر وقفه وهو كلام جليل متين صحيح وقوله بل اذارك علمهم في
 الآخرة بل هم في شك منها أى انتهى علمهم وعجز عن معرفتها وقرأ آخرون بل أدرك علمهم أى تساوى علمهم في ذلك كما في الصحيح

لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة ما المسؤول عنها بأعلم من السائل أى تساوى فى العجز عن درك ذلك علم المسؤول والسائل قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس بل ادرك علمهم فى الآخرة أى غاب وقال قتادة بل ادرك علمهم فى الآخرة يعنى بجهدهم بهم يقول لم ينقلهم علم فى الآخرة هذا قول وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس بل ادرك علمهم فى الآخرة حين لم ينفع العلم وبه قال عطاء الخراسانى والسندي ان علمهم انما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن (٢٢٩) الظالمون اليوم فى ضلال مبين وقال سفیان

عن عمرو بن عبد عن الحسن انه كان يقرأ بل أدرك علمهم قال اضحل علمهم فى الدنيا حين عاينوا الآخرة وقوله تعالى بل هم فى شك منها عائد على الجنس والمراد الكافرون كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفوا لقد جدججناهم كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا أى الكافرون منكم وهكذا قال ههنا بل هم فى شك منها أى شاكون فى وجودها ووقوعها بل هم منها عاون أى فى عمالية وجهل كبير فى أمرها وشأنها (وقال الذين كفروا أن لنا كآتربا وآبأونا أن نخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآبأونا من قبل ان هذا الأساطير الأولى قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) يقول تعالى مخبرا عن منكرى البعث من المشركين انهم استبعدوا إعادة الاجساد بعد صيرورتها عظاما ورفاتا وترابا ثم قال لقد وعدنا هذا نحن وآبأونا من قبل أى مازلنا نسمع هذا نحن وآبأونا ولا نرى له

وأبدع (السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) على التوزيع كما يأتى فى سورة فصلت وقد تقدم تفسير هذه الآية فى الاعراف وغيرها والمراد من ذكرها هنا تعريتهم كمال قدرته وعظيم صنعه ليسمعوا القرآن ويتأمنوه قال الحسن الايام هنا هى من أيام الدنيا وقيل مقدار اليوم ألف سنة من سنى الدنيا قاله الضحاك فعلى هذا المراد بالايام هنا هى من أيام الآخرة لامن أيام الدنيا وليست ثم للترتيب فى قوله (ثم استوى على العرش) بل يعنى الواو والعرش فى اللغة سرير الملك والمراد به هنا الجسم النورانى المحيط بالعالم كله وهذا الاستواء فى سبع مواضع من القرآن الكريم والاصل الراجح ان نعتق ما ورد به القرآن ولا نؤوله ولا نصرفه عن وجهه وهو نوص وظاهر فى أن الله تعالى فوق العرش بائن من خلقه بالمعنى الذى يليق بجنابه الاقدس الاعلى وتأويله اخراج النصر أو الظاهر عن معناه وهذا لا يجوز قطعاً الا عند وجود ما يساويه أو يتقدم عليه ويعارضه ودونه خراط القتاد وقد اختلف الناس فى هذا على أربعة عشر قولاً ولاها بالاصواب مذهب سلف الامة وأعمتها انه استوى عليه بلا كيف مع تنزيهه عما لا يجوز عليه والآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة فى هذا الباب كثيرة جداً وهى تغنى عن غيرها وردت بالجمهية هذه الصفة الشابتة له سبحانه وتبعها المعتزلة ورد عليهم الحافظ بن القيم فى اعلام الموقعين بثمانية عشر وجهاً يطول ذكرها وقد جمع أهل العلم فيها سماً أهل القرآن وأصحاب الحديث مباحث بل رسائل بل كتباً طولوها بذكر الأدلة النقلية بل العقلية والمسئلة أوضح من ان تلبس على عارف وأبين من أن يحتاج فى الى التطويل ولكن لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل بين بعض الطوائف الاسلامية الحق الصراح فيها وأطال سيم الحنابلة وأهل الحديث فلهم فى ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكذا فى عصر بعد عصر الى يومنا هذا والحق ما عرفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء على العرش وكونه تعالى فوق الخلق عاليا عليهم قد نطق به القرآن الكريم فى مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غير حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس فى نفسه ويحسه فى فطرته وتجذبه اليه طبيعته كما تراه فى كل من استعاث بالله سبحانه والتجأ اليه ووجه دعائه الى جنابه الرفيع وعزه المتسع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يوحى بظرفه يستوى فى ذلك عند عرض أسباب

حقيقة ولا وقوعاً وقولهم ان هذا الأساطير الأولى يعنون ما هذا الوعد باعادة الابدان الأساطير الأولى أى أخذهم قوم عن قبلهم من كتبهم يتلقاه بعضهم عن بعض وليس له حقيقة قال الله تعالى مجيباً لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد قل يا محمد لهؤلاء سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الجرمين أى المكذبين بالرسول وما جاؤهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نعمة الله وعدابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسوله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته ثم قال تعالى مسليماً لنبىه صلى الله عليه وسلم ولا تحزن عليهم أى المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات

ولا تكن في ضيق مما يكرون أى في كذبك وردما جئت به فان الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على من خالفه وعانده في
المشارك والمغارب (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك
لذو فضل على الناس وان كن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض
الا في كتاب مبين) يقول تعالى مخبرا عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين قال الله تعالى مجيبا لهم (٢٣٠) قل يا محمد عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون

قال ابن عباس ان يكون قرب
أو ان يقرب لكم بعض الذي
تستعجلون وهكذا قال مجاهد
والضحاك وعطاء الخراساني وقتادة
والسدي وهذا هو المراد بقوله تعالى
ويقولون متى هو قل عسى ان يكون
قريباً أو قال تعالى ويستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطمة
بالكافرين وانما دخلت اللام في
قوله ردف لكم لانه ضمن معنى
عجل لكم كما قال مجاهد في رواية
عنه عسى ان يكون ردف لكم
عجل لكم ثم قال الله تعالى وان ربك
لذو فضل على الناس أى في اسباغهم
نعمة عليهم مع ظلمهم لانفسهم وهم
مع ذلك لا يشكرونه على ذلك الا
القليل منهم وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون أى يعلم
الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر
سواء منكم من أسر القول ومن
جهره يعلم السر وأخفى ألا حين
يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون ثم أخبر تعالى بانه عالم
غيب السموات والارض وانه عالم
الغيب والشهادة وهو ما غاب عن
العباد وما شاهدوه فقال تعالى

الادعية وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الانزعاج وظهور ردء اعى الاتجاء
عالم الناس وجاهلهم وبادبهم وحاضرهم والمأثري على طريقته السلف والمقتدى بأهل
التأويل من الخلف فالسلامة والنجاة في امر اذ ذلك على الظاهر والاذعان بأن الاستواء
والاستقرار والكون في الفوق ثابتة على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكليف
ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل والمؤول غير مقتدى بالسلف ولا واقف في طريق النجاة
ولامعصوم عن الخطا ولا سالك في جادة السلامة والاستقامة قال في حجة الله البالغة
واستطال هؤلاء الخائضون على معسر أهل الحديث وسموهم مجسمة مشبهة وقالوا هم
المستترون بالملكفة وقد وضع على وضوحنا ان استطالتم هذه ليست بشئ وانهم
مخطئون في مقالهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى (مالككم من دونه)
أى ليس لكم من دون الله أو من دون عذابه (من ولى) بواليكهم ويرد عنكم عذابه
(ولا شفيع) يشفع لكم عنده (أفلاتنكرون) تذكر تدبر وتفكر وتسمعون هذه
المواعظ سماع من يفهم ويعقل حتى تتفعلوا بها وتؤمنوا ولما بين سبحانه خلق السموات
والارض وما بينهما بين تدبيره لامرها فقال (يدبر) أى يحكم (الامر) بقضائه وقدره
(من السماء الى الارض) الى أن تقوم الساعة والمعنى ينزل أمره من أعلى السموات الى
أقصى تخوم الارض السابعة كما قال سبحانه الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض
مشلهن ينزل الامر بينهن ومسافة ما بين السماء والارض التى تحتها زولا وطولها
ألف سنة من أيام الدنيا وقيل المراد بالامر المأمور به من الاعمال أى ينزله مدبر امر
السماء الى الارض وقيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة
أحكامها وآثارها الى الارض وقيل ينزل الوحي مع جبريل وقيل العرش موضع التدبير
كأن مادون العرش موضع التفصيل كما في قوله ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل
الآيات ومادون السموات موضع التصرف قال تعالى ولقد صرفناه بينهم ليدركوا وقال
ابن عباس يدبر الامر هذا فى الدنيا أى شأنها وحالها والامور التى تقع فيها والمراد بتدبير
أمرها القضاء السابق الذى هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب
خاص ثم لما ذكر سبحانه تدبير الامر قال (ثم يعرج) قرأ الجمهور على البناء للفاعل وقرئ
على البناء للمفعول والاصل يعرج به أى يرجع ذلك الامر ويعود ذلك التدبير والتصرف

وما من غائبة قال ابن عباس يعنى وما من شئ فى السماء والارض الا فى كتاب مبين وهذه آقوله الم تعلم أن الله يعلم
ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذين هم فيه يمتثلون
وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا
تسمع الصم الدعاء اذ اولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) يقول تعالى مخبرا
عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان انه يقص على بنى اسرائيل وهم حملة التوراة والانجيل أكثر الذى هم

فيه يختلفون كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه فالله ودافته واو النصرارى غلوا بقاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل انه عبد من عباد الله وانبيائه ورسوله الكرام عليه أفضل الصلاة والسلام كما قال تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون وقوله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين أى هدى لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم في العمليات ثم قال تعالى ان ربك يقضى بينهم أى يوم القيامة بحكمه وهو العزيز أى فى انتقامه العليم بافعال عباده وأقوالهم فتوكل على الله أى فى جميع أمورك وبلغ رسالته ربك انك على الحق المبين أى أنت على الحق المبين وان خالفك من خالفك ممن كتبت عليه (٢٣١)

الشقاوة وحققت عليهم كلمة ربك انهم

لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية وللهذا

قال تعالى انك لا تسمع الموتى أى

لا تسمعهم شياً بشياً يتفهم فكذلك

هؤلاء على قلوبهم عشاوة وفى آذانهم

وقر الكفر ولهذا قال ولا تسمع الصم

الدعاء اذا ولو امدبرين وما أنت

بهادى العمى عن ضلالتهم ان

تسمع الامن يؤمن باياتنا فهم

مسلمون أى انما يستجيب لك من

هو سميع بصير السمع والبصر النافع

فى القلب والبصيرة الخاضع لله

ولما جاعته على السنة الرسل

عليهم السلام (واذا وقع القول

عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض

تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا

لا يؤقنون) هذه الدابة تخرج فى آخر

الزمان عند فساد الناس وتركهم

أوامر الله وتبديلهم الدين الحق

يخرج الله لهم دابة من الارض قيل

من مكة وقيل من غيرها كما سأتى

تفصيله ان شاء الله تعالى فتكلم

الناس على ذلك قال ابن عباس

والحسن وقتادة وروى عن علي

رضى الله عنه تكلمهم كلاماً

أى تخاطبهم مخاطبة وقال عطاء

الخراسانى تكلمهم فقول ان

فى المخلوقات بالحشر والحساب ووزن الاعمال والتعذيب والتنعيم وغير ذلك مما يقع فى ذلك اليوم (اليه) سبحانه (فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحية على الغيبة أى تعدونه من أيام الدنيا وذلك باعتبار مسافة النزول من السماء والطلوع من الارض كما قدمنا وقيل ان المراد يعرج اليه فى يوم القيامة الذى مقداره كذا من أيام الدنيا وذلك حين ينقطع أمر الدنيا ويموت من فيها وقيل هى أخبار أهل الارض تصعد اليه مع من يرسل اليها من الملائكة والمعنى انه يثبت ذلك عنده ويكتب فى صحف ملائكته ما عمه له أهل الارض فى كل وقت من الاوقات الى ان تبلغ مدة الدنيا آخرها وقيل المعنى يثبت فى علمه موجودا بالفعل فى برهة من الزمان هى مقدار ألف سنة والمراد طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر أمر الحوادث اليومية باثباتها فى اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة من أيام الدنيا وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملائكة ثم يعرج بعد الالف لان آخر وقيل المراد ان الاعمال التى هى طاعات يدبرها الله سبحانه وينزل بها ملائكته ثم لا يعرج منها اليه الا الخالص بعد مدة متطاولة لقله المخلصين من عباده وقيل الضمير فى يعرج يعود الى الملك وان لم يجزله ذلك لانه مفهوم من السياق وقد جاء صريحا فى قوله تعرج الملائكة والروح اليه والضمير فى اليه راجع الى السماء على لغة من يذكرها أو الى مكان الملك الذى يرجع اليه وهو الذى أقره الله فيه وقيل المعنى يدبر أمر الشمس فى الطلوع والغروب ورجوعها الى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة وقيل المعنى ان الملك يعرج الى الله فى يوم كان مقداره لو سار غير الملك ألف سنة فان ما بين السماء والارض مسافة خمس مائة عام فمسافة النزول من السماء الى الارض والرجوع من الارض الى السماء ألف عام وقد رجح هذا جماعة من المفسرين منهم ابن جرير وقيل مسافة النزول ألف سنة ومسافة الطلوع ألف سنة وروى ذلك عن الغضائى وهذا اليوم هو عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة وليس المراد به مسمى اليوم الذى هو مدة النهار بين ليلتين والعرب قد تعبر عن المدة باليوم كما قال الشاعر
يوما ن يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأديب
فان الشاعر لم يريد يومين مخصوصين وانما أراد ان زمانهم ينقسم شطرين فعبّر عن كل

الناس كانوا باياتنا لا يؤقنون وروى هذا عن علي واختاره ابن جرير وفى هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم وقال ابن عباس فى رواية تجرحهم وعنه رواية قال كلات فعل يعنى هذا وهذا هو قول حسن ولا منافاة والله أعلم وقد ورد فى ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة فلندكر منها ما تيسر وبالله المستعان قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن فرات عن أنى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن ننذا كرام الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه السلام والدجال وثلاثة خسوف

آخر) وروى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والداية وخاصة أحدكم وأمر العامة تفرد به وله من حديث قتادة عن الحسن عن زياد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا الدجال والدخان ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم (حديث آخر) قال ابن ماجه حديثا حرمه بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث (٢٣٣) وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن

سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والداية والدجال وخويصة أحدكم وأمر العامة تفرد به (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أويس بن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الارض ومعها عصاموسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتنطم انف الكافر بالعصا وتجلو وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر ورواه الامام أحمد عن بهز وعفان ويزيد بن هرون ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به وقال فتنطم انف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا يا كافر ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو حدثنا أبو قيس

الغيب والشهادة) أى العالم بما غاب عن الخلق وما حضرهم وفي هذا معنى التهديد لانه سبحانه اذا علم بما يغيب وما يحضر فهو مجاز لكل عامل بعمله أو فهو يدبر الامر بما تقتضيه حكمته (العزير) القاهر الغالب (الرحيم) بعباده (الذى أحسن كل شئ خلقه) قرئ بفتح اللام وباسكانها فعلى الاولى خلقه فعل ماض نعمت الشئ وعلى الثانية فى نصبه أو وجه الاول ان يكون بدلا من كل شئ بدل اشتمال والضمير عائد الى كل شئ وهذا هو الوجه المشهور وعند النخاعة الثانية انه بدل كل من كل والضمير يرجع الى الله سبحانه ومعنى أحسن حسن لانه ما من شئ الا هو مخلوق على ما تقتضيه الحكمة فكل المخلوقات حسنة الثالث أن يكون كل شئ هو المفعول الاول وخلقته هو المفعول الثانى على تضمين أحسن معنى أعطى والمعنى أعطى كل شئ خلقه الذى خصه به وقيل على تضمينه معنى ألهم قال الفراء ألهم خلقه كل شئ يحتاجون اليه الرابع انه منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة أى خلقه خلقا كقوله صنع الله وهذا قول سيبويه والضمير يعود الى الله سبحانه والخامس انه منصوب بنزع الخافض والمعنى أحسن كل شئ فى خلقه ومعنى الآية انه أنقن وأحكم خلق مخلوقاته فبعض المخلوقات وان لم تكن حسنة فى نفسها فهى متقنة محكمة فيكون هذه الآية معناها معنى أعطى كل شئ خلقه أى لم يخلق الانسان على خلق البهيمة ولا خلق البهيمة على خلق الانسان وقيل هو عموم فى اللفظ خصوص فى المعنى أى أحسن خلق كل شئ حسن وقال ابن عباس أما رأيت القردة ليست بحسنة ولكنها أحكم خلقها وعنه فى الآية قال أما أنت القردة ليست بحسنة ولكنها أحكم خلقها وقال خلقه صورته وقال أحسن كل شئ القبيح والحسن والعقارب والحيات وكل شئ مما خلق وغيره لا يحسن شيئا من ذلك وأخرج الطبرانى عن أبي امامة قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ لقينا عمرو بن زرارة الانصارى فى حله قد أسبل فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بناحية ثوبه فقال يا رسول الله انى أحسن الساقين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عمرو بن زرارة ان الله عز وجل قد أحسن كل شئ يا عمرو ان الله لا يجب المسلمين وأخرج أحمد والطبرانى عن الشريد بن سويد قال أبصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلا قد أسبل ازاره فقال ارفع ازارك فقال يا رسول الله انى أحسن تصطبغت ركبتاى فقال ارفع ازارك كل خلق الله حسن (وبدأ خلق الانسان) يعنى آدم خلقه

(٣٠ - فتح البيان سابع) حدثنا حماد بن عبيد حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال ذهب نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة من هذا الموضع فاذا فتر فى شبر قال ابن بريدة فنجبت بعد ذلك بسنين فأرانا عصاله فاذا هو بعصاى هذه كذا وكذا وقال عبد الرزاق أخبرنا عمر بن قنادة ان ابن عباس قال هى دابة ذات رغب لها ربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أنى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا فضيل بن مرزوق عن عظمة قال قال عبد الله تخرج الدابة من صدع من الصفا بكبرى القوس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها

وقال محمد بن اسحق عن ابيان بن صالح قال سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد والله لو كنت معهم (١) أو لو شئت بعصاى الى الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها قبل فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان قيل ثم ماذا قال ثم لا أعلم وعن عبد الله بن عمر انه قال تخرج الدابة ليلة جمع رواه ابن ابي حاتم وفي اسناده ابن البيهان وعن وهب ابن منبه انه حكى من كلام عزير عليه السلام انه قال وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل بسبعها (٢٣٤)

(من طين) فصارع على صور تبتديعة وشكل بديع حسن (ثم جعل نسله) أى ذريته (من سلالة) أى نطفة سميت الذرية سلالة لانها تنسل من الاصل وتنقل عنه وقد تقدم تفسيرها في سورة المؤمنين والمذكور هنا صفة ذرية آدم والمذكور ثم صفة آدم (من ماء مهين) أى ممتن لا خطر له عند الناس وهو المني وقال الزجاج من ماء ضعيف (ثم سواه) أى الانسان الذى بدأ خلقه من طين وهو آدم أو جميع النوع والمراد انه عدل خلقه وسوى شكله وقومه وناسب بين أعضائه على ما ينبغي كقوله فى أحسن تقويم (ونفخ فيه من روحه) أى جعله حيا حساسا بعد ان كان جادا والاضافة للتشريف والتكريم وهذه الضافة تقوى ان الكلام فى آدم لاني ذريته وان أمكن توجيهه بالنسبة الى الجميع وقيل للتخصيص أى نفخ فيه من الشيء الذى اخص هو به ويعلمه والاول أولى ثم خاطب جميع النوع فقال (وجعل لكم) وفيه الالتفات عن الغيبة الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لان الخطاب انما يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه بعد ذلك وقال وجعل لكم (السمع) أى الاسماع (والابصار والافئدة) أى القلوب تكمى لانعمته عليكم وتتميم التسوية من خلقكم حتى تجتمع مع لكم هذه النعم فتسمعون كل مسموع وتبصرون كل مبصر وتعلمون كل متعلم وتفهيمون كل ما يفهمهم وأقرب السمع لكونه مصدر يشمل القليل والكثير وخص السمع بالذكر المصدر دون البصر والقواد فذكرهما بالاسم ولهذا جعل الان السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن ولا اختيار لها فيه فان الصوت يصل اليها ولا يقدر على رده ولا على تخصيص السمع ببعض المسموعات دون بعض بخلاف الابصار فتحلها العين وله فيه اختيار فانها تتحرك الى جانب المرئي دون غيره وتطبق أجزافها اذ الم تر رؤية لشيء وكذلك القواد له نوع اختيار فى ادراكه فستعقل هذا دون هذا ويفهم هذا دون هذا (قليلا) أى شكر اقل قليلا وزمانا قليلا (تشكرون) وفى هذا بيان لكفرهم نعم الله وتركهم لشكرها الا فيما ندر من الاحوال (وقالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان اباطلهم بطريق الالتفات عن الخطاب الى الغيبة اذ انابان ما ذكر من عدم شكرهم لتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعيد جناباتهم (أندناضلنا فى الارض) الضلال الغيبوبة يقال ضل الميت فى التراب اذا غاب وبطل والعرب تقول للشيء اذا غلب عليه غيره حتى خفي أثره قد ضل قال قطرب المعنى غيبنا فى الارض قرئ

وتضع الحبالى قبل التمام ويعود الماء العذب أجاوا ويتعادى الاخلاء وتحرق الحكمة ويرفع العلم وتكلم الارض التي تلبها وفى ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون ويتعبون فيما لا ينالون ويعملون فيما لا ياكلون رواه ابن ابي حاتم عنه وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن ابي مريم انه سمع ابا هريرة رضى الله عنه يقول ان الدابة فيها من كل لون ما بين قرنيتها فرسخ للراكب وقال ابن عباس هي مثل الحربة الضخمة وعن أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال انها دابة لهار يش وزغب وحافر ومالها ذنب ولها الحية وانها تخرج حضر الفرس الجواد ثلثا وما خرج ثلثها رواه ابن ابي حاتم وقال ابن جرير عن ابى الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس نور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة وصدورها صدر أسد ولونها لون غمر وخاصرتها خاصرة هر وذبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر

ذراعا تتخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن الا نكتت فى وجهه بعصا موسى نكتة يضاء فتفسو ضلنا تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت فى وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفسو تلك النكتة حتى يسود بها وجهه حتى ان الناس يتبايعون فى الاسواق بكم ذابا مؤمن بكم ذابا كافر وحتى ان أهل البيت يجلسون على ما نذتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ثم تقول لهم الدابة يا فلان أأبشر أنت من أهل الجنة يا فلان أنت من أهل النار فذلك قول الله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الارض تكلمهم هم ان الناس كانوا آياتنا لا يؤقنون (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب قوله أو لو شئت بعصاى كذا فى نسخ بايدينا وحرر الرواية اه

بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال كذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون امير وانا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يقول تعالى يخبر عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بايات الله ورسله الى بين يدي الله عز وجل ليسألهم عما فعلوا في الدار الدنيا تقريرا وتوخيها وتصغيرا وتحقيرا فقال تعالى ويوم نحش من كل امة فوجا أي من كل قوم وقرن فوجا أي جماعة ممن يكذب باياتنا كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقال تعالى واذا النفوس زوجت وقوله تعالى (٢٣٥) فهم يوزعون قال ابن عباس رضى الله عنهما

يدفعون وقال قتادة وزعة يرتدا ولهم على آخرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يساقون حتى اذا جاؤا ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المساءلة قال كذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون أي فيسألون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى خبيثا قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون الاية وهكذا قال ههنا ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون أي بهتوا فلم يكن لهم جواب لانهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لانفسهم وقد ردوا الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه خافية ثم قال تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذي يجب طاعته والانقياد لوازمه وتصديق انبيائه فيما جاؤا به من الحق الذي لا محمد عنه فقال تعالى امير وانا جعلنا الليل

ضلنا بفتح ضا دمجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وضعا رصرتا ربا وغنا عن الاعين بالدفن فيها وقرئ ضلنا بكسر اللام وهي لغة العالمة من نجد قال الجوهرى وأهل العالمة يقولون ضلت بالكسر قال وأضله أي اضاعه وأهلكه يقال ضل الميت اذا دفن وقرئ صلنا بصاد مهملة ولام مفتوحة أي أتتنا وبها قرأ على والحسن والاعمش وأبان بن سعيد قال النحاس ولا يعرف في اللغة صلنا ولكن يقال صل اللحم اذا أتت قال الجوهرى صل اللحم يصل بالكسر صلولا اذا أتت مطبوخا كان أو نيئا والعامل في اذا محذوف تقديره نبعث ونخرج للدلالة قوله (آتاني خلق جديد) عليه أي نبعث ونصير أحياء والهزمة للاستنكار وهذا قول منكري البعث من الكفار فاضرب الله سبحانه من يبان كفرهم يا نكار البعث الى بيان ما هو أبلغ منه وهو كفرهم ببقاء الله فقال (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي جاحدون له مكابرة وعنادا فان اعترفهم بأنه المبدئ للخلق يستلزم اعترافهم بأنه قادر على الاعادة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم الحق ويرد عليهم ما زعموه من الباطل فقال (قل يتوفاكم ملك الموت) يقال توفاه الله واستوفى روحه اذا قبضه اليه وملك الموت هو عزرائيل وقال ذلك هنا وقال في الانعام توفته رسلنا وفي الزمر الله يتوفى النفس حين موتها ولا منافاة لان الله تعالى هو المتوفى حقيقة بخلق الموت وأمر الوسايط بنزع الروح وهم غير ملك الموت أعوان له ينزعونها من الانظار الى الخلقوم فصحت الاضافات كلها والتفعيل والاستفعال يلتقيان في مواضع مثل تقضيته واستقضيته وتجلته واستجلته (الذي وكل بكم) أي قبض أرواحكم عند حضور آجالكم قيل ان ملك الموت يدعو الارواح فتحيبها ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الأمر لذلك وهذا وجه الجمع بين الآيات كما تقدم (ثم الى ربكم ترجعون) أي تصيرون اليه تعالى أحياء بالبعث والنشور لا الى غيره فيجازيكم بأعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر (ولو ترى) لو امتناعية وجوابه محذوف أي رأيت أمر اظيعا وهو لا هائلا لا يقادر قدره والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزجاج والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبة لأمته فالمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب أو الخطاب لكل أحد ممن يصلح له كأنما من كان اذا المراد بيان كل سوء حالهم وبلوغهم من الفطاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستعظامها برءدون راء من اعتاد مشاهدة

ليسكنوا فيه أي في ظلام الليل لتسكن حر كآتهم بسببه وتمهد أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم والنهار مبصر أي منهار مشرقا فيسبب ذلك يصرفون في المعاش والمكاسب والاسفار والتجارات وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون اليها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون (ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خير مما يفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسنة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) يخبر تعالى عن هول يوم

تفخه الفرع في المور وهو كما جاء في الحديث قرن ينفع فيه وفي حديث الصور ان اسرافيل هو الذي ينفع فيه بامر الله تعالى فينفع فيه اولاً ولا تفخه الفرع ويطولها وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الاحياء فينزع من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وهم الشهداء فانهم احياء عند ربهم يرزقون قال الامام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا ابي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عمرو بن مسعود الثقفي سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنه وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث (٢٢٦) الذي تحدث ان الساعة تقوم الى كذا وكذا فقال سبحان

الله اولاله لا اله الا الله او كلمة نحوهما لقد هممت ان لا أحدث أحد شيئاً أبداً انما قلت انكم سترون بعد قليل أمر اعظم يا حنظل البيت ويكون ويكون ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجهه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان الا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيسبى شرار الناس في خفة الظير واحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيقتل لهم الشيطان فيقول الاتسجيبون فيقولون فإنا امرنا فإمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفع في الصور فلا

الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من تتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفضاعتها ويجوز ان يكون لولتني والمضى فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع (اذ المجرمون ناكسور رؤسهم) المراد بهم هم القائلون اننا ضلنا في الارض ويجوز ان يراد بالمجرمين كل مجرم ويدخل فيه اولئك القائلون دخولا اولياً والمعنى مطأطئوها وخافضوها حياءً ونذماً على ما فرط منهم في الدنيا من الشرك بالله والعصيان له (عند ربهم) أي عند محاسبته لهم (ربنا) أي يقولون ربنا (أبصرنا) الا ان ما كنا نكذب به (وسمعنا) ما كنا نكفره وقيل أبصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك فهو لاء أبصروا حين لم ينفعهم البصر وسمعوا حين لم ينفعهم السمع (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل) عملاً صالحاً كما أمرتنا وحسبنا تقضية تلك الآيات (اناموقنون) أي مصدقون وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفوا أنفسهم بالايقان الا ان طمعا فيما يطلبون من ارجاعهم الى الدنيا واني لهم ذلك فقد حقت عليهم كلمة الله فانهم لوردوا لعادو الممان واعوانهم لكاذبون وقيل هذا ادعاء منهم لخصه الافئدة والاقدر على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة صفتي البصر والسمع كانهم قالوا أيقنا وكأمن قبل لان نقل شيئاً أصلاً وانما عدلوا الى الجلالة الاسمية المؤكدة اظهاراً لثباتهم على الايقان وكال رغبة فيهم وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وقيل معنى اناموقنون انها قد زالت عنهم الشكوك التي كانت تخالطهم في الدنيا لمساراً واماراً ووسعوا ما سمعوا وقيل والمعنى صرنا نسمع ونبصر فلا يحتاج الى تقدير مفعول ثم رد الله عليهم لما طلبوا الرجعة بقوله (ولوشئنا لا نبينا) أعطينا (كل نفس هداها) أي رشدها وتوفيقها الى الايمان يعني ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا جميعاً فلم يكفر منهم أحد ولكن لم نعظهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وايشاره وهو حجة على المعتزلة فانهم أولوا الآية بمشئة الجبر وهو تأويل فاسد قال النجاشي في معنى هذا قولان أحدهما انه في الدنيا والآخر انه في الآخرة أي لوشئنا لردنا الى الدنيا (ولكن حق القول مني) أي نفذ قضائي ووجب قدرى وسبقت كلمتي وثبت وعيدي (الا ملائكة جهنم من الجنة والناس أجمعين) هذا هو القول الذي وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاءه فكان مقتضى هذا القول انه لا يعطى كل

يسمعه أحد الا صغى لينا ورفع لينا قال وأول من يسمعه رجل يلوظ حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس نفس

ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الظل أو قال الظل نعمان السائل فتسببت منه اجساد الناس ثم ينفع فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هل الى ربكم وقفوه هم انهم مسؤولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق وقوله ثم ينفع في الصور فلا يسمعه أحد الا صغى لينا ورفع لينا التي هي صفحة العنق أي أمال عنقه ليستمعه من السماء جيداً فهذه تفخه الفرع ثم بعد ذلك تفخه الصعق

وهو الموت ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور لجمع الخلائق وله هذا قال تعالى وكل أولئك الذين ظلموا فمما ينظرون يوم يغيبهم على النعل وكل بمعنى واحد وآخرين أي صاغرين من مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستحيون بحمده وقال تعالى ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون وفي حديث الصور أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ اسرافيل فيه بعد ما تنبت الأجساد في قبورها وأما كنهها فإذا انفتح في الصور طارت الأرواح توهج أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة فيقول الله عز

(٢٣٧)

والجسد ففتحي الأرواح إلى أجسادها فتدب فيها كما يدب السم في اللديغ ثم يقسمون بنفوس التراب من قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون من الأبدان سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب أي تراها كأنها بائسة باقعة على ما كانت عليه وهي تمرر السحاب أي تزول عن أماكنها كما قال تعالى يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وقال تعالى ويأولئك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيزدها قاعا صنفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وقوله تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء أي يفعل ذلك بتدبره العظيمة الذي اتقن كل شيء أي اتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع أنه خير بما يفعلون أي هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال من جاء بالحسنة فله خير منها قال قتادة

نفس هداها وانما قضى عليهم هذا لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة وأنهم من يختار الضلالة على الهدى وقد علم الجن أن المقام مقام تحقير ولأن الجهة من منسب أكثر فيما قيل ولا يلزم من قوله أجمعين دخول جميع الأنس والجن فيها لأنها تفيد عموم الأنواع لا الأفراد قاله بعض المحققين وردبانه لوقصد ما ذكر كان المناسب التثنية دون الجمع بان يقول كليهما فالظاهر أنهم العموم الأفراد والتعريف فيه مال العهد والمراد عصاتهم ما يؤيده قوله في آية أخرى خطا بالابليس لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين قاله الشهاب وفي تخصص الأنس والجن إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فذوقوا) أي العذاب والفناء لترتيب الأمر بالذوق على ما قبله أي فإذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا قاله مقاتل واستعمار الذوق للحساس وقد يعبر بالذوق عما يطير على النفس وإن لم يكن مطعوما لا حساسها به كحساس الذائقة بذوق المطعوم (بما نسيتم لقاء يومكم) الباء للسببية وفيه إشعار بأن تعذيبهم ليس مجرد سبق القول المتقدم بل بذلك واختلاف في النسب بان المذكور ههنا فقيل هو النسيان الحقيقي وهو الذي يزول عنده الذكر وقيل هو الترتيب قاله الضحاك ويحيى بن سلام والمعنى على الأول أنهم لم يعملوا ذلك اليوم فكانوا كأنما نسيتهم له وعلى الثاني لأبدن تقدير مضاف قبل اللقاء أي فذوقوا بسبب ترككم لما أمرتكم به عذاب لقاء يومكم هذا ورجح الثاني المبرد قال الرازي في تفسيره إن اسم الإشارة في قوله (هَذَا) يحتمل ثلاثة أوجه إن يكون إشارة إلى اللقاء وإن يكون إلى اليوم وإن يكون إلى العذاب (إننا نسيتكم) أي تركناكم بالكلية غير ملتفت إليكم كما يفعل الناسي قطعاً جئكم قال يحيى المعنى نسيتكم بما تركتم الإيمان بالبعث في هذا اليوم تركناكم من الخير وكذا قال السدي وقال مجاهد تركناكم في العذاب (وذوقوا) تكرر بهذا التأكيد والتشديد ولتبيين المفعول المطوى للذوق وللإشعار بأن سببه ليس مجرد النسيان بل له أسباب آخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا (عذاب الخلد) أي الدائم الذي لا انقطاع له (بما كنتم تعملون) في الدنيا من الكفر والمعاصي والتكذيب (إنما يؤمنن بآياتنا) مستأنفة لبيان من يستحق الهداية إلى الإيمان ومن لا يستحقها والمعنى إنما يصدق بآياتنا وينتفع بها (الذين إذا ذكروا بها) لا غيرهم ممن يذكر بها أي يعظ بها ولا يتذكر ولا يؤمن بها (خروا

بالإخلاص وقال زين العابدين هي لا اله الا الله وقد بين تعالى في الموضوع الآخر ان له عشر أمثالها وهم من فرغ يومئذ آمنون كما قال في الآية الأخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر وقال تعالى آمنن بلى في النار خيرام من يأتي آمننا يوم القيامة وقال تعالى وهم في الغرفات آمنون وقوله تعالى ومن جاء بالسيسة فكبت وجوههم في النار أي من لقي الله مسيئاً لا حسنة له أو قد رجحت سيئاته على حسناته كل بحسبه ولهذا قال تعالى هل تجزون إلا ما كنتم تعملون وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهدوا إبراهيم النخعي وأبو وائل وأبو صالح ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم والزهرى والسدي

والضخالة والحسن وقتادة وابن زيد في قوله ومن جاء بالسيئة يعني بالشرك (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سير يكتم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) يقول تعالى مخبر الرسول وأمره ان يقول انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء كما قال تعالى قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين يعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وماضافة الربوبية الى البلدة (٢٣٨) على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى فليعبدوا

رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله تعالى الذي حرمها اي الذي انما صارت حراما شرعا وقدرنا بتجريمه لها كما ثبت في الصحاح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بجرمة الله الى يوم القيامة لا يعرض شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يتخلى خلالها الحديث بتمامه وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسائيد من طرق جماعة تفيد القطع كما هو مبين في موضعه من كتاب الاحكام والله الخد والمثني وقوله تعالى وله كل شيء من باب عطف العام على الخاص أي هو رب هذه البلدة ورب كل شيء وليس له لاله الا هو وأمرت ان أكون من المسلمين اي الموحدين الخالصين المنقادين لاهرهم المطيعين له وقوله وان أتلو القرآن أي على الناس أبلغهم آياه كقوله تعالى ذلك تلاوه عليك من الآيات والذكر الحكيم وكقوله تعالى تلاوة عليك من بناموسى

سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين تعظيما لآيات الله وخوفا من سطوته وعذابه وتواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام (وسجوا بحمد ربهم) أي نزهوه عن كل ما لا يليق به متبسين بحمده على نعمه التي أجلها وأكلها الهداية الى الايمان بالآيات قال ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن الصلوات الخمس ومعنى الآية قالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده أو سبحان ربي الاعلى وبحمده وقال سفيان المعنى صلوا حمد الربهم (وهم لا يستكبرون) عن الايمان به والسجود له كما استكبر أهل مكة عن السجود أي حال كونهم خاضعين لله متذللين له غير مستكبرين عليه وقال ابن عباس لا يستكبرون عن اتيان الصلاة في الجماعات قيل هذه من عزائم سجود القرآن للقارئ والمستمع قال سليمان الجمل والمراد بالآيات في هذه الآية ان كان مطلق القرآن وان لم تكن فيه آية سجدة أشكل قوله نحو واستجدوا فان السجود لا يشرع لتلاوة القرآن الا اذا كان فيه آية سجدة من آيات السجود المعروفة وان كان المراد بها خصوص آيات السجدة أشكل قوله اذا ذكرها مع تفسير التذكير بالوعظ كما ذكره ووجه الاشكال ان أكثر آيات السجدة بل كلها ليس فيها وعظ أي تحوير وتذكير بالعواقب اذ هذه حقيقة الوعظ بل غالب المادح الساجدين تصريحا ونم غيرهم تلويحا كهذه الآية وقد يكون بعكس ذلك أي ذم غير الساجدين تصريحا ومدح الساجدين تلويحا كآية الانشقاق فليستأمل فلم نر من المفسرين من بين هذا ولا من تعرض له انتهى (تجاني جنوبيهم عن المضاجع) استئناف أو حال أي ترتفع وتنبو وتنجني يقال جني الشيء عن الشيء وتنجاني عنه اذ لم يلزمه ونباعنه وتنجني قال الزجاج والرماني التجاني والتجني الى جهة فوق وكذلك هو في الصفيح عن المخطئ في سب ونحوه والجنوب جمع جنب أي متجافية جنوبيهم عن مضاجعهم والمضاجع جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع فيه وهم المتعبدون في الليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء والجمهور والمراد بالصلاة التفضل بالليل من غير تقييد وقال قتادة وعكرمة هو التفضل ما بين المغرب والعشاء وبه قال أبو حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاوابين وقيل صلاة العشاء فقط وهو رواية عن الحسن وعطاء وقال الضحالك صلاة العشاء والصبح في جماعة وقيل هم الذين يقومون لذكر الله سواء كان في صلاة أو غيرها عن

وفرعون بالحق الآية أي أنا مبلغ ومنذرفن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين أي الى أسوة بالرسول الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة اليهم وخلصوا من عهدتهم وحساب أممهم على الله تعالى كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال انما انت نذير والله على كل شيء وكيل وقل الحمد لله سير يكتم آياته فتعرفونها أي الله الحمد الذي لا يعذب أحد الا بعد قيام الحجة عليه والانداز اليه ولهذا قال تعالى سير يكتم آياته فتعرفونها كما قال تعالى سيرهم آياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون أي بل هو شهيد على كل

شيء قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمامة بن يعلى الثقفي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس لا يغترون أحدكم بالله فإن الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة والخرذلة والذرة وقال أيضا حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر بن علي قال أبو أيوب أخبرني عن خالد بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال فلو كان الله مغفلا شيئا لأغفل ما تعفى الرياح من أثر قدمي ابن آدم وقد ذكر عن الامام أحمد رحمه الله تعالى انه كان ينشد هذين البيتين اماله واما غيره اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تنقل * خلوت ولكن قل على رقيب (٢٣٩) ولا تحسبن الله يغفل ساعة

ولا أن ما يخفى عليه يغيب
آخر تفسير سورة النمل والله الحمد والمنة
(تفسير سورة القصص وهي مكية)
قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله
حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن
أبيه عن أبي اسحق عن معدي كرب
قال أتينا عبد الله فسألناه ان يقرأ
علينا طسم المائتين فقال ما هي
معي ولكن عليكم بمن أخذها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم خباب
بن الارت قال فاتينا خباب بن الارت
فقرأها علينا رضى الله عنه

أنس بن مالك ان هذه الآية نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة وعنه قال نزلت في صلاة العشاء وعنه قال كانوا لا ينامون حتى يصلوا العشاء وعنه قال كأما تجتنب الفراش قبل صلاة العشاء وعنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راقدا قط قبل صلاة العشاء ولا متجدا بآبائها فان هذه الآية نزلت في ذلك وعن ابن عباس في الآية ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هم الذين لا ينامون قبل صلاة العشاء فائتني عليهم فلماذا جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة ان تغلبه عينه فوقتها قبل ان ينام الصغير ويكسل الكبير أخرجه ابن مردويه وعن بلال قال كنا نجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلون بعد المغرب العشاء تجباني جنوبهم عن المضاجع وعن أنس نحوه وعنه قال كانوا ينتظرون ما بين المغرب والعشاء يصلون وعن معاذ بن جبل قال قيام العبد من الليل وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر حديثا وارشد فيه الى أنواع من الطاعات وقال فيه وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ هذه الآية أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن أبي هريرة مر فوعاني حديث قال فيه وصلاة المرء في جوف الليل ثم تلا هذه الآية أخرجه ابن مردويه وعن أنس في الآية قال كان لا تمر عليهم ليلة الا أخذوا منها وأشهر الاقاول ان المراد منه صلاة الليل وبه قال جماعة من أهل العلم وقد ورد في فضل قيام الليل والحديث عليه من الاحاديث الصحيحة ما هو مذكور في كتب السنة وعن كعب قال اذا حشر الناس نادى مناد هذايوم الفصل لمن الذين تجباني جنوبهم عن المضاجع الحديث رواه أحمد وعن ابن عباس يقول كلما استيقظوا ذكر الله امانى الصلاة واما في القيام أو قعودا أو على جنوبهم لا يزالون يذكر الله (يدعون) أي تجباني جنوبهم حال كونهم داعين (ربهم خوفا) من عذابه (وطمعا) في رحمة قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة وفيه دليل على صحة العبادة والدعاء بالخوف والطمع وقد حققنا ذلك في هداية السائل فليرجع اليها (ومما رزقناهم) أي من الذي رزقناهم أو من رزقهم (ينفقون) وذلك الصدقة الواجبة وقبل صدقة النفل والاولى الحمل على العموم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) النكرة في سياق النفي تفيد العموم أي لا تعلم نفس من النفوس أي نفس كانت ما أخفاه الله سبحانه لاولئك الذين تقدم ذكرهم مما

* (بسم الله الرحمن الرحيم)*
(طسم تلك آيات الكتاب المبين تتلو عليك من ناموسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين وزيدا نمن على الذين استضعفوا في الارض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ويمكن لهم في الارض وزى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة

وقوله تلك أي هذه آيات الكتاب المبين أي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الامور وعلم ما قد كان وما هو كائن وقوله تتلو عليك من ناموسى وفرعون بالحق الآية كما قال تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص أي نذكر لك الامر على ما كان عليه كأنك تشاهدو كأنك حاضر ثم قال تعالى ان فرعون علا في الارض أي تكبر وتجب وطغي وجعل أهلها شيعا أي أصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته وقوله تعالى يستضعف طائفة منهم يعني بنى اسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الاعمال ويكدهم ليلانها في أشغالها وأشغال رعيته و يقتل مع هذا

اناءهم ويستحي نساءهم اهانته لهم واحتقار وخوفهم ان يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه ان يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه وكانت القبط قد اتوا هذا من بني اسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول ابراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها ماجرى حين أخذ سارة ليتخذها جارية فصانها الله منه ومنعه منها بقدرته وسلطانه فبشر ابراهيم عليه السلام ولده انه سيولد من صلبه وذرية من يكون هلاك ملك مصر على يديه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز (٢٤٠) فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني اسرائيل ولن ينفع حذر من

قدر لان أجل الله اذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب ولهذا قال تعالى وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله يحذرون وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون الى قوله يعرشون وقال تعالى كذلك وأورثناها بني اسرائيل أراد فرعون بجوله وقوته ان ينجو من موسى فانصه ذلك مع قدرة الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدرى ولا يغلب بل نفذ حكمه وجرى قلبه في القدم بان يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده وقتلت بسببه الرافان والولدان انما منشؤه ومهبطه على فراشك وفي دارك وغداؤه من طعامك وأنت تربيته وتدله وتتقده وحفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه لتعلم ان رب السموات العلا هو القاهر الغالب العظيم القوى العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فآلقيه في اليم

تقريبه أعيانهم قال أبو السعود أى لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عما عداهم وقيل المراد لانهم لم نفس ما أخفى لهم علما تفصيلا والافحن نعلم ما عدلهم ومبين من النعيم اجالا من حيث انه عرف في الجنة وقصور وأشجار وأثمار وملابس وما كل وغير ذلك قرئ قررة بالافراد وقرات بالجمع وقرئ ما أخفى بسكون الباء على انه فعل مضارع مستند الى الله سبحانه وقرئ بفصحها فعلا ماضيا مبني للمفعول وما تخفى بالنون مضمومة ويخفى بالتحسين قال ابن عباس كان عرش الله على الماء فاتخذ جنة لنفسه ثم اتخذ ذنوبا أخرى ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة ثم قال ومن ذنوبا جنتان لم يعلم الخلق ما فيها وهى التى قال الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قررة أعين تأتيهم منها كل يوم تحسنة وعنه قال هذا مما لا تفسير له وعن ابن مسعود قال انه لما كتوب في التوراة لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلم ملك مقرب ولا نبى مرسل وانه لى القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قررة عين وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة وقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قررة أعين وفي الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة وهى معروفة فلا تطول بذكرها وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم وفيه دليل على ان المراد الصلوة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا بين سبحانه ان ذلك بسبب أعمالهم الصالحة فقال (جزا بما كانوا يعملون) أى لاجل الجزاء بما كانوا يعملونه في الدين من الطاعات وأجوز واجزاء بذلك (أمن كان مؤمنا يكن كان فاسقا) الاستفهام للانكار أى ليس المؤمن كالفاسق فقد ظهر ما بينهما من التفاوت والتباين ولهذا قال (لا يستورون) ففيه زيادة تصریح لما أفاده الانكار الذى أفاده الاستفهام على أبلغ وجه وآ كده ليبنى عليه التفصيل الآتى قال الزجاج جعل الاثنين جماعة حيث قال لا يستورون لاجل معنى من وقيل ليكون الاثنين أقل الجمع وقيل أراد الجنس منهم ما ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا وهذا أولى فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وفي السمين انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعمد الوقف على فاسقا ويتدى بقوله لا يستورون أى فى المال والمستقر وفى الشرف والمنوبة والضمير فيه لمن

ولا تخافى ولا تخزنى ان ارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالنقطة آل فرعون. يكون لهم عدوا وحزنا الواقعة ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قررة عينى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدا وهم لا يشعرون) ذكر وان فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني اسرائيل خافت القبط ان يقتل بنى اسرائيل فيلونهم ما كانوا يلونه من الاعمال الشاقة فقالوا الفرعون انه يوشك ان استقر هذا الحال ان يموت شيوخهم وغلمانهم يقتلون ونسأؤهم لا يمكن ان يقوم بها تقوم به رجالهم من الاعمال فيخلص البنا ذلك فاهم بقتل الولدان عامات تركهم عامافولادها ورون عليه السلام فى

في السنة التي يترك فيها الولدان وولد موسى في السنة التي يفتلون فيها الولدان وكان لفرعون ناس موكولون بذلك وقوا بل يدرن على النساء فن رأينها قد حملت أحصوا اسمها فاذا كان وقت ولادتها لا يقبلها الا النساء القبط فان ولدت المرأة جارية تتركها وذهب وان ولدت غلاما دخل أولئك الذبايحون بايديهم الشفارا المرهفة فقتلوه ومضوا قبحهم الله تعالى فلما حملت ام موسى به عليه السلام لم يظهر عليه الخليل كغيرها ولم يقطن لها الدايات ولكن لما وضعت مذكرا ضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفا شديدا واحبته حبا زائدا وكان موسى عليه السلام لا يراه احد الا حبه فالسعيد (٢٤١) من أحبه طبعها وشرعا قال الله تعالى

وألقيت عليك محبة مني فلما ضاقت به ذرعا ألهمت في سرها وألقت في خلدتها ونفت في روعها كما قال تعالى وأوحينا إلى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ان ارادوه اليك وجعلوه من المرسلين وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل فاتخذت نابوتا ومهدت فيه مهيدا وجعلت ترضع ولدها فاذا دخل عليها أحد من تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وربطته بجبل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت ان تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الخواري فاتخذته فذهب به الى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيها وخشين ان يشتن عليها في قبحه دونها فلما كشفت عنه اذا هو غلام من أحسن الخلق واجمله وأحلاه وأبهاه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت اليه وذلك لسعادتها وما اراد الله من كرامتها وشقاؤه وتعلمها ولهذا قال فالتقطه

الواقعة على القر يقين وفيه مراعاة معناها بعد مراعاة لفظها والمراد بالنسق الكامل بقريته المتقابلة للمؤمنين والافالمؤمن قديكون فاسقا ونظيره أفنجعل المسلمين كالجرمين وقوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية اذ ليس كل مجرم ومسيء كافر وعن ابن عباس قال قال الوليد بن عتبة لعلي بن أبي طالب انا احدمك سنا وأشجع جنانا وأبسط منك لسانا وأملأ حشو الكتيبة منك فقال له علي اسكت فانما أنت فاسق فترت هذه الآية يعني بالمؤمن عليا وبانفاسق الوليد وروى نحو هذا عن عطاء بن يسار والسيدي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ثم بين سبحانه عاقبة حال الطائفتين وبدأ بالمؤمنين فقال (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) قرئ بالجمع وبالافراد والمأوى هو الذي يأوون اليه و اضاف الجنات اليه لكونه المأوى الحقيقي وقيل المأوى جنه من الجنات تأوى اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن عين العرش وقد تقدم الكلام على هذا (نزلا) أي انها معدة لهم عند نزولهم وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب اكرامه كما بيناه في آل عمران وقرئ نزلا بسكون الزاي (بما كانوا يعملون) أي بسبب ما كانوا يعملونه وليس المراد السبب الحقيقي حتى يخالف حديث لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله بل ما يقضى الى الجنة بمقتضى وعد الله تعالى ثم ذكر الفريق الآخر فقال (وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن طاعة الله وتردوا عليه وعلى رساله بالكفر والتكذيب واعلم أن العمل الصالح له مع الايمان تأثير فلذلك قال آمنوا وعملوا الصالحات وأما الكفر فلا التفتات الى الاعمال معه فلهذا لم يقل وعملوا السيئات لان المراد من قوله فسقوا كفروا ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن أن مجرد الكفر لا عقاب عليه (فأوأهم النار) أي منزلهم الذي يصيرون اليه ويستقرن فيه هو النار (كأرادوا وان يخرجوا منها أعيديا فيها) أي اذا أرادوا الخروج منها أعيديا اليها راغمين مكرهين وقيل اذا دفعهم اللهب الى أعلاها ردوا الى مواضعهم وكلمة في الدلالة على أنهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) والقائل لهم هذه المقالة هم خزنة جهنم من الملائكة أو القائل لهم هو الله عز وجل وفي هذا القول لهم حال كونهم قد صاروا في النار من الاغاطة لهم ما لا يخفى وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذا التكذيب يقابل الايمان (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) وهو عذاب الدنيا

(٣١ - فتح البيان سابع) آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا الآية قال محمد بن اسحق وغيره اللام هنا لام العاقبة لالام التعليل لانهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولا شك ان ظاهرا للقط يقضى ما قالوه ولكن اذا نظر الى معنى السياق فانه تنبى اللام للتعليل لان معناه ان الله تعالى قبضهم لالتقاطه ليجعل عدوا لهم وحزنا فيكون ابلغ في ابطال حذرهم منه ولهذا قال تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقد روى عن امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كتب كتابا الى قوم من القدرية في تكذيبهم بكتاب الله وبأقداره النافذة في علمه السابق وموسى في علم الله السابق لفرعون عدوا وحزنا قال الله تعالى ونرى

فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقلتم انتم لو شاء فرعون ان يكون موسى وليا وناصر او الله تعالى يقول ليكون لهم عدوا وحزنا و قوله تعالى وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك الاية يعني ان فرعون لما رآه هم بقتله خوفا من ان يكون من بني اسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذبذبه الى فرعون فقالت قرعة عين لي ولك فقال فرعون املك فنعم و امانى فلا فكان كذلك وهذا الله بسببه واهلكه الله على يديه وقد تقدم في حديث القتون في سورة طه هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعا (٢٤٢) عند النسائي وغيره وقوله عسى ان يتفعموا وقد حصل له ذلك وهذا الله به

واسكنها الجنة بسببه وقولها او تتخذ ولد اى ارادت ان تتخذ ولدا وتبناه وذلك انه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى وهم لا يشعرون اى لا يدرون ما اراد الله منه بالتقاطهم اياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة (واصبح فوآدا مومسي فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحر من اعليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكنون له نصيحتهم له نصيحتهم فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى مخبرا عن فوآدا مومسي حين ذهب ولدها في البحر انه اصبح فارغا اى من كل شئ من امور الدنيا الا من موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وابو عبيدة والضحك والحسن البصرى وقتادة وغيرهم ان كادت لتبدي به اى ان كادت من شدة وجودها وحزنها واسفها لتظهر انه ذهب لها ولد

قال الحسن و ابو العالية والضحاك والنخعي هو مصائب الدنيا واسقامها وقيل الحدود وقيل القتل بالسيف يوم بدر وقيل سنى الجوع بمكة سبع سنين حتى آكلوا فيها الحيف والعظام والكلاب وقيل عذاب القبر ولا مانع من الحمل على الجميع والذوق حسى ومعنوى (دون العذاب الاكبر) وهو عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) مما هم فيه من الشرك والمعاصي بسبب ما ينزل بهم من العذاب الى الايمان والطاعة ويتوبون عما كانوا فيه وفي هذا التعليل دليل على ضعف قول من قال ان العذاب الادنى هو عذاب القبر قال ابن مسعود العذاب الادنى يوم بدر والعذاب الاكبر يوم القيامة لعل من بقي منهم ان يتوب فيرجع وعنه قال العذاب الادنى سنون اصابهم لعلهم يتوبون وقال ابي بن كعب العذاب الادنى مصائب الدنيا والروم والبطشة والدخان وعنه قال يوم بدر وقال ابن عباس الحدود قال الكرخي وفي هذا التبرج وجهان أحدهما معناه لنذيقنهم اذاعة الراجين كقوله ان انسينا كم يعني تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليه أصلا فكذلك ههنا والثاني نذيقهم العذاب اذاعة يقول القائل اذراهم لعلهم يرجعون بسببه انتهى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) اى لا أحد أظلم منه لكونه سمع من آيات الله ما يوجب الاقبال على الايمان والطاعة فجعل الاعراض مكان ذلك والمجيء به للدلالة على استبعاد ذلك وانه مما لا ينبغي ان لا يكون والاستفهام انكارى (انامن المجرمين منتقمون) اى من اهل الاجرام على العموم فيدخل فيه من أعرض عن آيات الله دخولا وأوليا قال أبو السعود اى كل من اتفق منه اجرام وان هانت جرئته فكيف بمن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرما من كل مجرم أخرج ابن منيع وابن جرير وابن أبي حاتم والطبرانى وغيرهم قال السيوطى بسند ضعيف عن معاذ بن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من عقدنوا في غير حق أو عوق والديه أو مشى مع ظالم لينصره فقد أجرم يقول الله انامن المجرمين منتقمون قال ابن كثير بعد اخراجه هذا حديث غريب (ولقد آتينا موسى الكتاب) اى التوراة وانما ذكر موسى لقربه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجود من كان على دينه الزام لهم وانما لم يحتج عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا وافقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوته موسى عليه السلام فتمسك بالجمع عليه (فلاتكن) يا محمد (في مرتبة) اى

شك

وتخبر بها لولا ان الله نبتهها قال الله تعالى لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت

لاخته قصيه اى امرت ابنتها وكانت كبيرة تعنى ما يقال لها فقالت لها قصيه اى اتبعى اثره وخذى خبره وتطلبى شأنه من نواحى البلد فخرجت لذلك فبصرت به عن جنب قال ابن عباس عن جانب وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعيد وقال قتادة جعلت تنظر اليه وكانها لا تريد ذلك انه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون واجتبه امرأه الملك واستطلقته منه عرضا عليه المراضع التى فى دارهم فلم يقبل منها ثديا وابي ان يقبل شيئا من ذلك فخرحوا به الى السوق لعلهم يجسدون امرأه تصلح لرضاعته فلما

رأته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل أي حرمنا ما قد ربا وذلك لكرامته عند الله وصحة أنه لا ان يرتضع غير ثدي أمه ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سببا إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي أمته بعدما كانت حائفة فلما رأتهم حارون فبين رضعه قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفونكم لكم وهم له ناصحون قال ابن عباس فلما قالت ذلك اخذوها وشكوا في امرها وقالوا لها وما يدريك بنحيمهم له وشققتم عليه فقالت لهم ننحيمهم له وشققتم عليهم فغضبتم في صهر الملك ورجاء منفعته فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من اذاهم (٢٤٣) ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه

فأعطته ثديها فالتقمه ففرحوا بذلك فرح شديد وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى واحسنت اليها واعطتها عطاء جزيلاً وهي لا تعرف انها أمه في الحقيقة ولكن لكونه وافق ثديها ثم سألتها آسية ان تقيم عندها فترضعه فابت عليها وقالت ان لي بعلًا وأولادًا ولا أقدر على المقام عندك ولكن ان أحببت ان أرضعه في بيتي فعلت فاجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلوات والكسوى والاحسان الجزيل فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمنا في عز وجه ورزق دار ولهدا جاء في الحديث مثل الذي يعمل ويحسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ولم يكن بين السدة والفرج الا القليل يوم وليله أرضعوه والله أعلم فسبحان من بيده الامر ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجا وبعد كل ضيق مخرجا ولهذا قال تعالى فرددناه إلى أمه كي ترضعها أي به ولا تحزن أي

شك وريبة (من لقائه) قال الواحدى قال المفسرون وعذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سلبت موسى قبل ان يموت ثم اقيمه في السماء أو في بيت المقدس حين اسرى به وهذا قول مجاهد والكلبي والسدي وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى للكاتب قاله الزجاج وقال الحسن ان معناه ولقد آتينا موسى الكتاب فكذب وأوذى فلا تكن في شك من انه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والاذى فيكون الضمير في لقائه على هذا إلى محذوف والمعنى من لقائه ما لاقى موسى قال النحاس وهذا قول غريب وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه فغاف معترضين ولقد آتينا موسى الكتاب وبين قوله الآتى وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقيل الضمير راجع إلى الكتاب الذي هو القرآن كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى ان آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناك مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لتلقى مثله ونظيره وما بعد هذا ولعل الحامل لقائه عليه قوله وجعلناه هدى لبني اسرائيل فان الضمير راجع إلى الكتاب وقيل ان الضمير في لقائه عائد إلى الرجوع المفهوم من قوله ثم إلى ربكم ترجعون أي لا تكن في مرية من لقاء الرجوع وهذا بعيد جدا قال السمين وهذه أقوال بعيدة ذكرتها للتنبه على ضعفها وأظهرها ان الضمير أم موسى وأما الكتاب أي لا ترتب في ان موسى لقي الكتاب وأزل عليه وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلا طويلا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم من مروع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله اياه قال فلا تكن في مرية من لقائه فكان قتادة يفسرها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد لقي موسى وأخرج الطبراني وابن مردويه والضياء في المختار بسند قال السيوطي صحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تكن في مرية من لقائه قال من لقاء موسى قيل أولي موسى قال نعم الا ترى إلى قوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وروى البخاري عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره وصح في حديث المعراج أيضا انه رآه

عليه وتعلم أن وعد الله حق أي فيما وعدنا من رده اليها وجعله من المرسلين فيمنه تحققت رده اليها انه كائن منه رسول من المرسلين فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعًا وشرعًا وقوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة فربما يقع الامر كرها إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الامر كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان يحبوا شيئا وهو شر لكم وقال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمة وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين

يقولان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى ففضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين) لماذا كر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام ذكرانه لما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما قال مجاهد يعني النبوة وكذلك تجزي المحسنين ثم ذكر تعالى سبب وصوله الى ما كان تعالى قدر له من النبوة والتكليم قضية قتله ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية (٢٤٤) الى بلاد مدين فقال تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من

أهلها وقال ابن جرير عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وذلك بين المغرب والعشاء وقال ابن جرير عن ابن المنكدر عن عطاء ابن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكان عكرمة وسعيد بن جبير والسدي وقتادة فوجد فيهما رجلين يقتتلان أي يتضاربان ويتنازعان هذا من شيعته أي اسراييلي وهذا من عدوه أي قبطي قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن اسحق فاستغاث الاسراييلي بموسى عليه السلام ووجد موسى فرصة وهو غفلة الناس فعمد الى القبطي فوكزه موسى عليه السلام ففضى عليه قال مجاهد وكزه أي طعنه يجمع كفه وقال قتادة وكزه بعضا كانت معه ففضى عليه أي كان فيها حتفه فمات قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة فان اكون

في السماء السادسة فلعل رؤيته كانت في قبره قبل صعوده الى السماء ثم سعد اليها فوجده هناك قد سبقه لما يريد الله وهذا وجه الجمع بين هذين الحديثين على ما ذكره الخازن واختلف في الضمير في قوله (وجعلناه) فقول راجع الى الكتاب أي جعلنا التوراة (هدى لبني اسرائيل) قاله الحسن وغيره وقال قتادة انه راجع الى موسى أي وجعلنا موسى هدى لبني اسرائيل (وجعلنا منهم أئمة) أي قادة يقتدون بهم في دينهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء وقيل العلماء قاله قتادة وقرئ أئمة قال النحاس وهو لحن عند جميع النحويين لانه جمع بين همزتين في كلمة واحدة (يهدون) أي يدعوهم الى الهداية بما يلقونه اليهم من احكام التوراة ومواعظها (يا مرنا) لهم بذلك أو لاجل أمرنا (لما صبروا) أي حين صبروا والضمير للائمة وفي المعنى الجزاء والتقدير لما صبروا وجعلناهم أئمة أي لصبرهم وهذا الصبر هو صبرهم على مشاق التكليف والهداية للناس وقيل صبر واعن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر ثمرته امامة الناس (وكانوا باياتنا) التنزيلية التي في تضاعيف الكتاب (يوقنون) أي يصدقون بها ويعلمون انها حق وانها من عند الله ازيد تفكيرهم وكثرة تدبرهم (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) أي يقضى بينهم ويحكم بين المؤمنين والكفار وقيل يقضى بين الانبياء وأئمتهم حكاه النقاش (فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهروا الحق من المبطل (أولم يهد لهم) أي أولم يبين لاهل مكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أغفلوا ولم يبين لهم وقرئ يهد بالتحية وبالنون وهي واضحة والفاعل ما دل عليه قوله (كم أهلكنا) أي كثرة اهلاكا وقال المبردان الفاعل الهندي المدلول عليه بيهد أي أولم يهد لهم الهدى (من قبلهم) حال من قوله (من القرون) كعادته وعوده وقوم لوط وشوشم (يشون في مساكنهم) أي والحال انهم يشون في مساكن المهلكين ويشاهدونها ونظرون ما فيها من العبر والآثار العذاب ولا يعتبرون بذلك وقيل الضمير يعود الى المهلكين والمعنى أهلكناهم حال كونهم ماشين في مساكنهم والاول وأولى وقيل جملة مستأنفة بيان لوجه هدايتهم والمعنى يمرون في أسفارهم الى التجارة على ديارهم وبلادهم (ان في ذلك) المذكور من كثرة اهلاكا الامم الخالية (لايات عظيمة) أفلا يسمعون) ويتعظون بها (أولم يروا اننا نسوق الماء الى الارض الجزل) أي أولم يعلموا بسوقنا الماء الى الارض التي لا تنبت الا بسوق الماء اليها وقيل هي

اليابسة

ظهيرا أي معينا للمجرمين أي للكافرين بك المخالفين لامر الله (فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي

استنصره بالامس يستنصره قال له موسى انك اغوى مبين فلما أن أراد ان يبطش بالذي هو عدو له ما قال يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تزيد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين) يقول تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام لما قتل ذلك القبطي انه أصبح في المدينة خائفا أي من معزة ما فعل بترقب أي تثلث وتوقع ما يكون من هذا الامر في بعض الطرق فاذا ذلك الذي استنصره بالامس على ذلك القبطي يقاوم آخر فلما امر عليه موسى استنصره على الآخر فقال له

موسى انك لغوى ميين أى ظاهر الغواية كثير الشرم عزم موسى على البطش بذلك القبطى فاعتقد الاسرا يسلى لخوره وضعفة
 وذلته ان موسى انما يريد قصده لماسعه يقول ذلك فقال يدفع عن نفسه يا موسى أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسك بالامس وذلك لانه لم
 يعلم به الا هو وموسى عليه السلام فلما سمعها ذلك القبطى لفقها من نفسه ثم ذهب بها الى باب فرعون وألقاها عندهم فلم فرعون بذلك
 فاشتهد حنقه وعزم على قتل موسى فظلموه فبعثوا وراه ليحضره ولذلك (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملائكة
 يأترون بك ليقتولوك فاخرج انى لك من الناصحين) قال تعالى وجاء رجل (٢٤٥) وصفه بالرجولية لانه خالف الطريق

فسلك طريقاً قريباً من طريق
 الذين بعثوا وراه فسبق الى موسى
 فقال له يا موسى ان الملائكة يأترون
 بك أى يشاورون فيك ليقتولوك
 فاخرج انى لك من البلد انى لك من
 الناصحين (نخرج منها خافئاً يترقب
 قال رب نجى من القوم الظالمين
 ولما توجه تلقاه مدين قال عسى ربي
 ان يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء
 مدين وجد عليه أمة من الناس
 يسقون ووجد من دونهم امرأتين
 تذودان قال ما خطبك قالتا لانسقى
 حتى يصدر الرعاء وأبو ناسخ كبير
 فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال
 رب انى لما أنزلت الى من خير فقير)
 لما أخبره ذلك الرجل بما اتى عليه
 فرعون ودولته فى أمره خرج من
 مصر وحده ولم يألف ذلك قبله بل
 كان فى رفاهة ونعمة ورياسة
 نخرج منها خافئاً يترقب أى يتلفت
 قال رب نجى من القوم الظالمين
 أى من فرعون وملئه فذكروا ان
 الله سبحانه وتعالى بعث اليه ملكا
 على فرس فأرشدته الى الطريق فآتته
 أعلم ولما توجه تلقاه مدين أى
 أخذ طريقاً يقاس الكاهن بها فرح

اليابسة وأصله من الجر وهو القطع أى التى تقطع نباتها لعدم الماء وازيل بالمره ولا يقال
 لتي لا تنبت أصلاً كالسباخ جر زلقوله الا تخرج به زرعاً قال ابن عباس الجر زالتى
 لا تمطر الامطر الا يغنى عنها شيئاً الاما يأتيا من السيول وعنه قال هى أرض باليمن وقيل
 أين قال القرطبي فى تفسيره والاسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه وقيل أرض
 عدن قال الضحاك هى الأرض العطشاء وقال الفراء هى الأرض التى لا نبات فيها وقال
 الاصمعى هى الأرض التى لا تنبت شيئاً قال المبرد يعبدان يكون لارض بعينها لدخول
 الالف واللام وقيل هى مشتقة من قولهم رجل جر وزاذا كان لا يبقى شيئاً الا أكله
 وكذلك ناقه جر وزاذا كانت تأكل كل شئ تجده وقال مجاهد انها أرض النيل لان الماء
 انما يأتيا فيها فى كل عام (فخرج به) أى بالماء (زرعاً) كل منه انعامهم أى من الزرع كالتبن
 والقصل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها ونحوها مما لا يأكله الناس (وأأنفسهم)
 أى يأكلون من الحبوب والثمار والاقوات الخارجة من الزرع مما يقناتونه وقدم الانعام
 لان انتفاعها مقصور على النبات ولان أكلها منه مقدم لانها تأكله قبل ان يثمر ويخرج
 سنبله (أفلا يبصرون) هذه النعم ويشكرون المنعم ويوحده لكونه المتفرد بايجاد
 ذلك وجعلت الفاصلة يبصرون لان الزرع مرئى وفيما قبله يسمعون لان ما قبله مسموع
 أو ترقيا الى الاعلى فى الاعتباط بالغة فى التذكير ودفع العذر (ويقولون) بطريق الاستعجال
 تكذيباً واستهزاء والقائلون هم الكفار على العموم أو كفار مكة على الخصوص (متى
 هذا الفتح) الذى تعدنا به يعنون بالفتح القضاء والفصل بين العباد وهو يوم البعث الذى
 يقضى الله فيه بين العباد قاله مجاهد وغيره قال الفراء والقتيبي هو فتح مكة قال قتادة
 قال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للكفار ان لنا يوماً نتنم فيه ونستريح ويحكم
 الله بيننا وبينكم يعنون يوم القيامة فقال الكفار متى هذا الفتح وقال السدى هو يوم
 بدر لان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا
 ومظهرنا عليكم وعن ابن عباس قال يوم بدر فتح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينفع
 الذين كفروا ايمانهم بعد الموت (ان كنتم صادقين) فيما تدعون من نصر المؤمنين
 واطهارهم على الكفار ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيب عليهم
 فقال (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) وفى هذا دليل على ان يوم الفتح هو يوم

بذلك قال عسى ربي ان يهدينى سواء السبيل أى الطريق الاقوم ففعل الله به ذلك وهداه الى الصراط المستقيم فى الدنيا والآخرة
 فجعله هادياً مهدياً ولما ورد ماء مدين أى لما وصل الى مدين وورد ماءها وكان لها بئر يرد ماء الشاء وجد عليه أمة من الناس
 يسقون أى جماعة يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تكفكفان عنهما ان ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا فلما
 راها موسى عليه السلام رفق لهما ما ورجهما قال ما خبرك بالآتران مع هؤلاء قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء أى
 لا يحصل لنا سقى الا بعد فراغ هؤلاء وأبو ناسخ كبير أى فهذا الحال المحبب لنا الى ما ترى قال الله تعالى فسقى لهما قال أبو بكر بن

أبي شيبه حدثنا عبيد الله أنبأنا إسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطبق رفعها الا عشرة رجال فاذا هربا مراً تين تذودان قال ما خطبك كخداه فاتي الحجر فرفعه ثم لم يستق الا ذنوباً واحدا حتى رويت الغنم اسناد صحيح وقوله تعالى ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس سار موسى من مصر الى مدين ليس له طعام الا البقل وورق الشجر وكان حافياً غاوصل (٢٤٦) الى مدين حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفة

القيامة الذي هو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم لان يوم فتح مكة ويوم بدر كلهم مما هما يتفجع فيه الايمان وقد أسلم أهل مكة يوم الفتح وقبل منهم ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ولا يقبل منهم الايمان والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتبسيه على انه ليس مما ينبغي ان يستل عنه لكونه أمراً ينافوا والمحتاج الى البيان عدم نفع ايمانهم في ذلك اليوم كانه قيل لا تستعجلوا فكا في بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا والاية ان عمت غير المستهزئين فهي تعميم بعد تخصيص وان خصت بهم فهو اظهار في مقام الاضمار تسجيلا عليهم بالكفر وبيان الالء عدم النفع وعدم امهالهم (ولا هم ينظرون) أي لا يهلون ولا يؤخرون بتأخير العذاب عنهم ليتوبوا ويعتدروا ولما فتحت مكة هربت قوم من بني كنانة فلقحهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبله منهم خالد وقتلهم (فاعرض عنهم) أي عن سفههم وتكذيبهم ولا تجبههم الابعاء أمرت به (وانظروا) يوم الفتح وهو يوم القيامة أي يوم اهلا كههم بالقتل وموعدي للبال نصر عليهم (انهم منتظرون) لاهلاككم وانظروا عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك والاية منسوخة بآية السيف وذلك قوله لا ينفع الخ قاله ابن عباس وقيل غير منسوخة اذ يقع الاعراض مع الامر بالقتال وقرئ منتظر ونفتح الظلمة مبيناً للمنعول قال القراء لا يصح هذا الا باضمار أي انهم منتظر بهم قال أبو حاتم الصحيح الكسر أي انظروا عذابهم انهم منتظرون هلاككم

* (سورة الاحزاب هي ثلاث وسبعون آية) *

قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ذر قال قال لي أبي بن كعب كأي تقرأ سورة الاحزاب أو كأي تعدها قلت ثلاثاً وسبعين آية فقال أقط لتقدر أيتها وانها لتعادل سورة البقرة أو أكثر من سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذ ازينا فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزير حكيم فرفع فيما رفع قال ابن كثير واسناده حسن وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد يا أيها الناس ان الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها وعيناها والشيخ والشيخة اذ ازينا فارجوهما البتة

الله من خلقه وان بطنه للاصق بظهوره من الجوع وان خضرة البقل لتري من داخل جوفه وانه لمحتاج الى شق عمرة وقوله الى الظل قال ابن عباس وابن مسعود والسدي جلس تحت شجرة وقال ابن جرير حدثني الحسين بن عمرو العنقزي حدثنا أبي حدثنا إسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو ابن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود قال أحدثت على جبل ليلتين حتى صبحت مدين فسأت عن الشجرة التي أوى اليها موسى فاذا هي شجرة خضراء ترف فاهوى اليها جمل وكان جاعاً فاخذها فعا لها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت وفي رواية عن ابن مسعود انه ذهب الى الشجرة التي كلم الله منها موسى كما سيأتي ان شاء الله فانه أعلم وقال السدي كانت الشجرة من شجر السمرو قال عطاء بن السائب لما قال موسى رب اني لما أنزلت الي من خير فقير أسمع المرأة (بخاءته) احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت

لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تحتنجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال اني أردان أنكحك احدي ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان أتمت عشرافن عندك وما أردان أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل) لما رجعت المرأتان سر يعا بالغنم الى أيهما أنكر حالهما بسبب حجيتهم ماسر يعا فأسألها عن خبرهما فقستا عليه ما فعل موسى عليه السلام فبعث احداهما اليه لتدعوه الى أيهما قال الله تعالى بخاءته احداهما تمشي على استحياء أي

مشى الحرائر كاروى عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أنه قال جاءت مسطرة بكم درعها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم
 حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون قال قال عمر رضى الله عنه جاءت تمشى على استحياء قائله بثوبها على وجهها
 ليست بسلفع دلاجة ولاجة خراجة هذا اسناد صحيح قال الجوهري السلفع من الرجال الجسور ومن النساء الجرية السليطة
 ومن النوق الشديدة قات ان أبى يدعوك ليجزيك أجز ما سقيت لنا وهذا تأدب في العادة لم تطلبه طلبا مطلقا لتسلايوهم رية بل
 قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجز ما سقيت لنا يعني ليشيمك (٢٤٧) ويكافئك على سقيك لغنما فلما جاءه وقس

عليه القصص أى ذكره ما كان
 من أمره وما جرى له في السب
 الذى خرج من أجله من بلده قال
 لا تحف نجوت من القوم الظالمين
 يقول طب نفسا وقر عيننا فقد
 خرجت من مملكتم فلاحكم لهم
 في بلادنا ولهذا قال نجوت من
 القوم الظالمين وقد اختلف

ورجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجنا بعده فاخشى ان يطول بالناس زمان ان
 يقول قائل لا نجد آية في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وقد روى عنه نحو هذا
 من طرق وعن عائشة قالت كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها الا على ما هو الآن قال النسبى
 واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلها الداجن فن تاليفات
 الملاحدة والر وافض

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(بأيها النبي) أى يا أيها المخبر عنا المؤمنون على أسرارنا المبلغ خطابنا وانما لم يقل يا محمد
 كما قال يا آدم يا موسى تشرى بقاله وتوحيها بنفض له وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله
 ونحو ذلك تعليم الناس بان رسول الله لقبه بذلك ويدعوه به (اتق الله) أى دم على ذلك
 وازدد منه فهو باب واسع وعرض عريض لا يدرك مداه ولا ينال منتهاه (ولا تطع
 الكافرين) من أهل مكة ومن هو على مثل كفرهم (والمنافقين) الذين يظهرون الاسلام
 ويطنون الكفر قال الواحدى انه أراد سبحانه بالكافرين أباسفیان وعكرمة وأبا
 الاعور السلمى وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل ان
 لها شفاعت من عبدنا قال والمنافقين عبد الله بن أبى وعبد الله بن سعد بن أبى سرح
 (ان الله كان عليا حكيميا) أى كثير العلم والحكمة بايغها ما قال النحاس ودل بقوله هذا على
 انه كان عيلا الهم يعنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم استدعاء الهم الى الاسلام والمعنى ان
 الله عز وجل لو علم ان ميلك الهم فيه منفعه لما نهاك عنهم لانه حكيم ولا يخفى بعد هذه
 الدلالة التى زعمها ولكن هذه الجملة تعليل لجملة الامر بالتقوى والنهى عن طاعة
 الكافرين والمنافقين والمعنى انه لا يأمرك أو ينهك الا بما علم فيه صلاحاً وفساداً انكثرة
 علمه وسعة حكمته (واتبع) فى جميع أمورك (ما يوحى اليك من ربك) من القرآن ولا
 تتبع شيئا مما عداه من مشورات الكافرين والمنافقين ولا من رأى البحت فان فيما
 أوحى اليك ما يغنيك عن ذلك (ان الله كان بما تعملون خبيراً) تعاميل لامره باتباع
 ما أوحى اليه وتأ كيدلوه جبهه والامر له صلى الله عليه وآله وسلم أمر لامته فهم مأمورون

المفسرون في هذا الرجل من هو
 على أقوال أحدها انه شعيب
 النبي عليه السلام الذى أرسل الى
 أهل مدين وهذا هو المشهور عند
 كثير من العلماء وقد قاله الحسن
 البصرى وغير واحد ورواه ابن أبى
 حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن عبد
 العزيز الاودى حدثنا مالك بن أنس
 انه بلغه ان شعيبا هو الذى قص
 عليه موسى القصص قال لا تحف
 نجوت من القوم الظالمين وقد
 روى الطبرانى عن سلمة بن سعد
 العنزى انه وفد على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال له مرحبا بقوم
 شعيب واختان موسى هديت
 وقال آخرون بل كان ابن أخى شعيب
 وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب
 وقال آخرون كان شعيب قبل زمان

موسى عليه السلام مدة طويلة لانه قال لقومه وما قوم لوط منكم يعيدون وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص
 القرآن وقد علم انه كان بين الخليل وموسى عليه السلام مدة طويلة تزيد على أربع مائة سنة كاذر غير واحد وما قيل ان شعيبا
 عاش مدة طويلة انما هو والله أعلم احتراز من هذا الاشكال ثم من المقوى لكونه ليس بشعيب أنه لو كان اياه لا وشك ان ينص على
 اسمه في القرآن ههنا وما جاء في بعض الاحاديث من التصريح بجد كره في قصة موسى لم يصح اسناده كما سنده كره قريبا ان شاء الله ثم من
 الموجود في كتب بنى اسرائيل ان هذا الرجل اسمه ثيرون والله أعلم قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود واثرون هو ابن أخى شعيب

علمه السلام وعن أبي حنيفة عن ابن عباس الذي استأجر موسى يثربي رواه ابن جرير ثم قال الصواب ان هذا لا يدرك الا بخبر
ولا خبر تجب به الخسة في ذلك وقوله تعالى قالت احدهما يا ابا استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين اى قالت احدى
ابنتي هذا الرجل قيل هي التي ذهبت وراهم موسى عليه السلام قالت لا يباها اى استأجره اى لرعيته هذه الغنم قال عمرو بن
عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقتادة ومحمد بن اسحق وغير واحد لما قالت ان خير من استأجرت القوى الامين قال لها ابوها
وما علمك بذلك قالت له انه رفع الصخرة التي (٢٤٨) لا يطبق حملها الا عشرة رجال وانى لما حثت معه تقدمت امامه فقال لى

كونى من ورأى فاذا اختلف على
الطريق فاحذرنى بحصاة أعلم بها
كيف الطريق لا هتدى اليه وقال
سفيان الثوري عن أبي اسحق عن
أبي عبيدة عن عبد الله هو ابن مسعود
قال أفرس الناس ثلاثة أبو بكر
حين تفرس في عمر وصاحب يوسف
حين قال أكرمي منواه وصاحبة
موسى حين قالت يا ابا استأجره
ان خير من استأجرت القوى
الامين قال انى أريد ان أنكح
احدى ابنتي هاتين اى طلب اليه
هذا الرجل الشيخ الكبير ان يعرى
غنمه ويرزوجه احدى ابنتيه هاتين
قال شعيب الجبائي وهما صفورا
وليا وقال محمد بن اسحق صفورا
وشرفا ويقال ليا وقد استدلت
أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على
صححة البيع فيما اذا قال بعثك أحد
هذين العبدين بمائة فقال اشترت
انه يصح والله أعلم وقوله على ان
تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا
فمن عندك اى على ان ترعى غنمى
ثمانى سنين فان تسبرعت بزياة
سنتين فهو اليك والافنى الثمان
كفاية سجدنى ان شاء الله من

باتباع القرآن كما هو مأثور باتباعه ولهذا جاء بخطابه وخطابهم في قوله بما توعم لون على
قراءة الجهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتسمية والواو ضمير الكفرة والمنافقين اى
انه خير بما كيدهم في دفعها عنك (وتوكل على الله) اى اعتمد عليه وفوض امورك اليه
(وكفى بالله وكيل) اى حافظا يحفظ من توكل عليه وقيل كنيلا برزقك وقال الزجاج
لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اکتف بالله وكيل ثم ذكر سبحانه مثلاً توطئة وتمهيد لما
يتبعه من الاحكام القرآنية التي هي من الوحي الذي أمره الله باتباعه فقال (ما جعل الله
لرجل من قلوبين في جوفه) وقيل هي مثل ضربه الله للمظاهر اى كما لا يكون للرجل قلبان
كذلك لا تكون امرأة المظاهر اى حتى تكون له امان وكذلك لا يكون للدعي ابن الرجل
وقيل كان الواحد من المنافقين يقول لى قلب يا امرئى بكذا وقلب بكذا فنزلت الآية برد
النفاق وبيان انه لا يجتمع مع الاسلام كما لا يجتمع قلبان والقلب بضعة صغيرة على هيئة
الصنوبرة خلقها الله وجعلها محلا للعلم ومن زائدة وقال في جوفه لانه معدن الروح
الحيوانى المتعلق للنفس الانسانية ومنبع القوى باسرها فمتبع تعدده لانه يؤدى الى
التناقض وهو ان يكون كل منهما أصل لكل القوى وغيرها أصل لها عن ابن عباس قال قام
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً يصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه
الأتري ان له قلوبين قلباً معكم وقلبا معهم فنزل ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه وعنه
بلفظ صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة فسمها فيها فخطرت منه كلمة فسمها
المنافقون فقالوا ان له قلوبين فنزلت وعنه أيضاً قال كان رجل من قريش يسمى من دهائه
ذا القلوبين فانزل الله هذا في شأنه (وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم)
قرئ اللاتى بياء سا كنه بعد همزة و بياء سا كنه بعد ألف محضة قال أبو عمرو بن العلاء
انها لغة قريش التي أمر الناس ان يقرؤا بها وتظاهر ون مضارع ظاهر وقرئ مضارع
تظاهر والاصل تظاهر وقرئ تطهرون والاصل تطهرون وأخذ ذلك من لفظ
الظهور كاخذ لى من التلبسة وانما عدى بمن لانه ضمن معنى التباعد كانه قيل متباعدين
من نساءكم بسبب الظهار كما تقدم في تعدية الايلاء بمن فى البقرة والظهار أصله ان
يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر اى والمعنى ما جعل الله نساءكم اللائى تقولون
لهن هذا القول كما هاتكم فى التحريم ولكنه منكر من القول وزور وانما تجب به

الصالحين اى لأشواقك ولأواذيك ولأماريك وقد استدلو بهذه الآية الكريمة لمذهب الاوزاعى فيما الكفارة

اذا قال بعثك هذا بعشرة نقداً أو بعشرين نسيئة انه يصح ويختار المشتري بايهما أخذ صح وجعل الحديث المروى فى سنن أبي داود
من باع بيعتين فى بيعته فله أو كسهما أو الرباعى هذا المذهب وفى الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث على هذا المذهب نظر
ليس هذا موضع بسطه لطوله والله أعلم ثم قد استدلت أصحاب الامام أحمد ومن تبعهم فى صححة استئجار الاجير بالطعمة والكسوة
بهذه الآية واستأنسوا فى ذلك بما رواه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه فى كتابه السنن حيث قال باب استئجار الاجير على طعام بطنه

ابن عباس مرفوعاً قال ابن جرير حدثنا أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت جبريل أي الاجلين قضي موسى قال أتمهما وأكلهما ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الحميدي عن سفيان وهو ابن عيينة حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب وكان من أسناني أو أصغرمي فذكره وفي اسناده قلب و ابراهيم هذا ليس بمعروف ورواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن أعين عن الحكم (٢٥٠) بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

فذكره ثم قال لا يعرفه مرفوعاً عن ابن عباس الا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم قرئ على يونس ابن عبد الاعلى أن ابانا ابن وهب أن ابانا عمرو بن الحرث عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن يوسف بن تيرح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الاجلين قضي موسى قال لا علم لي فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال جبريل لا علم لي فسأل جبريل ملكاً فوقه فقال لا علم لي فسأل ذلك الملك ربه عز وجل عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه محمد صلى الله عليه وسلم فقال الرب عز وجل قضي أبرهما وأبقاهما أو قال أزكاهما وهذا مرسل وقد جاء مرسل من وجه آخر وقال سند حدثنا سجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أي الاجلين قضي موسى فقال سوف أسأل اسرافيل فسأله فقال سوف أسأل الرب عز وجل فسأله فقال أبرهما وأوقاهما طريق أخرى مرسله أيضاً قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي حدثنا أبو معشر عن

عند الله) تعديل للامر ببناء الابناء لا باء الضمير راجع الى مصدر ادعواهم ومعنى أقط أعدل أي أعدل من كل كلام يتعلق بذلك فترك الأضافة للعموم كقوله الله أكبر وأعدل من قولكم هو ابن فلان ولم يكن ابنه لصلبه وأقسط افعل تنضيل قصـ مدبه الزيادة مطلقاً من القسط بمعنى العدل وانظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجمل الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينهما ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينهما ثم فصل بالطلبية ثم عم الارشاد للعباد فقال (فان لم تعلموا آباءهم) تنسبونهم اليهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين ومواليكم) فقولوا أخي ومولاى ولا تقولوا ابن فلان حيث لم تعلموا آباءهم على الحقيقة قال الزجاج مواليتكم أي اولياؤكم في الدين وقيل المعنى فان كانوا محررين ولم يكونوا أحرار فقولوا موالى فلان (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي لا اثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد قبل النهى فسدقوه الى غير آبيه (ولكن) الاثم (ما تعدت قلوبكم) وهو ما قلتموه على طريقة العمدة من نسبة الابناء الى غير آباءهم مع علمكم بذلك قال قتادة لودعوت رجلاً بغير آبيه وأنت ترى أنه أتوه لم يكن عليك بأس بخلاف الخال في زيد فإنه لا يجوز أن يقال فيه زيد بن محمد فان قاله أحد متعمداً عصي بقوله هذا عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من ادعى الى غير آبيه وهو يعلم انه غير آبيه فالجنة عليه حرام أخرجه البخاري ومسلم (وكان الله غفوراً رحيماً) يغفر للمخطئ ويرحمه ويتجاوز عنه أو غفوراً للدنوب رحيماً بالعباد ومن جله من يغفر له ويرحمه من دعا رجلاً بغير آبيه خطأ وقبل النهى عن ذلك وعلى سبق اللسان ثم ذكر سبحانه لرسوله من بركة عظيمة وخصه وصية جليلة لا يشاركه فيها أحد من العباد فقال (الذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي هو أحق بهم وأرفق وأشفق في كل مادعاهم اليه من أمور الدين والدنيا فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم وهو يدعوهم الى ما فيه نجاتهم فيجب عليهم أن يؤثره بما أراد من أمورهم وان كانوا محتاجين اليها ويجب عليهم أن يجوه بزيادة على حبهم أنفسهم ويجب عليهم أن يقدموا حكمه عليهم على حكمهم لانفسهم وبالجملة فاذا دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشيء ودعاهم أنفسهم الى غيره وجب عليهم ان يقدموا مادعاهم اليه ويؤخروا مادعاهم أنفسهم اليه ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لانفسهم ويقدموا طاعته على ما تبيل اليه أنفسهم

محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاجلين قضي موسى قال أوقاهما وتطلبه وأتمهما فهذه طرق متعاضدة ثم قدرى هذا مرفوعاً من رواية أبي ذر رضى الله عنه قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا اسحق بن ادريس حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الاجلين قضي موسى قال أوقاهما وأبرهما قال وان سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما ثم قال البزار لا نعلم يروى عن أبي ذر الا بهذا الاسناد وقدرى ابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران وهو

ضعف ثم قدروى أيضا نحوه من حديث عتبة بن المنذر بزيادة غريبة جدا فقال أبو بكر البرزاني حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى الاجلين قضى موسى قال أبرهما وأوقاهما ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام لما أراد فراق شعيب عليه السلام أمر امرأته ان تسأل أباهما ان يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالبون قال فاحمرت شاة الا ضرب موسى جنبها بعصاه فولدت (٢٥١) قوالب ألوان كلها وولدت اثنتين وثلاثا

كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا كمشة تفوت الكف ولا تعول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحت الشام فانكم ستجدون بقايا منها وهى السامرة هكذا أورده البرزاني وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة ح وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أبا نال الوليد أبا نال عبد الله بن لهيعة عن الحرث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى عليه السلام أجز نفسه بعفة فوجه وطعمة بطنه فلما وفى الاجل قيل يا رسول الله أى الاجلين قال أبرهما وأوقاهما فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته ان تسأل أباهما ان يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت غنمه من قالبون من ولذلك العام وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى عليه السلام الى

وتطلبه خواطرهم وقيل المراد بانفسهم فى الآية بعضهم فيكون المعنى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من بعضهم ببعض وقيل هى خاصة بالقضاء أى هو أولى بهم من أنفسهم فيما قضى بينهم وقيل أولى بهم فى الجهاد بين يديه وبذل النفس دونه وقيل أولى بهم أى أرف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفى قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبوهم فى الدين والاول أولى وقد أخرج البخارى وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من مؤمن الا واولى الناس به فى الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيم مؤمن ترك ما لا فلت رثه عصيته من كانوا فان ترك ديناً أو وضياً عا فلما أتى فانا مولاه وقد ثبت فى الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم قال والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين واخرج ابن ابى شيبه وأحمد والنسائى عن بريدة قال غزوت مع علي بن أبي طالب منته جفوة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت علياً فنقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغير وقال يا بريدة أليست اولى بالمؤمنين من انفسهم قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من كنت مولاه فعلى مولاه (وازواجه) صلى الله عليه وآله وسلم سواء دخل بهن أو لا وسواء مات عنهن أو طلقهن (امهاتهم) أى مثل امهاتهن فى الحكم بالتحريم ومنزلات منزلتهن فى استحقاق التعظيم فلا يحل لاحد أن يتزوج بواحدة منهن كما لا يحل له ان يتزوج بأمه فهذه الأمومة مختصة بتحريم النكاح لهن تحريم ما يؤيدوا بالتعظيم لجنابهن لافى النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام فى حقهن كما فى حق سائر الاجانب وتخصيص المؤمنين يدل على انهن لسن امهات النساء المؤمنين ولا يثبتن اخوات المؤمنين ولا اخواتهم من اخوال المؤمنين وقال القرطبي الذى يظهر لى انهن امهات الرجال والنساء تعظيماً لحقهن على الرجال والنساء كما يدل عليه قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة قال ثم ان فى مصحف أبى بن كعب وازواجه امهاتهم وهو أب لهم وقرأ ابن عباس بعد لفظ انفسهم وهو أب وازواجه امهاتهم عن عائشة ان امرأة قالت لها يا أمه فقالت أنا أم رجالكم ولست أم نساكنكم وعن ام سلمة قالت أنا أم الرجال

عصاه فسلماها من طرفها ثم وضعها فى أدنى الحوض ثم أورد هافسقاها ووقف موسى بازاء الحوض فلم يصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة قال فأنامت وألبنت ووضعت كلها قوالب ألوان الا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش قال يحيى ولا ضبوب وقال صفوان ولا ضبوب قال أبو زرعة الصواب ضبوب ولا عزوز ولا تعول ولا كمشة تفوت الكف قال النبي صلى الله عليه وسلم لو افتتحت الشام وجدت بقايا تلك الغنم وهى السامرة وحدثنا أبو زرعة أبا نال صفوان قال سمعت الوليد قال سألت ابن لهيعة ما الفشوش قال التى تنفش بلبتها واسعة الشخب قلت فما الضبوب قال الطويلة الضرع تجره قلت فما العزوز قال ضيقة الشخب قلت فما

الشعول قال التي ليس لها ضرع الا كهيمته حلتين قلت فما الكمشة قال التي تفوت الكف كمشة الضرع صغير لا يدركه الكف مداره: الحديث على عبد الله بن لهيعة المصري وفي حفظه سوء وأخذى ان يكون رذعه خطأ والله أعلم وينبغي ان يروى ليس فيها فشوش ولا عزوز ولا ضبوب ولا نعول ولا كمشة لتذ كر كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفا عليه ما يقارب بعضه باسناد جيد فقال حدثنا محمد بن المثني حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه (٢٥٢) قال لمادعاني الله موسى عليه السلام صاحبه الى الاجل الذي

كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على غير لونها ذلك ولدها فهي لك فعمد موسى فدفع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت بغيات جولة فولدت كاهن بلقا الاشاة واحدة فذهب بأولادهن كاهن ذلك العام (فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله أنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكنوا اني آنست نارا العلى آتكم منها بخبز أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أناها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى أنا الله رب العالمين وان ألق عصاك فلما أراها تهتر كأنها جان ولي مدبر اولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الريب فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) قد تقدم في تفسير الآية قبلها ان موسى عليه السلام قضى أمم الاجلين وأوقاهما وأبرهما وأكلهما وانقاها وقديس استفاد هذا أيضا من الآية الكريمة حيث قال تعالى فلما قضى موسى الاجل

منكم والنساء وعن بحالة قال مر عمر بن الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف وازواجه امهاتهم وهو أب لهم فقال يا غلام حكها فقال هذا مصحف ابى قذهب اليه فسأله فقال انه كان يلهينى القرآن ويلهيك الصفاق في الاسواق وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالأجنبيات ولهذالم يتعد التحريم الى بناتهن ثم بين سبحانه أن القرابة أولى ببعضهم البعض فقال (وأولوا الارحام) جمع رحم وهو القرابة (بعضهم أولى) أى أحق (ببعض) في الميراث وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الانفال وهى ناسخة لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالمهجرة والموالاته قال قتادة لما نزل قوله سبحانه في سورة الانفال والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة ثم نسخ ذلك بهذه الآية وكذا قال غيره ويحتمل أن يكون النسخ بآية الانفال وهو قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله قال الشهاب وهذا الاحتمال أولى لان سورة الانفال متقدمة نزولا على هذه السورة فنسبة النسخ اليها أولى وتكون هذه الآية مؤكدة لتلك وقيل ان هذه الآية ناسخة للتوارث بالخلف والمواخاة في الدين وقيل معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أى هذه الاولوية وهذا الاستحقاق كائن وثابت فيه والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ أو القرآن أو آية الحارث (من المؤمنين والمهاجرين) المعنى ان ذوى القرابات من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض أو أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين الذين هم أجنب وقيل ان معنى الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض الاما يجوز لازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كونهن كالأمهات في تحريم النكاح وفي هذا من الضعف ما لا ينبغي (الآ) هذا الاستثناء اما متصل من أعم العام والتقدير أولى ببعض في كل شئ من الارث وغيره الا (ان تتعولوا الى أولياتكم معروفا) من صدقة أو وصية فان ذلك جائز قاله قتادة والحسن وعطاء ومحمد بن الحنفية قال ابن الحنفية نزلت في اجازة الوصية لليهودى والنصراني قال الكافورلى في النسب لافى الدين فتجوز الوصية له قال فى الخازن ان الله لما نسخ التوارث بالخلف والاخاء والهجرة أباح أن يوصى الرجل لمن تولاه بما أحب من ثلث ماله ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً والمعنى لىكن فعل المعروف للاولياء لا بأس به وضمن تفعلوا معنى توصلوا أو تسدوا فعدى بالى وقال بجاهد أراد بالمعروف

النصرة

عشر سنين وبعدها عشر آخر وهذا القول

أى الاكل منهما والله أعلم قال ابن أبي نجيب عن مجاهد قضى عشر سنين وبعدها عشر آخر وهذا القول لم أره لغيره وقد حكاه عنه ابن جرير وابن أبي حاتم قالته أعلم وقوله تعالى وسار بأهله قالوا كان موسى عليه السلام قد اشتاق الى بلده وأهله فعزم على زيارتهم فى خفية من فرعون وقومه فحمل بأهله وما كان معه من الغنم التى وهبها له صهره فسلط بهم فى ليلة مطيرة مظلمة باردة فبزل منزلا فجعل كلما أورى زنده لا يضى شياً أنتعجب من ذلك فيمنها هو كذلك اذ أنس من جانب الطور نارا أى رأى نارا تضى له على بعد فقال لاهله امكنوا انى آنست نارا أى حتى أذهب اليها العلى آتكم منها بخبز وذلك لانها كان قد أضل الطريق أو جذوة

من النار أي قطعة منها العلمكم نصلون أي تدفون بهم من البرد قال الله تعالى فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فهذا ما يرشد الى ان موسى قصد النار الى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي فوقف بها في أمرها فناداه رب من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال رأيت (٢٥٣) الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام

سمره خضر اعترف اسناده مقارب وقال محمد بن اسحق عن بعض من لا يهتم عن وهب بن نسيب قال شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول انها من العوسج وعصاه من العوسج وقوله تعالى أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين أي الذي يخاطبكم ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا اله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه وقوله وأن الق عصاك أي التي في يديك كما قرره على ذلك في قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصا أي التي عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها ما رب أخرى والمعنى أما هذه عصاك التي تعرفها ألقها فألقها فإذا هي حية تسعى فعرف وتحقق ان الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كن فيكون كما تقدم بيان ذلك في سورة طه وقال ههنا فلما رآها تهستراي تضطرب كأنها جان ولي مدبر أي في حركتها السريعة مع عظم خلقها وقواها واتساع فها واصطكال أي بابها وأضراسها بحيث لا تمر بصخرة الا

النصرة وحفظ الحرمه بحق الايمان والهجرة (كان ذلك) أي نسخ الميراث بالهجرة والمخالفة والمعاقدة ورده الى ذوى الارحام من القرابات (في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ أو في التوراة أو في القرآن (مسطورا) مكتوبا (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) كأنه قال يا أيها النبي اتق الله واذكر أن الله أخذ ميثاق الانبياء أو التقدير كان هذا الحكم مكتوبا في الكتاب ووقت أخذنا قاله السمين قال قتادة أخذنا الله الميثاق على النبيين خصوصاً على ان يصدق بعضهم بعضاً ويتبع بعضهم بعضاً وان ينصحو القوم مهم وان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وإلى الدين القيم وان يبلغوا رسالات ربهم وذلك حين أخرجوا من صاب آدم كالذروه وجمع ذرة وهي أصغر النمل وهي صغيرة جدا بحيث ان فتحو الاربعين منها أصغر من جناح بعوضة والميثاق هو الميثاق وقيل هو الاقرار بالله والوصية والامر والاولى واولى وقدمت تحقيقه ثم خصص سبحانه بعض النبيين بالذكر بعد التعميم الشامل لهم وغيرهم فقال (ومنك) خصوصا (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) ويوجه تخصيصهم بالذكر الاعلام بان لهم من يدشرف وفضل لكونهم أصحاب الشرائع المشهورة والكتب المذكورة ومن أولى العزم من الرسل وتقديم ذكر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مع تأخر زمانه فيه من التشریف له والتعظيم ما لا يخفى وتقديم نوح في آية شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لانها سمقت لوصف ما بعث به نوح من العهد القديم وما بعث به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من العهد الحديث وما بعث به من توسطهما من الانبياء المشاهير فكان تقديم نوح فيها أشد مناسبة للمقصود من بيان أصالة الدين وقدمه قاله الكرخي ثم أكد ما أخذنا على النبيين من الميثاق بتكرير ذكره ووصفه بالغلظ فقال (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا شديدا على الوفاء بما حلوا وما أخذنا الله عليهم من عبادته والدعاء اليها ويجوز أن يكون قد أخذنا الله عليهم الميثاق مرتين فأخذه عليهم في المرة الاولى بمجرد الميثاق بدون تغليظ ولا تشديد ثم أخذه عليهم ثانية مغلظا شديدا ومثل هذه الآية قوله واذ أخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما كنتم لتؤمنن به ولتنصرنه أخرج الطبراني وابن مردويه وابونعيم في الدلائل عن أبي مريم الغساني ان اعرابيا قال يا رسول الله اى شيء كان اول نبوتك قال اخذنا الله منى الميثاق كما أخذنا النبيين ميثاقهم ثم تلا هذه الآية

استلتمت احد طرفيها تتققع كأنها حادرة من واد فعند ذلك ولي مدبرا ولم يعقب أي ولم يكن يلتفت لان طبع البشرية ينفر من ذلك فلما قال الله له أقبل ولا تخف انك من الامنين رجع فوقف في مقامه الاقل ثم قال الله تعالى اسلك يديك في جيبك تخرج يضاء من سوء أي اذا دخلت يديك في جيب درعك ثم أخرجتها فانها تخرج تلالا كأنها قطعة قر في لمعان البرق ولهذا قال من غير سوء أي من غير برص وقوله تعالى واضم اليك جناحك من الرهب قال مجاهد من الفزع وقال قتادة من الرعب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير مما حصل لك من خوفك من الحية والظاهر أن المراد أعمهم من هذا وهو أنه أمر عليه السلام اذا خاف من شيء ان يضم اليه جناحه من الرهب وهو يده فاذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف وربما اذا استعمل أحد ذلك على سبيل

الاقتداء فوضع يده على فؤاده فانه نزول عنده ما يجحد ويحقق ان شاء الله تعالى وبه الثقة قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين
 حدثنا الربيع بن نعلب الشيخ صالح أخبرنا أبو اسامه عيل المؤدب عن عبد الله بن سلمة عن مجاهد قال كان موسى عليه السلام قد ملئ
 قلبه رعبا من فرعون فكان اذا رآه قال اللهم اني أدركت في فخريه وأعوذ بك من شره ففرغ الله ما كان في قلب موسى عليه السلام
 وجعله في قلب فرعون فكان اذا رآه بال كما يقول الحمار وقوله تعالى فذانك برهانان من ربك يعني القاء العصا وجعلها حية تسعي
 وادخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير (٢٥٤) سوء دليلان قاطعان واضمان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة

من جرى هذا الحارق على يديه
 ولهذا قال تعالى الى فرعون وملئه
 أي وقومه من الرؤساء والكبراء
 والاتباع انهم كانوا فاسقين
 أي خارجين عن طاعة الله مخالفين
 لأمره ودينه (قال رب اني قتلت
 منهم نفسا فأخاف ان يقتلون وأخي
 هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله
 معي ردا يصدقني اني أخاف ان
 يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك
 ونجعل لك سلطانا فلا يصلون اليك
 بآياتنا انما من اتبعك الغالبون)
 لما أمره الله تعالى بالذهاب الى
 فرعون الذي انما خرج من ديار مصر
 فرار منه وخوف من سطوته قال
 رب اني قتلت منهم نفسا يعني ذلك
 القبطي فأخاف ان يقتلون اي اذا
 رأوني وأخي هرون هو أفصح مني
 لسانا وذلك ان موسى عليه السلام
 كان في لسانه لغة بسبب ما كان
 تناول تلك الحجر حين خير بينها
 وبين التمرة أو الدرّة فأخذ الحجر
 فوضعه على لسانه فحصل فيه شدة
 في التعبير ولهذا قال واحلل عقدة
 من لساني يقفه واقولني واجعل لي
 وزيراً من أهلي هرون أخي أشد به

الى قوله ميثاقا عليطا وعوده ابراهيم قال وابتعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى بن مريم
 ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامها انه خرج من بين رجلها سراج
 اضاعت له قصور الشام وعن ابن عباس قال قيل يا رسول الله متى اخذ ميثاقك قال وآدم
 بين الروح والجسد وعنه قال قيل يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح
 والجسد اخرجه البزار والطبراني وفي الباب احاديث قد صحح بعضها وعن ابى هريرة عن
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في الآية كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث
 فبدأني قبلهم اخرجه ابن عساکر وابن مردويه وابونعيم وعن ابن عباس قال يناقهم
 عهدهم وعنه قال انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم (ليسأل) اي لسكي يسأل
 (الصادقين عن صدقهم) في تبليغ الرسالة الى قومهم تمكينا للكافرين بهم وفي هذا وعيد
 لغيرهم لانهم اذا كانوا يستلون عن ذلك فكيف غيرهم وقيل ليسأل الانبياء عما جا بهم به
 قومهم كما في قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقوله يوم يجمع الله الرسل
 فيقول ماذا اجبتم وقيل فعل ذلك ليسأل وقيل عن صدقهم عن علمهم لله عز وجل وقيل
 ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن
 الثاني بذ كرمسببه وهو قوله (وأعد للكافرين) وقيل التقدير اناب الصادقين وأعد
 للكافرين وقيل المعنى الكد على الانبياء الدعوة الى دينه لينيب المؤمنين وأعد للكافرين
 (عدايا ليا) قاله السهين وقيل الكلام قد تم عند قوله عن صدقهم وجله واعدمت ألفة
 لسان ما اعدده للكفار (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله) الكاتمة (عليكم) هذا
 تحقيق لمسبق من الامر بالقوى بحيث لا يبقى معه خوف من احد (اذ) اي حين
 (جاءتكم جنود) والمراد بها جنود الاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم وغزوه الى المدينة وهي الغزوة المسماة غزوة الخندق وكانت بعد حرب أحد
 بسنة وهم ابوسفيان بن حرب بقريش ومن معهم من الانصاف وعيينة بن حصن الفزاري
 ومن معه من قومه غطفان وبنو قريظة والنضير فضايقو المسلمين مضايقة شديدة كما
 وصف الله سبحانه في هذه الآيات وكانت هذه الغزوة في شوال سنة خمس من الهجرة قاله
 ابن اسحق وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك كانت في سنة اربع وقد بسط اهل السير
 في هذه الواقعة ما هو معروف فلانظيل بذكرها اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وابو

ازرى وأشركه في أمرى أي يؤنسى فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام باعباء النبوة والرسالة
 الى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ولهذا قال وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردا أي وزيراً ومعيّنا ومقويا لأمرى
 يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لان خبر الاثنين أتجمع في النفوس من خبر الواحد ولهذا قال اني أخاف ان يكذبون
 وقال محمد بن اسحق ردا يصدقني أي يبين لهم عنى ما أكلهم به فانه يفهم عنى ما لا يفهمون فلما سأل ذلك موسى قال الله تعالى
 سنشد عضدك بأخيك أي سنقوى أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له ان يكون نبيا معك كما قال في الآية الاخرى قد

أوتيت سؤلث يا موسى وقال تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا ولهذا قال بعض السلف ليس أحدا أعظم منة على أخيه من موسى على هرون عليه ما السلام فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه الى فرعون وملئه ولهذا قال تعالى في حق موسى وكان عند الله رجحا وقوله تعالى ونجعل لك سلطانا أي حجة قاهرة فلا يصلون اليك باياتنا أي لا سبيل لهم الى الوصول الى أذاكم بسبب ابلاغك آيات الله كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الى قوله والله يعصمك من الناس وقال تعالى الذين يبلغون رسالات الله الى قوله وكفى بالله نصيرا (٢٥٥)

العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة فقال تعالى أتتوا من اتبعك الغالبون كما قال تعالى كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز وقال تعالى ان النصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا الى آخر الآية ووجه ابن جرير على ان المعنى ونجعل لك سلطانا فلا يصلون اليك ثم يتبدى فيقول ياياتنا أتتوا من اتبعك الغالبون تقديره اتتوا من اتبعك الغالبون باياتنا ولاشأن هذا المعنى صحيح وهو حاصل من التوجيه الاول فلا حاجة الى هذا والله أعلم (فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما معنا به هذا في آياتنا الاولين وقال موسى ربني أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) يخبر تعالى عن محبي موسى وأخيه هرون الى فرعون وملئه وعرضه ما آتاها الله من المنجزات الباهرة والدلالة القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عز وجل من توجيهه واتباع أوامره فلما عين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه

نعم واليه في كلاهما في الدلائل وابن عساكر من طرق عن حذيفة قال لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعودا وأبوسفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقرينة اليهود اسفل منا تخافهم على ذرارينا وما انت علينا ليدله قط اسد ظلمة ولا اشدر يحا في اصوات ريجها امثال الصواعق وهي ظلة ما يرى أحدمنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله ويقولون ان يوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه احد منهم الا اذنه له فيستلون ونحن ثلثمائة ونحن ذلك اذا استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا رجلا حتى مر على وما على جنة من العدو ولا من البرد الا امرط لا مرأى ما يجاوز ركبتي فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة قال حذيفة فتقاصرت الى الارض فقلت بلى يا رسول الله كراهية ان اقوم قال قم فقامت فقال انه كان في القوم خبر فأتني بخبر القوم قال وانما من اسد القوم فزعوا واشدهم فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله فزعوا ولا قرافي جوفى فما اجد منه شيئا فلما وليت قال يا حذيفة لا يتحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني فخرجت حتى اذ انوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقدوا واذ رجل ادهم ضخم يقول بيده على النار ويسبح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ثم دخلت العسكر فاذا انى الناس منى نوحا يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم واذ الریح في عسكرهم ما تجاوز شبرا فوالله اني لاصم صوت الخجارة في رحالهم وفرشهم الریح تضربهم ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما انصفت في الطريق او نحو ذلك اذا انا بنحو من عشرين فارسا معتمين فقالوا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته وهو مشتمل في شمله يصل وكان اذا حربه امر صلى فاخبرته خبر القوم اني تركتهم يترحلون وانزل الله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود الآتية وعن ابن عباس في قوله اذ جاءكم جنود قال كان يوم ابى سفيان يوم الاحزاب (فارسلنا عليهم ريجا) قال مجاهد هي ريج الصبار سلت على الاحزاب يوم الخندق حتى ألقت قدورهم ونزعت فساطيطهم وهي ريج تهب من الشرق وكانت باردة شديدة جدا ومع هذا لم تتجاوزهم ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالبوراء خرجته البخاري ومسلم

وأيقنوا انه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيهم الى العناد والمباهاة وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا ما هذا الا سحر مفترى أي منمعل مصنوع وأرادوا معارضة ته بالحق والجاه فاصدمهم ذلك وقوله وما معنا به هذا في آياتنا الاولين يعنون عبادة الله وحده لا شريك له يقولون مارأى نأ احد من آياتنا على هذا الدين ولم نزل الناس الا يشركون مع الله آلهة أخرى فقال موسى عليه السلام محبي الله ربني أعلم بمن جاء بالهدى من عنده يعني منى ومنكم وسيفصل بيني وبينكم ولهذا قال ومن تكون له عاقبة الدار أي من النصر والظفر والتأييد انه لا يفلح الظالمون أي المشركون بالله عز وجل (وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من اله

في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أمة يدعون الى النار اى لمن سلك وراءهم واخذ بطر يقتهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع ويوم القيامة لا ينصرون اى فاجتمع عليهم خزي الدنيا ووصولوا بذل الآخرة كما قال تعالى اهلكناهم فلاناصر لهم وقوله تعالى واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اى وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على السنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسوله وكما انهم في الدنيا ملعونون على السنة الانبياء واتباعهم كذلك يوم القيامة هم من المقبوحين قال قتادة وهذه الآية كقوله تعالى واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة (٢٥٧) بنس الرشد المرفود (ولقد آتينا موسى

الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورجة لعلمهم يتذكرون) يخبر تعالى عما آتينا به على عبده ورسوله موسى الكليم عليه من ربه افضل الصلاة والتسليم من انزال التوراة عليه بعد ما اهلك فرعون وملائه وقوله تعالى من بعد ما اهلكنا القرون الاولى يعنى انه بعد انزال التوراة لم يعذب امة بعامة بل امر المؤمنين ان يقاتلوا اعداء الله من المشركين كما قال تعالى وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد وعبد الوهاب قالوا حدثنا عوف عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدرى قال ما اهلك الله قوما بعد اذ من السماء ولا من الارض بعد ما انزلت التوراة على وجه الارض غير القرية التي مسحوا قرده بعد موسى ثم قرأوا وقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى الآية ورواه ابن ابي حاتم من حديث عوف بن ابي حبيبة الاعرابى بنحوه وهكذا رواه

خارج والمعنى ارتفعت القلوب عن مكانها ووصلت من الفزع والخوف الى الخناجر فلولا انه ضاق الخلقوم عنها وهو الذى نهايت الخنجرة تلجحت كذا قال قتادة وقيل هو على طريق المبالغة المعهودة في كلام العرب وان لم ترتفع القلوب الى ذلك المكان ولا خرجت عن موضعها ولكنه مثل في اضطرابها وجمتها قال القراء والمعنى انهم جنبوا وجزع أكثرهم وسبيل الجبان اذا اشتد الخوف ان تتفخ رثته فاذا انتفخت الرثة ارتفع القلب الى الخنجرة ولهذا يقال للجبان اتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) المختلعة فبعضهم ظن النصر ورجا الظفر وبعضهم ظن خلاف ذلك وقال الحسن ظن المنافقون انه يستأصل محمداً وصحابه وظن المؤمنون انه ينصروا وقيل الآية خطاب للمنافقين والاولى ما قاله الحسن فيكون الخطاب لمن أظهر الاسلام على الاطلاق اعم من ان يكون مؤمنا في الواقع أو منافقا واختلاف القراء في الالف في الظنونا فثبتها ووصلها ووقفا جماعة وتسكوا المحظ المحض العثماني وجميع المصاحف في البلدان فان الالف فيها كلها ثابتة وتسكوا أيضا بما في أشعار العرب من مثل هذا وأيضا ان هذه الالف تشبه هاء السكت لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقتنا للحاجة اليها وقد ثبت وصلها اجراء للوصل مجرى الوقف وقرئ بحذفها في الوصل والوقف معا لانها الأصل لها وقالوا هي من زيادات الخط فكسبت كذلك ولا ينبغي النطق بها أو ما الشعر فهو ويجوز فيه للضرورة ما لا يجوز في غيره وقولهم أجرى القوافل مجرى القوافل غير معتد به لان القوافل يلزم الوقف عليها غالبا والقوافل لا يلزم ذلك فيها فلا تشبه بها وقرئ باثباتها ووقفا وحذفها وصلها اجراء للقوافل مجرى القوافل في ثبوت الالف الاطلاق ولانها كهاء السكت وهي تثبت ووقفا وتحذف وصلها السمين وهذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية وهذه الالف هي التي تسميها النجاة الالف الاطلاق والكلام فيهما معروف في علم النحو وهكذا اختلف القراء في الالف التي في قوله الرسول والسبيل كما يأتي في آخر هذه السورة (هنالك ابلى المؤمنون) ظرف مكان يقال للمكان البعيد هنالك كما يقال للقريب هنا ولام توسط هنالك اى في ذلك المكان الدحض وهو الخندق وقد يكون ظرف زمان اى عند ذلك الوقت ابلىوا وهو منصوب بابلى وقيل بتظنون واستضعفه ابن عطية والمعنى ان في ذلك المكان أو الزمان اختبر المؤمنون بالخوف والقتال والجوع والحصر وغيرها ليتبين المؤمن من المنافق

(٢٣ - فتح البيان سابع) أبو بكر البرزاري مسنده عن عمرو بن علي النلاص عن يحيى القطان عن عوف بن ابي نضرة عن ابي سعيد موقوفا ثم رواه عن نصر بن علي عن عبد الاعلى عن عوف بن ابي نضرة عن ابي سعيد رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال (١) ما اهلك الله قوما من السماء والارض بعد اذ بعثنا موسى ثم قرأوا وقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى الآية وقوله بصائر للناس وهدى ورجة اى من العمى والغي وهدى الى الحق ورجة اى ارشاد الى العمل الصالح لعلمهم يتذكرون كرون اى لعل الناس يتذكرون به ويهتدون بسببه (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا (١) قوله ما اهلك الله الخ) هكذا في نسخة وفي أخرى ما اهلك الله قوما بعد اذ بعثنا موسى ثم قرأوا وقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى الآية ورواه

قرونا فتناول عليهم العمر وما كنت ثابوا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولو لكنا ككافر سليمان وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتندرقوا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولو لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا لفتننا بآياتك ونكون من المؤمنين) يقول تعالى منها على برهان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بالغيوب الماضية خبرا كان سامعه شاهدا ورءا لما تقدم وهو رجل أحمى لا يقرأ شيئا من الكتب نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من (٢٥٨) أمرها فقال تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل

مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون الآية أي وما كنت حاضر ذلك ولكن الله أوحاه إليك وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه وما كان بين انجاء الله له واغراق قومه ثم قال تعالى ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين الآية وقال في آخر السورة ذلك من أنباء القرى نقصه عليك وقال بعد ذلك كرقصة يوسف ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم ينكرون الآية وقال في سورة طه كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق الآية وقال ههنا بعد ما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها وكف كان ابتداء انجاء الله إليه وتكليمه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي وما كنت من الشاهدين لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهانا

وأما تخنوا بالصبر على الإيمان (وزلزوا زلزلا شديدا) قرأ الجمهور زلزوا بضم الزاي الأولى وكسر الثانية على ما هو الأصل في المبني للمفعول وروى عن أبي عمرو أنه قرأ بكسر الأولى وروى الزنجشري عنه أنه قرأ بأشمامها كسرا وقرأ الجمهور زلزلا بكسر الزاي الأولى وقرأ عاصم والحدادي وعيسى بن عمر بفتحها وهـ بالعمتان قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعلايل يجوز فيه الكسر والفتح نحو قفلتته قفلا لا وزلزوا زلزلا الأولى والكسر أجود وقد يراد بالمتنوع اسم الفاعل نحو وصلصال بمعنى مصلصل وزلزال بمعنى مززل قال ابن سلام معنى زلزوا حر كوا بالخوف تحريكا شديدا بليغا وقال الخليل هو أزا حتمهم عن أما كتبهم حتى لم يكن لهم إلا موضع الخندق وقيل المعنى أنهم اضطربوا اضطرابا مختلفا ففهم من اضطرب في نفسه وسئمهم من اضطرب في دينه (وإذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) هو الشك والريبة أي أهل الشك والاضطراب قيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبهة عليهم (ما وعدنا الله ورسوله) من النصر والظفر أو فتح فارس والروم (الاعرورا) أي باطلا من القول وكان القائلون بهذه المقالة نحو سبعين رجلا من أهل النفاق والشك وهذا القول المحكي عن هؤلاء كالتفسير للظنون المذكورة أي كان ظن هؤلاء هذا الظن كما كان ظن المؤمنين النصر واعلاء كلمة الله (وإذ قالت طائفة منهم) قال مقاتل هم بنو سالم من المنافقين وقال السدي هم عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل هم أوس بن قبيط وأصحابه والطائفة تقع على الواحد فخوفه والقول الذي قالته هذه الطائفة هو قوله (يا أهل يثرب لا مقام لكم) أي لا موضع ولا مكانة إقامة لكم أو لإقامة لكم ههنا في العسكر قرئ مقام بفتح الميم وبضمها على أنه مصدر من أقام يقيم وعلى الأولى هو اسم مكان وهما سبعيتان قال أبو عبيدة يثرب اسم الأرض ومدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ناحية منها قال السهيلي وسُميت يثرب لأن الذي نزلها من العمالة اسمه يثرب بن عميل وقيل يثرب اسم لنفس المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل فأنه على وزن يضرب واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرت بقربة تَأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنقي الناس كما ينقي الكبر خبث الحديد واخرج احمد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب قال

على قرون قد تناول عهدا ونوا حجاج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين وقوله تعالى وما كنت ثابوا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا أي وما كنت مقبلا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيا شيعيا وما قال لقومه وما ردوا عليه ولكنا ككافر سليمان أي ولكن نحن أوحينا إليك ذلك وأرسلناك إلى الناس رسولا وما كنت بجانب الطور إذ نادينا قال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه أخبرنا علي بن حجر أخبرنا عيسى بن يونس عن حمزة الزيات عن الأعشى عن علي بن مدركة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وما كنت بجانب الطور إذ نادينا قال نودوا بإمامة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني

وأحببتكم قبل أن تدعوني وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث جماعة عن حمزة وهو ابن حبيب الزيات عن الأعمش
 ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيى بن عيسى عن الأعمش عن علي بن مدركة عن أبي زرعة وهو ابن عمرو بن جرير أنه قال
 ذلك من كلامه والله أعلم وقال مقاتل بن حيان وما كنت بجانب الطور إذ نادى بأمتك في أصلاب آباءهم أن يؤمنوا بك إذ بعثت
 وقال قتادة وما كنت بجانب الطور إذ نادى بناموسى وهذا والله أعلم أشبهه بقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى
 الأمر ثم أخبرهمنا بصفة أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال (٢٥٩) تعالى واذنادى ربك موسى وقال تعالى

اذناداه ربنا بالوادي المقدس طوى
 وقال تعالى ونادى بناه من جانب
 الطور الايمن وقرناه نحييا وقوله
 تعالى ولكن رحمة من ربك اى
 ما كنت مشاهدا للشيء من ذلك
 ولكن الله تعالى أوحاه إليك
 وأخبرك به رحمة منه بك وبالعباد
 برسالك اليهم لتنذروهم بما أنعم
 من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون
 اى لعلهم يتوبون بما جنحتهم
 به من الله عز وجل ولولا ان
 تصييمهم مصيبة بما قدمت أيديهم
 فيقولوا ربنا لولا أرسلناك إلينا
 رسولا الآية اى وأرسلناك اليهم
 لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عذرهم
 إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم
 فيحتجوا بانهم لم يأتهم رسول ولا نذير
 كما قال تعالى بعد ذكره انزال كتابه
 المبارك وهو القرآن ان تقولوا انما
 أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
 وان كنا عن دراستهم لغافلين أو
 تقولوا لو اننا أنزل علينا الكتاب
 لكنا لهدى منهم فقد جاءكم بينة من
 ربكم وهدى ورحمة وقال تعالى
 رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
 للناس على الله حجة بعد الرسل وقال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي
 طابة هي طابة وانما هي طابة واسناده ضعيف وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم كره
 هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقرير والتوبيخ (فارجعوا) أمر وهم بالهرب
 من عسكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم إلى السلع والخندق بينهم وبين القوم
 فقال هؤلاء المنافقون ليس ههنا موضع إقامة وأمر والناس بالرجوع إلى منازلهم
 بالمدينة وسئل جيل خارج المدينة قريب منها بينها وبين الخندق وقيل المعنى ارجعوا عن
 الايمان إلى الكفر وقيل عن القتال والاول اولى (ويستأذن فربق منهم النبي) في
 الرجوع إلى منازلهم وهم بنو حارثة بنوسلمة (يقولون ان يوتنا عورة) اى ضائعة سائبة
 ليست بحصينة ولا متسعة من العدو وقال ابن عباس مخليسة تخشى عليها السرقة وعن
 جابر نحوه قال الزجاج يقال عور المكان يعور عورا وعورة ويوت عورة وعورة وهى
 مصدر قال مجاهد ومقاتل والحسن قالوا يوتنا ضائعة تخشى عليها السرقة وقال قتادة
 قالوا يوتنا ما يبنى العدو ولان آمن على اهلنا قال الهروي كل مكان ليس بممنوع ولا
 مستور فهو عورة والعورة فى الاصل الخلل فى البناء ونحوه بحيث يمكن دخول السارق فيها
 فأطلقت على المختل والمراد ذوات عورة وقري عورة بكسر الواو اى قصيرة الجدران قال
 الجوهري العورة كل حال يتخوف منه فى ثغرها وحرب قال النحاس يقال عور المكان اذا
 تبينت فيه عورة وعور الفارس اذا تبين منه موضع الخلل ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله
 (وماهى بعورة) فكذبهم الله سبحانه فيما ذكره ثم بين سبب استئذانهم وما يريدونه به
 فقال (ان يريدون الافرا) اى ما يريدون الا الهرب من القتال وقيل المراد ما يريدون
 الافرار من الدين (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعنى بيوتهم أو المدينة والاقطار
 النواحي جمع قطر وهو الجانب والناحية والمعنى لو دخلت عليهم بيوتهم أو المدينة من
 جوانبها جميعا لامن بعضها هذه العساكر المتحيزة ونزلت بهم هذه النازلة الشديدة
 واستبيحت ديارهم وهتكت حرهم ومنزلهم (ثم سئلوا القننة) من جهة أخرى عند
 نزول هذه النازلة الشديدة بهم (لا توها) أخرج البيهقي فى الدلائل عن ابن عباس قال
 جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة يعنى ادخل بنى حارثة أهل الشام على المدينة

تعالى بأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشر ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير الآية
 والآيات فى هذا كثيرة (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى أو لم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا
 سحران تطاهروا قالوا انابكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منها أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك
 فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا
 لهم القول لعلهم يتذكرون) يقول تعالى محبرا عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول

انهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قالوا على وجه التعذب والعناد والكفر والجهل والاحاد لولا اوتى مثل ما اوتى موسى الآية يعنون والله أعلم من الآيات الكثيرة مثل العصا والسيد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتنقيص الزروع والثمار مما يضيئ على أعداء الله وكفناق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى الى غير ذلك من الآيات الباهرة والحجج القاهرة التي أجزاها الله تعالى على يدى موسى عليه السلام بحجة وبراهين له على فرعون وملائته وبني اسرائيل ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملائته (٢٦٠) بل كفر وابعوسى وأخيه هرون كما قالوا له ما جئتنا لتلفتنا عما

وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال تعالى فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولهذا قال ههنا أولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل أى أولم يكفر البشر بما اوتى موسى من تلك الآيات العظيمة قالوا ساحر ان تظاهرا أى تعاونا وقالوا اننا بكل كافرين أى بكل منهما كافرين ولشدة التلازم والتصاحب والمقاربة بين موسى وهرون دل ذكر أحدهما على الآخر كما قال الشاعر

فما أدري اذا عمت أرضا

أريد الخير أياهما يلبني
أى فمأدري يلبني الخير أو الشر
قال مجاهد أمرت اليهود قريشا أن يقولوا لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الله أولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا قال يعنى موسى وهرون صلى الله عليه - ما وسلم تظاهرا أى تعاونا وتناصروا وصدق كل منهما الآخر وهذا قال سعيد بن جبير وأبو رزين في قوله ساحران يعنون موسى وهرون وهذا قول جيد

ومعنى الفتنة هنا ما القتال في العصبية كما قال الضحاك أو الشرك بالله أو الرجعة الى الكفر الذى يبطنونه ويظهرون خلافة كما قال الحسن قرئ لا توها بالمد اى لا تعطوها من انفسهم وبالقصراى الجاؤها وفعالوها وهما سبيعتان (وما تلبثوا بها) اى بالمدينة بعد ان اتوا الفتنة (الا) تلبثا (يسيرا) حتى يهلكوا كذا قال الحسن والسدى والقراء والقتبي وقال اكثر المفسرين ان المعنى وما احتبسوا عن فتنة الشرك الا قلبا بل هم مسرعون اليها راغبون فيها لا يقفون عنها المجرى ووقوع السؤال لهم ولا يتعللون عن الاجابة بأن يوتهم في هذه الحالة عورة مع انها قد صارت عورة على الحقيقة كما تعلوا عن اجابة الرسول والقتال معه بأنها عورة ولم تكن اذذاك عورة ثم حكى الله سبحانه عنهم ما قد كان وقع منهم من قبل من المعاهدة لله ورسوله بالثبات في الحرب وعدم الفرار عنه فقال (واقعد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى حلفوا من قبل غزوة الخندق ومن بعد بدر ان لا يولوا ظهرهم فرارا من العدو بل يثبتوا على القتال حتى يموتوا شهداء وهم قوم لم يحضروا وقعة بدر قال قتادة وذلك انهم غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر فقالوا لمن أشهدنا الله قتالنا لئلا نقاتلن (لا يولون الادبار) أى لا ينزومون وجاء على حكاية اللفظ جاء بلفظ الغيبة ولو جاء على حكاية المعنى لقبيل لآتولى (وكان عهد الله مسؤلا) عنه ومطلوبا صاحبه بالوفاء به ومجازى على ترك الوفاء به (قل ان ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) لانه لا بد لكل انسان من الموت اما تحف نفسه أو يقتل بالسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى به القلم فمن حضر أجله مات أو قتل فرا ولم يفر (واذا لا تمتعون) أى وان نفعكم الفرار من لا تمتعون بالتأخير لم يكن ذلك التمتع (الا) تمتعاً وزماناً (قل لا) بعد فراركم الى أن تنقضى آجالكم وكل أت قريب قرئ تمتعون بالفوقية والتحسية وبخذف النون (قل من ذا الذى يعصمكم) أى يجركم (من الله ان أراد بكم سوءاً) أى هلاكاً وهزيمة أو نقصاً في الاموال وجذباً ومرضاً (أو) يصيبكم بسوء ان (أراد) الله (بكم رحمة) يرجمكم بها من خصب ونصر وعافية واطالة عمر وهذا على حد قوله علقها تبنا وما باردا وليس معمولا للسابق وهو يعصمكم لعدم صحة المعنى عليه وفي السمين قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الامن الشر قلت معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى

بحرى

قوى والله أعلم وقال مسلم بن بشار عن ابن عباس قالوا ساحران

تظاهرا قال يعنون موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا رواية الحسن البصرى وقال الحسن وقتادة يعنى عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بعد لان عيسى لم يجز له ذكره هنا والله أعلم وأما من قرأ سحران تظاهرا فقال على بن أبى طلحة والعمري عن ابن عباس يعنون التوراة والقرآن وكذا قال عاصم الجندى والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال السدى يعنى صدق كل واحد منهما الآخر وقال عكرمة يعنون التوراة والانجيل وهورواية عن أبى زرعة واختاره ابن جرير وقال الضحاك وقتادة

الاجمسل والقرآن والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والظاهر على قراءة حكران أنهم يعنون التوراة والقرآن لأنه قال بعده قل
 فأوتى الكتاب من عند الله هو وأهدى منهما أتبعه وكثيرا ما يقرب الله بين التوراة والقرآن كما في قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي
 جاء به موسى نورا وهدى للناس إلى أن قال وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقال في آخر السورة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي
 أحسن الآية وقال وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحون وقالت الجن اناسمنا كتابا أنزل من بعد موسى
 مصداق لما بين يديه وقال ورقة بن نوفل هذا التاموس (٢٦١) الذي أنزل على موسى وقد علم

بالضرورة لذوى الالباب ان الله تعالى لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران عليه السلام وهو الكتاب الذي قال الله فيه انا أنزلنا التوراة فيه هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكأول ما عليه شهداء والانجيل انما أنزلتمه ما للتوراة ومحذولابعض ما حرم على بني اسرائيل ولهذا قال تعالى قل فأوتى بكتاب من عند الله هو وأهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين أى فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل قال الله تعالى فان لم يستجيبوا لك أى فان لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق فاعلم انما يتبعون أهواءهم أى بالادليل ولا حجة ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أى بغير حجة

مجرى قوله متقلدا سيفا ومحاور مجمل الثاني على الاول لما في العصمة من منع المنع قال الشيخ اما الوجه الاول ففيه حذف جملته لاضرورة تدعو الى حذفها والثاني هو الوجه لاسيما اذا قدم مضاف محذوف أى يمنعكم من مراد الله قلت وأين الثاني من الاول ولو كان معه حذف جمل انتهى (ولا يجدون لهم من دون الله) أى غيره (وليا) يواليهم وينفعهم ويدفع الضر عنهم (ولا نصيرا) ينصرهم من عذاب الله (قد يعلم الله المعوقين منكم) يقال عاقه وعاققه وعوقه اذا صرفه عن الوجه الذى يريد (والقاتلين لآخواتهم هلم ايها) قال الواحدى قال المفسرون هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يبتطون انصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك انهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه الا كة رأس ولو كانوا الحما لالتقمهم أبو سفيان وحزبه بنخلوهم وتعالوا اليها وقيل ان القائل لهذه المقالة اليهود ومعنى هلم أقبل واحضرا اسم فعل أمر وأهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة والمذكروا المؤنث وعند غيرهم من العرب كبنى تميم فعل أمر يقولون هلم للواحد المذكور وهلمى للمؤنث وهلم اللاتنين وهلم للجماعة وقد مر الكلام على هذا في سورة الانعام والمعنى ارجعوا اليها واتركوا حشد افلاتنشهدوا معه الحرب فانما تخاف عليكم الهلاك وقيل تعالوا اليها لتستر يحوي عنى ان يهود المدينة طلبوا المنافقين ليستر يحوا وخوفوا المؤمنين ليرجعوا وهلم هنا لازم وفي الانعام متعددا لضمه منفعوله وهو شهداء كم معنى أحضروهم وههنا بمعنى احضروا وتعالوا وكلام الزمخشري هنا مؤنذ بانه متعددا ايضا وحذف مفعوله فانه قال هلموا اليها أى قربوا أنفسكم اليها (ولا يأتون البأس) أى الحرب والقتال (الا) ايانا (قليل) خوفا من الموت ويقفون قليلا المقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون وقيل المعنى لا يحضرون القتال الا رياء وسعة من غيرها احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة) أى بخلاء (عليكم) لا يعاونونكم بخسر الخندق ولا بالنفقة فى سبيل الله قاله مجاهد وقتادة وقيل أشحة بالقتال معكم وقيل بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم وقيل أشحة بالغنائم اذا أصابوها قاله السدى العامة على نصب أشحة وفيه وجهان احدهما انه منصوب على الذم والثاني على الحال من ضمير يأتون قاله الزجاج وهلم اليها قاله الطبرى يقرئ بالرفع أى هم أشحة وهو جمع شحج وهو جمع لا يقاس عليه اذ قياس فعيل الوصف الذى عينه ولا منه من واحد ان يجمع على افعلاء

ماخوذة من كتاب الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقوله تعالى ولقد وصلنا لهم القول قال مجاهد فصلنا لهم القول وقال السدى بينا لهم القول قال قتادة يقول تعالى أخبرهم كيف صنع بن مضي وكيف هو صانع لعلهم يتذكرون قال مجاهد وغيره وصلنا لهم يعنى قرىسا وهذا هو الظاهر لكن قال جاد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة رفاعة هذا هو ابن قرظة القرظى وجعله ابن منددة رفاعة بن شموال حال صفة بنت حبي وهو الذى طلق تيمة بنت وهب التى تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير باطا كذا ذكره ابن الاثير قال نزلت ولقد وصلنا لهم القول فى عشرة انا أحدهم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديثه

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم يؤمنون وإذا أتيتهم عليهم قالوا آتينا به الحق من ربنا انما كنا من قبلة مسلمين أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنانأ أعمالكم وأعمالكم سلام عليكم لانتبغى الجاهلین) يخبر تعالى عن العلماء الاولياء من أهل الكتاب انهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به وقال تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل الميم خاشعين لله وقال تعالى ان الذين آتوا الكتاب

(٢٦٢)

من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان

كان وعد ربنا لمفعولا وقال تعالى وتجدن اقرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا اننا نصارى الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال سعيد ابن جبير نزلت في سبعين من القيسيين بعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم يس والقرآن الحكيم حتى ختمها فجعلوا يكونوا أسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الاخرى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آتينا به الحق من ربنا انما كنا من قبله مسلمين يعني من قبل هذا القرآن كما مسلمين أى موحدن مخلصين لله مستحيين له قال الله تعالى أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا أى هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الاول ثم بالساني ولهذا قال بما صبروا أى على اتباع الحق فان تجسم مثل هذا شديد على النفوس وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

نحو خليل وأخلاء وطنين واطناء وضنين واضناء وقد سمع اشعيا وهو القياس والشح البخل وتقدم في آل عمران قاله السمين (فاذا جاء الخوف) من قبل العدو قاله السدي أو منه صلى الله عليه وآله وسلم قاله ابن شجرة (رأيتهم) أى ابصرتهم (ينظرون اليك) في تلك الحالة خوفا من القتال على القول الاول ومن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الثاني (تدور أعينهم) يمينا وشمالا لانهما عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة وقيل لشدة خوفهم حذرا ان يأتيتهم القتل من كل جهة وذلك سبيل الجبان اذا شاهد ما يخافه (كالذي يغشى عليه من الموت) أى كدوران عين الذي قرب من الموت وهو الذي نزل به الموت وغشيتة اسبابه فيذهل لبه ويذهب عقله ويتخص بصره فلا يظرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف ويقال للميت اذا شخص بصره دارت عيناه ودارت جماليق عينيه (فاذا ذهب الخوف سلقوكم) أى استقبلوكم (بالسنة حداد) أى ذرية تفعل كفعل الحديد يقال سلق فلان فلانا بسلسانه اذا اغلظ له في القول مجاهرا قال الفراء أى آذوكم بالكلام فى الامن بالسنة سليطة ذرية ويقال خطيب مسلاق ومصلاق اذا كان بلغا قال القتيبي المعنى آذوكم بالكلام الشديد والسلق الأذى قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة قال قتادة المعنى بسطوا ألسنتهم فيكم فى وقت قسمة الغنمة يقولون اعطونا فانا قد شهدنا معكم فعند الغنمة أضح قوم وأبسطهم لسانا ووقت البأس أجبين قوم واخوفهم قال النحاس وهذا قول حسن (أشحة على الخير) أى على الغنمة بشاحون المسلمين عند القسمة قاله يحيى بن سلام وقيل على المال ان يتفقوه فى سبيل الله قاله السدي ويمكن ان يقال معناه انهم قلسوا الخير من غير تقييد بنوع من أنواعه (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات (لم يؤمنوا) ايماننا خالصا بل هم المنافقون يظهرن الايمان ويبطنون الكفر (فاحبط الله أعمالهم) أى ابطلها بمعنى اظهر بطلانها لانهم لم تكن أعمالهم صحيحة تقتضى الثواب حتى يبطلها الله وتبطل قال مقاتل ابطل جهادهم لانه لم يكن فى ايمان أو المراد ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا (وكان ذلك) الاحباط لاعمالهم وكان نفاقهم (على الله يسيرا) هينا بارادته (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى يحسب هؤلاء المنافقون لجنهم ان الاحزاب أى قريشا وعطفان واليهود باقون فى معسكرهم لم يذهبوا الى ديارهم ولم ينهزموا ففروا الى

وسلم ثلاثة يؤتوا أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بى وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديتها ثم أعتقها فآثر رجها وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق السليفي حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي أمامة قال انى لحت راحله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولنا حسنة اجيلوا وقال فيما قال من أسلم من أهل الكباين فله أجره مرتين وله مالنا وعليه ما علينا وقوله تعالى ويدرأون بالحسنة السيئة أى لا يقابلون على السيئ بمثله ولكن يعفون ويصفون ومما رزقناهم ينفقون أى ومن الذى رزقهم من الحلال

ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة لاهلهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمسحمة من التطوعات وصدقات النفل والقربات وقوله تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرهم بل كما قال تعالى واذا هم باللغو هموا كراما وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أي اذا سقه عليهم سقيه وكلهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام التبعيض ولا يصدر عنهم الا كلام طيب ولهذا قال عنهم انهم قالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نجدها قال محمد (٢٦٣) بن اسحق في السيرة ثم قدم على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلوه وساءلوه ورجال من قريش في أيديهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا اللهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترادون لهم لتأتوهم ينسبوا الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ما نعلم ربك أحق منكم أو كما قالوا اللهم فقالوا اللهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً قال ويقال ان نفر النصارى من أهل نجران قاله أعلم أي ذلك كان قال ويقال

داخل المدينة وذلك لما نزل بهم من الفشل والروع والفرق والجن (وان يأت الاحزاب) مرة أخرى بعد هذه المرة والذهاب (يودوا لو أنهم يادون في الاعراب) أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية لم ساحل بهم من الرهبة والبادى خلاف الحاضر يقال بدأ يبدو بدأوة اذا خرج الى البادية وسكنها (يسألون عن أنباتكم) واخباركم وما آل اليه أمركم وما جرى لكم كل قادم عليهم من جهتكم أو يسأل بعضهم بعضا عن الاخبار التي بلغته من اخبار الاحزاب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أنهم يتمنون انهم يعيد عنكم يسألون عن اخباركم من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم وضعف نياتهم (ولو كانوا فيكم) أي معكم في هذه الغزوة شاهدين للقتال (ما فاتوا) معكم (الا قتالا قليلا) خوفا من العار وجمية على الديار أو رياء من غير احتساب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة يقال لى في فلان أسوة أي لى به اقتداء والاسوة من الانساء كالقدوة من الاقتداء اسم يوضع موضع المصدر يقال اتسى فلان بفلان أي اقتدى به قال الجوهرى الاسوة والاسوة بالضم والكسر والجمع أسى واسى وقد قرئ بهما وهما سبيعتان وهما أيضا الغتان كما قال الفراء وغيره وفي هذه الآية عتاب للمختلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي لقد كان لكم في رسول الله حيث بذل نفسه للقتال وخرج الى الخندق لنصرة دين الله اسوة والمعنى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازر وارسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذا كسرت رابعيته وجرح وشج وجهه وجاع بطنه وقتل عمه حمزة واذى بضروب الاذى فصر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته وهذه الآية وان كان سببها خاص فهي عامة في كل شيء ومثلها وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله عن ابن عمر قال في الآية هذا في جوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد استدل بهذه الآية جماعة من الصحابة في مسائل كثيرة اشتملت عليها كتب السنة وهي خارجة عما نحن بصدده نعم فيه دلالة على لزوم الاتباع وترك التقليد الحادث الذي أصيب به الاسلام أي مصيبة وهل هذه الاسوة على الايجاب أو على الاستحباب فيه قولان قال القرطبي يحتمل ان يحتمل على الايجاب في أمور الدين وعلى الاستحباب في أمور الدنيا (لمن كان يرجو الله) أي حسنة كأنه لمن يرجو الله والمراد انهم الذين يرجون

والله أعلم ان فيهم نزلت هذه الآيات الذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون الى قوله لا نبتغي الجاهلين قال وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت قال ما زلت أسمع من علماءنا انهم نزلن في النجاشي وأصحابه رضى الله عنهم والآيات اللاتي في سورة المائدة ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين (انك لاتهدى من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان تتبع الهدى معك تخطف من أرضنا ولم تمكن لهم حراما ما يجبي اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لاتهدى من أحبيت أي ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ

والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة كما قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال تعالى وما أكره الناس ولو حرصت بمؤمنين وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أي هو أعلم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية وقد ثبت في الصحيحين انها نزلت في أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يحوظه وينصره ويقوم في حقه ويحبه حباً طبعياً لا شريعياً فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان والدخول (٢٦٤) في الاسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستقر على ما كان

الله ويخافون عذابه يعني يرجون ثوابه ولقائه (واليوم الآخر) أي انهم يرجون رحمة الله فيه أو يصدقون بحصوله وأنه كائن لا محالة وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الأولى (وذكر الله) أي ولم يذكر الله في جميع أحواله ذكر (كثيراً) وجمع بين الرجاء لله والذكر له فإن بذلك تتحقق الاسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم بين سبحانه ما وقع من المؤمنين المخلصين عند رؤيتهم للاحزاب وشاهدتهم لتلك الجيوش التي أحاطت بهم كالبحر العباب فقال (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذما وعدنا الله ورسوله) الاشارة بهما الى ما رأوه من الجيوش والى الخطب الذي نزل والبلاء الذي دهم وهذا القول منهم قالوه اسبغوا بصدق ما وعدهم الله ورسوله من محبي هذه الجنود وان يتعقب محبتهم بهم نزول النصر والظفر من عند الله وما في ما وعدناهي الموصولة أو المصدرية ثم أوردوا ما قالوه بقولهم (وصدق الله ورسوله) أي ظهر صدق خبرهما ووجه اظهار الاسم الشريف والرسول بعد قوله ما وعدنا الله ورسوله هو قصد التعظيم وايضاً لوضعهما لجمع بين ضميري الله ورسوله في لفظ واحد وقال صدقاً وقد ورد النهي عن جمعهما كما في حديث بنس خطيب القوم أنت لمن قال ومن يعصم ما فقد غوى وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما فالجواب انه صلى الله عليه وآله وسلم اعرف بقدر الله منافليس لنا ان نقول كما يقول قاله السمين (وما زادهم) ما رأوه من اجتماع الاحزاب عليهم ومحبتهم (الايماناً بالله) وتسليماً لامره قال القراء ما زادهم النظر الى الاحزاب الا ذلك قال علي بن سليمان رأى يدل على الرؤية وتأنيث الرؤية غير حقيقي والمعنى ما زادهم الرؤية الايماناً بالرب وتسليماً للقضاء ولو قال ما زادتهم لحاز وعن ابن عباس قال في الآية ان الله قال لهم في سورة البقرة أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء فلما ستمهم البلاء حيث رابطوا الاحزاب في الخندق قالوا هذما وعدنا الله ورسوله فتأول المؤمنون ذلك فهم يزدهم الايماناً وتسليماً (من المؤمنين) المخلصين (رجال صدقوا) أي أتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق (ما عاهدوا الله عليه) أي وفوا بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة من الثبات معه والمقاتلة لمن قاتله بخلاف من كذب في عهده وخان الله ورسوله وهم المنافقون وقيل هم الذين نذروا الله ما عاهدوا رسول الله

عليه من الكفر ولله الحكمة التامة قال الزهري حدثني سعيد ابن المسيب عن أبيه وهو المسيب ابن حزن الخزومي رضي الله عنه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بأبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فزير رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبي ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا استغفرن لك ما لم انه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قدرني وأنزل في أبي طالب انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث يزيد بن

كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عمه قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فقال لولا ان تعبرني بها قريش يقولون ما حله عليه الاجزاع الموت لا قررت بها عينك لا أقولها الا لأقربها عينك فأنزل الله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يزيد بن كيسان ورواه الامام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن يزيد بن كيسان حدثني أبو حازم عن أبي هريرة فذكره بنحوه وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقمادة انها نزلت في أبي

طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لا اله الا الله فأبى عليه ذلك وقال اي ابن أخي ملة الاشياخ وكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد قال كان رسول قيصر جاء الى قال كتب معي قيصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فاتيته فدفعت الكتاب فوضعه في حجره ثم قال ممن الرجل قلت من تيرح قال هل لك في دين أبيك ابراهيم الخنيفة قلت اني رسول قوم وعلى دينهم حتى أرجع اليهم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الى أصحابه (٢٦٥) وقال انك لاتهدي من أحببت ولكن

الله يهدي من يشاء وقوله تعالى وقالوا ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أي نخشى ان اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحمياء العرب المشركين ان يقصدونا بالاذى والمخاربة ويتخطوننا أي يبتعدوننا قال الله تعالى مجيبا لهم ألم نتمكن لهم حرما آمنا يعني هذا الذي اعتذر وابه كذب وباطل لان الله تعالى جعلهم في بلد آمن وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنا لهم وقد اسلموا وتابوا الحق وقوله تعالى يجبي اليه ثمرات كل شئ أي من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكذلك المتاجر والامتعة رزقا من لدنا أي من عندنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ولهذا قالوا ما قالوا وقد قال النسائي أبا ناسا الحسن بن محمد حدثنا ججاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة قال قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ولم يسمعه منه ان الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا (وكم أهل كل من قرية بطرت

صلى الله عليه وآله وسلم ثبتوا له ولم يفروا أخرجه البخاري وغيره عن أنس قال نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر وأخرج ابن سعد وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي والبعغوثي في مجمله وابن جرير وابن أبي حاتم وابونعيم والبيهقي عن أنس قال غاب عني أنس بن النضر عن بدر فشق عليه وقال أول مشهده مشهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غبت عنه لئن أراني الله مشهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرين الله ما أصنع فمشهدي يوم أحد فاستقبله سعد بن معاذ قال يا أبا عمرو أين قال واها لريح الجنة أجد هادون أحد فقتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين طعنة وضربة ورمية ونزلت هذه الآية وكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه وقد روى عنه نحوه من طريق أخرى عند الترمذي وصححه والنسائي وغيرهما وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعاه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله علمه ثم قال أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله فأوتهم وزورهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقد تعقب الحاكم في صححه الذهبي كما ذكر ذلك السيوطي ولكنه قد أخرجه الحاكم حديثا آخر وصححه وأخرجه أيضا البيهقي في الدلائل عن أبي ذر قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد مر على مصعب بن عمير مقتولا على طريقه فقرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وأخرج ابن مردويه من حديث خباب مثله وهما يشهدان لحديث أبي هريرة ثم فصل سبحانه حال الصادقين بما وعدوا الله ورسوله وقسمهم الى قسمين فقال (فمنهم من قضى نجبه) أي فرغ من نذره وفي بعده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقال ابن عمر أي مات على ما هو عليه من التصديق والايان والحب ما التزمه الانسان واعتقد الوفاء به وأوجب على نفسه والقتل والموت قال ابن قتيبة قضى نجبه أي قتل وأصل النجب النذر كانوا يوم بدر نذروا ان لقوا العدو أن يقتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله لهم فقتلوا فليل فلان قضى نجبه أي قتل والنجب أيضا الحاجة وادراك الامنية يقول قائلهم مالي عندهم نجب والنجب العهد ومعنى الآية ان من المؤمنين رجالا أدركوا امنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم فقتلوا حتى قتلوا وذلك يوم أحد حكاه زهري ومصعب بن عمير وأنس بن النضر أخرجه

(٣٤ - فتح البيان سابع) معيشتهم اقتلت مسأكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكان من الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امهارسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وهما ظالمون) يقول تعالى معرضا باهل مكة في قوله تعالى وما كنا مهلكا من قرية بطرت معيشتهم أي طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الارزاق كما قال في الآية الاخرى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الى قوله فاخذهم العذاب وهم ظالمون ولهذا قال تعالى فقتل مسأكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا أي دثرت ديارهم فلا ترى الامساكنهم وقوله تعالى وكان من الوارثين أي رجعت خرابا ليس

فيها أحد وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا عن ابن مسعود أنه سمع كعباً يقول لعمران سليمان عليه السلام قال للهامة يعني البومة مالك لا تأكلين الزرع قالت لأنه أخرج آدم من الجنة بسببه قال فما لك لا تشر بين الماء قالت لأن الله تعالى أغرق قوم نوح به قال فما لك لا تأوين إلا إلى الخراب قالت لأنه ميراث الله تعالى ثم تلا وكنا نحن الوارثين ثم قال تعالى مخبراً عن عدله وأنه لا يهلك أحد ظالمه وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم ولهذا قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها وهي مكة رسولاً يتلو عليهم آياته دالة على أن النبي الأبي وهو محمد صلى الله (٢٦٦) عليه وسلم المبعوث من أم القرى رسول إلى جميع القرى من عرب وأعجم

كما قال تعالى لتسذرم القرى ومن حولها وقال تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً وقال لا تذركم به ومن بلغ وقال ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وتمام الدليل قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معدنوها عندنا شديد الآفة فأخبرنا أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فجعل تعالى بعثة النبي الأبي شاهة لجميع القرى لأنه مبعوث إلى أمها وأهلها التي ترجع إليها وثبت في الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال بعثت إلى الأجر والاسود ولهذا ذمته النبوة والرسالة فلا نبى بعده ولا رسول بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة وقيل المراد بقوله حتى يبعث في أمها رسولا أي أصلها وعظمتها كالمهات الرسائيق والأقاليم حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما وليس يبعث (وما أوتيت من شيء فتأخرا الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبى أفلا تعقلون أفن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية كن متعناه

الترمذي وحسنه وأبو يعنى وابن جرير وابن مردويه عن طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا لاعرابي جاهل سأل عن قضى شعبة من هو وكانوا لا يجترئون على مسأله يوقرونه ويهابونه فسأله الاعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم انى اطلعت من باب المسجد فقال أين السائل عن قضى شعبة قال الاعرابي انا قال هذا من قضى شعبة وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من حديثه نحوه وأخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول طلحة ممن قضى شعبة وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من سره ان ينظر إلى رجل يمشي على الأرض قد قضى شعبة فليتنظر إلى طلحة أخرجه سعيد بن منصور وأبو يعلى وأبو نعيم وابن المنذر وغيرهم وأخرج ابن مردويه من حديث جابر مثله وأخرج ابن منده وابن عساكر من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه وأخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن علي ان هذه الآية نزلت في طلحة وأخرج أحمد والبخاري وابن مردويه عن سليمان بن سرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب الا أن تغزوه ولا يغزوا (ومنهم من ينتظر) قضاء شعبة حتى يحضر أجله كعثمان ابن عفان وطلحة والزبير وأمثالهم فأنهم مستمرون على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقتال لعدوه وانتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمانيهم بالقتل وادراك فضل الشهادة (ومابدلوا بديلا) أي ما غير واعدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون وعهدهم بل بثوا عليه ثبوتاً مستمرا أما الذين قضوا قضاهم فظاهروا أما الذين ينتظرون قضاء شعبة فقد استمروا على ذلك حتى فارقوا الدنيا ولم يغيروا ولا بدلوا (ليجزى الله) اللام يجوز ان يتعلق بصدق أو براهم أو بما بدلوا أو بمعدوف كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزى الله (الصادقين بصدقهم) أي بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء) اذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) بما صدر عنهم من التغيير والتبديل ان تابوا جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوا بسبب تبديلهم وتغييرهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم فكل من الفريقين مسوق إلى عاقبة من الثواب والعقاب فكأنما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ومفعول ان شاء وجوابها محذوفان أي ان شاء تعذيبهم عندهم وذلك اذا قاموا على النفاق ولم يتركوه ولم يتوبوا عنه

متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة (ان) الدنيا والآخرة من النعيم العظيم المقيم كما قال تعالى ما عندكم ينقد وما عند الله باق وقال وما عند الله خير للابرار وقال وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما الحياة الدنيا في الآخرة الا كما يغمس أحدكم اصبعه في اليم فليتنظر ماذا يرجع إليه وقوله تعالى أفلا تعقلون أي أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة وقوله تعالى أفن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية كن متعناه

متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين يقول تعالى أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الأعمال من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة كمن هو كافر مكدب ببقاء الله ووعده ووعدته فهو ممتنع في الحياة الدنيا بما أقبل ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال مجاهد وقتادة من المعدنين ثم قد قيل انها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل وقيل في حمزة وعلى وأبي جهل وكلاهما عن مجاهد والظاهر انها عامة وهذا كقوله تعالى اخبارا عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات وذلك في الدرجات فقال ولولا انعمة ربى لكدت من المحضرين (٢٦٧) وقال تعالى ولقد علمت الجنة انهم

لمحضرون (ويوم نناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ابانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراؤا العذاب لو أنهم كانوا يتدنون ويوم نناديهم فيقول ماذا اجبت المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المغفلين) يقول تعالى مخبرا عما يوجب الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون يعني أين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الاصنام والانداد هل ينصر ونكم أو ينتصرون وهذا على سبيل التوبيخ والتهديد كما قال تعالى ولقد جئتكمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتكم ما حولنا كم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وقوله قال

(ان الله كان عفورا) لمن تاب منهم بقبول التوبة (رحميا) بن أفلق عما كان عليه من النفاق بعفوا الحوبة ثم رجع سبحانه الى حكاية بقية القصة وما امتن به على رسوله والمؤمنين من النعمة فقال (ورد الله الذين كفروا) وهم الاحزاب كأنه قيل وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الذين كفروا (بغيتهم) الباطل للسينية (لم يالوا خيرا) المعنى ان الله رد لهم بغيتهم لم يشف صدورهم رلا نالوا خيرا في اعتقادهم وهو الظفر بالمسلمين أولم ينالوا خيرا أي خبير بل رجعوا خاطرين لم يرجعوا الاعناء السفر وغرم النفقة (وكنى الله المؤمنين القتال) بما أرسله من الریح والجنود من الملائكة (وكان الله قويا) على كل ما يريد اذ قال له كن فيكون (عزيزا) قاهرا غابا لا يعالبه أحد من خلقه ولا يعارضه معارض في سلطانه وجبروته روى البخاري عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انجلى الاحزاب يقول الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم (وأترل الذين ظاهروهم) أي عاضدوهم دعوا ونوهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة فانهم عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاروا ايدا واحدة مع الاحزاب وكانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وقيل سنة أربع (من صياصيمهم) جمع صيصية وهي الحصون وكل شيء يتحصن به فهو صيصية ومنه صيصية الديك وهي الشوكة التي في رجله وصياصي البقر والظباء قرونها لانها تنجس بها ويقال للشوكة الخائلك الذي يسوى بها السدى واللحمة صيصية وأخرج أحمد وابن مردويه وابن أبي شيبة عن عائشة خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فاذا أنا بسعد بن معاذ رماه رجل من قريش يقال له ابن الفرقة بسهم فأسأب أكله فقطعه فدعا الله سعد فقال اللهم لا تمسني حتى تقر عيني من قريظة فبعث الله الریح على المشركين وكنى الله المؤمنين القتال ولحق يوسفيان ومن معه بهتامة ولحق عيينة بن بدر ومن معه بجعد ورجعت بنو قريظة فحتمصوا في صياصيمهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة وأمر ببقية من أدم فضربت على سعد في المسجد قالت فجاء جبريل وان على ثنائه لوقع الغبار فقال أوقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج الى بنى قريظة فقتلهم فلبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل ان يخرجوا فحاصروا خمس وعشرين ليلة فلما اشتد

الذين حق عليهم القول يعني الشياطين والمردة والدعاة الى الكفر ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ابانا يعبدون فشهدوا عليهم انهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرأوا من عبادتهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم سندا وقال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعاهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال الخليل عليه السلام لقومهم انما اتخذتم من دون الله آلهة انما موادة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا الآية وقال الله

تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا وراى العذاب وتقطعت بهم الاسباب الى قوله وما هم بخارجين من النار ولهذا قال وقيل ادعوا شركاءكم ليخلصوكم مما اُنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراى العذاب أى وتيقنوا انهم صابرون الى النار لا محالة وقوله لو انهم كانوا يهتدون أى فودوا حين عاينوا العذاب لو انهم كانوا من المهتمدين في الدار الدنيا وهذا كقوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا وراى المجرمون النار فظنوا انهم موافقوها ولم يجدوا عنها صرفا (٢٦٨) وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اُجبتم المرسلين النداء الاول عن سؤال

حصرهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا انزل على حكم سعد بن جابر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى سعد ابن معاذ فاني به على حمار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احكم فيهم قال فاني احكم فيهم ان تغفل مقاتلتهم ونسي ذرارهم وتقسم أموالهم فقال لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله (وقذف في قلوبهم الرعب) أى الخوف الشديد حتى سلما وانفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسي وهي معنى قوله (فريقا يقتلون) منهم (وتأسرون فريقا) فرى الفعلان بالتحية وبالوقية فيهما على الخطاب وبالوقية في الاول وبالخمسة في الثاني فالفريق الاول هم الرجال والفريق الثاني هم النساء والذرية والجملة مبينة ومقررة لقذف الرعب في قلوبهم ووجه تقديم المفعول في الاول وتأخيرها في الثاني ان الرجال لما كانوا اهل الشوكة وكان الوارد عليهم أشد الامرين وهو القتل كان الاهتمام بتقديم ذكرهم أنسب بالمقام وقد اختلف في عدد المقتولين والمأسورين فقيل كان المقتولون من ستمائة الى سبعمائة وقيل ستمائة وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة وقيل تسعمائة وكان المأسورون سبعمائة وقيل سبعمائة وخمسين وقيل تسعمائة (وأورثكم ارضهم) أى عقارهم ونخيلهم (وبدارهم) أى منازلهم وحصونهم (وأموالهم) أى الخلي والاثاث والمواشى والسلاح والدراهم والذنانير والنقود والامتنعة (و) أورثكم (أرضالم تطورها) بعد لقصد القتال واختلف المفسرون في تعيين هذه الارض المذكورة فقال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل انها خيبر ولم يكونوا اذ ذلك قد نالوها فوعدهم الله بها قال سليمان الجلي وأخذت بعد ثمانية وستين أو ثلاث لان خيبر كانت في السابعة في الحرم وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة اربع مراحل انتهى لمخصا وتتمام هذه القصة في سيرة الحلبي وقال قتادة كانت تحدث انها مكة وقال الحسن فارس والروم وقال عكرمة هي كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة والمضى تحقق وقوعه (وكان الله على كل شى قديرا) أى هو سبحانه قدير على كل ما أراده من خير وشر ونعمة ونقمة وعلى الشجاز ما وعد به من الفتح للمسلمين (يا ايها النبي قل لازواجك) قيل هذه الآية متصلة بمعنى ما تقدمها من المنع من ايداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد تأذى ببعض الزوجات قال الواحدى قال المفسرون ان أزواج النبي

التوحيد وهذا فيه اثبات النبوات ماذا كان جوابكم للمرسلين اليكم وكيف كان حالكم معهم وهذا كما يشتم العبد في قبره من ربك ومن نبيك وما دينك فاما المؤمن فيشهد أنه لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأما الكافر فيقول هاهاهاه لا أدري ولهذا الاجواب له يوم القيامة غير السكوت لان من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولهذا قال تعالى فعميت عليهم الانبياء يومئذ فهم لا يتساءلون قال مجاهد فعميت عليهم الخج فهم لا يتساءلون بالانساب وقوله فاما من تاب وآمن وعمل صالحا أى في الدنيا فعسى أن يكون من المنجحين أى يوم القيامة وعسى من الله موجبة فان هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) يخبر تعالى انه المنفرد بالخلق والاختيار وانه ليس له في ذلك منازع

ولامعقب قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار أى ما يشاء فمما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالامور كلها خيرا صلى وشرا هيدهم ورجعها اليه وقوله ما كان لهم الخيرة نفي على أصح القولين كقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وقد اختار ابن جرير ان ما ههنا بمعنى الذي تقديره ويختار الذي لهم فيه خيرة وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الاصلح والصحيح أنها نافية كما نقله ابن حاتم عن ابن عباس وغيره أيضا فان المقام في بيان انفرادته تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وانه لا نظير له في ذلك ولهذا قال سبحانه الله وتعالى عما يشركون أى من

الاصنام والانداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا ثم قال تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون اى يعلم ما تكن الضمائر وما تنطوى عليه السرائر كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق سواء منكم من امر القول ومن جهره ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله وهو الله لا اله الا هو اى هو المنفرد بالالهية فلا معبود سواه كما لا رب يخلق ويختار سواه له الحمد فى الاولى والاخرة اى فى جميع ما يفعل هو المحمود عليه بعدله وحكمته وله الحكم اى الذى لا معقب له لقهره وغلبته وحكمته ورجته واليه ترجعون اى جميعكم يوم القيامة فيجزى كل عامل بعمله من خير وشر ولا يخفى عليه منهم خافية فى سائر الاعمال (قل ارايتم ان جعل الله

الاعمال (قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يا ايكم بضياء اقلنا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يا ايكم بليل تسكنون فيه اقلنا تبصرون ومن رجته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) يقول تعالى عمتنا على عبادهم بما سخروا لهم من الليل والنهار اللذين لا قوام لهم بدونهما وبين انه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا الى يوم القيامة لاضر ذلك بهم ولسامتته النفوس وانحصرت منه ولهذا قال تعالى من اله غير الله يا ايكم بضياء اى تبصرون به وتسمعون بسببه اقلنا تسمعون ثم اخبر تعالى انه لو جعل النهار سرمدا اى دائما مستمرا الى يوم القيامة لاضر ذلك بهم ولتعبت الابدان وكنت من كثرة الحركات والاشغال ولهذا قال تعالى من اله غير الله يا ايكم بليل تسكنون فسه اى تستريحون من حركاتكم واشغالكم اقلنا تبصرون ومن رجته اى بكم

صلى الله عليه وآله وسلم سألنه شيئا من عرض الدنيا وطلب من الزيادة فى النفقة واذينه بغيره بعضهن على بعض فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهن شهرا وأنزل الله آية التخيير هذه وكن يومئذ تسعاعا نساء وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وسودة وهؤلاء من نساء قريش وصفيية الأنصيرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية واختلف فى عدة أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم وترتيبهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات هو عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق على دخوله بين احدى عشرة امرأة كذا فى المواهب وقد بسط الكلام عليهن فى المقصد الثانى منه جدا فارجع اليه ان شئت (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) اى سعتها ونضارتها ورفاهيتها وكثرة الاموال والتمتع فيها (فتعالين) اى اقبلن الى بارادتكين واخياركين لاحسد الامرين (أمتعن) اى اعطكن المتعة (وأسرحكن) اى اطلقكن قرأ الجمهور فى الفعلين بالجزم جوابا للامر وقيل ان جزمهما على انهما جواب الشرط وعلى هذا يكون قوله فتعالين اعتراضا بين الشرط والجاء وقرئ بالرفع فيهما على الاستئناف (سرحا جيبلا) المراد به هو الواقع من غير ضرار على مقتضى السنة (وان كنتن تردن الله ورسوله) اى تردن رسوله وذكر الله للابدان بجلالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنده تعالى (والدار الاخرة) اى الجنة ونعيمها (فان الله اعد للمحسنات منكن) اى اللاتي عملن عملا صالحا (أجر اعظيما) لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره وذلك بسبب احسانهن وبمقابلته صالح عملهن وقد اختلف العلماء فى كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزواجه على قولين الاول انه خيرهن باذن الله فى البقاء على الزوجية أو الطلاق فاخترن البقاء وبهذا قالت عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهري وربيعة والثانى انه انما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن وبين الاخرة فيمكنهن ولم يخيرهن فى الطلاق وبهذا قال على والحسن وقتادة والراجح الاول واختلافنا اى فى الخيرة اذا اختارت زوجها هل يحسب مجرد ذلك التخيير على الزوج طلاقة أم لا فذهب الجمهور من السلف والخلف الى انه لا يكون التخيير مع اختيار المرأة لزوجها طلاقا واحدا ولا أكثر وقال على وزيد بن ثابت ان اختارت زوجها فواحدة بائنة وبه قال الحسن واللبث وحكاه الخطابي والنقاش عن مالك والراجح الاول الحديث عائشة التاب فى الصحيحين قالت خيرنا

جعل لكم الليل والنهار اى خلق هذا وهذا لتسكنوا فيه اى فى الليل ولتبتغوا من فضله اى فى النهار بالاسفار والترحال والحركات والاشغال وهذا من باب اللطف والنشر وقوله ولعلكم تشكرون اى تشكرون الله بانواع العبادات فى الليل والنهار ومن فانه شئ بالليل استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا والايات فى هذا كثيرة (ويوم يناديهم فيقول اىن شركائى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فاعلموا ان الحق لله وفضل عنهم ما كانوا يفترون) وهذا ايضا نداء ثان على سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبد مع الله الها آخر يناديهم

الرب تعالى على رؤس الاشهاد فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي في دار الدنيا وزعمنا من كل أمة شهيداً قال مجاهد يعني رسولاً فقلنا هاتوا برهانكم أي على صحة ما دعيتهم من أن الله شر كما فعلوا إن الحق لله أي لا اله غيره فلم ينطقوا ولا يجبروا جواباً وضل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهبوا فلم ينفعوهم (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهم الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ (٢٧٠) الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) قال الاعمش عن المنها

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخترناه فلم يعدده طلاقاً ولا وجهه لجعل مجرد التخيير طلاقاً ودعوى أنه كناية من كليات الطلاق مدفوعة بان الخيول يرد الفرقة بمجرد التخيير بل أراد تفويض المرأة وجعل أمرها بيدها فإن اختارت البقاء بقيت على ما كانت عليه من الزوجية وإن اختارت الفرقة صارت مطلقة واختلفو في اختيارها لنفسها هل يكون ذلك طلاقاً رجعية أو بائنة فقال بالاول عمر وابن مسعود وابن عباس وابن أبي ليلى والثوري والشافعي وقال بالثاني علي وأبو حنيفة وأصحابه وروى عن مالك والراجح الاول لأنه يعد كل البعدان يطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه على خلاف ما أمره الله به وقد أمره بقوله إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى عن زيد بن ثابت أنها إذا اختارت نفسها فثلث طلقات وليس لهذا القول وجه وقد روى عن علي أنها إذا اختارت نفسها فليس بشئ وإذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وقد أخرج أحمد ومسلم والنسائي وابن مردويه عن جابر قال أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس يبابه جلوس النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس فلم يؤذن له ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابي بكر وعمر فدخلوا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس وحوله نساؤه وهو ساكت فقال عمر لا تكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعله يضحك فقال عمر يا رسول الله لو رأيت ابنة زيدا امرأة عمر سألتني النفقة أنفاً فوجأت في عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه وقال هن حولي يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلن نساؤه والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده وأنزل الله الخيارات فبدأ بعائشة فقال اني اذا كرلكتك أمر اما أحب ان تجلي فيسه حتى تستأمرى أو ييك قالت ما هو فتلا عليها أيها النبي قل لا زواجك الآية قالت عائشة أفيك أستأمرى أو يي بل اختار الله ورسوله وأسألك ان لاتذكري نساءك ما اخترت فقال ان الله لم يعنى متعسلاً ولا مكن بعنى معلماً يسر الانسألى امرأة ممنه عما اخترت الا أخبرتها وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه قالت فبدأ بى فقال اني اذا كرلكتك أمر افلا عليك

ابن عمر وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ان قارون كان من قوم موسى قال كل ابن عمه وهكذا قال ابراهيم النخعي وعبد الله بن الحرث ابن نوفل ومالك بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جرير وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام قال ابن جرير هو قارون بن يعمر ابن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث وزعم محمد بن اسحق بن يسار ان قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام قال ابن جرير ويح وأكثر أهل العلم على انه كان ابن عمه والله أعلم وقال قتادة بن دعامة كذا حدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فاهلكه البغي لكثرة ما له وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شرباطولا ترفع على قومه وقوله وآتيناهم من الكنوز أى الاموال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة أى لينقل جعلها الفئام من الناس لكثرة ما قال الاعمش عن خيمته كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانه

على حدته فاذا ركب حملت على ستين بغلاً غير ذلك والله أعلم وقوله إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين أي وعظه فيما هو فيه صالح قومه فقالوا على سبيل النصيح والارشاد لا تفرح بما أنت فيه يعنون لا تبطر بما أنت فيه من المال إن الله لا يحب الفرحين قال ابن عباس يعنى المرحين وقال مجاهد الاشرى من البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم وقوله وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا أى استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب اليه بانواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا

أى مما أباح الله فيها من المأكل والمشرب والملابس والمسكن والمنالكه فان لم يك عليك حقا ولم نفسك عليك حقا ولا هلك عليك حقا ولم يترك عليك حقا فأت كل ذى حق حقه وأحسن كما أحسن الله اليك أى أحسن الى خلقه كما أحسن هو اليك ولا تبغ الفساد فى الارض أى لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسده فى الارض وتسي الى خلق الله ان الله لا يحب المفسدين (قال انما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر رجعا ولا يمثل عن ذنوبهم المجرمون) يقول تعالى مخبرا عن جواب قارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه (٢٧١) الى الخبر قال انما أوتيته على علم عندى

أى أنا لا أفتر الى ما تقولون فان الله تعالى انما أعطانى هذا المال لعله بانى أستحقه ولحبه لى فتقديره انما أعطيته لعلم الله فى أى أهل له وهذا كقوله تعالى واذا من الانسان ضر دعانا ثم اذا حولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم أى على علم من الله بى وكقوله تعالى ولئن أذقناه رجعة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى أى هذا أستحقه وقدرى عن بعضهم أنه أراد انما أوتيته على علم عندى أى أنه كان يعانى علم الكيمياء وهذا القول ضعيف لان علم الكيمياء فى نفسه علم باطل لان قلب الاعيان لا يقدر أحد عليها الا الله عز وجل قال الله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة وهذا ورد فى المصورين الذين يشبهون بخلقى الله فى مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعى أنه

ان لا تستعجل حتى تستأمرى أبو بك وقد علم ان أبوى لم يكونا بأمرانى برفاقه فقال ان الله قال يا أيها النبي قل لازوجك الى تمام الآية فقلت فى أى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفعل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما فعلت فلما اختار نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آياه أنزل فىهن هذه الآيات تكريما لهن وتعظيما لهن فقال (بانساء النبي من بأت منكن) من بيانية لانهن كلهن محسنات (بفاحشة) أى معصية (مبينة) أى ظاهرة القبح واضحة الفعش وقد عهدهن الله عن ذلك وبرأهن وطهرهن فهو كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وقيل المراد بانفاحشة النشوز وسوء الخلق وقال قوم الفاحشة اذا وردت معرفة فهى الزنا والواطوا اذا وردت منكورة فهى سائر المعاصى واذا وردت منعوتة فهى عقود الزوج وفساد عشرته وقالت فرقة قوله هذا يجمع جميع المعاصى وكذلك الفاحشة كيف وردت (بضعافها العذاب ضعفين) أى يعذبهن الله مثلى عذاب غيرهن من النساء اذا أتين بمثل تلك الفاحشة وذلك لشرفهن وعلو درجاتهن وارتفاع منزلتهن ولان ما قبح من سائر النساء كان منهن أقبح فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذا كان الذم للعاصى العالم أشد من العاصى الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد وقد ثبت فى هذه الشريعة فى غير موضع ان تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه اذا عصى تضاعف العقوبات وقرئ يضاعف على البناء للمفعول وفرق أبو عمرو وأبو عبيد بين يضاعف ويضعف فقال لا يكون يضاعف ثلاثة عذابات ويضعف عذابتين قال التماس هذه التفرقة التى جاأ بها لا يعرفها أحد من أهل اللغة والمعنى فى يضاعف ويضعف واحداً أى يجعل ضعفين وهكذا ضعف ما قاله ابن جرير قال قوم لو قدر الله الزمان واحداً وقد أعادهن الله عن ذلك لكأنت تحسد حين لعظم قدرها كما زاد حد الحرة على الامة والعذاب بمعنى الحد قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وعلى هذا فعنى الضعفين معنى المثلين أو المرتين وقال مقاتل هذا التضعيف فى العذاب انما هو فى الآخرة كما ان آيات الاجرم تين فى الآخرة وهذا احسن لان نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأتين بفاحشة توجب حداً وقد قال ابن عباس ما بغت امرأته نبي قط وانما خاتنا

يحمل ماهية هذه الذات الى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحال وجهل وضلال وانما يقدر على الصبغ فى الصورة الظاهرة وهى كذب وزغل وتوويه وتر ويج أنه صحيح فى نفس الامر وليس كذلك قطعاً لا محالة ولم يثبت بطريق شرعى أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التى يتعابها هؤلاء الجهلة الفسقة الا كما كون فاما ما يجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدي بعض الاولياء من قلب بعض الاعيان ذهاباً وفضة أو نحو ذلك فهذا امر لا يشكره مسلم ولا يردّه مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وانما هذا عن مشيئة رب الارض والسموات واختياره وفعله كما روى عن حيوة بن شريح المصرى رجه انه أنه سأله سائل فلم يكن عنده

بما يعطيه ورأى ضرورته فاخذ حصاة من الارض فأجالها في صكفه ثم ألقاها الى ذلك السائل فاذا هي ذهب أجزوا والا حاديت
والآثار في هذا كثيرة جدا يطول ذكرها وقال بعضهم ان قارون كان يعرف الاسم الاعظم فدعا الله به فقول بسببه والصحيح المعنى
الاول ولهذا قال الله تعالى راداعليه فيما ادعاه من اعتنا الله به فيما أعطاه من المال أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون
من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا أي قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان ذلك عن محبة مناله وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم
وعدم شكرهم ولهذا قال ولا يستل (٢٧٢) عن ذنوبهم المجرمون أي لكثرة ذنوبهم قال قتادة على علم عندي على

خير عندي وقال السدي على علم
اني أهلك وقد أجاد في تفسير
هذه الآية الامام عبد الرحمن بن
زيد بن أسلم فانه قال في قوله قال انما
أوتيته على علم عندي قال لولا انما
الله عنى ومعرفة به فضل ما اعطاني
هذا المال وقرأ ولم يعلم أن الله قد
أهلك من قبله من القرون من هو
أشد منه قوة وأكثر جمعا الآية
(نخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحياة الدنيا ليت لنا مثل
ما أوتى قارون انه لن نوحظ عظيم
وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا
يلقاها الا الصابرون) يقول تعالى
مخبرا عن قارون انه خرج ذات يوم
على قومه في زينته عظيمة وتجمل
بأهرو من مراكب وملابس عليه
وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من
يريد الحياة الدنيا وعيّل الى زخارفها
وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي
أعطى قالوا ليت لنا مثل ما أوتى
قارون انه لن نوحظ عظيم أي ذو حظ
وافر من الدنيا فلما مع مقالهم أهل
العلم النافع قالوا لهم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا أي

في الايمان والطاعة وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعدن به ضعفين هو عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة وكذلك الاجر قال ابن عطية وهذا ضعيف اللهم الا ان تكون
أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ترفع عنهن حدود الدنيا عذاب الآخرة على ما هو
حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصامت وهذا أمر لم يرد في أزواج النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ولا حفظ تقريره (وكان ذلك) أي تضعيف العذاب (على الله بسيرا) هينا
لا يتعاطمه ولا يصعب عليه فليس كونهن تحت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكونهن
جملات شريفات مما يدفع العذاب عنهن وليس أمر الله كما مر الخلق حتى يتعذر عليه
تعذيب الاعزة بسبب كثرة أوليائهن وأخوانهن وأشفعائهن واخوانهن (ومن يقنت)
قري بالتحسية وكذا يأت منكم حملا على لفظ من في الموضوعين وقري بالفوقية حملا على
المعنى والقنوت الطاعة أي يطع (منسكن الله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين)
يعنى انه يكون لهن من الاجر على الطاعة مثلا ما يستحقه غيرهن من النساء اذا فعلن تلك
الطاعة وفي هذا دليل قوي على ان معنى يضاعف لها العذاب ضعفين أنه يكون العذاب
مرتين لثلاثا لان المراد اظهار شرفهن ومزيتتهن في الطاعة والمعصية يكون حسنتهن
كحسنتين وسينتهن كسيئتين ولو كانت ثلاثا لكانت لهن من الاجر مرتين (وزنوا كريمة) جليل القدر قال
المفسرون هو نعيم الجنة حتى ذلك عنهم النحاس ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر
النساء تصرح بها فقال (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال الزجاج لم يقل كواحدة
من النساء لان أحد دل لفظ عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة وقد يقال على ما ليس
بأدنى كما يقال ليس فيها أحد لاشاة ولا بغير والمعنى لستن بجماعة واحدة من جماعات
النساء في الفضل والشرف قال ابن عباس يريد ليس قدر كن عندي مثل قدر غير كن من
النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى ثم قيد هذا الشرف العظيم بقيد
فقال (ان اتقين) الله فأعطنه فان الاكرم عند الله هو الاتقي فبين سبحانه أن هذه
الفضيلة لهن انما تكون بملازمتهم للتقوى لا مجرد اتصاليهن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما تررون وقوله ولا يلقاها الا الصابرون قال السدي وقد
ولا يلقى الجنة الا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم قال ابن جرير ولا يلقى هذه الكلمة الا الصابرون عن محبة
الدنيا راغبون في الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل واخباره بذلك (نفسه نابه
وبداره الارض فما كان له من فئمة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا نخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) لما ذكر تعالى احتمال

قارون في زينته وخرقه على قومه وبعيه عليهم عقب ذلك بانه خسف به وداره الارض كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم ان ابا حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يجرا زاره اذ خسف به فهو يتجمل في الارض الى يوم القيامة ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال الامام احمد حدثنا النضر بن اسمعيل ابو المغيرة القاص حدثنا الاعمش عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين اخضرين يخال بينهما امر الله الارض (٢٧٢) فاخذته فانه ليتجمل فيها الى يوم القيامة

تفرد به احمد واسناده حسن وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا ابو خزيمة حدثنا يعلى بن منصور اخبرني محمد بن مسلم سمعت زياد القهري يحدث عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين فاختلف فيهما فامر الله الارض فاخذته فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الشكري في كتاب العجائب الغريبة بسنده عن نوفل بن ماحق قال رأيت شابا في مسجد نجران فجعلت أنظر اليه وأتعجب من طوله وتمامة وجهه فقال مالك تنظر الى فقلت أعجب من جالك وكالك فقال ان الله ليحجب منى قال فما زال يتقص ويتقص حتى صار بطول الشبر فاخذته بعض قرابته في كفه وذهب به وقد ذكر ان هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام واختلف في سببه فعن ابن عباس والسدي ان قارون اعطى امرأة بغياما لعل ان تهت موسى بحضرة الملا من بني اسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى

وقد وقعت منهن والله الحمد التقوى البينة والايان الخالص والمشي على طريقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعدياته وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أى ان اتقيتين فليستن كما حذمت النساء وقيل ان جوابه قوله (فلا تخضعن بالقول) والاول اولى والمعنى لا تلن القول عند مخاطبة الناس كما تفعله المربيات من النساء ولا ترققن الكلام قال ابن عباس يقول لا ترخصن بالقول ولا تخضعن بالكلام وعنه قال مقارنة الرجال بالقول فانه يسبب عن ذلك مفسدة عظيمة وهى قوله (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى جفور وشهوة أو شك وريبة أو نفاق والمعنى لا تقبلن قول لا يجيد المناقاة والقاهر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة فى المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولنا المعروفا) عند الناس أى حسنام كونه خشيا بعيدا من الريبة على سنن الشرع لا ينكر منه سامعه شيئا ولا يطمع فيكن أهل الفسوق والفجور بسببه أو قولنا يوجهه الاسلام والدين عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى والاول اولى (وقرن فى بيوتكن) قرأ الجهور بكسر القاف من وقر يقر وقارا أى سكن والامر منه قرب بكسر القاف وللنساء قرن مثل عدن وزن وقال المبرد هو من الترار لامن الوفاة تقول قررت بالمكان بفتح الراء والاصل اقرن بكسر الراء خذفت الراء الاولى تخفيفا كما قالوا فى ظلمت ظلمت ونقلوا حركتها الى القاف واستغنى عن ألف الوصل بتعريك القاف وقال ابو يعلى الفارسي أبدت الراء الاولى ياء كراهة التضعيف كما أبدلت فى قيراط ودينار وصارت الياء حركة الحرف الذى أبدلت منه والتقدير اقرين ثم تلتقى حركة الياء على القاف كراهة تعريك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة الوصل لتعريك ما بعدهما فى صير قرن وقرى بفتح القاف وأصله قررت بالمكان اذا أقت فيه بكسر الراء أقر بفتح القاف كحمدي محمد وهى لغة أهل الحجاز ذكر ذلك ابو عبيد عن الكسائي وذكرها الزجاج وغيره قال الفراء هو كما تقول هل هل حسنت صاحبك أى هل أحسنته قال ابو عبيد كان اشياخنا من أهل العربية ينكرون القراءة بالفتح للقاف وذلك لان قررت بالمكان أقر لا يجوزه كثير من أهل العربية والصحيح قررت أقر بالكسر ومعنى الآية الامر لهن بالتوقر والسكون فى بيوتهن وان لا يخرجن وهذا يخالف ما ذكرناه عن الكسائي وهو من أجل مشايخه وقد وافقه على الانكار لهذه

(٣٥ - فتح البيان سابع) فتقول يا موسى انك فعلت بى كذا وكذا فلما قالت ذلك فى الملا موسى عليه السلام أرى من الفرق وأقبل عليها بعد ما صلى ركعتين ثم قال أنشدك بالله الذى فرق البحر وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرتنى بالذى جعلك على ما قلت فقالت اما انشدتني فان قارون أعطاني كذا وكذا على ان أقول ذلك لك وانا استغفرت الله وأتوب اليه فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجدا وسأل الله فى قارون فاوحى الله اليه ان قد أمرت الارض ان تطيعك فيه فامر موسى الارض ان تطيعه وداره فكان ذلك وقيل ان قارون لما خرج على قومه فى زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه

التياب الاربعوان الصبغة فر في حقه ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذ كرههم بايام الله فلما رأى الناس قارون انصرف وجوههم نحو ينظرون الى ما هو فيه فدعا موسى عليه السلام وقال ما حملك على ما صنعت فقال يا موسى امانت كنت فضلت على بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا ولئن شئت لنخرجن قلدعون على وادعوك عليك فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام تدعوا وادعوا فقال بل ادعوا فادعوا قارون فوجب له ثم قال موسى ادعوا قال نعم فقال موسى اللهم مر الارض ان تطيعني اليوم فادعوا الله اليه (٢٧٤) انى قد فعلت فقال موسى يا أرض خذهم فاخذتهم الى اقدامهم ثم قال

القرائة ابوجاتم فقال ان قرن بنخ القاف لامذهب له في كلام العرب قال النحاس قد خواف ابوجاتم في قوله انه لامذهب له في كلام العرب بل فيه مذهبان أحدهما ما حكاه الكسائي والآخر عن علي بن سليمان فاما المذهب الذي حكاه الكسائي فهو ما قدمناه من رواية أبي عبيدة عنه وأما المذهب الذي حكاه علي بن سليمان فقال انه من قررت به عيننا أقر وقيل المعنى واقررت به عيننا في بيوتكن قال النحاس وهو وجه حسن وأقول ليس بحسن ولا هو معنى الآية فان المراد بها أمرهن بالسكون والاستقرار في بيوتهن وليس من قره العين أى الزمن بيوتكن عن محمد بن سيرين قال نبت انه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مالك لا تحجين ولا تعقرين كما تفعل اخواتك فقالت قد حجبت واعمرت وأمرني الله ان أقر في بيتي فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت قال فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) التبرج ان تبدى المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعى به شهوة الرجل وقد تقدم معنى التبرج في سورة النور قال المبرد هو مأخوذ من السعة يقال في اسنانه تبرج اذا كانت متفرقة والمعنى اظهار الزينة وابرار المحاسن للرجال وقيل التبرج هو التغنج والتجتر والتكسفر في المشى وهذا ضعيف جدا والاول أولى وقد اختلف في المراد بالجاهلية الاولى فقيل ما بين آدم ونوح أو زمن داود وسليمان وقيل ما بين نوح وادريس قاله ابن عباس وكانت ألف سنة وقيل ما بين نوح وابراهيم وقيل ما بين موسى وعيسى أو ما بين عيسى ومحمد قاله ابن عباس وقيل ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان أو الاولى جاهلية الكفر والاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام وقدين حكمهما في قوله تعالى ولا يسيدين زينتهن الخ وقيل تذكر الاولى وان لم تكن لها أخرى وقال المبرد الجاهلية الاولى كما تقول الجاهلية الجهلاء قال وكان نساء الجاهلية يظهرن ما يتبع اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخليتها فينفر دخليها بما فوق الازار الى أعلى ويتفرذ زوجها بما دون الازار الى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البدل قال ابن عطية والذي يظهر لي انه أشار الى الجاهلية التي لحقتها وادركتها فأمرن بالنقله عن سيرتهن فيها وهى ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لانهم كانوا الاغيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجة وجعلها أولى بالنسبة الى ما كن عليه

ويضيق ويوسع ويخفف ويرفع وله الحكمة التامة والحجة البالغة وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن وليس مسعود ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم وان الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان الا من يحب لولا ان من الله علينا خسف بنا أى لولا لطف الله بنا واحسانه لنا خسف بنا كما خسف به لا واددنا ان نكون مثله ويكاتبه لا يفلح الكافرون يعنون انه كان كافرا ولا يفلح الكافرون عند الله لافى الدنيا ولا فى الآخرة وقد اختلف النحاة فى معنى قوله ههنا ويكان فقال بعضهم معناه وبلت اعلم ان ولكن خفنت فقيل ويك ودل فتح ان على حذف اعلم وهذا القول ضعفه ابن جرير

والظاهر انه قوي ولا يشك على ذلك الا كتابتها في المصاحف متصلة ويكان والكاتبه امر وضعي اصطلاحى والمرجع الى اللفظ العربى والله أعلم وقيل معناها ويكان أى ألم تر أن قاله قتادة وقيل معناها وى كأن فصلها وجعل حرف وى للتعجب أو التنبيه وكان بمعنى أظن واحتسب قال ابن جرير وأقوى الأقوال فى هذا قول قتادة انها بمعنى ألم تر أن واستشهد بقول الشاعر

سالتانى الطلاق ان رأيتنى * قل مالى قد جئت منى بنكر
ويكان من يكن له نسب يحسب ومن يفقر يعش عيش ضر

(تلك الدار الآخرة يجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا (٢٧٥) والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة

فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) يخبر تعالى ان الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذى لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا فى الارض أى ترفعوا على خلق الله وتعاضوا معهم وتجبوا بهم ولا فسادا فيهم كما قال عكرمة العلواتي وعكرمة العلوالتي وقال سعيد بن جبيرة العلوالتي وقال سعيد بن سعيده الثورى عن منصور عن مسلم البطين العلوالتي الارض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق وقال ابن جرير لا يريدون علوا فى الارض تعظما وتجبوا ولا فسادا عملا بالمعاصى وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أنى عن أشعث السمان عن أبى سلام الاعرج عن على قال ان الرجل ليحبه من شرائه نعله ان يكون أجود من شرائه نعل صاحبه فيدخل فى قوله تعالى تلك الدار الآخرة يجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وهذا محمول على ما اذا أراد بذلك الفخر على غيره وأما اذا أحب

وليس المعنى ان ثم جاهلية أخرى كذا قال وهو قول حسن ويمكن ان يراد بالجاهلية الأخرى ما يقع فى الاسلام من التشبه باهل الجاهلية بقول أو فعل فيكون المعنى ولا تبرجن أيها المسلمات بعد اسلامكن تبرج مثل تبرج أهل الجاهلية التى كنتن عليها وكان عليهما من قبلكن أى لا تحمدن بافعالكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التى كانت من قبل وعن عائشة قالت الجاهلية الاولى كانت على عهد ابراهيم كانت المرأة تلبس الدر عن اللؤلؤ فتشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وكانت عائشة اذا قرأت هذه الآية تسبى حتى يتل خمارها رواه مسروق (وأقن الصلاة) الواجبة (وآتين الزكاة) المفروضة (وأطعن الله ورسوله) فيما أمر وفيما نهى وخص الصلاة والزكاة ثم عم فامرهن بالطاعة لله ولرسوله فى كل ما هو شرع لانهما أصل الطاعات البدنية والمالية ولان من واطب عليهما جرتاه الى ما وراءهما (انما يريد الله) أى انما أوصاكن الله بما أوصاكن من التقوى وان لا تخضعن بالقول ومن قول المعروف والسكون فى البيوت وعدم التبرج واقامة الصلاة واتياء الزكاة والطاعة (ليذهب عنكم الرجس) والمراد بالرجس الأثم والذنب المدنس لان للاعراض الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى عنه فيدخل فى ذلك كل ما ليس فيه رضا الله وقيل الرجس الشك وقيل السوء وقيل عمل الشيطان والعموم أولى (أهل البيت) نصبه على النداء أو المدح (ويطهركم) من الأرجاس والأدناس (تطهيرا) كاملا وفى استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها بليغ وزجر لفاعلا شديدا وقد اختلف أهل العلم فى أهل البيت المذكورين فى الآية فقال ابن عباس وعكرمة وعطاء الكلبي ومقاتل وسعيد بن جبيرة ان أهل البيت المذكورين فى الآية هم زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة قالوا والمراد بالبيت بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومساكن زوجاته لقوله واذ كن ما تلى فى بيوتكن وأيضا السياق فى الزوجات من قوله يا أيها النبي قل لا زواجك الى قوله لطيفا خبيرا وقال أبو سعيد الخدرى ومجاهد وقتادة وروى عن الكلبي ان أهل البيت المذكورين فى الآية هم على وفاطمة وحسن والحسين خاصة ومن حججهم الخطاب فى الآية بما يصلح للذكور وللنساء وهو قوله عنكم وليطهركم ولو كان للنساء خاصة لقال عنكن وليطهركن وأجاب الآقون عن هذا بان التذكير باعتبار لفظ الأهل كما قال سبحانه

ذلك ليجرد التجميل فهذا الأباس به فقد ثبت أن رجلا قال يا رسول الله انى أحب ان يكون ردائى حسنا ونعلى حسنة أفن الكبر ذلك فقال لان الله جميل يحب الجمال وقال تعالى من جاء بالحسنة أى يوم القيامة فله خير منها أى ثواب الله خير من حسنة العبد فكف والله بضاعفه أضعافا كثيرة وهذا مقام الفضل ثم قال ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون كما قال فى الآية الأخرى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون وهذا مقام الفضل والعدل (ان الذى فرض عليك القرآن اذ لك الى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك

فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله
 انها آخر لاله الا الله كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) يقول تعالى امر ارسوله صلوات الله وسلامه عليه يبلاغ
 الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ومخبره بانه سيرده الى معاده وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من اعباء النبوة ولهذا قال تعالى
 ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى اقترض عليك أداءه الى الناس لرادك الى معاد أى الى يوم القيامة فيسألك عن
 ذلك كما قال تعالى فلنسألن الذين أرسل (٢٧٦) اليهم ولنسألن المرسلين وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا

أجبتم وقال وبي بالنبين والشهداء
 وقال السدي عن أبي صالح عن ابن
 عباس ان الذي فرض عليك
 القرآن لرادك الى معاد يقول لرادك
 الى الجنة ثم سألنا عن القرآن قال
 السدي وقال أبو سعيد من لاه وقال
 الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن
 عباس رضى الله عنهم لرادك الى
 معاد قال الى يوم القيامة ورواه
 مالك عن الزهري وقال الثوري
 عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن
 ابن عباس لرادك الى معاد الى الموت
 ولهذا طرق عن ابن عباس رضى
 الله عنهم وفى بعض ما لرادك الى
 معادك من الجنة وقال مجاهد يحيى
 يوم القيامة وكذا روى عن عكرمة
 وعطاء وسعيد بن جبير وأبي قزعة
 وأبي مالك وأبي صالح وقال الحسن
 البصرى اى والله ان له المعاد افيبعثه
 الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة وقد
 روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال
 البخارى فى التفسير من صحبه
 حدثنا محمد بن مقاتل أبا ناي على
 حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة
 عن ابن عباس لرادك الى معاد قال
 الى مكة وهكذا رواه النسائي فى

أعجبين من أمر الله رجة الله وبركاته عليكم أهل البيت وكما يقول الرجل لصاحبه كيف
 أهلك يريد زوجته أو زوجته فيقول هم بخير ولنذكرهنا ما تمسك به كل فريق أما
 الأولون فتمسكوا بالسباق فانه فى الزوحات كما ذكرنا وبما أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر
 من طريق عكرمة عن ابن عباس فى الآية قال نزلت فى نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 خاصة وقال عكرمة من شاء باهلهته انما نزلت فى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وروى هذا عنه بطرق وأما ما تمسك به الآخرون فأخرج الترمذى وصححه وابن جرير
 وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى سننه من طرق عن أم سلمة قالت فى
 بيتي نزلت انما يريد الله الآية وفى البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين فجللهم رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس
 وطهرهم تطهيرا وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبرانى وابن مردويه
 عن أم سلمة أيضا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان فى بيتها على منامة له عليه كساء
 خيبرى فجاءت فاطمة بدمعة فيها خيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعى
 زوجك وابنيك حسنا وحسنا فدعتهم فينماهم يأكلون اذ نزلت على النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيرا فأخذ النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم بفضله كسائه فغشاهم اياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها الى
 السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها
 ثلاث مرات قالت أم سلمة فأدخلت رأسى فى السترفقلت يارسول الله وأنا معكم فقال انك
 الى خير مرتين وأخرجه أحمد أيضا من حديثها وفى اسناده مجهول وهو شيخ عطاء وبقية
 رجاله ثقات وقد أخرجه الطبرانى عنهما من طريقين بخوه وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره
 الحديث ام سلمة طرفا كثيرة فى مسند احمد وغيره وأخرج ابن مردويه والخطيب من
 حديث أبي سعيد الخدرى نحوه وأخرج الترمذى وابن جرير والطبرانى وابن مردويه
 عن عمر بن ابي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما نزلت هذه الآية على النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وذكر نحو حديث ام سلمة وأخرج ابن ابي شيبة واحمد ومسلم
 وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم عن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة
 وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ثم جاءت فاطمة

تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنافسى به وهكذا روى العوفى عن ابن عباس لرادك فأدخلها

الى معاد أى لرادك الى مكة كما أخرجه منها وقال محمد بن اسحق عن مجاهد فى قوله لرادك الى معاد الى مولدك بمكة وقال ابن ابي حاتم
 وقد روى عن ابن عباس ويحيى بن ابراهيم وسعيد بن جبير وعطية والضحاك نحو ذلك وحدثنا أبو حنيفة فى قوله لرادك الى معاد قال سفيان
 فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة فبلغ الحنفية اشراق الى مكة فانزل الله
 عليه ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد الى مكة وهذا من كلام الضحاك يقتضى ان هذه الآية مدينة وان كان مجموع

السورة ميكائيل والله أعلم وقد قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى لرادك الى معاد قال هذه مما كان ابن عباس يدتها
وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله لرادك الى معاد قال الى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع الى قول
من فسر ذلك بيوم القيامة لان بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر والله الموفق للصواب ووجه الجمع بين هذه الأقوال ان ابن
عباس فسر ذلك تارة بوجوه الى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم كما فسر
ابن عباس سورة اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة انه أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي اليه وكان

(٢٧٧)

ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقه
عمر على ذلك وقال لأعلم منها غير
الذي تعلم ولهم إذ فسر ابن عباس
تارة أخرى قوله لرادك الى معاد
بالموت وتارة بيوم القيامة الذي هو
بعد الموت وتارة بالجنة التي هي
جزاؤه ومصيره على أدم رسالة الله
وابلاغها الى الثقلين الجن والانس
ولانه اكمل خلق الله وأفصح خلق
الله وأشرف خلق الله على الاطلاق
وقوله تعالى ربي أعلم من جاء
بالمهدي ومن هو في ضلال مبين أي
قل لمن خالفك وكذلك يا محمد من
قومك من المشركين ومن تبعهم
على كفرهم قل ربي أعلم
بالمهتدي منكم ومني وستعلمون لمن
تكون له عاقبة الدار ومن تكون
العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة
ثم قال تعالى مذكر النبيه نعمته
العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله
اليهم وما كنت ترجوان يلقى اليك
الكتاب أي ما كنت تظن قبل انزال
الوحي اليك ان الوحي ينزل عليك
ولكن رحمة من ربك أي انما نزل
الوحي عليك من الله من رحمة بك
وبالعباد بسببك فاذا منحك بهذه

فادخلها معه ثم جاء على فادخله معه ثم قال انما يريد الله الآية وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد
وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثله
ابن الاسقع قال جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين
حتى دخل فادنى عليها وفاطمة وأجلسهم ما بين يديه وأجلس حسنا وحسنا وكل واحد منهما
على فخذه ثم نادى عليهم ثوبه وأنام استبرهم ثم تلا هذه الآية وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي
اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وأمان أهلك قال وأنت من
أهلي قال واثله انه لا رجي ما أرجوه وله طرق في مسند أحمد وأخرج ابن أبي شيبة
وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر باب فاطمة اذا خرج الى صلاة
الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويظهركم
تطهيرا وأخرج مسلم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذ كرم
الله في اهل بيتي فقيل لزيد ومن اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته
ولكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس
وأخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما
فذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب الشمال فانما من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم
جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فانما من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني
في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وانا اتقى ولد آدم واکرمهم على الله ولا خير ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك
قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا فانما اهل بيتي مطهرون
من الذنوب وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابي الجراء قال رابطة المدينة سبعة اشهر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا طلع النجم جاء الى باب علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله الآية وفي اسناده
ابوداود الاعمى وهو وضع كذاب وفي الباب احاديث وآثار وقد ذكرنا ههنا ما يصلح

النعمة العظيمة فلا تكونن تطهيرا أي معينا للكافرين ولكن فارقههم وناذهم وخالفهم ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك
أي لا تتأثر بخالفهم لك وصد هم الناس عن طريقك لا تلوي على ذلك ولا تباله فان الله معك وموئديك ومظهر ما أرسلت به
على سائر الاديان ولهذا قال وادع الى ربك أي الى عبادة ربك وحده لا شريك له ولا تكونن من المشركين وقوله ولا تدع مع الله الها
آخرا له الا هو أي لا تليق العبادة الا له ولا تنبغي الاهمية الاعظمته وقوله كل شيء هالک الا وجهه اخبار بان الله الدائم الباقي الخفي
القيوم الذي وت الخلاق ولا يموت كما قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام فعبه بالوجه عن الذات

وهكذا قوله ههنا كل شيء هالك الا وجهه أي الاياه وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد * الا كل شيء ما خلا الله باطل * وقال مجاهد والثوري في قوله كل شيء هالك الا وجهه أي الامار يديه ووجهه وحكاية البخاري في صحيحه كالمقرر له قال ابن جرير ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر
استغفر الله ذنبا استغفرت به * رب العباد اليه الوجه والعمل وهذا القول لا ينافي القول الاول فان هذا الخبر عن كل الاعمال بانها باطلة الا ما أريد به وجهه (٢٧٨) الله تعالى من الاعمال الصالحة المطابقة للشريعة والقول الاول

للمسئرين ما لا يصلح وقد توسطت طائفة نالته بين الطائفتين فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين اما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق هذه الآيات كما قدمنا ولكونهن السالكات في بيوتهن صلى الله عليه وآله وسلم النازلات في منازلهن ويعضد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره واما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته واهله في النسب ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الاحاديث المصرحة بانهم سبب النزول فمن جعل الآية خاصة باحد الفريقين عمل بعض ما يجب اعماله واهمل ما لا يجوزها له وقد رجع هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما وقال جماعة هم بنوها هم واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس وبقول زيد بن ارقم المتقدم حيث قال ولكن آله من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس فهو لا ذهاب الى ان المراد بالبيت بيت النسب (واذ كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي اذ كرن موضع النعمة اذ صيركن الله في بيوت تلى فيها آيات الله والحكمة اواذ كرنها وتفكرن فيها لتعظن بمواعظ الله اواذ كرنها للناس ليتعظوا بها ويهتدوا بهداها اواذ كرنها بالتلاوة لها لتفظنها ولا تترك الاستسكان من التلاوة قال القرطبي قال اهل التأويل آيات الله هي القرآن والحكمة السنة وقال مقاتل المراد بالآيات والحكمة أمره ونهيها في القرآن وقيل ان القرآن جامع بين كونه آيات بينات دالة على التوحيد وصدق النبوة وبين كونه حكمة مشتملة على فنون من العلوم والشرائع وقال قتادة في الآية القرآن والسنة عمن بذلك عليهن واخرج ابن سعد عن ابي امامة بن سهل في الآية قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في بيوت ازواجه النوافل بالليل والنهار (ان الله كان لطيفا) بأولياؤه (خبيرا) بجميع خلقه وجميع ما يصدر منهم من خير وشر وظاعة ومعصية فهو يجازي المحسن باحسانه والمسيء بأسائه (ان المسلمين والمسلمات) بدأسبجانته بذكر الاسلام الذي هو مجرد الدخول في الدين والافتقار له مع العمل كما ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله جبريل عن الاسلام قال هو ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحتج البيت وتصوم رمضان ثم عطف على المسلمين المسلمات تشر بنسألهم بالذكرو هكذا فيما بعد وان كن داخلات في لفظ المسلمين والمؤمنين ونحو ذلك والتذكير انما هو لتغليب الذكور على

مقتضاه ان كل الذوات فانية وزائلة الاذاته تعالى وتقدس فانه الاول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء قال أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بكر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا عمر بن سليم الباهلي حدثنا أبو الوليد قال كان ابن عمر اذا أراد ان يته اهد قلبه بأبي الخربة فيقف على بابهم فينادي بصوت حزين فيقول أين أهلك ثم يرجع الى نفسه فيقول كل شيء هالك الا وجهه وقوله له الحكيم أي الملك والتصرف ولا معقب لحكمه واليه ترجعون أي يوم معادكم فيجزى بكم باعمالكم ان خير خير وان شرف شر آخر تفسير سورة القصص ولله الحمد والمنة

* تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن

يسبقونا ساء ما يحكمون) أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة وقوله تعالى أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون استقبحوا انكار ومعناه ان الله سبحانه وتعالى لا يدان بيتي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء في الحديث الصحيح أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل بيتي الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابه زيدته في البلاء وهذه الآية كقوله أم حسبتم ان تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومثلها في سورة براءة وقال في البقرة أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم

الاناث

بالأساء والضراء وزلزوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب ولهذا قال ههنا ولقد قننا الذين
من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أي الذين صدقوا في دعوى الايمان من هو كاذب في قوله ودعواه والله سبحانه
وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس
وغیره في مثل قوله الان تعلم الا ترى وذلك لان الرؤية انما تتعلق بالموجود والعلم اعم من الرؤية فانه يتعلق بالمعدوم والموجود وقوله
تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون (٢٧٩) أي لا يحسن الذين لم يدخلوا في الايمان

انهم يتخلصون من هذه القسنة
والامتحان فان من ورائهم من
العقوبة والشكال ما هو اعظم من
هذا واطم ولهذا قال أم حسب
الذين يعملون السيئات ان يسبقونا
أي يفوتونا ساء ما يحكمون أي
بئس ما يظنون (من كان يرحوا
لقاء الله فان أجل الله لات وهو
السميع العليم ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه ان الله لغني عن
العالمين والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
وانجزينهم أحسن الذين كانوا
يعملون) يقول تعالى من كان
يرجو لقاء الله أي في الدار الآخرة
وعمل الصالحات ورجا ما عند الله
من الثواب الجزيل فان الله سيجزي
له رجاءه ويوفيه عمله كاملا موفرا
فان ذلك كائن لا محالة لانه سميع
الدعاء بصير بكل الكائنات ولهذا
قال تعالى من كان يرجو لقاء الله
فان أجل الله لات وهو السميع
العليم وقوله تعالى ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه كقوله تعالى من عمل
صالحا فلنفسه أي من عمل صالحا فانما

الاناث كما في جميع ما ورد في الكتاب العزيز من ذلك ثم ذكر (والمؤمنين والمؤمنات) وهم
من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والقدر خيره وشره كما ثبت ذلك في الصحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم (والقاتين والقاتات) القات المطيع العابد وكذا القاتنة
وقيل المداومين على العبادة والطاعة (والصادقين والصادقات) هما من يتكلم بالصدق
ويتجنب الكذب ويقي جماعه وهد عليه (والصابرين والصابرات) هما من يصبر عن
الشهوات وعلى مشاق التكليف (والخاشعين والخاشعات) أي المتواضعين لله الخاشعين منه
الخاضعين في عباداتهم لله (والتصدقين والمتصدقات) هما من تصدق من ماله بما اوجبه
الله عليه وقيل ذلك اعم من صدقة الفرض والنفل (والصائمين والصائمات) قيل ذلك
مختص بالفرض وقيل هو اعم (والحافظين فروجهم والحافظات) فروجهن عن الحرام
بالتعفف والتزوه والاقتصار على الحلال (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) الله كثيرا هما
من يذكرون الله على جميع احواله وفي ذكر الكثرة دليل على مشروعية الاستكثار من ذكر
الله سبحانه بالقلب واللسان والخبر لجميع ما تقدم هو قوله (أعد الله لهم مغفرة) لذنوبهم
التي اذنبوها (واجرا عظيما) على طاعتهم التي فعلوها من الاسلام والايان والقنوت
والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم والعفاف والذكر ووصف الاجر بالعظيم
للدلالة على انه بالغ غاية المبالغ ولا شيء اعظم من اجره والجنة ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع
ولا ينفد اللهم اغفر ذنوبنا واعظم اجرنا وقد اخرج احمد والنسائي وابن جرير وابن
المنذر والطبراني وابن مردويه عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله فمالنا لاندكر في القرآن
كما تذكروا الرجال فلم يرعني منه ذات يوم الا نداؤه على المنبر وهو يقول ان الله يقول ان
المسلمين والمسلمات الاية واخرج عبد بن حميد والترمذي وحسنه والطبراني عن ام
عمارة الانصارية انها اتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ما رى كل شيء الا للرجال
وما رى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس قال قالت النساء يا رسول
الله ما بال يذكروا المؤمنين ولا يذكروا المؤمنات فنزلت هذه الاية اخرج الطبراني وابن جرير
وابن مردويه باسناد قال السيوطي حسن (وما كان) أي ماصح ولا استقام (للمؤمن
ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امر ان يكون لهم الخيرة من امرهم) قال القرطبي
لفظ ما كان وما ينبغي ونحوهما معناها الحظر والمنع من الشيء والخبار بانه لا يحل شرعا

تعالى غني عن افعال العباد ولو كانوا كلهم على اتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئا ولهذا قال تعالى ومن جاهد فانما يجاهد
لنفسه ان الله لغني عن العالمين قال الحسن البصري ان الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر بسيف ثم اخبر تعالى انه مع غناه
عن الخلائق جميعهم من بره واحسانه بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء وهو انه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا
ويجزى بهم أجرهم باحسن الذي كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها الواحدة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف
ويجزى على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح كما قال تعالى ان الله لا ينظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا

عظيما وقال ههنا والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهدك لتشرك بي مالم يس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنتمكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) يقول تعالى أمر اعباده بالا حسان الى الوالدين بعد الخث على التمسك بتوحيدهم فان الوالدين هما سبب وجود الانسان وهما اليه غاية الاحسان فالوالدان لا ينطقا والوالدان بالاشفاق ولهذا قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما

(٢٨٠)

وقل لهما ما قولاً كريماً واخضع لهما جنتاً من الجنة وقل رب ارجعها لى ربي صغيراً ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والاحسان اليهما في مقابلة احسانهما المتقدم قال وان جاهدك لتشرك بي مالم يس لك به علم فلا تطعهما أى وان حرصاً عليك ان تتابعهما على دينهما اذا كانا مشركين فابالك واياهما ما فلا تطعهما في ذلك فان مرجعكم الى يوم القيامة فأجزيك باحسانك اليهما وصر بك على دينك واحشرك مع الصالحين لافى زمرة والديك وان كنت أقرب الناس اليهما فى الدنيا فان المرء انما يحشر يوم القيامة مع من أحب أى حبا دنيوا ولهذا قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين وقال الترمذى عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المنبى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سمائل بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن ابيه سعد قال نزلت فى أربع آيات فذكر قصة وقال قالت أم سعد ان يس الله قد أهدى أمرنا بالبر والله لا أطعم

ان يكون وقد يكون لما يتسع عقلا كقوله ما كان لكم ان تنتوا شجرها ومعنى الآية انه لا يحل لمن يؤمن بالله اذا قضى الله امره ان يختار من امر نفسه ما شاء بل يجب عليه ان يذعن للقضاء ويوقف نفسه تحت ما قضاه الله عليه واختاره له ويجعل رأيه تبعاً لرأيه وجمع الضمير فى قوله لهم ومن امرهم لان مؤمنا ومؤمنة وقعا فى سياق النبي فهما يعمان كل مؤمن ومؤمنة قرئ ان يكون بالتحية لانه قد فرق بين الفعل وفاعله المؤنث بقوله لهم مع كون التانيث غير حقيقى وقرئ بالفوقية لكونه مسنداً الى الخيرة وهى مؤنثة لفظاً والخيرة مصدر بمعنى الاختيار ودل ذلك على ان الامر للوجوب وقرئ بسكون التحية وتجرى كها ثم توعد سبحانه من لم يذعن لقضاء الله وقدره فقال (ومن يعص الله ورسوله) فى امر من الامور ومن ذلك عدم الرضا بالقضاء (فقد ضل ضلالاً مبيناً) اى ضل عن طريق الحق ضلالاً ظاهراً واضحاً لا يخفى فان كان العصيان عصياناً ردواً امتناعاً عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصياناً فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق عن ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انطلق ليخطب على فتاة زيد بن حارثة قد دخل على زينب بنت جحش الاسديفة فخطبها قالت لست بنا كحتمه قال بلى فانكحيه قالت يا رسول الله او امر نفسى فيبيناهما يتعد ثمان انزل الله هذه الآية على رسوله قالت قد رضيت لى يا رسول الله منك كما قال نعم قالت اذن لا اعصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد انكحتم نفسى اخرجها ابن حريروا بن مردويه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى زينب انى اريد ان ازوجك زيد بن حارثة فانى قد رضيت لك قالت يا رسول الله لكنى لا ارضاه لنفسى وانا ايم قويمى وبت عمك فلم اكن لا فعل فنزلت هذه الآية وما كان المؤمن يعنى زيداً ولا مؤمنة يعنى زينب اذا قضى الله ورسوله امر ايعنى النكاح فى هذا الموضع ان تكون لهم الخيرة من امرهم يقول ليس لهم الخيرة من امرهم خلاف ما امر الله به قالت قد اطعمتك فاصنع ماشئت فزوجها زيداً ودخل عليها اخرجها ابن مردويه وعن ابن زيد قال نزلت فى ام كاشوم بنت عقبة بن ابى معيط وكانت اول امرأة شاجرت فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هى واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزوجها عبده وكان تزوج زيد بن زب قبل الهجرة بنحو ثمان سنين وبعدهما طلق زيد بن زب زوجته

طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر قال فكانوا اذا أرادوا ان يطعموها سحر وافاها فنزلت ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهدك لتشرك بي مالم يس لك به علم فلا تطعهما الآية وهذا الحديث رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى أيضاً وقال الترمذى حسن صحيح (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أذى فى الله جعل فستة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين من الذين يدعون الايمان بالسنتهم ولم يثبت الايمان فى قلوبهم بانهم اذا جاءتهم محنة وقتنة

صلى

في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم فارتدوا عن الاسلام ولهذا قال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال ابن عباس يعني فتنته ان يرتد عن دينه اذا أؤذي في الله وكذا قال غيره من علماء السلف وهذه الآية كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به وان أصابه فتنة انقلب على وجهه الى قوله ذلك هو الضلال البعيد ثم قال عز وجل ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أي ولئن جاء نصر قريش من ربك يا محمد وفتح ومغانم ليقولن هؤلاء لكم انا كنا معكم أي اخوانكم في الدين كما قال تعالى (٢٨١) الذين يترصدون بكم فان كان لكم فتح

من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونغفركم من المؤمنين وقال تعالى فعسى الله ان يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ناديين وقال تعالى نخبر عنهم ههنا ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم قال الله تعالى أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين أي أوليس الله باعلم بما في قلوبهم وماتكته ضمائرهم وان أظهروا لكم الموافقة وقوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين أي وليختبرن الله الناس بالضراء والسراء ليميز هؤلاء من هؤلاء ممن يطيع الله في الضراء والسراء ومن يطيعه في حظ نفسه كما قال تعالى ولنبأونكم حتى نعلم الجاهدين منكم والصابرين ونبلأخباركم وقال تعالى بعدد قعدة أحد التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان ما كان الله ليدزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يسير الخبيث من الطيب الآية (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم

صلى الله عليه وآله وسلم ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وعبت نفسها للنبي صلى عليه وآله وسلم فزوجهما من زيد وكان زوجه قبلها أم أيمن وولدت له اسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس وفي شرح المواهب ان أم أيمن هي بركة الحبشية بنت ثعلبة أعتقها عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بل أعتقها هو صلى الله عليه وآله وسلم وقيل كانت لأمه اسلمت قديما وهاجرت الهجرة تين ماتت بعده صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة أشهر وقيل بسنة ودلت الآية على لزوم اتباع قضاء الكتاب والسنة ودم التقليد والرأى وعدم خيرة الامر في مقابلة النص من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وان كان السبب خاصا فان الاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب * لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثة بن زينب بنت جحش كما مر أنزل الله سبحانه (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) هو زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان أعتقه من الرق وكان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية وأعتقه وبناه وسأى في سبب نزول الآية ما يوضح المراد منها قال القرطبي وقد اختلف في تأويل هذه الآية فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم ابن جرير الطبري وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حر يصا على ان يطلقها زيد فبتر زوجهما هو ثم ان زيد المأخوذة به يريد فراقها وشكها من غلظة القول وعصيان الامر والاذى باللسان والتعظيم بالشرف قال له اتق الله فيما تقول عنها وأمسك عليك زوجك زيد وهو يخفي الحرص على طلاق زيد اياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه فعل ما يجب عليه من الامر بالمعروف قال علماءنا ورجعهم الله وهذا القول أحسن ما قيل في هذه الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراغبين كالزهري والقاضي أبي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم انتهى ما قاله القرطبي ملخصا (واتق الله) في أمرها ولا تجعل بطلاقها (وتخفي) الواو للعال أي والحال انك تخفي (في نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها زيد وقيل حبها (وتخفي الناس) أي تستخفهم أو تخاف من تعبيرهم ان يقولوا أمر مولاه بطلاق امرأته ثم تزوجها (والله أحق ان تخشاه) في كل حال وتخاف منه وتستخفيه ولا تأمر زيدا

(٣٦ - فتح البيان سابع) وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون ولحملن أفعالهم وأفعالهم واثقالهم واثقالهم وليسئل يوم القيامة عما كانوا يفترون) يقول تعالى نخبر عن كفار قريش انهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى ارجعوا عن دينكم الى ديننا واتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أي وآثامكم ان كانت لكم آثام في ذلك علينا وفي رقابنا كما يقول الضائل افعل هذا وخطيتك في رقبتي قال الله تعالى تكذبا ليهامهم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون أي فيما قالوه انهم يتحملون عن أولئك خطاياهم فانه لا يحمل أحد وزرأ أحد قال الله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقال تعالى

ولا يثبت لهم جميعاً بصروهم وقوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالهم مع أثقالهم احبار عن الدعاء الى الكفر والضلالة انهم يحملون يوم القيامة أوزاراً تنسهم وأوزاراً آخر بسبب ما أضلوا من الناس من غير ان ينقص من أوزارهم شيئاً كما قال تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية وفي الصحيح من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجر من اتبعه الى يوم القيامة من غير ان ينقص من أجرهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من اتبعه الى يوم القيامة من غير ان ينقص من آثامهم (٢٨٢) شيئاً وفي الصحيح ما قتلت نفس ظلمت الا كان على ابن آدم الاول كقل

بامسا كزوجته بعد ان اعلمك الله انها تكون زوجتك فعاتبه الله على هذا قال بعضهم وماذ كروه في تفسير هذه الآية من وقوع محبة في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصته صلى الله عليه وآله وسلم واقدام عظيم من قائله وقوله معرفة بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهر بنت عمته ولم يرزل يراها منذ ولدت ولا كانت النساء يحتججن منه صلى الله عليه وآله وسلم وهو زوج جهاز زيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ان يأمر زيد بامسا كها وهو يجب تطلقه اياها قال وأصح ما في هذا الباب ما قال علي بن الحسين ان الله قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني أريد ان أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد علمت انها ستكون زوجتك قال الخطيب وهذا هو الاولى والايق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم انه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى تزوجنا كها فلو كان الذي أضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر الله انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما علمه الله من انها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استحياء ان يخبر زيد أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي قال الكرخي وهذا القول هو المنصور المعول عليه عند الجمهور وقال البغوي وهذا هو الاولى وان كان الاخر وهو انه أخفى محبتها ونكاحها لوطاقتها لا يقدر في حال الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر انتهى ولهذا قال ابن عباس كان في قلبه حبها وقال قتادة ودأنه لوطاقتها زيد قال الخازن وهذا قول حسن مرضي وكمن شيء يحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سهماً الى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو انما جعل طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياها لازالة حرمة التبي وباطال سنته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم (فلما قضى زيد منها وطراً) قضاء الوطرى في اللغة بلوغ منتهى ما في

من دمها لانه اول من سن التمسك وقوله تعالى وليسئان يوم القيامة عما كانوا يفترون أى يكذبون ويحتلقون من البهتان وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثاً فقال حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن حفص ابن أبي العاتكة حدثني سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي أمامة رضی الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ ما أرسل به ثم قال اياكم والظلم فان الله يعزم يوم القيامة فيقول وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ثم ينادى مناد فيقول أين فلان ابن فلان فأتى تبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس اليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الرب عز وجل ثم يأمر المنادى فينادى من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فهلهم فيقبولون حتى يجتمعوا قياماً بين يدي الرحمن فيقول الرحمن اقضوا عن عبدى فيقولون كيف نقضى عنه فيقول خذوا لهم من حسناته فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة وقد بقي من أصحاب الظالمات

فيقول اقضوا عن عبدى فيقولون لم يبق له حسنة فيقول من سياتهم فاحلوا عليه ثم فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث له شاع في الصحيح من غير هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا أبو بشر الخداع عن أبي حمزة الشيباني عن معاذ بن جبل رضی الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ان المؤمن يسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كل عينيه وعن قنات الطينة باصبعيه فلا القينك تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه

فلبت فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناها وأعصاب السفينة وجعلناها آية للعالمين هذه تسليمة (١) من الله تعالى لعبدته ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم الى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا ومع هذا ما زادهم ذلك الا فرارا عن الحق واعراضا عنه وتكذيبا له وما آمن معه منهم الا قليل ولهذا قال تعالى فلبت فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أي بعد هذه المدة الطويلة ما شجع فيهم البلاغ والاذرافأت يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فان الله (٢٨٢) يهدي من يشاء ويضل من يشاء وييده

الامر واليه ترجع الامور ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية الاية واعلم ان الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك ويذل عدوك ويكتبهم ويجعلهم أسفل السافلين قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهد عن ابن عباس قال بعث نوح وهو لاربعين سنة ولبت فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا وقال قتادة يقال ان عمره كاه ألف سنة الا خمسين عاما لبت فيهم قبل ان يدعوهم ثلثمائة سنة ودعاهم ثلثمائة سنة ولبت بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين عاما وهذا قول غريب وظاهر السياق من الاية انه مكث في قومه يدعوهم الى الله ألف سنة الا خمسين عاما وقال عون بن أبي شداد ان الله تعالى ارسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فدعاهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وهذا أيضا غريب رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقول ابن عباس اقرب والله أعلم وقال الثوري عن كهيل بن كهيل عن مجاهد قال قال لي ابن عمر لمكث نوح في قومه قال قلت ألف سنة الا خمسين عاما قال فان

النفس من الشيء يقال قضى وطرامنه اذا بلغ ما أراد من حاجته فيه والمراد هنا انه قضى وطره منها بشكها والادخول به بحيث لم يبق له فيها حاجة وتقاصرت عنه همته وطابت عنها نفسه وقبل المراد به الطلاق لان الرجل انما يطلق امرأته اذا لم يبق له فيها حاجة وقال المبرد الوطر الشهوة والمحبة وقال أبو عبيدة الوطر الارب والحاجة قال الامام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي كان يقال زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لا يأثمهم فقال نازيد بن حارثة وحرم عليه نازيد بن محمد فلما تزعم هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصه لم يكن يختص بها أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو انه سماه في القرآن أي في هذه الاية فذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنا يتلى في المحارب ونوته به غاية التنويه فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا ترى الى قول أبي بن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله امرني ان اقرأ عليك سورة كذا فبكي وقال اذ كنت غمناك وكان بكاءه من الفرح حيث ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى لمحمد الا يبلى يتلوه أهل الدنيا اذا قرؤوا القرآن وأهل الجنة كذلك ابد الازل على السنة المؤمنين كما لم يزل منذ كوراعلى الخصوص عند رب العالمين اذا قرآن كلام الله القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة يذكروه في تلاوتهم السفارة الكرام البررة وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين الا النبي من الانبياء ولزيد بن حارثة نعو يضمن الله له مما تزعم منه وزاد في الاية أن قال واذا تقول للذي أنعم الله عليه أي بالايمن فدل على انه من أهل الجنة علم ذلك قبل ان يموت وهذه فضيلة اخرى رضى الله تعالى عنه انتهى (زوجنا كهيا) وقرئ زوجتكها يعني ولم نحوحك الى ولي من الخلق يعقد لك عليها ثم يفا لك ولها فلما علم الله بذلك دخل عليها بغير اذن ولا عقد ولا تقدير صدق والاشياء ما هو معتبر في النكاح في حق أمته وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم التي لا يشار كفيها أحد باجماع المسلمين وكان تزوجه بنيب سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي أول من مات بعده من زوجاته الشريقات المطهرات ماتت بعده بعشر سنين عن ثلاث وخمسين سنة وقيل المراد به الامر له بأن يتزوجها والاولى وبه جاءت الاخبار الصحيحة وقد أخرج أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو زيب الى رسول

(١) في بعض نسخ ابن كثير زيادتها نصحنا ذكر سبحانه وتعالى الى ابتلاء نوح بقومه ألف سنة الا خمسين عاما وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه فابتلاهم الله بالغرق ثم بعده بالحرق ثم ذكرا ابتلاء ابراهيم بقومه وما ردوا عليه وابتلاهم بطاعته ومتابعته ثم ذكرا ابتلاء لوط بقومه وابتلاءهم به وما صار اليه امره ثم ذكرا ابتلاء شعيب بقومه وابتلاءهم به وما انتهت اليه حاله وحاله ثم ذكرا ابتلاء بني يعقوب بقومه وابتلاءهم به وما صار اليه امره ثم ذكرا ابتلاء يوسف بقومه وابتلاءهم به وما انتهت اليه حاله وحاله ثم ذكرا ابتلاء رسوله محمد أعظم المرسلين صلى الله عليه وسلم بانواع الكفار من المشركين واهل النفاق وامره ان لا يجادل أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن اه

الناس لم يزالوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا وقوله تعالى فأثخيناها وأصحاب السفينة أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام وقد تقدم ذلك مفصلاً في سورة هود وقد تقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته وقوله تعالى وجعلناها آية للعالمين أي وجعلنا تلك السفينة باقية ما عينا كما قاله قتادة أنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي وأبوها جعله للناس تذكرة لتعمه على الخلق كيف أتيهم زمن الطوفان كما قال تعالى وآية لهم أنما جعلنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون إلى قوله ومنا إلى حين وقال (٢٨٤) تعالى انما لمطغي الماء جعلناكم في الجارية لتجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية

وقال ههنا فأثخيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وهذا من باب التدرج من الشخص إلى الجنس كقوله تعالى ولقد زدنا السماء الدنيا مصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين أي وجعلنا نوحها رجوماً فان التي يرمي بها لست هي زينة للسماء وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ولهذا نظائر كثيرة وقال ابن جرير لو قيل ان الضمير في قوله وجعلناها آية إلى العقوبة لكان وجهها والله أعلم (ابراهيم) اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله آوثاننا وتخلفون ان كان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ليسه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) يجبر تعالى عن عبده ورسوله وخليفه ابراهيم امام الخنفاء انه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له والاخلاص له في اتقوا وطلب الرزق منه وحده لا شريك له

الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انق الله وأمسك عليك زوجك وفزلت وتحقني في نفسك ما الله مبدية فبزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمأ ولم على امرأه من نساءها ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه فكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول زوجي من أهاليك من زوجي الله من فوق سبع سموات وكانت تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدي وجدك واحد وليس من نساءك من هي كذلك غيري وقد أنكعنيك الله والسفير في ذلك جبريل قاله الخازن وقال عمر ابن مسعود ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وقال أنس فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كاتماً شياً لكتبتم هذه الآية وكذا روى عن عائشة (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أي ضيق ومشقة له للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الأمة واحد الا ما خصه الدليل (في أزواج أديعائهم) أي في التزوج بازواج من يجعلونه ابناً كما كانت تفعله العرب فانهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تبنى زيد بن حارثة وكان يقال له زيد بن محمد حتى نزل قوله سبحانه أدعوهم لأبائهم وكانت العرب تعتقد انه يحرم عليهم نساء من تبنوه كما يحرم عليهم نساء آبائهم حقيقة والأديعاء جمع دعي وهو الذي يدعى ابناً من غير ان يكون ابناً على الحقيقة فأخبرهم الله ان نساء الأديعاء حلال لهم (اذ اقضوا منهن وطراً) بخلاف ابن الصلب فان امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها (وكان أمر الله مفعولاً) أي قضاؤه في أمر زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضاء ما ضام وجوده في الخارج لا لمحالة وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما تزوج زينب قالوا تزوج حليله ابنة فانزل الله ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبناه وهو ص غير فليمت حتى صار رجلاً يقال له زيد بن محمد فانزل الله أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله يعني أعدل أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وغيرهم وأخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيد اذهب فاذا كرهنا على فانطلق قال فلما رأيتها عظمت في صدري فقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرك قالت

وتوحيدة في الشكر فانه المشكور على النعم لا مسدى لها غيره فقال لقومه اعبدوا الله واتقوا أي اخلصوا له العبادة ما انا والخوف ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون أي اذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة وان دفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة ثم أخبر تعالى ان الاصنام التي تعبدونها والاوثان لا تضر ولا تنفع وانما اختلقتم أنتم لها أسماء فسميت موهماً آلهة وانما هي مخلوقة مثلكم هكذا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد والسدي وروى الوابي عن ابن عباس وتصنعون افكاً أي تبتحنونها أصناماً وبه قال مجاهد في رواية وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله وهي لا تملك لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق وهذا بلغ في الحصر كقوله اياك نعبد و اياك نستعين رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ولهذا قال فابتغوا أي فاطلبوا عند الله

الرزق أي لا عند غيره فان غيره لا يملك شيئاً واعبدوه واشكروا له أي كلوا من زرقه واعبدوه وحددوا شكره والله على ما انعم به عليكم اليه ترجعون أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم أي قبلكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل وما على الرسول الا البلاغ المبين يعني انما على الرسول ان يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فأحرصوا لانفسكم ان تكونوا من السعداء وقال قتادة في قوله وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم قال يعزى بنبيه صلى الله عليه وسلم وهذا من فتادة يقتضى انه قد (٢٨٥) انقطع الكلام الاول واعترض بهذا الى قوله

فما كان جواب قومه وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضاً وانظر من السياق ان كل هذا من كلام ابراهيم الخليل عليه السلام يحتاج عليهم لاثبات المعاد لقوله بعد هذا كله فما كان جواب قومه والله أعلم (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء والله يقبلون وما آمنتم بجهنم في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم) يقول تعالى مخبراً عن الخليل عليه السلام انه أرشدهم الى اثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله اياهم بعد ان لم يكونوا شيئاً مذكوراً ثم وجدوا وصاروا اناساً سامعين مبصرين فالذي بدأ هذا قادر على اعادته فانه سهل عليه يسير لديه ثم أرشدهم الى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الاشياء السموات وما

ما نابصانعة شيئاً حتى أوامر ربى فقامت الى مسجدها ووزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخل عليها بغيران ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطمعنا الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانبعثه فجعل يتبع حجر نساءه يسلم عليهن ويقنن يارسول الله كيف وجدت أهلك فما أدري أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا وأخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالتقى السريبي وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الاية ثم بين سبحانه انه لم يكن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرج في هذا النكاح فقال (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي فيما حل الله له وقدره وقضاه يقال فرض له كذا أي قدر له (سنة الله) أي سن الله ذلك سنة أو اسم وضع موضع المصدر قاله الزمخشري أو مصدر كصنع الله ووعده الله (في الذين خلوا من قبل) أي ان هذا هو السنن الاقوم في الانبياء والامم الماضية ان يالوا ما أحله الله لهم من أمر النكاح وغيره توسعة عليهم فكان لهم الحرائر والسراري عن كعب القرظي قال يعني يتزوج من النساء ما شاء هذا فریضة وكان من قبل من الانبياء هذا سنتهم وقد كان لسليمان بن داود ألف امرأة منها ثلثمائة سرية وكان لداود مائة امرأة وقال ابن جرير يبيع الذين خلواهم داود والمرأة التي نكح وزوجها واسمها اليسبية فذلك سنة في محمد بن زب (وكان أمر الله قدره مقدرين) أي قضاء مقضياً وحكماً مبتوتاً وهو كظليل وليل الليل وروض أرض في قصد التأكيد والقضاء الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه والقدر عبارة عن ايجاده اياها على تقدير مخصوص معين لكن كل منها يستعمل بمعنى الآخر فالمراد ايجاد ما تعلق به الارادة قاله الشهاب ثم ذكر سبحانه الانبياء الماضين وأثنى عليهم فقال (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه) مدحهم سبحانه بتبليغ ما أرسلهم به الى عباده وخشيته في كل فعل وقول (ولا يخشون أحداً الا الله) أي سواه ولا يبالون بقول الناس ولا تعبيرهم فيما حل الله لهم بل خشيتهم مقصورة على الله سبحانه (وكفى بالله حسيباً) حاضر في كل مكان حافظاً لآعمال خلقه بكفى عباده كل ما يخافونه أو يحاسبها لهم في كل شيء ولما تزوج صلى الله عليه وآله وسلم زينب قال الناس امرأة ابنة فأنزل الله (ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم) أي ليس هو صلى

فيها من السكواكب النيرة النوبات والسيارات والارضين وما فيها من مهاد وجمال وأودية وبراري وقفار وأشجار وأنهار وثمار وبحار كل ذلك دال على حدوثها في انفسها وعلى وجود صانعها الفاعل المختار الذي يقول للشيء كن فيكون ولهذا قال أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير كقوله تعالى وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ثم قال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي يوم القيامة ان الله على كل شيء قدير وهذا المقام شبيه بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وكقوله تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون وقوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم

ما يريد لامعقب لحكمه ولا يستل عما يفعل وهم يسئلون فله الخلق والامر مهمما فعل فعديل لانه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولهذا قال تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون أي ترجعون يوم القيامة وقوله تعالى وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء أي لا يعجزه أحد من أهل سمواته وأرضيه بل هو القاهر فوق عباده فكل شئ خائف منه فقير اليه وهو الغني عما سواه ومالككم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا آيات الله ولقائه (٢٨٦) أي سجدها وكفروا بالمعاد أولئك يتسوا من رحمتي أي لا نصيب لهم فيها

وأولئك لهم عذاب أليم أي موجع شديد في الدنيا والآخرة (فما كان جواب قومهم الآن قالوا اقتلوه أرحمهم فأنجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار ومالككم من ناصرين) يقول تعالى مخبراً عن قوم ابراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل انهم ما كان لهم جواب بعدمقالة ابراهيم هذه المشتعلة على الهدى والبيان الآن قالوا اقتلوه أرحمهم وذلك لانهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحججة فعدلوا الى استعمال جاههم وقوة ملكهم فقالوا ابناؤنا فأنقوه في الجحيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وذلك انهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة وحطوا حواجزها ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها الهب الى عنان السماء ولم توفد نار قط أعظم منها ثم عمدوا الى ابراهيم فكتفوه وألقوه

الله عليه وآله وسلم بأب زيد بن حارثة على الحقيقة حتى تحرم عليه زوجته ولا هو أب لأحد لم يولد له قال الواحدى قال المفسرون لم يكن أباً أحد لم يولد له وقد ولد له من الذكور ابراهيم والقاسم والطيب والمظهر قال القرطبي ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلاً قال وأما الحسن والحسين فكانا طفليين ولم يكونا رجلين دعاصرين له قال النسفي وكل رسول أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لافي سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيدوا أحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير (ولكن رسول الله) قال الاخفش والقراء ولكن كان رسول الله وأجاز الرفع وكذا قرأ ابن أبي عمير بالرفع في رسول وفي خاتم على معنى ولكن هو رسول الله (وخاتم النبيين) وقرأ الجمهور بتخفيف لكن ونصب رسول وخاتم ووجه النصب على خبرية كان المقسرة كما تقدم ويجوز ان يكون بالعطف على أباً أحد وقرئ بتشديد لكن ونصب رسول على أنه اسمها وخبرها محذوف أي ولكن رسول الله هو وقرأ الجمهور وخاتم بكسر التاء وقرئ بتفتيحها ومعنى الاولى انه ختمهم أي جاء آخرهم ومعنى الثانية انه صار الخاتم لهم الذي يحتمرون به ويتزينون بكونه منهم وقيل كسر التاء وفتحها الغتان قال أبو عبيدة الوجه الكسر لان التاويل انه ختمهم فهو خاتمهم وانه قال أنا خاتم النبيين وخاتم الشئ آخره ومنه قولهم خاتم المسك وقال الحسن الخاتم هو الذي ختم به والمعنى ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده ولا معه قال ابن عباس يريد ولم أختم به النبيين جعلت له ابناً يكون بعده نبياً وعنه ان الله لما حكم ان لاني بعده لم يعطه ولد اذ كرا يصير رجلاً وعيسى ممن نبي قبله وحين ينزل عامل على شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانه بعض أمته (وكان الله بكل شئ عليماً) قد أحاط علمه بكل شئ ومن جملة معلوماته هذه الاحكام التي ذكرت هنا أخرج أحدنا مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلي مثل النبيين كمثل رجل بنى داراً فأنهى الى لبنة واحدة فحقت أنافتمت تلك اللبنة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها الاموضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليها قال ما أحسنها الاموضع لبنة حتى ختمت بي الانبياء وأخرج الشيخان من

حديث في كفة المنجنيق ثم قد فوه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاماً ما يخرج منها سالماً بعد ما مكث فيها أياماً ولهذا أو أمثاله جعله الله للناس اماماً فانه بذل نفسه للرحمن وجسده للنيران وسخاؤه لولد القربان وجعل ماله للضيفان ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الاديان وقوله تعالى فأنجاه الله من النار أي سلمه منها بان جعلها عليه بردا وسلاماً ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا يقول لقومه مقترعاً لهم وموياً على سوء صنيعهم في عبادتهم للاوثان انما اتخذتم هذه لتجتمعو على عبادتها في الدنيا صدقة وألفظة منكم بعضكم بعضاً في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على انه مفعول له وأما على قراءة الرفع فعنا انما اتخذكم هذا يحصل لكم المودة في الدنيا فقط ثم يوم القيامة ينعكس هذا

الحال فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضه وشنا ثم يكفر بعضهم ببعض أي تتجادون ما كان بينكم ويلعن بعضهم بعضا أي يلعن الاتباع المتبوعين والمتبوعون الاتباع كلما دخلت أمة لعنت أختها وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال ههنا ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا وما أكرم النار الآية أي ومصيركم وممر جمعكم بعد عرصات القيامة الى النار وما لكم من ناصر ينصركم ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين فأما المؤمنون فبخلاف ذلك قال ابن أبي ساتم حدثنا محمد بن اسمعيل الأحمسي حدثنا أبو عاصم الثقفي الربيع (٢٨٧) بن سليمان بن عمرو بن سعيد بن جعدة بن

هيرة الخزومي عن أبيه عن جده عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب قالت قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أخبرك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين يوم القيامة في صعيد واحد في يدرى أين الطرفين قالت الله ورسوله اعلم ثم ينادى مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فيشربون قال أبو عاصم يرفعون رؤسهم ثم ينادى يا أهل التوحيد ثم ينادى الثالثة يا أهل التوحيد ان الله قد عفا عنكم قال فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلمات الدنيا يعني المظالم ثم ينادى يا أهل التوحيد ليغف بعضكم عن بعض وعلى الله التواب (فأمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) يقول تعالى مخبر عن ابراهيم انه آمن له لوط يقال انه ابن أخي ابراهيم يقولون هو لوط بن هاران بن آزر يعني ولم يؤمن به من قومه سواء وسارة امرأة الخليل لكن يقال كيف الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الوارد في الصحيح ان ابراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل ابراهيم عن سارة ما هي منه فقال أختي ثم جاء اليها فقال لها اني قد قلت له انك أختي فلا تكذبي فانه ليس على وجه الارض مؤمن غيرك وغيري فأنت أختي في الدين وكان المراد من هذا والله أعلم انه ليس على وجه الارض زوجان على الاسلام غيري وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه ومهاجر معه الى بلاد الشام ثم أرسل في حياة الخليل الى أهل سدوم واقليمها وكان من أمرهم ما تقدم وما سأتى وقوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي يحتمل عود الضمير في قوله وقال اني مهاجر الى ربي لان لوطا هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده الى ابراهيم قاله ابن عباس والضحاك وهو المكنى

حديث أبي هريرة نحوه وأخرج أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي بن كعب نحوه أيضا (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) أمر سبحانه عباده بان يستكثروا من ذكره بالتلهيل والتحميد والتسبيح والتكبير وكل ما هو ذكرا لله تعالى قال مجاهد هو أن لا ينساه أباد قال الكلبي ويقال ذكرا كثيرا بالصلوات الخمس وقال مقاتل هو التسبيح والتحميد والتلهيل والتكبير على كل حال وقال ابن عباس في الآية لم يفرض على عباده فريضة الاجعل لها أجلا معلوما ثم عذرا أهلها في حال العذر غير الذكرا فان الله لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذرا حدا في تركه لا مغلوبا على عقله فقال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر في السر والنجوى في الغنى والفقر في الصحة والسقم في السر والعلانية وعلى كل حال وقد ورد في فضل الذكرا والاستكثار منه أحاديث كثيرة وقد صنف في الاذكار المتعلقة بالليل والنهار جماعة من الأئمة كالنسائي والنووي والجزري وغيرهم وقد نطقت الآيات القرآنية بفضل الذكراين وفضيلة الذكراين اذ كبروا الله أكبر وقد ورد انه أفضل من الجهاد كما في حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد والترمذي والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذكراون الله كثيرا قلت يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسر ويتخضب دما لكان الذكراون أفضل منه درجة وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اقطاع الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكرا الله عز وجل وأخرجه أيضا الترمذي وابن ماجه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذكراون الله كثيرا والذكراون وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أذكروا الله حتى يقولوا آمين وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذكروا الله حتى يقول المنافقون انكم مراون (وسبحوه بكرة وأصيلا) أي نزوهه عمالا يلق به في وقت البكرة

الحديث الوارد في الصحيح ان ابراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل ابراهيم عن سارة ما هي منه فقال أختي ثم جاء اليها فقال لها اني قد قلت له انك أختي فلا تكذبي فانه ليس على وجه الارض مؤمن غيرك وغيري فأنت أختي في الدين وكان المراد من هذا والله أعلم انه ليس على وجه الارض زوجان على الاسلام غيري وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه ومهاجر معه الى بلاد الشام ثم أرسل في حياة الخليل الى أهل سدوم واقليمها وكان من أمرهم ما تقدم وما سأتى وقوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي يحتمل عود الضمير في قوله وقال اني مهاجر الى ربي لان لوطا هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده الى ابراهيم قاله ابن عباس والضحاك وهو المكنى

عنه بقوله فأمن له لوط أي من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ابتغاء اظهار الدين والتمكن من ذلك ولهذا قال انه هو العزيز الحكيم أي له العزة ورسوله وللمؤمنين به الحكيم في أقواله وأفعاله واحكامه القدرية والشرعية وقال قتادة هاجر اجمعين كوني وهي من سواد الكوفة الى الشام قال وذکرنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها حتى تلتظفهم أرضهم وتقذرهم روح الله عز وجل وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت (٢٨٨) معهم اذا باؤا وتقبل معهم اذا قالوا وتأكل ما سقط منهم وقد أسند الامام

أحمد هذا الحديث فرواه مطولاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال لما جاءتنا ببيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فاخبرت بمقام يقومه نوف البكالي فغتمته اذ جاء رجل فانتمذ الناس عليه خيصة واذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم لا يبقى في الارض الا شرار أهلها تلتظفهم أرضهم وتقذرهم نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير فتبيت معهم اذا باؤا وتقبل معهم اذا قالوا وتأكل من تحلف منهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج أناس من أمي من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدوا زيادة على عشرين مرة كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم

ووقت الاصيل وهما أول النهار وآخره وتخصيصهما بالذکر ليزيد ثواب التسبيح فيها وخصر التسبيح بالذکر بعد دخوله تحت عموم قوله اذ كروا الله تنبيهاً على من يشرفه وانافة ثوابه على غيره من الاذكار وقيل المراد بالتسبيح بكرة صلاة الفجر وبالتسبيح أصيلة الصلاة المغرب وقال قتادة وابن جرير المراد صلاة الغداة وصلاة العصر وقال الكلبي اما بكرة فصلاة الفجر واما أصيلة فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء * قال المبرد والاصيل العشي وجعه أصائل وقد ورد في فضل التسبيح بخصوصه أحاديث ثابتة في الصحيحين وغيرهما فن ذلك حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لنا أيعجز أحدكم أن يكتب كل يوم ألف حسنة فقال رجل كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وقيل معنى سجوده قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زادني نسخة العلي العظيم فعبير بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثير اهذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والخائض والمحدث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله على العباد درجة لهم وبر كتبه عليهم ومن الملائكة الدعاء لهم والاستغفار كما قال ويستغفرون للذين آمنوا قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان المعنى ويأمر ملائكته بالاستغفار لكم والجملة مسنة تأنفه كالتعليل لما قبلها من الامر بالذکر والتسبيح وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكركم الجليل في عباده وقيل الشئاء عليه وعطف ملائكته على الضمير المستكن في يصلي لوقوع الفصول بقوله عليكم فاعني ذلك عن التأكيذ بالضمير المنفصل والمراد بالصلاة هنا معنى مجازي يع الصلاة الله بمعنى الرحمة وصلاة الملائكة بمعنى الدعاء التلايجمع بين حقيقة ومجاز في كلمة واحدة واللام في قوله ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي أي يعنى باموركم هو وملائكته ليخرجكم من الظلمات المعاصي الى نور الطاعات ومن ظلمة الضلالة الى نور الهداية ومعنى الآية تثبت المؤمنين على الهداية ودوامهم عليها لانهم كانوا وقت الخطاب على الهداية قال الحنفياوى جمع الاول لتعدداً نوع الكفر وأفرد الثاني لان الايمان شئ واحد لا تعدد فيه ثم أخبر سبحانه

ورواه احمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام الدستوائي عن قتادة به وقد رواه أبو داود برحمة

في سننه فقال في كتاب الجهاد باب ما جاء في سكنى الشام حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثني (١) عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها تلتظفهم أرضهم وتقذرهم نفس الرحمن وتحشرهم النار مع القردة والخنازير وقال الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا ابو خباب يحيى بن ابي حية عن شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول لقد رأيتنا

(١) ياض بأصله ولعله سقط من السند رجل من الرواة فخره من النسخ المعتمدة اه

وما صاحب الدينار والدرهم بأحق من أخيه المسلم ثم لقد رأيتنا بآخرة الآن والدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن أتممت أذناب البقر وتباعدت العينين وتركت الجهاد في سبيل الله ليلزمتكم الله مذلة في أعناقكم لا تنزع منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه وتتوبوا إلى الله تعالى وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم إبراهيم حتى لا يبقى في الأرض الأشرار أهلها وتلفظهم أرضوهم وتقذرهم روح الرحمن وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبستون وما سقط منهم فلها

(٢٨٩)

ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يبستون الأعمال يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم قال يزيد لأعلمه الأقال يحقر أحدكم علمه مع علمهم يقتلون أهل الإسلام فإذا خرجوا فاقتلوه ثم إذا خرجوا فاقتلوه ثم إذا خرجوا فاقتلوه ثم إذا خرجوا فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه وكلما طلع منهم قرن قطعه الله فرد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا أبو الحسن بن الفضل أخببرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو النضر اسحق بن إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيان قال حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الأوزاعي عن نافع وقال أبو النضر عن حدثه عن نافع عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبأجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة إلى مهاجر إبراهيم حتى لا يبقى الأشرار أهلها تلفظهم الأرضون وتقذرهم روح الرحمن وتحشرهم النار مع القردة والخنازير

برحمته للمؤمنين تأنيسا لهم وتثبيتا فقال (وكان بالمؤمنين رحيمًا) وفي هذه الجملة تقرير لمضمون ما تقدمها ثم بين سبحانه أن هذه الرحمة منه لا تخص السامعين وقت الخطاب بل هي عامة لهم ولن بعدهم وفي الدار الآخرة فقال (تحيتهم يوم يلقونه سلام) أي تحية المؤمنين من الله سبحانه يوم لقاؤهم له عند الموت أو عند البعث وعند دخول الجنة هي التسليم عليهم منه عز وجل يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم وقيل المراد تحية بعضهم لبعض يوم يلقون ربهم سلام وذلك لأنه كان بالمؤمنين رحيمًا فلما سلمتهم رحمة وأمنوا من عقابه حبيا بعضهم بعضا سرا ورا واستبشارا والمعنى سلامة لنا من عذاب النار قال الزجاج المعنى فيسلمهم الله من الآفات ويبشرهم بالأمن من المخافات يوم يلقونه وقيل الضمير في يلقونه راجع إلى ملك الموت وهو الذي يحييهم كما ورد أنه لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه قاله البراء بن عازب وقال ابن مسعود إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقال مقاتل هو تسليم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب كما في قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) أي في الجنة أو أعد لهم في الجنة رزقا حسنا ما تشتهيتم أنفسهم وتلذذوا عينهم وهذا بيان لا تار رحمته تعالى الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك ثم ذكر سبحانه صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي أرسله لها فقال (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) أي على أمة يشهد لمن صدقه وأن به رعي من كذبه وكفر به قال مجاهد شاهد على أمة بالتبليغ اليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم اليهم (ومبشرا) للمؤمنين برحمة الله وبالجنة وبما أعد لهم من جزيل الثواب وعظيم الأجر ونذيرا للكافرين والعصاة بالنار وبما أعد الله لهم من ألم العقاب (وداعيا إلى الله) يدعو عباده الله إلى التوحيد والإيمان بما جاء به والعمل بما شرعه لهم ومعنى (بأذنه) بأمره بذلك وتقديره وقيل بتدبيره قاله الكرخي وغيره (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلم الضلالة كما يستضاء بالمصباح في الظلمة قال الزجاج وسراجا أي ذاسراج منير أي كآب نير وهو القرآن وانما شبه الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالسراج دون الشمس مع أنها أتم لأن المراد بالسراج هنا الشمس كما قال تعالى وجعل الشمس سراجا وأوشبهه بالسراج لأنه تفرع منه بهدياته جميع العلماء كما تفرع من السراج سراج لا تخصي بخلاف الشمس (ومبشرا

(٣٧ - فتح البيان سابع) تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا لها ما سقط منهم غرب من حديث نافع والظاهر أن الأوزاعي قدرناه عن شيخه من الضعفاء والله أعلم وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ وقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب لقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا أي أنه لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولده ولد صالح نبي في حياة جده وكذلك قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أي زيادة كما قال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب أي يولد لهذا الولد واد في حياتكم تقربه أينما تكون

يعقوب ولد اسحق نص عليه القرآن وثبتت به السنة النبوية قال الله تعالى أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه
 ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آباءك إبراهيم واسماعيل واسحق الها واحد الآية وفي الصحيحين ان الكريم ابن
 الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فاما ما رواه العوفي عن ابن عباس
 في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب قال هما ولد ابراهيم فعناه ان ولد الولد بمنزلة الولد فان هذا الامر لا يكاد يخفى على من هو دون
 ابن عباس وقوله تعالى وجعلنا (٢٩٠) في ذريته النبوة والكتاب هذه خلعة سنينة عظيمة مع اتحاد الله اياه خليلا

وجهه للناس اما ما أن جعل في ذريته
 النبوة والكتاب فلم يوجدني بعد
 ابراهيم عليه السلام الا وهو من
 سلالة جميع انبياء بني اسرائيل
 من سلالة يعقوب بن اسحق بن
 ابراهيم حتى كان آخرهم عيسى بن
 مريم فقام في ملتهم بمبشر بالنبى
 العربي القرشي الهاشمي خاتم الرسل
 على الاطلاق وسيد ولد آدم في الدنيا
 والآخرة الذى اصطفاه الله من
 صميم العرب العرباء من سلالة
 اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام
 ولم يوجدني من سلالة اسمعيل سواه
 عليه افضل الصلاة والسلام وقوله
 وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة
 لمن الصالحين أى جمع الله له من
 سعادة الدنيا الموصولة بسعادة
 الآخرة فكان له في الدنيا الرزق
 الواسع الهني والمنزل الرب
 والمورد العذب والزوجة الحسنة
 الصالحة والثناء الجميل والذكر
 الحسن وكل أحديهم ويتولاه كما
 قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
 وغيرهم مع القيام بطاعة الله من
 جميع الوجوه كما قال تعالى و ابراهيم
 الذى وفى أى قام بجميع ما أمر به

المؤمنين) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين
 من أمتك (بان لهم من الله فضلا كبيرا) على مؤمنى سائر الأمم في الرتبة والشرف وزيادة
 على أجور أعمالهم بطريق التفضل والاحسان وقد بين ذلك سبحانه بقوله والذين آمنوا
 وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير
 عن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها النبي الآية وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم أمر عليا
 ومعاذ ان يسيرا الى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فانما أقرأت
 على يا أيها النبي أنا أرسلناك الآية وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن عطاء بن يسار
 قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها
 النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللامين أنت عبدى ورسولى سميتك
 المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الاسواق ولا يجزى بالسائمة السائمة ولكن يعفو
 ويصفح وزاد أحمد ولن يقبضه الله حتى يقبم الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح
 بها أعيننا عيا وآذاننا صما وقلوبنا غلغا وقد ذكر البخارى في صحيحه في البيوع هذا الحديث
 فقال وقال سعيد بن هلال عن عطاء بن عبد الله بن سلام ولم يقل عبد الله بن عمرو
 وهذا أولى فعبد الله بن سلام هو الذى كان يسئل عن التوراة فيخبر بها فيها ثم نهاه سبحانه
 عن طاعة أعداء الدين فقال (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يشيرون به عليك من
 المداهنة في الدين والمداراة في أمر الدعوة ومن استعمال لين الجانب في التبليغ وفي الآية
 تعرض لغيره من أمة لانه صلى الله عليه وآله وسلم معصوم عن طاعتهم في شئ مما يريدونه
 ويشيرون به عليه وقد تقدم تفسير هذه الآية في أول السورة (ودع اذاهم) أى لا تبال
 بما يصدر منهم اليك من الاذى بسبب تصديقك في دين الله وشدة نك على أعدائه أو دع ان
 تؤذيهم أنت مجازاة لهم على ما يفعلونه من الاذى لك فالصدر على الاول مضاف الى الفاعل
 وعلى الثانى مضاف الى المفعول قبل هي منسوخة بآية السيف (وتوكل على الله) في كل
 شؤنك (وكفى بالله وكيل) توكل اليه الامور وتفوض اليه الشؤن فن فوض اليه اموره
 كنهائه ومن وكل اليه أحواله لم يحتج فيها الى سواه ولما ذكر سبحانه قصة زيد وطلاقه لزينب
 وكان قد دخل بها وخطبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد انقضاء عدتها كما تقدم خاطب

وكل طاعة ربه ولهذا قال تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة
 لمن الصالحين وكما قال تعالى ان ابراهيم كان أمة قاتنا لله حينما لم يك من المشركين الى قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين (ولو طأذ
 قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبل وتأتون في ناديكم
 المنكرين) كان جواب قومه الا ان قالوا آتينا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين) يقول تعالى
 يخبر عن نبيه لوط عليه السلام انه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الاعمال في آياتهم الذكر ان من العالمين

ولم يسبقهم الى هذه النعمة أحد من بنى آدم قبلهم وكانوا مع هذا يكفرون بالله تعالى ويكذبون رسوله ويخالفون ويقتطعون السبيل
أى يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم وتأتون في ناديتكم المنكر أى يتبعون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في
مجالسهم التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيأ من ذلك فن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضا في الملاقاله مجاهد ومن قائل
كانوا يتضارطون ويتضاحكون قالته عائشة رضى الله عنها والقاسم ومن قائل كانوا يناطجون بين الكباش ويناقرون بين الدبوك
وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا من ذلك وقال (٢٩١) الامام أحمد حدثنا حماد بن اسامة أخبرني حاتم بن أبي

صغيرة حدثنا سالم بن حرب عن
أبي صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ
قالت سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى وتأتون في
ناديتكم المنكر قال يحذفون أهل
الطريق ويستخرون منهم وذلك
المنكر الذى كانوا يأتون به ورواه
الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم
من حديث أبي اسامة حماد بن
اسامة أبي يونس القشيري عن حاتم
ابن أبي صغيرة به ثم قال الترمذى
هذا حديث حسن لانعرفه الا من
حديث حاتم بن أبي صغيرة عن
سمالك وقال ابن أبي حاتم حدثنا
الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير
عن عمرو بن قيس عن الحكم عن
مجاهد وتأتون في ناديتكم المنكر قال
الصفير ولعب الحمام والخلع
والسؤال في المجلس وحل أزرار القباء
وقوله تعالى فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين وهذا من كفرهم
واستهزأهم وعنادهم ولهذا
استنصر عليهم نبي الله فقال رب
انصرنى على القوم المفسدين ولما
جاءت رسلنا ابراهيم بالبشر اقالوا انا
مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا فمن أعلم عن فيه التحسينه وأهلها الامر أنه كانت من الغابرين
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سبى بهم وضاق بهم زرعوا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الامر أتك كانت من الغابرين انا
منزلون على أهل هذه القرية رجرا من السماء كما كانوا يفتقون واقدتر كما منها آية بينة لقوم يعقلون لما استنصر لوط عليه
السلام عليهم بعث الله لنصرته ملائكة فزوا على ابراهيم عليه السلام في هيئة اضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف فلما رأى ابراهيم انه
لاهمة لهم الى الطعام نكروهم وأوجس منهم خيفة فشرعوا يؤنسونه ويشرونه بوجوده ولا صلاح من امر أنه سارة وكانت حاضرة

المؤمنين مبينا لهم حكم الزوجة اذا طلقها زوجها قبل الدخول فقال (بأيها الذين آمنوا
اذا نكحتم المؤمنات) أى عقدتم بهن عقد النكاح أو بالكتابات وانما خص المؤمنات
بالذكر للتنبيه على ان من شأن المؤمن أن لا ينكح الامؤمنة تحيرا للنطقة وقد اختلف في
لفظ النكاح هل هو حقيقة في الوطى أو فى العقد وفيهما على طريقة الاشتراك وكلام
صاحب الكشاف في هذا الموضوع يشعر بأنه حقيقة في الوطى فانه قال النكاح الوطى
وتسمية العقد نكاحا مما لا يستتبه له من حيث انه طريق اليه وتظهره تسمية الخمر انما لانها
سبب في اقرار الاثم ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد كما قاله صاحب
الكشاف والقرطبي وغيرهما (ثم) التراخي ليس قيده او فائدة التعبير بتم ازالة ما عسى ان
يتوهم من ان تراخي الطلاق بقدر امكان الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة
(طلعتوهن من قبل ان تمسوهن) اى تجامعوهن فكفى عن ذلك بلفظ المس ومن آداب
القرآن الكفاية عن الوطى بلفظ الملاسة والمماسسة والقربان والغشى والاتبان وقد
استدل بهذه الآية القائلون بانه لا طلاق قبل النكاح وهم الجمهور به قال على وابن
عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير
والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة
واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي وذهب ابن مسعود ومالك وابو حنيفة الى صحة الطلاق
قبل النكاح اذا قال اذا تزوجت فلانة فهى طالق فتطلق اذا تزوجها وبه قال النخعي
واصحاب الرأي وقال ربيعة والاوزاعى ان عين امرأة وقع وان عم فلا يتبع وعن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك
ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذى بمعناه وعن ابن عباس
قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخارى (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها)
أى تخصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء على انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة
فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق وقد حكى ذلك الاجماع القرطبي
وابن كثير والمعنى تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها واستناد ذلك الى
الرجال للدلالة على ان العدة حق لهم كما يفيد قوله فما لكم وقرئ تعتدونها بتشديد الدال
وبتحقيقها وفي هذه وجهان احدهما ان يكون بمعنى الاولى مأخوذة من الاعتداد اى

فتمجبت من ذلك كما تقدم بيانه في سورة هود والجر فلما جاءت ابراهيم البشري وأخبروه بانهم أرسلوا الهلاك قوم لوط أخذ يدافع
 لعلمهم ينظرون لعل الله ان يهديهم ولما قالوا انما هم لكو أهل هذه القرية قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بما فيها التحيينه وأهله الا
 امرأته كانت من الغابرين أى من الهالكين لانها كانت تتألفهم على كفرهم وبغيهم وديبرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في
 صورة شباب حسان فلما رأهم كذلك سبهم وضاق بهم زرعاً أى اهتم بأمرهم ان هو أضع فهم خاف عليهم من قومه وان لم يفضهم
 خشى عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعة (٢٩٢) الراهنة قالوا لا تخف ولا تحزن اننا منجوك وأهلك الا امرأتك

كانت من الغابرين انما نزلون على
 أهل هذه القرية رجزا من السماء
 بما كانوا يفسقون وذلك ان جبريل
 عليه السلام اقتلع قراهم من قرار
 الأرض ثم رفعها الى عنان السماء
 ثم قلبها عليهم وأرسل الله عليهم حجارة
 من سجيل منضود مسومة عند
 ربك وماهى من الظالمين ببعيد
 وجعل مكانها بحيرة خبيثة منتنة
 وجعلهم عبرة الى يوم التنادوهم من
 أشد الناس عذابا يوم المعاد ولهذا
 قال تعالى ولقد تركنا آية بينة أى
 واضحة لقوم يعقلون كما قال تعالى
 وانكم لترون عليهم مصبحين
 وبالليل أفلا تعقلون (والى مدين
 أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله
 وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا فى
 الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم
 الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين)
 يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب
 عليه السلام انه أنذر قومه أهل
 مدين فأمرهم بعبادة الله وحده
 لا شريك له وان يخافوا بأس الله
 ونقمته وسطوته يوم القيامة فقال
 يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم
 الآخر قال ابن جرير قال بعضهم

تستوفون عددها ولكنهم تركوا التضعيف لقصد التخفيف قال الرازى ولو كان من
 الاعتداء الذى هو الظلم لضعف لان الاعتداء يتعدى بعلى وقيل من الاعتداء بجدف
 حرف الجر اى تعدون عليها اى على العدة مجازا والوجه الثانى ان يكون المعنى تعدون
 فيها والمراد بالاعتداء هذا هو ما فى قوله ولا تمسكوهن ضررا لتعتدوا فيكون معنى الآية
 على القراءة الآخرة فالكلمة عليهم من عدة تعدون عليهم فيها بالمضارة وقد انكر ابن
 عطية صحة هذه القراءة عن ابن كثير وقال ان البرى غلط عليه وهذه الآية مخصوصة لعموم
 قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء وقوله واللانى ينسن من الحيض من
 نساءكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر (فتعوهن) اى اعطوهن ما يستمتعن به والمتعة
 المذكورة هنا قد تقدم الكلام عليها فى البقرة وقال سعيد بن جبيرة هذه المتعة المذكورة
 هنا منسوخة بالآية التى فى البقرة وهى قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
 فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقيل المتعة هنا هى أعم من أن تكون نصف
 الصداق أو المتعة خاصة ان لم يكن قد سمي لها فاع التسمية للصداق تستحق نصف المسمى
 عملا بقوله فنصف ما فرضتم ومع عدم التسمية تستحق المتعة عملا بهذه الآية ويؤيد ذلك
 قوله تعالى ولا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تقرضوهن فريضة
 ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وهذا الجمع لا بد منه وهو مقدم على الترجيح
 وعلى دعوى التسخير ويخص من هذه الآية من توفى عنها زوجها فانه اذا مات بعد العقد
 عليها وقبل الدخول بها كان الموت كالدخول فتعتد أربع اشهر وعشرا قال ابن كثير
 بالاجماع فيكون المخصص هو الاجماع (وسرحوهن سرا حجيلا) أى اخرجوهن من غير
 اضرار ولا منع حق من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة والسراح الجميل الذى لا ضرار
 فيه وقيل هو ان لا يطالها بما كان قد أعطاها وقيل هو هنا كناية عن الطلاق وهو بعيد
 لانه قد تقدم ذكر الطلاق ورتب عليه التمتع وعطف عليه السراح الجميل فلا بد ان يراد به
 معنى غير الطلاق وعن ابن عباس فى الآية قال هذا فى الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من
 قبل ان يتسها فاذا طلقها واحدة بان منه ولا عدة عليها تزوج من شاءت ثم قال فتعوهن
 وسرحوهن سرا حجيلا يقول ان كان سمي لها صداق فليس لها الا النصف وان لم يكن
 سمي لها صداق امتعتها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل وعن ابن عمر قال اذا

معناه واخشوا اليوم الآخر وهذا كقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقوله ولا تعشوا فى
 الأرض مفسدين نهاهم عن العبث فى الأرض بالفساد وهو السعي فيها والبغى على أهلها وذلك لانهم كانوا يقصون الميكل
 والميزان ويقطعون الطريق على الناس هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأخذكم الله برحفة عظيمة وزلات عليهم بلا رحمة وصيحة
 آخر جت القلوب من خباجرها وعذاب يوم الظلة الذى أرقق الارواح من مستقره انه كان عذاب يوم عظيم وقد تقدمت قصتهم
 مبسوطه فى سورة الاعراف وهود والشعراء وقوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين قال قتادة ميتين وقال غيره قد أتى بعضهم على بعض

نكحتهم

(وعادوا وعود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلأ أخذنا بذنبه فنفهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أعرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يخبر تعالى بن هؤلاء الامم المكذبة للرسول كيف آبادهم وتووع في عذابهم وأخذهم والالتقام منهم فعاد قوم هود وكانوا يسكنون الاحقاق وهي قرية من حضرموت ببلاد اليمن وعود قوم صالح كانوا يسكنون (٢٩٣) الحجر قريمان وادى القرى وكانت العرب

تعرف مساكنها جيدا وتر عليها كثير او قارون صاحب الاموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثمينة وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فكلأ أخذنا بذنبه أى كانت عقوبته بما يناسبه فنفهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم عاد وذلك انهم قالوا من أشد منا قوة فجاءتهم ريح صرصر بادرة شديدة البرد عاتية شديدة الهبوب جدا تحمل عليهم حصباء الارض فتلقىها عليهم وقتلهم من الارض فترفع الرجل منهم من الارض الى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده فيبقى بذنا بالراس كأنهم اعجاز فخل منقعر ومنهم من أخذته الصيحة وهم عود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألو اسواء بسواء مع هذا ما آمنوا بل استبروا على طغيانهم وكفروهم وتهددوا بنى الله صالحا ومن آمن معه وتوعدوهم بان يخربوهم ويرجوهم فجاءتهم صيحة أخذت

نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن منسوخة نسختها التي في البقرة فنصف ما فرضتم وعن سعيد ابن المسيب نحوه وعن الحسن وأبي العالية قال ليست بمنسوخة لها نصف الصداق ولها المتاع وعن ابن جرير قال بلغ ابن عباس ان ابن سعود يقول ان طلق ما لم ينكح فهو جائز وقال ابن عباس اخطأ في هذا ان الله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ولم يقل اذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن وعن ابن عباس انه تلا هذه الآية وقال لا يكون طلاق حتى يكون نكاح وقد وردت أحاديث فيها انه لا طلاق الا بعد نكاح وهي معروفة (بأبي النبي انا أولنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) ذكر سبحانه في هذه الآية أنواع النكحة التي أحلها رسوله وبدأ بأزواجه اللاتي قد اعطاهن أجورهن أى مهرهن فان المهور أو الجور الابضاع ولهذا قال الكرخي ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقال أهل الرأي التأييد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وابتاء الاجور ما تسميها بمجمل أو فرضها أو تسميتها في العقد واختلاف في معنى الآية فقال ابن زيد والضحاك ان الله أحل له ان يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها فتكون الآية مبيحة لجميع النساء ما عدا ذوات الخمار وقال الجمهور المراد اولنا لك أزواجك اللاتي عندهن ذلك لانهن قد اخترنك على الدنيا وزينتها وهذا هو الظاهر لان قوله اولنا لك آتيت ماضيان وتقييد الاحلال بابتاء الاجور ليس لتوقف الحل عليه لانه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل مع الوطى والمتعة مع عدمه فكانه لقصد الارشاد الى ما هو أفضل (وما ملكت يمينك مما آفأ الله عليكم) أى السراى اللاتي دخلن في ملكك بالغنمية والمعنى مما رده الله عليك من الكفار بالغنمية من نساءهم المأخوذات على وجه القهر والغلبة مثل صفية وجويرية فاعتقهما وتر وجههما وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم وليس المراد بهذا القيد اخراج ماملكتك بغير الغنمية فانها تحتل السرية المشتراة والموهوبة ونحوهما ولكنها خرج من خرج الغالب وأشار به الى ما هو الافضل كالقيد الاول المصرح بابتاء الاجور وهكذا قيد المهاجرة في قوله (وبنات عمك وبنات عماتك) أى نساء قريش (وبنات خالك بنات خالاتك) أى نساء بنى زهرة (اللاتي هاجرن معك) فانه للاشارة الى ما هو الافضل وللابد ان يشرف الهجرة وشرف من هاجر أى اولنا لك ذلك زائد على الأزواج اللاتي آتيت أجورهن على قول

الاصوات منهم والحركات ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون الذي طغى وبغى وعمت اعصى الرب الاعلى ومشى في الارض مراحا وفرح ومرح وتباه بنفسه واعتقد انه افضل من غيره واختال في مشيته فخسف الله به وبادره الارض فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة ومنهم من أعرقنا وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أعرقوا في صيحة واحدة فلم ينجم منهم مخبر وما كان الله ليظلمهم أى فيما فعل بهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أى انما فعل ذلك بهم جزاء وفا بما كسبت أيديهم وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية وهو من باب اللف والنشر وهو انه ذكر الامم المكذبة ثم قال فكلأ أخذنا بذنبه أى من هؤلاء المذكورين وانما

نبت على هذا لانه قدرى ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله ففهم من أرسلنا عليه حاصبا قال قوم لوط ومنهم من أغرقنا قال قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس فان ابن جريج لم يدركه ثم قد ذكر الله في هذه السورة اهلاك قوم نوح بالطوفان وقوم لوط بانزال الرجز من السماء واطال السياق والتفصل بين ذلك وبين هذا السياق وقال قتادة ففهم من أرسلنا عليه حاصبا قال قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة قوم شعيب وهذا بعيد أيضا لما تقدم والله أعلم (مثل الذين اتخذوا من دون الله آلياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أو هن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا) (٢٩٤) يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) هذا مثل ضرب به الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتسكون بهم في الشدايد فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه وذهابه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم الا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فانه لا يجدى عنه شيئا فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله آلياء وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فانه متمسك بالعرفه الوثيق لا انفصام لها القوتها وثباتها ثم قال تعالى متوعد لمن عبد غيره وأشرك به انه تعالى يعلم ما هم عليه من الاعمال ويعلم ما يشركون به من الابدان وسيجزى بهم وصفهم انه حكيم عليم ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون أى وما يفهمها ويتدبرها الا الراصون في العلم المتصلعون منه قال الامام أحمد حدثنا - حتى ابن عيسى حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عمرو بن العاص رضى الله

الوجه ولانه لو أرادوا حللنا لك كل امرأة تزوجت وآتيت أجرها لما قال بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم والاول أولى والمراد بالمعنة هنا الاشتراك في الهجرة لاني الصحبة فيها قال النسائي ليس مع القرآن بل لوجودها فحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وقبل ان هذا القيد اعنى المهاجرة معتبر وانها التحل له من لم تهاجر من هؤلاء كما في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا وما لك من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا ويؤيده هذا حديث ام هانئ وسأيتي ووجه افراد العم والخال وجمع العممة والخاله ما ذكره القرطبي ان العم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر والراجل وليس كذلك العممة والخاله قال وهذا عرف لغوي فجاء الكلام عليه بغاية البيان وحكاية عن ابن العربي وقال ابن كثير انه وحد لفظ الذكركشرفه وجمع الاثنى كقوله عن اليمين وعن الشمال وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وجعل الظلمات والنور وله نظائر كثيرة انتهى وقال النيسابورى وانما لم يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتهم - مامع ان يجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع أختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاختصار في العممة والخاله لاما كان سبق الوهم الى ان التاء فيه - ما للوحدة انتهى وكل وجه من هذه الوجوه يحتمل المناقشة بالنقض والمعارضة وأحسنها تعليل جمع العممة والخاله بسبق الوهم الى ان التاء للوحدة وليس في العم والخال ما يسبق الوهم اليه بانه أريده الوحدة الا مجرد صيغة الافراد وهى لا تتضمن ذلك بعد اضافتها لما تقر من عموم اسماء الاجناس المضافة على ان هذا الوجه الاحسن لا يصفو عن شوب المناقشة أيضا قال الشهاب وقد سئل كثير عن حكمة افراد العم والخال دون العممة والخاله حتى ان السبكي صنف جزأ فيه سماه بذل المهمة في افراد العم وجمع العممة وقد رأيت لهم فيه كلمات كلها ضعيفة كتقول الرازى ان العم والخال على زنة المصدر ويستوى فيه المفرد والجمع بخلاف العممة والخاله وقيل انهم ما يعمان اذا أضيفا والعممة والخاله لا يعمان لتاء الوحدة انتهى أخرجه الترمذى وحسنه ابن جرير والطبرانى وغيرهم عن ام هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذرت اليه فعذرتني فانزل الله يا أيها النبي انأ للمثلث أزواجك الى قوله هاجر من معك قالت فلم أكن أحصل له لاني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من وجه آخر عنها قالت نزلت في هذه الآية وبنات عماتك التي هاجر من معك أراد

عنه قال عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف مثل وهذه منقبة عظيمة لعمر بن العاص رضى الله عنه النبي حيث يقول الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا أبو سنان عن عمرو بن مرة قال ما مررت بآية من كتاب الله لأعرفها الا حزني لاني سمعت الله تعالى يقول وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين انل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله كبير والله يعلم ما تصنعون) يقول تعالى مخبرا

عن قدرته العظيمة انه خلق السموات والارض بالحق يعني لاعلى وجه العيب واللعب التجزى كل نفس بما تسعى ليجزى الذين أسأوا
بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسن وقوله تعالى ان في ذلك لآية للمؤمنين أى دلالة واضحة على انه تعالى المتفرد بالخلق
والتدبير والالهية ثم قال تعالى امر ارسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وابلغ للناس وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر يعني ان الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات أى ان مواظبتك تجعل على
ترك ذلك وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعا من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر

(٢٩٥)

لم تزده من الله الا بعدا ذكر الآثار
الواردة في ذلك قال ابن ابي حاتم
حدثنا محمد بن هرون المخزومي
الفلاس حدثنا عبد الرحمن بن
نافع أبو زياد حدثنا عمر بن ابي
عثمان حدثنا الحسن بن عمران بن
حصين قال سئل النبي صلى الله عليه
وسلم عن قول الله ان الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر قال من لم
تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر
فلا صلاة له وحدثنا علي بن الحسين
حدثنا يحيى بن ابي طلحة اليربوعي
حدثنا أبو معاوية عن ليث عن
طاوس عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم
تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم
يزد به من الله الا بعدا ورواه
الطبراني من حديث ابي معاوية
وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا
الحسين حدثنا خالد بن عبد الله عن
العلاء بن المسيب عن ذكره عن ابن
عباس في قوله ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر قال فن لم تأمره
صلاته بالمعروف ونهائه عن المنكر
لم يزد بصلاته من الله الا بعدا فهذا
موقوف قال ابن جرير وحدثنا

النبي ان يتزوجني فنهى عني اذ لم أهاجر وعن ابن عباس في قوله انما أحل لنا لك أزواجك
إلى قوله خالصة لك قال فخرم الله عليه سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح في أى
النساء شاء لم يحرم ذلك عليه وكان نساءه يجدن من ذلك وجد اشديدان ينكح في أى
النساء أحب فلما أنزل انى حرمت عليك من النساء سوى ما قصت عليك أعجب ذلك
نساءه (وامرأة مؤمنة) أى وأحل لنا لك امرأة مصدقة بالتوحيد وهذا يدل على ان
الكافرة لا تحل له قال امام الحرمين وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة عاياه قال ابن
العربي والصحيح عندى تحريمها وبهذا يتميز علينا فانه ما كان في جانب الفضائل
والكرامات حفظه فيه أكثر وما كان من جانب النقائص جفابه عنها اظهر فجوز لنا
نكاح الحرائر الكائيات وقصر هو صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنات ولهذا كان
لا تحل له الكائيات الكافرة لانه نقصانها بالكفر انتهى وامانته به بالامة الكائية فالاصح فيه
الحل لانه صلى الله عليه وآله وسلم استمع بأستهريحانه قبل ان تسلم كذا في المواهب وكانت
يهودية من سبي قريظة ومما خص به ايضا انه يحرم عليه نكاح الامة ولو مسلمة لان نكاحها
معتبر بخوف العنت وهو معصوم وبفقدها مهر الحرة ونكاحه عنى عن المهر ابتداء
وانتهاء وورق الزلد ومنصبه صلى الله عليه وآله وسلم يتره عنه كذا في الروض وشرحه
(ان وهبت نفسها للنبي) أى ملكتك بضعها باى عبارة كانت بغير صداق وامان لم تكن
مؤمنة فلا تحل لك بمجرد هبتها نفسها لك وان لم تكن ليس ذلك بواجب عليك بحيث يلزمك
قبول ذلك بل مقيد ابارادك فهى جلة شرطية لانها تلزم الوقوع ولهذا قال (ان اراد
النبي ان يستنكحها) يقال نكح واستنكح مثل عجل واستعجل وعجب واستعجب ويجوز
ان يراد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح او طلب الوطئ قاله القرطبي أى يسيرها
منكوحته ولو يملك بضعها بتلك الهبة بلا مهر وذلك جار منه مجرى القبول وحيث
لم تكن الآية ناصا في كون تملكها بلفظ الهبة لم تصلح ان تكون مناط للخلاف في انعقاد
النكاح بلفظ الهبة وايراده في الموضوعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات عن الخطاب
للايدان بانها المناط لثبوت الحكم فيخص به كما ينطق به قوله الا ترى خالصة لك وقد قيل
انه لم ينكح النبي من الواهبات انفسهن احدا ولم يكن عنده منهن شىء وقال قتادة
كانت عنده ميمونة بنت الحارث قال الشعبي هى زينب بنت خزيمة الانصارية أم المساكين

القاسم حدثنا الحسين حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن جو يبر عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان تنهه عن الفحشاء والمنكر قال وقال سفيان قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك قال
فقال سفيان أى والله تأمره وتنهيه وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن جو يبر عن الضحاك عن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو خالد مرة عن عبد الله لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة تنهه عن الفحشاء
والمنكر والموقوف أصح كما رواه الاعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قيل لعبد الله ان فلانا يطيل الصلاة قال

ان الصلاة لاتنفع الا لمن اطاعها وقال ابن جرير حدثنا علي حدثنا اعمش عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يرددها من الله الا بعدوا والاصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والاعمش وغيرهم والله اعلم وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا يوسف بن موسى أبا نجرير يعني ابن عبد الجيد عن الاعمش عن أبي صالح قال أراه عن جابر شك الاعمش قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه ما تقول وحدثنا محمد بن موسى (٢٩٦) الجرشي أخبرنا زياد بن عبد الله عن الاعمش عن أبي

صالح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يشك ثم قال وهذا الحديث قد رواه عن الاعمش غير واحد واختلفوا في اسناده فرواه غير واحد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو غيره وقال قيس عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال جرير وزياذ عن عبد الله عن الاعمش عن أبي صالح عن جابر وقال الامام أحمد حدثنا وكيع أخبرنا الاعمش قال أرى أبا صالح عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق فقال انه سينهاه ما تقول ونشتم الصلاة أيضا على ذكرا لله تعالى وهو المطلوب الاكبر ولهذا قال تعالى ولذكرا لله أكبر أى أعظم من الاول والله يعلم ما تصنعون أى يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم وقال أبو العالسة في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال ان الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شئ من هذه الخلال فليست بصلاة الاخلاص والخشية وذكرا لله فالخلاص

وقال علي بن الحسين والفضال ومقاتل هي أم شريك بنت جابر الاسديّة وقال عروة ابن الزبير وهي أم حكيم بنت الاوقص السلميّة أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في السنن عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خولة بنت حكيم وأخرج البخاري وغيره عن عروة ان خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله ابن عبيدة قالوا تزوج رسوا لله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث عشرة امرأة من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وثلاث من بني عامر بن صعصعة وأمراأتان من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وزينب أم المساكين والعامرية وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استعادت منه زينب بنت جحش الاسديّة والسبيتين صفية بنت حيي وجويرية بنت الحارث الخزاعية وأخرج البخاري وابن مردويه عن أنس قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله هل للبي حاجة فقالت ابنة أنس ما كان أقل حياء ما فقال هي خبيثة فقلت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرضت نفسها عليه وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد الساعدي ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوهبت نفسها له فصمت الحديث بطوله وكان من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم ان النكاح ينقذ في حقه بمعنى الهبة من غيرولى ولا شهود ولا مهر والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء وعليه جماعة واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينقذ الا بلفظ النكاح والتزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ينقذ بلفظ التملك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذهب قوم الى انه كان ينقذ في حقه صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الهبة وذهب قوم آخرون الى انه لا ينقذ كافي حق سائر الامة وكان اختصاصه في ترك المهر وعدم لزومه له لاني لفظ النكاح واختلفوا في ان العقد بلفظ الهبة هل وقع له بالفعل أم لا فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح أو ملك بين وقال آخرون وقع واختلفوا فيها كما تقدم وقال

يا أمره بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر وذكرا لله القرآن يا أمره وينهاه وقال ابن عون الانصاري الرضخري

اذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد جرتك عن الفحشاء والمنكر والذى أنت فيه من ذكرا لله أكبر وقال جاد بن أبي سليمان ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يعني ما دمت فيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ولذكرا لله أكبر يقول ولذكرا لله عباده أكبر اذا ذكرهم من ذكراهم اياه وكذا روى غير واحد عن ابن عباس وبه قال مجاهد وغيره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن رجل عن ابن عباس ولذكرا لله أكبر قال ذكرا لله عند طعامك

وعندنا ما قلت فان صاحبنا في المتزل يقول غير الذي تقول قال وأي شيء يقول قلت قال يقول الله تعالى فاذا كرمي اذ كرم
 فلذ كرا لله ايانا كبر من ذكرا اياه قال صدق قال وحدثنا ابي حنيفة النخعي حدثنا اسمعيل عن خالد بن عكرمة عن ابن
 عباس في قوله تعالى ولذ كرا لله ا كبر قال لها وجهان قال ذ كرا لله عندما حرب قال وذ كرا لله اياكم اعظم من ذ كراكم اياه وقال ابن
 جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم اخبرنا هشيم اخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال لي ابن عباس هل تدري
 ما قوله تعالى ولذ كرا لله ا كبر قال قلت نعم قال فما هو قلت التسييح (٢٩٧) والتمهيد والتكبير في الصلاة وقراءة

القرآن ونحو ذلك قال لقد قلت
 قولاً عجيباً وما هو كذلك ولكنه انما
 يقول ذ كرا لله اياكم عندما أمر به
 أو نهي عنه اذا ذكرتموه كبر من
 ذ كراكم اياه وقد روى هذا من غير
 وجه عن ابن عباس وروى أيضاً
 عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان
 الفارسي وغيرهم واختاره ابن جرير
 (ولتجدوا لاهل الكتاب ابائنا
 هي أحسن الا الذين ظلموا منهم
 وقولوا آمنا بالذي أنزل البنا وأنزل
 اليكم والهناء والهناء واحد ونحن له
 مسلمون) قال قتادة وغير واحد
 هذه الآية منسوخة بآية السيف
 ولم يبق معهم مجادل وانما هو
 الاسلام والجزية أو السيف وقال
 آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد
 الاستبصار منهم في الدين فيجادل بالتي
 هي أحسن ليكون أشجع فيه كما قال
 تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
 والموعظة الحسنة الآية وقال
 تعالى للموسى وهرون حين بعثهما
 الى فرعون فقولا له قولا لينا لعلنا
 نبدوكم بما يحبون وهذا القول
 اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد
 وقوله تعالى الا الذين ظلموا منهم أي

الزنجشري قيل الموهوبات أربع ميمونة توزينب وأم شريك وخولة وفي السمين هذا من
 اعتراض الشرط على الشرط والثاني قيد في الاول ولذلك أعربوا لان الخال قيد
 ولهذا اشترط النكح ان يتقدم الثاني الى الاول في الوجود فلو قال ان أكلت ان ركبت
 فأنت طاق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل وانه يشترط ان لا يكون ثمة قرينة تمنع من
 تقدم الثاني على الاول كقولك ان تزوجتك ان طلقته فبعدى حر فانه لا يتصور هنا تقديم
 الطلاق على التزوج الا اني قد عرض لي اشكال على ما قاله الفقهاء بهذه الآية وذلك ان
 الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم الخاص بالنبي صلى الله
 عليه وآله وسلم لأنه لا يمكن عقلاً وذلك ان المفسر يفسر واقوله تعالى ان أراد بمعنى قبل
 الهبة لانه بالقبول منه يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متأخر وأيضاً
 فالقصة كانت على ما ذكرته من تأخر ارادته عن هبتها وهو مذكور في التفسير وقد
 عرضت هذا الاشكال على جماعة من أعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنهم جواب
 الا قد قدمت من ان ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلت لك آنفا انتهى وقد بين الله سبحانه ان
 هذا النوع من النكاح خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لغير من أمته
 فقال (خالصة لك من دون المؤمنين) لفظ خالصة اما حل من امرأة قاله الزجاج او حال
 من فاعل وهبت أي حال كونها خالصة لك دون غيره أو مصدر مؤكّد كقوله الله أي خالص
 لك خلوصاً ونعت مصدر مقدر أي هبة خالصة فنصبها بوهبت وقد أجمع العلماء على ان
 هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه لا يجوز لغيره ولا ينقد النكاح به به المرأة
 نفسها الا ما روى عن أبي حنيفة وصاحبه انه يصح النكاح اذا وهبت وأشهره هو على
 نفسه مجهر وأما بدون مهر فلا خلاف في ان ذلك خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 ولهذا قال (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من
 خلوص الاحلال له أي ما فرضه الله سبحانه على المؤمنين في حق أزواجهم من شرائط
 العقد وحقوقه فان ذلك حق عليهم من روض لا يحل لهم الاخلال به ولا الاقتداء برسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما خصه الله به توسعة عليه وتكريمه فلا يتزوجوا الا
 أربعاً مجهر وبيته وولي وعن ابن عمر في الآية قال فرض الله عليهم انه لا نكاح الا بولي
 وشاهدين وعن ابن عباس مثله وزاد ومهر (وما ملكت أيمانهم) أي وعلمنا ما فرضنا

(٣٨ - فتح البيان سابع) حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح الحق وعاندوا كباروا حينئذ ينتقل من الحدال الى
 الجلال ويقا تلون بما يمنعه ويرد عنهم قال الله عز وجل لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
 وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد الى قوله ان الله قوي عزيز قال جابر أمرنا من خالف كتاب الله ان نصر به بالسيف قال مجاهد الا الذين
 ظلموا منهم يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية بقوله تعالى وقولوا آمنا بالذي أنزل البنا وأنزل اليكم يعني اذا خبروا بما
 لا يعلم صدقوه ولا كذبوه فهذا لا يقدم على تكذيبه لانه قد يكون حقاً ولا على تصديقه لانه قد يكون باطلاً ولكن يؤمن به بما يابا

بمجاله معلقا على شرط وهو ان يكون منزلا لام بدلا مؤولا قال البخاري رحمه الله حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا علي ابن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالذي أنزل النبوأ نزل اليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون وهذا الحديث تفرد به البخاري وقال الامام أحمد حدثنا عثمان ابن عمر أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني

(٢٩٨)

ابن عمر أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني

عليهم فيما ملكت أي ما منهم من كونهن ممن يجوز سببه وحر به لا يمن كان لا يجوز سببه أو كان له عهد من المسلمين أي تكون الاممة ممن تحمل المال كما كالتكايبة بخلاف الجوسية والوثنية وان تستبرأ قبل الوطء (لكيلا يكون عليك حرج) قال المفسرون هذا يرجع الى أول الآية أي أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والواحدة نفسها لك لكيلا يكون عليك حرج فتكون الامم متعلقة بأحلنا وبقيل هي متعلقة بخاصة قاله البيضاوي وأبو السعد عود والتعلق باعتبار ما فيه من معنى ثبوت الاحلال وحصوله صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى والحرج الضيق أي وسعنا عليك في التحليل للثلاث يضيق صدرك فظن انك قد أمتت في بعض المنكوحات (وكان الله غفورا رحيمًا) يعفر الذنوب فيما عسر التحرز عنه ويرحم العباد بالتوسعة في ذلك ولذلك وسع الامر ولم يضيقه (ترجي من تشاء منهن) قرئ ترجي مهموزا وغير مهموز وهما الغتان والارجاء التأخير يقال أرجأت الامر وأرجيته اذا أخرته (وتؤوى اليك من تشاء) أي تضم اليك يقال آواه اليه بالمدضمه اليه وأوى مقصورا أي ضم اليه والمعنى ان الله وسع على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل الخيار اليه في نساءه فيؤخر من شاء منهن ويؤخر نوبتها ويتركها ولا يأتها من غير طلاق ويضم اليه من شاء منهن ويضاجعها ويبيت عندها وقد كان القسم واجبا عليه حتى نزلت هذه الآية فارتفع الوجوب وصار الخيار اليه وكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ومن أرجى سوذة وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفية فكان صلى الله عليه وآله وسلم يسوي بين من آوى في القسم وكان يقسم لمن أرجاه ماشاء هذا قول جمهور المفسرين في معنى الآية وهو الذي يناسب ماضى وقد دلت عليه الأدلة الثابتة في الصحيح وغيره قال ابن العربي هذا الذي ثبت في الصحيح هو الذي ينبغي ان يعول عليه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون فرض عليه تطيبيا لنفوسهن وصونالهن عن أقوال الغيرة التي تؤدى الى مالا ينبغي وقيل هذه الآية في الواهبات أنفسهن لاني غيرهن من الزوجات قاله الشعبي وغيره وقيل معنى الآية في الطلاق أي تطلق من تشاء منهن وتسلم من تشاء وقال الحسن ان المعنى تسكح من شئت من نساء أمتك وتترك نكاح من شئت منهن وقد قيل ان هذه الآية ناهية لقوله لا يحل لك النساء من بعد وعن ابن عباس ترجى أي تؤخر وعنه قال من شئت خليت سبيلها منهن ومن

جالس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الخنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أعلم قال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم قلت وأبو غنم هذا هو أبو عمارة وقيل عامر وقيل عمرو بن معاذ بن زرارة الانصاري رضي الله عنه ثم لي علم ان أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وهتان لانه قد دخله محريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة كثير منه ولو كان صحيحا قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عاصم أخبرنا سفيان عن سليمان بن عامر عن عمارة بن عمير عن حريث ابن ظهير عن عبد الله هو ابن مسعود قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما أن تكذبوا الحق أو تصدقوا باطلا فانه ليس أحد من أهل الكتاب الا وفي

قلبه نالفة تدعوه الى دينه كالبالمال وقال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابراهيم بن سعد أخبرنا ابن

شهاب عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكابكم الذي أنزل اليكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤنه محضالم يشب وقد حدثكم ان أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا انها كم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم وقال البخاري وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن انه سمع معاوية يحدث رهطامن قريش بالمدينة وذكر

كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحمدين الذين يتحدثون عن اهل الكتاب وان كاتم ذلك انبوا عليه الكذب قلت
معناه انه يقع منه الكذب لغته من غير قصد لانه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن وفيها اشياء وضوغة ومكذوبة لانهم لم يكن
في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الامة العظيمة ومع ذلك وقرب العهد وضعت احاديث كثيرة في هذه الامة لا يعلمها الا الله عز وجل
ومن منحه الله تعالى علما بذلك كل جسم به والله الحمد والمنة (وكذلك اترنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن
هو لا من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو (٢٩٩) من قبله من كتاب ولا تخطه به بيئت اذا

لا رتاب المبطون بل هو آيات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد
باياتنا الا الظالمون) قال ابن جرير
يقول الله تعالى كما اترنا الكتاب على
من قبلك يا محمد من الرسل كذلك
اترنا اليك هذا الكتاب وهذا الذي
قاله حسن ومناسبة وارتباط جيد
وقوله تعالى فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به أي الذين أخذوه فتلوه
حق تلاوته من احبارهم العلماء
الاذكياء كعبد الله بن سلام وسلمان
الفارسي واشباهما وقوله تعالى
ومن هؤلاء من يؤمن به يعني العرب
من قريش وغيرهم وما يجحد باياتنا
الا الكافرون أي ما يكذب بها
ويجحد مدحها الامن يسـ تراحق
بالباطل ويغطي ضوء الشمس
بالوصائل وهيات ثم قال تعالى وما
كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيئت أي قد لبثت في قومك يا محمد
من قبل ان تأتيهم هذا القرآن عمرا
لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة بل
كل أحد من قومك وغيرهم يعرف
انك رجل لم أي لا تقرأ ولا تكتب
وهكذا صفتهم في الكتب المتقدمة
كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول

أحبيت أمسكت منهن وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت كنت أعمار من
اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقول تهب المرأة نفسها فلما أنزل
الله ترجي من تشاء منهن الآية قلت ما أرى ربك الا يسارع في هوائك وعن أبي رزين قال
هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلق من نسائه فلما رأى ذلك أتتته فقلن لا تخل
سبياتنا وأنت في حل فيما بيننا وبينك افرض لنا من نفسك ومالك بما شئت فانزل الله ترجي
من تشاء منهن يقول تعزل من تشاء فارجى منهن نسوة وأوى نسوة وكان ممن أرجى ميمونة
وجويرية وآم حبيبة وصفية وسودة وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ماشاء وكان ممن أوى
عائشة وحفصة وآم سلمة وزينب فكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء وأخرج
البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستأذن
في يوم المرأة من بعد ان أنزلت هذه الآية ترجي من تشاء منهن فقلت لها ما كنت تقولين
قالت كنت أقول ان كان ذلك الى فاني أريد ان لا أوثر عليك أحدا (ومن ابتغيت ممن
عزلت) الا تبغاه الطلب والعزل الازالة والمعنى ان أردت ان تقوى اليك امرأة ممن قد
عزلت من القسمة وتضعها اليك (فلا جناح عليك) في ذلك والحاصل ان الله سبحانه
فوض الامر الى رسوله بصنع في زوجته ماشاء من تقديم وتأخير وعزل وامسالك وضم
من أرجى وارجاء من ضم اليه وما شاء في أمرهن فعزل توسعة عليه ونفيا للعرج عنه وأصل
الجناح الميل يقال جنحت السفينة اذا مات والمعنى لا ميل عليك بلوم ولا عتب فيما فعلت
(ذلك) أي ما تقدم من التفويض الى مشيئته وهو مبتدأ وخبره قوله (أدنى أن تقرأ عينهن)
أي ذلك التخيير والتفويض الذي فوضناك أقرب الى رضائهن وأطيب لانهن اذ كان
من عندنا لانهن اذا علمن انه من الله قررت أعينهن واطمأننت نفوسهن وذهب التغير
وحصل الرضاء قرئ تقر على البناء للفاعل مسند الى أعينهن وقرئ بضم التاء من أقرر
وفاعله ضمير الخطاب وينصب أعينهن على المفعولية وقرئ على البناء للمفعول وقد تقدم
بيان معنى قرأ العين في سورة مريم (ولا يحزن) أي لا يحصل معهن حزن بتأثيرك بعضهن
دون بعض (ويرضين بما آتيتن كلهن) أي بما أعطيتن من تقرب وارجاء وعزل وانواء
وكان يقسم بينهن في القسمة حتى مات ولم يستعمل شيئا مما يبع له ضم بطال نفسه وأخذها
بالأفضل غير سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنهما (والله يعلم ما في قلوبكم) من

النبي الامي الذي يجذونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الآية وهكذا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دائما الى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطر او لا حرفا يده بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل
الى الاقارب ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه انه علمه السلام كتب يوم الحديبية هذا ما قاضي
عليه محمد بن عبد الله فانما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري ثم أخذت كتب وهذه نحو رواية اخرى ثم أمر فكتب
ولهذا الشهدا السكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي وتبرأ منه وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في

مخالفهم وانما اراد الرجل اعني الباجي فيما يظهر عنه انه كتب ذلك على وجه المعجزة لانه كان يحسن الكتابة كما قال صلى الله عليه وسلم اخبار عن الرجال مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية كافر يقرؤه كل مؤمن وما أورده بعضهم من الحديث انه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له قال الله تعالى وما كنت تتلوا أي تقرأ من قبل من كتاب لتأكيده النفي ولا تحطه بيمينك تأكيده أيضا وخرج مخرج الغالب كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحه وقوله تعالى اذا الارتاب المبطلون أي لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول (٣٠٠) انما تعلم هذا من كتب قبله ما تورد عن الانبياء مع انهم قالوا ذلك

مع علمهم بانه أي لا يحسن الكتابة وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي على عليه بكرة وأصله يلا قال الله تعالى قل أترله الذي يعلم السر في السموات والارض الآية وقال ههنا بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم أي هذا القرآن آيات بيّنة واضحة في الدلالة على الحق أمر ائمه واخباره يحفظه العلماء يسره الله عليهم حتى حفظوا وتلاوه وتفسيرا كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدکر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد أعطى ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فارجوان أكون أكثرهم تابعا وفي حديث عياض بن حماد في صحيح مسلم يقول الله تعالى اني ميثلك وميثل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا أي لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتجج الي ذلك المحل لانه قد جاء في الحديث الاخر لو كان القرآن في اهاب ما أحرقه النار ولانه محفوظ في الصدور ويسر على الالسنه مؤمنين

كل ما تضمنه ومن ذلك ما تضمنه من أمور النساء والميل الي بعضهم (وكان الله عليهما) بكل شيء وعما في ضمائرهم لا تخفى عليه خافية (حليما) عنكم لا يعاجل العصاة بالعقوبة فينبغي ان تنقح محارمة لان انتقام الخليم وغضبه أمر عظيم لا يحل لك النساء من بعد أي من بعدهن الا التسع اللاتي اخترتك واجتعلن في عصمتك وهن التسع اللاتي توفى عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق وحنيفة بنت عمرو أم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية ورضيفة بنت حيي بن أخطب الخبيربة وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطقية قاله أبو السعدي وقد اختلف أهل العلم في تنسيب هذه الآية على أقوال الاول انه محكمة وانه حرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوج على نساءه مكافاة لهن بما فعلن من اختيار الله ورسوله والدار الاخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بامر الله بذلك وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والحسن وابن سيرين وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابن زيد وابن جرير وقال أبو امامة بن سهل بن حنيف لما حرم الله عليهن ان يتزوجن من بعده حرم عليه ان يتزوج غيرهن وقال أبي بن كعب وعكرمة وأبو رزين ان المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاصناف التي سماها الله قال القرطبي وهو اختيار ابن جرير وقيل لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات لانهن لا يصح ان يتصفن بأسمات المؤمنين وهذا القول فيه بعد لانه يكون التقدير لا يحل لك النساء من بعد المسلمات ولم يجز للمسلم ان يزوج هذه الآية منسوخة بالسنة وبقوله ترجى من تشاء ممنهن وتووى اليك من تشاء وهذا قال أم سلمة وعائشة وعلي بن أبي طالب وعلي بن الحسين وغيرهم وهذا هو الراجح وسيأتي ما يدل عليه من الأدلة عن زياد رجل من الانصار قال قلت لابن كعب أرايت لو ان أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم متن أما كان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما حل له من النساء ووصف له صفة فقال يا أيها النبي انما حل لك أزواجك التي قبلك الى قوله وامرأة مؤمنة ثم قال لا يحل لك النساء من بعد هذه الصفة وعن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات قال لا يحل لك النساء من بعد الآية فاحل له الفتيات المؤمنات وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات

على القلوب مجز لفظا ومعنى ولهذا جاء في الكتب المتقدمة في صفة هذه الامة انما جعلهم في صدورهم واخبار دين ابن جرير ان المعنى في قوله تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم بل العلم بانك ما كنت تتلوا من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تحطه بيمينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ونقله عن قتادة وابن جرير وحكي الاول عن الحسن البصري فقط قلت وهو الذي رواه العوفي عن ابن عباس وقالة الضحاك وهو الاظهر والله أعلم وقوله تعالى وما يجحد بآياتنا الا الظالمون أي ما يكذب بها ويحس حقها ويردها الا الظالمون أي المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون

عنه كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم (وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كني بالله يني وينسبكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون) يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات يعنون ترشداهم الى ان محمد رسول الله كما جاء صالح بناقته قال الله تعالى قل يا محمد انما الآيات عند الله أي انما أمر ذلك الى الله فانه (٣٠١) لوعلم انكم تهتدون لاجابكم الى سؤالكم

لان ذلك سهل عليه يسير ليديه ولكنه يعلم منكم انكم انما قصدتم التعتن والامتحان فلا يجيبكم الى ذلك كما قال تعالى ما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذبها الاولون وآتيناهم الذنوب مبصرة فظلموا بها وقوله وانما انا نذير مبين أي انما بعثت نذير الكرم بين النذارة فعلى ان ابلغكم رسالة الله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وقال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ثم قال تعالى مينا كثرة جهلهم وسخافة عقولهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو اعظم من كل معجزة اذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشرين من مثله بل عن معارضة سورة منه فقال تعالى أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم أي أولم يكفهم آية انا انزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبأ

دين غير الاسلام وقال يا أيها النبي انا أحللت لك أزواجك الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء وعنه قال نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوج بعد نسائه الاول شيئا وعنه في الآية قال حبسه الله عليهن كما حبسهن عليه وعن أنس قال لما خبرهن فاخترن الله ورسوله قصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد وعن أم سلمة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحل الله له ان يتزوج من النساء ماشاء الا ذات محرم وذلك قول الله ترجي من تشاء منهن الآية وأخرج أحمد وأبو داود في ناسخه والترمذي وصححه والنسائي والحاكم وصححه عن عائشة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحل الله له ان يتزوج من النساء ماشاء الا ذات محرم لقوله ترجي من تشاء منهن الآية وعن ابن عباس مثله وعن أبي رزين لا يحل لك النساء من بعد قال من المشركات الا ما سميت فليكت عيبتك (ولان تبدل بهن من أزواج) أي ليس لك ان تطلق واحدة منهن أو أكثر وتزوج بدل من طلقت منهن أي من المسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية ومن مزيدة لنا كيد النفي وقائده استغراق جنس الأزواج بالتحريم وقال ابن زبيد هاشمي كانت العرب تفعله تقول خذ زوجتي وأعطني زوجتك وقد أنكر ابن جرير والنحاس ما ذكره ابن زيد قال ابن جرير ما فعلت العرب هذا قط ويدفع هذا الانكار منهما ما أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله عز وجل ولان تبدل بهن وأخرجه أيضا عنه البزار وابن مردويه وأخرجا عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلي امرأتك وأبادلك امرأتي أي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله هذه الآية قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول صلى الله عليه وآله وسلم وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من الانصار منذ أدركت ثم قال من هذه الجبراء الى جنبك فقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال أفلا أنزل لك عن أحسن خلق الله قال يا عيينة ان الله حرم ذلك فلما ان خرج قالت عائشة من هذا قال أحق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه (ولو أعجبك حسنهن) وهذا كقولك اعطوا السائل ولو على فرس أي في كل

ما بعدهم وحكم ما بينهم وانت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ولم تتخاطب أحدا من أهل الكتاب فحثهم بأخبار ما في الصحف الاولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح المبين الجلي كما قال تعالى أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقال تعالى وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه أولم تأتهم بيعة ما في الصحف الاولى وقال الامام أحمد حدثنا ججاج حدثنا ثعلبة بن سفيان حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء من نبي الا قد اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحياء أوحاه الله الى فارحوا ان كونه أكثرهم تابع يوم القيامة أخرجه من حديث الليث وقد قال

الله تعالى ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون أى ان في هذا القرآن لرحمة أى بيان للعقوبات وازاحة للباطل وذكرى بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصيين لقوم يؤمنون ثم قال تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أى هو أعلم بما تفحصون فيه من التكذيب ويعلم ما أقول لكم من اخبارى عنه بأنه أرسلنى فلو كنت كاذبا عليه لانتقم منى كما قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فامنكم من أحد عنه حاجزين وانما انا صادق عليه فيما أخبرتكم به ولهذا أيدنى بالمعجزات الواضحات (٣٠٢) والدلائل القاطعات يعلم ما فى السموات والارض أى لا تخفى

حال ولو على هذه الحالة المنافية للاعطاء وقيل تقديره مفروض العجايب من أى لا يجعل لك التبدل بازواجك ولو أعجبك حسن غيرهن وجمالهن أردت ان تجعلها بدلا من احداهن وهذا التبدل أيضا من جملة ما نسخته الله فى حورسوله على القول الرابع ونسخها ما بالسنة أو بقوله انا اخلقنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف قال ابن عباس يعنى أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبى طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يخطبها فنهى عن ذلك (الامام ملكت عينك) استثناء من النساء لانه يتناول الحرار والاماء وقيل منقطع والمعنى تحل لك الاماء وقدمت لك صلى الله عليه وآله وسلم بعدهن مارية القبطية أهدها له المقوقس ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية وولدت له ابراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان ومائة فى حياة أبيه وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة أشهر وفى رواية انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يصل عليه بنفسه بل امرهم فصلوا فاه ابن حجر فى شرح الهمزية وقد اختلف العلماء فى تحليل الامة الكافرة على قولين الاول انها تحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لعموم هذه الآية وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن والثانى انها لا تحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تنزيها لقدره عن مبانة الكافرة ويترجى القول الاول بعوم هذه الآية وتعليل المنع بالتزديع فلا تنزه عما أحله الله فهو طيب لا خبيث باعتبار ما يتعلق بامور النكاح لا باعتبار غير ذلك فالمشركون يحس بنص القرآن ويمكن ترجيح القول الثانى بقوله سبحانه ولا تمسكوا بعصم الكوافر فانه نهي عام (وكان الله على كل شىء قريبا) أى مرابا حافظا وفى الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليقبله لخرج ابي داود وعن ابي هريرة ان رجلا أراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم انظر اليها فان فى عين الانصار شىء قال الحمدي يعنى هو الصغرى وعن المغيرة بن شعبه قال خطبت امرأة فقال لى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه أحرى ان يدوم بينكما أخرجه الترمذى وقال حسن (يا أيها الذين آمنوا) شروع فى بيان ما يجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبي اثنى بيان ما يجب مراعاته عليه من حقوقهن (لا تدخلوا

عليه خافية والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون أى يوم القيامة سيجزىهم على ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا فى تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم وآمنوا بالباطل واغيت والاثوان بلا دليل فيجازىهم على ذلك انه حكيم عليهم (ويستجولونك بالعداب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستجولونك بالعداب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) يقول تعالى مخبرا عن جهل المشركين فى استجوالهم عذاب الله ان يقع بهم وبأس الله ان يحل عليهم كما قال تعالى واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا سجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقال ههنا ويستجولونك بالعداب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب أى لولا ما حتم الله من تأخير العذاب الى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبا

سريعا كما استجولوه ثم قال وليأتينهم بغتة أى خاتة وهم لا يشعرون يستجولونك بالعداب وان جهنم محيطية بيوت الكافرين أى يستجولون العذاب وهو واقع بهم لا محالة قال شعبه عن سماعة عن عكرمة قال فى قوله وان جهنم محيطية بالكافرين قال الجبر وقال ابن ابي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا عمر بن اسمعيل بن خالد حدثنا ابي عن مجاهد عن الشعبي انه سمع ابن عباس يقول ان جهنم محيطية بالكافرين ووجهنم هو هذا البحر الاخضر تنثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم وقال الامام أحمد حدثنا ابو عاصم اخبرنا عبد الله بن أمية حدثني محمد بن يحيى اخبرني صفوان بن يحيى عن ابيه ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال البحر وجههم قالوا ليعلى فقال ألا ترون ان الله تعالى يقول ناراً أحاط بهم سرادقها قال لا والذي نفس يعلى بيده
 لا أدخلها أبداً حتى اعرض على الله ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله تعالى هذا تفسير غريب وحديث غريب جدا والله
 أعلم ثم قال عز وجل يوم يعصاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال
 تعالى لهم من فوقهم ظلمل من النار ومن تحتهم ظلمل وقال تعالى لويلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
 ظهورهم الآية فالنار تعصاهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ في العذاب (٣٠٢) الحسى وقوله تعالى وتقول ذوقوا

ما كنتم تعملون تهديد وتقرير
 وتوبيخ وهذا عذاب معنوي على
 النفوس كقوله تعالى يوم يسحبون
 في النار على وجوههم ذوقوا من
 سقرانا كل شئ خلقناه بقدر وقال
 تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا
 هذه النار التي كنتم لها تكذبون
 افسح هذا أم أنتم لا تبصرون
 اصلوها فاصبروا ولا تبصروا
 عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
 (باعتدادي الذين آمنوا ان أرضي
 واسعة فاباى فاعبدون كل نفس
 ذائقة الموت ثم اليها ترجعون والذين
 آمنوا وعملوا الصالحات نسبوهم
 من الجنة غرفا تجري من تحتها
 الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين
 الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
 وكان من دابة لا تحمل رزقها الله
 يرزقها واياكم وهو السميع العليم
 هذا أمر من الله تعالى لعباده
 المؤمنين بالهجرة من البلد الذي
 لا يقدرون فيه على إقامة الدين فيها
 الى أرض الله الواسعة حيث يمكن
 إقامة الدين بان يوحدوا الله ويعبدوه
 كأمرهم ولهذا قال تعالى يا عبادي
 الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاباى

بيوت النبي) هذا منى عام لكل مؤمن ان يدخل بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 الا باذن منه وسبب النزول ما وقع من بعض الصحابة في وليمة زينب وقد أخرج البخارى
 ومسلم عن أنس قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر
 فلو حجبتهن فانزل الله آية الحجاب وفي لفظ انه قال عمر يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
 فلما أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله آية الحجاب وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما
 عن أنس قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش دعا القوم
 فظعموا ثم جلسوا يتحدثون واذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقموا فلما رأى ذلك قام فلما
 قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فبأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدخل فاذا القوم
 جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت جثت فأخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم انهم قد
 انطلقوا فغاض حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله بأىها الذين
 آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وأخرج ابن جرير عن عائشة ان أزواج النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أبيض وكان عمر بن
 الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشيا وكانت
 امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الاعلى قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب
 فانزل الله الحجاب قال بأىها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وأخرج ابن سعد
 عن أنس قال نزل الحجاب مبتنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش وذلك
 سنة خمس من الهجرة وحجب نساءه من يومئذ وأنا ابن خمس عشرة سنة وكذا أخرج ابن
 سعد عن صالح بن كيسان وقال نزل الحجاب على نساءه في ذى القعدة سنة خمس من
 الهجرة وفيه قال قتادة والواقدي وزعم أبو عبيدة وخليفة بن خياط ان ذلك كان في سنة
 ثلاث وفي الآية دليل على ان البيت للرجل ويحكم له به فان الله أضافه اليه اضافة ملك
 وأما اضافته الى الأزواج في قوله ما يتلى في بيوتكن فهي اضافة محل بدليل انه جعل فيها
 الاذن الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاذن انما يكون من المالك واختلف العلماء في
 بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان يسكن فيها نساءه بعد موته هل هي ملك له
 أو لأعلى قولين فقالت طائفة كانت ملكا له بن بدليل انهن سكن فيها بعد موت النبي صلى

فاعبدون قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثني أبو سعد الانصارى عن
 أبي يحيى مولى الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والعباد عباد الله حيثما
 أصبت خيرا فأقم ولهذا المأضاق على المسنة ضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين الى أرض الحبشة لئلا يأتوا على دينهم هناك
 فوجدوا خيرا المترلين هناك أحكمة النجاشي ملك الحبشة رجه الله تعالى فأواهم وأيدهم بنصره وجعلهم سبب ما يلاذه ثم بعد ذلك
 هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقون الى المدينة النبوية يثرب المطهرة ثم قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم اليها

ترجعون أي إنما كنتم يدرككم الموت فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله فهو خير لكم فان الموت لا يدمنه ولا يحسد عنه ثم الى الله المرجع والمآب فمن كان مطيعا له جازاه أفضل الجزاء ووافاه أتم الثواب ولهذا قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليسوا منهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار أي لتسكنهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها من ماء وسحر وعسل ولبن يصر فونها ويجري منها حيث شاؤوا خالدين فيها أي ما كثر فيها أبد الابديغون عنها حولان نعم أجر العاملين نعمت هذه الغرف أجر على أعمال المؤمنين (٣٠٤) الذين صبروا أي على دينهم وهاجروا الى الله ونابذوا الأعداء وفارقوا

الله عليه وآله وسلم الى وفاتهم وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهب لهم ذلك في حياته الثاني ان ذلك كان اسكانا كما يسكن الرجل أهله ولم يكن هبة وامتدت سكرتهن بها الى الموت وهذا هو الصحيح وهو الذي ارتضاه أبو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهما فان ذلك من مؤتتهن التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استثناها لهن كما استثني لهن النفقات حين قال لا تقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ما تركت بعد نفقة أهلي ومؤتة عاملي فهو صدقة هكذا قال أهل العلم قالوا ويدل على ذلك ان مساكين لم ترنها عنهن ورثتهن قالوا وفي ترك ورثتهن ذلك دليل على انهن لم تكن لهن ملكا وانما كان لهن سكنى حياتهن فلما توفين جعل ذلك زيادة في المسجد الحرام الذي يعم المسلمين نفعه كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ضمن الى سبيلهن فزيد الى أصل المال فصرف لمنافع المسلمين مما يعم نفعه الجميع والله الموفق كذا قاله القرطبي واعلم ان قالون همز النبي حيث وقع الا في موضعين من هذه السورة أحدهما هذه الآية والثاني قوله ان وهبت نفسها للنبي فابد لها ياء في الوصل وهو زها في الوقف كما ذكره الشاطبي ولم يسهلها كما سهل غيرها لانه رأى الابدال هنا جاريا على القياس فيه فربحها لموافقتة لغيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكر على من قال يا نبي الله بالهمز وهذا مما لا يغبر عليه فلهذا التنزيل وما فيه من دقائق التأويل (الآن يؤذن لكم) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا في حال كونكم مأذونا لكم أي الامصوبين بالاذن أو الابان يؤذن لكم أو الا وقت ان يؤذن لكم وقوله (الى طعام) متعلق بيؤذن على تضمينه معنى الدعاء أي الا ان يؤذن لكم مدعوين الى طعام (غير ناظرين اناه) اتصاب غير على الحال والعامل فيه يؤذى أو مقدر أي ادخلوا غير ناظرين ومعنى ناظرين منتظرين وانه نضجه وادرا كما يقال اني ياني انا اذا جان وأدرك قال الرازي في الآية اما ان يكون فيه تقديم وتأخير فقد يدره ولا تدخلوا الى طعام الا ان يؤذن لكم فلا يكون منعاً من الدخول في غير وقت الطعام بغير اذن واما ان لا يكون فيه تقديم وتأخير فيكون معناه ولا تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى طعام فان لم يؤذن الى طعام فلا يجوز الدخول فلو أذن لواحد في الدخول لاستماع كلامه لا لاكل طعامه فلا يجوز فنقول المراد هو الثاني ليعم النهي عن

الاهل والاقرباء ابتغاء وجهه الله ورجاء ما عنده وتصديق مواعده قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي أخبرنا صفوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام الاسود حدثني أبو معاوية الاشعري ان ابا مالك الاشعري حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام واطاب الكلام وتابع الصلاة والصيام وقام بالليل والناس نيام وعلى ربهم يتوكلون في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم ثم أخبرهم تعالى ان الرزق لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام خلقه حيث كانوا وابن كانوا بل كانت ارزاق المهاجرين حيث هاجروا اكثر وأوسع واطيب فانهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الاقطار والامصار ولهذا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغدا الله يرزقها واياكم أي الله

يقبض لهار رزقها على ضعفها ويسره عليها فيبعث الى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الارض والطيور الدخول في الهواء والحياتان في الماء قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد يعني ابن هرون حدثنا الجراح بن منهال الجزري هو أبو العطوف عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي يا ابن عمر مالك لا تأكل قال قلت لاشتهيه يا رسول الله قال لكنني اشتبهه وهذا صبح رابعة من ذم طعاما ولم أجده

ولوسنت له عوت ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمرا اذا بقيت في قوم يحبون رزق سنهم وبضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا رماحتي نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله رزقها واياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يأمرني بكثر الدنيا ولا بتابع الشهوات فن كثر دنياه يريد بها احياها بقية فان الحياة بيد الله الاواني لا اكنز دينار ولا درهم ولا اخبار رزقا لغده هذا حديث غريب وأبو العطوف الجزري ضعيف وقد ذكره وان الغراب اذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض فاذا رآهم أبوهم كذلك نفر عنهم أيا ما حتى (٣٠٥) يسود الريش فيظل الفرخ فاتحاً فاه يتفقد أبويه

فيمض الله تعالى طير اصفارا كالبرغش فيغشاه فيتقوت به تلك الايام حتى يسود ريشه والابوان يتفقدانه كل وقت فكما رآوه أبيض الريش نفر عنه فاذا رآوه قد اسود ريشه عطفوا عليه بالحضانة والزق ولهذا قال الشاعر يارازق النعاب في عشه

وجابر العظم الكسير المهيض
وقد قال الشافعي في جملة كلامه في
الواهر كقول النبي صلى الله عليه
وسلم سافروا تصحوا وترزقوا قال
البيهقي أخبرنا املاء أبو الحسن
علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد
ابن عبيد أخبرنا محمد بن غالب حدثني
محمد بن سنان أخبرنا محمد بن عبد
الرحمن بن يزيد اشجع من أهل المدينة
حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سافروا تصحوا وتغنوا قال
ورويناه عن ابن عباس وقال الامام
أحمد حدثنا قبيصة أخبرنا ابن لهيعة
عن دراج عن عبد الرحمن بن محمد
عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سافروا ترزقوا
وصوموا تصحوا واغزوا تغنوا وقد

الدخول واما كونه لا يجوز الا باذن الى الطعام فلما هو مذكور في سبب النزول ان الخطاب مع قوم كانوا يتخيمون حين الطعام ويدخلون من غير اذن فنعوا من الدخول في وقتهم بغير اذن وقال ابن عادل الاولى ان يقال المراد هو الثاني لان التقديم والتأخير خلاف الاصل وقوله الى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لاسيما اذا علم ان غيره مثله فان من جاز دخوله بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله باذنه الى غير الطعام انتهى والاولى في التعبير عن هذا المعنى الذي أراد ان يقال قد دلت الأدلة على جواز دخول بيوتته صلى الله عليه وآله وسلم باذنه لغير الطعام وذلك معلوم لاشك فيه فقد كان الصحابة وغيرهم يستأذنون عليه لغير الطعام فيأذن لهم وذلك يوجب قصر هذه الآية على السبب الذي نزل فيه وهو القوم الذين كانوا يتخيمون طعام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادرا كهواً من أئمه فلا تدل على المنع من الدخول مع الاذن لغير ذلك والماجاز لا حد أن يدخل بيوتته باذنه لغير الطعام واللازم باطل فالمراد مثله قال ابن عطية وكانت سيرة القوم اذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء الى الدعوة ينتظرون طبع الطعام ونضجه وكذلك اذا فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخل في النهي سائر المؤمنين والترم الناس أدب الله لهم في ذلك فنعهم من الدخول الا باذن عند الاكل لاقبله لا تتظار نضج الطعام ثم بين سبحانه ما ينبغي في ذلك فقال (ولكن اذا دعيتكم) وأذن لكم فادخلوا وفيه تأكيدهم للمنع وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول وهو عند الاذن وقال ابن العربي وتقدير الكلام ولكن اذا دعيتكم وأذن لكم (فادخلوا) والافنفس الدعوة لا يكون اذا كان في الدخول وقيل ان فيه دلالة بيينة على أن المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه قال الرازي فيه لطيفة وهي ان في العادة اذا قيل لمن يعتاد دخول دار من غير اذن لا تدخلها الا باذن يتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها أصلاً ولا بالدعاء فقال لا تغفلوا مثل ما يفعله المستنكفون بل كونوا طائعين اذا قيل لكم لا تدخلوا فلا تدخلوا واذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا وقوله الا أن يؤذن لكم يفيد الجواز وقوله ولكن اذا دعيتكم فادخلوا يفيد الوجوب فليس تأكيده بل هو مفيد فائدة جديدة (فادعيتكم) أي أكلتم الطعام يقال طعم بكسر العين بطعم بفتحها طعمها كفتحهم وطعمها كقفل وفي الخطيب

(٢٩ - فتح البيان سابع) ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعاً عن معاذ بن جبل مرفوعاً وفي لفظ سافروا مع ذى الحدود والميسرة قال وروي بناه عن ابن عباس وقوله وهو السميع العليم أي السميع لاقوال عباده العليم بجر كآتهم وسد كآتهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) يقول تعالى مقرر انه لا اله الا هو لان المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بانه المستقل بخلق السموات والارض

افتري على الله كذبا وكذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فإنا لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين
يقول تعالى ممناعلى قريش فيما أحلهم من حرمة الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمنا فمهم في أمن عظيم
والاعراب حوله ينهب بعضهم بعضا يقتل بعضهم بعضا كما قال تعالى لئن لآلئنا لفرق قريش إلى آخر السيرة وقوله تعالى أفيالباطل
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون أى أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به وعبدوا معه غيره من الاصنام والانداد
وبدلوا نعمة الله كفرأوأحلوا قومهم دارالبوار فكفروا بنبي الله (٣٠٧) وعبدوه ورسوله فكان اللاتق بهم

اخلاص العباد لله وان لا يشركوا
به وتهدى الرسول وتعليمه
وتوقيره فأخرجوه من بين أظهرهم
ولهذا سلمهم الله تعالى ما كان أنعم به
عليهم وقتل من قتل منهم يدرم
صارت الدولة لله ورسوله وللمؤمنين
ففتح الله على رسوله مكة وأرغم
أنافهم وأذل رقابهم ثم قال تعالى
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا
أو كذب بالحق لما جاءه أى لأحد
أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال
ان الله أوحى إليه ولم يوح إليه شئ
ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله
وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب
بالحق لما جاءه فالاول مفترى والثانى
مكذب ولهذا قال تعالى أليس في
جهنم مثوى للكافرين ثم قال
تعالى والذين جاهدوا فإنا نبغى
الرسول صلى الله عليه وسلم
وأصحابه واتباعه الى يوم الدين
لنهديهم سبلنا أى لبصرهم سبلنا
أى طرقنا فى الدنيا والآخرة قال
ابن أبى حاتم حدثنا أى حدثنا أحمد
ابن أبى الخوارى أخبرنا عباس
الهمداني أبو أحمد من أهل عكا
فى قول الله تعالى والذين جاهدوا

دون حجاب لمن تحرم عليه فان مجانبه ذلك أحسن بحاله وأحسن لنفسه وأتم لعصمته (وما
كان) أى ما صح ولا استقام (لكم ان تؤذوا رسول الله) بشئ من الاشياء كما سما كان
ومن جله ذلك دخول بيوته بغير إذنه واللبث فيها على غير الوجه الذى يريد وتكليم
نساءه من دون حجاب (ولان تنكحوا أزواجه من بعد أبدأ) أى ولا كان لكم ذلك بعد
وفاته أو فراقه لانهن أمهات المؤمنين ولا يحل للاولاد نكاح الامهات قال ابن عباس
فى الآية نزات فى رجلهم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته
قال سفينان وذكر وأنها عائشة وعن السدى قال بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال أيجبنا
محمد عن بنات عمناء يتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لمتزوجن نساءه من بعده
فنزات هذه الآية وعن قتاده قال قال طلحة بن عبيد الله لوقبض النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لتزوجت عائشة فترت وعن أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم قال نزات فى طلحة لانه قال
اذ أتوتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوجت عائشة قال ابن عظمة وهذ عندى لا يصح
على طلحة قال القزطبي قال شيخنا الامام أبو العباس وقد حكى هذا القول عن بعض فضلاء
الحجابه وحاشاهم عن مثله وانما الكذب فى نقله وانما يلقى مثل هذا القول بالمتأففين
الجهال وعن ابن عباس قال قال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوقدمات
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوجت عائشة وأم سلمة فانزل الله وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله الآية وعنه أن رجلا أتى بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فكلها وهو ابن عمها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم من هذا المقام بعد
يومك هذا فقال يا رسول الله انها ابنة عمى والله ما قلت لها منكرا ولا قالت لى قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قد عرفت ذلك انه ليس أحد اغبر من الله وانى ليس أحد اغبر منى
فضى ثم قال يعنى من كلام ابنة عمى لاتزوجنها من بعده فانزل الله هذه الآية فاعتق
ذلك الرجل رقبة وحل على عشرة أبعرة فى سبيل الله ورجع ماشيا بآية من كتمه وعن أسماء
بنت عميس قالت خطبني على فبلغ ذلك فاطمة فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت
ان أسماء متزوجة عليك فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كانها ان تؤذى الله
ورسوله والذى جرى عليه الرمي فى شرح المتهاج ان من عقد عليها النبي صلى الله عليه
وآله وسلم محرم على غيره سواه دخل بها صلى الله عليه وآله وسلم أولا وأما حكم ما أتت من

فينا لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين قال الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون قال أحمد بن أبى الخوارى فخرت به
أبى سليمان يعنى الداراني فأجبه وقال ليس ينبغى لمن ألهم شيأ من الخير ان يعمل به حتى يسمعه فى الاثر فإذا سمعه فى الاثر عمل به
وجدا لله حتى وافق ما فى قلبه وقوله وإن الله لمع المحسنين قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حاتم عيسى بن جعفر قاضى الرى حدثنا أبى
جعفر الرازى عن المغيرة عن الشعبي قال قال عيسى بن مريم عليه السلام انما الاحسان ان تحسن الى من أساء اليك ليس
الاحسان ان تحسن الى من أحسن اليك والله أعلم آخر تفسير سورة العنكبوت والله الحمد والمنة

* (تفسير سورة الروم وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد
 عليهم سيعلمون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
 وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) نزلت هذه
 الآيات حين غلب نيسابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وآقاصى بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم
 حتى ألقاه الى القسطنطينية وحاصره فيها (٣٠٨) مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سياتى وقال الامام أحمد

حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض قال غلبت وغلبت قال كان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لانهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم أهل الكتاب فذكر ذلك لابي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انهم سيعلمون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجلا خمس سنين فلم يظهر وافذ كذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجعلها اراه قال نعم قال سعيد بن جبير البضع مادن العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيعلمون الى قوله وهو العزيز الرحيم هكذا رواه الترمذى والنسائى جميعا عن

دخل من امنهن حرمت على غيره والا فلا (ان ذلكم) أى نكاح أزواجه من بعده (كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما وخطباها لا شديدا وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم واجبات حرمة حيا وميتا وعلامة بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستقرغ شكره فان من الناس من تفرط غيره على حرمة حتى تنبى لها الموت قبله لثلاث تنكح بعده (ان تبدوا شيئا) أى تظهروه على ألسنتكم (أو تحقوه) فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليم) يعلم كل شئ من الاشياء ومن جملة ذلك ما تظهرونه فى شأن أزواج رسوله وما تنكبونه فى صدوركم وفى هذا وعد شديد لان احاطته بالمعلومات تستلزم المجازاة على خيرها وشرها قال أبو امامة بن سهل فى الآية ان تكلموا به فتقولون نتروج فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو تحقوا ذلك فى أنفسكم فلا تنطقوا به يعلمه الله ثم بين سبحانه من لا يلزم الحجاب منه فقال (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا بنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن) فهو لاء لا يجب على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا على غيرهن من النساء الاحتجاب منهم فى رؤية وكلام ولم يذ كرالم والحال لانهم ما يجريان مجرى الوالدين وقال الزجاج الم والحال ربى يصفان المرأة لولدها فان المرأة تحل لابن الم وابن الخال فكذا لهما الرؤية وهذا ضعيف جدا فان تجوز وصف المرأة لمن تحل له ممكن من غيرهما من يجوز له النظر اليها لاسيما أبناء الاخوة وأبناء الاخوات واللازم باطل فاللزوم مثله وهكذا يستلزم ان لا يجوز للنساء الاجنبيات ان ينظرن اليه الا انهن يصفنها واللازم باطل فاللزوم مثله وهكذا لا وجه لما قاله الشعبي وعكرمة من انه يكره للمرأة ان تضع خمارها عند عمها وأخالها الاولى ان يقال انه سبحانه اقتصر ههنا على بعض من ذكره من المحارم فى سورة النور اكتفا بما تقدم (ولا نساءهن) هذه الاضافة تقتضى ان يكون المراد بالنساء المؤمنات لان الكافرات غير مأمونات على العورات والنساء كلهن عورة فيجب على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاحتجاب عنهن كما يجب على سائر المسلمين أى ما عدا ما يبدو عند المهنة اما هو فلا يجب على المسلمين حجبهم واستر عن الكافرات ولهم ذاقيل هو خاص أى لا يجوز لكتابات الدحول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل عام فى المسلمين والكتابات (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء ان يروهن ويكلموهن من غير حجاب وقيل

الحسين بن حريث عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحق الفزاري عن سفيان بن سعيد الوري به وقال الاماء الترمذى حسن غريب انما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن اسحق الصغانى عن معاوية بن عمرو به ورواه ابن جرير حدثنا محمد بن المنثى حدثنا محمد بن سعيد وسعيد الثعالبي الذى يقال له أبو سعيد من أهل طرسوس حدثنا أبو اسحق الفزاري فذكره وعندهم قال سفيان فبلغنى انهم غلبوا بعد يوم بدر حديث آخر قال سليمان بن مهران الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله بن خمس قدمه من الدخان واللازم بالبطشة والقمر والروم أخرجه وقال ابن جرير حدثنا ابن

وكيع حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن عامر هو الشعبي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب وهم أقرب الي دينهم فلما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون في بضع سنين قالوا يا أبا بكر ان صاحبك يقول ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال صدق قالوا هل لك الي أن نقامر لك فبايعوه على أربع قلايص الي سبع سنين فضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك فشق على المسلمين فذكر ذلك (٣٠٩) للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بضع سنين

عندكم فالوادون العشر قال اذهب فزايدهم وازدد سنين في الاجل قال فما مضت الستين حتى جاءت الر بكان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأمر الله تعالى الم غلبت الروم الي قوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا مؤمل عن اسراييل عن أبي اسحق عن البراء قال لما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون قال المشركون لا ي بكر الأ ترى الي ما يقول صاحبك يزعم ان الروم تغلب فارس قال صدق صاحبي قالوا هل لك ان نخطرك فجعل بينه وبينهم أجلا في الاجل قبل ان يغلب الروم فارس فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وسأه ذلك وكرهه وقال لا ي بكر ما دعاك الي هذا قال تصديق الله ولرسوله قال تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجعله الي بضع سنين فأنهم أبو بكر فقال لهم هل لكم في العود فان العود أحمد قالوا نعم فلم تعض تلك

الاماء خاصة ومن لم يبلغ من العبيد والخلاف في ذلك معروف وقد تقدم في سورة النور ما فيه كفاية ثم أمر سبحانه بالتقوى التي هي ملاك الامر كله ونقل الكلام من الغيبة الي الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كانه قيل (واقفين الله) في كل الامور التي من جلتها ما هو مذكور ههنا من الاحتجاب أي ان يراكن أحد دغير هؤلاء قال ابن عباس في الآية أنزلت هذه في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة (ان الله كان على كل شيء) من أعمال العباد (شهيدا) لم يرغب عنه شيء من الاشياء كائنا ما كان فهو مجاز للمحسن باحسانه وللمسي باساءته والشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حر كات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبي) هذه الآية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وموته وأظهر بها منزلة عنده تعالى والضمير في يصلون راجع الي الله والى الملائكة وفيه تشريف للملائكة عظيم حيث جعل الضمير لهم والله سبحانه واحد افلا يرد الاعتراض بما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع الخطيب يقول من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصم ما فقد دغوى فقال بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله ووجه ذلك انه ليس لاحد أن يجمع ذكر الله سبحانه مع غيره في ضمير واحد وهذا الحديث ثابت في الصحيح وثبت أيضا في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر مناديا ينادى يوم خيبر ان الله ورسوله ينهياتكم عن لحوم الجرا الاهلية ولاهل العلم الجاث في الجمع بين الحديثين ليس ههنا موضع ذكرها والاية مؤيدة للجواز لجعل الضمير في الله والملائكة واحدا والتعليل بالتشريف للملائكة يقال مثله في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحمل الذم لذلك الخطيب الجامع بينهما على انه صلى الله عليه وآله وسلم فهم منه ارادة التسوية بين الله سبحانه وبين رسوله فيخص المنع بمثل ذلك وهذا أحسن ما قيل في الجمع وقالت طائفة في هذه الآية حذف والتقدير ان الله يصلي وملائكته يصلون وعلى هذا القول فلا تكون الآية مما جمع فيه بين ذكر الله وذكر غيره في ضمير واحد ولا يرد أيضا ما قيل ان الصلاة من الله الرحمة ومن ملائكته الدعاء فكيف يجمع بين هذين المعنيين المختلفين في لفظ يصلون ويقال على القول الاول انه أريد يصلون معنى مجازي يعم المعنيين وذلك بان يراد بقوله يصلون هم قوم باظهار شرفه أو يعظمون شأنه أو يعتمنون بأمره وحكي البخاري عن أبي العالية ان صلاة الله سبحانه شأنه عليه عند ملائكته

السنين حتى غلبت فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فجاءه أبو بكر الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ههنا التخبيب قال تصدق به حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبي أويس أخبرني بن أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن يار بن مكرم الأسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون في بضع سنين فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهر بن للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم اياهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قر يش تحب ظهور فارس لانهم اياهم

ليسوا اهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله هذه الآية خرج أبو بكر بصيحه في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد علمهم سيغلبون في بضع سنين فقال ناس من قريش لابي بكر فذالك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين أقلنا زعمناك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهم أبو بكر والمشركون وتوضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين؟ سم بيننا وبينك وسطا ينتهي اليه قال فسموا ايئتهم ست سنين قال فضت ست السنين قبل ان يظهر وفاقها المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت (٣١٠) السنة السابعة ظهرت الروم على فارس قال فعاب المسلمون على أبي

بكر تسميته ست سنين قال لان الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثيرهكذا ساقه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح لا يعرفه الامن حديث عبد الرحمن ابن أبي الزناد وقد روى نحوه هذا مر سلا عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزهري وغيرهم ومن أعرب هذه السقايات مارواه الامام سنيد ابن داود في تفسيره حيث قال حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن عكرمة قال كانت في فارس امرأة لا تلد الا الملوكة الا بطال فدعاها كسرى فقال اني أريد ان أبعث الى الروم جيشا وأستعمل عليه رجلا من بنيك فأشيري على أيهم أستعمل فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان وهو أفعد من سنان وهذا شهر براز وهو أحلم من كذا تعني أولادها الثلاثة فاستعمل أيهم شئت قال فاني استعملت الخليم فاستعمل شهر براز فسار الى الروم بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع

وصلاة الملائكة الدعاء وروى الترمذي في سننه عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم انهم قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار وقال عطاء بن أبي رباح صلواته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه أجبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملا الاعلى بانه ينهى عليه عن ملائكته وان الملائكة تصلي عليه وأمر عباده بان يقتدوا بذلك ويصلوا عليه وقد اختلف أهل العلم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هي واجبة أم مستحبة بعد اتفاقهم على ان الصلاة عليه فرض في العمر مرة وقد حكي هذا الاجماع القرطبي في تفسيره فقال قوم من أهل العلم انها واجبة عند ذكره وقال قوم تجب في كل مجلس مرة وقد وردت أحاديث مصرحة بنهم من يمعذ كر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يصل عليه واختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تشهد الصلاة المفروضة هل هي واجبة أم لا فذهب الجمهور الى انها فيها سنة مؤكدة غير واجبة قال ابن المنذر يستحب ان لا يصل أحد صلاة الاصلية فيها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان ترك ذلك تبارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جمهور أهل العلم قال وشذ الشافعي فأوجب على تاركها الاعادة مع تعمده تركها دون النسيان وهذا القول عن الشافعي لم يروه عنه الا حرمه بن يحيى ولا يوجد عن الشافعي الامن روايته قال الطحاوي لم يقل به أحد من أهل العلم غير الشافعي وقال الخطابي وهو من الشافعية انها ليست بواجبة في الصلاة قال وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا أعلم له في ذلك قدوة انتهت وقد قال بقول الشافعي جماعة من أهل العلم منهم الشعبي والباقر ومقاتل بن حيان واليه ذهب أحمد بن حنبل أخيرا كما حكاه أبو زرعة الدمشقي وبه قال ابن راهويه وابن المواز من المالكية وقد جمع الشوكاني رحمه الله في هذه المسئلة رسالة مستقلة ذكر فيها ما احتج به الموجبون لها وما أجاب به الجمهور وفي شرحه على المستقى ورسالتى هداية السائل الى أدلة المسائل ما يشفي ويكفي واشد ما يستدل به على الوجوب الحديث الثابت بلفظ ان الله أمرنا ان نصلى عليك فكيف نصلى عليك في صلاتنا قال قولوا الحديث فان هذا الامر يصلح للاستدلال به على الوجوب وأما على بطلان الصلاة بالترك ووجوب الاعادة لها فلان الواجبات لا يستلزم

زيتونهم قال أبو بكر بن عبد الله حدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال أما رأيت بلاد الشام عدوها قلت لا قال أما انك لورايتها الرايت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع فأنت الشام بعد ذلك فأنت قال عطاء الخراساني حدثني يحيى بن يعمران قيصر بعث رجلا فنظمه بجيش من الروم وبعث كسرى شهر براز فالتقيا بأذرعان وبصرى وهي أدنى الشام اليكم فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرحت بذلك كفارقريش وكرهه المسلمون قال عكرمة ولقي المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم

من أهل الكتاب وانكم ان قاتلتمونا لنظهن عنكم فانزل الله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض الى قوله ينصر من يشاء فخرج أبو بكر الصديق الى الكفار فقال أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهن الروم على فارس أخيرا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر أنت كذبت يا عدو الله فقال أنا حيك عشر قلائص منى وعشر قلائص منذ فان ظهوت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ما هكذا كرت (٣١١) انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزيده

في الخطر وماده في الاجل فخرج أبو بكر فلقى أبا فقال لعلك ندمت فقال لا تعال ازيدك في الخطر وأمدك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلهم المسلمون قال عكرمة لما ان ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب وهو أخو شهر براز فقال لا صحابه لقد رأيت كائى جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب كسرى الى شهر براز اذا أتاك كائى فابعث الى برأس فرخان فكتب اليه شهر براز بها الملك انك لن تجد مثل فرخان له نكايه وصوت في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا منه فيجعل الى برأسه فراجعوه فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس اني قد نزلت عنكم شهر براز واستعملت عليكم فرخان ثم رفع الى البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال اذا ولى فرخان الملك وانقاد له أخوه فاعطه هذه فلما قرأ شهر براز الكتاب قال سمعوا وطاعة ونزل عن سريره وجلس

عدمها العدم كما يستلزم ذلك الشروط والاركان واعلم انه قد ورد في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة لو جعت بجاءت في مصنف مستقل ولو لم يكن منها الا الاحاديث الثابتة في الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى على صلاة صلى الله عليه عشر ا فنهايك بهذه الفضيلة الجليلة والمكرمة النبيلة وأما صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقد وردت فيها صفات كثيرة باحاديث ثابتة في الصحيحين وغيرهما منها ما هو مقيد بصفة الصلاة عليه في الصلاة ومنها ما هو مطلق وهي معرفة في كتب الحديث فلان تظليل بذكرها والذي يحصل به الامتثال لمطلق الامر في هذه الآية هو ان يقول القائل اللهم صل وسلم على رسولك أو على محمد وعلى النبي أو اللهم صل على محمد وسلم ومن أراد ان يصلى ويسلم عليه بصفة من الصفات التي ورد التعليم بها والارشاد اليها فذلك أكمل وهي صفات كثيرة قد اشتملت عليها كتب السنة المطهرة وسيأتي بعضها وسيأتي الكلام في الصلاة على الآل وكان ظاهر هذا الامر بالصلاة والتسليم في الآية ان يقول القائل صليت عليه وسلت عليه او الصلاة عليه والسلام عليه أو عليه الصلاة والتسليم لان الله سبحانه أمرنا بايقاع الصلاة عليه والتسليم من افا الامتثال هو ان يكون ذلك على ما ذكرنا فكيف كان الامتثال لامر الله اننا بذلك ان نقول اللهم صل عليه وسلم بمقابلة أمر الله لنا بما مرنا به بان نصلى عليه ونسلم عليه وقد أجيب عن هذا بان هذه الصلاة والتسليم لما كانتا شعرا اعظيما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتشريفا كريما وكننا ذلك الى الله عز وجل وأرجعناه اليه وهذا الجواب ضعيف جدا وأحسن ما يجاب به ان يقال ان الصلاة والتسليم المأمور بهما في الآية هما ان نقول اللهم صل عليه وسلم أو نحو ذلك مما يؤدي معناه كما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقترض ذلك البيان في الاحاديث الكثيرة ان هذه هي الصلاة الشرعية واعلم ان هذه الصلاة من الله على رسوله وان كان معناها الرحمة فقد صارت شعارا له يختص به دون غيره فلا يجوز لنا ان نصلى على غيره من أمته كما يجوز لنا ان نقول اللهم ارحم فلانا أو رحم الله فلانا وبهذا قال الجمهور من العلماء مع اختلافهم هل هو محرم أو مكروه كراهة شديدة أو مكروه كراهة تنزيه على ثلاثة أقوال وقد قال ابن عباس كارهوا عنه ابن أبي شيبعة والبيهقي في الشعب لا تصلح الصلاة على احد الا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن يدعى للمسلمين

عليه فرخان ورفع اليه الصحيفة اللطيفة فقرأها قال اتوني بشهر براز وقد مضى عنقه فقال شهر براز لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بالسفط فاعطاه الصحيفة فقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت ان تقتلني بكتاب واحد فرد الملك الى أخيه شهر براز وكتب شهر براز الى قيسر ملك الروم ان اليك حاجة لا تحمليها البرد ولا تحمليها الحيف فالتفتي الا في خمسين روميا فاني لا ألقاك الا في خمسين فارسيا فاقبل قيسر في خمسمائة ألف روميا وجعل يضع العميون بين يديه في الطريق وخاف ان يكون قد مكر به حتى أتاه عميون به بانه ليس معه الا خمسين رجلا ثم بسط لهما ما التقيا في قبة ديباج ضربت لهم ماع كل واحد منهما ما

سكن فدمت ترجماناً بينهما فقال شهر برزان الذين خر بوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجعنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل
 أخي فأبى ثم أمر أخي أن يقتلني فقد حلقنا جميعاً فخن نقاتنا معك قال قد أصبت ما ثم أشارا أحدهما إلى صاحبه ان السرىين اثنين
 فاذا جاؤا اثنين فشا قال أجل فقتلا الترجان جميعاً بسكينتهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
 الحديبية ففرح والمسلمون معه فهذا اسباق غريب وبناء عجيب ولتسكلم على كلمات هذه الآيات الكريمة فقوله تعالى لم غلبت
 الزوم قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة (٣١٢) في أوائل السور في أول سورة البقرة وأما الروم فهم من سلالة

العيص بن اسحق بن ابراهيم وهم
 أبناء عم بنى اسرائيل ويقال لهم
 بنو الاصفر وكانوا على دين
 اليونان واليونان من سلالة يافث بن
 نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون
 النكواكب السيارة السبعة ويقال
 لهم المتحيرة ويصلون إلى القطب
 الشمالى وهم الذين أسسوا دمشق
 وبنوا معبدها وفيه محاريب إلى
 جهة الشمال فكان الروم على
 دينهم إلى بعد مبعث المسيح بخوم
 ثلاثمائة سنة وكان من ملك منهم الشام
 مع الجزيرة يقال له قيصر فكان أول
 من دخل في دين النصارى من ملوك
 الروم قسطنطين بن قسطنطين وأمه
 مريم الهيلانية الغنداقية من
 أرض حران كانت قد تنصرت قبله
 فدعتسه إلى دينها وكان قبل ذلك
 فيلسوفاً فتابعها يقال تقيية
 واجتمعت به النصارى وتناظروا في
 زمانه مع عبد الله بن أدبوس
 واختلفوا اختلافاً كثيراً منسراً
 متشتتاً لا ينضبط إلا أنه اتفق من
 جماعتهم ثلاثمائة وعشائة عشر اسقفاً
 فوضعوا القسطنطين العقيدة وهي
 التي يسمونها الامانة الكبيرة وانما

والمسلمات بالاستغفار وقال في المواجب لم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان
 يصلوا على انبيائهم انتهى وقال في الاغوذج ومن خواصه صلى الله عليه وآله وسلم
 انه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله تعالى على غيره صلى الله عليه وآله وسلم فهي
 خصيصة اختصه الله بهادون سائر الانبياء انتهى وقال قوم ان ذلك جائز لقوله تعالى وصل
 عليهم ان صلاتك سكن لهم واقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة لقوله هو الذي
 يصلى عليكم وملائكته وحديث عبد الله بن أبي أوفى الثابت في الصحيحين وغيرهما قال
 كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه أبي
 بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى ويجاب عن هذا بان هذا الشعار الثابت لرسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم له ان يخص به من شاء وليس لنا ان نطلبه على غيره واما قوله
 تعالى هو الذي يصلى الخ وقوله أولئك عليهم صلوات فهذا ليس فيه الا ان الله سبحانه يصلى
 على طوائف من عباده كما يصلى على من صلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مرة واحدة
 عشر صلوات وليس في ذلك أمر لنا ولا شرعه الله في حقنا بل لم يشرع لنا الا الصلاة
 والتسليم على رسوله وكان لفظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعاره
 فكذلك لفظ السلام عليه وقد جرت عادة جهور هذه الامم والسواد الاعظم من سلفها
 وخلفها على الترضى عن الصحابة والترحم على من بعدهم والدعاء لهم بمغفرة الله وعفوه كما
 أرشدنا إلى ذلك بقوله سبحانه والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
 الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم عن ابن
 عباس ان بنى اسرائيل قالوا لموسى هل يصلى ربك فناده ربه يا موسى سأولك هل يصلى ربك
 فقال نعم أنا أصلى وملائكتي على أنبيائي ورسلي فآثر الله على نبيه ان الله وملائكته
 يصلون على النبي الآية أى يبركون وعنه ان صلاة الله على النبي هي المغفرة ان الله
 لا يصلى ولكن يغفر واما صلاة الناس على النبي فهي الاستغفار له (يا أيها الذين آمنوا
 صلوا عليه) أى ادعوا له بالرحمة وقولوا اللهم صل على محمد وأصلى الله على محمد فانكم أولى
 بذلك وعن ابن عباس انه قرأ صلوا عليه كما صلى الله عليه (وسلموا تسليماً) أى حيوه بجملة
 السلام وقولوا اللهم سلم على محمد وانقادوا الأمره انقيادا والاول أولى ثم هى واجبة مرة
 عند الطعاوى وكما ذكر اسمه عند الكرخى وهو الاحتياط وعليه الجهور قال

هى الخيانة الحقة ووضعه القوانين يعنون كتب الاحكام من تحريم وتحليل وغير ذلك مما
 يحتاجون اليه وغير وادين المسيح عليه السلام وزادوا فيه ونقصوا منه فصالوا إلى المشرق واعتاضوا عن السبت بالاحد وعبدوا
 الصليب وأحلوا الخنزير واتخذوا أعياداً حدثوها كعيد الصليب والقداس والغطاس وغير ذلك من البواعث والشعابين
 وجعلوا الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ثم المطارنة ثم الاساقفة والساقسة ثم الشماسة وابتدعوا الرهبانية وبني لهم الملك
 الكنائس والمعابد وأسس المدينة المنسوبة اليه وهى القسطنطينية يقال انه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة وبني بيت لحم بثلاث

أبو السعود وهذه الآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقاً أي من غير تعرض لوجوب التكرار وقال القسطلاني قيل هي مستحبة وقيل واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة وعليه الشافعي وهو رواية عن أحمد وقيل تجب في الصلاة من غير تعيين لمحل منها وقيل تجب في خارج الصلاة وقيل كلما ذكر وقيل في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره فيه وقيل تجب في العمر مرة واحدة وقيل تجب في الجملة من غير حصر وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد وتسليماً مصدر مؤكداً قال الامام ولم تؤكداً الصلاة لانها مؤكدة بقوله ان الله وملائكته الخ وقيل انه من الاحتمال فحذف عليه من أحدهما والمصدر من الآخر وقال بعض الفضلاء انه سئل في منامه لم خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة ولم يذكر له جواباً قلت وقد لاح لي فيه نكتة سرية أي شريفة وهي ان السلام تسليمة عما يؤذيه فلما جاءت هذه الآية عقيب ذكر ما يؤذى النبي والاذية انما هي من البشر فناسب التخصيص بهم والتأكيد واليه الاشارة بما ذكره بعده قاله الشهاب وأقول هذه الآية من باب الاكتفاء على حد قوله سراويل تقيكم الحر والمعنى ان الله وملائكته يصلون على النبي ويسلمون وقد ثبت بالدلالة الصحيحة القرآنية وغيره ان تسليم الله تعالى على غيره صلى الله عليه وآله وسلم من الانبياء والصلحاء والنسكة التي ذكرها الشهاب لا تخلو عن تكلف وبعد تأمل وعن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديثه بلفظ قال رجل يا رسول الله اما السلام عليك فقد علمناه فكيف الصلاة عليك قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك جيد مجيد وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأحمد والنسائي من حديث طلحة بن عبيد الله قال قلت يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وفي الاحاديث اختلاف في بعضها على ابراهيم فقط وفي بعضها على آل ابراهيم فقط وفي بعضها بالجمع بينهم ما كحديث طلحة هذا وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي حمزة الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك جيد مجيد والاحاديث في هذا الباب كثيرة جداً وفي بعضها التقييد بالصلاة كما في حديث ابن مسعود عند ابن خزيمة والحاكم وصححه والبيهقي في سننه ان رجلاً قال يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا

مخاريب و بنت أمه القمامة وهو لاء هم الملكية يعنون الذين هم على دين الملك ثم حدثت بعدهم اليه عقوبة اتباع يعقوب الاسكافي ثم النسطورية أصحاب نسطور وهم فرق وطوائف كثيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم افرقوا على ثنتين وسبعين فرقة والغرض انهم استمروا على النصرانية كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل وكان من عقلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأدهاهم وأبعدهم غوراً وأقصاهم رأياً فملك عليهم في رياسة عظيمة وابهة كثيرة فناواه كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالعراق وخراسان والري وجميع بلاد العجم وهو ساور ذوالا كاف وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر وله رياسة العجم وحاكمة الفرس وكانوا مجوساً يعبدون النار فقدم عن عكرمة انه قال بعث اليه نوابه وجيشه فقاتلوه والمشهور ان كسرى بنفسه غزاه في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصرها مدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصراني تعظمه تعظيماً زائداً ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك

عليك في صلاتنا الحديث وأخرج الشافعي في مسنده من حديث أبي هريرة مثله وجميع
 التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة عليه مشتتة على الصلاة على آله
 معه إلا النادر اليسير من الأحاديث فينبغي للمصلي عليه أن يضم آله إليه في صلاته عليه
 وقد قال بذلك جماعة ونقله امام الحرمين والغزالي قولاً عن الشافعي كما رواه عنهما ابن كثير
 في تفسيره ولا حاجة إلى التمسك بقول قائل في مثل هذا مع تصريح الأحاديث الصحيحة به
 ولا وجه لقول من قال إن هذه التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في صفة
 الصلاة عليه مقيدة بالصلاة في الصلاة جملة المطلق الأحاديث على المقيد منها بذلك القيد
 لما في حديث كعب بن عجرة وغيره إن ذلك السؤال لسؤال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 كان عند نزول الآية وأخرج عبد الرزاق وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة
 أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني
 ثم لما ذكر سبحانه ما يجب لرسوله من التعظيم ذكره الوعيد الشديد للذين يؤذونه فقال
 (إن الذين يؤذون الله ورسوله) قيل المراد بالأذى هنا هو فعل ما يكرهه الله من المعاصي ليعم
 هذا القدر الأبداء الحقيقي في حق الرسول والمجازي في حقه تعالى لاستحالة حقيقة
 التأذي عليه سبحانه قال الواحدى قال المفسرون هم المشركون واليهود والنصارى
 وصفوا الله بالولد فقالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وكذبوا
 رسول الله وشجبوا وجهه وكسروا باعته وقالوا يجنون شاعر كذاب ساحر وبه قال ابن
 عباس قال القرطبي وبهذا قال جمهور العلماء وقال عكرمة الأذية لله سبحانه بالتصوير
 والتعرض لفعل ما يفعله إلا الله بنحت الصور وغيرها وقال جماعة إن الآية على حذف
 مضاف والتقدير إن الذين يؤذون أولياء الله وقيل معنى الأذية الإلحاد في أسمائه وصفاته
 وأما أذية رسوله فهي كل ما يؤذيه من الأقوال والأفعال ومنها ترك الاتباع وفعل التقليد
 لآراء الرجال وإيثاره عليه (لعنهم الله) معنى اللعنة الطرد والابعاد من رحمته وجعل ذلك
 (في الدنيا والآخرة) لتسليمهم اللعنة فيهما بحيث لا يبقى وقت من أوقات محياهم ومماتهم
 إلا واللعنة واقعة عليهم مصاحبة لهم (وأعد لهم) مع ذلك اللعن (عذاباً مهيناً) يصيرون
 به في الأهانة في الدار الآخرة لما يفيد معنى الأعداء من كونه في الدار الآخرة عن ابن
 عباس في الآية قال نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين اتخذ
 صفية بنت حبي وروى عنه أنها نزلت في الذين قد فوجأ عشة ثم لما فرغ من الذم لمن آذى
 الله ورسوله ذكر الأذية لصالحى عباده فقال (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) بوجه
 من وجوه الأذى من قول أو فعل ومعنى قوله (بغير ما كتبوا) أنه لم يكن ذلك بسبب
 فعله يوجب عليهم الأذية ويستحقونها به وقيل يقعون فيهم ويردونهم بغير جرم فأما الأذية
 للمؤمن والمؤمنة بما كسبه مما يوجب عليه حداً وتعزيراً أو نحوهما فذلك حتى أثبتته
 الشرع وأمر أمر الله به ونهى بآله وهكذا إذا وقع من المؤمنين والمؤمنات الإبتداء
 بشتم لمؤمن أو مؤمنة أو ضرب فإن القصاص من الفاعل ليس من الأذية المحرمة على أى
 وجه كان ما لم يجاوز ما شرعه الله ثم أخبر عما هو لاء الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

لخصاتها لأن نصفها من ناحية البر
 ونصفها الآخر من ناحية البحر
 فكانت تأتيهم الميرة والمسدد من
 هنالك فلما طال الأمر درب قيصر
 مكيدة ورأى في نفسه خديعة
 فطلب من كسرى أن يقلع من
 بلاده على مال يصلحه عليه ويشترط
 عليه ما شاء فأجابته إلى ذلك وطاب
 منه أموال الأعظمية لا يقدر عليها أحد
 من ملوك الدنيا من ذهب وخواهر
 وأقشة وجوار وخدام وأصناف
 كثيرة فطاوعه قيصر وأوهمه أن
 عنده جميع ما طلب واستقل عقله
 لما طلب منه ما طلب ولو اجتمع هو
 وآياه للعجزت قدرتهم ما عن جمع عشره
 وسأل من كسرى أن يمنه من
 الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم
 مملكته ليسعى في تحصيل ذلك من
 ذخائره وحواصلها ودفاسته فاطلق
 سراجه فلما عزم قيصر على الخروج
 من مدينة قسطنطينية جمع أهل
 ملته وقال إنى خارج في أمر قد
 أبرمته في جند قد عينته من جيشي
 فإن رجعت اليكم قبل الحول فأنا
 ملككم وإن لم أرجع اليكم قبلها
 فأنتم بالخيار إن شئتم استمررت على
 بيعتي وإن شئتم وليتم عليكم غيبي
 فأجابوه بأنك ملكنا مادمت حياً ولو
 نجت عشرة أعوام فلما خرج من

ما اكتسبوا فقال (فقد احتملوا بهما نانا واما مينا) أي ظاهر او اوضح الاشك في كونه من
 البهتان والاثم وقد تقدم بيان حقيقة البهتان وحقيقة الاثم قيل انها نزلت في علي بن أبي
 طالب كانوا يؤذونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة كانوا يمشون في طرق
 المدينة يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضل لا يحل لك ان تؤذي كلباً أو خنزيراً غير
 حق فكيف ايداء المؤمنين والمؤمنات ولما فرغ سبحانه من الزجر لمن يؤذي رسوله
 والمؤمنين والمؤمنات من عباده أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يأمر بعض
 من ناله الاذى ببعض ما يدفع ما يقع عليه منه فقال (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك
 ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار وهو
 الملاية التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار قال الجوهرى الجلباب المخففة وقال
 الشهاب ازار واسع يلتحف به وقيل القناع وقيل هو كل ثوب يستتر به جميع بدن المرأة من
 كساء وغيره كما ثبت في الصحيح من حديث أم عطية انها قالت يا رسول الله أحدانا لا يكون
 لها جلباب فقال لتلبسها أختها من جلبابها قال الواحدى قال المفسرون يغطين
 وجوههن ورؤسهن الا عينا واحدة فيعلم انهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى وبه قال ابن
 عباس وقال الحسن تغطي نصف وجهها وقال قتادة تلو به فوق الجبين وتشده ثم تعطفه
 على الانف وان ظهرت عنها الكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وقال المبرد رخينها عليهن
 ويغطين بها وجوههن وأعطافهن ومن التبعية أى ترخي بعض جلبابها وفضله على
 وجهها تنفع حتى تتميز عن الأمة (ذلك) أى اذناء الجلابيب وهو مبتدأ وخبره (أدنى)
 أقرب (ان يعرفن) فيتميزن عن الاماء ويظهر للناس انهن حرائر (فلا يؤذين) من جهة
 أهل الريسة بالتعرض لهن مراقبة لهن ولا لهن وليس المراد بقوله ذلك الخ ان تعرف
 الواحدة منهن من هي بل المراد ان يعرفن انهن حرائر الاماء لانهن قد لبسن لبسة تختص
 بالحرارى قال السبكي في الطبقات الكبرى ان من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى شارح
 التنبية استنبط من هذه الآية ان ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الكلام
 والعمامة ولبس الطيلسان حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييز لهم وبذلك يعرفون
 فلبتفت اليقتاواهم وأقوالهم انتهى ومنه يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة أمر مشروع
 أيضا انتهى أقول ما أبرده هذا الاستنباط وما أقل نفعه لاسيما بعد ما ورد في السنة المطهرة
 من النهي عن الاشراف في اللباس وطالته وقد منع عن ذلك سلف الامة وأئمتها فأين هذا
 من ذلك وانما هو بدعة أحدثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ولذا قال علي القارى في
 معرض الدم لهم عمائم كالابراج وكأتم كالخراج وأنكر عليهم ذلك أشد الانكار وما ذكره
 من ان زى العلماء والاشراف سنة رده ابن الحاج في المدخل بانه مخالف لزيمهم في زى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وزمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خير القرون فان قيل انهم
 به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزى الاول عرفوا به أيضا لخالفته لما عليه غيرهم الآن
 وأطال في انكار ما قالوه وقد بسطنا القول على ذلك في حجاج الكرامة بالفارسية أيضا
 فراجعوه (وكان الله غفورا) لما سلف من ترك اذناء الجلابيب (رحيما) بهن او غفورا

القسطنطينية خرج جريدة في
 جيش متوسط هذا وكسرى مخيم
 على القسطنطينية ينتظره ليرجع
 فركب قيصر من فوره وسار مسرعا
 حتى انتهى الى بلاد فارس فعاث في
 بلادهم قسلا لرجالها ومن بها من
 القتالة أو لا فأولا ولم يزل يفتل
 حتى انتهى الى المدائن وهي كرتي
 مملكة كسرى فقتل من بها وأخذ
 جميع حواصله وأمواله وأسرى نساءه
 وحريره وحلق رأس ولده وركبه
 على حمار وبعث معه من الاساورة
 من قومه في غاية الهوان والذلة
 وكتب الى كسرى يقول هذا
 ما طلبت نخذه فلما بلغ ذلك كسرى
 أخذ من الغم ما لا يحصى الا الله
 تعالى واشتد خنقه على البلد فخذ
 في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على
 ذلك فلما عجز ركب ليأخذ عدله
 الطريق من مخاضة جيحون التي
 لا سبيل لقيصر الى القسطنطينية
 الا منها فلما علم قيصر بذلك احتال
 بحيلة عظيمة لم يسبق اليها وهو انه
 أرضد جنده وحواسله التي معه
 عند قدم الخاضة وركب في بعض
 الجيش وأمر باجمال من التبين
 والبعر والرون فخلت معه وسار
 الى قريب من يوم في الماء مصعبا
 ثم أمر بالقاء تلك الاجمال في النهر

لذئوب المذنبين رحيم بهم فيدخلن في ذلك خولا أو ليا وقد أخرج البخاري ومسلم
 وغيرهما عن عائشة قالت خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسمية
 لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر فقال يا سودة اما والله ما تخفين علينا فانظري كيف
 تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي وانه ليعتشى
 وفي يده عرق فسدخت وقالت يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا
 وكذا فأوحى اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال انه قد أذن لكن ان تخرجن
 لحاجتكن وعن أبي مالك قال كان نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرجن لحاجتهن
 بالليل وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذنين فقبيل ذلك للمنافقين فقالوا انما
 نفعله بالاماء فنزات هذه الآية يا أيها النبي قل لازواجك الآية وعن محمد بن كعب القرظي
 قال كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذيهن فاذا قيل له قال كنت أحسبها
 أمة فأمرهن الله ان يخالفن زى الاماء ويدين عليهن من جلايبهن تحمر وجهها الا
 احدى عينها ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذنين يقول ذلك أخرى ان يعرفن وعن ابن عباس
 في هذه الآية قال أمر الله نساء المؤمنات اذا خرجن من بيوتهن في حاجة ان يغطين
 وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويبيدين عينا واحدة وعن أم سلمة قالت لما نزلت
 هذه الآية يدين عليهن من جلايبهن خرج نساء الانصار كأن علي رؤسهن الغربان من
 السكينة وعليهن أكسية سود يلبسها هكذا في الرواية بلفظ من السكينة وليس لها معنى
 فان المراد تشبيهه الاكسية السود بالغربان لأن المراد وصفهن بالسكينة كما يقال كأن علي
 رؤسهم الطير وعن عائشة قالت رحم الله نساء الانصار لما نزلت يا أيها النبي قل لازواجك
 الآية شققن مروطن فاعتجبن بها فصدلين خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن
 علي رؤسهن الغربان وعن ابن عباس في الآية قال كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر
 الله نساء المؤمنات ان يدين عليهن من جلايبهن وادناء الجلباب أن تقنع وتشده علي
 جبينها قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متعقبة فعلاها بالدرة وقال بالكاع
 تشبهين بالحرائر التي القناع قلت ولكاع كلمة تقال لمن يستحق به مثل العبد والأمة
 والحامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس وذلك ان النساء في أول الاسلام علي
 هيجراهن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة وكان
 الفتيان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في الخيل والغيطان للاماء وربما
 تعرضوا للحره لحسبان الأمة فأمرن ان يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الملاحف
 وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع ثم توعد سبحانه أهل النفاق والارجاف فقال
 (لئن لم ينته المنافقون) عما هم عليه من النفاق (والذين في قلوبهم مرض) أى شك وريبة
 عما هم عليه من الاضطراب (والمرجعون في المدينة) عما يصدر منهم من الارجاف بذكر
 الاخبار الكاذبة المتضمنة لتوهين جانب المسلمين وظهور المشركين عليهم قال القرطبي
 أهل التفسير علي ان الاوصاف الثلاثة لشيء واحد والمعنى ان المنافقين قد جمعوا بين
 النفاق ومرض القلوب والارجاف علي المسلمين فهو علي هذا من باب قوله

فلما هرت بكسرى وجنده ظن انهم
 قد خاضوا من هنالك فركبوا في
 طلبهم فعرفت المخاضة عن الفرس
 وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض
 والنهوض فخاضوا وأسر عو السير
 فقاتوا كسرى وجنوده ودخلوا
 القسطنطينية فكان ذلك يوما
 مشهورا عند النصارى وبقى كسرى
 وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا
 يصنعون لم يحصوا اوبلاذ قيصر
 وبلادهم قد خربتها الروم وأخذوا
 حواصلهم وسبوا ذرارهم ونساءهم
 فكان هذا من غلب الروم لفارس
 وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب
 فارس للروم وكانت الواقعة الكائنة
 بين فارس والروم حين غلبت الروم
 بين أذربعات وبصرى علي ما ذكره
 ابن عباس وعكرمة وغيرهما وهي
 طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز
 وقال مجاهد كان ذلك في الجزيرة
 وهي أقرب بلاد الروم من فارس
 فالله أعلم ثم كان غلب الروم لفارس
 بعد بضع سنين وهي تسع فان البضع
 في كلام العرب ما بين الثلاث الي
 التسع وكذلك جاء في الحديث الذي
 رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما
 من حديث عبد الله بن عبد الرحمن
 الجمعي عن الزهري عن عبيد الله بن

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

والواو مقعمة وقيل الموصوف متغاير ومتعدد فكان من المنافقين قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبة وقال عكرمة وشهر بن حوشب الذين في قلوبهم مرض هم الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرض هو الزنا والارجاف في اللغة اشاعة الكذب والباطل يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقته لكونه خيرا متزلزا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة يقال رجفت الارض أي تحركت وتزلزلت ترجف رجفنا والرجفان الاضطراب الشديد وسمى الجرجافا لاضطرابه والارجاف واحد الاراجيف وأرجفوا في الشيء خاصوا فيه وذلك بان هؤلاء المرجفين كانوا يخبرون عن سرايا المسلمين بانهم هزموا ونارة بانهم قتلوا ونارة بانهم غلبوا ونحو ذلك مما تنكسر له قلوب المسلمين من الاخبار فتوعدهم الله سبحانه بقوله (لتغيرنك فيهم) أي انخرشنتك ولتسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل والتشريد بأمر نالك بذلك قال المبرد قد أغراه الله بهم في قوله الآتي ملعونين أي ينافقوا الخ فهذا فيه معنى الامر بقتلهم وأخذهم أي هذا حكمهم اذا كانوا مقامين على النفاق والارجاف قال النحاس وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأقول ليس هذا بحسن ولا أحسن فان قوله ملعونين الخ انما هو ليجرد الدعاء عليهم لانه أمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتالهم ولا تسلط له عليهم وقد قيل انهم انتهوا بعد نزول هذه الآية عن الارجاف فلم يغيره الله بهم وجملة لتغيرنك فيهم جواب القسم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) وانما عطف بهم لان الجلاء عن الاوطان كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا به فترأخت حاله عن حال المعطوف عليه يعني انها للتفاوت الرتبة وللدلالة على ان ما بعدها أبعد مما قبلها وأعظم وأشد عندهم والمعنى لا يسا كنونك في المدينة الاجوار قليلا حتى ينجروا أو يهلكوا (ملعونين أي ينافقوا) أي مطرودين أي ما وجدوا وأدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) دعاء عليهم بأن يؤخذوا وقتلوا والتشديد يدل على التكثير وقيل ان هذا هو الحكم فيهم وليس بدعاء عليهم والاول أولى وقيل معنى الآية انهم ان أصروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينة الا وهم مطرودون وملعونون وقد فعل بهم صلى الله عليه وآله وسلم هذا فانه لما نزلت سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين ويؤلو اخراجهم من المسجد (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو لعن المنافقين وأخذهم وقتيلهم وكذا حكم المرجفين وهو منسب على المصدر قال الزجاج سن الله في الذين ينافقون الانبياء ويرجعون بهم ان يقتلوا حيثما تقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي تحو ولا وتغير ابل هي ثابتة دائمة في أمثال هؤلاء في الخلف والسلف يجريها الله مجرى واحد في الامم لاثباتها على أساس الحكمة التي عليها يدور فلما التشرية وقال الخطيب أي ليدت هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فان النسخ يكون في الاقوال أما الافعال اذا وقعت والاخبار فلا تنسخ (يسألن الناس عن الساعة) أي عن وقت حصولها وجودها وقيامها قيسل السائلون عنها هم

عبد الله عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبي بكر في مناجبة الم غلبت الروم الآية الاحتطت يا أبا بكر فان البضع ما بين ثلاث الى تسع ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو انه قال ذلك والله أعلم وقوله تعالى الله الامر من قبل ومن بعد أي من قبل ذلك ومن بعده فبني على الضم لما قطع المضاف وهو قوله قبل عن الاضافة ونويت ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله أي للروم اصحاب قيصر ملك الشام على فارس اصحاب كسرى وهم الجوس وكانت نصرة الروم على فارس يوم وقعت بدر في قول طائفة كثير من العلماء كابن عباس والنوري والسدي وغيرهم وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبخاري حديث الاعمش عن عطية عن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاجب ذلك المؤمنون ففرحوا به وأنزل الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وقال آخرون بل كان نصر الروم على فارس عام المدينة

أولئك المنافقون والمرحفون والمشركون واليهود لما وعدوا بالعذاب سألوا عن الساعة
استبعادا وتكذيبا أو امتحانا لأن الله تعالى عصى وقتها في التوراة وسائر الكتب (قل إنما
علمها عند الله) يعني أنه سبحانه قد استأثر به ولم يطلع عليه نيا مرسلا ولا ملكا مقربا
(وما يدريك) أي ما يعلمك ويخبرك يا محمد (لعل الساعة تكون قريبا) أي في زمان
قريب وانتصاب قريبا على الظرفية والتذكير لكون الساعة في معنى اليوم أو الوقت
مع كون التأنيت ليس بحقيق وان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيان أنها
إذا كانت محجوبة عنه لا يعلم وقتها وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بغيره
من الناس وفي هذا تهديد عظيم للمستعجلين واسكات للممتحنين والمشركين ولمن يشت
علم المغيبات للأنبياء والصالحين وغيرهم من الخلق (ان الله لعن الكافرين) أي طردهم
وأبعدهم من رحمة (وأعد لهم) في الآخرة مع ذلك اللعن منه لهم في الدنيا (سعيرا) أي
نارا شديدة التسعير (خالدين فيها) أي في السعير لأنهم مؤمنون وألانه في معنى جهنم (أبدا)
بلا انقطاع وهذا نكيد لما استفيد من خالدين (لا يجحدون ولما) يوالهم ويحفظهم
من عذابها (ولانصبرا) ينصرهم ويخلصهم منها (يوم تقلب وجوههم في النار) أي
اذ كقرئ تقلب بضم التاء وفتح اللام على البناء للمفعول وقرئ بالنون وكسر اللام على
البناء للفاعل وهو الله سبحانه وضم التاء وكسر اللام على معنى تقلب السعير وجوههم
وقرئ بفتح التاء واللام على معنى تتقلب ومعنى هذا التقلب المذكور في الآية هو تقلبها
تارة على جهة منها وتارة على جهة أخرى ظهر البطن أو تغير ألوانهم بفتح النون فتارة
وتحضر أخرى أو تبدل جلودهم بجلود أخرى وخصت الوجوه لأن الوجه أكرم موضع
على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة فحينئذ (يقولون يا ليتنا أطعنا
الله وأطعنا الرسولا) الجملة مستأنفة كأنه قيل فما حالهم فقيل يقولون متحسرين على
ما فاتهم أو حال من ضمير وجوههم أو من نفس الوجوه تمنوا أنهم أطاعوا الله والرسول
وآمنوا بما جاء به لينجوا عما هم فيه من العذاب كما نجي المؤمنون وهذه الالف في الرسول التي
تأتي في السبيل هي الالف التي تقع في الفواصل وتسميها النخاة الف الاطلاق لاطلاق
الصوت كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده
مستأنف وقد سبق بيان هذا في أول هذه السورة (وقالوا ربنا انما أطعنا سادتنا وكبراءنا)
وقرئ ساداتنا بكسر التاء جمع سادة فهو جمع الجمع وسادة جمع على غير قياس سواء جعل
جعل السادة أو ساندوا الجملة معطوفة على الجملة الأولى والعدول الى الماضي للاشارة بان
قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشفي
بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة
الذين كانوا يمتثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم وقال مقاتل هم المطعمون في غزوة
بدر والاولى أولى ولاوجه للتخصيص بطائفة معينة والتعبير عنهم بعنوان السادة والكبر
لتقوية الاعتذار والافهم في مقام التحقير والاهانة وفي هذا جرح عن التقليد شديد وك
في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا والتحذير منه والتنفير عنه ولكن لمن يفهم معنى

قاله عكرمة والزهرى وقتادة وغير
واحد ووجه بعضهم هذا القول بان
قيصر كان قد نذر لآتي أظفره الله
بكسرى ليمشين من حصص الى ايليا
وهو بيت المقدس شكر الله تعالى
ففعل فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج
منه حتى وافاه كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي بعثه مع دحية
ابن خليفة فأعطاه دحية عظيم
بصرى فدفعه عظيم بصرى الى
قيصر فلما وصل اليه سأل من بالشام
من عرب الحجاز فأخبره أبو سفيان
صخر بن حرب الاموي في جماعة
من كبار قريش بغزة فحج بهم اليه
فجلسوا بين يديه فقال أيكم أقرب
نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي
فقال أبو سفيان أنا فقال لاصحابه
وأجلسهم خلفه اتي سائل هذا عن
هذا الرجل فان كذب فكذبوه
فقال أبو سفيان فوالله لولان
يأزروا على الكذب لكذبت فسأله
هرقل عن نسبه وصفته فكان فيما
سأله ان قال فهل يغدر قال قلت لا
ونحن منه في مدة لا ندري ما هو
صانع فيها يعني بذلك الهدنة التي
كانت قد وقعت بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكفار قريش عام
الحديبية على وضع الحرب بينهم
عشر سنين فاستدلوا بهذا على ان
نصر الروم على فارس كان عام

كلام الله ويقتدى به ويصنف من نفسه لالمن هو من جنس الانعام في سوء الفهم ومزيد
 البلادة وشدة التعصب (فأضلونا السبيلا) أي عن السبيل بما زينا والتأمن الكفر بالله
 وبرسوله والسبيل هو التوحيد ثم دعوا عليهم في ذلك الموقف فقالوا (ربنا آتتهم ضعفين
 من العذاب) أي مثل عذابنا مرتين للضلال والاضلال وقال قتادة عذاب الدنيا
 والآخرة وقيل عذاب الكفر وعذاب الاضلال (والعنه لعنا كبيرا) أي كبيراً في
 نفسه شديد اعلمهم وقرئ بالثلثة أي كثيراً العدد عظيم القدر شديد الموقع (يأأيها الذين
 آمنوا لا تكفوا كما الذين آذوا موسى) بقوله هم ان به أدرة أو برصاً وعبياً وسيأتي بيان
 ذلك وفيه تأديب للمؤمنين وزجر لهم من أن يدخلوا في شيء من الامور التي تؤذي رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مقاتل وعظ الله المؤمنين أن لا يؤذوا محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم كما آذى بنو اسرائيل موسى وقد وقع الخلاف فيما آذى به بنينا صلى الله عليه
 وآله وسلم حتى نزلت هذه الآية فحكى النقاش ان آذيتهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 قولهم زيد بن محمد وقال أبو وائل انه صلى الله عليه وآله وسلم قسم قسماً فقال رجل من
 الانصار ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وعن ابن مسعود مثله فذكر ذلك للنبي صلى
 الله عليه وآله وسلم فاجرو وجهه ثم قال رحم الله موسى فقد آذى بأكثر من هذا
 فصبر أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقيل نزلت في زيد بن ثابت وزينب بنت جحش
 وما مع فيها من قالة الناس (فبرأه) أي طهره (الله مما قالوا) وأظهر براءته لهم
 وما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الامر
 المعبى وأذى موسى هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقد أخرج
 البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
 موسى كان رجلاً حياً ستر الا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني
 اسرائيل فقالوا ما يمت هذا الستر الا من عيب بجلده ما برص واما أدرة واما آفة وان الله
 عز وجل اراد ان يبرئ موسى مما قالوا فخلع ثيابه على الحجر ثم اغتسل
 فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدى ثوبه فاخذ موسى عصاه فطلب الحجر
 فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فرأوه عرياناً أحسن
 ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً فو الله ان بالحجر
 لندباً من ضربته ثلاثاً وأربعاً وخمسة وأخرج نحوه البرار وابن الانباري وابن مردويه من
 حديث أنس وقال ابن عباس قال له قومه انه آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على
 حجر فخرجت الصخرة تشتم بئساً فخرج موسى يتبعها عرياناً حتى انتهت به الى مجالس بني
 اسرائيل فرأوه وليس بأدر فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا الآية واخرج الحاكم وصححه عن
 ابن مسعود وناس من الصحابة ان الله أوحى الى موسى اني متوفى هرون فأت به جبل كذا
 وكذا فانطلق نحو الجبل فاذا هم بشجرة وبيت فيه سرير عليه فرش وريح طيب فلما نظر
 هرون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال يا موسى اني أحب ان أنام على هذا السرير
 قال نعم عليه قال نعم فلما نام أخذ هرون الموت فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت

الحدبية لان قصر انما وفي بندره
 بعد الحدبية والله أعلم ولاصحاب
 القول الاول ان يجيبوا عن هذا
 بأن بلاده كانت قد خربت وتشعبت
 فما تمكن من وفاء نذر حتى أصلح
 ما ينبغي اصلاحه وتفقده بلاده ثم
 بعد أربع سنين من نصرته وفي بندره
 والله أعلم والامر في هذا سهل
 قريب الا أنه لما اتصرف فارس على
 الروم ساء ذلك المؤمنين فلما اتصرت
 الروم على فارس فرح المؤمنون
 بذلك لان الروم أهل كتاب في الجملة
 فهم أقرب الى المؤمنين من الجوس
 كما قال تعالى لتجدن أشد الناس
 عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
 أشركوا ولتجدن أقربهم مودة
 للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
 الى قوله ربنا آمنوا فاصبر مع
 الشاهدين وقال تعالى ههنا
 ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
 ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
 وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة
 حدثنا صفوان حدثنا الوليد
 حدثني أسيد الكلابي قال سمعت
 العلاء بن الزبير الكلابي يحدث
 عن أبيه قال رأيت غلبة فارس
 الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس ثم
 رأيت غلبة المسلمين فارس والروم
 كل ذلك في خمسة عشر سنة وقوله

الشجرة ورفع السير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا قتل هرون وحسده
 حب بنى اسرائيل وكان هرون ألف بهم وألين لهم وكان في موسى بعض الغلظة عليهم
 فلما بلغه ذلك قال ويحكم انه كان أخى أفترونى أقتله فلما أكثر واعلمه قام فصلى ركعتين ثم
 دعا الله فنزل بالسير حتى نظر واليه بين السماء والارض فصعد فوه (وكان عند الله
 وجهها) أى عظيما ذا واجهة والوجه العظيم القدر الرفيع المنزلة يقال وجه الرجل
 يوجهه واجهه فهو وجهه وقيل مستجاب الدعوة وقيل الوجهه انه كلمة تكليما وقرأ عبد الله
 بالوحدة من العبودية وهى حسنة قاله الكرخى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى كل أمر
 من الامور (وقولوا اقولا سديدا) أى صوابا وحقا قال قتادة ومقاتل يعنى فى شأن زيد
 وزينب ولاتنسبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى ما لا يحل وقال بكرمة ان القول
 السديد لاله الا الله وقيل هو الذى يوافق ظاهره باطنه وقيل هو ما يريد به وجهه الله دون
 غيره وقيل هو الاصلاح بين الناس والسديد مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض
 والظاهر من الآية انه أمرهم بأن يقولوا اقولا سديدا فى جميع ما يأتونه ويذرونه فلا يخص
 ذلك نوعا دون نوع وان لم يكن فى اللفظ ما يقتضى العموم فالمقام بقيد هذا المعنى لانه
 أرشد سبحانه عباده الى أن يقولوا اقولا لا يخالف قول أهل الأذى وأخرج أحمد وابن أبي حاتم
 والطبرانى وابن مردويه عن أنى موسى الأشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم صلاة الظهر ثم قال على مكانكم ائتوا ثم أتى الرجال فقال ان الله أمرنى ان
 أمركم ان تتقوا الله وان تقولوا اقولا سديدا ثم أتى النساء فقال ان الله أمرنى ان أمركن
 ان تتقين الله وان تقنن قولوا سديدا ثم ذكر الله سبحانه ما لهؤلاء الذين امتثلوا الامر
 بالتقوى والقول السديد من الاجر فقال (يصلح لكم أعمالكم) أى يجعلها صالحة
 لا فاسدة بما يهديكم اليه ويوفقكم فيه أو يتقبلها (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يجعلها
 مكفرة مغفورة (ومن يطع الله ورسوله) فى فعل ما هو طاعة واجتناب ما هو معصية
 (فقد فاز فوزا عظيما) أى ظفر بالخير ظفرا عظيما ونال خير الدنيا والآخرة وهذه الجملة
 مستأناة مقررة لمضمون ما قبلها ثم لما فرغ سبحانه من بيان ما هو لاهل الطاعة من الخير
 بعد بيان ما لاهل المعصية من العذاب بين عظم شأن التكليف الشرعية وصعوبة أمرها
 فقال (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن
 منها) أى خفن من الامانة ان يؤدنها فيلحقهن العقاب أو خفن من الحيانة فيها
 واختلف فى تفسير الامانة المذكورة هنا فقال الواحدى معنى الامانة ههنا فى قول جميع
 المفسرين الطاعة والقرائض التى يتعلق بأدائها الثواب وبخضوعها العقاب قال القرطبي
 الامانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور وقد اختلف فى
 تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هى فى امانة الاموال كالودائع وغيرها وروى عنه انها
 فى كل القرائض وأشدها امانة المال وقال أبى بن كعب من الامانة ان أتممت المرأة على
 فرجها وقال أبو الدرداء غسل الجنابة امانة وان الله لم يأمن ابن آدم على شئ من دينه غيرها
 وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعكها فلا تلبسها

تعالى وهو العزيز أى فى انتصاره
 وانتقامه من أعدائه الرحيم بعباده
 المؤمنين وقوله تعالى وعد الله
 لا يخلف الله وعده أى هذا الذى
 أخبرناك به يا محمد من أناس نصم
 الروم على فارس وعدم من الله حق
 وخبر صدق لا يخلف ولا يبد من كونه
 ووقوعه لان الله قد جرت سنته انه
 ينصر أقرب الطائفتين المقتلتين
 الى الحق ويجعل لها العاقبة ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون أى يحكم الله
 فى كونه وافعاله المحكمة الخارية
 على وفق العدل وقوله تعالى يعلمون
 ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
 الآخرة هم غافلون أى أكثر الناس
 ليس لهم علم الا بالدنيا وأكسبها
 وشؤونها وما فيها فهم حذاق أذكياء
 فى تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم
 غافلون فى أمور الدين وما ينفعهم
 فى الدار الآخرة كان أحدهم مغفل
 لاذهن له ولا فكرة قال الحسن
 البصرى والله لبلغ أحدهم بدنياه
 انه يقبل الدرهم على ظفره فيخبرك
 بوزنه وما يحسن صلى وقال ابن
 عباس فى قوله تعالى يعلمون ظاهرا
 من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة
 هم غافلون يعنى الكفار يعرفون
 عمران الدنيا وهم فى أمر الدين جهال

الاجبتي فان حفظها حفظتك فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واللسان امانة
والبطن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقال السدي هي ائتمان
ادم ابنه قابيل على ولده هابيل وخيانتة اياه في قتله وما ابعده هذا القول وليت شعري ماهو
الذي سوغ للسدي تفسير هذه الآية بهذا فان كان ذلك لدليل دله على ذلك فلا دليل
وليست هذه الآية حكاية عن الماضين من العباد حتى يكون له في ذلك متمسك ابعده من
كل بعيد واهن من بيت العنكبوت وان كان تفسيره هذا عملا بما تقتضيه اللغة
العربية فليس في لغة العرب ما يقتضي هذا ويوجب جعل هذه الامانة المطلقة على شيء كان
في اول هذا العالم وان كان هذا تفسيره من بعض الراي فليس الكتاب العزيز عرضة
لتلاعب آراء الرجال به ولهذا ورد الوعيد على من فسر القرآن برأيه فاحذر ايها الطالب
للحق عن قبول مثل هذه التفاسير واشدد يدك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة
العربية فهو قرآن عربي كما وصفه الله فان جاءك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فلا تلتفت الي غيره واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وكذلك ما جاء عن الصحابة رضي
الله تعالى عنهم فانهم من جملته العرب ومن اهل اللغة ومن جمع الى اللغة العربية العلم
بالاصطلاحات الشرعية ولكن اذا كان معنى اللفظ اوسع مما فسروه به في لغة العرب
فعليك ان تضم الى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب واسرارها فخذ هذه كلمة تنفع
بها وقد ذكرنا في خطبة هذا التفسير ما يشدك الى هذا قال الحسن ان الامانة عرضت
على السموات والارض والجبال فقالت وما فيها فقال لها ان احسنت آجرتك وان اسأت
عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله ادم عرضها عليه وقيل له ذلك فقال قد تحملتها
وروي نحو هذا عن غير الحسن ومجاهد قال النحاس وهذا القول هو الذي عليه اهل
التفسير وقيل هذه الامانة هي ما ودعه الله في السموات والارض والجبال وسائر
المخلوقات من الدلائل على ربوبية ان يظهرها فأتظهرها والا الانسان فانه كتمها ووجدتها
كذا قال بعض المتكلمين منسرا للقرآن برأيه الزائف فيكون على هذا معنى عرضنا
أظهرنا قال جماعة من العلماء ومن المعلوم ان الجسد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير
الحياة فيها وهذا العرض في الآية هو عرض تخيير لا عرض الزام ولو الزمهم لم يتنعم من
جملها والجادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له وقيل المراد بالعرض
هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعينها وقال القفال وغيره العرض في هذه الآية
ضرب مثل أي ان السموات والارض والجبال على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز
تكليفها النقل عليها تقلد الشرائع لمانها من الثواب والعقاب أي أن التكليف أمر
عظيم حقه ان تجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان وهو ظالم جهول
لوعقل وهذا كقولنا هذا القرآن على جبل وقيل ان عرضنا بمعنى عارضنا أي
عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن الامانة ورجحت
الامانة بثقلها اعليها وقيل ان عرض الامانة على السموات والارض والجبال انما كان من
ادم عليه السلام وان الله أمره ان يعرض ذلك عليها وهذا ايضا تحريف لا تفسير وقد قيل

(أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما
الباالحق وأجل مسمى وان كثيرا
من الناس بلقاء ربهم لكافرون أو لم
يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد
منهم قوة وأثوارا الارض وعمرها
أكثر مما عمرها وجاءتهم رسالهم
بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان
عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا
بآيات الله وكانوا هم يستهزؤن)
يقول تعالى منها على التفكير في
مخلوقاته الدالة على وجوده وانفاده
بمخلوقها وانه لا اله غيره ولا رب سواه
فقال أو لم يتفكروا في أنفسهم يعني
به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله
الاشياء من العالم العلوى والسفلى
وما بينهما من المخلوقات المتسوعة
والاجناس المختلفة فيعلموا انها
ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق
وانها مؤجلة الى أجل مسمى وهو
يوم القيامة ولهذا قال تعالى وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون ثم نهبهم على صدق رسله
فيما جاؤا به عنه بما أيدهم به من
المعجزات والدلائل الواضحات من
اهلاك من كفر بهم ونجاة من

صدقهم فقال تعالى أولم يسروا في
الارض أى بافهامهم وعقولهم
ونظريهم وسماع أخبار الماضين
ولهذا قال فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد
منهم قوة أى كانت الامم الماضية
والقرون السالفة أشد منكم قوة
أيها المبعوث اليهم محمد صلى الله
عليه وسلم وأكثرا أموالا وأولادا
وما أتيتهم معشار ما أتيتهم
الدنيا تمكيننا لم تبلغوا اليه وعمرها
فيها أعمار أطول أعمارهم وأكثر
منكم واستغلوها أكثر من
استغلالكم ومع هذا فلما جاءتهم
رسولهم بالبينات وفرحوا بما آتوا
أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم
من الله من وفاق ولا حالت أموالهم
وأولادهم بينهم وبين بأس الله ولا
دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله
ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب
والنكال ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون أى وانما أتوا من أنفسهم
حيث كذبوا بآيات الله واستهزوا بها
وما ذلك إلا بسبب ذنوبهم السالفة
وتكذيبهم المتقدم ولهذا قال
تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا
السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا
بهذا يستهزؤن كما قال تعالى ونقلب

ان المراد بالامانة العقل والراجح ما قدمناه عن الجمهور وما عداه فلا يخالو عن ضعف لعدم
وروده على المعنى العربى ولا انطباقه على ما يقتضيه الشرع ولا موافقته لما يقتضيه
التعريف بالامانة عن ابن عباس فى الآية قال الامانة القرائض عرضها الله على السموات
والارض والجبال ان ادوها ثابهم وان ضيعوها عذبهم فكبر هو ذلك وأشفقوا من غير
معصية ولكن تعظيما للدين الله ان لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم قبلها بما فيها وعنه فى
الآية قال عرضت على آدم فقيل خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك
قال قبلتها بما فيها كما كان الامابين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الذنب
وعنه هى أمانات الناس والوفاء بالعهد ونحقق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا فى
شئ فى قليل ولا فى كثير فعرض الله هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال
وهذا قول جماعة من التابعين وأكثرا السلف وانما أتى فى قوله فابن الجبضمير كضمير
الاناث لان جمع تكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وان كان مذكرا وانما ذكرنا ذلك لثلاث
يتوهم انه قد غاب المؤنث وهو السموات على المذكور وهو الجبال (وجملها الانسان) أى
الترجم بجمتها وهو آدم بعد عرضها عليه قيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه ونقل
حمله انه عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه وأشده ان يحمله ويشغل
به فابى حمله وأشفق منه ووجه الانسان على ضعفه وضعف قوته قال الزجاج معنى جملها
خان فيها وجعل الآية فى الكنار والفساق والعصاة وقيل معنى جملها كل شئها والزهدا
أوصار مستعد الهابا لظهورها عند عرضها عليه فى عالم الذر عند خروج ذرية آدم من
ظهوره وأخذ الميثاق عليهم (انه كان ظلوما جهولا) أى وهو فى ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول
لما يلزمه أوجهول لقد مر ما دخل فيه كما قال سعيد بن جببر أوجهول بأمر ربه كما قال الحسن
وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب فى ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا
حيث حمل الامانة ولم يف بها وضمنها ولم يف بضمائها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان
العرب وما جاء فى القرآن الاعلى أساليبهم وفى تفسير الآية أقوال أخر والاول أولى وهو
قول السلف (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) متعلق بجملة أى
جملها الانسان ليعذب الله العاصى ويثيب المطيع وعلى هذا فجملة انه كان ظلوما جهولا
معتزلة بين الجملة ونمايتها الايدان بعدم وفائه بما تحمله قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن
حيان ليعذبهم بما كانوا من الامانة وكذبوا من الرسل ونقضوا من الميثاق الذى أقروا به
حين أخرجوا من ظهور آدم وقال الحسن وقتادة هؤلاء المعذبون هم الذين خانوها
وهؤلاء الذين يتوب الله عليهم هم الذين ادوها والالتفات الى الاسم الجميل اولاهن ويل
الخطب وتربية المهابة والظهار فى موضع الاضمار ثانيا فى قوله (ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات) لابرار مزيدا لاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعيد والوعد حقه
والله أعلم أى يهديهم ويرجعهم بما أدوا من الامانة قال ابن قتيبة أى عرضنا ذلك ليظهر
نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم ما الله وبظهور ايمان المؤمن فيعود عليه بالمغفرة
والرحمة ان حصل منه تقصير فى بعض الطاعات ولذلك ذكر بلفظ التوبة فدل على ان

المؤمن العاصي خارج من العذاب (وكان الله غفورا) أى كثير المغفرة للمؤمنين
التائبين من عباده اذا قصر وافي شئ مما يجب عليهم من الامانة وغيرها حيث عفا عن
فرطاتهم (رحيما) بهم حيث أثابهم بالعفو على طاعتهم مكرمالهم بأنواع الكرم وقد
وردت أحاديث كثيرة في الحث على الامانة وذ كر رفعها عن القلوب عند قرب الساعة فلا
نطول بذكرها

* (سورة سباهى أربع أو خمس وخمسون آية وهى مكية) *

قال القرطبي في قول الجميع الآية واحدة اختلف فيها وهى قوله ويرى الذين أتوا
العلم الذى أنزل اليك فقالت فرقة هى مكية وقالت فرقة هى مدينة وسيأتى
الخلاف فى معنى هذه الآية ان شاء الله تعالى وفيمن نزلت وعن ابن عباس قال نزلت سورة
سبأ بمكة

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله) التعريف ان أجرى على المعهود فهو بما حمد به نفسه محمود وان أجرى على
الاستغراق فالتعريف مشعر باستحقاق جميع افراد الحمد لله سبحانه على ما تقدم تحقيقه
فى فاتحة الكتاب وقيل معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بان يحمده ويثنى عليه
واللام لام التملك لانه خالق ناطق الحمد أصلا فكان بملكه مالك الحمد للحميد أهلا وقيل هى
لام التخصيص والمعنى متقارب أى وله بكل المحامد الاختصاص (الذى له ما فى السموات
وما فى الارض) معناه ان جميع ما هو فيه ما فى ملكه وتحت تصرفه يفعل به ما يشاء ويحكم
فيه بما يريد بكل نعمة واصله الى العبد فهى مما خلقه له ومن به عليه حمده على ما فى
السموات والارض هو حمد له على النعم التى أنعم بها على خلقه مما خلقه لهم ولما بين ان
الحمد الدينوى من عباده الحامدين له مختص به بين ان الحمد الاخرى مختص به كذلك أيضا
فقال (وله الحمد فى الآخرة) كماله فى الدنيا لان النعم فى الدارين كلها منه وقيل المعنى ان له
على الاختصاص حمد عباده الذى يحمدهونه فى الدار الآخرة اذا دخلوا الجنة كما فى قوله
وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وقوله الحمد لله الذى هدانا لهذا وقوله الحمد لله الذى
أذهب عنا الحزن وقوله الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله وقوله وآخردعواهم ان
الحمد لله رب العالمين فهو سبحانه المحمود فى الآخرة كما انه المحمود فى الدنيا وهو المالك للآخرة
كانه المالك للدنيا غير ان الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم التكليف
وانما يحمده أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر العظيم كما ورد لهمون
التسبيح والحمد كما يليهمون النفس (وهو الحكيم) الذى أحكمهم أمر الدارين (الخبير) بأمر
خلقهم فيه ما وبضيم من يحمده ليوم الجزاء والعرض ثم ذ كر سبحانه بعض ما يحيط به علمه
من أمور السموات والارض التى نيطت بها مصالحهم الدينية والدنيوية فقال (يعلم ما يلج
فى الارض) أى ما يدخل ويوضع فيها من مطرا وكنازودفين أو أموات (وما يخرج منها) من
زرع ونبات وحيوان وشجر وعيون ومعادن وأموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء)

أفندتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا بها
أول مرة ونذرهم فى طغيانهم
يعمهمون وقال تعالى فلما زاغوا
أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى فان تولوا
فأعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم وعلى هذا يكون السواى
منصوبة مفعولا لاساؤا وقيل بل
المعنى فى ذلك ثم كان عاقبة الذين
أساؤا السواى أى كانت السواى
عاقبتهم لانهم كذبوا بآيات الله وكانوا
بها يستهزئون فعلى هذا يكون السواى
منصوبة خبر كان هذا توجيه
ابن جرير ونقله عن ابن عباس وقناة
ورواه ابن أبى حاتم عنهما وعن
الضحاك بن مزاحم وهو الظاهر والله
أعلم لقوله وكانوا بها يستهزئون (الله
يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون
ويوم تقوم الساعة ليس الجرمون
ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء
وكانوا ابشركائهم كافرين ويوم تقوم
الساعة يومئذ يفرقون فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى
روضة يحبون وأما الذين كفروا
وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فالولئك
فى العذاب محضرون) يقول تعالى
الله يبدأ الخلق ثم يعيده أى كما هو
قادر على بدءه فهو قادر على اعادته
ثم اليه ترجعون أى يوم القيامة

من الامطار والسروج والتلوج والبرد والصواعق وأنواع البركات ومن ذلك ما ينزل منها
 من ملائكته وكتبه الى انبيائه قرئ ينزل مسندا الى ما ينزل مشددا مسندا الى الله
 سبحانه (وما يعرج فيها) أى فى السماء من الملائكة وأعمال العباد والدعوات وضمن
 العروج معنى الاستقرار فعداه بنى دون الى والسماء جهة العلوم مطلقا (وهو الرحيم)
 بعباده (الغفور) لذنوبهم وتفريطهم فى أداء ما واجب عليهم من شكر نعمه (وقال الذين
 كفروا لا تأتينا الساعة) المراد بهؤلاء القائلين جنس الكفرة على الاطلاق أو كفار مكة
 على الخصوص والاول اولى والمعنى لا تأتى بحال من الاحوال انكار انهم لوجودها
 بالكلية لا بمجرد اتيانها فى حال تكاملهم أو فى حال حياتهم مع تحقق وجودها فيما بعد وانما
 عبروا عنها بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها فردا لله عليهم كلامهم وأثبت ما نفوه وأمر
 رسوله ان يقول لهم (قل بلى) على معنى ليس الامر الا اتيانها (وربى لتأتينكم) وهذا
 القسم لتأكيد الايمان على أتم الوجوه وأكمله اقرئ لتأتينكم بالفوقية أى الساعة وبالتحسية
 على تأويل الساعة باليوم والوقت كأنه قال اياتينكم البعث أو امره كما قال هل ينظرون
 الا أن تأتيتهم الملائكة أو يأتى أمر ربك (عالم الغيب) تقوية للتأكيدي لان تعقيب القسم
 بجلائل نعت المقسم به يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة اثباته وصحته لما أن ذلك
 فى حكم الاستشهاد على الامر (لا يعزب) أى لا يغيب (عنه) ولا يستر عليه ولا يبعد عنه
 من عزب يعزب بكسر الزاي اذا غاب وبعد وخفي وقرئ بضم الزاي قال الفراء والكسر
 أحب الى وهما الغتان (مثقال ذرة) أى مقدار أصغر غلة ووزن ذرة (فى السهوات ولا فى
 الارض ولا أصغر من ذلك) أى من مثقال ذرة وفيه اشارة الى ان مثقال لم يذ كر للتحديد بل
 الاصغر منه لا يعزب أيضا ولو اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغائر لكونها
 محل النسيان وأما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال (ولأكبر) منه (الافى كتاب
 مبين) أى الا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ الذى اشتمل على معلومات الله سبحانه ومكتوب
 فيه فهو مؤ كدلنى العزوب (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات) اللام للتعليل لقوله
 لتأتينكم أى اتيان الساعة فأنه جزاء المؤمنين بالثواب (أولئك) أى الذين آمنوا و عملوا
 الصالحات (لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أى حسن وهو الجنة بسبب ايمانهم
 وعملهم الصالح مع التفضل عليهم من الله سبحانه ثم ذكر فريق الكافرين الذين يعاقبون
 عند اتيان الساعة فقال (والذين سعوا فى ابطال آياتنا) المتزلة على الرسل وقد حو افها
 وصدوا الناس عنها وجاهدوا فى ردها بالطعن فيها ونسبتها الى السحرو والشعو وغير ذلك لان
 المكذبات باخفاء آيات بينات فيحتاج الى السعي العظيم والجهد البليغ ليروج كذبه له
 يعجز المتمسك به (معاجزين) مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا يحسبون انهم يفوتونا
 ولا يدركون وذلك باعتقادهم انهم لا يعثون يقال أعجزه عاجزه اذا غلبه وسبقه قرئ
 معاجزين ومعجزين أى مشبطين للناس عن الايمان بالآيات (أولئك) الذين سعوا (لهم
 عذاب من رجز) الرجز هو العذاب فن للبيان وقيل الرجز هو أسوأ العذاب واشده
 والاول اولى ومن ذلك قوله فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء (اليم) أى الشديد

فيجازى كل عامل بعمله ثم قال
 تعالى ويوم تقوم الساعة يلس
 المجرمون قال ابن عباس يأس
 المجرمون وقال مجاهد يقتضخ
 المجرمون وفى رواية يسكت
 المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم
 شفعاء أى ما شاعت فيهم الالهة
 التى كانوا يعبدونها من دون الله
 تعالى وكفروا بهم وخنوهم أحوج
 ما كانوا اليهم ثم قال تعالى ويوم
 تقوم الساعة يومئذ ينظرون قال
 قتادة هى والله الفرقة التى لا اجتماع
 بعدها يعنى انه اذا رفع هذا الى
 عليين وخفض هذا الى أسفل
 سافلين فذلك آخر العهد بينهما
 ولهذا قال تعالى فاما الذين آمنوا
 و عملوا الصالحات فهم فى روضة
 يعبرون قال مجاهد وقتادة ينعمون
 وقال يحيى بن أبى كثير يعنى سماع
 الغناء والخبرة أعم من هذا كله قال
 العجاج

فالحمد لله الذى أعطى الخبر

موالى الحق ان المولى شكر
 فسبحان الله حين تمسون وحين
 تصبحون وله الحمد فى السهوات
 والارض وعشيا وحين تظهرون
 يخرج الحى من الميت ويخرج
 الميت من الحى ويحيى الارض بعد
 موتها وكذلك تخرجون

الالم ولما ذكر الذين سعوا في ابطال آيات الله ذكر الذين يؤمنون بها فقال (ويرى) أي
 يعلم (الذين أتوا العلم) وهم الصحابة قاله قتادة وقال مقاتل هم مؤمنوا أهل
 الكتاب وقيل جميع المسلمين والاولى انه كلام مستأنف لدفع ما يقوله الذين سعوا في
 الآيات أي ان ذلك السعي منهم يدل على جهلهم لانهم مخالفون لما يعلمه أهل العلم في
 شأن الكتاب (الذي انزل اليك من ربك هو الحق) أي الصدق يعني انه من عند الله
 (ويهدى الى سراط) معطوف على الحق عطف فعل على اسم لانه في تأويله كافي قوله
 صافات ويقبضن أي وقابضات كانه قيل وهاديا وقيل انه مستأنف وفاعله ضمير
 يرجع الى فاعل أنزل وهو القرآن والصراط الطريق أي ويهدى الى طريق (العزير)
 في ملكه (الحديد) عند خلقه والمراد ان يهدى الى دين الله الاسلام وهو التوحيد
 ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من كلام منكري البعث فقال (وقال الذين كفروا) بعضهم
 لبعض (هل نترككم على رجل) أي هل نرشدكم الى رجل يعنون محمدا صلى الله عليه
 وآله وسلم والتعبير بـ رجل المنكر من باب التجاهل كأنهم لم يعرفوا منه الا انه رجل وهو
 عندهم أشهر من الشمس قاله النهاب وقال القرطبي كانوا يقصدون بذلك السخرية
 والهزأة (ينبئكم) بخبركم بما رعب وبنا غريب هو انكم (اذا مضى كل ممزق)
 أي فرقتم كل تفريق وقطعت كل تقطيع وصرتم بعد موتكم رفانا وترابا وقال الكرخي
 أي كل مكان تفريق من القبور وبطون الوحش والطيور (انكم افي خلق جديد) أي
 تخلقون وتنشؤون خلقا جديدا وتبعثون من قبوركم أحياء وتعودون الى الصور التي كنتم
 عليها بعد ان تمزقت أجسادكم كل تفريق قال هذا القول بعضهم لبعض استهزاء بما
 وعدهم الله على لسان رسوله من البعث وأخرجوا الكلام مخرج التلهي به والتضاحك
 مما يقوله من ذلك قال الزجاج التقدير اذا مضى كل ممزق بعثتم أو ينبئكم بانكم تبعثون
 اذا مضى وتم وأصل الممزق خرق الأشياء يقال ثوب مزرق وممزق وممزوق وعن قتادة
 في الآية قال قال ذلك مشرك وكقريش اذا أكلتكم الارض وصرتم رفانا وعظاما
 وتقطعتم السباع والطيور انكم ستحيون وتبعثون قالوا ذلك تكذبا له وجديد عند
 البصر بين بمعنى فاعل يقال جد الشيء فهو جاد وعند الكوفيين بمعنى مقعول من جدته
 أي قطعته ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم رددوا ما وعدهم به رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم من البعث بين أمرين فقالوا (أفتري على الله كذبا أم به جنه) أي أهو
 كاذب فيما قاله أم به جنون بحيث لا يعقل ما يقوله قال قتادة امان يكون يكذب على
 الله واما ان يكون مجنونا والهـمزة في أفتري همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة
 الوصل كما تقدم في قوله أطلع الغيب ثم رد عليهم سبحانه ما قالوه في رسوله فقال (بل الذين
 لا يؤمنون بالآخرة) أي ليس الامر كما زعموا بل هم الذين ضلوا عن الفهم وادراك
 الحقائق فكفروا بالآخرة ولم يؤمنوا بما جاءهم به فصاروا بسبب ذلك (في العذاب)
 الدائم في الآخرة وهم اليوم (والضلال البعيد) عن الحق غاية البعد ثم وبخهم سبحانه
 بما اجترأوا عليه من التكذيب مبيناهم ان ذلك لم يصدر منهم الا عدم التفكير والتدبر

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه
 المقدسة وارشاد لعباده الى تسبيحه
 وتحميده في هذه الاوقات المتعاقبة
 الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه
 عند المساء وهو اقبال الليل بظلامه
 وعند الصباح وهو اسفار النهار
 بضائه ثم اعترض بحمده مناسبة
 للتسبيح وهو التمجيد فقال تعالى
 وله الحمد في السموات والارض أي
 هو الحمد على ما خلق في السموات
 والارض ثم قال تعالى وعشيا وحين
 تظهرون فالعشاء هو شدة الظلام
 والاطهار قوة الضياء فسبحان
 خالق هذا وهذا فائق الاصباح
 وجاعل الليل سكا كما قال تعالى
 والنهار اذا جلاها والليل اذا
 يغشاها وقال تعالى والليل اذا
 يغشى والنهار اذا تجلجى وقال تعالى
 والضحي والليل اذا سحى والآيات
 في هذا كثيرة وقال الامام أحمد
 حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة
 حدثنا زيد بن فايد عن سهل بن معاذ
 ابن أنس الجهني عن أبيه عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال ألا
 أخبركم لم سمي الله ابراهيم خليفه
 الذي وفي لانه كان يقول كلما أصبح
 وكلم أسمى سبحان الله حين تمسون
 وحين تصبحون وله الحمد في السموات

في خلق السماء والارض وان من قدر على هذا الخلق العظيم لا يعجزه ان يبعث من مخلوقاته ما هو دون ذلك ويعيده الى ما كان عليه من الذات والصفات فقال (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) واقفاء للعطف على مقدره يتتبعه المقام والمعنى أعمو أفلم يروا ومن المعلوم ان ما بين يدي الانسان هو كل ما يقع نظره عليه من غير ان يحول وجهه اليه وخلفه هو كل ما لا يقع نظره عليه حتى يحول نظره اليه فيعم الجهات كلها أي انهم اذا نظروا رأوا السماء قدامهم وخلفهم وكذلك اذا نظروا الى الارض رأوا ما خلفهم وقدامهم فالسما والارض محيطتان بهم فهو القادر على ان ينزل بهم ما شاء من العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسوله وانكارهم للبعث فهذه الآية اشتملت على أمرين أحدهما ان هذا الخلق الذي خلقه الله من السماء والارض يدل على كمال القدرة على ما هو دونه من البعث كما في قوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم والامر الآخر التهديد لهم بان من خلق السموات والارض على هذه الهيئة التي قد اطاعت بجميع المخلوقات فيما قادر على تعجيل العذاب لهم كما قال (ان نشأ نخسف بهم الارض) كما خسفنا بمن كان قبلهم كقارون (أونسقط عليهم كسفنا) أي قطعنا (من السماء) كما أسقطها على أصحاب الايكة فكيف يأمنون ذلك وقال قتادة ان يشأ أن يعذب بسماؤه فعل وان يشأ أن يعذب بارضه فعل وكل خلقه له جند قروي بالنون وبالختية في الافعال الثلاثة (ان في ذلك) المذكور المرئى من خلق السماء والارض من حيث احاطتهم بالنظرين من جميع الجوانب (لاية) واضحة ودلالة بينة (لكل عبد منيب) أي راجع الى ربه بالتوبة والاخلاص ونخص المنيب لانه المستفيع بالتفكير وقال قتادة منيب أي تائب مقبل الى الله وقال هنا لاية بالتوحيد وفيما بعد ذلك لايات يجمعها لان ما هنا اشارة الى احياء الموتى فناسب التوحيد وما بعد اشارة الى سما قبيلة تفرقت في البلاد فصاروا فرقا فناسب الجمع ثم ذكر سبحانه من عباده المنيبين اليه داود وسليمان كما قال في داود فاستغفره وبخررا كعوا وأتاب وقال في سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أتاب فقال (ولقد أتينا داود منا فضلا) أي آتيناه بسبب انابته فضلا منا على سائر الانبياء واختلف في هذا الفضل على أقوال فقيل النبوة وقيل الزبور وقيل العلم وقيل القوة كما في قوله واذ كرعبنا داود وذا الايدوقيل تسخير الجبال كما في قوله يا جبال أوبي معه وقيل التوبة وقيل الحكم بالعدل كما في قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وقيل هو الالهة الحديد كما في قوله وألنا له الحديد وقيل حسن الصوت والاولى أن يقال ان هذا الفضل المذكور هو ما ذكره الله بعده من قوله (يا جبال) الى آخر الآية أي قلنا له يا جبال (أوبي معه) التأييب التسبيح كما في قوله انا نسخرنا الجبال معه يسبحن قال أبو ميسرة هو التسبيح بلسان الحبشة وقال ابن عباس أوبي يسبحي وروى مثله عن مجاهد وعكرمة وابن زيد وكان اذا سبح داود سبحت الجبال معه ومعنى تسبيحها ان الله يجعلها قادرة على ذلك ويخلق فيها التسبيح مجزة لداود وقيل معنى أوبي يسرى معه من التأويب الذي هو سير النهار أجمع قراء العامة أوبي على صيغة

والارض وعشيا وحين تطهرون وقال الطبراني حدثنا مطرب بن شعيب الازدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن ابن البيهقي عن أبيه عن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تطهرون الآية بكلها أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يسي أدرك ما فاته في ليلته اسناد جيد ورواه أبو داود في سننه وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الاشياء المتقابلة وهذه الايات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط فانه يذكر فيها خلقه الاشياء وازدادها ليدل خلقه على كمال قدرته فمن ذلك اخرج النبات من الحب والحب من التبات والبيض من الدجاج والدجاج من البيض والانسان من النطفة والنطفة من الانسان والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقوله تعالى ويحي الارض بعد موتها كقوله

الامر من التاويب وهو الترجيع والتسييح أو السيرا والنوح وقرئ أو بي بضم الهمزة
 أمر امس أب يوب اذا رجع أى ارجع معه (والطير) بالنصب عطفًا على فضلا على معنى
 وسخر ناله الطير لان آياته اياها تسخرها له أو نادينا الجبال والطير وقال سيمويه وأبو عمرو
 ابن العلاء اتصابه بفعل مضمر على معنى وسخر ناله الطير وقال الزجاج والنحاس يجوز أن
 يكون منه مفعول معه كما تقول استوى الماء والخشبية وقال الكسائي أى آتيناه فضلا وتسييح
 الطير وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى (وأثاله الحديد) أى جعلناه ليناله لي عمل به ماشاء
 قال ابن عباس كالعجين وقال الحسن كالشمع يعمل به من غير نار وقال السدي كان الحديد
 في يده كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وكذا
 قال مقاتل وكان يفرغ من عمل الدرع في بعض يوم (أن اعمل ساينات) أى بان اعمل
 أو لان اعمل أو ان مفسر لقوله ألنا قاله الحوفي وفيه نظر لانها لا تكون الا بعد القول
 أو ما هو في معناه وقيل التقدير أمرناه ان اعمل ولا ضرورة تدعو الى ذلك والمعنى دروعا
 ساينات والسوابغ الكوامل الواسعات يقال سبغ الدرع والثوب وغيرهما اذا غطي
 كل ما هو عليه وفضل منه فضله وقرئ صاينات بالصاد لاجل الغين (وقدر في السرد)
 السرد نسيج الدروع ويقال السرد والزرد كما يقال السرد والزراد لاصانع الدروع والسرد
 أيضا الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز ومنه سرد الكلام اذا جابه متواليا ومنه حديث
 عائشة لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسرد الحديث كسردكم قال سيبويه ومنه
 سرد أى جرى ومعنى سرد الدروع احكامها وان يكون نظام حلقةها ولا غير مختلف قال
 قتادة كانت الدروع قبل داود ثقالا لذلك أمره هو بالتقدير فيما يجمع الخففة والحصانة
 أى قدر ما تأخذ من هذين المعنيين بقسطه فلا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخففة فتزيل
 المنعة وقال ابن زيد التقدير الذى أمره به في قدر الحلقة أى لاتعملها صغيرة فتضعف ولا
 يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فتثقل على لابسها وقيل ان التقدير في المسماير
 أى لاتجعل مسماير الدرع دقيقا فثقل ولا غليظا فيصعب الخلق وقال ابن عباس قدر في
 السرد أى في خلق الحديد وعنه لاتدق المسماير وتوسع الخلق فتسلس ولا تغلظ المسماير
 وتضيق الخلق فتقصره واجعله قدرا وقال البتاعي انه لم تكن في حلقةها مسماير لعدم
 الحاجة اليها بسبب الينة الحديد والال لم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للالنة كبير
 فائدة وقد أخبر بعض من رأى ما نسب اليه بغير مسماير وقال الرازي معناه انك غير
 مأمور به أمر ايجاب وانما هو اكتساب والكسب يكون بقدرة الحاجة وباقى الايام
 واللبالى للعبادة فقدر في ذلك العمل لاتسغل جميع أوقاتك بالكسب بل حصل فيه
 القوت فحسب ثم خاطب داود وأهله فقال (واعملوا) عملا (صالحا) كما في قوله اعملوا آل
 داود شكرا ثم علل الامر بالعمل الصالح بقوله (انى بما تعملون بصير) أى لا يخفى على شئ
 من ذلك فأجازيكم به (ولسليمان الريح) أى سخر ناله الريح كما قال الزجاج قرأ عاصم بالرفع
 على الابتداء والخبر أى ولسليمان الريح ثابتة أو مسخرة وقرئ الريح والرياح بالانفراد
 والجمع (اغدوها) أى سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال أى جريها من أول النهار

تعالى وآية لهم الارض الميتة
 أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه
 يا كرون الى قوله وخبرنا فيها من
 العيون وقال تعالى وترى الارض
 هامدة فاذا أنزنا عليها الماء اهتزت
 وربت وأنتت من كل زوج بهيج
 الى قوله وان الله يبعث من فى
 القبور وقال تعالى وهو الذى يرسل
 الرياح بشر بين يدي رحمة حتى اذا
 قلت صحابا تلقا الى قوله لعلمكم
 تذكرون ولهذا قال ههنا وكذلك
 تخرجون (ومن آياته ان خلقكم
 من تراب ثم اذا أنتم بشر تتشرون
 ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم
 أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
 مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم
 يتفكرون) يقول تعالى ومن آياته
 الدالة على عظمته وكمال قدرته انه
 خلق أبائكم آدم من تراب ثم اذا أنتم
 بشر تتشرون فأصلكم من تراب
 ثم من ماء مهين ثم تصور فكان علقة
 ثم مضغ ثم صار عظاما مشككة على
 شكل الانسان ثم كسا الله تلك
 العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فاذا
 هو جميع بصير ثم خرج من بطن أمه
 صغيرا ضعيف القوى والحركة ثم
 كلما طال عمره تكاملت قواه وحر كانه
 حتى آل به الحال الى ان صار يبنى

الى الزوال (شهر ورواحها) أي سيرها من الزوال الى الغروب (شهر) وبالجملة مستأنفة
 لبيان تسخير الريح أو طلبة من الريح والمعنى انها كانت تسير في اليوم الواحد مسيرة
 شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع ثم
 يروح من اصطخر فيميت بكابل أو بابل وبينهما مسيرة شهر وقيل انه كان يتعدى بالري
 ويتعشى بسمرقند (وأسلنا) أي ذنبا (له عين القطر) أي النحاس الذائب قال الواحدى
 قال المفسرون أجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن بجرى الماء وكان بارض اليمن وانما
 يعمل الناس اليوم بما أعطى سليمان ولولاها ما لان النحاس أصلا لانه قيل سليمان لم يكن
 يابن أصلا لابتار ولا بغيرها والمعنى أسلنا له عين النحاس كما لنا الحديد لداود وقال قتادة
 أسأل الله له عينا يستعملها فيما يريد قال ابن عباس القطر النحاس لم يقدر عليها أحد بعد
 سليمان وانما يعمل الناس بعده فيما كان أعطى سليمان وقال مجاهد القطر الصذر
 والمعنى جعلنا النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته أي
 كالعين النابعة من الارض (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) الاذن مصدر مضاف
 الى فاعله أي مسخر أو ميسر بأمر ربه (ومن يزغ منهم) أي ومن يعدل من الجن (عن
 أمرنا) الذي أمرناه به وهو طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قال أكثر المفسرين
 وذلك في الآخرة قيل في الدنيا قال السدى وكل الله الجن ملكا يده سوط من نار فن
 زاغ عن أمر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة فتقرقه ثم ذكر سبحانه ما يعمله الجن
 سليمان فقال (يعملون له ما يشاء من محاريب) من اللبيان والمحاريب في اللغة كل موضع
 مرتفع وهي الابنية الرفيعة والقصور العالية والمحاريب الشريفة المصونة عن الابتذال
 والمسكن قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى اليه بدرج ومنه قيل للذي يصل فيه
 محراب لانه يرفع ويعظم وقال مجاهد المحاريب دون القصور وقال أبو عبيدة المحراب
 أشرف بيوت الدار وقال الضحاك وقتادة المراد بالمحاريب هنا المساجد وكان مما عملوا
 له بيت المقدس (وتماثيل) جمع تماثيل وهو كل شيء مثله بشيء أي صورته بصورته من
 نحاس أو زجاج أو رخام أو غير ذلك قيل كانت هذه التماثيل صور الانبياء والملائكة
 والعلماء والصالحين وكانوا يصورونها في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا وفي
 الحديث ان أولئك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه
 تلك الصورة ليزكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة وقيل هي تماثيل أشياء ليست من
 الحيوان وقيل صور السباع والطيور وقد استدل بهذا على ان التصوير كان مباحا في
 شرع سليمان ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس قال
 اتخذ سليمان تماثيل من نحاس فقال يارب انفع فيها الروح فانها أقوى على الخدمة
 فنفخ الله فيها الروح فكانت تخدمه وكان أسد فندبها من بقاياهم فقيل لداود سليمان
 اعملوا آل داود شكرا وقيل من عبادى الشكور (وحفان) جمع حفنة وهي القصة
 الكبيرة (كالجواب) جمع جابية وهي حفرة كالحوض وقيل هي الحوض الكبير يعجى
 الماء أي يجمعه قال الواحدى قال المفسرون يعنى قصا فى العظم كياض الابل يجمع

المدائن والحصون ويسافر في أقطار
 الاقاليم ويركب متن الجور ويدور
 أقطار الارض ويكتسب ويجمع
 الاموال وله فكرة وغور ودهاء
 ومكر ورأى وعلم واتساع في أمور
 الدنيا والآخرة كل بحسبه فسبحان
 من قدرهم وسيرهم وسخرهم
 وصر فهم في فنون المعاش
 والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم
 والفكرة والحسن والقبح والغنى
 والفقر والسعادة والشقاوة ولهذا
 قال تعالى ومن آياته ان خلقكم من
 تراب ثم اذا أنتم بشر تتشرون وقال
 الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد
 وعندرقا لحدثنا عوف عن قسامة
 ابن زهير عن أبي موسى قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 الله خلق آدم من قبضة قبضها من
 جميع الارض فجاء بنو آدم على
 قدر الارض منهم الابيض والاجر
 والاسود وبين ذلك الخبيث والطيب
 والسهل والحزن وبين ذلك ورواه
 أبو داود والترمذى من طرق عن
 عوف الاعرابي به وقال الترمذى
 هذا حديث حسن صحيح وقوله
 تعالى ومن آياته ان خلق لكم من
 أنفسكم أزواجا أي خلق لكم من
 جنسكم انا ان تكون لكم أزواجا

على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها قال النحاس الأولى اثبات الباء في الجوابي
ومن حذف الباء قال سبيل الالف واللام أن يدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها فلما
كان يقال جواب ودخلت الالف واللام أقر على حاله فحذف الباء قال الكسائي يقال
جبت الماء وجبته في الحوض أي جمعته والجبابة الحوض الذي يجبي فيه الماء للابل
وقال النحاس والجبابة القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير الذي يجبي فيه الشيء أي
يجمع ومنه جببت الخراج وحببت الجراد جمعته في الكساء وقال ابن عباس كالجوبة من
الارض (وقد ورر راسيات) قال ابن عباس أنها فيها منها وقال قتادة هي قدور النحاس
تكون بفارس وقال النحاس هي قدور تحت من الجبال الصم علمتها الشياطين ومعنى
راسيات ثبات لا تحمل ولا تحرك لعظمها وكان بعد اليها بالسلام وكانت باليمن قيل
انها باقية بها الى الآن ثم أمرهم سبحانه بالعمل الصالح على العموم سليمان وأهله فقال
(اعملوا آل داود شكرًا) أي وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكر الله على ما آتاكم
أو اعملوا أعمالا لشكر الله على انه صفة مصدر محذوف أو اعملوا للشكر على انه مفعول له أو حال
أي شاكرين أو مفعول به وصيبت الطاعة شكر الانها من جملة أنواعه أو منصوب على
المصدرية بفعل مقدر من جنسه أي اشكروا وشكرا قيل المراد بالآل داود نفسه وقيل
داود وسليمان وأهل بيته وقيل المعنى ارجوا أهل البلاء واسألوا ربكم العافية وسئل
الجنيد عن الشكر فقال بذل الجهد بين يدي المعبود ثم بين بعد أمرهم بالشكر ان
الشاكرين لهم من عباده ليسوا بكثير فقال (وقليل من عبادي الشكور) أي العامل
بطاعتي الشاكرين قليل وقال ابن عباس يتبول قليل من عبادي الموحدين فوحدهم
والشكور المتوفرون على أداء الشكر الباذل وسعة فيه قد شغل بقلبه ولسانه وجوارحه
اعتقادا واعترافا وكذا وعن ابن عباس من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر
على الشكر ومن يرى عجزه عن الشكر وعن داود عليه السلام انه جرت ساعات الليل
والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما
قضينا عليه الموت) أي حكمتنا على سليمان به وبالزمنه اياه (ماد لهم) أي الجن (على موه
الادابة الارض) يعني حتى أكلت الارض عصاه فخرمها وهي دوية يقال لها سرفة وقرئ
الارض بفتح الراء أي الاكل يقال أرضت الخشبة أرضا اذا اكلتها الارض (تأكل
منسأته) قال البخاري يعني عصاه أي عصاه التي كان متكئا عليها والمنسأة العصا بلغة
الخشبة أو هي مأخوذة من نسأت الغنم أي زجرتها قال الزجاج المنسأة التي ينسأها أي
يطرد قرأ الجمهور منسأته بهمزة مفتوحة وقرئ بهمزة ساكنة وبالف محضة قال المبرد
بعض العرب تبدل من همزتها ألفا فلما اكلتها الارض شكرتم الجن وأجوبوها فهم
يأتونهم بالماء والطين في خروق الخشب وزاد السدي وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام
والشراب لا تينالك بهما (فلما خرت) أي سقط سليمان (تبينت الجن) أي ظهر لهم وانكشف
من تبينت الشيء اذا علمته أي علمت الجن (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين) أي لو صح ما يزعمونه من انهم يعلمون الغيب لعلوا بموته ولم يلبثوا بعد موته مدة

لنسكنوا اليها كما قال تعالى هو
الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها يسكن اليها
يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم
من ضلعه الا قصر الايسر ولوانه
تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورا
وجعل اناتهم من جنس آخر من
غيرهم امامن جان أو حيوان لما
حصل هذا الاختلاف بينهم وبين
الازواج بل كانت تحصل تفرقة لو
كانت الازواج من غير الجنس ثم
من تمام رحمة بني آدم ان جعل
أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم
مودته وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة
فان الرجل يسأ المرأة المحبته
لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه
ولداً ومحتاجا اليه في الاتفاق أو
للألقة بينهما وغير ذلك ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون (ومن
آياته خلق السموات والارض
واختلاف ألستكم وألوانكم
ان في ذلك لايات للعالمين ومن آياته
منامكم بالليل والنهار وابتغواكم
من فضله ان في ذلك لايات لقوم
يسمعون) يقول تعالى ومن آياته
الدالة على قدرته العظيمة خلق
السموات والارض أي خلق
السموات في ارتفاعها واتساعها
وسقوف اجرامها وزهارة

طويلة في العذاب أي العمل الذي أمرهم به والطاعة له وهو اذ ذلك ميت قال مقاتل
العذاب المهين الشقاء والنصب في العمل قال الواحدى قال المفسرون كانت الناس في
زمان سليمان يقولون ان الجن تعلم الغيب فلما مكث سليمان قائماً على عصاه حولاميتا
والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى
اكلت الارض عصاه فخرميتا فعلموا بموته علم الناس ان الجن لا تعلم الغيب ويجوز ان
يكون تبينت من تبين الشيء لان تبين الشيء أي ظهر وتجلي وان وما في حيزها بدل
اشتمال مع تقدير محذوف أي ظهر أمر الجن للناس انهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين قرأ الجمهور تبينت على البناء للفاعل مسنداً الى الجن وقرأ ابن عباس
وغيره على البناء للفعول ومعنى القراءة تبين يعرف مما قدمنا قال ابن عباس لبث سليمان
على عصاه حولاً بعد مائة ثم خر على رأس الحول فأخذت الجن عصي مثل عصاه ودابة
مثل دابته فارسلوها عليها فاكلتها في سنة وكان ابن عباس يقرأ فلما خرت تبينت الانس قال
سفيان وفي قراءة ابن مسعود وهم يدأون له حولاً واخرج البزار وابن جرير وابن المنذر
والطبراني وابن السني وغيرهم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كان
سليمان اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لها
انت فتقول لكذا وكذا فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فصلى ذات يوم
فاذا شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاى شئ انت قالت خراب
هذا البيت قال لها سليمان ما كان الله ليخرجه وأنا حى أنت التي على وجهك هلاكى
وخراب بيت المقدس ثم زرعها وغرستها في حائط له ثم قال سليمان اللهم عمم عن الجن موتى
حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فهاى عصى فتوكل عليها وقضه الله وهو متسكى
عليها فكثت حولاميتا والجن تعمل فاكلتها الارصة فسقطت فعلموا عند ذلك بموته
فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وكان ابن عباس
يقروها كذلك فشكرت الجن للارضة فأيما كانت يأتونها بالماء وأخرج الحاكم وصححه
عن ابن عباس موقوفاً وأخرج الديلمي عن زيد بن أرقم مرفوعاً يقول الله انى تفضلت
على عبادى بثلاث القيت الدابة على الحبة ولولا ذلك لكثرها المسلول كما يكثر زون الذهب
والفضة والقيت التين على الجسد ولولا ذلك لم يدفن حبيب حبيبته واستلبت الحزن ولولا
ذلك لذهب النسل ذكر أهل التاريخ ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفي
الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل ان داود أسس بناء بيت المقدس في موضع فسقط
موسى فمات قبل ان يتم فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره
سنة سأل ربه ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا عنه ولتبطل دعواهم على الغيب روى ان
افر يدون جاءه بعد كرسية فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعده
ان يدنونه ولما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين
لها والمقصود من ذكر هذه القصة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرها القوم لعلمهم

كواكبها ومجومها الثواب
والسيارات وخلق الارض في
انخفاضها وكتافتها وما فيها من
جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان
وأشجار وقوله تعالى واختلاف
أسنتكم يعنى اللغات فهو لاء بلغة
العرب وهو لاء تر لهم لغة أخرى
وهو لاء كرج وهو لاء روم وهو لاء
فرنج وهو لاء بربر وهو لاء تكرور
وهو لاء حبشة وهو لاء هندود وهو لاء
بجم وهو لاء عسقلانية وهو لاء جزر
وهو لاء أرمن وهو لاء أكراد الى
غير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى من
اختلاف لغات بني آدم واختلاف
ألوانهم وهى حلاهم بجميع أهل
الارض بل أهل الدنيا منذ خلق الله
آدم الى قيام الساعة كل له عينان
وحاجبان وأنف وجبين وفم وخذان
وليس يشبه واحد منهم الآخر بل
الأبدان مفارقة بشئ من السمات
أو الهيئة أو الكلام ظاهراً كان
أو خفياً يظهر عند التامل كل وجه
منهم أسلوب بذاته وهيمته لا تشبه
أخرى ولو توافق جماعة من جمال
أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد
منهم وبين الآخر ان فى ذلك آيات
للعالمين ومن آياته منامكم بالليل
والنهار وابتغواكم من فضله اى
ومن الآيات ما جعل الله من صفة

يتعظون وينزحرون ويعتبرون بها فقال (لقد كان لسبأ) المراد بها القبيلة التي هي من أولاد سبأ وهو سبأ بن يشجب بضم الجيم بن يعرب بن قحطان بن هود قرأ الجمهور لسبأ بالتسوية على انه اسم حتى اى الحى الذين هم اولاد سبأ وقرئ لسبأ ممنوع الا صرف بتأويل القبيلة ويقوى القراءة الاولى قوله (في مسكنهم) ولو كان على تأويل القبيلة لقال في مسكنها وقرأ الجمهور على الجمع واختار هذه القراءة أبو عبيد وابو حاتم ووجه الاختيار انها كانت لهم منازل كثيرة ومساكن متعددة وقرئ بالافراد ووجه الافراد انه مصدر يشمل القليل والكثير واسم مكان وأريد به معنى الجمع وهذه المساكن التي كانت لهم هي التي يقال لها الآن مأرب وبيتها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال وكانت أخصب البلاد وقد أخرج احمد والبخارى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم عن فروة بن مسيك المرادى قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألا أقاتل من ادبر من قومي بمن اقبل منهم فأذن لي في قتالهم وأمرني فلما خرجت من عنده أرسل في أثرى فردني فقال ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تجمل حتى أحدث اليك وانزل في سبأ ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبأ ارض أم امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب قتيان من منهم ستة وتشام منهم اربعة فأما الذين تشاموا فخنم وخدام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وجير وكندة وسنج وأعمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خنم وبجيلة واحرج احمد وعبد بن حميد والطبراني وابن عدى والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس نحوه بأخصر منه (آية) اى علامة دالة على كمال قدرة الله وبديع صنعته بملحظة احوالها السابقة وهي نضارتها وخصها وثمارها واللاحقة كتبديلها وعدم ثمرها ثم بين هذه الآية فقال (جنسان) اى جاعتان من البساتين (عن يمين وشمال) اى وهاتان الجنتان كما عن يمين واديهن وشماله قد احاطتا به من جهته وقيل عن يمين من اتاهما وشماله وكانت مساكنهم في الوادى وكل طائفة من تلك الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنحة واحدة والآية هي الجنتان كانت المرأة تمشى فيه وعلى رأسها المكمل فيتملى من انواع الفواكه التي يتساقط من غير ان تمسها بيدها وقال عبد الرحمن بن زيدان الآية التي كانت لاهل سبأ في مساكنهم لم ير وفيها بعوضة ولا ذبابة ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا حية ولا غير ذلك من الهوام واذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل ماتت عند رؤيتهم لبيوتهم قال القشيري ولم يرد جنتين اثنتين بل أراد من الجهتين يمنة ويسرة في كل جهة بساتين كثيرة وأشجار وثمار ترانس ترانس الناس بظلالها (كلوا من رزق ربكم) اى قيل لهم ذلك وهذا الامر للاذن والاباحة وقيل لم يكن ثم أمر ولكن المراد تمكينهم من ذلك النعم والاول أظهر وقيل انها قالت لهم الملائكة وقيل انهم خوطبوا بذلك على لسان نبيهم والمراد بالرزق هو ثمار الجنتين (واشكروا لله على) ما رزقكم من هذه النعم واعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه (بلدة طيبة) مستأنفة لبيان موجب الشكر والمعنى هذه بلدة طيبة فكثيرة أشجارها وطيبة ثمارها وقيل معنى كونها طيبة انها غير سبخة وقيل ليس فيها

النوم في الليل والنهار فيه يحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب وجعل لكم الاتسار والسعي في الاسباب والاسفار في النهار وهذا ضد النوم ان في ذلك لايات لقوم يسمعون أى يعون قال الطبراني حدثنا حجاج بن عمران السدي حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي حدثنا محمد بن عبد الله بن علاقة حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان سمعت عبد الملك بن مروان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال أصابني أرق من الليل فشكوت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حي قيوم يا حي يا قيوم اهد لي لي فقلت يا فذهب عني (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ثم اذاعاكم دعوة من الارض اذ أنتم تحت رجون) يقول تعالى ومن آياته الدالة على عظمته انه يريكم البرق خوفا وطمعا اى تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار من عجة وصواعق مقلقة

هو ام لطيب هو انما قال مجاهد هي صنعاء وقبل كانت على ثلاثة فراسخ من صنعاء
 وفي المصباح يطلق البلد والبلدة على كل موضع من الارض عامرا كان أو خلا (ورب
 عفور) أي المنعم بهم اعلمهم رب عفور لذنوبهم فجمع لهم بين المغفرة وطيب البلدة ولم يجمع
 ذلك لجميع خلقه وقال مقاتل المعنى وربكم ان شكرتم فيما رزقكم رب عفور للذنوب
 وقيل انما جمع لهم بين طيب البلدة والمغفرة للاشارة الى ان الرزق قد يكون فيه حرام
 قرئ بنصب بلدة وربا على تقدير اسكنوا بلدة واشكروا ربا ثم ذكر سبحانه ما كان منهم
 بعد هذه النعمة التي انعم بها عليهم فقال (فأعرضوا) عن الشكر وكفروا بالله وكذبوا
 انبياءهم قال السدي بعث الله الى أهل سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وكذا قال وهب
 وزادوا قالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا ربكم فليجس هذه النعمة عنان استطاع
 فذلك اعراضهم ثم ما وقع منهم الاعراض عن شكر النعمة ارسل الله عليهم نقمة سلب
 بها ما انعم به عليهم كما قال (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وذلك ان الماء كان يأتي ارض سبأ
 من اودية اليمن فرد ما بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة ابواب
 بعضها فوق بعض وكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث فأخصبوا
 وكثرت اموالهم فلما كذبوا رسلهم بعث الله جردا ففتقت ذلك الردم حتى انتقض فدخل
 الماء جنتهم فغرقها ودفن السيل بيوتهم فهذا هو سيل العرم وهو جمع عرمة وهي السكر
 التي تحبس الماء وكذا قال قتادة وغيره وقال السدي العرم اسم للسد والمعنى ارسلنا عليهم
 سيل السد العرم وقال عطاء العرم اسم الوادي وقال الزجاج العرم اسم الجرد الذي نقب
 السد عليهم وهو الذي يقال له الخلد فنسب السيل اليه لكونه سبب جريانه قال ابن
 الاعرابي العرم من اسماء الفاروق وقال مجاهد وابن نجيم العرم ماء احمر ارسله الله في السد
 فشققه وهدمه وقيل ان العرم اسم المطر الشديد وقيل اسم للسيل الشديد والعرامة في
 الاصل الشدة والشراسة والصعوبة يقال عرم فلان اذا تشدد وتصبع وروى عن ابن
 الاعرابي انه قال العرم السيل الذي لا يطاق وقال المبرد العرم كل شئ حاجر بين شيئين
 وعن ابن عباس قال العرم الشديد وعنه قال واد كان باليمن كان يسيل الى مكة (وبدلناهم
 بجنتهم جنتين) اي اهلكنا جنتهم اللتين كانتا مشقتين على قات الفواكه الطيبة
 والانواع الحسنة واعطيناهم بدلها جنتين لا خير فيهما ولا فائدة لهم فيما هو نابت فيهما
 ونسيتهما جنتين تمكهم بهم على طريق المشاكلة ولهذا قال (ذواتي) تمنية ذوات مفرد
 على الاصل لان اصله ذوية قالوا وعين الكلمة والياء لامها لانه مؤنث ذو وذو أصله ذوى
 فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلت الفاء فصارت ذوات ثم حذف الواو وتحققت في تنيته
 وجهان تارة ينظر للفظه الا ان فيقال ذاتان وتارة ينظر له قبل حذف الواو فيقال ذواتان
 وقال السمين في تمنية ذات لغتان احدهما الرد الى الاصل فان اصله ذوية فالعين واو
 واللام ياء لانها مؤنثة وذو والثانية تنيته على اللفظ فيقال ذاتان (اكل خبط) قرئ بتووين
 اكل وعدم اضافته الى خبط وقرئ بالاضافة والاولى اولى قال الخليل الخبط ضرب من
 الارال وله جل يوكل وبه قال ابن عباس وكذا قال كسيري من المفسرين وقال ابو عبيدة

وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده
 من المطر المحتاج اليه ولهذا قال
 تعالى وينزل من السماء ماء فيحيي
 به الارض بعد موتها اي بعد
 ما كانت هامدة لانبات فيها ولا شئ
 فلما جاءها الماء اهتزت وربت
 وأنبت من كل زوج بهيج وفي ذلك
 عبرة ودلالة واضحة على المعاد
 وقيام الساعة ولهذا قال ان في
 ذلك لايات لقوم يعقلون ثم قال
 تعالى ومن آياته ان تقوم السماء
 والارض بأمره كقوله تعالى ويمسك
 السماء ان تقع على الارض الا بذنه
 وقوله ان الله يمسك السموات
 والارض أن تزولا وكان عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه اذا جهت في
 اليمن قال والذي تقوم السماء
 والارض بأمره أى هي قائمة ثابتة
 بأمره لها وتسخيره اياها ثم اذا كان
 يوم القيامة بدلت الارض غير
 الارض والسموات وخرجت
 الاموات من قبورها أحياء بأمره
 تعالى ودعائه اياهم ولهذا قال تعالى
 ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا
 أنتم تخرجون اي من الارض كما
 قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون
 بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا
 وقال تعالى فانما هي زجرة واحدة
 فاذا هم بالساهرة وقال تعالى ان
 كانت الاصيحة واحدة فاذا هم

الخط كل شجرة مرة ذات شوك وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش
يتفرك ولا ينتفع به وقال الزجاج كل نبت فيه حرارة لا يمكن أكله وقال المبرد كل شيء يغير
الى ما لا يشتهي يقال له خط ومنه اللبن اذا تغير والخط اسم للمر والحامض من كل شيء
والخط نعت لا كل او بدل منه لان الاكل هو الخط بعينه وقال الاخفش الاضافة
احسن في كلام العرب مثل ثوب خز ودار آجر والاولى تفسير الخط بما ذكره
الخليل ومن معه قال الجوهرى الخط ضرب من الاراك له جبل يؤكل (وَأَثَلُ)
هو الشجر المعروف الشبيه بالطرفاء كذا قال الفراء وغيره قال الا انه أعظم من الطرفاء
طولا وورقه كورق الطرفاء ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الواحدة
أثله والجمع أثلات وقال الحسن الأثل الخشب وقال أبو عبيدة هو شجر النظار والاولى
والأثر للأثل (وشئ من سدر قليل) السدر شجر معروف قال الفراء هو السمرة وقال
الزهري السدر من الشجر سدران برى لا ينتفع به ولا يصلح للغسول وله ثمر عققص لا يؤكل
وهو الذي يسمى الضال والثاني سدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه يغسول يشبه
شجر العناب قيل ووصف السدر بالقلة لان منه نوعا يطيب أكله وهو النوع الثاني الذي
ذكره الازهرى ولذا يغرس في البساتين قال قتادة ينسا شجرهم من خير شجر اذ صيره الله من
شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثرة وأبنت بدلها الاراك والطرفاء والسدر
ويحتمل ان يرجع قوله قليل الى جميع ما ذكر من الخط والأثل والسدر والاشارة بقوله
(ذلك) الى ما تقدم من التبديل او الى المصدر (جزيناهم عما كفروا) أى ذلك التبديل
أو ذلك الجزاء بسبب كفرهم للنعمة باعراضهم عن شكرها (وهل يجازى الا الكفور)
أى وما يجازى هذا الجزاء بسبب النعمة ونزول النعمة الا الشديدا الكفر المتبالغ قرأ
الجمهور بضم التحتية وفتح الزاى على البناء للمفعول وقرئ بالنون وكسر الزاى
مبني للفاعل وهو الله سبحانه والكفور على الاولى مرفوع وعلى الثانية منصوب وظاهر
الآية انه لا يجازى الا الكفور مع كون أهل المعاصي يجازون وقد قال قوم ان معنى
الآية انها لا يجازى هذا الجزاء وهو الاضطلاع والاهلاك الامن كفر وقال مجاهد ان
المؤمن تكفر عنه سيئاته والكافر يجازى بكل عمل عمله وقال طاروس هو المناقشة
في الحساب وأما المؤمن فلا يناقش وقال الحسن ان المعنى انه يجازى الكافر بما عمل
ورجح هذا الجواب النحاس (وجعلنا بينهم) أى وكان من قصتهم ان جعلنا بين مساكنهم
قبل ارسال السبل عليهم (وبين القرى التي باركنا فيها) بالماء والشجر وهي قرى الشام
يعنى الارض المقدسة قاله ابن عباس (قرى ظاهرة) أى متواصلة عامرة مخصصة وكان
متجرهم من أرضهم التي هي مأرب الى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقيمون بأخرى حتى
يرجعوا وكانوا يحتاجون الى زاد يجهلونه من أرضهم الى الشام فهذا من جهة الحكاية
لما أنعم الله به عليهم قال الحسن ان هذه القرى هي بين اليمن والشام قيل انها كانت أربعة
آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبأ الى الشام وقيل هي بين المدينة والشام قال المبرد
القرى الظاهرة هي المعروفة وانما قيل لها ظاهرة لظهورها اذا خرجت من هذه ظهرت

جميع الذين هم حضرون (وله من في
السموات والارض كل له قاتون
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
أهون عليه وله المثل الأعلى في
السموات والارض وهو العزيز
الحكيم) يقول له تعالى وله من في
السموات والارض أى ملكه
وعبيده كل له قاتون أى خاضعون
خاشعون طوعا وكرها وفي حديث
دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد
مرفوعا كل حرف يذ كرفيه القنوت
في القرآن فهو الطاعة وقوله وهو
الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون
عليه قال ابن أبي طلحة عن ابن
عباس يعنى أيسر عليه وقال مجاهد
الاعادة أهون عليه من البداية
والبداءة عليه هينة وكذا قال
عكرمة وغيره وروى البخارى حدثنا
أبو اليمان اخبرنا شعيب اخبرنا
أبو الزناد عن الأعرج عن أبي
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك
وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياى فقول له لن يعيدنى كما بدأنى
وليس أول الخلق بأهون على من
اعادته وأما شتمه اياى فقول له اتخذ
الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

لك الأخرى فكانت قرى ظاهرة أى معروفة يقال هذا أمر ظاهر أى معروف وقيل
ظاهرة لا عين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقدرنا
فيها السير) أى جعلنا السير من القرية إلى القرية ومن المنزل إلى المنزل مقدرًا معينا
واحدًا وذلك نصف يوم في الغدو والروح فإذا صاروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه
وأشجار فكان ما بين العين والشام كذلك كما قال المفسرون قال القراء أى جعلنا بين كل
قرية نصف يوم حتى يكون المقيبل في قرية والمبيت في أخرى إلى أن يصل إلى الشام
وإنما يبلغ الإنسان في السير لعدم الزاد والماء وخوف الطريق فإذا وجد الزاد والامن
لم يحمل نفسه المشقة بل ينزل أينما أراد والحاصل أن الله سبحانه عدده عليهم النعم ثم ذكر
ما نزل بهم من النعم ثم عاد لتعدد بقية ما أنعم به عليهم مما هو خارج عن بلدتهم من اتصال
القرى بينهم وبين ما يريدون السفر إليه ثم ذكر بعد ذلك تبدله بالمفاوز والبراري كما سيأتي
(سير وفيها) أى قلنا لهم سيرا في تلك القرى المتصلة فهو أمر متكبر أى ومكافئهم من
السير فيها متى شأوا وفي لفظ في أشعار بشدة القرب حتى كأنهم لم يخرجوا من نفس
القرى قال ابن عباس أى إذا ظعنوا من منازلهم إلى أرض الشام المقدسة (ليالي وأياما
آمنين) مما تخافونه وقال قتادة كانوا يسرون غير طائفين ولا جبايع ولا ظمأ كانوا
يسرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضا ولو نقي الرجل قاتل أبيه لم
يحركه قيل وأتى بلفظ النكرة تنبيها على قصر أسفارهم أى كانوا لا يحتاجون إلى طول
السفر لوجود ما يحتاجون إليه ثم ذكر سبحانه أنهم لم يشكروا والنعمة بل طلبوا التعب
والكد (فقالوا ربنا عديب أسفارنا) وكان هذا القول منهم بطرا وطمعنا بالناسموا
النعمة ولم يصبروا على العاقبة فتمنوا طول الأسفار والتباعدين الديار وسألوا الله تعالى
أن يجعل بينهم وبين الشام مكان تلك القرى المتواصلة الكثير الماء والشجر والامن
من المفاوز والقفار والبراري المتساعدة الاقطار فأجابهم الله إلى ذلك وخرب تلك القرى
المتواصلة وذهب بما فيها من الخير والماء والشجر فكانت دعوتهم هذه كدعوة بني
اسرائيل حيث قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها الآية مكان
المن والسلوى وكقول النضر بن الحرث اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء الآية قرأ الجمهور ربنا بالنصب على أنه منادى مضاف وقرأوا أيضا
باعد وقرئ بعد بتشديد العين وقرأ ابن السميع بضم العين فعلا ماضيا فيكون معنى
هذه القراءة الشكوى من بعد الأسفار وقرئ ربنا بالرفع وباعد بفتح العين على أنه فعل
ماض على الابتداء والخبر والمعنى لقد باعد ربنا بين أسفارنا ورويت هذه القراءة عن
ابن عباس واختارها أبو حاتم وقال لأنهم ما طلبوا التباعد عما طلبوا أقرب من ذلك
القرب الذي كان بينهم وبين الشام بالقرى المتواصلة بطرا وأشرا وكفر بالنعمة وقرئ ربنا
بالرفع وبعد بفتح العين مشددة والمعنى على هذه القراءة الشكوى بأن ربهم بعد بين
أسفارهم مع كونها قريبة متصلة بالقرى والشجر والماء فيكون هذا من جملة بطرهم وقرأ
أخوه الحسن البصري كقراءة ابن السميع السابقة مع رفع بين على أنه الفاعل كما قيل في

انفرد بانحراجه البخارى كما انفرد
بروايته أيضا من حديث عبد
الرزاق عن معمر عن همام عن ابى
هريرة به وقدرناه الامام أحمد
منفرد به عن حسن بن موسى عن
ابن لهيعة حدثنا أبو يونس سليم بن
جبير عن ابى هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم نحوه أو مثله وقال
آخرون كلاهما بالنسبة إلى القدرة
على السواء وقال العوفي عن ابن
عباس كل عليه هين وكذا قاله
الربيع بن خثيم ومال النه ابن جرير
وذكر عليه شواهد كثيرة قال ويحتمل
أن يعود الضمير في قوله وهو أهون
عليه إلى الخلق أى وهو أهون
على الخلق وقوله المثل الأعلى
في السموات والأرض قال علي بن
أبي طلحة عن ابن عباس كقوله تعالى
ليس كمثل شئ وقال قتادة مثله أنه
لا اله الا هو ولا رب غيره وقال مثل
هذا ابن جرير وقد أتشد بعض
المفسرين عند ذكر هذه الآية
لبعض أهل المعارف

إذا سكن الغدير على صفاء

وجنب ان يحركه النسيم
يرى فيه السماء بلا امتراء

كذلك الشمس تبدو والنجوم
كذلك قلوب أرباب التجلي

يرى في صفوها الله العظيم

قوله لقد تقطع بينكم وروى الفراء والزجاج قراءة مثل هذه القراءة لكن مع نصب بين على انه ظرف والتقدير بعد سيرنا بين أسفارنا قال النحاس وهذه القراآت اذا اختلفت معانيها لم يجوز ان يقال احدهما أجود من الاخرى كما لا يقال ذلك في اخبار الآحاد اذا اختلفت معانيها ولكن أخبر عنهم بأنهم دعوا بهم ان يبعد بين أسفارهم فلما فعل ذلك شكوا وتضرروا وله مذا قال سبحانه (وظلموا أنفسهم) حيث كفروا بالله وطغوا وبطروا ونعمته وتعرضوا لنقمته (جعلناهم آحادا) يتحدث الناس باخبارهم وعبرة لمن بعدهم والاحاديث جمع حديث بمعنى الخبر كما في القاموس والمعنى جعلناهم ذوى آحادا يتحدث بهم من بعدهم تعجبا من فعلهم وأمرهم وشأنهم واعتبار ايجالهم وعاقبتهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم في كل وجه من البلاد لكل التفرق بحيث لا يتوقع بعده عود اتصال وهذه الجلة مبينة لجعلهم آحادا وذلك ان الله سبحانه لما أغرق مكانهم وأذهب جنتهم تفرقوا في البلاد فصارت العرب تضرب بهم الامثال فتقول تفرقوا أيدي سبا وذبحوا أيادي سبا والأيدي ههنا بمعنى الاولاد لانهم يعتضد بهم وفي المفصل الأيدي النفس كناية أو مجاز قال في الكشف وهو أحسن قال الشعبي فلحقت الانصار بعنى الاوس والخزرج يثرب وغسان بالشام والازديعمان وخزاعة بنهامة وكان الذى قدم منهم المدينة عمر بن عامر وهو جد الانصار ولحق آل خزيمية بالعراق (ان في ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم وما فعل الله بهم (آيات) بينات وعبر اظاهرات ودلالات وانجيات (لكل صبار شكور) أى لكل من هو كثير الصبر عن المعاصي والشكر لله على نعمه وخص الصبار والشكور لانهم المتفان بالمواعظ والآيات (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه) قرئ بتخفيف صدق ونصب ظنه قال الزجاج وهو على المصدر أى صدق وظن ظنه أى صدق في ظنه أو على الظرفية والمعنى انه ظن بهم انه اذا اغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك وقرئ صدق بالتشديد وظنه بالنصب على انه مفعول به وقال أبو على الفارسي أى صدق الظن الذى ظنه قال مجاهد ظن ظنا فصدق ظنه فكان كظن وقرئ صدق بالتخفيف والابليس بالنصب وظنه بالرفع وقد أجاز هذه القراءة الفراء وذكرها الزجاج وجعل الظن فاعل صدق وابلis مفعوله والمعنى ان ابليس سول له ظنه شيئا فيهم فصدق ظنه فكانه قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس قيل وهذه الآية خاصة باهل سبا والمعنى انهم غير او بدلو بعد ان كانوا اقد آمنوا بما جاءت به رسالتهم وقيل هي عامة أى صدق ابليس ظنه على الناس كلهم الامن أطاع الله فآله مجاهد والحسن قال الكلبى انه ظن انه ان اغواهم أجابوه وان أضلهم أطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه قال الحسن ما ضرب بهم بسوط ولا بعصى وانما ظن ظنا فكان كمن ظن بوسوسته وعن ابن عباس في الآية قال قال ابليس ان آدم خلق من تراب ومن طين ومن جمامسنون خلقا ضعيفا وانى خلقت من نار والنار تحرق كل شئ لا حتمتكن ذريته الا قليلا قال فصدق ظنه عليهم وانتصاب (الافريقان المؤمنان) على الاستثناء وفيه وجهان أحدهما ان يراد به بعض المؤمنين لان كثير من المؤمنين يذنب ويتقاد لا بليس في بعض المعاصي ولم يسلم منه الا فريق وهم الذين قال الله فيهم ان عبادى

وهو العزيز الذى لا يغالب ولا يمانع بل قد غلب كل شئ وقهر كل شئ بقدرته وسلطانه الحكيم فى أقواله وأفعاله شرعا وقدرنا وعن مالك فى تفسيره المروى عنه عن محمد بن المنكدر فى قوله تعالى وله المثل الأعلى قال لا اله الا الله (ضرب لكم مثلا من أنفستكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخفتكم أنفستكم كذلك تفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله ومالهم من ناصرين) هذا مثل ضرب به الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون ان شركاءه من الاصنام والانداد عباده ملك له كما كانوا يقولون ليس لك الا شريكك الا شريكاهولك تملكه ومالك فقال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم أى تشبهونوه وتفهمونه من أنفستكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء أى يرضى أحدكم ان يكون عبده شريكه فى ماله فهو وهو فيه على السواء تخافونهم كخفتكم أنفستكم أى تخافون ان يقاسموا نكتم الاموال قال ابو محرز

ليس لك عليهم سلطان وقيل المراد به المؤمنون كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين على ان تكون من بيانية (وما كان له عليهم من سلطان) أي من تسلط عليهم أي لم يكرههم على الكفر وانما كان منه الدعاء والوسوسة والترتين وقيل الضمير في عليهم يعود على من صدق عليهم ظن بالميس وعلى الفريقين المؤمنين وقيل السلطان القوة وقيل الحجة والاستثناء في قوله (الانعلم) منقطع والمعنى لاسلطان له عليهم ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم وقال الفراء المعنى الانعلم ذلك عندكم وقيل الاتعلموا انتم وقيل ليعلم ألياً وناو الملائكة وقرئ ليعلم على البناء للمفعول والاي حمل العلم هنا على التمييز والظهار كاذرنا وقيل الانعلم موجودا معلناه معدوما والتغير على المعلوم لاعلى العلم وقيل هو متصل مفرغ من أعم الاحوال أي ما كان له تسلط عليهم بحال من الاحوال ولاعله من العلل الالتميز (من يؤمن بالآخرة عن هومنها في شك) لانه سبحانه قد علم ذلك علماً أزلياً (وربك على كل شيء حفيظ) أي محافظ عليه فاللفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذا جهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز قال مقاتل علم كل شيء من الايمان والشك (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) قرئ قل بكسر اللام على أصل التخلص من التقاء الساكنين وبضمها اتباعاً للضمعة العين والدال بينهما حاجز غير حصر لسكونها وهما اقراءتان سبعيتان وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول لكفار قريش أولئك كفار على الاطلاق هذا القول ومفعولاً زعمتم محذوفان أي زعمتموهم آلهة لدلالة السياق عليهم ما قال مقاتل يقول ادعوه هم ليكشفوا عنكم الضمير الذي نزل بكم في سبني الجوع ثم أجاب سبحانه عنهم فقال (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) أي ليس لهم قدرة على خير ولا شر ولا على جلب نفع ولا دفع ضرر في أمر من الامور وذكر السموات والارض لقصده التعميم لكونهم ما طرف الموجودات الخارجية (ومالهم فيها من شرك) أي ليس للآلهة في السموات والارض مشاركة لا بالخلق ولا بالملك ولا بالتصرف (ومالهم منهم من ظهير) أي ومالته سبحانه من تلك الآلهة من معين يعينه على شيء من أمور السموات والارض ومن فيهما بل هو المتفرد بالابجد فهو الذي يعبد ويعبادة غيره محال (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كما تنقلن أذن له ان يشفع من الملائكة والنبين ونحوهم من أهل العلم والعمل ومعلوم أن هؤلاء لا يشفعون الا لمن يستحق الشفاعة لا للكافرين ويجوز ان يكون المعنى لا تنفع الشفاعة من الشفاعة المتأهلين لها في حال من الاحوال الا كما تنقلن أذن له أي لا حله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة لهم لا من عداهم من غير المستحقين لها قيل والمراد بقوله لا تنفع الشفاعة انها لا توجد اصلاً الا لمن اذن له وانما علق النبي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها قرأ الجمهور أذن بفتح الهمزة أي أذن له الله سبحانه لان اسمه سبحانه مذكور قبل هذا وقرئ على البناء للمفعول والاذن هو الله سبحانه ومثل هذه الآية قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الاذنه وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ثم أخبر الله

ان عمالوك لا تخاف ان يقاسمك مالك وليس له ذلك كذلك الله لا شريك له والمعنى ان أحدكم يأنف من ذلك فكيف يجعلون لله الانداد من خلقه وهذا كقوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون أي من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناءاً وجعلوها بنات الله وقد كان أحدهم اذا بشر بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب فهم يأنفون من البنات وجعلوا الملائكة بنات الله ففسبوا اليه ما لا يرتضونه لانفسهم فهذا اغظ الكفر وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبده وخلقته وأحددهم بأبي غايه الآباء ويأنف غايه الانفة من ذلك ان يكون عبده شريكاً في ماله يساويه فيه ولو شاء لقاسمه عليه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً قال الطبراني حدثنا محمود بن الفرج الاصبهاني حدثنا اسمعيل بن عمرو الجبلي حدثنا حماد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يلي أهل الشرك لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكاً هـ ولك تملكه وما ملك فانزل الله تعالى

سبحانه عن خوف هؤلاء الشفعا والمشروع لهم فقال (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) قرئ مبني
 للمفعول والفاعل هو الله سبحانه وقرئ مبني للفاعل وفاعله ضمير يرجع الى الله سبحانه
 وكتبتا القراءتين بتشديد الزاي وفعل معناه السلب فالتفريع ازالة الفزع وقرئ خففا
 وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة من الفراغ والمعنى فرغ الله قلوبكم أى كشف
 عنها الخوف وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه افرقع من الافرنقاغ وهو التفرق قال قطرب
 معنى فزع اخرج ما فيها من الفزع وهو الخوف وقال مجاهد كشف عن قلوبهم الغطاء يوم
 القيامة وقال ابن عباس فزع جلي وهو التفرق والمعنى ان الشفاعة لا تكون من أحد من
 هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبيا والاصنام كأنهم كان الان يأذن
 الله سبحانه للملائكة والانبيا ونحوهم في الشفاعة لمن يستحقها وهم على غاية الفزع من
 الله كما قال تعالى وهم من خشية مشفقون فاذا اذن لهم في الشفاعة فرغوا ما يقترب تلك
 الحالة من الامر الهائل والخوف الشديد من أن يقع في تنفيذ ما اذن لهم فيه
 تقصيرا ويحدث شئ من اقدار الله فاذا سرى عنهم (قالوا) للملائكة فوقهم وهم الذين
 يوردون عليهم الوحي بالاذن (ماذا قال ربكم) أى ماذا أمر الله به (قالوا) أى فيقولون
 لهم قال القول (الحق) وهو قبول شفاعتكم للمستحقين لها دون غيرهم (وهو العلي
 الكبير) فله ان يحكم في عبادته بما يشاء ويفعل ما يريد ليس الملك ولا نبي أن يتكلم ذلك
 اليوم الا باذنه وان يشفع الامن ارتضى وقيل هذا الفزع يكون للملائكة في كل أمر
 يأمره الرب والمعنى لا تنفع الشفاعة الامن الملائكة الذين هم فزعون اليوم مطيعون
 لله دون الجادات والشياطين وقيل ان الذين يقولون ماذا قال ربكم هم المشفوع لهم
 والذين أجابوهم هم الشفعا من الملائكة والانبيا وقال الحسن وابن زيد ومجاهد معنى
 الآية حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين في الآخرة قالت لهم الملائكة ماذا
 قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل انما يفزعون حذرا
 من قيام الساعة وقيل كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت اخرج ابن أبي حاتم
 وابن مردويه عن ابن عباس قال لما أوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعا
 الرسول من الملائكة ليسعته بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما
 كشف عن قلوبهم سألو اعماما قال الله فقالوا الحق وقد علموا ان الله لا يقول الا حقا قال
 ابن عباس وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوا خروا وسجدوا فلما رفعوا
 رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وأخرج عبد بن حميد وابن
 المنذر وابن أبي حاتم أيضا عنه قال ينزل الامر الى السماء الدنيا لوقعة كوقعة السلسلة
 على الصخرة فيفزع له جميع أهل السموات فيقولون ماذا قال ربكم ثم يرجعون الى
 أنفسهم فيقولون الحق وهو العلي الكبير وأخرج الجارى وأبو داود والترمذى وابن
 ماجه وغيرهم من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا قضى الله
 الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كأنه سلسلة على صفوان
 ينقذهم ذلك فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلي

الكبير الحديث وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابن مسعود قال اذا تكلم
الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة بكرس السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا
يزالون كذلك حتى يأتيهم ثم جبريل فاذا جاء فرغ عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال
ربك فيقول الحق آخر جهه أبوداود والصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض
وفي معناها حديث ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يبكت المشركين ويوبخهم فقال (قل من
يرزقكم من السموات والارض) أي من ينعم عليكم بهذه الارزاق التي تتمتعون بها فان
آلهتكم لا يملكون مثقال ذرة والرزق من السماء هو المطر وما ينتفع به منها من الشمس
والقمر والنجوم والرزق من الارض هو النبات والمعادن ونحو ذلك ولما كان الكفار
لا يقدرون على جواب هذا الاستفهام ولا تقبل عقولهم نسبة هذا الرزق الى آلهتهم
وربما يتوقفون في نسبتها الى الله مخافة ان تقوم عليهم الحجج ثم أمر الله رسوله بان يجيب
عن ذلك فقال (قل الله) أي هو الذي يرزقكم من السموات والارض ثم أمره الله سبحانه
ان يخبرهم بانهم على ضلالة لكن على وجه الانصاف في الحجج بعدما سبق تقرير من هو
على الهدى ومن هو على الضلالة فقال (وانا وأياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)
والمعنى ان أحد القرينين من الذين يوحدون الله الخالق الرزق ويخصونه بالعبادة
والذين يعبدون الجادات التي لا تقدر على خلق ولا رزق ولا تنفع ولا ضرر لعلى أحد
الامر من من الهدى والضلالة ومعلوم لكل عاقل ان من عبد الذي يخلق ويرزق وينفع
ويضر هو الذي على الهدى ومن عبد الذي لا يقدري على خلق ولا رزق ولا تنفع ولا ضرر هو
الذي على الضلالة فقد تضمن هذا الكلام بيان فريق الهدى وهم المسلمون وفريق
الضلالة وهم المشركون على وجه ابلغ من التصريح وهذا من الكلام المنصف الذي
كل من سمعه من موال ومناف قال لمن خطب به قد أنصفك صاحبك قال المبرد ومعنى
هذا الكلام معنى قول المتبصر في الحجج لصاحبه أحدنا كاذب وقد عرف انه الصادق
المصيب وصاحبه الكاذب المخطئ انتهى وخولف بين حرفي الخبرين الذين على الهدى
والضلال لان صاحب الهدى كانه مستعمل على فرس جواد ركضه حيث شاء والضال
كانه ينغمس في ظلام لا يرى أين يتوجه قال المبرد أو عند البصر بين على بابها وليست
للسك لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا اذا لم يرد الخبران يبين وهو عالم بالمعنى
وقال أبو عبيدة والفرء هي بمعنى الواو وتقديره وانما على هدى واياكم لفي ضلال مبين قيل
أواياكم معطوف على اسم ان وخبرها هو المذكور وحذف خبر الثاني للدلالة عليه أي انا
لعلى هدى أو في ضلال مبين أو انكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ويجوز العكس وهو
كون المذكور خبر الثاني وخبر الاول محذوف كما في قوله والله ورسوله أحق ان يرضوه
ثم أورد في سببانه هذا الكلام المنصف بكلام ابلغ منه في الانصاف وأدخل فيه وأبعد من
الجدل والمشاغبة فقال (قل لا تسئلون عما أجرنا ولا نسئل عما تعملون) أي انما أدعوكم
الى ما فيه خير لكم وتوقع ولا يتالن من كفركم وتر ككم لا جابتي ضرر وهذا كقوله سبحانه
لكم دينكم ولي دين وفي اسناد الجرم الى المسلمين ونسبة مطلق العمل الى المخاطبين مع

لا اله غيره كما تقدم عند قوله تعالى
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم
قالوا بلى وسند ذكر الاحاديث ان الله
تعالى فطر خلقه على الاسلام ثم طرأ
على بعضهم الاديان الفاسدة
كالهندية والنصرانية والمجوسية
وقوله تعالى لا تبدل خلق الله قال
بعضهم معناه لا تبدلوا خلق الله
فتغيروا والناس عن فطرتهم التي
فطرهم الله عليها فيكون خبرا بمعنى
الطلب كقوله تعالى ومن دخله كان
آمنا وهو معنى حسن صحيح وقال
آخر ون هو خبر على بابها ومعناه انه
تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة
على الجبل المستقيمة لا يولد أحد
الاعلى ذلك ولا تفاوت بين الناس
في ذلك وله هذا قال ابن عباس
وابراهيم الخليل وسعيد بن جبير
ومجاهد وعكرمة وقتادة والبخاري
وابن زيد قوله لا تبدل خلق الله
أي لدين الله وقال البخاري قوله
لا تبدل خلق الله لدين الله خلق
الاولين الدين والفطرة الاسلام
حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا
يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة
ابن عبد الرحمن أن أباه ريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه

كون أعمال المسلمين من البر الخالص والطاعة المحضة وأعمال الكفار من المعصية البينة
 والاثم الواضح من الانصاف ما لا يقدر قدره والمقصود المهاندة والمشاركة وقد قيل
 نسخت هذه الآية وأمثالها بآية السيف ثم أمره سبحانه بان يهددهم بعذاب الآخرة
 لكن على وجه لا نصريح فيه فقال (قل يجمع بيننا ربنا) أي يوم القيامة (ثم يفتح بيننا
 بالحق) أي يحكمم ويقضى بيننا فيصيب المطيع ويعاقب العاصي (وهو الفتح) أي
 الحاكم بالحق القاضي بالصواب (العليم) بما يتعلق بحكمه وقضائه من المصالح الخليل وهذه
 أيضا منسوخة بآية السيف ثم أمره الله سبحانه أن يورد عليهم حجة أخرى ليطهر بها ما هم
 عليه من الخطا فقال (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) أي ألحقتموهم بالله شركاء له وهذه
 الرؤية هي القلبية فيكون شركاء هو المنعول الثالث ويجوز ان تكون هي البصرية
 ويكون شركاء منتصبا على الحال وأريد بأمرهم بارائه الاصنام مع كونهم اجراء منه صلى
 الله عليه وآله وسلم اظهار خطئهم واطلاعهم على بطلان رأيهم أي أرونيها لانظر رأي
 صفة فيها اقتضت الحاقها بالله تعالى في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبيين لعمق ما بعد
 الزامهم الحجة ثم رد عليهم ما يدعون به من الشركاء وأبطل ذلك فقال (كلا بل) أي ارتدعوا
 عن دعوى المشاركة بل المنفرد بالالهية (هو الله العزيز) بالقهر والغلبة (الحكيم)
 بالحكمة الباهرة (وما أرسلناك الا كافة للناس) في انتصاب كافة وجوه فقيل انه
 منتصب على الحال من الكاف في أرسلناك قال الزجاج أي وما أرسلناك الا كافة للناس
 بالانذار والبلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كعلامة قال أبو حيان ان
 اللغة لا تساعد عليه لان كلف ليس معناه جمع بل معنا منع يقال كلف يكلف أي منع يمنع
 والمعنى الامناع لهم من الكفر ومنه الكف لأنه يمنع من خروج ما فيه وقيل انه منتصب
 على المصدرية والهاء للمبالغة كالعاقبة والعاقبة والمراد انها صفة مصدر محذوف أي
 الرسالة كافة وقيل انه حال من الناس والتقدير وما أرسلناك الا للناس كافة وروايته
 لا تقدم الحال من المجرور عليه كما هو مقرر في علم الاعراب ويجاب عنه بأنه قد جوز ذلك أبو
 علي الفارسي وابن كيسان وابن برهان وابن مالكون ومن رجع كونها حالا من المجرور
 بعدها ابن عطية وقال قدمت للاهتمام والتقوى وردة الرخصى وقال خطأ وقال
 المحلى بل هو الصحيح وقيل المعنى الا اذا كفة أي ذامع حذف المضاف قيل اللام في الناس
 بمعنى الى أي ما أرسلناك الى الناس الا جماعا لهم بالانذار والبلاغ أو مانعاهم من الكفر
 والمعاصي عن قتادة قال أرسل الله محمدا الى العرب والجم فأكرمهم على الله أطوعهم له
 وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت خمس ما يعطون
 أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فإني مارجل من
 أمي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطي الشفاعة
 وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة أخرج به البخاري ومسلم وفيه
 اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وهذه درجة خص بها دون سائر
 الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام (بشيرا ونذيرا) حال أي مبشر اللهم بالجنة

يوم دانه أو نصرانه أو يجسائه كما
 تفتح البهيمية بهيمة جمعاء هل تحسون
 فيها من جدعاء ثم يقول فطرة الله التي
 فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
 الله ذلك الدين القيم ورواه مسلم من
 حديث عبد الله بن وهب عن يونس
 ابن يزيد الايلي عن الزهري به
 وأخرجه أيضا من حديث عبد
 الرزاق عن معمر بن همام عن أبي
 هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
 الله عليه وسلم وفي معنى هذا الحديث
 قد وردت أحاديث عن جماعة من
 الصحابة فمنهم الاسود بن سريع
 التميمي قال الامام أحمد حدثنا
 اسمعيل حدثنا يونس عن الحسن
 عن الاسود بن سريع قال آتيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وغزوت معه فاصبت ظفرا فقتل
 الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان
 فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال ما بال أقوام جاؤهم
 القتل اليوم حتى قتلوا الذرية
 فقال رجل يا رسول الله أما هم أبناء
 المشركين فقال لا انما خياركم أبناء
 المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية
 لا تقتلوا ذرية وقال كل نسمة تولد
 على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها

أوبالفضل لمن أقر ومنذر الهيم من النار أو بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما عند الله وما لهم من النفع في ارسال الرسل فيعلمهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى) يكون (هذا الوعد) الذي تعدونابه وهو قيام الساعة أخبرونابه (ان كنتم صادقين) قالوا هذا على طريقة الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين فامر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب عنهم فقال (قل لكم معاد يوم) أي ميعات يوم وهو يوم البعث وقيل وقت حضور الموت وقيل أراد يوم بدر لأنه كان يوم عذابهم في الدنيا وعلى كل تقدير فهذه الاضافة لليان وميعاد مصدر بمعنى الوعد وأسم زمان قال أبو عبيدة الوعد والوعيد والمعاد بمعنى (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي هذا الميعاد المضروب لكم لا تأخرون عنه بالاستمهال ولا تتقدمون عليه بالاستعجال بل يكون لا محالة في الوقت الذي قد قدر الله وقوعه فيه وهذا جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوا بسؤال الهيم من التعنت والانكار ثم ذكر سبحانه طرفا من قبائح الكفار ونوعا من أنواع كفرهم فقال (وقال الذين كفروا) يعني مشركي العرب (ان تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي بما أنزل قبل القرآن من كتب الله تعالى كالتوراة والانجيل أو القيامة أو الجنة والنار يعني انهم سبحانه وان يكون القرآن من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزء حقيقة ثم أخبر سبحانه عن حالهم في الآخرة فقال (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) الخطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أولئك من يصلح له والمعنى محبسون في موقف الحساب وجواب لو محذوف أي رأيت أمر عجيبا وحالا فظيعا (يرجع بعضهم الى بعض القول) أي فيما بينهم باللوم والعتاب بعد ان كانوا في الدنيا متعاضدين متناصرين متحابين ثم بين سبحانه تلك المراجعة فقال (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الرؤساء المتبوعون (لولا انتم) صدقتمونا عن الايمان بالله والاتباع لرسوله (لكنا مؤمنين) بالله مصدقين لرسوله وكتابه (وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا) مجيبين عليهم مستنكرين لما قالوه (انتم) صدقناكم عن الهدى) أي أمنعناكم عن الايمان (بعد اذ جاءكم) الهدى قالوا هذا منكرين لما ادعوه عليهم من الصلحهم وجاهدين لما نسبوه اليهم من ذلك ثم بينوا الهيم انهم الصادون لانفسهم المستعون من الهدى بعد اذ جاءهم فقالوا (بل كنتم مجرمين) أي مصرين على الكفر ككثيري الاجرام عظيمي الآثام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ردالمأجواب عليه ودفعا لما نسبوه اليهم من صدهم لانفسهم (بل مكر الليل والنهار) أي أبطأوا اضراهم باضراهم كأنهم قالوا بل من جهة مكركم بنا ليلا ونهارا وأصل المكر في كلام العرب الخديعة والحيلة يقال مكر به اذا خدعه واحتمل عليه قيل هو طول السلامة في الدنيا وطول الامل فيها وقال الاخفش هذا مكر الليل والنهار قال النحاس والمعنى والله أعلم بل مكركم في الليل والنهار ودعاؤكم لنا الى الكفر هو الذي جلتنا على هذا وقال سفيان الثوري بل عملكم في الليل والنهار ويجوز ان يجعل الليل والنهار ما كرين على الاسناد المجازي كما تقرر في علم المعاني قال المبرد كما تقول العرب

قالوا هاهنا ودانها أو ينصرانها ورواه النسائي في كتاب السير عن زياد بن أيوب عن هشيم عن يونس وهو ابن عبيد عن الحسن البصري به ومنهم جابر بن عبد الله الانصاري قال الامام أحمد حدثنا هشيم أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه تسانه فاذا عبر عنه لسانه اما مشركا واما كفورا ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمي قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين اخذ خلقهم آخر جاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن اياس اليشكري عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مرفوعا كذلك وقد قال الامام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا جاد يعني ابن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أتى علي زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد

نهاره صائم وليله قائم وفي السمين وازفافة المكر الى الليل والنهار اما على الاسناد المجازي
 كقولهم ليل ما كرفيكون مصدرا مضافا لمرفوعه واما على الاتساع في الطرف فجعل
 كالمفعول به فيكون مضافا لمنصوبه وهذا أحسن من قول من قال ان الاضافة بمعنى في
 أي في الليل لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع وقرئ برفع مكر ونصب الليل والتقدير
 بل مكر كائن في الليل والنهار وقرئ مكر بفتح الكاف وتشديد الراء مضافا بمعنى الكرور
 من كركب اذا جاءه وذهب أي مكر الليل والنهار صدنا أو صدنا مكرهما وقرئ مكر بفتح
 الكاف وتشديد الراء لكنه نصب على المصدرية أي بل يكون الاغواء مكراد دائما
 لا يفتر ون عنه (اذ تأمر وتنا) أي بل مكركم بنا وقت أمركم لنا (أن نكفر بالله ونجعل له
 أندا) أي اشباعا ومثالا قال المهري يقال فلان فلان أي مثله وهذا قول القادة
 للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار ان تصير طاعة بعضهم
 لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسر والندامة للمارأ والعذاب)
 الضمير راجع الى الفريقين أي أضر الفريقان الندامة على ما فعلوا من الكفر
 وأخذوا عن غيرهم وأخفاها كل منهم عن الآخر مخافة الشماتة وقيل المراد
 بأسروا هنا أظهر والانه من الاضداد يكون تارة بمعنى الاخفاء وتارة بمعنى الاظهار
 وقيل المعنى تبينت الندامة في أسرة وجوههم وبالجملة مستأنفة وأحال من الذين
 استضعفوا والذين استكبروا (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) الاغلال جمع غل
 يقال في رقبتك غل من حديد أي جعلت الاغلال من الحديد في أعناق هؤلاء في النار
 والمراد بالذين كفروا هم المذكورون سابقا والظاهر ان زيد الذم أول الكفار على العموم
 فيدخل هؤلاء فيهم دخولا أوليا (هل) أي ما يجوزون الا جزاء (ما كانوا يعملون) في
 الدين من الشرك والكفر بالله والمعاصي أو الابداء كانوا يعملون على حذف الخافض
 ولما قص سبحانه حال من تقدم من الكفار اتبعه بما فيه التسلية لرسوله صلى الله عليه
 وآله وسلم وبيان ان كفر الامم السابقة بمن أرسل اليهم من الرسل هو كائن مستمر في العصر
 الاول فقال (وما أرسلنا في قرية) من القرى (من نذير) ينذرهم ويحذرهم عقاب الله
 (الاقال مترفوها) حال من قرية وان كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي والمعنى قال
 متعمهوا ورؤساؤها وأغنياءها ورجالها وقادة الشرك لسلهم (انابما) أي بالذي
 (أرسلتم به) من الايمان والتوحيد (كافرون) عن أبي رزين قال كان رجلا شريكين
 خرج أحدهما الى الساحل وبني الآخر فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب
 الى صاحبه يسأله ما فعل فكاتب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش الا ردالة الناس
 ومساكينهم فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلتني عليه وكان يقرأ الكتب فأتى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم فقال الى ما تدعو قال الى كذا وكذا قال أشهد انك رسول الله قال
 وما علمك بذلك قال انه لم يبعث نبي الا تبعه ردالة الناس ومساكينهم فتركت هذه الآية
 فإرساليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد أنزل تصديقي ما قلت ثم ذكر سبحانه
 ما افتخروا به من الاموال والاولاد وما قاسوا حالهم في الدار الآخرة على حالهم في هذه

المشركين مع المشركين حتى حدثني
 فلان عن فلان ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم سئل عنهم فقال الله
 أعلم بما كانوا عاملين قال فلقبت
 الرجل فاخبرني فامسكت عن قولي
 ومنهم عياض بن حمار الجاشعي قال
 الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد
 حدثنا هشام عن قتادة عن مطرف
 عن عياض بن حمار ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال
 في خطبته ان ربي عز وجل أمرني
 ان أعلمكم ما جعلتم معا علي في يومى
 هذا كل ما خلقت عبادة حلال
 وانى خلقت عبادة حنفاء كلهم
 وانهم أتتهم الشياطين فاضلتهم عن
 دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم
 وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به
 سلطانا ثم ان الله عز وجل نظر الى
 أهل الارض فمقتهم عربهم وجمجمهم
 الا بقايا من أهل الكتاب وقال انما
 بعثتك لا بتلك وأبلى بك وأنزلت
 عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما
 ويقظان ثم ان الله أمرني ان أحرق
 قريشا فقلت رب اذا يبلغ رأسي
 فيسده خبزة قال استخرجهم كما

الدار على تقدير صحة ما نذرهم به الرسل فقال (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) والمعنى ان الله فضلنا عليكم بالاموال والاولاد في الدنيا وذلك يدل على انه قدر ضى ما نحن عليه من الدين (وما نحن بمعدين) في الآخرة بعد احسانه اليك في الدنيا ورضاه عنا وأراد انهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظر الى أحوالهم في الدنيا ووطنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بان يحجب عنهم ردا عليهم وحسب المادة طمهم وتحقيا للعق الذي عليه يدور أمر التكوين وقال (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء) ان يبسطه له (ويقدر) أى يضيق على من يشاء ان يضيقه عليه فهو سبحانه قدير رزق الكافر والعاصي استدر اجاله وقد يتحمن المؤمن المطيع بالتقوى تفر الجاهة وليس مجرد بسط الرزق لمن يبسطه يدل على انه قدر ضى عنه ورضى عمله ولا يقضه عن قبضه عنه يدل على انه لم يرضه ولا رضى عمله بل كل ذلك حسبا تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فقياس الدار الآخرة على الدار الأولى في مثل هذا من الغلط البين أو المغالطة الواضحة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ومن جملة هذا الاكثر من قاس أمر الآخرة على الاولى (وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا لئلا) كلام مستأنف من جهته تعالى خوطب به الناس بطريق التلويح والاتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق والمعنى ليسوا بالخصلة التي تقر بكم عندنا قربى قال مجاهد الرزق القربى والزلفة القربة قال الاخفش زلفى اسم مصدر كانه قال بالتي تقر بكم عندنا تقريبا قال الفراء ان التي تكون للاموال والاولاد جميعا وهو الصحيح وقيل المعنى وما جماعة أموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي الخ وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغيره عقلاؤه سواء في حكم التأنيث وقال الزجاج ان المعنى وما أموالكم بالتي تقر بكم عندنا لئلا ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا لئلا ثم حذف الخبر الاول لدلالة الثاني عليه ويجوز في غير القرآن بالتين وباللاتي وباللواتي وبالذى للاولاد خاصة أى لا تزيدكم الاموال والاولاد عندنا درجة ورفعة ولا تقر بكم تقريبا (الامن آمن) هو استثناء منقطع أى لكن من آمن (وعمل) عملا (صالحا) وقيل انه متصل على ان يجعل الخطاب عاما للكفرة والمؤمنين عن انه استداء كلام لا مقول لهم (فاولئك) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها (لهم جزاء الضعف) أى جزاء الزيادة وهى المرادة بقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهو من اضافة المصدر الى المفعول أى جزاء الضعيف للحسنات وقيل لهم جزاء الاضعاف لان الضعف فى معنى الجمع أو من اضافة الموصوف الى صفتهم أى لهم الجزاء المضعف قال مجاهد أى تضعيف الحسنة وعن محمد بن كعب قال اذا كان الرجل غنيا تقيا آناه الله أجره مرتين وتلاهذه الآية الى قوله فاولئك لهم جزاء الضعف وقال تضعيف الحسنة (بما عملوا) الباء للسببية (وهى فى الغرفات) أى غرفات الجنة قرئ بالجمع لقوله انبؤنهم من الجنة غرفا وفى قراءة سبعة بالافراد بمعنى الجمع جملا لعل على انها جنسية لقوله اولئك يجزون الغرفة (آمنون) من كل هائل وشاغل وسائر المكروه ومن جميع ما يكرهون ثم لما ذكر سبحانه

استخرج حوك واغزهم تغزك وانفق فسنتفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل عن أطاعك من عصاك قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق الاخانه ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذو كراجل أو الكذب والشنظير الفحاش انفر دباخر اجبه مسلم فرواه من طرق عن قتادة به وقوله تعالى ذلك الدين القيم أى التمسك بالشرعية والفتوة السليمة هو الدين القيم المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون أى فلهذا لا يعرفه أكثر الناس فهم عنه نا كيون كما قال تعالى وما أكثر الناس يؤمنين وقال تعالى وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله الآية وقوله تعالى منيبين اليه قال ابن زيد وابن جرير رأى راجعين

حال المؤمنين ذكر حال الكافرين فقال (والذين يسعون في آياتنا) بالرد لها وابطالها
 والطعن فيها حال كونهم (معجزين) مسابقين لنا زاعمين انهم يقوتوننا بانفسهم
 أو معاندين لنا بكفرهم (أولئك في العذاب) أي عذاب جهنم (محضرون) تحضرهم
 الزبانية اليها لا يجدون عنها محيصا ثم كرر سبحانه ما تقدم لقصد التأكيد للجمعة والدفع لما
 قاله الكفرة فقال (قل ان ربي يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أي يوسع لمن
 يشاء ويضيقه على من يشاء ليس في ذلك دلالة على سعادة ولا شقاوة وفي القارى هذا في
 شخص واحد باعتبار وقتين أو في المؤمن وما سبق في شخصين أو في الكافر فلا تكرر
 ونحوه في البضاوى قال الشهاب بل فيه تقرير لان التوسيع والتقييد ليسا بالكرامة ولا
 هوان فانه لو كان كذلك لم يتصف بهما شخص واحد (وما أنفقتم من شيء) على أنفسكم
 وعيالكم وقيل ما تصدقتم (فهو يخلفه) عليكم أي يعطى خلفه اذا كان في غير اسراف
 يقال أخلف له وأخلف عليه اذا أعطاه عوضه وبذله وذلك البذل الماني الدنيا وما في
 الآخرة وفيه ما معا ما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كزلا يتقدمها ما آجلا بالثواب في
 الآخرة الذي كل خلف دونه وقال مجاهد هذ في الآخرة وعن أبي هريرة ان رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما
 تواضع أحد لله الا رفعه الله أخرجه مسلم وقال ابن عباس في الآية يعني في غير اسراف
 ولا تقتير وعن مجاهد والحسن مثله وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
 كلما أنفق العبد من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا الا نفقة في بئان أو معصية أخرجه
 الدارقطني والبيهقي وأخرج نحوه ابن عدى في الكامل والبيهقي من وجده أخر عنه مرفوعا
 باطول منه وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم قال قال الله عز وجل أنفق يا ابن آدم أنفق عليك وثبت في الصحيح من حديثه أيضا
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان
 فيقول أحدهما اللهم أعط منفقها خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكها خلفا وعن علي بن
 أبي طالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان لكل يوم نجسا فادفعوا
 نجس ذلك اليوم بالصدقة ثم قال اقرؤوا مواضع الخلف فاني سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم يقول وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه اذ لم ينفقوا كيف يخلف أخرجه ابن
 مردويه وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان المعونة تنزل من
 السماء على قدر المؤنة (وهو خير الرزقين) فان رزق العباد لبعضهم البعض انما هو بتيسير
 الله وتقديره وليسوا برزقين على الحقيقة بل على طريق المجاز كما يقال في الرجل انه رزق
 عياله وفي الامير انه رزق جنده والرازق للامير والمأمور والكبير والصغير هو الخالق لهم
 ومن أخرج من العباد الى غيره شيأ فهو رزقه الله وأجره على يده قال بعضهم الحمد لله
 الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهى فكمن من مشته لا يجرد وكمن واجد لا يشتهى
 (و) اذكر (يوم يحشرهم جميعا) هو متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون أي ولو تراهم
 أيضا يوم يحشرهم الله جميعا للحساب العابد والمعبود والمستكبر والمستضعف (ثم يقول

اليه واتقوه أي خافوه وراقبوه
 وأقيموا الصلاة وهي الطاعة العظيمة
 ولا تكونوا من المشركين أي بل
 كونوا من الموحدين المخلصين له
 العبادة لا يريدون بها سواه قال
 ابن جرير حدثني يحيى بن واضح
 حدثنا يونس عن ابن اسحق عن يزيد
 ابن أبي مرزوق قال مرعريضى الله
 عنه بمعاذ بن جبل فقال عمر ما قوام
 هذه الآية قال معاذ ثلاث وهن
 المنجيات الاخلاص وهي الفطرة
 فطرة الله التي فطر الناس عليها
 والصلاة وهي الملة والطاعة وهي
 العصمة فقال عمر صدقت حديثي
 يعقوب أنبأنا ابن عليه أنبأنا أيوب
 عن أبي قلابة ان عمر رضى الله عنه
 قال لمعاذ ما قوام هذا الامر فذكر
 نحوه وقوله تعالى من الذين فرقوا
 دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما
 لديهم فرحون أي لا تكونوا من
 المشركين الذين فرقوا دينهم أي بدلوه
 وغيره وآمنوا ببعض وكفروا
 ببعض وقرأ بعضهم فارقوا دينهم
 أي تركوه وراؤهم وهو لاء
 كاليهود والنصارى والنجوس وعمدة
 الاوثان وسائر أهل الاديان الباطلة

بمعاد أهل الاسلام كما قال تعالى
 ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
 لست منهم في شيء انما امرهم الى
 الله الآية فاهل الاديان قبلنا
 اختلفوا فيما بينهم على آراء وممل
 باطلة وكل فرقة منهم تزعم انهم على
 شيء وهذه الامة ايضا اختلفوا فيما
 بينهم على فحل كلها ضلالة الا
 واحدة وهم أهل السنة والجماعة
 المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله
 صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه
 الصدر الاول من الصحابة والتابعين
 وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه
 كما رواه الحاکم في مستدرکه انه سئل
 صلى الله عليه وسلم عن الفرقة
 الناجية منهم فقال من كان على
 ما انا عليه اليوم وأصحابي (واذا
 مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين
 اليه ثم اذا اذاقهم منه رجعة اذا
 فريق منهم بر بهم يشركون ليكفروا
 بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون
 أم انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم
 بما كانوا به يشركون واذا اذقنا
 الناس رجعة فرحوا بها وان تصبهم
 سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم
 يقنطون أولم يروا ان الله يبسط الرزق

للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي يقول تقر بعالم المشركين وتوب بخالفين عبد غير
 الله عز وجل كما في قوله لعيسى آنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وانما
 خصص الملائكة بالذکر مع ان بعض الكفار قد عبد عبد غيرهم من الشياطين والاصنام
 لانهم أشرف معبودات المشركين قال النحاس والمعنى ان الملائكة اذا كذبتم كان في
 ذلك تبكيت للمشركين وتقرير للكافرين واردا على المشرك السائر اليك أعنى فاسمعي
 يا جارة (فالوا سبحانه آنت ولينامن دونهم) مستأنفة أي تنزيها للآنت الذي تتولاه
 ونظيره ونعبد من دونهم ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم وليس لنا غيرك ولما تمصرحوا
 بما كان المشركون يعبدونه فقالوا (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين وهم ابليس
 وجنوده ويزعمون انهم يزعمون انهم ملائكة وانهم بنات الله وقيل كانوا يدخلون أجواف
 الاصنام ويحاطبونهم منها (أكثرهم بهم مؤمنون) أي أكثر المشركين بالجن مؤمنون
 مصدقون لهم فيما يقولون لهم قيل والاكثر في معنى الكل (فاليوم لا يملك بعضكم) وهم
 المعبودون (لبعض) وهم العابدون (نفعاً) أي شفاعته ونجاة (ولا ضراً) أي عذاباً واهلاً كما
 وانما قيل لهم هذا القول اظهار العجزهم وقصورهم وتبكيته العابد بهم وقوله ولا ضراً هو
 على حذف مضاف أي لا يملكون لهم دفع ضرر الفناء ليست لترتيب ما بعدهما من الحكم
 على جواب الملائكة فانه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الاخبار به عليه (وتقول
 للذين ظلموا) أنفسهم بعبادة غير الله (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا
 ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من أنواع كفرهم فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآنية حال
 كونها (بينات) واضحات الدلالات ظاهرات المعاني على التوحيد (قالوا ما هذا) يعنون
 التالي لها وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الرجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد
 آباؤكم) أي اسلافكم من الاصنام التي كانوا يعبدونها (وقالوا) ثانياً (ما هذا) يعنون
 القرآن الكريم (الافك مفترى) أي كذب في حد ذاته غير مطابق للواقع فمخلف على الله
 من حيث نسبه اليه فمفترى لا تأكيد (وقال الذين كفروا) ثالثاً (للعقلمنا
 جاءهم) أي لاهل الدين الذي جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ان هذا الاصح
 مدين) وفي تكرير الفعل والتصريح بالفاعل انكار عظيم له وتجبيل بليغ منه وهذا
 الانكار منهم خاص بالتوحيد وأما انكار القرآن والمعجزة فكان متفقاً عليه بين أهل
 الكتاب والمشركين وقيل أردي بالاول وهو قوله هم الافك مفترى معناه والثاني وهو
 قولهم ان هذا الاصح مدين نظمه المعجز وقيل ان طائفة منهم قالوا انه افك وطائفة قالوا
 انه سحر وقيل انهم جميعاً قالوا تارة انه افك وتارة انه سحر والاول أولى (وما آتيناهم من
 كتب يدرسونها) أي ما أنزلنا على العرب كتباً مما لوية دالة على صحة الاشر الذي يدرسون
 فيها ويقرونها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم الى الاشر الذأوالى الحق
 وينذرهم بالعذاب فليس لتكذيبهم بالقرآن وبالرسول وجه ولا شبهة يتشبثون بها قال
 قتادة ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم قال الفراء أي من أين كذبوك ولم يأتيهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه ثم خوفهم

سبحانه وأخبر عن عاقبتهم وعاقبة من كان قبلهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) أى من كفار القرون الخالية (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أى ما بلغ أهل مكة من مشركي قريش وغيرهم من العرب عشر ما آتينا من قبلهم من القوة والنعمة وكثرة المال والاولاد وطول الأعمار فأهلكهم الله كعاد وثمود وأمثالهم ولم تنفعهم قوتهم شيئاً في دفع الهلاك عنهم حين كذبوا رسلهم فهو لاء أولى بان يحل بهم العذاب لتكذيبهم رسولهم والمعشار لغة في العشر قال الجوهرى معشار الشيء عشره وفي البحر المعشار مفعال من العشر ولم بين على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير الرابع ومعناها العشر والرابع وقيل المعشار عشر العشر والاول أولى وقيل ان المعنى ما بلغ من قبلهم معشار ما آتينا هو لاء من الينيات والهدى وقيل ما بلغ من قبلهم معشار شركر ما أعطيناهم وقيل ما أعطى الله من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان والاول أولى وقيل المعشار عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف جزء قال الماوردى وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل قلت مراعاة المبالغة في التقليل لا يسوغ لاجلها الخروج عن المعنى العربي وقال ابن عباس في الآية يقول من القوة في الدنيا وعن ابن جريح بنحوه (فكذبوا رسلي) عطف على كذب الذين من قبلهم على طريقة التفسير كقوله كذبت قوم نوح فكذبوا عبداً لآية والاولى ان يكون من عطف الخاص على العام لان التكذيب الاول لما حذف منه المتعلق للتكذيب أفاد العموم فعنه كذبوا الكتب المنزلة والرسل المرسله والمجزات الواضحة وتكذيب الرسل أخص منه وان كان مستلزماً له فقد روعيت الدلالة اللفظية لا الدلالة الالتزامية وما بينهما حال أو اعتراض وقال البيضاوى لا تكرير لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب بنحوه في الكشف وبمثلها قال الكرخي (فكيف كان تكبير) أى فكيف كان انكارى لهم بالعذاب والعتوبه فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قيل والتقدير فاهلكهم فكيف تكبرى والتكبير اسم بمعنى الانكار ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقيم عليهم حجة ينقطعون عندها فقال (قل انما أعظكم بواحدة) أى أحذركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه وأوصيكم بمخلة واحدة وهى (أن تقوموا لله مثنى وفردى) فهذا تفسير للمخلة الواحدة أو بدل منها أى هى قيامكم وتشميركم في طلب الحق بالضرورة الصادقة منفردين اثنين اثنين وواحد او احدا لان الاجتماع يشوش الفكر ويعمى البصر ويمنع من الرؤية ويقبل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف ويشور بجراح التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب وليس المراد القيام على الرجلين والنهوض والاتصاف على القدمين بل المراد القيام بطلب الحق والاعتناء والاستغال بالتدبر واصداق الفكر فيه كما يقال قام فلان بأمر كذا وقيل المراد بواحدة هى لاله الا الله كذا قال مجاهد والسدى وقيل القرآن لانه يجمع المواعظ كلها والاولى ما ذكرناه وقال الزجاج المعنى لان تقوموا وقال السدى معنى مثنى وفردى منفردا برأيه ومشاورا لغيره وقال القتيبي مناظر مع عشرته ومفكر فى نفسه وقيل المثنى عمل النهار والفردى عمل الليل قاله الماوردى وما أبرده هذا القول وأقل جدواه

لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يقول تعالى مخبراً عن الناس انهم في حال الاضطراب يدعون الله وحده لا شريك له وانه اذا أسبغ عليهم النعم اذا فربق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره وقوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم هى لام العاقبة عند بعضهم ولام التعليل عند آخرين ولكنها تعليل لتقييد الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله فسوف يعلمون قال بعضهم والله لو توعدنى حارس درب لحقت منه فكيف والمتوعد سدهما الذى يقول للشئ كن فيكون ثم قال تعالى منكراً على المشركين فيما اختلقوه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان أم أنزلنا عليهم سلطاناً أى حجة فهو يتكلم أى ينطق بما كانوا به يشركون وهذا استقهام انكار

ونصهم على الحال وقدم المثني لان طلب الحقائق من متعاضدين في النظر اجدى من
فكرة واحدة فان انقذ الحق بين الاثنين فكركل واحدهم ما بعد ذلك فيزداد بصيرة قال
الشاعر

اذا اجتمعوا جاؤا بكل غريبة * فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

(ثم تنفكروا) في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من الكتاب فانكم عند
ذلك تعلمون ان (ما باصاحبكم من جنة) وذلك لانهم كانوا يقولون ان محمدا مجنون فقال الله
سبحانه قل لهم اعتبروا أمرى بواحدة وهى ان تقوموا لله وفي ذاته مجتمعين فيقول الرجل
لصاحبه هلم فلنصادق هل رأينا بهذا الرجل من جنة أى جنون وجرنا عليه كذبا ثم تنفرد
كل واحد عن صاحبه فيتنفكروا ينظرفان في ذلك ما يدل على ان محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم صادق وانه رسول من عند الله وانه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون قال محمد بن
كعب في الآية يقوم الرجل مع الرجل أو وحده فيفكر ما باصاحبه من جنة وقال قتادة
يقول انه ليس بمجنون وقيل مستأنفة من جهة الله سبحانه مسوقة على طريقة النظر
والتأمل بان هذا الأمر عظيم والدعوى الكبيرة لا يعرض نفسه له الا المجنون لا يبالى بما
يقال فيه وما ينسب اليه من الكذب وقد علموا انه أربح الناس عقلا وأوزنهم حلما
وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه
الرجال ويمدحون به فوجب ان يصدقوه في دعواه لاسيما مع انضمام المعجزة الواضحة
واجتماعهم على انه لم يكن ممن يفتري الكذب ولا قد جربوا عليه كذبا مدة عمره وعمرهم
وقيل ثم تنفكروا أى شئ به من آثار الجنون واختار أبو حاتم وابن الانبارى الوقف على
قوله ثم تنفكروا وعلى هذا تكون جملة ما باصاحبكم من جنة مستأنفة كما قدمنا وقيل
ليس بوقف لان المعنى ثم تنفكروا هل جربتم عليه كذبا أو رأيت منه جنة أو فى أحواله من
فساد (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) أى ما هو الا نذير لكم بين يدي الساعة
أى قرامها وهو عذاب الآخرة وهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بين يدي
الساعة ثم أمره سبحانه أن يخبرهم انه لم يكن له غرض في الدنيا ولا رغبة فيها حتى تنقطع
عندهم الشكوك ويرتفع الريب فقال (قل من سألتكم من أجر) أى من جعل (فهو
لكم) يقول لم أسألكم على الاسلام جعلاً أى ما طلبت منكم من جعل يجعلونه لى الى
مقابل الرسالة فهو لكم ان سألتكموه والمرادنى السؤال بالكلمة كما يقول القائل
ما أملكك في هذا فقد وهبته لك يريد انه لا ملك له فيه أصلاً ومثل هذه الآية قوله قل
لأسألكم عليه أجر الا المودة في القربى وقوله ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلاً ثم بين لهم ان أجره عند الله سبحانه فقال (ان أجرى الا على الله) لا على
غيره (وهو على كل شئ شهيد) أى مطلع لا يغيب عنه منه شئ فيعلم الى لا أطلب الاجر على
نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه (قل ان ربي يقذف) القذف فى الاصل الرمي بالسهم
والحصى والكلام قال الكلبي رمى على معنى ياتى به وقال مقاتل يتكلم (بالحق) وهو
القرآن والوحى أى يلقيه الى أنبيائه وقال قتادة بالحق أى بالوحى والمعنى انه بين الحجة

أى لم يكن شئ من ذلك ثم قال تعالى
واذا ادقنا الناس رجعة فرحوا بها
وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم
اذا هم يقنطون هذا انكار على
الانسان من حيث هو الا من عصمه
الله ووقفه فان الانسان اذا أصابته
نعمة بطر وقال ذهب السيات
عنى انه لفرح نخور أى يفرح فى
نفسه يفتخر على غيره واذا أصابته
شدة قنط وأيس ان يحصل له بعد
ذلك خير بالكلمة قال الله تعالى الا
الذين صبروا وعملوا الصالحات أى
صبروا فى الضراء وعملوا الصالحات فى
الرخاء كما ثبت فى الصحيح بحسب المؤمن
لا يقضى الله له قضاء الا كان خيراً
له ان أصابته سرء شكر فكان خيراً
له وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً
له وقوله تعلمى أو لم يروا ان الله ييسر
الرزق لمن يشاء ويقدر أى هو
المتصرف الفاعل لذلك بحكمته

ويظهره للناس على السن رسوله وقيل يرمى الباطل بالحق فيمدغه (علام الغيوب) قرئ برفع علام وبنصبه قال الفراء والرفع في مثل هذا أكثر كقوله ان ذلك الحق بمخاصم أهل النار وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث في الغين وهو جمع غيب والغيب هو الامر الذي غاب وحقى جدا (قل جاء الحق) أي الاسلام والتوحيد وقال قتادة القرآن وقال النحاس التقدير صاحب الحق أي الكتاب الذي فيه البراهين والخجج وأقول لا وجه لتقدير المضاف فان القرآن قد جاء كما جاء صاحبه (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ذهب الباطل ذهبا لم يبق له اقبال ولا اذار ولا ابداء ولا اعادة ففعل مثلافي الهلاك بالمرة والابداء فعل الشيء ابتداء والاعادة فعله على طريق الاعادة ولما كان الانسان مادام حيا لا يخلو عن ذلك كنى به عن حياته وبنفيه عن هلاكه ثم شاع ذلك في كل مذهب ولم يبق له اثر وان لم يكن ذاروح فهو كناية أيضاً ومجاز متفرع على الكناية وقيل يجوز ان تكون ما استقها مية أي أي شيء يعيده أو أي شيء يعيده وعن قتادة قال الشيطان لا يبدئ ولا يعيد اذا هلك وعنه قال ما يخلق ابليس شيئاً ابتداء ولا يعينه به قال مقاتل والكبي وقيل الباطل الاصنام والاول اولى (قل ان ضللت) عن الطريق الحق الواضحة وقرئ بفتح اللام وهذه لغة نجد وهي الفصيحة وبكسر هاء وهي لغة أهل العالية (فانما أضل) أي انم ضلالتى يكون (على نفسى) وقال عرين سعد أي انما أخذت بجناتي وذلك ان الكفار قالوا له تركت دين اباؤك فضلت فأمره الله ان يقول لهم هذا القول (وان اهتديت فيما يوحى الى ربى) من الحكمة والموعظة والبيان بالقرآن وما مصدرية أو موصولة والتقابل هنا من جهة المعنى دون اللفظ (انه سميع قريب) منى ومنكم يعلم الهدى والضلالة وان يوانع في اخفاهم وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحتهم مع جلالة محله وسداد طريقتهم كان غيره أولى به ثم ذكر سبحانه - لا من أحوال الكفار فقال (ولو ترى اذ فرغوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولكل من يصلح له قيل المراد فرغهم عند نزول الموت بهم أو غيره من بأس الله تعالى وقال الحسن هو فرغهم في القبور من الصيحة وقال قتادة هو فرغهم اذا خرجوا من قبورهم وقال السدي هو فرغهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيف الملائكة فلم يستطيعوا فراراً ولا رجوعاً الى التوبة وقال ابن معقل هو فرغهم اذا اعانوا عقاب الله يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هو الخسف الذي يخسف بهم في البيداء فيسير رجل منهم فيضرب الناس بمالتي أصحابه فيقرعون وجواب لوصح ذوف أي رأيت أمر اعظيما وحالا هائلة (فلا فوت) أي فلا يفوتني أحد منهم ولا ينجم منهم ناج قال مجاهد فلا مهرب وقال ابن عباس فلا نجا (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض أو من القبور وهي قرية من مساكنهم في الدنيا كما قاله أبو حيان أو قريب من موقف الحساب وقيل أي قبضت أرواحهم في أما كنها فلم يمكنهم الفرار من الموت وهذا على قول من يقول هذا الفرع عند الترع وقيل أخذوا من جهنم فالقوا فيها وقيل من حيث كانوا ففهم من الله قريب لا يعدون عنه ولا يفوتونه وقال ابن عباس من تحت أقدامهم وعنه قال

وعده فيوسع على قوم ويضيق على آخرين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون (فات ذى القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتهم من رب بالربوفى أسوال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم زفكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تعالى أمرا باعطاء ذى القربى حقه أى من البر والصله والمسكين وهو الذى لا شىء له ينفق عليه أوله شىء لا يقوم بكفايته وابن السبيل وهو المسافر المحتاج الى نفقة وما يحتاج اليه فى

نزلت في ثمانين ألفا يغزون في آخر الزمان الكعبة ليخربوها فلما يدخلون البيداء يخسف
 بهم فهو الاخذ من مكان قريب ذكره القرطبي وقد ثبت في الصحيح انه يخسف بجيش في
 البيداء من حديث - قصة وعائنه وخارج الصحيح من حديث أم سلمة وصفية وأبي هريرة
 وابن مسعود وليس في شيء منها أن ذلك سبب نزول هذه الآية ولكنه أخرجه ابن جرير من
 حديث حذيفة بن اليمان قصة الخسف هذه مرفوعة وقال في آخرها فذلك قوله عز
 وجل في سورة سبأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الآية وقيل يجوز أن يكون هذا الفرع هو
 الفرع الذي بمعنى الاجابة يقال فزع الرجل اذا أجاب الصارخ الذي يستغيث به كفزعهم
 الى الحرب يوم بدر (وقالوا) وقت النزوع وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله
 تعالى فلما رأوا بأسنا فأرآنا ما لله وحده أو عند البعث فان الكفار كلهم يؤمنون حينئذ
 (آمنابه) أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قاله قتادة أو بالقرآن وقال مجاهد بالله عز
 وجل وقال الحسن بالبعث ثم نفي الله عنهم نفع الايمان بقوله (وأي) أي من أين (لهم)
 التناوش أي التناول وهو تضام من النوش الذي هو التناول والمعنى كيف لهم ان
 يتناولوا الايمان من بعد يعني في الآخرة وقد تركوه في الدنيا وهو معنى قوله (من مكان
 بعيد) وهو تمثيل لحالهم في طلب الخلاص بعد ما فات عنهم بحال من يريد ان يتناول
 الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة قال ابن السكيت يقال للرجل اذا تناول
 رجلا لياخذ برأسه أو بخصية ناشه ينوشه ونوشا ومنه المناوشة في القتال وذلك اذا تدانى
 الفريقان وقيل التناوش الرجعة أي وأتى لهم الرجعة الى الدنيا يؤمنوا وقال ابن
 عباس قال يسألون الرد الى الدنيا وليس يجيبون رد وقال التناوش تناول الشيء وليس بجيبين
 ذلك وقال السدي هو التوبة أي طلبوها وقد بعدت لانها انما تقبل في الدنيا وقرئ
 التناوش بالواو وبالهمز واستبعد الثانية أبو عبيد والنحاس ولا وجه للاستبعاد فقد ثبت
 ذلك في لغة العرب واشهرها قال الفراء الهمة وتر كها متقارب (وقد كفروا به من قبل)
 أي والحال ان قد كفروا بما آمنوا به من قبل هذا الوقت وذلك حال كونهم في الدنيا قيل
 بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب وأهوال القيامة
 (ويذفون بالغيب) أي يرمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن
 أو في العذاب من البت على نفسه فيقولون لا بعث ولا نشور ولاجنة ولا نار (من مكان
 بعيد) أي من جهة بعيدة ليس فيها مستند لظنهم الباطل وهو الشبه التي تعلموها في أمر
 الآخرة كما حكاه من قبل وقيل المعنى يقولون في القرآن أقوالا باطلة انه محروسه
 واساطير الاولين وقيل يقولون في محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه ساحر شاءت ركاهن
 مجنون قرئ يذفون مبنيا للمفعول أي يرجون بما يسوءهم من جزاء أعمالهم من
 حيث لا يحتسبون وفيه تمثيل لحالهم بحال من يرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال
 للوهم في حقوه وهذا استعارة تمثيلية والجملة اما معطوفة على وقد كفروا به على انها
 حكاية للرجال الماضية واستحضار انبورتها ومستأنفة لبيان تمثيل حالهم (وحيل
 بينهم) فعل مبني للمفعول واذا بنى للشاعر يقال فيه حال وهو فعل لا يتعدى ونائب الفاعل

سفره ذلك خير للذين يريدون وجهه
 الله أي النظر اليه يوم القيامة وهو
 الغاية القصوى وأولئك هم المنكحون
 أي في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى
 وما آتيتهم من رباليربوني أموال
 الناس فلا يربون عند الله أي من
 أعطى عطية يريد ان يرد الناس
 عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا
 لأتواب له عند الله بهذا فسر ابن
 عباس ومجاهد والضحاك وقاتدة
 وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي
 وهذا الصنيع مباح وان كان
 لأتواب فيه الا أنه قد نهى عنه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم خاصة قاله
 الضحاك واستدل بقوله تعالى
 ولا تمنن تستكثر أي لا تعط العطاء تريد
 أكثر منه وقال ابن عباس الربا
 ربا أن قربا لا يصح يعني ربا البيع

ضمير المصدر المقهوم من الفعل كأنه قيل وحيل هو أى الحول وجعل بعضهم نائب
التفاعل الظرف وهو بينهم واعتراض بأنه ينبغي حينئذ ان يرفع (وبين ما يشتهون) من
النجاة من العذاب ومنعوا من ذلك وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من
أموالهم وأهلهم وأحيل بينهم وبين ما يشتهون من الرجوع الى الدنيا (كفعل بأشياءهم
من قيل) أى بأمثالهم ونظرا لهم من كفار الامم الماضية الذين كانوا قبلهم في الدنيا سابقين
عليهم في الزمان والاشباع جمع شيع وشيع جمع شيع وشيعه الرجل أتباعه وأنصاره وكل
قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع فالاشباع جمع الجمع (انهم كانوا في شك
مريب) تعليل لما قبله أى في شك موقع في الريبة أو ذى ريبة من أمر الرسل والبعث
والجنحة والندار وفى التوحيد وما جاءتهم به الرسل من الدين يقال أراب الرجل اذا صار
ذار ريبة فهو مريب وقيل هو من الريب الذى هو الشك والتهمة فهو كما يقال عجب عجيب
وشعر شاعر وهذا ردعى من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله أعلم

* (سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة وهى خمس أوست وأربعون آية وهى مكية) *

قال القرطبي في قول الجميع وأخرج البخارى وغيره عن ابن عباس أنزلت سورة فاطر
بمكة وهذه السورة ختام السور المفتحة بالحمد التى فصلت فيها النعم الرابع التى هى أهميات
النعم المجموعة فى الفاتحة وهى الابداء الاول ثم الابقاء الاول ثم الابداء الثانى المشار اليه
بسورة سبأ ثم الابقاء الثانى الذى هو أنها هاو أو حكمها وهو الختام المشار اليه بهذه
السورة المفتحة بالابداء قاله الخطيب

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله فاطر السموات والارض) أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وعلى غير
مادة كذا قال المنسرون والظاهر ان هذا ليس من معنى الفطر لغيره وإنما أخذوه من
المعنى وسباق الكلام وأصل الفطر فى اللغة الشق عن الشيء مطلقا يقال فطرته فانفطر
ومنه فطر ناب البعير اذا طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشيء تشقق وقيل الشق طولاً فكأنه
شق العدم بانجر اجهما منه وبابه نصر كما فى المختار والفطر أيضاً ابتداء والاختراع وهو
المراد هنا عن ابن عباس قال كنت لأدرى ما فاطر حتى أتانى اعرابيان يختصمان فى بئر
فتال أحدهما أنا فطرتهما يقول ابتداءها وعنه الفاطر البديع والمعنى الحمد لله مبدع
السموات والارض ومخترعهما والمقصود من هذا ان من قدر على ابتداء هذا الخلق
العظيم فهو قادر على الاعادة وانما جسد سبحانه وتعالى نفسه بذلك تعظيماً له وتعليماً لعباده
كيفية الثناء عليه تعالى قرئ فاطر على صيغة اسم الفاعل وفطر على صيغة الفعل الماضى
(جاعل الملائكة رسلاً) الى عباده يجوز فيه الوجهان كما تقدم والرسل من الملائكة هم
جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فالمراد بالملائكة بعضهم اذ ليس كلهم رسلاً كما
هو مع لوم صرح الطيبي بان جاعل هنا للاستمرار فباعبارانه يدل على الماضى يصلح كونه
صفة للمعرفة وباعتبارانه يدل على الحال والاستقبال يصلح للعمل وقرئ رسلاً بسكون

ورب الأأس به وهو هدية الرجل
يريد فضلها واضعافها ثم تلاه هذه
الآية وما آتيتم من ربا ليربوا فى
أموال الناس فلا يربوا عند الله
وانما الثواب عند الله فى الزكاة
ولهذا قال تعالى وما آتيتم من زكاة

تردون وجه الله فاولئك هم المضعفون

أى الذين يضاعف الله لهم الثواب
والجزء كما جاء فى الصحيح وما تصدق
احد بعدل ثمرة من كسب طيب
الا اخذها الرحمن يمينه فيربها
لصاحبها كما يربى أحدكم فلو
أوفصيله حتى نصير التمرة أعظم من
أحد وقوله عز وجل الله الذى
خلقكم ثم رزقكم أى هو الخالق
الرازق يخرج الانسان من بطن

السين وهي لغة تميم قال يحيى بن سلام يرسلهم الله الى الانبياء يبلغون اليهم رسالته بالوحي
والالهام والرؤيا الصادقة وقال السدي الى العباد بنعمة أو نعمة أو يوصلون اليهم آثار
صنعتهم (أوتى) أي ذوى اسم جمع لذو (أجنحة) جمع جناح نعت لرسلا وهو جيد لفظا
لتوافقهما تنكيرا وللملائكة وهو جيد معنى اذ كل الملائكة لها أجنحة فهي صفة
كاشنة والمسوغ للتخلف في التعريف جعل آل جنسية (مثنى وثلاث ورباع) صفات
لاجنحة والقصد بها التكثير واختلافهم في عدد الاجنحة لا الحصر والاف بعضهم له
ستائة وغير ذلك وانما لم تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد
عن صيغ الى صيغ آخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرر الى غير تكرر وقيل للعدل
والوصف والتعويل عليه وقد تقدم الكلام عليها في النساء قال قتادة بعضهم له جناحان
وبعضهم له ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدهما مبقوطة وبعضهم
له أربعة ينزلون بها من السماء الى الارض ويعرجون بها من الارض الى السماء أقول
الاصل جناحان لانهم بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك أقوى
للطيران وأعون عليه (يزيد في الخلق ما يشاء) مستأنفة مقررة لما قبلها من تفاوت
أحوال الملائكة والمعنى انه يزيد في خلق الملائكة والاجنحة ما يشاء وهو قول أكثر
المفسرين واختاره الفراء والزجاج قال ابن مسعود رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
جبريل في صورته له ستائة جناح وقيل ان هذه الزيادة في الخلق غير خاصة بالملائكة
فقال الزهري وابن جرير انها حسن الصوت وقال قتادة الملاحة في العينين والحسن
في الانف والحلاوة في الفم وقيل الوجه الحسن وقيل الخط الحسن وقيل الشعر الجعد
وقيل العقل والتميز وقيل العلوم والصنائع وقيل الصوت الحسن وجوده العقل ومئاته
ولا وجه لقصر ذلك على نوع خاص بل يتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال
صورته وتعام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في
في القلب وسماحة في النفس ولياقة في التكلم وحسن تأني في مزاوله الامور وذلاقة في
اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف وبه قال الزجاجي
(ان الله على كل شيء قدير) تعليل لما قبله من انه يزيد في الخلق ما يشاء (ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها) أي ليس لك من الامر شيء فيما يأتيهم الله به من مطر ورزق ونعمة
وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به لا يقدر احد ان يمسكه وقال ابن عباس
ما يفتح الله للناس من باب توبة فلا ممسك لها هم يتوبون ان شاؤوا وان أبوا وما أمسك من
باب توبة فلا مرسل له من بعده وهم لا يتوبون واستعير الفتح للاطلاق والارسال اي انا
بانها أنفس الخلائق التي تنافس فيها المتنافسون وأعزها من الاوتسكير الرحمة للشاعة
والابهام كأنه قيل أي رحمة كانت سماوية وأرضية والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن
رحمة بيان لذلك العام من أي صنّف هو وهو مما اجتري فيه بالنسبة المفردة عن الجمع
المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرجات ومن في موضع الحال وقيل
المعنى ان الرسل بعثوا رحمة للناس فلا يقدر على ارسالهم غير الله وقيل هو الدعاء وقيل

أمه عربيا نال اعلمه ولا سمع ولا بصر
ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد
ذلك والرياش واللباس والمال
والاملاك والمكاسب كما قال
الامام أحمد حدثنا أبو معاوية
حدثنا الاعمش عن سلام بن
شرجيل عن حبة وسواء ابن خالد
قال ادخلنا على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يصلح شيئا فاعناه فقال
لا تياس من الرزق ماتم تهزرت
رؤسك فان الانسان تلهه أمه أحر
ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز
وجل وقوله تعالى ثم يمسككم أي
بعده هذه الحياة ثم يحيمكم أي يوم
القيامة وقوله تعالى هل من شركائكم
أي الذين تعبدونهم من دون الله من

التوبة وقيل التوفيق والهداية ولا وجه لهذا التخصيص بل المعنى كل ما يفتحه الله للناس من خرائر رحمته فيشمل كل نعمة ينعم الله بها على خلقه (وما يسك) من ذلك (فلا مرسل له من بعده) أى لا يقدر أحد ان يرسله من بعد ما سلكه والامسالك يتناول كل شئ ينعمه الله من نعمه فهو سبحانه المعطى المانع القابض الباسط لا معطى سواه ولا منعم غيره (وهو العزيز الحكيم) فيما أسك وفيما أرسل على مقتضى حكمته ثم أمر الله سبحانه عباده ان يتذكروا نعمه الفائضة عليهم التى لا تعد ولا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم وقيل لجميع الناس ونعمة الله عليهم هى التى تقدمت من بسط الارض كلمها دورفع السماء بلا عماد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزافة تديه والزيادة فى الخلق وفتح أبواب الرزق ومعنى هذا الذكر هو ارشادهم الى الشكر لاستخدامها وطلب المزيد منها وليس المراد ذكرها باللسان فقط ولكن المراد ذكرها به وبالقلب أى لا تنسوها والنعمة هنا بمعنى الانعام وعليه درج الجلال وقيل انها بمعنى المنعم به ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) من زائدة مؤكدة أى لا خالق الا الله سبحانه وهو استفهام تقرير وانكار وتوبيخ (يرزقكم من السماء والارض) خبر المتبداً وأوجه مسأفة أو صفة أخرى خالق وخبره محذوف والرزق من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات وغير ذلك (لا اله الا هو) مسأفة مسوقة لتقرير النفي المستفاد من الاستفهام (فانى توفكون) أى فكيف تصرفون وهو مأخوذ من الافك بالفتح وهو الصرف يقال ما أفكك عن كذا أى ما صرفك عنه وقيل هو مأخوذ من الافك بالكسر وهو الكذب لانه مصرف عن الصدق قال الزجاج أى من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله والبعث وأنتم مقرون بان الله خلقكم ورزقكم ثم عزى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) ليتأسى عن قبله من الانبياء ويتسلى عن تكذيب كفار العرب له ولهذا نكر رسلاً أى رسل ذو وعدد كثير وألوانيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وجواب الشرط محذوف أى فاصبر كما صبر وادل عليه قوله فقد كذبت الخ (والى الله) الى غيره (ترجع الامور) فيجازى كلابها يستحقه قريء ترجع بفتح التاء على البناء للفاعل وبضمها على البناء للمفعول (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث والنشور والحساب والعقاب والجنة والنار (حق) كما أشير اليه بقوله والى الله ترجع الامور (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بزخرفها ونعيمها والمراد نعيمهم عن الاعتزاز بها وان توجه النهى صورة اليها كما فى قولهم بعين مالا أرى نيك ههنا قال سعيد بن جبير غرور الحياة الدنيا ان يشغل الانسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتى يقول يا ليتنى قدمت لحياتى والمعنى لا تتخذ عنكم الدنيا ولا يذهلكنم التمتع بها والتلذذ بما فيها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله تعالى (ولا يغرنكم بالله) فى حلمه وامهاله (الغرور) بفتح الغين أى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان قاله ابن السكيت وأبو حاتم ويجوز ان يكون مصدراً

يفعل من ذلكم من شئ أى لا يقدر أحد منهم على فعل شئ من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المسبب بالخلق والرزق والاحياء والامانة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله سبحانه وتعالى عما يشركون أى تعالى وتقدس وتزوه وتعاطم وجل وعز عن ان يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا العلمهم يرجعون قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين)

واستبعده الزجاج لان غررته متعد ومصدر المتعدى انما هو على فعل نحو ضربه ضربه
 الا في اشياء يسيرة معروفة لا يقاس عليها ومعنى الآية لا يغرنكم الشيطان بالله فيقول
 لكم ان الله يتجاوز عنكم ويغفر لكم بنضله عليكم أو بسعة رحمة لكم وقرئ بضم الغين
 وهو الباطل قال ابن السكيت والغرور بالضم ما يغرن من متاع الدنيا وقال الزجاج يجوز ان
 يكون الغرور بالضم جمع غار مثل قاعد وقعود قيل ويجوز ان يكون مصدره كاللزم
 والتهول وفيه ما تقدم عن الزجاج من الاستبعاد ثم حذر سبحانه عباده من الشيطان
 فقال (ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعداؤونه معاملة
 من لا علم له باحواله والتسكير للتعظيم أى عدو عظيم لان عداوته عامة قديمة والعموم يفهم
 من قوله لكم حيث لم يخص ببعض دون بعض والقدم من الجملة الاسمية الدالة على
 الاستقرار (فاتخذوه عدوا) أى فعادوه بطاعة الله ولا تطيعوه في معاصي الله وكوفوا على
 حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم وإذا فعلتم فعلا
 فنفطنوا له فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح قال القشيري ولا يعزى
 على عداوته الا بدوام الاستعانة بالرب فإنه لا يغفل عن عداوتكم فلا تغفلوا أنتم عن
 مولاكم لحظة ذكره الخطيب ثم بين الله سبحانه لعباده كيفية عداوة الشيطان لهم
 وحذرهم عن طاعته فقال (انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) أى انما يدعوا
 أشياعه واتباعه والمطيعين له الى معاصي الله سبحانه لاجل ان يكونوا من أهل النار واللام
 للتعليل ومحل الموصول في قوله (الذين كفروا) الرفع على الابتداء وقوله (لهم عذاب
 شديد) خبره أو الرفع على البدل من فاعل يكونوا أو والنصب على البدل من حزبه أو الجر على
 البدل من أصحاب الرفع على الابتداء أقوى الوجوه لانه سبحانه بعد ذكر عداوة الشيطان
 ودعائه لحزبه ذكر حال الفريقين من المطيعين له والعاصين عليه فالفريق الاول قال لهم
 عذاب شديد والفريق الثاني قال فيه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر
 كبير) أى يغفر الله لهم بسبب الايمان والعمل الصالح ويعطيهم أجرا كبيرا وهو الجنة
 قال ابن جرير كل شئ في القرآن لهم مغفرة وأجر كبير ورزق كريم فهو الجنة (أقن زين
 له سوء عمله فراه حسنا) هذه الجملة مستأنفة لتقرير ما سبق من ذكر التفاوت بين عاقبتى
 الفريقين ومن في موضع رفع بالابتداء وخبره مذوف قال الكسائى والتقدير ذهبت
 نفسك عليهم حسرات قال ويدل عليه قوله فلا تذهب الخ قال وهذا كلام عربى نظيف
 لا يعرفه الا القليل وقال الزجاج تقديره كمن هداه وقدره غيرهما كمن لم يزين له وهذا أولى
 لموافقته لفظا ومعنى وقد وهم صاحب الكشاف فحكي عن الزجاج ما قاله الكسائى قال
 النحاس والذي قاله الكسائى أحسن ما قيل فى الآية لما ذكره من الدلالة على المحذوف
 والمعنى ان الله عز وجل نهى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن شدة الاعتناء بهم والحزن
 عليهم كما قال فلعلك باخع نفسك قبل التقدير أقن زين الخ تريد ان تمديه انما ذلك الى الله
 لا اليك والذي اليك هو التبليغ قال قتادة والحسن الشيطان زين لهم هى والله الضلالات
 وقيل نفسه الامارة وهو القبيح وهو من اضافة الصفة للموصوف أى عمله السيئ قال ابن

قال ابن عباس وعكرمة والضحاك
 والسدى وغيرهم المراد بالبرهنا
 النسيان وبالبحر الامصار والقرى
 وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة
 البحر الامصار والقرى ما كان
 منهما على جانب نهر وقال آخرون بل
 المراد بالبر هو البر المعروف وبالبحر
 هو البحر المعروف وقال زيد بن
 رفيع ظهر النسادى عنى انقطاع
 المطر عن البرهقة القحط وعن البحر
 تعمى دوابه رواه ابن أبى حاتم وقال
 حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن
 المقرئ عن سفيان عن حميد بن قيس
 الاعرج عن مجاهد ظهر النسادى
 البر والبحر قال فساد البرقتل ابن آدم
 وفساد البحر أخذ السفينة عسبا

عباس نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقبل نزلت في أصحاب الانواء والبدع ومنهم
الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم
لانهم به يتقون تحريمها مع ارتكابهم ما اياها وجعلته (فان الله يضل من يشاء ويهدي من
يشاء) مقرر لما قبله او محقة للحق ببيان ان الكل عشيمة أى يضل من يشاء ان يضل
ويهدي من يشاء ان يهدي وهذه الآية ترتز على القدرة قولهم (فلاتذهب نفسك عليهم
حسرات) أى لاتحزن عليهم قرئ بفتح الفوقية والماء مسند الى النفس فيكون من باب
لأر يتركها أى لاتعاط أسباب ذلك وقرئ بضم التاء وكسر الهاء ونصب نفسك أى فلا
تهلكها عليهم أى على عدم ايمانهم وقوله حسرات ففعل لاجله والجمع للدلالة على
تضاعف اغتنامه على كثرة قبائحهم الموجبة لتأسف والتحسر عليهم ويجوز ان ينصب
حسرات على الحال كأنها صارت كما حسرت لفرط التحسر كما روى عن سيديويه وقال
المبرد انها تمييز وعلية صله لتذهب كما يقال هلك عليه حيا ومات عليه حزنا والحسرة شدة
الحزن وهم النفس على ما فات من الامر وأشد التلطف على الشيء الفات تقول حسرت على
الشيء من باب طرب وحسره أيضا فهو وحسير (ان الله عليم بما يصنعون) لاتحفي عليه من
أفعالهم وأقوالهم خافية وبالجملة تعديل لما قبله مع ما تضمنته من الوعيد الشديد ثم أخبر
سجانه عن نوع من أنواع بديع صنعه وعظيم قدرته ليتفكر وات ذلك وليعتبر وابه فقال
(والله الذى أرسل الرياح) قرأ الجهور بالجمع وقرئ الريح بالافراد وهى سبعية عن ابن
مسعود قال يقوم ملك بالصور بين السماء والارض فينفخ فيه فلا يبق خلق لله فى
السموات والارض الا من شاء الله الامات ثم يرسل الله من تحت العرش منيا كنى الرجال
فتنبت أجسامهم ولحومهم من ذلك الماء كما تنبت الارض من الثرى ثم قرأ هذه الآية
(فتثير سحابا) جاء بالمضارع بعد الماضى استحضار التلك الصورة البديعة الدالة على كمال
القدرة والحكمة لان ذلك أدخل فى اعتبار المعتبرين والمعنى انها ترتجعه وتحركه من حيث
هو (فسقناه) فيه التفات عن الغيبة وقال أبو عبيدة سيده فسوقه لانه قال فتثير سحابا
قيل النكتة فى التعبير بالماضيين بعد المضارع الدلالة على التحق (الى بلد) هو يذكّر
ويؤنث والبلدة البلد (ميت) أى أرض ليس بها نبات ولا مرعى قال المبرد ميت
وميت واحد وقال هذا قول البصريين (فأحيينا به الارض) أى أحيينا بالمطر المنازل
منه الارض بانبات النبات فيها وان لم يتقدم ذكر المطر فالسحاب يدل عليه أو أحيينا
بالسحاب لانه سبب المطر (بعدموتها) أى بعديسها استعمار الاحياء للنبات والموت
للبيس (كذلك النشور) أى كذلك يحيى الله العباد بعدموتهم كما أحيانا الارض بعدموتها
والنشور البعث من نشر الانسان نشورا أى مثل احياء سموات الارض فى صحة المقدورية
وسهولة التأتى احياء الاموات اذ ليس بينهما الاحتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه
وذلك لاندخل له فيها فكيف تنكرونه وقد شاهدتم غير مرة ما هو مثله وشبيهه به عن أبى
رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى قال أما مررت بأرض مجذبة
ثم مررت بها فمخضبة تمت ترخضت قلت بلى قال كذلك يحيى الله الموتى وكذلك النشور

وقال عطاء الخراسانى المراد بالبر
ما فيه من المدائن والقري وبالبحر
جزائره والقول الاول أظهر وعلية
الاكثرين ويؤيده ما قاله محمد بن
اسحق فى السيرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صالح ملك ايله وكتب
اليه بغيره يعنى يبلده ومعنى قوله
تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر
بما كسبت أيدي الناس أى بان
النقص فى الزروع والثمار بسبب
المعاصى وقال أبو العالية من عصى
الله فى الارض فقد أفسد فى الارض
لان صلاح الارض والسماء
بالطاعة ولهذا جاء فى الحديث الذى
رواه أبو داود لحديث قام فى الارض
أحب الى اهلها من أن يتطروا
أربعين صباحا والسبب فى هذا أن
الحدود اذا أقيمت انكف الناس
أوأكثرهم أو أكثر منهم عن تعاطى
المحرمات واذتركت المعاصى كان
سببا فى حصول البركات فى السماء
والارض ولهذا اذ انزل عيسى بن
مريم عليه السلام فى آخر الزمان
يحكمهم هذه الشريعة المطهرة فى
ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر

أخرجه أحدو البيهقي والطيا السبي وغيرهم (من كان يريد العزّة فقله العزّة جميعاً) فليطلبها منه لا من غيره قال القراء معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزّة فإنها لله جميعاً وقال قتادة من كان يريد العزّة فليستعز ببطاعة الله فجعل معنى لله العزّة الدعاء إلى طاعة من له العزّة كما يقال من أراد المال فالمال لفلان أي فليطلبه من عنده وقال الزجاج تقديرهم من كان يريد عبادة الله العزّة فالعزّة له سبحانه فان الله عز وجل يعزّه في الدنيا والآخرة وقيل المراد به المشركون فإنهم كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا وقيل المراد الذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي يتعزون عندهم العزّة والظاهر في معنى الآية أن من كان يريد العزّة وطلبها فليطلبها من الله عز وجل فقله العزّة جميعاً ليس غير منها شيء فتشمل الآية كل من طلب العزّة ويكون المقصود بها التنبيه لذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزّة وتستحق ومن أي جهة تطلب فتكون الآلاف والالام للاستغراق وهو المفهوم من آيات هذه السورة (اليه) تعالى لا إلى غيره (يصعد الكلم الطيب) الصعود هو الحركة إلى فوق وهو العروج أيضاً وموضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل ومعنى صعوده إليه قبوله له أو صعود الكعبة من الملائكة بما يكتبونه من العجف وخص الكلم الطيب بالذ كر لبناء الثواب عليه وهو يتناول كل كلام يتصف بكونه طيباً من ذكر الله وأمر بمعروف ونهى عن منكر وتلاوة وغير ذلك فلا وجه لتخصيصه بكلمة التوحيد وبالتحميد والتعجب وقيل المراد بصعوده إلى السماء الدنيا وقيل يصعد إلى سمائه والنحل الذي لا يجرى فيه لا حد غيره حكم وفيه دليل على علوه تعالى فوق الخلق وكونه بآثاره كبرياءه الكريمة كما تدل له الآيات الأخرى الصريحة والأحاديث المستفيضة الصحيحة وقيل المراد بصعوده علم الله به والاولى ما ذكرناه آنفاً (والعمل الصالح يرفعه) أي يرفع الكلم الطيب كما قال الحسن وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقاتادة وأبو العالية والضحاك ووجهه أنه لا يقبل الكلم الطيب إلا مع العمل الصالح وقيل إن فاعل يرفعه هو الكلم الطيب ومفعوله العمل الصالح ووجهه أن العمل الصالح لا يقبل إلا مع التوحيد والإيمان وقيل إن فاعل يرفعه ضمير يعود إلى الله عز وجل والمعنى إن الله يرفع العمل الصالح على الكلم الطيب لأن العمل يحقق الكلام وقيل العمل الصالح يرفع صاحبه وهو الذي أراد العزّة وقال قتادة المعنى إن الله يرفع العمل الصالح لصاحبه أي يقبله فيكون قوله والعمل الصالح مبتدأ وخبره يرفع وكذا على قول من قال يرفع صاحبه قرأ الجمهور بصعد من صعد الثلاثي والكلم بالرفع على الفاعلية وقرأ على وابن مسعود بصعد بضم حرف المضارعة من أصد والكلم بالنصب على المنعولية وقرأ الضحاك على البناء للمفعول وقرأ الجمهور بالكلم وقرأ أبو عبد الرحمن الكلام وقرأ العمل بالرفع على العطف وعلى الابتداء وقرأ ابن أبي عمير وعيسى بن عمر بالنصب على الاشتغال عن ابن مسعود في الآية قال إذا حدثناكم بحديث أئمتناكم بتصديق ذلك من كتاب الله سبحانه إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله

الصليب ووضع الخزيه وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف فإذا أهلك الله في زمانه الدجال واتباعه ويأجوج ومأجوج قيل للارض أخرجي بركتك فيأكل من الرمانة القمام من الناس ويستظنون بقحفها ويكنى ابن اللقعة الجماعة من الناس وما ذلك إلا بركة تنفيذ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكلاماً أقيم العدل كثرت البركات والخير وثبت في الصحيح أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب ولهذا قال الامام أحمد ابن حنبل حدثنا محمد والحسن قالوا حدثنا عوف (١) عن أبي محمد قال وجد في زمان زياد صرة فيها حب يعنى من برأئمال النوى مكتوب فيها هذا ثبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل وروى مالك عن زيد بن أسلم أن المراد بالفساد ههنا الشرك وفيه نظر وقوله تعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا الآية أي يبتليهم بنقص الاموال والانتس والثمرات اختباراً منهم لهم ومجازاة

(١) في نسخة أخرى ابن أبي محمد

وحرر اه صححه

قبض عليهم ملك فضمهن تحت جناحه ثم يصعد بهن الى السماء فلا يريهن على جمع من
 الملائكة الاستغفر لقاتلن حتى يحيي بهن وجه الرحمن ثم قرأ اليه يصعد الكلم الطيب
 والعمل الصالح يرفعه قال أداء النرائض فن ذكر الله في أداء نرائضه حمل عمله ذكر الله
 فصعد به الى الله ومن ذكر الله ولم يؤد نرائضه رد كلامه على عمله وكان عمله أولى به أخرجه
 الطبراني والبيهقي والحاكم وصححه وغيرهم (والذين يعكرون السيئات) ليس مفعولاً به لان
 مكر لازم فاتصاه على انه صفة لمصدر محذوف أى يعكرون المكورات السيئات ويجوز ان
 يضمن يعكرون معنى يكسبون فيكون السيئات مفعولاً به قال مجاهد وقتادة هم أهل الربا
 وقال أبو العالية هم الذين مكروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اجتمعوا في دار الندوة
 وقال الكلبي هم الذين يعملون السيئات في الدنيا وقال مقاتل هم المشركون (اليهم
 عذاب شديد) أى بالغ الغاية في الشدة (ومكراً ولئلا هو يمور) أى يهلك ويفسد
 ويطل ومنه وكنتم قوم ابورا وقد أبارهم الله ابارة بسبب مكراتهم حيث أخرجهم من مكة
 وقتلهم وأبنتهم في قليب فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التى اكتبوا فى حقهم واحدة منها
 والمكرفى الاصل الخديعة والاحتيال والاشارة بقوله أولئك الى الذين مكروا السيئات
 على اختلاف الاقوال فى تفسير مكروهم وجمله هو يمور خبر مكراً ولئلا ووضع اسم
 الاشارة موضع ضميرهم للايدان بكال تميزهم عما هم عليه من الشر والفساد عن سائر
 المفسدين واشتهرهم بذلك ثم ذكر سبحانه دليلاً آخر على صحة البعث والنشور فقال
 (والله خلقكم) ابتداء فى ضمن خلق أياكم آدم (من تراب) وقال قتادة يعنى آدم
 والتقدير على هذا خلق أباكم الاول وأصلكم الذى ترجعون اليه من تراب (ثم من نطفة)
 أخرجهما من ظهر أياكم (ثم جعلكم أزواجاً) أى زوج بعضكم ببعض فالذ كزوج
 الاثنى أو جعلكم أصنافاً كزنا واناثاً (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) أى
 لا يكون حمل ولا وضع الا والله عالم به فلا يخرج شئ من علمه وتدبيره ومن زائدة (وما يمر
 من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب) قرئ ينقص مبنياً للمفعول وللفاعل ومن عمره
 بضم الميم وبسكونها والمعنى ما يطول عمراً حد ولا ينقص من عمره الا فى اللوح المحفوظ
 قال القراء يريد آخر غير الاول فكفى عنه بالضمير كانه الاول لان لفظ الثانى لو ظهر كان
 كالاول كانه قال ولا ينقص من عمر معمر فالكفاية فى عمره ترجع الى آخر غير الاول ومثله
 قولك عندى درهم ونصفه أى نصف آخر قبل انما سمي معمر باعتبار مصيره اليه والمعنى
 ما يتبقى عمراً حد ولا ينقص من عمراً حد لكن لا على معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائداً
 بل على معنى انه لا يجعل من الابتداء ناقص الا وهو فى كتاب قال سعيد بن جبير وما يعمر
 من معمر الا كتب عمره كم هو سنة كم هو شهراً كم هو يوماً كم هو ساعة ثم يكتب فى كتاب
 آخر نقص من عمره ساعة نقص من عمره يوم نقص من عمره شهر نقص من عمره سنة حتى
 يستوفى أجله فامضى من أجله فهو النقصان وما يستقبل فهو الذى يعمره قال النسيبى
 هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه
 بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احوال الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس

على صنعهم اعلمهم يرجعون أى
 عن المعاصى كما قال تعالى وبلوناهم
 بالحسنات والسيئات اعلمهم
 يرجعون ثم قال تعالى قل سيروا فى
 الارض فانظروا كيف كان عاقبة
 الذين من قبل أى من قبلكم كان
 أكثرهم مشركين أى فانظروا ماذا
 حل بهم من تكذيب الرسل وكفر
 النعم (فأقم وجهك للدين القيم من
 قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله
 يومئذ يصدعون من كفر فعليه
 كفره ومن عمل صالحاً فلانفسهم
 يهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات من فضله انه لا يجب
 الكافرين) يقول تعالى أمراً
 عباده بالمبادرة الى الاستقامة فى
 طاعته والمبادرة الى الخيرات فأقم
 وجهك للدين القيم من قبل ان يأتى
 يوم لا مرد له من الله أى يوم القيامة
 اذا أراد كونه فلا راد له يومئذ
 يصدعون أى يتفرقون ففرق بين
 الجنة وفرق فى السعير ولهذا قال
 تعالى من كفر فعليه كفره ومن عمل
 صالحاً فلانفسهم يهدون ليجزى
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات من

يقولون لا ينسب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق أو تأويل الآية انه يكتب في الصحيفة عمره
 كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفله ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك
 نقصان عمره انتهى وقال قتادة المعمار من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل
 ستين وقيل المعنى ان الله كتب عمر الانسان كذا ان أطاع وودونه ان عصى فأيما بلغ فهو
 في كتاب والضمير على هذا يرجع الى معمر وقيل المعنى وما يعمر من معمر الى الهرم ولا ينقص
 آخر من عمر الهرم الا في كتاب الله أي بقضاء الله قاله الضحاك واختاره النحاس قال وهو
 أشبهه بانظاها التنزيل والاولى ان يقال ظاهر النظم القرآني ان تطويل العمر وتقصيره ما
 بقضاء الله وقدره لاسباب تقتضي التطويل واسباب تقتضي التقصير فمن أسباب
 التطويل ما ورد في صفة الرحم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل قوله من أحب ان
 ييسر له في رزقه وينسأله في أثره أي يؤخر في عمره فليصل رحمه ونحو ذلك ومن أسباب
 التقصير الاستكثار من معاصي الله سبحانه فاذا كان العمر المضروب للرجل مثلا سبعين
 سنة فقدر ينسأله عليها اذا فعل أسباب الزيادة وقد ينقصه منها اذا فعل أسباب النقصان
 والكل في كتاب مبين فلا تخالف بين هذه الآية وبين قوله سبحانه فاذا جاء أجلهم
 لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويؤيد هذا قوله سبحانه يعفو الله ما يشاء ويثبت
 وعنده أم الكتاب وقد قدمنا في تفسيرها ما يزيد ما ذكرنا هنا وضوحا وبيانا قال ابن عباس
 في الآية يقول ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة الا وهو بالغ ما قدرت له من العمر
 وقد قضيت له ذلك فانما ينتهي الى الكتاب الذي قدرت له لا زاد عليه وليس أحد قضيت
 عليه انه قصير العمر والحياة يبالغ العمر ولكن ينتهي الى الكتاب الذي كتب له فذلك قوله
 ولا ينقص من عمره الا في كتاب يقول كل ذلك في كتاب عنده وأخرج أحمد ومسلم وأبو عوانة
 وابن حبان والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين
 أو بخمسة وأربعين ليلة فيقول أي رب أشق أم سعيدة أم كرام أم أنثى فيقول الله ويكتب
 ثم يكتب عمله ووزقه وأجله وأثره ومصيبته ثم تطوى الصحيفة فلا يزد فيها ولا ينقص منها
 وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم والنسائي وأبو الشيخ عن ابن مسعود قال قالت أم حبيسة
 اللهم أمتعني بزوحى النبي وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم انك سألت الله لا مجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة ولن يجعل الله شيئا قبل
 حله أو يؤخر شيئا ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب النار أو عذاب القبر كان
 خيرا وأفضل وهذه الاحاديث مخصوصة بما ورد من قبول الدعاء وانه يعتلج هو والقضاء وبما
 ورد في صفة الرحم انها تزيد في العمر فلا معارضة بين الأدلة كما قدمنا (ان ذلك) أي
 ما سبق من الخلق وما بعده (على الله يسير) لا يصعب عليه منه شيء ولا يعزب عنه كثير
 ولا قليل ولا كبير ولا صغير ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من بديع صنعته وعجيب قدرته فقال
 (وما يستوى البحران هذا) أي أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة (سأخ شرا به)
 مرى يسهل الشحار في الخلق لعذوبته (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذي

فضله أي يجازيهم مجازاة الفضل
 الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة
 ضعف الى ما يشاء الله انه لا يجب
 الكافر من ومع هذا هو العادل فيهم
 الذي لا يجور (ومن آياته ان يرسل
 الرياح مبشرات وليذيقكم من
 رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا
 من فضله ولعلكم تشكرون ولقد
 أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
 يخاوهم بالبينات فاتمنا من الذين
 أجمعوا وكان حقا علينا نصر
 المؤمنين) يذكر تعالى نعمه على خلقه
 في ارساله الرياح مبشرات بين يدي
 رحمته بجي الغيث عقبها ولهذا
 قال تعالى وليذيقكم من رحمته
 أي المطر الذي ينزله فيحيي به العباد
 والبلاد ولتجرى الفلك بأمره أي في
 البحر وانما سيرها بالريح ولتبتغوا
 من فضله أي في التجارات والمعاش
 والسير من اقليم الى اقليم وقطر الى
 قطر ولعلكم تشكرون أي تشكرون
 الله على ما أنعم به عليكم من النعم
 الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا
 تحصى ثم قال تعالى ولقد أرسلنا
 من قبلك رسلا الى قومهم يخاوهم

يحرق الخلق بلوحته فالمراد بالبحرين العذب والمالح فالعذب القرات الحلو واللاجح المر
وقرى سيغ مشددا وقرى ملح بفتح الميم وقيل المقصود من الآية ضرب مثل ضربه الله
تعالى للمؤمن والكافر (ومن كل) منهما (تأكلون لحاظيا) وهو ما يصاد منهما من
حيواناتهم التي تؤكل وهذا وما بعد ذلك اما استطراد في صفة البحرين وما فيها من النعم
والمنافع واما تكمله للتمثيل والمعنى كأنهما وان اشتركا في بعض القوائد لا يتساويان من
حيث انهما متماوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء الماخاط أحدهما ما أفسده وغيره
عن كمال فطرته كذلك لا يساوى الكافر المؤمن وان شاركة في بعض الصفات كالشجاعة
والسخاوة ونحوهما لتباينهما في صفة العظمة لبقاء أحدهما على فطرته الاصلية
وحيازته لكامله اللائق دون الآخر أو تخصيص لللاجح على الكافر من حيث انه يشارك
العذب في منافع كثيرة والكافر خلوص المنافع بالكلية على طريفة قوله تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة الخ قاله أبو السعود (وتستخرجون حلية)
وهي اللؤلؤ والمرجان وهو صغار اللؤلؤ وقال الظرطوشى هو عروق حجر تطلع من البحر
كاصابع الكف وهكذا شاهدناه بغارب الارض كثيرا انتهى والظاهر ان المعنى
وتستخرجون منها حلية وقال المبرد انما تستخرج الحلية من المالح وروى عن الزجاج
انه قال انما تستخرج الحلية منهما اذا اختلطا لان كل واحد منهما على انفراده يربح
النحاس قول المبرد ومعنى تلبسونها تلبسون كل شئ منها بحسبه كالتام في الاصبع
والوار في الذراع والقلادة في العنق والخلخال في الرجل ومما يلبس حلية السلاح الذي
يحمل كالسيف والدرع ونحوهما (وترى الفلأ فيه) أى فى كل واحد من البحرين وقال
النحاس الضمير يعود الى المالح خاصة ولولا ذلك لقال فيهما (مواخر) يقال سخرت السفينة
تخراذشت الماء بجزيرها فيه فالمعنى وترى السفن في البحرين شواق للماء بعضها مقبله
وبعضها مدبرة يريح واحدة وقد تقدم الكلام على هذا في سورة النحل (لتبتغوا من فضله)
أى فعل ذلك لتبتغوا قال مجاهد ابتغاء الفضل هو التجارة في البحر الى البلدان البعيدة في
المدة القريبة كما تقدم في البقرة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم به عليكم من ذلك
(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى يضيف بعض أجزاءها الى الآخر فيزيد
في أحدهما بالنقص في الآخر وقد تقدم تفسيره في آل عمران وفي مواضع من الكتاب
العزير (وتنخر الشمس والقمر) عطف على يولج واختلاف الصيغة لما ان يلاج احد
المالوين في الآخر متجدد حيناً فحيناً واما استخراج النيرين فأمر لا يتجدد ولا تعدد فيه وانما
المتعدد المتجدد آثاره (كل) منهما (يجرى) في فلكه (لاجل مسمى) قدره الله لجزائرها
وهو يوم القيامة وقيل هو المدة التي يقطعان في مثلها الفلك وهو سنة للشمس وشهر
للقمر وقيل المراد به جرى الشمس في اليوم والقمر في الليلة وقد تقدم تفسير هذا
مستوفى في سورة اقمان (دلكم) أى انفاعل لهذه الافعال المتقدمة من أول السورة
الى هنا وهو مبتدأ وخبره (الله ربكم له الملك) أى هذا الذى من صنعته ما تقدم هو
خالق المقدر والقادر والمقتدر المالك للعالم والمتصرف فيه ويجوز ان يكون قوله

باليئات فاتقنما من الذين أخرجوا
هذه تسليمة من الله تعالى لعبد
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه
وان كذبه كثير من قومه ومن الناس
فقد كذبت الرسل المتقدمون مع
ما جاؤا أمهم به من الدلائل
الواضحات ولكن اتقن الله ممن
كذبهم وخالفهم وأنجى المؤمنين
بهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين
أى هو حق أو حبه على نفسه
الكرامة تكريما ونفضا لا كقوله
تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة
وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبى
حدثنا ابن فضال حدثنا موسى بن أعين
عن ليث عن شهر بن حوشب عن أم
الدرداء عن أبى الدرداء رضى الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم
يرد عن عرض أخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم
القيامة ثم تلا هذه الآية وكان
حقا علينا نصر المؤمنين (الله الذى
رسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا
فترى الودق يخرج من خلاله فاذا

له الملك جملة مستقلة في مقابلة قوله (والذين تدعون من دونه ما يكون من قطمير) أي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير القشرة الرقيقة التي تكون بين القرة والنواة وتصير على أنواة كاللثافة لها وقال المبرد هو شق النواة وقال قتادة هو القمع الذي على رأس النواة قال الجوهرى ويقان هي السكة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها الخلة وقال ابن عباس القطمير لقشر وفي لفظ الجلد الذي يكون على ظهر النواة ومعلوم ان في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة القليل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللثافة والنفروق وهو ما بين القمع والنواة والتفسير وهو ما في ظهرها ثم بين سبحانه حال هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله بأنهم لا ينعون ولا يضررون فقال (ان تدعوهم) أي ان تستغيثوا بهم في النوائب (لا يستجوابكم) لكونها جادات لا تدرك شيئا من المدركات (ولو دعوا) ففرضوا تقديرا (ما استجابوا لكم) لجزمهم عن ذلك قال قتادة المعنى ولو دعوا لم ينفعوكم وقيل المعنى لو جعلنا لهم سماعا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ولم يستجيبوا لكم الى ما دعوتهم اليه من الكفر (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي يبرؤون من عبادتكم لهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون ويجوز ان يرجع والذين تدعون من دونه وما بعده الى من يعقل من عبدهم الكفار وهم الملائكة والجن والشياطين والمعنى انهم يجحدون ان يكون ما فعلتوه حقا وينكرون انهم امرؤكم بعبادتهم كما أخبر الله عن عيسى بقوله ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق قال القرطبي ويجوز ان يندرج فيه الاصنام أيضا أي يحياها الله حتى يخبر بأنها ليست أهلا للعبادة (ولا ينبتك مثل خبير) أي لا يخبرك أيها المفتون بأسباب الغرور مثل من هو خبير بالاشياء عالم بخبايا الامور وهو الله سبحانه فانه لا أحد اخبر بخلقهم وأقوالهم وأفعالهم منه سبحانه وهو الخبير بكنه الامور وحقايقها ثم ذكر سبحانه افتقار خلقه اليه ومزيد حاجتهم الى فضله فقال (يا أيها الناس أنتم الفقراء) الختاجون (الى الله) في جميع أمور الدين والدنيا فهم الفقراء اليه على الاطلاق في أنفسهم وفيما يعرض لهم من سائر الامور وتعرف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا ولم يسهمم بالقرآن للتحقير بل لله ربض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغنى الذي هو مطمع الاغنياء فقال (والله هو العزى) على الاطلاق (الحمد) المستحق للحمد من عباده باحسانه اليهم ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من الانواع التي يتحقق عندها انتقارهم اليه واستغناؤه عنهم فقال (ان يشأ يذهبكم) كلكم الى العدم وينفيكم وفيه بلاغة كاملة أي ليس اذهابكم موقوفا على مشيئته ثم زاد على بيان الاستغناء بقوله (ويا ت) بدلتم (بخلق جديد) يطيعونه ولا يعصونه أو يأت بنوع من أنواع الخلق وعالم من العوالم غير ما تعرفون (وما ذلك) الاذهاب بكم والايان بالآخرين (على الله بعزير) أي بعينه ولا متعسر وقدمى تفسير هذا في سورة ابراهيم (ولا تزرن) أي ولا يحملن نفس (وازره) أتمه (وزر) انتم نفس

أصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله الملبسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فإرأود مصفر الظلوا من بعده يكفرون) يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء فقال تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا مامن البحر كاذره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل فيبسطه في السماء كيف يشاء أي يمدده فيكثره وينميه ويجعل من القليل كثيرا ينشئ سحابة ترى في رأى العين مثل الترس ثم يبسطها حتى تتلا أرباء الافق وتارة تأتي السحابة من فوق البحر ثقلا مملوءة ماء كما قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقلا استقناه لبلد ميت الى قوله كذلك يخرج الموتى لعلكم تذكرون وكذلك قال عهنا الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا قال مجاهد وأبو عمرو بن

(أخرى) تحذف الموصوف للعلم به بل كل نفس تحمل وزرها ولا تخالف هذه الآية قوله
ويحملن أثقالهم وأثقالهم مع أثقالهم لانهم انما حملوا أثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم
والكل من أوزارهم لان أوزار غيرهم ومثل هذا حديث من سن سنة سيئة فعلية
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان الذي سن السنة السيئة انما حمل وزر
سنته السيئة وقد تقدم الكلام على هذه الآية مستوفى وقد أخرج أحمد والترمذي
وصححه والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن الاحوص ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال في حجة الوداع ألا لا يجني جان الاعلى نفسه لا يجني والد على ولده ولا مولود على والده
وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي وغيرهم عن أبي رزمة قال انطلقت مع
أبي شحور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رأته قال لابي ابنك هذا قال اي ورب
الكعبة قال أما انه لا يجني عليك ولا تجني عليه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
هذه الآية قال ابن عباس يلقي الاب والام الابن فيقولان له يا بني اجعل عنا بعض ذنوبنا
فيقول لا استطيع حسبي ماعلى (وان تدع مثقلة الى حملها) قال القراء أي نفس مثقلة
بالذنوب قال وهذا يقع للمذكر والمؤنث قال الاخفش أي وان تدع مثقلة انسانا الى
حملها وهو ذنوبها والحمل بالكسر ما يحمل على الظهور ونحوه والجمع اجمال وحول وجلت
المتاع جلامن باب ضرب فأنا حامل والاشئ حامله بالتاء لانها صفة مشتركة قال ابن
السكيت الحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة والحمل بالكسر ما كان على ظهر
أو رأس قال الأزهرى وهذا هو الصواب وهو قول الاصمعي وقال امرأة حامل وحامله
إذا كانت حبلى (لا يحمل منه) أي من حملها (شيئ) قال ابن عباس لكونه عليه
وزر لا يجبدأ حد يحمل عنه من وزره شيئا (ولو كان ذا قربي) أي ولو كان الذي تدعوه
ذا قرابة ألهام يحمل من حملها شيئا ومعنى الآية وان تدع نفس مثقلة بالذنوب نساء أخرى
الى حمل شيء من ذنوبها معهما تحمل تلك المدعوة من تلك الذنوب شيئا ولو كانت قريبة
لهما من النسب كالاب والام والابن والايخ فكيف غيرها من لاقربة بينها وبين الداعية
لها وقرئ ذوقربي على ان كان تامة كقوله وان كان ذو عسرة قال الزنجشري ونظم
الكلام أحسن ملاءمة للمناقصة لان المعنى على ان المنقلة اذا دعت أحدا الى حملها
لا يحمل منه ولو كان مدعوا ذاقربي وهو ملتئم ولو قلت ولو وجد ذوقربي نخرج عن
التثامه انتهى (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) مستأنفة مسوقة لبيان من
يعظ بالانذار أي انهم يخشونه حال كونهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه وهو غائب
عنهم ويخشونه في الخلووات عن الناس قال الزجاج تأويله ان انذارك انما ينفع الذين
يخشون ربهم فكانك تنذرهم دون غيرهم ممن لا يتفهم الانذار كقوله انما أنت منذر
من يخشاها وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب (وأقاموا الصلاة)
أي احتفلوا بأمرها ولم يشغلوا عنها بشئ مما يليهم وأداموها (ومن تركي فأنما يتركي
لنفسه) وقرئ من أركي فأنما يركي لنفسه والتركى التطهر من ادناس الشرك
والفواحش والمعنى ان من تطهر بترك المعاصي واستكثر من العمل الصالح فأنما

العلاء ومطر الوراق وقناعة يعنى
قطعا وقال غيره مترا كما قاله
الضحاك وقال غيره المسود من كثرة
الماء تراه مدلهما ثقبلا قريبا من
الارض وقوله تعالى فترى الودق
يخرج من خلاله اي فترى المطر
وهو التطير يخرج من بين ذلك
السحاب فاذا أصاب به من يشاء
من عباده اذا هم يستبشرون أي
لحاجتهم اليه يفرحون بنزوله
عليهم ووصوله اليهم وقوله تعالى
وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من
قبله لمبلسين معنى الكلام ان هؤلاء
القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا
قائطين أزليين من نزول المطر اليهم
قبل ذلك فلما جاءهم جاءهم على فاقة
فوقع منهم موقعا عظيما وقد اختلف
النحاة في قوله من قبل أن ينزل عليهم
من قبله لمبلسين فقال ابن جرير هو
تأكيد وحكا عن بعض أشمل
العريفة (١) وقال آخرون من قبل
أن ينزل عليهم المطر من قبله أي
الانزال لمبلسين ويحتمل ان يكون
ذلك من دلالة التأسيس ويكون
معنى الكلام انهم كانوا محتاجين اليه

(١) قوله وقال آخرون الى قوله
لمبلسين هذه العبارة زائدة في بعض
النسخ وله لها عين ما قبلها فتمل
اه محصه

يتظهر لنفسه لان نفع ذلك مختص به كما ان وزر من تدنس لا يكون الاعليه لاعلى غيره
 (والى الله المصير) لالى غيره ذكر سبحانه اولاً لانه لا يحمل أحد ذنب أحد ثم ذكر ثانياً ان
 المذنب ان دعا غيره وان كان من قرابته الى حل شيء من ذنوبه لا يحمله ثم ذكر ثالثاً ان
 ثواب الطاعة مختص بقاعلها ليس لغيره منه شيء ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر وقد
 قرر بيان التنافي أولاً بين ذاتيهما وثانياً بين وصفيهما وثالثاً بين مستقريهما راداً ربهما
 فى الآخرة فقال (وما يستوى الاسمى) أى المسلوب حاسة البصر واستوى من الافعال
 التى لا يكتفى فيها واحد فلو قلت استوى زيد لم يصح فن ثم لم العطف على الفاعل أو تعدده
 (والبصير) الذى له مدركة البصر فشبها الكافر بالاعى وشبه المؤمن بالبصير وقيل
 مثل للجاهل والعالم (ولا) تستوى (الظلمات ولا النور) فشبه الباطل بالظلمات
 وشبه الحق بالنور وقيل انما جمع الظلمات وأفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق
 (ولا الظل ولا الحرور) بالفتح شدة حر الشمس وهو خلاف البردية قال حر اليوم والطعام
 يحمر من باب تعب وحر حرور من بابى ضرب وقعد لغة والاسم الحرارة فهو حار
 وحررت النار تحمر من باب تعب توقدت واستعرت والحررة بالفتح أرض ذات حجارة سود
 والجمع حرار مثل كلبة وكلاب والحرور وزان رسول الربح الحارة قال الاخفش لا يكون
 الحرور الا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل وقيل عكسه وقال رؤبة بن العجاج
 الحرور يكون بالليل خاصة والسموم يكون بالنهار خاصة وقال الفراء السموم لا يكون
 الا بالنهار والحرور يكون فيهما قال النحاس وهذا أصح وقال قطرب الحرور والحرور الظل
 البرد والمعنى انه لا يستوى الظل الذى لاحر فيه ولا أذى والحر الذى يؤذى قيل أراد
 الثواب والعقاب وسعى الحرور رابغة فى شدة الحر لان زيادة البناء تدل على زيادة
 المعنى وقال الكلبى أراد بالظل الجنة وبالحرور النار وقال عطاء يعنى ظل الليل وشمس
 النهار ثم ذكر سبحانه مثلاً آخر للمؤمن والكافر وهو أبلغ من الاول فقال (وما يستوى
 الاحياء ولا الاموات) فشبه المؤمنين بالاحياء وشبه الكافرين بالاموات وهو أبلغ من
 الاول لكمال التنافي بين الحى والميت ولذلك أعيد الفعل وأما التنافي بين الاعى والبصير
 فليس تاماً لا يمكن اشتراكهما فى كثير من الادراكات وقال ابن قتيبة الاحياء العتلاء
 والاموات الجهال قال قتادة هذه كلها أمثال اى كما لا يستوى هذه الاشياء كذلك
 لا يستوى الكافر والمؤمن وقد زيدت لافى المواضع الثلاثة خمس مرات اثنتين فى الاولى
 واثنتين فى الثانية وواحدة فى الثالثة والكل لتأكيدنى الاستواء فالزيادة شاملة لاصل
 زيادتهما كالأولى من الجملة الاولى ولتكريرها كالثانية منها (ان الله يسمع من يشاء)
 ان يسمعه من أوليائه الذين خلقهم لجنه ووقفهم لطاعته وهذا شروع فى تسليمة النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وتنتهى بقوله فكيف كان تكبير والمراد من قوله يسمع بهدى
 ويوصل من يشاء وصوله وهدايته فيجيبه بالايان (وما أنت بمسمع من فى القبور) يعنى
 الكفار الذين أمات الكفر فلو بهم اى كما لا يسمع من مات كذلك لا يسمع من مات قلبه
 قرئ بتنوين مسمع وقطعه عن الاضافة وباضافته (ان أنت الا نذير) أى ما أنت الا رسول

قبل نزوله ومن قبله أيضاً قد فات
 عندهم نزول وقتا بعد وقت فترقبوه
 فى ابائه فتأخر ثم مضت مدة فترقبوه
 فتأخر ثم جاءهم بعتة بعد الاياس
 منه والقنوط فبعدهما كانت أرضهم
 مقشورة هامدة أصبحت وقد اهترت
 وربت وأبنت من كل زوج يجمع
 ولهذا قال تعالى فانظر الى آثار
 رحمة الله يعنى المطر كيف يحيى
 الارض بعدهموتها ثم شبه بذلك على
 احياء الاجساد بعدهموتها وتفرقها
 وتمزقها فقال تعالى ان ذلك لمحي
 الموتى أى ان الذى فعل ذلك لقادر
 على احياء الاموات انه على كل شيء
 قدير ثم قال تعالى ولئن أرسلنا ريحا
 فقرأوه مصفراً الظلوا من بعدهم يكفرون
 يقول تعالى ولئن أرسلنا ريحا يابسة
 على الزرع الذى زرعوا ونبت وشب
 واستوى على سوقه فقرأوه مصفراً
 أى قد اصفر وشرع فى الفساد
 لظلوا من بعدهم أى بعدهم هذا الحال
 يكفرون أى يجعدون ما تقدم اليهم
 من النعم كقوله تعالى أفرايتم
 ما تحرثون الى قوله بل نحن محرومون
 قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا
 محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا
 هشيم بن يعلى بن عطاء عن أبيه

منذر ليس عليك الا الانذار والتبليغ وليس للثمن الهدى شي انما الهدى والضلالة
 بيد الله عز وجل (انا ارسلناك بالحق) أى محتين أو محققاً أو رسالاً تطلب بالحق أى بالهدى
 (بشيراً) بالوعيد الحق (ونذيراً) بالوعيد الحق أو بشيراً لاهل الطاعة ونذيراً لاهل المعصية
 (وان من أمة الا اخلا فيها نذير) أى ما من أمة من الامم الماضية الا مضى فيها نذير من
 الانبياء ينذر بها الامة الجماعة الكثيرة وتقال لكل أهل عصر والمراد هنا أهل العصر
 واقتصر على ذكر النذير دون التبشير لانه الصق بالمقام فان قلت كم من أمة في الفترة بين
 عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يحل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية
 لم تحل من نذير الا أن تمدرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله
 محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبى بعده فهل من
 مذكر وهذا يقتضى ان أهل الفترة مكفون لبقاء آثار الرسل المتقدمة فيهم وهو خلاف
 ما فى شرح ابن حجر على الهمزية ان أهل الفترة من أهل الجنة وان غيروا وبدلوا وعبدوا
 غير الله لانه لم يرسل اليهم رسولا لان من قبلهم من الرسل انتهت رسالته بموته اذ لم يعلم لاحد
 من لرسل استمرار رسالته بعد الموت الا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهم غير مكفين
 بما يفعلونه ولو كان صورة معصية لكن ورد النص بتعذيب بعض أهل الفترة كعمرو
 ابن لحي فينتقى ويعتقد فيهم ورد فيهم بمخصوصهم لان ما فعلوه كثير بل الحكمة يعلمها
 الله تعالى لم نطلع عليها انتهى ملخصاً وينتشد فالظاهر انه لا يحصل الاتصال بين الآية
 وبين ما تقرر الا بان يلتزم ان جله العرب أمة ويصدق تقدم المذير فيها بتقديم سمعيل وان
 بنى اسرائيل أمة ويصدق تقدم النذير فيهم بتقدم عيسى ومن قبله فتأمل ثم على سبحانه
 نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعزاه فقال (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) من
 الامم الماضية انبياءهم (جاءتهم رسالهم بالبينات) أى بالمعجزات الواضحة والدلالات
 الظاهرة (وبالزبر) أى الكتب المكتوبة كصحف ابراهيم وهى ثلاثون وكصحف موسى
 قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون فجمله الصحف مائة تضم لها الكتب
 الاربعة فجمله الكتب المترلة على الانبياء مائة وأربعة قاله الحنفى (وبالكتاب المنير)
 كالتوراة والانجيل قيل الكتاب المنير داخل تحت الزبر وتحت البينات والعطف لتغاير
 المفهومات وان كانت متعددة في الصدق والاولى تخصيص البينات بالمعجزات والزبر
 بالكتب التى فيها مواظب والكتاب بما فيه شرائع وأحكام وجواب الشرط محذوف أى
 فاصبر كما صبروا وان المذكور دليل له (ثم أخذت الذين كفروا) وضع الظاهر موضع
 المضمرة فيد التصريح بدمهم بما فى حيز الصلة ويشعر بعلة الاخذ (فكيف كان تكبير)
 الاستفهام تقريرى كما قاله السرخى وينبغى ان يتأمل فيه أى فكيف كان تكبيرى عليهم
 وعقوبى لهم والتكبير يعنى الانكار وهو تغيير المنكر وقد مضى بيان هذا قريباً ثم ذكر
 سبحانه نوعان من أنواع قدرته الباهرة وخلقاً من مخلوقاته البديعة فقال (المرز) والخطاب
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأول كل من يصلح له وهذه الرؤية هى القلبية أى لم تعلم
 (ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) أى بالماء يعنى المطر والنسكته فى هذا الالفاظ

عن عبد الله بن عمرو قال الرياح
 ثمانية أربعة منها رجة وأربعة منها
 عذاب فأما الرجة فالنساشرات
 والمبشرات والمرسلات والذاريات وأما
 العذاب فالعقيم والصرصر وهما
 فى البر والعاصف والقاصف وهما
 فى البحر وقال ابن أبى حاتم حدثنا
 ابن عبيد الله بن أبى حاتم عن وهب
 حدثنا عنى حدثنا عبد الله بن عباس
 حدثنى عبد الله بن سلمان عن دراج
 عن عيسى بن هلال الصدقى عن
 عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الريح مسخر
 من الثانية يعنى من الارض الثانية
 فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن
 الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك
 فقال يارب أرسل عليهم من
 الريح قدر نخثر الثور قال له الجبار

اظهار كمال العناية بالفعل لما فيه من الصنع البديع ولان المنة بالخراج أبلغ من انزال
 الماء (ثمرات محتتملها ألوانها) المراد بالالوان الاجناس والاصناف من الرمان والتفاح
 والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أوهيا كلها أى بعضها أبيض وبعضها أحمر وبعضها
 أصفر وبعضها أخضر وبعضها أسود قال ابن عباس أى الأبيض والاحمر والأسود (ومن
 الجبال جدد) الجدد جمع جدة بالضم وهى الطريق قال الاخفش ولو كان جمع جديد لقال
 جدد بضم الجيم والدال نحو سرير وسرر وقرأ الزهرى جدد بضم الجيم والدال جمع جديدة
 يقال جديدة وجدد وجدائد وقال أبو الفضل معناها آثار جديدة واضحة الالوان وقرأ
 بفتحهما وقد ردد أبو حاتم هذه القراءة من حيث النقل والمعنى وقد صححها غيره وقال الجدد
 الطريق الواضح البين وقيل الجدد القطع مأخوذ من جدت الشئ اذا قطعت حكاها ابن
 بحر قال الجوهرى الجدة الخطة التى فى ظهر الحمار تخالف لونه والجدة الطريق والجمع
 جدد وجدائد قال المبرد جدد طريق وخطوط قال الواحدي ونحو هذا قال المفسرون
 فى تفسير الجدد وقال الفراء هى الطرق تكون فى الجبال كالعروق بيض وسود وحجر
 واحدها جدة (بيض وحجر) وصفر (مختلف ألوانها) بالشدّة والضعف والمعنى ان الله
 سبحانه أخبر عن جدد الجبال وهى طرائقها والخطوط التى فيها بان لون بعضها البياض
 ولون بعضها الحجرة (وغرايب سود) الغريب الشديد السواد الذى يشبه لونه لون الغراب
 قال الجوهرى تقول هذا أسود غريب أى شديد السواد واذا قلت غرايب سود جعلت
 السود بدلا من غرايب قال الفراء فى الكلام تقديم وتأخير تقديره وسود غرايب لانه
 يقال أسود غرايب وقيل يقال غريب أسود وقيل الغريب تأكيده للسود كالقانى
 للاجر ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكّد وانما قدم للمبالغة والمعنى من الجبال جدد
 بيض وحجر ومن الجبال غرايب على لون واحد وهو السواد ومن الجبال جدد بيض
 وحجر وسود وقيل التقدير ومن الجبال ذو جدد لان الجدد انما هى فى ألوان بعضها
 (ومن الناس والدواب) وقرأ بتخفيف الباء (والانعام) أى ومنهم صنف أو نوع
 أو بعض (مختلف ألوانه) بالحجرة والسواد والبياض والخضرة والصفرة قال الفراء أى
 خلق مختلف ألوانه كاختلاف الثمرات والجبال وانما ذكر سبحانه اختلاف الالوان فى هذه
 الاشياء لان هذا الاختلاف من أعظم الأدلة على قدرة الله وبديع صنعته (كذلك) أى
 مختلفا مثل ذلك الاختلاف والتقدير مختلف ألوانه اختلافا كما أننا كذلك أى كاختلاف
 الجبال والثمار وقال ابن عطية متعلق بما بعده أى مثل ذلك النظر والاعتبار فى
 مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله من عباده العلماء وهو مردود بان ما بعده انما
 لا يعمل فيما قبلها والراجح الوجه الاول والوقف على ذلك تام ثم استأنف الكلام وأخبر
 سبحانه بقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) وهو من تمام قوله انما تقدر الذين يخشون
 ربهم بالغيب على معنى انما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به وبما يليق به من صفاته الجليلة
 وأفعاله الجليلة وعلى كل تقدير فهو سبحانه قد عين فى هذه الآية أهل خشيته وهم العلماء به
 وبعضهم قدرته قال مجاهد انما العالم من خشى الله عز وجل ومثله عن الشعبي وقال

تبارك وتعالى لا اذا يكفأ الارض
 ومن عليها ولكن أرسل عليهم
 بقدر حاتم فهى التى قال الله فى كتابه
 ما نذر من شئ أتت عليه الا جعلته
 كالريم هذا حديث غريب ورفعه
 منكره والظاهر انه من كلام عبد الله
 ابن عمرو رضى الله عنه (فانك
 لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
 اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى
 العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن
 يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) يقول
 تعالى كما انك ليس فى قدرتك انك
 تسمع الاموات فى أجدانها ولا يبلغ
 كلام الصم الذين لا يسمعون وهم
 مع ذلك مدبرون عنك كذلك
 لا تقدر على هداية العميان عن
 الحق وردهم عن ضلالتهم بل ذلك
 الى الله فانه تعالى بقدرته يسمع

مسروق كفي بخشية الله علما وكفي بالاغترار جهلا وعن ابن مسعود نحوه فمن كان أعلم بالله كان أخشاهم له قال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم ووجه تقديم المفعول ان المقام مقام حصر الفاعلية ولو أخر لانعكس الامر وقري برفع الاسم الشريف ونصب العلماء ورويت هذه القراءة عن أبي حنيفة قال في الكشاف الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انه يجعلهم ويعظمهم كما يجعل المهيب الخشي من الرجال بين الناس قال ابن عباس العلماء بالله الذين يخافونه وعنه قال الذين يعلمون ان الله على كل شيء قدير وعن ابن مسعود قال ليس العلم من كثرة الحديث ولكن العلم من الخشية وفي النظم بكثرة الرواية وعن حذيفة بحسب المؤمن من العلم ان يخشى الله وعن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية أخرجه البخاري ومسلم (ان الله عزير غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب على معصيته غافرا لمن تاب من عباده (ان الذين يتلون كتاب الله) أي يستترون على تلاوته ويذامونها والكتاب هو القرآن العظيم ولاوجه لما قيل ان المراد به جنس كتب الله (وأقاموا الصلاة) أي فعلوها في أوقاتها مع كمال أركانها وأذكارها عن ابن عباس قال نزلت في حصين بن الحر بن عبد المطلب ابن عبد مناف (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) فيه حث على الاتفاق كما تهايمأ فان تهايمأ سرا فهو أفضل والافعلانية ولا يمنع ظنه ان يكون رياء فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء ويمكن ان يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة وبالعلانية الزكاة واليه أشار في التقرير قاله الكرخي وقيل السرفى المسنونة والعلانية في المفروضة (يرجون تجارة) أي ثواب الطاعة (لن تبور) أي لن تسكد وان تهلك والاختبار برجائهم لثواب ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم واللام في قوله (ليوفيههم أجورهم) متعلقة بلن تبور على معنى انها لن تسكد لاجل ان يوفيههم أجور أعمالهم الصالحة ومثل هذه الآية قوله سبحانه فالما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله وقيل ان اللام متعلقة بجدوف دل عليه السياق أي فعلوا ذلك ليوفيههم ومعنى (ويزيدهم من فضله) انه يتفضل عليهم بزيادة على أجورهم التي هي جزاء أعمالهم قيل بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فمن أحسن اليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه (انه غفور شكور) تعليل لما ذكر من التوفية والزيادة أي غفور لذنوبهم شكور لطاعتهم (والذي أوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن وقيل اللوح المحفوظ على ان من تعيضية أو ابتداءية (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أي موافقا لما تقدمه من الكتب (ان الله بعباده خبير بصير) أي محيط بجميع أمورهم الباطنة والظاهرة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) انما قدم المفعول الثاني لقصد التشريف والتعظيم للكتاب والمعنى ثم أورثنا الذين اصطفيناهم من عبادنا الكتاب وهو القرآن أي قضينا وقد رنا بان نورث العلماء من أمتك يا محمد هذا الكتاب الذي نزلناه عليك فأورثنا استعارة تبعية سمي

الاموات أصوات الاحياء ادا شاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء وليس ذلك لاحد سواه ولهذا قال تعالى ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون أي خاضعون مستحيبون مطيعون فأرثناك هم الذين يسمعون الحق فيتعوبونه وهذا حال المؤمنين والاول مثل الكافرين كما قال تعالى انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يعثمهم الله ثم اليه يرجعون وقد استدل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية انك لا تسمع الموتى على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم القتلى الذين القوا في قلب بدر بعد ثلاثة أيام ومعاينة اياهم وتقريره لهم حتى قال له عمر

اعطاه لكتاب اياهم من غير كد وتعب في وصوله اليهم بتورث الوارث ومن اللسان
أو للتبعيض والمراد بعبادنا أمة الاجابة سواء حفظوه أو لافه وعظيمة لجمعهم حتى من لم
يحفظه لانه قدوته وفيه هدايته وبركته ومعنى اصطفاهم اختيارهم واستخلاصهم
ولاشك ان علماء هذه الامة من الصحابة فمن بعدهم الى يوم القيامة قد شرفهم الله على سائر
العباد وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وأكرمهم بكونهم أمة خير الانبياء
وسيد ولد آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام وخصهم بحمل أفضل الكتب قال مقاتل يعني
قرآن محمد جعلناه ينتهي الى الذين اصطفيانا هم من عبادنا وقيل ان المعنى أو رثناه من الامم
السابقة أي أخرناه عنهم وأعطيناها الذين اصطفيانا والاول أولى ثم قسم سبحانه هؤلاء
الذين أورثهم كتابه واصطفاهم من عباده الى ثلاثة أقسام فقال (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) وفي قوله (بادن الله) تنبيه على عزة منزل هذه الرتبة
وصعوبة ما أخذها أي بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أي تورث الكتاب والاصطفاء
وقيل السابق الى الخيرات والاول أولى وهو مبتدأ وخبره (هو الفضل الكبير) أي
الفضل الذي لا يقادر قدره وقد استشكل كثير من أهل العلم معنى هذه الآية لانه سبحانه
جعل هذا القسم الظالم لنفسه من ذلك المقسم وهو من اصطفاهم من العباد فكيف
يكون من اصطفاه الله ظالم لنفسه فقول ان التقسيم هو راجع الى العباد أي من عبادنا
ظالم لنفسه وهو الكافر ويكون ضمير يدخلونها عائدا الى المقصد والسابق وقيل المراد
بالظالم لنفسه هو المقصر في العمل به وهو المرجى لامر الله وليس من ضرورة وراثته الكتاب
مراعاته حتى رعايته لقوله خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب وهذا فيه نظر لان ظلم
النفس لا يناسب الاصطفاء وقيل الظالم لنفسه هو الذي عمل الصغائر وقدروى هذا
القول عن عمر وعثمان وابن مسعود وأبي الدرداء وعائشة وهذا هو الراجح لان عمل
الصغائر لا يناسب الاصطفاء ولا يمنع من دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنة ووجه
كونه ظالم لنفسه انه نقصها من الثواب بما فعل من الصغائر المغفورة لانه لو عمل مكان
تلك الصغائر طاعات لكان لنفسه فيها من الثواب حظ عظيم وقيل الظالم هو صاحب
الكبائر قلت ومنشأ الاشكال هو من جعل الوارثين هم العلماء من أمة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم اذ لو جملت الوراثة لجميع الامة زال الاشكال للقطع بان منهم ظالم لنفسه
ولا يناسب الاصطفاء لكونهم فضلوا لامم الآخرة وقد رد في ذلك شيء كثير كما لا يخفى
ويؤيده ما سياتي آخر البحث والله أعلم وقد اختلف السلف في تفسير السابق والمقتصد
فقال عكرمة وقنادة والضحاك ان المقصد المؤمن العاصي والسابق التقي على الاطلاق
وبه قال القراء وقال مجاهد في تفسير الآية فمنهم ظالم لنفسه أصحاب المشأمة ومنهم
مقتصد أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون من الناس كلهم وقال المبرد ان
المقتصد هو الذي يعطى الدنيا حقن او الآخرة حقها وقال الحسن الظالم الذي ترجح سيئاته
على حسناته والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته على
سيئاته وقال مقاتل الظالم لنفسه أصحاب الكبائر من أهل التوحيد والمقتصد الذي

يارسول الله ماتحاطب من قوم
قد جيفوا فقال والذي نفسي بيده
ما أنتم بأجمع لما أقول منهم ولكن
لا يجيبون وتأولته عائشة على انه قال
انهم الا ان يعلمون ان ما كنت أقول
لهم حق وقال قتادة أحياءهم الله له
حتى سمعوا مقالته تفر يعاوون بيضا
ونقمة والصحیح عند العلماء رواية
عبد الله بن عمر لما هم من الشواهد
على صحتهما من وجوه كثيرة من أشهر
ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاه
عن ابن عباس مرفوعا ما من أحد
يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في
الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه
روحه حتى يرد عليه السلام (الله
الذي خلقكم من ضعف ثم جعل
من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو

لم يصب كبيرة والسابق الذي سبق الى الاعمال الصالحة وحكى النحاس ان الظالم صاحب الكبر والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته فيكون قوله الاتي جنات عدن يدخلونها الذين سبقوا بالخيرات لا غير قال وهذا قول جماعة من أهل النظر لان الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى وقال الضحاك فمنهم ظالم لنفسه أى من ذريتهم ظالم لنفسه وقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم لنفسه الجاهل وقال ذوالنون المصرى الظالم لنفسه اذا كره الله بلسانه فقط والمقتصد اذا كره بقلبه والسابق الذى لا ينساه وقال الانطاكى الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وقال ابن عطاء الظالم الذى يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذى يحب الله من أجل العقبى والسابق الذى أسقط مراده بمراد الحق وقيل الظالم الذى يعبد الله خوفاً من النار والمقتصد الذى يعبد طمعاً في الجنة والسابق الذى يعبد له لا لسبب وقيل الظالم الذى يحب نفسه والمقتصد الذى يحب دينه والسابق الذى يحب ربه وقيل الظالم الذى يتصف ولا يتصف والمقتصد الذى يتصف ولا يتصف والسابق الذى يتصف ولا يتصف وقيل الظالم هو المرء لا المرء الله والمقتصد هو الذى خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً قال النسفي وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين الآتية وقال بعده وآخرون اعترفوا بتوبتهم الآتية وقال بعده وآخرون مرجون لامر الله انتهى وقال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبر والمقتصد صاحب الصغار والسابق المجتنب له هو أو سئل أبو يوسف عن هذه الآتية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كثر الوهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين صطفى من عبادهم أهل الايمان وعلمية الجهور وقيل الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خيراً من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارى له العالم به العامل بما فيه وقد ذكر التعلىب وغيره أقوالاً كثيرة ولا شك ان المعانى اللغوية للظالم والمقتصد والسابق معروفة وهو يصدق الظالم لنفسه بمجرد احرامها للحظ وتفويت ما هو خيرها فإتارك الاستكثار من الطاعات قد ظلم نفسه باعتبار ما فوقها من الثواب وان كان قائماً بما أوجب الله عليه تاركاً لما نهاه عنه فهو من هذه الخبيثة ممن اصطفاها الله ومن أهل الجنة فلا اشكال في الآتية ومن هذا قول آدم عليه السلام رب بناظلمنا أنفسنا وقول يونس انى كنت من الظالمين ومعنى المقتصد هو من يتوسط في أمر الدين ولا يعمل الى جانب الافراط ولا الى جانب التفريط وهذا من أهل الجنة وأما السابق فهو الذى سبق غيره في أمور الدين وهو خير الثلاثة وقد استشكل تقديم الظالم على المقتصد وتقدمهما على السابق مع كون المقتصد أفضل من الظالم لنفسه والسابق أفضل منهما ففعل ان التقديم لا يقتضى التشريف كما في قوله لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ونحوها من الآيات القرآنية التى فيها تقديم أهل الشر على أهل الخير وتقديم المفضلين على الفاضلين وقيل وجه التقديم ههنا ان الظالمين كثير وان المقتصدين بالنسبة الى أهل

العلم القدير) يذبه تعالى على تنقل الانسان في أطوار انطلق حالاً بعد حال فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغعة ثم يصير عظماً ثم تكسى العظام لحاجاً ينفخ فيه الروح ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً ثم يفاوهم القوي ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً ثم حدثاً ثم مرهقاً ثم شاباً وهو القوة بهد الضعف ثم يشرع في النقص فيكهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة فتضعف الهمة والحركة والبطش وتشدب اللهمة وتغير الصفات الظاهرة والباطنة ولهذا قال تعالى ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء أى ينعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد وهو العلم القدير قال

المعاصي قليل والسابقين بالنسبة الى الفريقين أقل قليل فقدم الاكثر على الاقل والاول
أولى فان الكثرة بمجرد ما لا تقتضى تقديم الذكر وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لثلاث
سبب من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل ان أول الاحوال
معصية ثم توبة ثم استقامة وقال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبار ابائه لا يتقرب اليه
الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقصد من لانهم بين الخوف والرجاء ثم
ختم بالسابقين لثلاث سبب من أحدمكره وكلمهم في الجنة وقد قيل في وجه التقديم غير ما ذكرناه
بما لا حاجة الى التطويل به وعن ابن عباس في الآية قال هم أمة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزل فظالمهم مغفور له ومقصدهم بحساب حسابا يسيرا وسابقهم
يدخل الجنة بغير حساب وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وغيرهم ما عن أبي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في هذه الآية هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة
وكلهم يدخلون الجنة وفي اسناده رجلان مجهولان وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني
والحاكم وغيرهم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال
الله ثم أورثنا الكتاب الآية فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب
وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين
يحاسبون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي
أذهب عنا الحزن الآية قال البيهقي اذا كثرت روايات في حديث ظهر أن للحديث
أصلا انتهى وفي اسناد أحمد محمد بن اسحق وفي اسناد ابن أبي حاتم رجل مجهول وأخرج
الطبراني وابن أبي حاتم عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال امتي
ثلاثة اثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم
يدخلون الجنة وثلث يعصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون
لا اله الا الله وحده فيقول الله ادخلوهم الجنة بقولهم لا اله الا الله وحده واجلو اخطاياهم
على أهل التكذيب وهي التي قال الله وليحمان أنفعا لهم وأنفعا لهم ونصد بقها
في التي ذكر في الملائكة قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم
ثلاثة أفواج فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذي يكشف ويعص ومنهم مقتصد وهو الذي يحاسب
حسابا يسيرا ومنهم سابق بالخيرات فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب ياذن الله
يدخلون الجنة جميعا قال ابن كثير بعد ذلك الحديث غريب جدا انتهى وهذه
الاحاديث يقوى بعضها بعضا ويجب المصير اليها ويدفع بها أقول من حمل الظالم لنفسه على
الكافرو يؤيدها ما أخرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث عن اسامة بن زيد
فمن ظالم لنفسه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم من هذه الامة
وكلهم في الجنة وما أخرجه الطيالسي وعبد بن حميد والطبراني وغيرهم عن عقبه بن
صهبان قال قلت لعائشة أرايت قول الله ثم أورثنا الكتاب الآية قالت أما السابق فمن
مضى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشهد له بالجنة وأما المقصد فمن تبع

الامام أحمد حدثنا وكيع عن
فضيل ويزيد حدثنا فضيل بن
مرزوق عن عطية العوفي قال
قرأت على ابن عمر الله الذي خلقكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا فقال
الله الذي خلقكم من ضعف ثم
جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل
من بعد قوة ضعفا ثم قال قرأت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
قرأت على فأخذ على كما أخذت
عليك ورواه أبو داود والترمذي
وحسنه من حديث فضيل به ورواه
أبو داود من حديث عبد الله بن
جابر عن عطية عن أبي سعيد بن جحره
(ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا
يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم

آثارهم فعمل بمثل عملهم حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فمثل ومثلك ومن اتبعنا وكل في الجنة وعن ابن مسعود قال هذه ثلاثة اثنان ثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يحيون بذنوب عظام الا انهم لم يشركوا فيقول الرب ادخلوا هو لافي سعة رحمتي ثم قرأ ثم أورثنا الكتاب الآية وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث عن عمر بن الخطاب انه كان اذا هرجم هذه الآية ثم أورثنا الكتاب قال الا ان سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وأخرج البیهقي وغيره عنه من وجوه آخر مر فوعا وأخرج ابن النجار من حديث أنس مر فوعا وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه أصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعته محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج سعيد بن منصور وغيره عن عثمان بن عفان انه نزع به هذه الآية ثم قال الا ان سابقنا أهل جهادنا الا وان مقتصدنا أهل حضرنا الا وان ظالمنا أهل بدونا وأخرج البيهقي في البعث عن البراء بن عازب قال أشهد على الله انه يدخلهم الجنة جميعا وأخرج القرطبي وابن جرير وابن مردويه عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية قال كلهم ناج وهي هذه الامة وأخرج القرطبي وعبد بن حميد عن ابن عباس في الآية قال هي مثل التي في الواقعة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون صنفان ناجيان وصنف هالك وعنه قال هو الكافر والمقتصد أصحاب الميمنة وهذا المروى عنه رضی الله عنه لا يطابق ما هو الظاهر من النظم القرآني ولا يوافق ما قدمنا من الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن جماعة من الصحابة وعن عبد الله بن الحارث ان ابن عباس سأل كعبا عن هذه الآية فقال نجوا كلهم ثم قال تحاكت منا كبهم ورب الكعبة ثم اعطوا الفضل بأعمالهم أخرج ابن أبي شيبة وغيره وقد قدمنا عن ابن عباس ما يفيد ان الظالم لنفسه من الناجين فتعارضت الاقوال عنه وقوله (جنات عدن) مبتدأ وخبره (يدخلونها) والضمير يعود الى الاصناف الثلاثة فلا وجه لقصره على الصنف الاخير وقرئ الجنة بالافراد وقرئ جنات بالنصب على الاشتغال وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول (يحلون فيها) هو من حليت المرأة فهي حال وفيه اشارة الى سرعة الدخول فان في تحليتهم خارج الجنة تأخير للدخول فلما قال يحلون فيها اشار الى ان دخولهم على وجه السرعة (من أساور من ذهب) من الاولى تبعية والثانية بيانية أي يحلون بعض أساور كأنه من ذهب والأساور جمع اسورة جمع سوار (ولؤلؤا) منصوب بالعطف على محل من أساور وقرئ بالجر عطفًا على ذهب أي مرصعا بلؤلؤا ويحلون أساور ولؤلؤا وهو الاولى أخرج الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله جنات عدن يدخلونها الآية فقال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة لتضي ما بين المشرق والمغرب (ولباسهم فيها حرير) لما فيه من

قوله نزع به هذه الآية هكذا في الاصل وسحر اه مصححه

والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا وعذرتهم ولا هم يستعتبون) يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ففي الدنيا فعلموا ما فعلوا من عبادة الاوثان وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا فنه اقسامهم بالله انهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجية عليهم وانهم لم ينظروا حتى يعذر اليهم قال الله تعالى كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث أي فير عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما قاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين يحلفون

اللذة والزينة وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الحج (وقالوا الحمد لله الذي
 أذهب عنا الحزن) بنقتهين وقرئ بضم الحاء وسكون الزاي والمعنى أنهم يقولون هذه
 المقالة إذا دخلوا الجنة وصيغة الماضي للدلالة على التحقق قال قتادة حزن الموت وقال
 بكرمة حزن السيمات والذنوب وخوف رد الطاعات وقال ابن عباس حزن النار وقال
 القاسم حزن زوال النعم وخوف العقاب وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقال الكلبي
 ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هم الحزن في الدنيا وقيل
 هم المعيشة وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الحزن ما كان منها المعاش
 أو المعاد وهذا أريح الأقوال فإن الدنيا وإن بلغ نعمها أي مبلغ لا يتجاوز شوائب ونوائب
 تكثر لاجلها الحزن وخصوصاً أهل الإيمان فانهم لا يزالون وجلين من عذاب الله
 خائفين من عقابه مضطربين القلوب في كل حين هل تقبل أعمالهم أو ترد حذر من عقاب
 سوء وخاتمة الشر ثم لا تزال همومهم وأحزانهم حتى يدخلوا الجنة وأهل العصيان
 فهم وإن نفس عن خناتهم قليلاً في حياة الدنيا التي هي دار الغرور وتناسوا دار القرار
 يوم من دهرهم فلا بد أن يشد وجلهم وتغلب مصيبتهم وتغلب مرآجل أحزانهم إذا شرفوا
 الموت وقرىبوا من منازل الآخرة ثم إذا قبضت أرواحهم ولاح لهم ما يسوءهم من جزاء
 أعمالهم ازدادوا غمًا وحزنًا فان تفضل الله عليهم بالمغفرة وأدخلهم الجنة فقد أذهب عنهم
 أحزانهم وازال غمومهم وهمومهم أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن
 عباس في الآية قال هم قوم في الدنيا يخافون الله ويحتمدون له في العبادة سرًا وعلانية
 وفي قلوبهم حزن من ذنوب قد سلفت منهم فهم خائفون أن لا يقبل منهم هذا الاجتهاد
 من الذنوب التي سافت فغفدها قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وروى البغوي
 بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس على أهل لاله الا الله
 وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لاله الا الله يتقنون التراب عن رؤسهم
 يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (ان ربنا لغفور شكور) غفر لنا العظيم وشكرنا
 التليل من أعمالنا أو يغفر الجنائيات ويقبل الطاعات وقيل غفور لمن عصاه شكور لمن
 أطاعه (الذي أحلنا) أي أنزلنا (دار المقامة) أي التي يقام فيها أبدأ ولا ينتقل عنها
 (من فضله) أي تفضلا منه ورحمة (لا يسئنا فيها نصب) أي لا يصيبنا في الجنة عناء ولا تعب
 ولا مشقة (ولا يسئنا فيها العوب) أي اعياء من التعب وكلا من النصب ثم لما فرغ
 سبحانه من ذكر حراء عباده الصالحين ذكر حراء عباده الظالمين فقال (والذين كفروا لهم نار
 جهنم لا يقضى عليهم) بالموت (في موتاً) ويستريحون من العذاب قرئ فيموتوا بالنصب
 جواباً للنفي وقرئ بآثبات النون قال ابن عطية هي ضعيفة ولا وجه لهذا التضعيف بل هي
 كقوله ولا يؤذن لهم فيعتدون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما نصبت جلودهم
 بدلناهم جلوداً غيرها ليدقوا العذاب وكلما خبت النار زيدت أسعارها وهذه الآية هي مثل
 قوله سبحانه لا يموت فيها ولا يحيى (كذلك نجزي كل كفور) أي مثل ذلك الجزاء الفظيع

مالشوا غير ساعة لقد لبثتم في كتاب
 الله أي كتاب الأعمال الى يوم البعث
 أي من يوم خلقتم الى ان بعثتم
 ولكنكم كنتم لا تعلمون قال الله
 تعالى في يومئذ أي يوم القيامة لا ينفع
 الذين ظلموا معذرتهم أي اعتذارهم
 عما فعلوا ولا هم يستعتبون أي
 ولا هم يرجعون الى الدنيا كما قال
 تعالى وان يستعتبوا فما هم من
 المعتبين (ولقد ضربنا للناس في
 هذا القرآن من كل مثل ولئن جهتهم
 بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم
 الا مبطلون كذلك يطبع الله على
 قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد
 الله حق ولا يستخفئك الذين
 لا يوقنون) يقول تعالى ولقد ضربنا
 للناس في هذا القرآن من كل مثل أي
 قد بينا لهم الحق ووضحنا لهم وضربنا

يجزى كل من هو مبالغ في الكفر لاجزاء أخف وأدنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول
(وهم بصطر خون فيها) من الصراخ وهو الصياح أى وهم يستغيثون فى النار رافعين
أصواتهم والصارخ المستغيث (ربنا) أى يقولون ربنا أو قائمين ربنا وقال مقاتل
انهم ينادون ربنا (آخر جنان عمل) عملا (صالحا غير الذى كان عمل) من الشرك والمعاصى
فتجعل الايمان منابلا ما تكافيه من الكفر والطاعة بدل المعصية قيل وزيادة قوله غير
الذى كان عمل للتسرع على ما علموه من غير الاعمال الصالحة مع الاعتراف منهم بأن أعمالهم
فى الدنيا كانت غير صالحة فاجاب الله عليهم بقوله (أولم نعمركم ما يتذ كرفيه من تذ كر)
الاستفهام للتقرير والتوبيخ والوالوال للعطف على مقدر كما فى نظائره وما نكرة موصوفة
أى أولم نعمركم عمرا يتمكن من التذ كرفيه من تذ كر فقبل هو ستون سنة وقيل أربعون
وقيل ثمانى عشرة سنة قال بالاول جماعة من الصحابة ومنهم ابن عباس وبالثانى الحسن
ومسروق وغيرهما وبالثالث عطاء وقتادة أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى عن ابن
عباس ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء السنين
وهو العمر الذى قال الله أولم نعمركم ما يتذ كرفيه من تذ كر وفى اسناده ابراهيم بن
الفضل الخزومى وفيه مقال وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعذرت الله الى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين
سنة وعن سهل بن سعيد مر فوعا فمروه أخرجه عبد بن حميد والطبرانى والحاكم وعن على
ابن أبى طالب قال العمر الذى غيرهم الله به ستون سنة وأخرج الترمذى وابن ماجه
والحاكم وابن المنذر والبيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك قال الترمذى بعد اخرجه
حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعن ابن عباس فى هذه الآية هوست وأربعون
سنة وعنه قال العمر الذى أعذرت الله الى ابن آدم فيه بقوله أولم نعمركم ما يتذ كرفيه من
تذ كر أربعون سنة (وجاءكم النذير) قال الواحدى قال جمهور المفسرين هو النبى صلى الله
عليه وآله وسلم وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع والحسن بن الفضل والقراء وابن
جرير هو الشيب ويكون معناه على هذا القول أولم نعمركم حتى شبتهم وقيل هو القرآن
وقيل الحمى قال الأزهرى معناه ان الحمى رسول الموت أى كأنها تشعر بقسده وموتها وتندد
بجيمته والشيب نذير أيضا لانه يأتى فى سن الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذى
هو سن الله واللعب وقيل هو موت الاهل والاقارب وقيل هو كمال العقل وقيل البلوغ
(فذوقوا عذاب الظالمين من نصير) الفاء لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومحجى
النذير وفى هذا التعليل أى فذوقوا عذاب جهنم لانكم لم تعتبروا ولم تتعظوا فإلّا لكم ناصر
يمنعكم من عذاب الله ويحول بينكم وبينه قال مقاتل فذوقوا عذاب المشركين من مانع
يمنعهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) قرأ الجمهور بالاضافة وقرئ بالتنوين

لهم فيه الامثال ليستبينوا الحق
ويتبعوه ولئن جهنم باية ليقولون
الذين كفروا ان انتم الا مبطلون أى
لوراوا أى آية كانت سواء كانت
باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها
ويعتقدون انها سحر وباطل كما قالوا
فى انشقاق القمر ونحوه كما قال
تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة
ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية
حتى يروا العذاب الاليم ولهذا
قال ههنا كذلك يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان
وعدا الله حتى أى اصبر على مخالفتهم
وعنادهم فان الله تعالى منجز لك
ما وعدك من نصره اياك عليهم
وجعله العاقبة لك ولئن اتبعك

ونصب غيب والمعنى انه عالم بكل شئ ومن ذلك أعمالكم لا تخفى عليه منها خافية فلوردم
الى الدنيا لم تعلموا الحالكما قال ولوردا والعاد والماسنواعنه (انه علم بذات الصدور)
تعديل لما قبله لانه اذا علم مضمرة الصدور وهي اخفى من كل شئ علم ما فوقها بالاولى
وقيل هذه الجملة مفسرة للجملة الاولى وذات تأنيث ذوبعنى صاحب أى بالامور
صاحبة الصدور ومصاحبة الهامن حيث اختبا وهافها (هو الذى جعلكم خلائف
في الارض) جمع خليفة ويقال للمستخلف خليفة وخليف ويجمع الاول على خلائف
والثاني على خلفاء أى جعلكم امة طائفة لمن قبلها قال قتادة خلفا بعد خلف وقرنا بعد
قرن والخلف هو التالى للمتقدم وقيل جعلكم خلفاء في أرضه (فن كفر) منكم هذه
النعمة (فعليه كفره) أى عليه ضرر كفره لا يتعداه الى غيره (ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الامتتا) أى غضبا وبغضا (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا)
أى نقصا وهلاكا والمعنى ان الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيدهم الا المقت ولا
ينفعهم في أنفسهم حيث لا يزيدهم الا خسارا والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان
اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة
ثم أمره سبحانه ان يوجههم ويبيتهم فقال (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون) أى
اخبروني عن الشركاء الذين اتخذتموهم آلهة وعبدتموهم (من دون الله) أى غيره وهم
الاصنام وغيرها (أروني ماذا خلقوا من الارض) بدل استئصال من أرأيتم والمعنى
اخبروني عن شركاءكم أروني أى شئ خلقوا من الارض وقيل ان الفعلين وهم ما أرأيتم
وأروني من باب التنازع وقد عمل الثاني على ما هو اختيار البصريين (أم لهم شركاء
في السموات) أى أم لهم شركاء مع الله في خلقها أو ملكها أو التصرف فيها حتى يستحقوا
بذلك الشركة في الالهية (أم آتيناهم) الضمير فيه وفي قوله لهم الاحسن ان يعود
الى اشركاء لتناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين فيكون التقا من الخطاب الى
الغيبية أى أم أنزلنا عليهم (كتابا) بالشركة وأم في الموضوعين منقطعة بمعنى بل والهمزة
فيكون قد أضرب عن الاستفهام الاول وشرع في استفهام آخر والاستفهام انكارى
(فهم على بينة منه) أى على حجة ظاهرة واضحة من ذلك الكتاب قرى بينة بالتوحيد وبالجمع
قال مقاتل يقول هل أعطينا كفار مكة كتابا فهم على بيان منه بان مع الله شركاء ثم أضرب
سجانه عن هذا الى غيره فقال (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغرورا) أى ما يعد
الظالمون بعضهم بعضا كما يفعله الرؤساء والقادة من المواعيد لا يتابعهم الاغرورا يغرونهم
به وينوونهم وهم وهو الاباطيل التي تغر ولا حقيقة لها وذلك قولهم ان هذه الالهة تنفعهم
وتقر بهم الى الله وتشفع لهم عنده وقيل ان الشياطين تعد المشركين بذلك وقيل المراد
بالوعد الذى يعد بعضهم بعضا وهم ينصرون على المسلمين ويغلبونهم (ان الله يمسك
السموات والارض أن تزولا) أى يمنعهما من الزوال قاله الزجاج أو كراهة ان تزولا

في الدنيا والآخرة ولا يستخفونك
الذين لا يوقنون أى بل اثبت على
ما بعثك الله به فانه الحق الذى
لا مرية فيه ولا تعدل عنه وليس
فيما سواه هدى يتبع بل الحق كاه
منصرفه قال سعيد عن قتادة
نادى رجل من الخوارج عليا رضى
الله عنه وهو في صلاة الغداة فقال
ولقد أوحى اليك والى الذين من
قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين فأضتله
على حتى فهم ما قال فاجابه وهو في
الصلاة فاصبرن وعد الله حق ولا
يستخفونك الذين لا يوقنون رواه
ابن جرير وابن أبي حاتم وقدرناه
ابن جرير من وجه آخر فقال حدثنا

وقيل لثلاث ولا والجملة مستأنفة إيمان قدرة الله سبحانه وبديع صنعه بعد بيان ضعف الأصنام عدم قدرتها على شيء وقيل المعنى ان شركهم يقتضى زوال السموات والارض كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن يدعو الرحمن ولداً عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر قال وقع في قلب موسى هل ينام الله عز وجل فأرسل الله اليه ملكاً فأرغمه ثلاثاً وأعطاه قارورة في كل يد قارورة وأمره ان يحتفظ بهما فجعل ينام وتكاد يدها تلقيان ثم يستيقظ فيجيب أحدهما على الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت يدها وانكسرت القارورة فان قال ضرب الله له مثلاً ان الله تبارك وتعالى لو كان ينام لم تسمك السماء والارض أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني والبيهقي في الاسماء والصفات وغيرهم وروى من طرق عن ابن سلام وابن أبي بردة (ولئن زالتان أمة سكهما من أحدهم بعده) أى ما أمسكهما أحدهم من بعد ما سكا أو من بعد زوالهما والجملة سادة مسدود جواب القسم والشرط ومن الأولى زائدة والثانية ابتدائية قال الفراء أى ولو زالتا أمة سكهما من أحد قال وهو مثل قوله ولئن أرسلنا ريحاً فافراؤه مصفر الظالمون بعده يكفرون وقيل المراد زوالهما يوم القيامة (انه كان حليماً غفوراً) تعليل لما قبله من امساكته تعالى السموات والارض (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم) المراد قرىش اقساموا قبل ان يبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بهذا القسم حين بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسالهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاء نذير لنكونن أهدى ديناً منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم كذبوه فانزل الله هذه الآية والمعنى من احدى الامم المكذبة للرسول والنذير النبي والهدى الاستقامة وكانت تمنى ان يكون منهم رسول كما كان الرسل في بني اسرائيل وأنت احدى لكون أمة مؤنثة كما قال الاخفش وقيل المعنى من احدى الامم على العموم وقيل من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلاً لها (فلما جاءهم نذير) أى ما آمنوه وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أكرم نذير وأكرم رسول وكان من أنفسهم (ما زادهم) مجيئه (الانفورا) منهم عنه وتباعدوا عن اجابته (استبكاراً في الارض) أى لاجل الاستبكار والعتو وأبدل من نفوراً وحال قاله الاخفش وهذا جواب لما وفيه دليل على انها حرف لا ظرف اذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما قبلها وتقدمت له نظائر واسناد الزيادة الى النذير مجاز لانه سبب في ذلك كقوله فزادتهم رجساً الى رجسهم (ومكر السيئ) أى ولاجل مكر العمل السيئ أو مكر والمكر السيئ والمكر هو الخيلة والخداع والعمل القبيح وأضيف الى صفته كتولهم مسجد الجامع وصلاة الاولى قرأ بالجهور ومكر السيئ يخفف همزة السيئ وقرأ الاعمش وحزب سكونها وصلوا وقد غلط كثير من النحاة هذه القراءة ونزهوا الاعمش على جلالته ان يقرأها قالوا وانما كان

وكيع حديثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان عن أبي زرعة عن علي بن زريعة قال نادى رجل من الخوارج علياً رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فاجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله حتى ولا يتخففت الذين لا يؤقنون طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال صلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من

يقف بالسكون فغلط من روى عنه انه كان يقرأ بالسكون وصلواته بحية هذه القراءة
 يمكن بان من قرأها الجري الوصل مجرى الوقف ومثله قراءة من قرأ ما يشعركم بسكون
 الراء ومثله ذلك قراءة أبي عمرو والى بارئكم بسكون الهمزة وغير ذلك كشر قال أبو علي
 الفارسي هذا على اجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ ابن مسعود ومكراسياً (ولا يحيق
 المكر السبي الاياه) أي لا تنزل عاقبة السوء الا بن أساء قال الكلبى يحيق بمعنى يحيط
 والحق الأحاظ يقال حاق به كذا أي أحاط به وهذا هو الظاهر من معنى يحيق في لغة
 العرب ولكن قطرب فسره هنا ينزل (فهل يتظرون) أي ما ينتظرون (الاسنة
 الاولين) أي سنة الله فيهم بان ينزل بهمؤلاء العذاب كما نزل بأولئك (فلن تجد لسنة الله
 تبديلاً) أي لا يقدر أحد أن يبدل سنة الله التي سنها بالامم المكذبة من انزال عذابه
 بهم بان يضع موضعه غيره بدلا عنه والقاء لتعليل ما يفيد هذه الحكم بانتظارهم العذاب
 (ولن تجد لسنة الله تحويلاً) بان يحول أحد ما جرت به سنة الله من العذاب في دفعه
 عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل كناية عن نفي وجودهما بالطريق
 البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد اتفاقهما (أولم يسيروا في الارض
 فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هذه الجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وتأكيد
 أي لم يسيروا في أرض الشام واليمن والعراق فينظروا وما أنزلنا بعدا ونودومدين
 وأمثالهم من العذاب لما كذبوا الرسل فان ذلك هو من سنة الله في المكذبين التي لا تبدل
 ولا تحول وأنار عذابهم وما أنزل الله بهم موجودة في مساكنهم ظاهرة في منازلهم
 والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام (وكأنوا) أي والحال
 انهم كانوا (أشد منهم قوة) وأطول أعماراً وأكثر أموالاً وأقوى أيداً انما نفعمهم طول
 المدى وما أغنت عنهم شدة القوة (وما كان الله ليحجزه من شيء في السموات ولا في الارض)
 أي ما كان يسبقه ويقوته شيء من الاشياء كما سماها كان فيها وهذا تقرير لما يفهم مما
 قبله من استئصال الامم السابقة (انه كان علياً قديراً) أي كثير العلم كثير القدرة لا يخفى
 عليه شيء ولا يصعب عليه أمر وهذا تعليل لذلك التقرير (ولو يؤاخذ الله الناس بما
 كسبوا) من الذنوب وعملوا من الخطايا (ما ترك على ظهرها) أي الارض (من دابة)
 من الدواب التي تدب كأنه ما كانت أمابن آدم فلذنوبهم وأما غيرهم فليسوا بمعاصي بني
 آدم وقيل المراد ما ترك على ظهر الارض من دابة تدب من بني آدم والجن وقال بالاول
 ابن مسعود وقتادة وقال الثاني السكبي وقال ابن جرير والاحفش والحسين بن الفضل
 أراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم أخرج القرطبي وغيره عن ابن مسعود قال
 انه كاذب جعل ليعذب في حجره بذنوب ابن آدم ثم قرأ هذه الآية قيل وجه الملائمة بين
 الشرط والجزاء انه تعالى اذا كان يؤاخذ الناس بما كسبوا كان ينقطع عنهم النعم التي
 من جملتها المطر فاذا انقطع عنهم المطر انقطع النبات فيوت جميع الحيوانات فهذا كناية
 أريد بها الملزوم وقوله على ظهرها فيه استعارة مكنية قال قتادة وقد فعل ذلك في زمن

الاسيرين فأجابه على رضى الله
 عنه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد
 الله حق ولا يستخفك الذين
 لا يؤقنون * (ماروى في فضل هذه
 السورة الشريفة واستجاب قراءتها
 في الفجر) قال الامام أحمد حدثنا
 محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد
 الملك بن عمير سمعت شيبان أبا روح
 يحدث عن رجل من أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح
 فقرأ فيها الروم فآوهم فلما انصرف
 قال انه يابس علينا القرآن فان
 أقواماً منكم يصلون معنا
 لا يحسنون الرضوء فنشهد منكم
 الصلاة معنا فيحسن الرضوء وهذا

نوح وقال يحيى بن سلام يحبس الله المطرف في تلك كل شيء ولكن يؤخرهم الى أجل

مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده

بصيرا) أي عن يستحق منهم الثواب ومن يستحق

منهم العقاب وفي هذا تسلية للمؤمنين

ووعيد للكافرين والعامل

في اذا هوجاء

لابصيرا

* (تم الجزء السابع ويليها الجزء الثامن أوله سورة يس) *

اسناد حسن ومتن حسن وفيه سر

عجيب ونبا غريب وهو انه صلى الله

عليه وسلم تأثر بنقصان وضوء من

اتم به فدل ذلك على ان صلاة

المأموم متعلقة بصلاة الامام

آخر تفسير سورة الروم

ولله الحمد

والمنة

ومما قيل في تقرير هذا التفسير الجليل حسن الشكل عديم المثل ما أنشأه علامة زمانه ونبغة آته الهمام الأكل الملاذ الأفضل مديد الباع رحب الذراع بديع الاختراع حسن البديهة بلا دفاع الذي قطع في حلبة البيان كل مجاري الاستاذ الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري فقال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الرحمن الرحيم علم القرآن خلق الانسان علمه البيان نحمده على توفيقه للاستعمال بعلم الحكمة والتأويل ونسئد منه الهداية لمعالم الآثار وأنوار التنزيل ونشهد أن لا اله الا الله شهادة تنال به ادرج الجنان ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بروح الحق وجامع البيان صلى الله وسلم عليه وعلى آله السادة الأئمة وعلى أصحابه جملة السنة وهداة الامة ﴿وبعد﴾ فقد وقفت على التفسير المسمى بفتح البيان في مقاصد القرآن لمولانا وسيدنا الامام العلامة القدوة المحقق النهاية الحافظ الشهير الحجة الناسك الداعي الناس الى المحجة سلطان العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين السيد الجليل والعالم الفاضل النبيل صديق بن حسن بن علي القنوجي الذي مازال في نشر العلوم يروح وبجي فرأيت في تفسيره اجامع الماتفرق في غيره من الفوائد وفائق ما عداه لكثرة ما حواه من الشوارد والزوائد مشتملا على صحيح التفسير المأخوذ من مقبول الاثر طاويا ما في غيره من المطولات قد انتشر لا يستلذ به الا من حوى السككين ولا يشهد بفضله الا من مشى بطريقة الجلالين ولا يعرف انه سليم من زائف النقود الا من له خبرة بتفسير الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود ولا يدري انه أخذ اللباب وطرح القشور الا من طالع ابن كثير وابن جرير والترطبي والبغوي والدر المنثور والله انه لكتاب كريم يجلب عن الصفة وتفسير عظيم طوي لمن حصه وعرفه فمن أراد تفسير كتاب الله رواية ودراية أو طلب ان يستفيد بانوار التنزيل توفيقا وهداية فعليه بالاستغناء بهذا التفسير الجليل وليعكف عليه فإنه كافل عما يبغيه من اعراب وقراءة وتفسير وتأويل لا تني تأملته تأمل ناقد بصير فرأيت آية باهرة ولا ينبتك مثل خبير

دررأضاءت في بلين صحائف * كالكوكب الدرري في اضوائه

فكانها منشورة بطروسها * نجم تضيء سماؤه بسمنائه

وكأنها في يدي غواصها * نور اليد البيضاء وحسن ثنائها

لله غواص أتي بفوائده * يستوجب الاعلاء على نظرائه

فأدم اللهم على مؤانته النعمة وادفع اللهم عنه البلاء والنقمة وأفض على قلبه أنوار

المعارف وانفع عما بدأه في تفسيره هذا من الفوائد واللطائف فلتبدأ حيا به ما ندرس
 من تفاسير الأئمة النحول وجاءهم معزوة الى الصحاح والاصول
 لم يغادر مما يعول عليه في فن التفسير شيئاً الا بدأه
 فعافاه الله ورعاه وأطال عمره في
 طاعته ورضاه

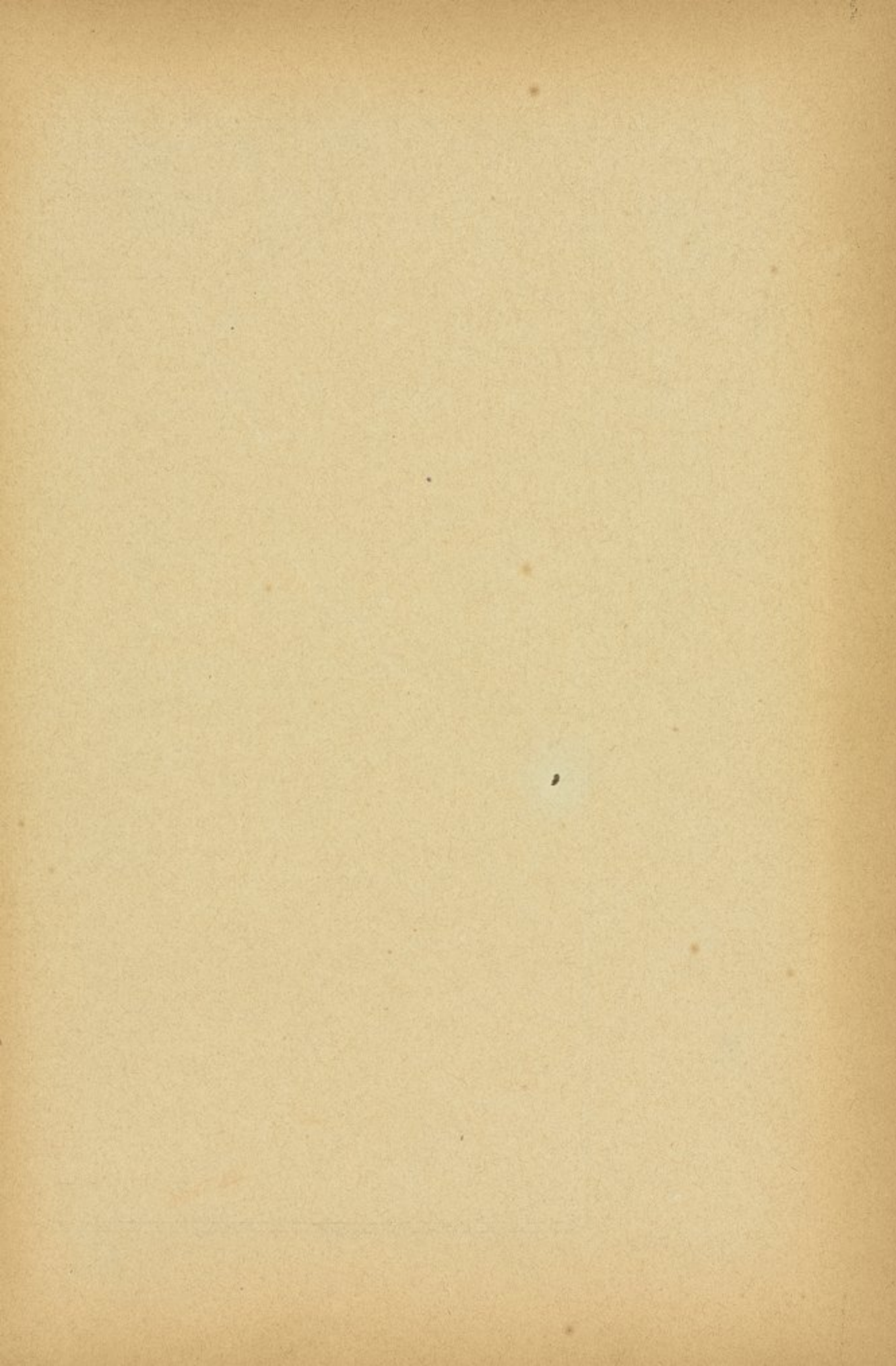
آمين

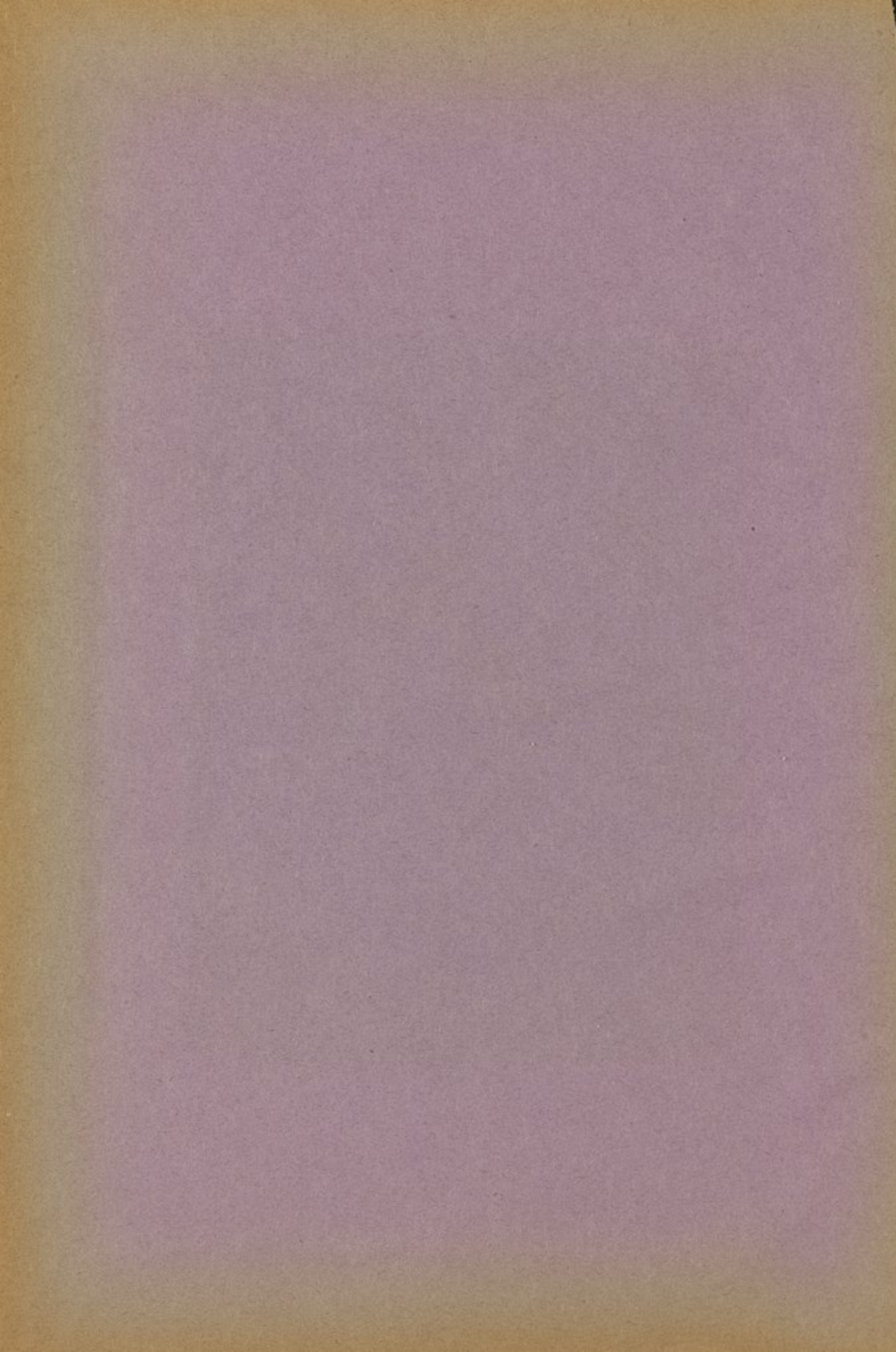
وحرر في السابع والعشرين من شهر صفر سنة اثنتين وتسعين بعد الالف ومائتين

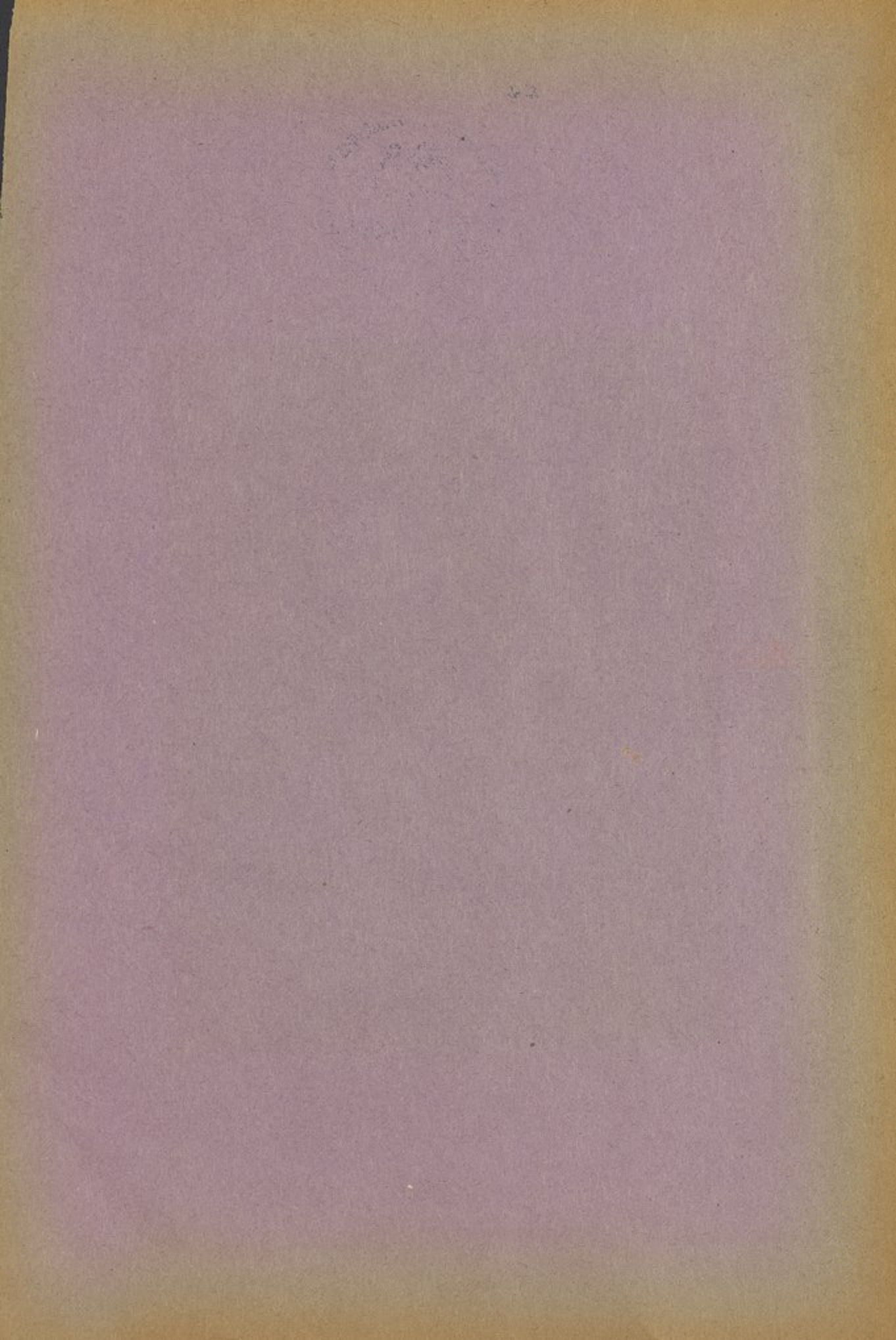
كتبه محمد بن أحمد

ابن عبد المباري

انتهى بلفظه







COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0037852825

BUTLSTAX

BP

130.4

.M79

1882g

v.7